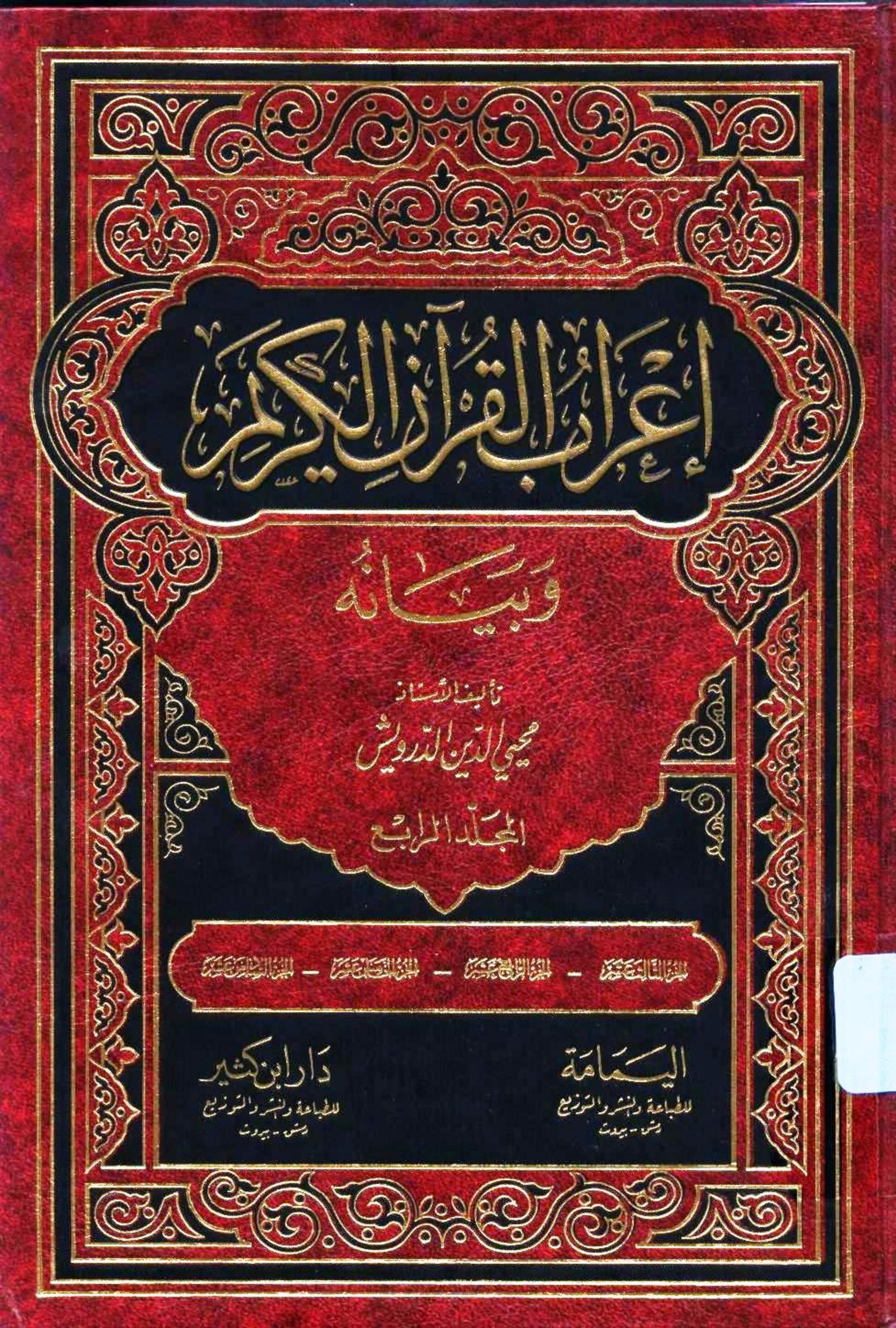
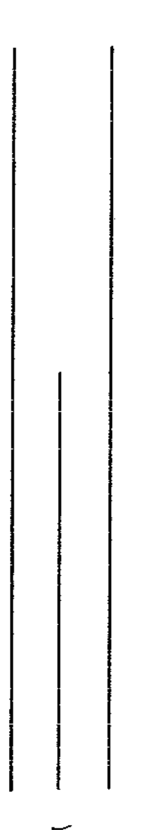

إعراب القرآن الكريم
وبيانه
تأليف الأستاذ
محيي الدين الدرويش
المجلد الرابع
الجزء الثالث عشر - الجزء الرابع عشر - الجزء الخامس عشر - الجزء السادس عشر
اليمامة
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - بيروت
دار ابن كثير
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - بيروت



إعراب القرآن الكريم

وبيانه

الطبعة السابعة

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

طبعة منقحة ومصححة ومفهرسة

(تنضيد جديد)



دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي
ص.ب: ٣١١ - هاتف: ٢٢٢٥٨٧٧ - ٢٢٢٨٤٥٠ - فاكس: ٢٢٤٣٥٠٢
بيروت - برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي - بناء الحديقة
ص.ب: ١١٣/٦٣١٨ - تلفاكس ٠١٨١٧٨٥٧ - ٠٣٢٠٤٤٥٩



دمشق - برامكة - جانب الهجرة والجوازات
ص.ب: ٣٧٧ - هاتف: ٢١٢٢٠٥٩ - فاكس: ٢١٢٣٢٤٥
بيروت - برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي - بناء الحديقة
ص.ب: ١١٣/٥٤٨٨ - هاتف: ٠١٧٠٢٩٥٩ - ٠٢٨٥٣٥٨٦



تأليف الأستاذ

محيي الدين الدرويش

المجلد الرابع

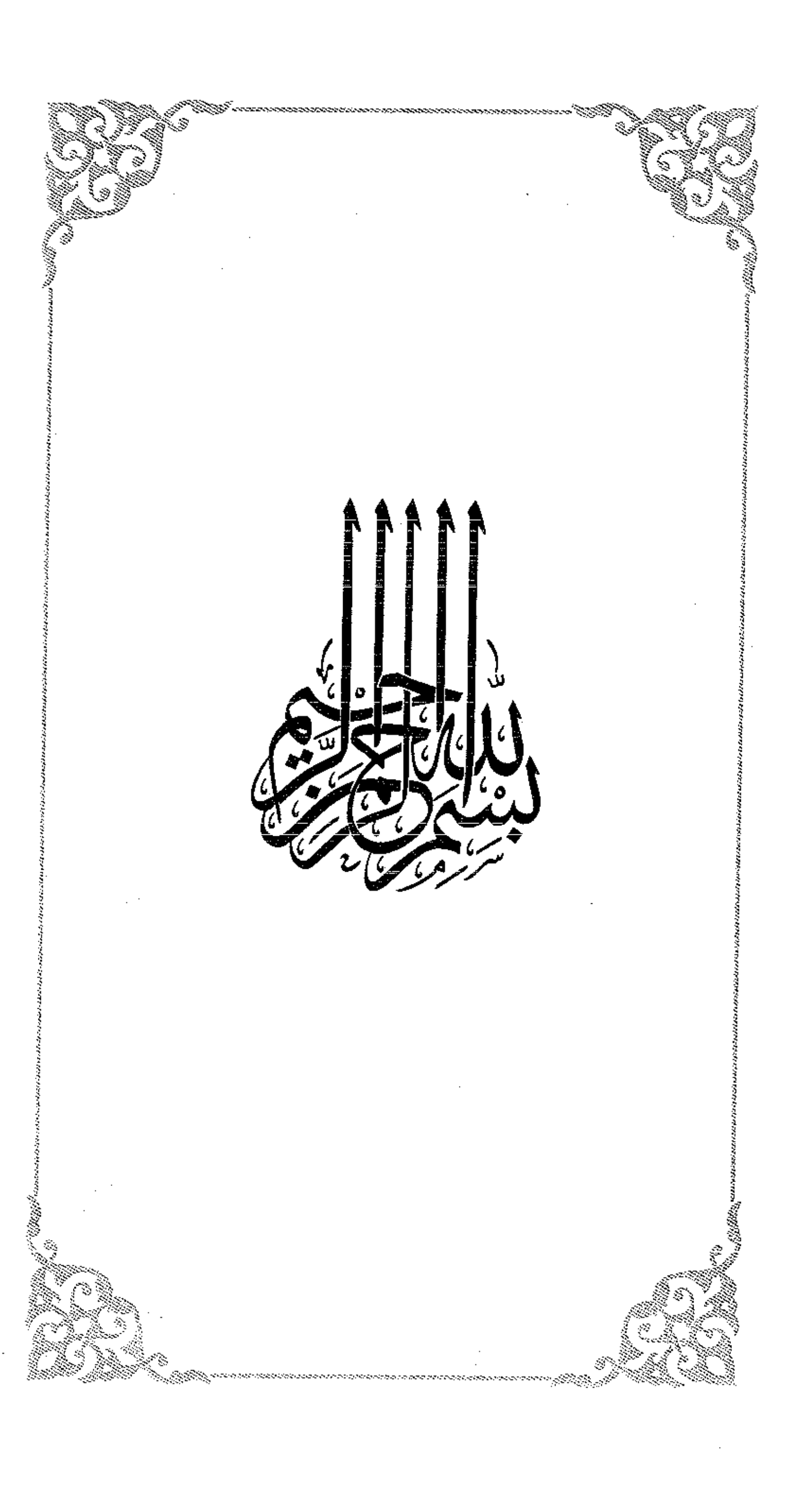
الجزء الثالث عشر — الجزء الرابع عشر — الجزء الخامس عشر — الجزء السادس عشر

دار اليمامة
دمشق - بيروت



دمشق - بيروت

دار الإرشاد للشؤون الجامعية
حمص - سورية


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ﴾ عطف على ما تقدم، وقال الملك فعل وفاعل، وجملة ائتوني به مقول القول، وأستخلصه فعل مضارع مجزوم؛ لأنه وقع جواباً للأمر، والاستخلاص: خلوص الشيء من شوائب الشركة، وقال ذلك لما كان يوسف نفيساً، وعادة الملوك أن يجعلوا الأشياء النفيسة خالصة لهم دون غيرهم ﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ الفاء عاطفة على محذوف يمكن تقديره بما تتساوق معه مجريات القصة وحوادثها، أي: فجاء الرسول يوسف، وقال أجب الملك، فقام مودعاً أهل السجن داعياً لهم؛ لأنه كان مثابتهم، وموضع ثقتهم، ثم لبس ثيابه، ودخل على الملك، فلما... الخ، ولما ظرفية حينية، أو رابطة، وكلمه فعل وفاعل مستتر ومفعول به، وجملة قال جواب لما لا محل لها، وإن واسمها، والظرف متعلق بمحذوف حال، ولدينا متعلق بمكين، ومكين خبر إن، وأمين خبر ثان ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ اجعلني فعل أمر، والنون للوقاية، والفاعل مستتر تقديره: أنت، والياء مفعول به، وعلى خزائن الأرض جار ومجرور متعلقان بالمفعول الثاني، أي: قيّماً على خزائن الأرض، وإن واسمها، وحفيظ خبرها، وعليم خبرها الثاني ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ﴾ كذلك نعت لمصدر محذوف، أي: ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا ليوسف، ومكنا فعل وفاعل، واللام متعلقة بمكنا، ومفعول مكنا محذوف، أي: الأمور، وفي الأرض حال، وجملة يتبوأ جملة

حالية من يوسف، ومنها جار ومجرور متعلقان بيتبوأ، وحيث ظرف ليتبوأ، أو مفعول به له، وجملة يشاء في محل جر بإضافة الظرف إليها، ولا بد من الإشارة إلى تتمة القصة؛ التي اقتضى سياق الكلام حذفها، أي: فولاه مكان العزيز، ثم هلك قطفير عزيز مصر فزوج الملك يوسف امرأة العزيز بعد هلاكه، وكانت مفاجأة تجمع بين المتعة والدهشة حين دخل عليها يوسف، وقال لها: أليس هذا خيراً ممَّا تريدين، قالت: أيها الصدِّيق لا تلمني، فإني كنت امرأة غريرة، حسناء، بلهاء، وكان صاحبي لا يأتي النساء، وكنت بالمثابة التي أنت عليها من الوسامة والجمال، فغلبتني نفسي، وعصمك الله إلى آخر تلك القصة الرائعة؛ التي استوفت جميع عناصر القصة، ثم استولى على مقاليد الأمور، ودان له القريب والبعيد ﴿ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ الجملة استئنافية، مسوقة إلى التصرف العادل؛ الذي اختص الله تعالى به نفسه، ونصيب فعل مضارع مرفوع، والفاعل نحن، وبرحمتنا متعلقان بنصيب، ومن مفعول به، وجملة نشاء صلة، ولا نضيع عطف على نصيب، وأجر المحسنين مفعول به ﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ اللام لام الابتداء، وأجر مبتدأ، والآخرة مضاف إليه، وخير خبر أجر، وللذين متعلقان بخير، وجملة آمنوا صلة، وكانوا كان واسمها، وجملة يتقون خبرها.

* الفوائد:

نسج أرباب السير حوادث حول هذه القصة الرائعة من نسج الخيال، ولفّقوا روايات يبدو عليها البطلان لتفاهتها وركاكتها، أو لإحالتها ومنافاتها للعقل، فعلى المرء أن يمحص تلك الروايات البادية التلفيق، ويشجب الأخذ بها والتوريك على نقلة هذه الزيادات بالبهت، وذلك شأن المبطلة من كل طائفة.

﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا

جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَـٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَـٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَـٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾

○ الإعـراب:

﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ﴾ الكلام معطوف على كلام سابق يفهم من سياق القصة، أي: أصابت يعقوب وأولاده ضائقة، وهم في فلسطين، فقال لهم يعقوب: بلغني أن بمصر ملكاً صالحاً يبيع الطعام، فتجهزوا إليه، واقصدوه لتشتروا ما نحن بحاجة إليه من الطعام، فخرجوا حتى قدموا مصر... إلى آخر القصة. وجاء إخوة يوسف فعل وفاعل، ولم ينصرف يوسف للعلمية والعجمة، فدخلوا عليه عطف على جاء أخوة يوسف ﴿ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ الفاء عاطفة، وعرفهم فعل وفاعل مستتر، ومفعول به، والواو للحال، وهم مبتدأ، وله متعلقان بمنكرون، ومنكرون خبر، أي: لم يعرفوه لطول العهد ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ الواو عاطفة، والكلام معطوف على مقدر يفهم من سياق الحوار، أي: لما وصلوا إليه قال لهم: لعلكم جئتم عيوناً تنظرون عورة بلادي، قالوا: معاذ الله! نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجَهد، فجئنا نمتار فاستوضح منهم عن أمرهم، فقال: نحن أخوة بنو أب واحد، وهو شيخ صدّيق نبي اسمه يعقوب، وكنا اثني عشر، فهلك منا واحد، قال: أنتم الآنْ عشرة، فأين الأخ الحادي عشر؟ قالوا: هو عند أبيه يتسلى به من الهالك؛ لأنه شقيقه، قال: فائتوني به، أي: بأخيكم الذي من أبيكم إن كنتم صادقين، واتركوا أحدكم عندي رهينة حتى تأتوني به... إلى آخره، ولما حينية، أو رابطة، وجهزهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به، وبجهازهم متعلقان بجهزهم، وقال: جملة لا محل لها؛ لأنها جواب لما، وجملة ائتوني مقول القول، وهو فعل

أمر وفاعل ومفعول به، وبأخ جار ومجرور متعلقان به، ولكم صفة لأخ، ومن أبيكم صفة ثانية ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ الهمزة للاستفهام، ولا نافية، وترون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل، وأن وما بعدها سدت مسد مفعولي ترون، وجملة أوفي الكيل خبر إن، والواو عاطفة، وأنا مبتدأ، وخير المنزلين خبر، أي: وأنا للضيف خير المضيفين ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ الفاء عاطفة، وإن شرطية، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وتأتوني مجزوم بلم، وهو فعل الشرط، والفاء رابطة، ولا نافية للجنس، وكيل اسمها، ولكم خبرها، وعندي ظرف متعلق بمحذوف حال، والواو عاطفة، ولا ناهية، وتقربون فعل مضارع مجزوم بلا، وعلامة جزمه حذف النون، هذه النون نون الوقاية، وحذفت ياء المتكلم تخفيفاً، ويحتمل أن تكون لا نافية، وتقربون مجزوم نسقاً على محل قوله: فلا كيل لكم، وهو الجزم؛ لأنه جواب الشرط، كأنه قيل: فإن لم تأتوني تحرموا، ولا تقربوا ﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾ جمل سنراود مقول القول، وعنه متعلقان بنراود، وقد تقدمت معاني المراودة قريباً، فجدِّد به عهداً، وأباه مفعول به، وإنا من عطف الجمل، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وفاعلون خبر إنا ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ لفتيانه متعلقان بقال، وجملة اجعلوا مقول القول، وبضاعتهم مفعول به، وفي رحالهم في موضع المفعول الثاني، وقد اختلف في معنى جعل البضاعة في الرحال، وأقرب الأقوال أنه أراد حملهم على الرجوع إليه أن يعرفوها إذا رجعوا إلى أهلهم، فتحملهم على الرجوع، وهو يعلم أن ديانتهم لا تحل لهم إمساكها، فيرجعون لأجلها ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لعل واسمها، وجملة يعرفونها خبر لعل، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن، وجملة انقلبوا مضافة للظرف، والجواب محذوف، أي: فلعلهم يرجعون، وإلى أهلهم جار ومجرور متعلقان بانقلبوا، ولعل واسمها، وجملة يرجعون خبرها.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

○ الإعراب:

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ﴾ الفاء حرف عطف، ولما حينية، أو رابطة، ورجعوا فعل وفاعل، وإلى أبيهم متعلقان برجعوا، وجملة قالوا لا محل لها، ويا حرف نداء، وأبانا منادى مضاف، ومنع فعل ماض مبني للمجهول، ومنا متعلقان بمنع، والكيل نائب فاعل، وهم يشيرون إلى قول يوسف، فإن لم تأتوني به، فلا كيل لكم عندي ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ الفاء الفصيحة، وأرسل فعل أمر، ومعنا متعلقان بأرسل، وأخانا مفعول به، ونكتل مضارع مجزوم في جواب الطلب، وإنا: إن واسمها، وله متعلقان بحافظون، واللام المزحلقة، وحافظون خبر إن ﴿قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ﴾ الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر، كما تقدم نظائر ذلك في مواضع كثيرة. هل حرف استفهام، وآمنكم فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول، وعليه متعلقان بآمنكم، وإلا أداة حصر، كما أمنتكم: الكاف نعت لمصدر محذوف،

وما مصدرية، يريد: إنكم قلتم في يوسف و﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ كما تقولونه في أخيه بنيامين، ثم خنتم بضمانكم، فكيف آمنكم؟! وعلى أخيه جار ومجرور متعلقان بأمنتكم، ومن قبل حال، أي: من قبل هذا الزمان ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ الفاء الفصيحة، والله مبتدأ، وخير خبر، وحافظاً تمييز، أو حال، وهو مبتدأ، وأرحم الراحمين خبر، والمعنى: فتوكل على الله، ودفع إليهم بنيامين ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ﴾ لما حينية، أو رابطة، وفتحوا متاعهم فعل وفاعل ومفعول به، ووجدوا بضاعتهم فعل وفاعل ومفعول به، وجملة ردت إليهم في محل نصب مفعول وجدوا الثاني ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ﴾ قالوا فعل وفاعل، ويا أبانا منادى مضاف، وما اسم استفهام في محل نصب مفعول مقدم لنبغي، أي: أيّ شيء نبغي، ونطلب من الكرامة؟! هذه أموالنا ردت إلينا، وقال الزجاج: يحتمل أن تكون نافية، أي: ما بقي لنا ما نطلب، ويحتمل أيضاً أن تكون نبغي من البغي، أي: ما افترينا فكذبنا على هذا الملك ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ﴾ هذه مبتدأ، وبضاعتنا خبر، وجملة ردت إلينا حالية، ويجوز إعراب بضاعتنا بدل من هذه، وجملة ردت إلينا خبر، والجملة مستأنفة مسوقة لإيضاح قولهم: ما نبغي ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ﴾ الواو عاطفة على محذوف، أي: نستظهر بها، ونستعين، ونمير أهلنا، وأهلنا مفعول به، ونحفظ أخانا جملة منسوقة على ما قبلها، ونزداد جملة منسوقة أيضاً، وكيل بعير مفعول به لنزداد ﴿ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ ذلك مبتدأ، وكيل خبر، ويسير صفة، أي: أن كيل البعير الذي نزداده هين على الملك؛ لأنه قد أحسن إلينا، وأكرمنا أكثر من ذلك ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لن حرف نفي ونصب واستقبال، وأرسله مضارع منصوب بلن، ومعكم ظرف متعلق بأرسله، وحتى حرف غاية وجر، وتؤتوني فعل مضارع منصوب بأن مضمرة، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به أول، وموثقاً مفعول به ثان، ومن الله صفة، وجعل الحلف بالله موثقاً؛ لأن الحلف به مما تؤكد به العهود ﴿لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ﴾ اللام واقعة في جواب القسم المدلول عليه بقوله موثقاً، وتأتنني

مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل، والياء مفعول به، والنون المشددة للتوكيد، والنون الثالثة نون الوقاية، وقد تقدمت لهذا الإعراب نظائر، وإلا أداة استثناء، وأن وما في حيزها استثناء مفرغ من أعم الأحوال، أي: لتأتنني به على كل حال إلا حال الإحاطة بكم، فهو حال، أو استثناء مفرغ من أعم العلل، أي: لا تمتنعون من الإتيان لعلة من العلل إلا علة الإحاطة بكم، وتقول العرب: أحيط بفلان: إذا هلك، أو أشفى على الهلاك. وعبارة أبي حيان: وهذا الاستثناء من المفعول من أجله مراعى في قوله لتأتنني، وإن كان مثبتاً معنى النفي؛ لأن المعنى: لا تمتنعون من الإتيان به لشيء من الأشياء إلا لأن يحاط بكم، ومثاله من المثبت في اللفظ، ومعناه النفي؛ قولهم: أنشدك الله إلا فعلت، أي: ما أنشدك إلا الفعل، ولا يجوز أن يكون مستثنى من الأحوال مقدراً بالمصدر الواقع حالاً، وإن كان صريح المصدر قد يقع حالاً، فيكون التقدير: لتأتنني به على كل حال، إلا إحاطة بكم، أي: محاطاً بكم؛ لأنهم نصُّوا على أن «أن» الناصبة للفعل لا تقع حالاً، وإن كانت مقدرة بالمصدر الذي قد يقع بنفسه حالاً، فإن جعلت أن، والفعل واقعة موقع المصدر الواقع ظرف زمان، ويكون التقدير لتأتنني به في كل وقت إلا إحاطة بكم، أي: وقت إحاطة، قلت: منع ذلك ابن الانباري، فقال ما معناه: يجوز: خروجنا صياح الديك، أي: وقت صياح الديك، ولا يجوز: خروجنا أن يصيح الديك، ولا : ما يصيح الديك، وإن كانت أن وما مصدريتين، وإنما يقع ظرفاًالمصدر المصرح بلفظه. وأجاز ابن جني أن تقع ظرفاً، كما يقع صريح المصدر، فأجاز في قول تأبط شرّاً:

وقـالُـوا لهـا لا تنكحيـه فـإنَّـه لأولِ نصـلٍ أن يُـلاقـي مجمعـا

وقول أبي ذؤيب الهذلي:

وتـاللهِ مـا إن شهلـة أمّ واحـد بأوجدَ مني أن يُهانَ صغيرها

أن يكون أن يلاقى، تقديره: وقت لقائه الجمع، وأن يكون أن يهان،

تقديره: وقت إهانة صغيرها، فعلى ما أجازه ابن جني يجوز أن تخرج الآية وتبقى لتأتنني به على ظاهره من الإثبات، ولا يقدر فيه معنى النفي ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ الفاء عاطفة، ولما تقدمت، وآتوه فعل وفاعل ومفعول به أول، وموثقهم مفعول به ثان، والله مبتدأ، وعلى ما نقول متعلقان بوكيل، ووكيل خبر الله ﴿وَقَالَ يَـٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ﴾ يا حرف نداء، وبني منادى مضاف، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، ولا ناهية، وتدخلوا فعل مضارع مجزوم بلا، ومن باب جار ومجرور متعلقان بتدخلوا، وواحد صفة. خشي عليهم أن يلفتوا الأنظار بدخولهم جملة واحدة، فيعانوا، أو يصيبهم سوء ﴿وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ وادخلوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، ومن أبواب متعلقان بادخلوا، ومتفرقة صفة، وما أغني: ما نافية، وأغني فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: أنا، وعنكم متعلقان بأغني، ومن الله حال، ومن حرف جر زائد، وشيء مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ إن نافية، والحكم مبتدأ، وإلا أداة حصر، ولله خبر، وعليه جار ومجرور متعلقان بتوكلت، وعليه عطف جملة على جملة، وفليتوكل: اللام لام الأمر، ويتوكل فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، والمتوكلون فاعل.

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ

وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾

☆ **اللغة:**

(الحاجة): الأدب واللبانة، وهي ترجع في اشتقاقها إلى فكرة واحدة، هي الإقامة على الشيء والتشبث به، ذلك أن صاحب الحاجة كلف بها، ملازم للفكر فيها، مقيم على تنجزها، والأصل في (الحاج) أنه شجر له شوك، وما كانت هذه سبيله، فهو متشبث بالأشياء، كما يقول ابن جني في «الخصائص» فأي شيء مر عليه اعتقله، وتشبث به، فسميت الحاجة به تشبيهاً بالشجرة ذات الشوك، أي: أنا مقيم عليها متمسّك بقضائها كهذه الشجرة في اجتذابها ما مرّ بها، وقرب منها، والحوجاء منها، ومنها تصرف الفعل احتاج يحتاج احتياجاً، واحوج يحوج، وحاج يحوج، فهو حائج.

والأرب من الأربة، وهي: العقدة، وعقد مؤرّب: مشدد، والحاجة معقودة بنفس الإنسان، متردّدة على فكره، واللبانة من قولهم: تلبّن بالمكان؛ إذا أقام به ولزمه، وهذا هو المعنى عينه.

وهذا بحث جليل، يؤدي إذا تعورف إلى معرفة معاني الكلمات، وتصوّر مدلولاتها، وقد ذكر الزَّجاج في أماليه عن ابن الأعرابي: أن العشقة شجرة يقال لها اللبابة، تخضر، ثم تدق، ثم تصفر، ومن ذلك اشتقاق العاشق. وفي اللغة: عشق به كفرح، لصق به، والعشق: عشق المحب بمحبوبه، أو هو إفراط الحب، وشدة التعلق به، فأصل المعنى المادي ظاهر، انقلب إلى معنوي عريق الصلة بينه وبين المشتقات. وأورد الزجاج أيضاً أن أصل المغازلة من الإدارة والفتل؛ لأنه إدارة عن أمر، ومنه سمي المغزل لاستدراته وسرعته في دورانه، وسمي الغزال غزالاً لسرعته، وسميت الشمس غزالة لاستدارتها وسرعتها، وأورد التعليل في الإدارة عن الأمر بقوله: ويقال: غازل الكلب الظبي؛ إذا عدا في أثره فلحقه وظفر به،

ثم عدل عنه، ومنه مغازلة النساء قال: كأنها يلاعبها الرجل فتطمعه في نفسها، فإذا رام تقبيلها انصرفت. ثم إن الغزالة قد تكون مؤنث الغزال أيضاً، وقد ورد في كلام العرب نظماً ونثراً قديماً وحديثاً، وأنكره الصفدي في «شرح لامية العجم» وقال: لم يسمع إلا بمعنى الشمس، وقد ردّه الدماميني، وأورد له شواهد كثيرة، ولولا صحته لم تقع التورية في مثل قول الشاعر في العقاب:

ترى الطيرَ والوحش في كفِّها ومنقـارهـا ذا عظـامٍ مـزالـه
فلو أمكن الشمس من خوفِها إذا طلعت ما تسمَّت غزاله

والموغل في تتبع العلاقات القائمة بين المفردات يقع منها على مذهب طريف، وسر عميق في نشأة اللغة، وتشقق الكلام فيها، وفي هذا الكتاب يبدو لك العجب العجيب من هذه الأسرار.

﴿ٱلسِّقَايَةَ﴾: مشربة يسقى بها، وهي الصواع الآتي ذكره، وكان يشرب فيه الملك، فيسمى سقاية باعتبار أول حالة، ثم صاعاً باعتبار آخر أمره؛ لأن الصاع آلة الكيل، وقيل: كانت إناء مستطيلاً يشبه المكوك؛ وقيل: هي المكوك الفارسي؛ الذي يلتقي طرفاه تشرب به الأعاجم، وقيل: كانت من فضة مموهة بالذهب، وقيل: كانت من ذهب، وقيل: كانت مرصعة بالجواهر.

﴿رَحْلِ﴾ الرَّحل ـ بفتح الراء المشدّدة ـ ما يجعل على ظهر البعير كالسرج، والمراد به هنا: مكان ركوبه.

﴿ٱلْعِيرُ﴾ بكسر العين: الإبل التي يحمل عليها؛ لأنها تعير، أي: تذهب وتجيء، وقيل: قافلة الحمير، ثم كثر حتى قيل لكل قافلة: عير، كأنها جمع عير، والمراد أصحاب العير، كما سيأتي في باب: البلاغة.

﴿صُوَاعَ﴾: الصُّواع ـ بضم الصاد المشدودة ـ والصّاع لغتان، معناهما واحد، وهو: المكيال، وقد تقدم أنه هو السقاية، وإنما اتخذ هذا الإناء مكيالاً لعزة ما يكال به في ذلك الوقت.

(السارق): هو من يسرق المتاع من الأحراز، وللعرب في لغتهم تفصيل حول السارقين، فإذا كان يقطع الطريق على القوافل فهو لص وقرضوب، فإذا كان يسرق الإبل فهو خارب، أو الغنم فهو أحمص، والحميصة: الشاة المسروقة، فإذا كان يسرق الدراهم بين أصابعه فهو قفاف، فإذا كان يشق عنها الجيوب فهو طرّار، فإذا كان تخصص بالتلصص والخبث والفسق فهو طمل، فإذا كان يسرق ويزني ويؤذي الناس فهو داعر، فإذا كان خبيثاً منكراً فهو عفر وعفرية نفرية، فإذا كان أخبث اللصوص فهو عمروط، فإذا كان يدل اللصوص ويندس لهم فهو شص، فإذا كان يأكل ويشرب معهم، ويحفظ متاعهم، ولا يسرق معهم فهو لفيف.

هذا؛ واللص بتثليث اللام، وفرق بعضُ اللغويين بينها فقال:

إغلاق باب ستر فعلٍ لَصٌّ وسارقٌ بالحركاتِ لِصٌّ
جمع الألصِّ من رجال لُصّ منضمّ أضراس فكنْ ذا خبر

○ الإعراب:

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ لما ظرفية حينية، أو رابطة، ومن حرف جر، وحيث ظرف مبني على الضم في محل جر بمن، والجار والمجرور متعلقان بدخلوا، والمعنى متفرقين، وجملة أمرهم أبوهم مضافة للظرف ﴿مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ الجملة جواب لما، وقيل الجواب هو آوى إليه أخاه، قال أبو البقاء: وهو جواب لما الأولى والثانية، وما نافية، وكان فعل ماض ناقص، واسمها ضمير التفرق المدلول عليه بالكلام السابق، وعنهم متعلقان بيغني، ومن الله حال، ومن حرف جر زائد، وشيء مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به ﴿إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾ استثناء منقطع على معنى: ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها، وهي حدبه عليهم، وفي نفس صفة، ويعقوب مضاف إليه، وجملة قضاها صفة لحاجة ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا

يَعْلَمُونَ﴾ الواو للحال، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وذو علم خبر إن، وجملة علمناه صلة، ولكن الواو حالية أيضاً، ولكن واسمها، وجملة لا يعلمون خبر ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُۖ﴾ تقدم إعرابها، وأخاه مفعول آوى، والجملة جواب لما الأولى والثانية ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ إن واسمها، وأنا مبتدأ، وأخوك خبر، والجملة خبر إن، والجملة مستأنفة، وهكذا كل ما اقتضى جواباً، وذكر جوابه، ثم جاءت بعده قال: فهي مستأنفة، والفاء الفصيحة، ولا ناهية، وتبتئس مضارع مجزوم بلا، وبما متعلقان بتبتئس، وجملة كانوا صلة، وجملة يعملون خبر كانوا ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ الفاء عاطفة، للدلالة على رغبتهم الحثيثة بالسفر، ولما ظرفية، أو رابطة، وجهزهم فعل وفاعل ومفعول به، وبجهازهم جار ومجرور متعلقان بجهزهم، وجملة جعل السقاية في رحل أخيه، لا محل لها، وفي رحل متعلقان بجعل ﴿ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ ثم حرف عطف وتراخ، وأذن مؤذن فعل وفاعل، أي: نادى منادٍ، وعطف بثم للإشارة إلى إمهال يوسف إياهم حتى انطلقوا، وأيتها منادى محذوف منه حرف النداء، وهو نكرة مقصودة مبني على الضم، والهاء للتنبيه، والعير بدل من أيتها، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وسارقون خبرها ﴿ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾ الواو للحال بتقدير: قد، وعليهم متعلقان بأقبلوا، وماذا اسم استفهام مفعول مقدم لتفقدون، أو ما اسم استفهام، وذا: اسم موصول خبر، وجملة تفقدون صلة، وقد تقدم القول في ماذا ﴿ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾ جملة نفقد صواع الملك مقول القول ﴿ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ الواو عاطفة، ولمن خبر مقدم، وجملة جاء به صلة، وحمل بعير مبتدأ مؤخر، والواو عاطفة، وأنا مبتدأ، وبه متعلقان بزعيم، وزعيم، أي: كفيل، خبر ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ التاء حرف جر وقسم، والله لفظ الجلالة مجرورة بتاء القسم، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره: نقسم، واللام واقعة في

جواب القسم، أو هو تأكيد للقسم الأول، وقد حرف تحقيق، وعلمتم فعل وفاعل، وما نافية، وجئنا فعل وفاعل، ولنفسد اللام للتعليل، والفاعل مستتر تقديره: نحن، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بنفسد، وما كنا: ما نافية، وكان واسمها، وسارقين خبرها، وأقسموا بالتاء من حروف القسم لما فيها من معنى التعجب غالباً، كأنهم عجبوا من رميهم بهذا الأمر، ولا تدخل التاء في القسم إلا على لفظ الله من بين أسمائه تعالى، لا تقول: تالرحمن، ولا تالرحيم، ولكن حكي عن العرب دخولها على الرب، وعلى الرحمن، وعلى حياتك، قالوا: ترب الكعبة، وتالرحمن، وتحياتك.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴾ مجاز مرسل علاقته المجاورة، والمراد أصحاب العير، كما ورد في الحديث: «يا خيل الله اركبي» وفي العير سؤال جرى في مجلس سيف الدولة بن حمدان، وكان السائل ابن خالويه، والمسؤول المتنبي، قال ابن خالوية: والبعير أيضاً الحمار، وهو صرف نادر، ألقيته على المتنبي بين يدي سيف الدولة، وكانت فيه خنزوانة وعنجهية، فاضطرب، فقلت: المراد بالبعير في قوله تعالى: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ الحمار، وذلك أن يعقوب وأخوه يوسف عليهم السلام كانوا بأرض كنعان، وليس هناك إبل، وإنما كانوا يمتارون على الحمير، وكذلك ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره.

﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى

نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾

☆ **اللغة:**

﴿ كِدْنَا ﴾: الكيد في الأصل: الحيلة والخديعة، وذلك في حق الله تعالى محال، وقد تقدم أن أمثال هذه الألفاظ الموهمة في حق الله تعالى تحمل على نهايات الأغراض لا على بداياتها، فالكيد: السعي في الحيلة والخديعة ونهايته إيقاع الإنسان من حيث لا يشعر في أمر مكروره، ولا سبيل له إلى دفعه، فالكيد بالنسبة لله تعالى محمولٌ على هذا المعنى وقال ابن الأعرابي: الكيد: التدبير بالباطل وبالحق، فعلى هذا يكون المعنى: كذلك دبرنا ليوسف. وعبارة ابن الخشاب: ولكاد: استعمال آخر تكون فيه بمعنى أراد، وعلى ذلك أنشد أبو الحسن «الأخفش» وغيره:

كادَتْ وكِدْتُ وتلك خَيْرُ إرادةٍ   لو عادَ من عَصْر الشَّبيبةِ ما مَضَى

وحملوا عليه قوله سبحانه: ﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾ أي: أردنا.

﴿ ٱسْتَيْـَٔسُواْ ﴾: يئسوا، وزيادة السين والتاء للمبالغة، نحو: عجب واستعجب، وسخر واستسخر.

﴿ خَلَصُواْ ﴾ اعتزلوا، وانفردوا عن الناس خالصين، لا يخالطهم أحد.

﴿ نَجِيًّا ﴾ النجي فعيل بمعنى مفاعل، كالعشير والخليط بمعنى المعاشر والمخالط، كقوله تعالى: ﴿ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴾ أي: مناجياً، وهذا الاستعمال يفرد مطلقاً يقال: هم خليطك وعشيرك، أي: مخالطوك ومعاشروك، وإما

لأنه على صفة فعيل بمنزلة صديق وبابه، فوحد لأنه بزنة المصادر كالصهيل والوحيد والذميل، وإما لأنه مصدر بمعنى التناجي كما قيل النجوى بمعناه.

○ الإعراب:

﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ﴾ الفاء الفصيحة، وما اسم استفهام مبتدأ، وجزاؤه خبر، والضمير للصواع، أي: فما جزاء سرقته، أو الضمير للسارق، وإن شرطية، وكنتم فعل الشرط، وكاذبين خبر كان، وجواب إن محذوف دل عليه ما قبله، أي: فما جزاء سرقة الصواع، أو السارق ﴿ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ﴾ جزاؤه مبتدأ، ومن شرطية، أو موصولة مبتدأ ثان، ووجد صلة، أو فعل الشرط، وفي رحله متعلقان بوجد، والفاء رابطة على الوجهين، وهو مبتدأ، وجزاؤه خبر، وجملة فهو جزاؤه خبر من، ومن وما في حيزها خبر المبتدأ الأول، والضمير على هذا الإعراب يعود على السارق ويجوز أن يكون جزاؤه مبتدأ، والهاء تعود على المسروق، ومن وجد في رحله خبره، ومن بمعنى الذي، والتقدير: وجزاء الصواع الذي وجد في رحله، ويجوز أن يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف، أي: المسؤول عنه جزاؤه، أي: استرقاقه جزاؤه، وكانت تلك شريعة آل يعقوب ﴿ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ كذلك نعت لمصدر محذوف، أي: نجزي الظالمين جزاء كذلك الجزاء، والظالمين مفعول به، أي: فهو كذلك في شريعتنا المقررة بيننا ﴿ فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ ﴾ الفاء عاطفة، وبدأ فعل ماض، وفاعله مستتر، تقديره: هو، وبأوعيتهم جار ومجرور متعلقان ببدأ، وقبل ظرف زمان متعلق بمحذوف حال، ووعاء أخيه مضافان، وثم حرف عطف، واستخرجها فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والهاء تعود على الصواع؛ لأن فيه التذكير والتأنيث، أو على السقاية؛ لأن الصواع يحمل معناها، ومن وعاء أخيه متعلقان باستخرجها ﴿ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ ﴾ أي: مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف، فالكاف نعت لمصدر محذوف كما تقدم، وليوسف متعلقان بكدنا ﴿ مَا كَانَ

لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ﴾ ما نافية، وكان فعل ماض ناقص، واسمها مستتر، واللام للجحود، ويأخذ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود، واللام ومجرورها في موضع الخبر، وأخاه مفعول به، وفي دين حال ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ الاستثناء منقطع؛ إذ الأخذ بدين الملك لا يشمل المراد بقوله إلا أن يشاء الله؛ لأنه أخذه بشريعة يعقوب، أو الاستثناء متصل من أعم الأحوال، أي: إلا حال مشيئته وإذنه بذلك، وإرادته له، وجملة ما كان ليأخذ أخاه. . . الخ تعليل لما صنعه الله من الكيد ليوسف، أو تفسير له، وعلى كل لا محل لها ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾ درجات منصوب على الظرفية، ومن مفعول به، وجملة نشاء صلة، وفوق الظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم، وكل ذي علم مضافان، وعليم مبتدأ مؤخر ﴿۞قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾ إن شرطية، ويسرق فعل الشرط، والفاء رابطة لاقتران الجواب بقد، وسرق أخ فعل وفاعل، والجملة في محل جزم جواب الشرط، وله صفة، ومن قبل حال، قالوا ذلك متنصلين من التهمة التي تثبتت عليهم، مبرئين لساحتهم، يعنون: أن هذه الفعلة ليست ببعيدة من بنيامين، فإن أخاه الذي هلك كان سارقاً أيضاً، ونحن لسنا على طريقتهما؛ لأنهما من أم أخرى. ويروي المؤرخون أن يوسف كان قد سرق لأبي أمه صنماً، مما استفاض ذكره في المطولات، والأولى ما حكاه الزجاج أنه قال: كذبوا عليه فيما نسبوه إليه. ونقول: ما هذه الكذبة بأول كذباتهم ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ﴾ الفاء عاطفة، وأسرها فعل ومفعول به، والهاء تعود للكلمة الآتية، وهي أنتم شر مكاناً، فهو إضمار على شريطة التفسير، ويوسف فاعل، وفي نفسه متعلقان بأسرها، ولم يبدها عطف على أسرها، ولهم متعلقان بيبدها ﴿قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ أنتم مبتدأ، وشر خبر، ومكاناً تمييز، وجملة أنتم شر مكاناً بدل من الهاء، ويجوز أن يعود الضمير، أي: الهاء على الحجة، فيكون المعنى فأسر يوسف في نفسه الحجة عليهم في ادعائهم عليه السرقة، ولم يبدها لهم، وقال: أنتم شر مكاناً، والله مبتدأ،

وأعلم خبره، وبما متعلقان بأعلم، وجملة تصفون صلة ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا ﴾ يا حرف نداء، وأيها منادى نكرة مقصودة، والهاء للتنبيه، والعزيز بدل، وإن حرف مشبه بالفعل، وله خبرها المقدم، وشيخاً اسمها المؤخر، وكبيراً صفة ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ الفاء الفصيحة، وخذ فعل أمر، وفاعل مستتر تقديره أنت، وأحدنا مفعول به، ومكانه ظرف مكان متعلق بخذ، وإن واسمها، وجملة نراك خبرها، ومن المحسنين متعلق بنراك على أنه مفعول ثان ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ ﴾ معاذ الله نصب على المصدر بفعل محذوف، أي: نعوذ بالله معاذاً، وأن نأخذ: أن وما في حيزه منصوب بنزع الخافض، متعلق بنعوذ، وإلا أداة حصر، ومن مفعول نأخذ، وجملة وجدنا صلة، ومتاعنا مفعول وجدنا، وعنده متعلق بمحذوف هو المفعول الثاني لوجدنا، أي: كائناً عنده ﴿ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴾ إن واسمها وإذن جواب وجزاء، واللام المزحلقة، وظالمون خبر إنا ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ﴾ لما ظرفية حينية، أو رابطة، واستيئسوا فعل وفاعل، ومنه متعلقان باستيئسوا، وخلصوا فعل وفاعل، ونجياً حال من فاعل خلصوا، أي: اعتزلوا هذه الحالة متناجين، وإنما أفردت الحال، وصاحبها جمع؛ لأن النجي يفرد مطلقاً كما تقدم في باب: اللغة ﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وتعلموا مضارع مجزوم بلم، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي تعلموا، وأن واسمها، وجملة قد أخذ خبر، وعليكم متعلقان بأخذ، وموثقاً مفعول به، ومن الله صفة لموثقاً ﴿ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ﴾ في إعراب هذا الكلام وجوه أظهرها: أن من قبل خبر مقدم، وبني قبل على الضم لانقطاعه عن الإضافة لفظاً لا معنى، أي: ومن قبل هذا، وما مصدرية، وهي مع مدخولها مبتدأ مؤخر، ومعناه: ووقع من قبل هذا تفريطكم، وفي يوسف متعلقان بفرطتم. ويجوز أن تكون ما موصولة بمعنى: ومن قبل هذا الذي فرطتموه في يوسف من الجناية العظيمة، ومحل

الموصول الرفع على الابتداء أيضاً، ويجوز أن تكون ما صلة، أي: زائدة لتحسين اللفظ، فمن متعلقة بالفعل، وهو: فرطتم، وقد رجح أبو حيان هذا الوجه. قال ابن هشام: وقوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾: ما إما زائدة، فمن متعلقة بفرطتم، وإما مصدرية، فقيل: هي وصلتها رفع بالابتداء، وخبره من قبل، وردّ بأن الغايات لا تقع أخباراً، ولا صلات، ولا صفات، ولا أحوالاً، نصَّ على ذلك سيبويه وجماعة من المحققين. ويشكل عليهم: ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ وقيل: نصب عطفاً على أن وصلتها، أي: ألم تعلموا أخذ أبيكم الموثق وتفريطكم، ويلزم على هذا الإعراب الفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف، وهو ممتنع.

هذا ما قاله ابن هشام، وهو جميل، غير أنّا لا نسلم به بأن الفصل ممنوع كما ذكر، بل هو جائز كما ذكره ابن مالك، وتمسك بعضهم لجوازه بقوله تعالى: ﴿۞إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ وأجاب ابن هشام عن هذا الاعتراض في حواشي التسهيل بأن التقدير: ويأمركم إذا حكمتم، فهو عطف جمل.

والواو في قوله: ﴿وَمِن قَبْلُ﴾ للحال على كل حال، فالمعنى: ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله، والحال: أنكم فرطتم في يوسف من قبل.

﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ الفاء عاطفة على مقدر، أي: سأبقى في مصر ولن أبرحها، ولن حرف نفي ونصب واستقبال، وأبرح فعل مضارع منصوب بلن، ومعناه: أفارق، فهي تامة، وفاعل أبرح مستتر تقديره: أنا، والأرض مفعول به، وحتى يأذن حرف غاية وجر، ويأذن فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، ولي متعلقان بيأذن، وأبي فاعل ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أو حرف عطف، ويحكم معطوف على يأذن، ويجوز أن ينصب بأن مضمرة في جواب النفي، والله فاعل، ولي متعلقان بيحكم، وهو مبتدأ، وخير الحاكمين خبر.

﴿ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ كَظِيمٌ ﴾: أي: مكظوم، ممتلىء من الحزن، ممسك عليه، لا يبثّه. قال قتادة: هو الذي يردد حزنه في جوفه، ولم يقل إلا خيراً. وفي «المصباح»: كظمت الغيظ كظماً، من باب: ضرب، وكظوماً: أمسكتَ على ما في نفسك منه على صفح أو غيظ. وقال الزمخشري: فعيل بمعنى مفعول، بدليل قوله: وهو مكظوم، ومن كظم السقاء؛ إذا شده على ملئه والكظم ـ بفتح الظاء ـ: مخرج النفس يقال: أخذ بأكظامه. وأصل هذه المادة كما تقول معاجم اللغة من: كظم البعير جِرَّته: ازدردها، وكفّ عن الاجترار، وباتت الإبل كُظوماً وكواظم، وحفروا كظامة وكظيمة وكظائم، وفي الحديث: «أتى كِظامة قومٍ فتوضأ» وهي القفير، يُحفر من بئر إلى بئر، والسقاية، والحوض. قال طرفة:

يشْرَبْنَ من فَضْلَةِ العُقارِ كما اسْـ　　تـوْجَـرَ مـاءَ الكَظِيمَـةِ الشُّـرُبُ

جمع شروب. ومن المجاز: كظم الغيظ وعلى الغيظ، وهو كاظم، وكظمه الغيظ والغمّ: أخذ بنفسه، فهو كظيم ومكظوم.

﴿ حَرَضًا ﴾: في «المصباح»: حرض حرضاً، من باب: تعب، أشرف على الهلاك، فهو حرض ويستوي فيه الواحد وغيره، أي: المثنى والمجموع والمذكر والمؤنث.

○ الإعراب:

﴿ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ ﴾ ارجعوا فعل أمر وفاعل، وإلى أبيكم متعلقان بارجعوا، فقولوا عطف على ارجعوا، ويا أبانا منادى مضاف، وإن واسمها، وجملة سرق خبرها ﴿ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ ﴾ الواو حرف عطف، وما نافية، وشهدنا فعل وفاعل، وإلا أداة حصر، وبما متعلقان بشهدنا، وجملة علمنا صلة، وما عطف أيضاً، وما نافية، وكان واسمها، وللغيب متعلقان بحافظين، وحافظين خبر كنا ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾ الواو عاطفة، واسأل فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، والقرية مفعول به، وسؤال القرية يعني سؤال أهلها، كما يأتي في باب: البلاغة، والتي صفة، وجملة كنا صلة، وكان واسمها، وفيها خبرها ﴿ وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴾ والعير عطف على القرية، والتي صفة، وجملة أقبلنا صلة، وفيها متعلقان بأقبلنا، وإنا عطف، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وصادقون خبرها ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ ﴾ قال مرتب على محذوف، أي: فرجعوا فقال، وبل حرف إضراب وسولت فعل ماض، والتاء للتأنيث، ولكم جار ومجرور متعلقان بسولت، وأنفسكم فاعل، وأمراً مفعول به ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ الفاء عاطفة، وصبر خبر لمبتدأ محذوف، أي: صبري، وجميل نعت، وعسى من أفعال الرجاء، والله اسمها، وإن وما في حيزها خبرها، وبهم متعلقان بيأتيني، وجمع لأن المفقودين صاروا ثلاثة، وهم: يوسف وبنيامين وكبير الأخوة الذي آثر الإقامة بمصر، وجميعاً حال، وإن واسمها، وهو ضمير فصل، أو مبتدأ، والعليم الحكيم خبران لأن، أو للضمير، والجملة خبر إن ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ

يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ وتولى الواو عاطفة، وتولى فعل ماض، أي: أعرض عنهم، وعنهم متعلقان بتولى، وقال عطف على تولى، ويا حرف نداء، وأسفاً منادى مضاف لياء المتكلم المنقلبة ألفاً، والأصل: يا أسفي، وقد تقدم بحث المنادى المضاف لياء المتكلم، وعلى يوسف متعلقان بالأسف، وخص يوسف بالذكر للدلالة على تمادي الأسف عليه، وأن الرزء به كان ولا يزال غضاً طرياً، وأن رزأه بأخويه جدد حزنه عليه؛ لأنه قاعدة أحزانه ومصائبه على حد قول ابن الرومي في رثاء ابنه الأوسط:

أرى أخَوَيْكَ الباقِيَيْن كلَيْهما يكونان للأحزانِ أَوْرَى من الزّنْدِ

ولعل ابن الرومي رمق هذه البلاغة العالية.

﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ وابيضت عيناه فعل وفاعل، وإذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين، وقلبته إلى بياض، ومن الحزن جار ومجرور متعلقان بابيضت، فهو الفاء عاطفة، وهو مبتدأ، وكظيم خبره ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ قالوا فعل وفاعل، والتاء تاء القسم، ولفظ الجلالة مجرور بتاء القسم، والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم، وتفتأ: أي: لا تفتأ من أخوات كان، واسمها مستتر تقديره: أنت، وجملة تذكر خبرها، ويوسف مفعول به، وحتى حرف غاية وجر، وتكون منصوب بأن مضمرة بعد حتى، وحرضاً خبر تكون، واسم تكون مستتر تقديره: أنت، وأو حرف عطف، وتكون فعل مضارع ناقص، واسمها أنت، ومن الهالكين خبرها ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ إنما كافة ومكفوفة، وأشكو بثي فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به، وحزني عطف على بثي، وإلى الله متعلقان بأشكو، والبث: ما يرد على الإنسان من الأشياء التي يعظم حزن صاحبها بها، حتى لا يقدر على إخفائها، كذا قال أهل اللغة، وهو مأخوذ من بثثته، أي: فرقته، فسميت المصيبة بثاً مجازاً، قال ذو الرُّمَّة:

وقفت على رَبْع لميَّة ناقتي فما زلتُ أبكي عنده وأخاطِبُهْ

وأسقيه حتى كادَ ممّا أبُثُّهُ تُكَلِّمني أحجارُه ومَلاَعِبُهْ

﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وأعلم عطف على أشكو، ومن الله متعلقان بأعلم، أي: أعلم من صنعه، ورحمته، وحسن ظني به، وما مفعول به، وجملة لا تعلمون صلة.

□ البلاغة:

(١) في قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ مجاز مرسل، إذ المراد أهلها، والعلاقة المحلية، وقد تقدمت نظائر كثيرة لهذا المجاز، وأراد بالقرية مصر، أي: أرسل إلى أهلها فاسألهم عن تفاصيل هذه القصة، وكذلك قوله: ﴿ وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ أي: أصحاب العير.

(٢) في قوله: ﴿ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا ﴾ فن أصيل في البلاغة، وهو ما يُسمَّى: «ائتلاف اللفظ مع المعنى» وهو نسمة الحياة في الفن، وعموده الذي يقوم عليه، ويتلخص بأن تكون ألفاظ المعنى المراد متلائمة بعضها مع بعض، ليس فيها لفظة نابية، أو قلقة عن أخواتها، بحيث يمكن استبدالها، ولا بد من ملاحظة أشياء ثلاثة في هذا الصدد وهي:

آ ـ اختيار الألفاظ المفردة، وحكم ذلك حكم اللآلىء المبدّدة فإنها تتخير وتنتقى قبل النظم.

ب ـ نظم كل كلمة مع أختها المشكلة لها.

جـ ـ الغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه، وهذا الموضوع جم الشعاب، دقيق المسلك، يضل عنه الكثيرون؛ إلا من أشرقت نفوسهم بضياء المعرفة واليقين، وسنورد أمثلة منه قبل أن نتناول الآية، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا ﴾ فاستعمل الجوف في الأولى، واستعمل البطن في الثانية، ولم يستعمل الجوف موضع البطن ولا البطن موضع

الجوف، واللفظتان سواء في الدلالة، وهما ثلاثيتان في عدد واحد، ووزنهما واحد أيضاً، ولو استعمل هذه موضع تلك لكان الكلام نافراً قلقاً، وعلى هذا ورد قول الأعرج من أبيات الحماسة:

نحنُ بنو الموتِ إذا الموتُ نزل لا عار بالموت إذا حمَّ الأجل
الموتُ أحلى عندنا من العَسَل

وقال أبو الطيب المتنبي:

إذا شِئْتُ حَفَّتْ بي على كُلِّ سابحٍ رِجَالٌ كأنَّ الموتَ في فَمِهَا شَهْدُ

فهاتان لفظتان هما العسل والشهد، وكلاهما حسن مستعمل، لا يشك في حسنه واستعماله؛ وقد وردت لفظة العسل في القرآن دون لفظة الشهد؛ لأنها أحسن منها، ومع هذا فإن لفظة الشهد وردت في بيت أبي الطيب، فجاءت أحسن من لفظة العسل في بيت الأعرج.

ويجمل بنا لإيضاح هذا الفن، وإظهار خصائصه الرفيعة، اقتباس فصل ممتع لابن الأثير في كتابه: «المثل السائر» قال: وقد رأيت جماعة من الجهال إذا قيل لأحدهم: إن هذه اللفظة حسنة، وهذه قبيحة، أنكر ذلك، وقال: كل الألفاظ حسن، والواضع لم يضع إلا حسناً، ومن يبلغ جهله إلى الغصن ولفظة العسلوج، وبين لفظة المدامة ولفظة الإسفنط وبين لفظة السيف ولفظة الخنشليل، وبين لفظة الأسد ولفظة الفدوكس، فلا ينبغي أن يخاطب، ولا يجاب بجواب، بل يترك وشأنه، كما قيل: اتركوا الجاهل ولو ألقي الجعر في رحله، وما مثاله في هذا المقام إلا كمن يسوي بين صورة زنجية سوداء مظلمة السواد، شوهاء الخَلْق، ذات عين محمرة، وشفة غليظة كأنها كلوة، وشعر قطط كأنه زبيبة، وبين صورة رومية بيضاء مشربة بحمرة، ذات خدٍّ أسيل، وطرف كحيل، ومبسم كأنما نظم من أقاح، وطرّة كأنها ليل على صباح، فإذا كان إنسان من سقم النظر أن يسوي بين هذه الصورة وهذه، فلا يبعد أن يكون به من سقم الفكر أن يسوي بين هذه الألفاظ وهذه؛ ولا فرق بين النظر والسمع في هذا المقام.

أقسام الألفاظ: والواقع أن الألفاظ تنقسم في الاستعمال إلى جزلة ورقيقة، ولكل منها مواضع يحسن استعمالها فيه، فالجزل يستعمل في مواقف الشدة، وقوارع التهديد والتخويف، والرقيق يستعمل في وصف تباريح الأشواق، ولوعة الفراق، والآية التي نحن بصددها من أروع الأمثلة على ذلك؛ فإنه سبحانه لما أتى بأغرب ألفاظ القسم بالنسبة إلى أخواتها وهي التاء، لأن الواو والباء أكثر دوراناً على الألسنة منها، أتى سبحانه بأغرب صيغ الأفعال الناقصة التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار بالنسبة إلى أخواتها، وهي تفتأ، وحذف منها حرف النفي زيادة في الإغراب، ولأن المقام لا يلتبث بالإثبات، على حد قول امرىء القيس:

فقلتُ: يمينُ الله أبرحُ قاعداً
ولو قطعُوا رأسي لَدَيْكِ وأَوْصَالي

وكذلك لفظ «حرضاً» أغرب من جميع أخواتها من ألفاظ الهلاك، فاقتضى حسن النظم وحسن الوضع فيه أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة، والاستعمال، توخياً لحسن الجوار، ورغبة في ائتلاف المعاني بالألفاظ، ولتتعادل الألفاظ في الوضع، وتتناسب في النظم، وسيأتي المزيد من هذه الملاءمة فيما يأتي.

(٣) الجناس: وهو اشتراك اللفظتين في الاشتقاق، وقد وقع جميلاً جداً في قوله: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾.

* الفوائد:

(١) اشترط النحاة في إعمال زال ماضي يزال، لا يزول، وفتىء، وبرح، وانفك، أن يتقدمها نفي، أو نهي، أو دعاء بـ «لا»، خاصة في الماضي، أو بلن في المضارع، وإنما اشترطوا فيها ذلك، لأنها بمعنى النفي، فإذا دخل عليها النفي انقلبت إثباتاً، فمعنى ما زال زيد قائماً هو قائم فيما مضى، وقد يحذف حرف النفي كما تقدم في الإعراب، وكالآية

الكريمة: ﴿ تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ على أن حذف النافي لا ينقاس إلا بثلاثة شروط، وهي كونه مضارعاً، وكونه جواب قسم، وكون النافي «لا».

ومن أمثلة النفي بعد الاسم قوله:

غَيْرُ مُنْفَكٍّ أَسِيرَ هَوىً كُلُّ وَانٍ ليسَ يَعْتَبِرُ

ومن أمثلة النفي بالفعل الموضوع للنفي قوله:

ليس يَنْفَكُّ ذا غِنىً واعْتِزازٍ كُلُّ ذي عِفَّةٍ مُقِلٌّ قَنُوعْ

ومن أمثلة النفي بالفعل العارض للنفي قوله:

قَلَّما يَبْرَحُ اللبيبُ إلى ما يُورِثُ الحمدَ داعِياً أو مُجِيبا

فإن قلما خلع منه بمعنى التقليل، وصير بمعنى ما النافية.

ومن أمثلة النفي بالفعل المستلزم للنفي قولهم: أبيت أزال استغفر الله، أي: لا أزال، ووجهه: أن من أبى شيئاً لم يفعله، والإباء مستلزم للنفي.

ومثال النهي قوله:

صَاحِ شَمِّرْ ولا تَزَلْ ذَاكِر المَوْ تِ فَنِسْيَانُهُ ضَلَالٌ مُبِينُ

ومثال الدعاء قول ذي الرُّمَّة:

أَلَا يا اسْلَمِي يا دارَ مَيَّ على البِلَىٰ

ولا زالَ مُنْهَلاً بِجَرْعَائِكِ القَطْرُ

(٢) لمحة عن فعل الأمر:

الأمر ينقسم إلى قسمين: لغوي، وهو: طلب إيجاد الفاعل من الفعل في الخارج على سبيل الاستعلاء، وقيل: اقتضاء فعل غير كفٍ على جهة الاستعلاء، والمراد بالاقتضاء: ما يقوم بالنفس من الطلب؛ لأنه الأمر في الحقيقة، وتسمية الصيغة به مجاز، وقيل: غير كف ليقع الاحتراز من النهي على جهة الاستعلاء؛ ليقع الاحتراز من الدعاء، وأورد على طرده كف؛ لأنه اقتضاء فعل غير كف، فلا يكون هذا أمراً، لكنه أمر، فلا يكون مطرداً، وعلى عكسه لا تكف؛ لأنه اقتضاء فعل غير كف، فيكون أمراً لكنه ليس بأمر

فلا يكون منعكساً. وصناعي، وهو: ما حصل به ذلك، أي: طلب إيجاد الفعل، والذي حصل به ذلك هو الصيغة التي يطلب بها الفعل من الفاعل، وفعل الأمر بني على السكون؛ لأنه الأصل في البناء، وصيغته مأخوذة من المضارع، فإذا أردت أن تصوغ فعل أمر حذفت حرف المضارعة، ونظرت إلى ما يليه، فإن كان متحركاً صغت مثال الأمر على صيغته، وحركته، فتقول مثلاً من يشمر: شمر، ومن يدحرج: دحرج، ومن يثب: ثب، ومن يصل: صل، وإن كان الذي يلي حرف المضارعة ساكناً اجتلبت له همزة وصل؛ ليتوصل إلى النطق بأول الفعل ساكناً، فتقول مثلاً من يضرب: اضرب، ومن مثل ينطلق: انطلق، ومن مثل يستخرج: استخرج؛ لأن الابتداء بالساكن في النطق مستحيل. وما أحسن قول السراج الوراق:

يا ساكناً قلبي ذكرتُك قبله أرأيتَ قبلي مَن بدا بالسَّاكن
وجعلته وَقْفاً عليك وقد غدا متحرِّكاً بخلاف قلبِ الآمن
وبذا جرى الإعراب في نحو الهوى
فإليك مَعْذرتي فلستُ بلاحن

وسواء كان الفعل ثلاثياً، أو خماسياً، أو سداسياً، وشذَّ من هذه القاعدة فعلان، فلا تدخل عليهما همزة، وهما: خذ وكل، وجوز في فعلين إلحاق الهمزة وحذفها، وهما مر، وسل، وقد نطق القرآن بهما، قال تعالى: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ وتقول: مره بكذا، واؤمره بكذا، فأما حركة الهمزة المجتلبة، فإن كان الماضي رباعياً فإنها مفتوحة في الأمر، تقول من أكرم: أكرم، وإذا كان ثالث المضارع مضموماً، فإنها مضمومة في الأمر، تقول في الأمر من قتل: اقتل، وما عدا ذلك فهي مكسورة.

(٣) الكلام على «بل»:

بل: حرف عطف للإضراب عن الأول، وإثبات الحكم للثاني، سواء كان ذلك الحكم إيجاباً أو سلباً، واعلم أن للإضراب معنيين، أحدهما: إبطال الأول والرجوع عنه، إما لغلط أو نسيان، تقول في الإيجاب: قام زيد

بل عمرو، وتقول في النفي: ما قام زيد بل عمرو، كأنك أردت الإخبار عن عمرو فغلطت، وسبق لسانك إلى ذكر زيد، فأتيت ببل مضرباً عن زيد، ومثبتاً ذلك الحكم لعمرو، والآخر إبطاله لانتهاء مدة ذلك الحكم، وعلى ذلك يأتي في الكتاب العزيز نحو قوله: ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ كأنه انتهت القصة الأولى فأخذ في قصة أخرى، وكذلك قوله: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ثم قال: ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ ولم يرد أن الأول لم يكن، ومما ورد في ذلك شعراً قول رؤبة ابن العجاج:

قلتُ لزير لم تصله مريمه		هل تعرفُ الربعَ المحيلَ أرسمه

عفتْ عوافيه وطالَ قدمه		بل بلد ملء الفجاجِ قتمه

والزِّير ـ بكسر الزاي ـ: الرجل الذي يخالط النساء، ويمازحهن بغير شر أو به، ومريم، أي: سميرته وفي القاموس: المريم التي تحب محادثة الرجال ولا تفجر، قال الشاعر:

وزائرةٍ ليلاً كما لاحَ بارقٌ		تضوَّعَ منها للبكاءِ عبيرُ

فقلتُ لها: أهلاً وسهلاً أمريم؟		فقالتْ: نعم، من أنت؟ قلتُ لها زير

﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا

تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾

اللغة:

﴿ فَتَحَسَّسُوا ﴾: التحسّس: طلب الخير بالحاسة، وهو قريب من التجسس الذي بالجيم، وقيل: إن التحسس بالحاء يكون في الخير، وبالجيم يكون في الشر، ومنه الجاسوس، وهو الذي يطلب الكشف عن عورات الناس، ولهذه المادة خواص عجيبة، فهي تتناول جميع خوالج الناس، وهواجس نفوسهم، وتشير إلى إحداث التأثير في الأشياء، يقال: حسه يحسه، من باب: نصر، قتله واستأصله، وحسّ الدابة: نفض التراب عنها بالمحسة، وحسّ البرد الزرع أحرقه، وحسّ اللحم: جعله على الجمر، وحس النار: ردّها على خبز الملة، والشواء من نواحيه لينضج، وحس يحس حساً، من باب: تعب الشيء وبالشيء: علمه، وشعر به، وأدركه، وحس يحس، من بابي: تعب وجلس بالخير: أيقن به، وحس لفلان: رقَّ له، وتحسّس: تسمع وتبصّر، وتحسّس الخبر: سعى في إدراكه، وتحسّس الشيء: تعرّفه وتطلّبه بالحاسة، وتحسّس منه: تخبر خبره، والحاسة مؤنث الحاس، والقوة النفسانية المدركة، والحواس الخمس هي: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس. وحواسّ الأرض خمس وهي: البرْد، والبَرَد، والريح، والجراد، والمواشي، أخذت من حسّ الزرع، يقال: مرت بالقوم حواسّ، أي: سنون شداد، والحسيس: الصوت الخفي، والحركة، والقتيل، وحساس الحمى بالكسر: مسّها، وأول ما يبدأ منها، والحسي: ما يدرك بالحس الظاهر، وضده العقلي. أما مادة جس فتشابهها مشابهة غريبة، يقال: جسّه يجسه من باب: نصر، واجتسّه: مسه بيده ليتعرفه، وجسّ الأرض: وطئها، وجسه بعينه: أحدّ النظر إليه ليتبينه، وجسّ وتجسّس واجتسّ الأخبار والأمور: بحث عنها، والجاس وجمعه جواسيس، والجساس: الذي يأتي بالأخبار، وجواسّ الإنسان هي حواسه الخمس، والواحدة جاسة، والمجسّ

والمجسّة: موضع اللمس، قال دوقلة:

ولهــاهــن بــضّ مــلاذهــنّ		رابــي المجسَّــةِ حشــوه وقــد

وفلان ضيق المجسّ والمجسة، أي: غير رحب الصدر، والمجسة أيضاً هي: الموضع الذي يجسُّه الطبيب.

﴿ مُّزۡجَىٰةٖ ﴾: أي: بضاعة مدفوعة، يدفعها كل تاجر رغبة عنها، واحتقاراً لها، من أزجيته: إذا دفعته وطردته، والريح تزجي السحاب، وفي «المصباح»: زجّيته بالتثقيل دفعته برفق، والريح تزجي السحاب: تسوقه سوقاً رفيقاً. يقال: أزجاه بوزن أرضاه، وزجّاه بالتثقيل كزكّاه، وفي القاموس: زجاه: ساقه ودفعه.

﴿ تَثۡرِيبَ ﴾: عتب، وفي المصباح: ثرب عليه يثرب، من باب: ضرب، عتب ولام، وبالمضارع بياء الغيبة سمي رجل من العمالقة، وهو الذي بنى مدينة النبي ﷺ، فسمِّيت المدينة باسمه، وقاله السهيلي: وثرّب بالتشديد مبالغة وتكثير، ومنه قوله تعالى: ﴿ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ ﴾ والثرب وازن فلس: شحمٌ رقيق على الكرش والأمعاء. وقال الرازي: التثريب: التعيير والاستقصاء في اللوم. وقال الزمخشري: وأصل التثريب من الثرب، وهو: الشحم الذي هو غاشية الكرش، ومعناه: إزالة الثرب، كما أن التجليد والتقريع إزالة الجلد والقرع؛ لأنه إذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف؛ الذي ليس بعده، فضرب مثلاً للتقريع؛ الذي يمزق الأعراض، ويذهب بماء الوجوه.

○ الإعراب:

﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ يا بني: تقدَّم إعرابها، واذهبوا فعل أمر وفاعل، والفاء عاطفة، وتحسسوا فعل أمر وفاعل، ومن يوسف متعلقان بتحسسوا، وأخيه عطف على يوسف ﴿ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتيئسوا مجزوم بلا، والواو فاعل، ومن روح الله

جار ومجرور متعلقان به، وسيأتي بحث هذه الاستعارة في باب: البلاغة ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ إن واسمها، وجملة لا ييئس خبرها، ومن روح الله متعلقان بييئس، وإلا أداة حصر، والقوم فاعل، والكافرون صفة ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ ﴾ فيه حذف واختصار، تقديره: فخرجوا من عند أبيهم قاصدين مصر؛ فلما... الخ، والفاء عاطفة، ولما ظرفية حينية، أو رابطة، ودخلوا فعل وفاعل، وعليه متعلقان بدخلوا ﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ ﴾ جملة قالوا لا محل لها، ويا أيها العزيز نداء تقدم إعرابه، والعزيز بدل من أي، ومسنا فعل ومفعول به، وأهلنا عطف على نا، أو مفعول معه، والضر فاعل ﴿ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ ﴾ الواو عاطفة، وجئنا فعل وفاعل، وببضاعة متعلقان بجئنا، ومزجاة صفة، فأوف الفاء عاطفة، وأوف فعل أمر، ولنا متعلقان بأوف، والكيل مفعول به ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ وتصدق عطف على فأوف، وعلينا متعلقان بتصدق، وإن واسمها، وجملة يجزي خبرها، والمتصدقين مفعول به ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَـٰهِلُونَ ﴾ هل حرف استفهام، وعلمتم فعل وفاعل، وما اسم موصول مفعول به، ويجوز أن تكون مصدرية، أي: فعلكم بيوسف، والجار والمجرور متعلقان بفعلتم، وأخيه عطف على يوسف، وإذ ظرف متعلق بفعلتم، أي: فعلتم ذلك الوقت جهلكم، وأنتم مبتدأ، وجاهلون خبر، والجملة الاسمية مضاف إليها الظرف، والاستفهام يفيد التعظيم والتهويل، أي: أن الأمر الذي ارتكبتموه كان بمثابة لا يقدم عليه فيها أحد، ولكنكم أقدمتم غير آبهين للعواقب، ولا عارفين بما يؤول إليه أمر يوسف من الخلاص من الجب، ثم ولاية الملك، وسيأتي نص كتاب يعقوب الذي قدموه إليه في باب: الفوائد ﴿ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ ﴾ قالوا فعل وفاعل، أئنك الهمزة للاستفهام التقريري، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وأنت مبتدأ، ويوسف خبر، والجملة خبر إن، ويجوز أن يكون الضمير، وهو أنت فصلاً، وقد تقدم ﴿ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَـٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ ﴾ أنا مبتدأ، ويوسف خبر،

وأظهر الاسم فقال أنا يوسف تعظيماً؛ لما وقع به من ظلم أخوته، كأنه قال: أنا المظلوم المستحلّ منه المحرّم المراد قتله، وهذا مبتدأ، وأخي خبر، وقد حرف تحقيق، ومنّ فعل ماض، والله فاعل، وعلينا متعلقان بمنّ، والجملة حالية ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ إن واسمها، وهو ضمير الشأن والحال، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، ويتق فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، ويصبر عطف عليه، فإنه: الفاء رابطة للجواب، وإن واسمها، وجملة لا يضيع خبرها، وأجر المحسنين مفعول به، وجملة الشرط وجوابه خبر إن ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾ التاء تاء القسم، ولفظ الجلالة مجرور بها والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره: نقسم، واللام جواب القسم، وقد حرف تحقيق، وآثرك الله فعل ومفعول به وفاعل، وعلينا متعلقان بآثرك ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ الواو عاطفة، وإن مخففة من الثقيلة مهملة، وكان واسمها، واللام الفارقة، وخاطئين خبر كنا ﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ جملة لا تثريب مقول القول، ولا نافية للجنس، وتثريب اسمها، وعليكم خبرها، واليوم ظرف متعلق بمحذوف خبر ثان، أو بمتعلق الخبر، وهو عليكم، وعلى كل فالوقف عليه، ولا يجوز تعليق الظرف بالمصدر، وهو التثريب؛ لأنه يصير شبيهاً بالمضاف، ومتى كان كذلك أعرب ونون، نحو: لا خيراً من زيد عندك، والعجب من الزمخشري إذ أجاز تعليق الظرف بالتثريب، وهي زلة، لا أدري كيف وقع فيها؟ ومن جهة ثانية فصل بينه وبين معموله، على حدّ قوله بقوله: ﴿عَلَيۡكُمُ﴾ ويجوز تعليق الظرف بالفعل الذي بعده ﴿يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ جملة دعائية بمثابة التعليل، ويغفر الله فعل وفاعل، ولكم متعلقان بيغفر، وهو مبتدأ، وأرحم الراحمين خبر.

□ البلاغـة:

استعارة الروح للرحمة، وإيضاحه: أن الروح مصدر بمعنى الرحمة،

وأصله: استراحة القلب من غمّه، والمعنى: لا تقنطوا من راحة تأتيكم من الله.

* الفوائد:

روى التاريخ إن إخوة يوسف لما قالوا ليوسف: ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ وتضرعوا إليه، ارفضت عيناه، وقيل: أدوا إليه كتاب يعقوب إليه، وهذا نصه، نثبته لما فيه من عاطفة مضطرمة، وإحساس فياض:

من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق، ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله، إلى عزيز مصر، أما بعد:

فإنّا أهل بيت موكل بنا البلاء، أما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي إلى النار ليحرق، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً، وأما أبي فوضعت المدية في قفاه ليذبح، ففداه الله، وأما أنا فكان لي ابن، وكان أحبّ أولادي إلي، فذهب به إخوته إلى البرية، ثم أتوني بقميصه ملطّخاً بالدم، وقالوا: قد أكله الذئب، فذهبت عيناي من بكائي عليه، ثم كان لي ابن، وكان أخاه من أمه، وكنت أتسلى به، فذهبوا به، ثم رجعوا، فقالوا: إنه سرق، وإنك حبسته، وإنّا أهل بيت لا نسرق، ولا نلد سارقاً، فإن رددته إليّ، وإلا دعوت عليك دعوة تبلغ السابع من ولدك، والسلام.

فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتماسك، وعيل صبره. وعلى افتراض عدم صحة هذا الكتاب، فنفحة العاطفة تدعو لإثباته.

﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ

سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾

☆ **اللغة:**

﴿فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾: خرجت من عريش مصر، يقال: فصل من البلد فصولاً: إذا انفصل منه، وجاوز حيطانه. وفي «المختار»: وفصل من الناحية: خرج، وبابه: جلس، وللفاء والصاد فاء وعيناً للكلمة سر غريب: إنهما تدلان على الخروج والمزايلة، يقال: فصّ من كذا فصّاً، وافتصّ كذا من كذا: انتزعه وافترزه، وبابه: ضرب، وفصّ الجرح يفص من باب: ضرب أيضاً: سال بما فيه، وفصّ العرق: رشح، وفصّ الولد: بكى، وفصصت الشيء من الشيء فانفصّ، أي: فصلته فانفصل، وفصح يفصح، من باب: فتح الصبح فلاناً بان له، وغلبه ضوءُه، وفُصح يفصح فصاحة، من باب: ظرُف، جادت لغته، وحسن منطقه، فهو فصيح. والفصاحة: مصدر: البيان، وخلوص الكلام من التعقيد، ويوصف بها المتكلم والكلام والكلمة، وفصح يفصح، من باب: فتح، فصحاً عن الأمر: تغابى عنه وهو يعلمه، فكأنه خرج عن عهدته، وألقى عنه تبعاته، وفصد يفصد، من باب: ضرب، فصْداً المريضَ: شق عرقه، وفصد له عطاء: قطعه له، وافتصد العرق: شقه، وفي المثل: «لم يحرم من فصد له» أي: لم يخب من نال

بعض حاجته، وفصع التمرة يفصعها، من باب: فتح، عصرها بأصبعيه حتى تنقشر، وفصع عمامته عن رأسه: حسرها، وفصع الشيء: دلكه بأصبعيه ليلين، فينفتح عما فيه. وفصم يفصم فصماً، من باب: ضرب الدملج ونحوه: كسره من غير أن تنفرق كسره، وفصم الشيء: قطعه، وفُصِم البيت ـ بالبناء للمجهول ـ: انهدم. وكانت عروة قد فصمت، وفصى يفصي، من باب: ضرب الشيء فصياً: نزعه وأزاله، وفصّى اللحم من، أو عن، العظم تفصية: خلصه منه، وأبانه عنه. وتفصى الرجل من الديون: خرج منها. وهذا من الأسرار التي تميزت بها لغتنا الشريفة.

﴿تُفَنِّدُونِ﴾: التفنيد: النسبة إلى الفند، وهو الخرف، وإنكار العقل من هرم، يقال: شيخ مفند، ولا يقال: عجوز مفندة، لأنها لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها، وفي «المختار»: الفَـنَد ـ بفتحتين ـ: الكذب، وهو أيضاً: ضعف الرأي من الهرم، والفعل منه أفند، والتفنيد: اللوم، وتضعيف الرأي. وفي القاموس: الفَـنَد ـ بالتحريك ـ: الخرق، وإنكار العقل لهرم أو مرض، والخطأ في القول، والرأي، والكذب، كالإفناد، ولا تقل: عجوز مفندة لأنها لم تكن ذات رأي أبداً، وقال دعبل:

ما أَكْثَرَ النَّاسَ لا بَلْ ما أَقَلَّهُمُ ... اللهُ يعلـمُ أنِّي لـم أَقُـلْ فَـنَـدا
إنِّي لأُغْمِضُ عَيْني ثُمَّ أَفْتَحُها ... على كثيرٍ ولكنْ لا أَرَى أَحَدا

﴿ٱلْبَدْوِ﴾: البادية والبدو هو: البسيط من الأرض، يبدو الشخص فيه من بعد، يعني: يظهر، والبدو خلاف الحضر، والبادية خلاف الحاضرة، وكان يعقوب وأولاده أصحاب ماشية فسكنوا البادية. وفي القاموس والتاج: البدو والبادية والبداوة: الصحراء، والجمع: باديات وبواد، والبدو أيضاً سكان البادية من القبائل العربية الرحّل، وهم ينقسمون إلى عدة قبائل، والنسبة إلى البدو بدْوي بسكون الدال، وبَدَوي بفتحها، والأنثى بدوية، والجمع بداويّ. وفي «الأساس»: لقد بدوت يا فلان، أي: نزلت البادية، وصرت بدوياً، وما لك والبداوة؟ وتبدَّى الحضري، ويقال: أين

الناس؟ فتقول: قد بدوا، أي: خرجوا إلى البدو، وكانت لهم غنيمات يَبْدون إليها. وقال الأصمعي: الحضارة والبداوة ـ بالفتح ـ وقال أبو زيد: بالكسر، والحضارة: الإقامة في الحضر، والبداوة: الإقامة في البدو، وللمتنبي مقايسة بين الحضارة والبداوة جميلة، نثبتها فيما يلي:

كَمْ زَوْرَةٍ لَكَ في الأَعْرَابِ خَافِيَةٍ
أَدْهَى وقد رَقَدُوا مِنْ زَوْرَةِ الذِّيبِ
أَزُورُهُمْ وسَوادُ الليلِ يَشْفَعُ لي
وأَنْثَنِي وبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِي بي
قَدْ وَافَقُوا الوَحْشَ في سُكْنَى مَرَاتِعِهَا
وخَالَفُوهَا بِتَقْوِيضٍ وتَطْنِيْبِ

يقول في هذا البيت واصفاً حياة البدو: أنهم يسكنون البدو، فهم يجرون مجرى الوحوش في حلولها المراتع، إلا أنهم لهم خيام يحطونها، وينصبونها في الرحيل، وفي الإقامة، والوحش لا خيام لها، فقد خالفوها في هذا. ثم استرسل في وصفه:

ما أَوْجُه الحَضَرِ المُسْتَحْسَنَاتُ بِهِ
كأَوْجُهِ البَدَوِيَّاتِ الرَّعَابِيْبِ
حُسْنُ الحضارةِ مَجْلُوبٌ بِتَطْرِيةٍ
وفي البَدَاوةِ حُسْنٌ غيرُ مَجْلُوبِ
أيـنَ المَعِيْزُ مِنَ الآرامِ نَاظِرَةً
وغَيْرَ ناظرةٍ في الحُسْنِ والطِّيبِ
أَفْدِي ظِبَاءَ فَلاَةٍ ما عَرَفْنَ بها
مَضْغَ الكلامِ ولا صَبْغَ الحَوَاجِيبِ
وَلاَ بَرَزْنَ مِن الحَمَّامِ مَاثِلَةً
أَوْرَاكُهُنَّ صَقِيْلاَتِ العَرَاقِيبِ

يريد بظباء الفلاة: نساء العرب، وأنهن فصيحات، لا يمضغن الكلام،

ولا يصبغن حواجبهن كعادة نساء الحضر، وهو يريد أن حسنهن بغير تطرية ولا تصنع، ولا دخول حمام، بل هو خلقة فيهن.

﴿ نَّزَغَ ﴾: أفسد بيننا وأغرى، وأصله من: نخس الرائض الدابة وحملها على الجري، يقال: نزغه ونسغه؛ إذا نخسه: وفي «المختار»: نزغ الشيطان بينهم: أفسد، وبابه: قطع.

○ الإعراب:

﴿ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ لا بد من تقدير محذوف يمهد لقوله: وذلك أنه سألهم عن أبيه فقالوا: ذهبت عيناه، فقال: اذهبوا بقميصي، واذهبوا فعل أمر وفاعل، وبقميصي يجوز أن يتعلق باذهبوا، فتكون الباء للتعدية، ويجوز أن يكون متعلقاً بمحذوف حال، أي: اذهبوا معكم قميصي، وهذا نعت، أو بدل، أو عطف بيان، فألقوه: الفاء عاطفة، وألقوه فعل وفاعل ومفعول به، وعلى وجه أبي متعلقان بألقوه، ويأت فعل مضارع مجزوم؛ لأنه جواب الأمر، والفاعل مستتر تقديره: هو، وبصيراً حال، واختار الزمخشري أن يكون خبراً ليأت على تضمينه معنى: يصير بصيراً، ويشهد له: «فارتد بصيراً» ﴿ وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾وائتوني عطف على اذهبوا، وبأهلكم متعلقان بائتوني، وأجمعين تأكيد للأهل، أي: بنسائكم وأولادكم ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ لما ظرفية، أو رابطة، وفصلت العير فعل وفاعل، وأن واسمها، واللام المزحلقة، وجملة أجد خبر إن، وريح يوسف مفعول به، ولولا حرف امتناع لوجود، وأن وما في حيزها مبتدأ خبره محذوف، وحذفت ياء المتكلم من تفندون للتخفيف، ولمراعاة الفواصل، أما تقدير الخبر لولا تفنيدكم موجود، وجواب لولا محذوف، أي: لصدقتموني ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴾ التاء تاء القسم، والله ومجرور بتاء القسم، والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وفي ضلالك خبر إن، والقديم صفة ﴿ فَلَمَّآ

﴿أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾ لما ظرفية حينية، أو رابطة، وأن زائدة، وسيأتي بحث مفيد عنها في باب: الفوائد. وجاء البشير فعل وفاعل، وجملة ألقاه لا محل لها، والهاء مفعول به، وعلى وجهه متعلقان بألقاه، فارتد: الفاء عاطفة، وارتد فعل ماض فاعله هو، وبصيراً حال، أو ارتد فعل ماض ناقص يعمل عمل صار، وبصيراً خبرها ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وأقل مضارع مجزوم بلم، والفاعل مستتر، تقديره: أنا، ولكم متعلقان بأقل، وإن واسمها، وجملة أعلم خبرها، ومن الله جار ومجرور متعلقان بأعلم، وما موصول مفعول به، وجملة لا تعلمون صلة ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ يا أبانا منادى مضاف، واستغفر فعل أمر، وفاعله مستتر، تقديره: أنت، ولنا متعلقان باستغفر، وذنوبنا مفعول به، وإن واسمها، وجملة كنا خاطئين خبر إنا، وكان واسمها، وخاطئين خبرها ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ جملة سوف أستغفر مقول القول، ولكم متعلقان بأستغفر، وربي مفعول به، وإن واسمها، وهو مبتدأ، أو ضمير فصل، والغفور الرحيم خبران لإن، أو لهو، والجملة الاسمية خبر إن ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ عطف على محذوف، تقديره: ثم توجهوا إلى مصر، وخرج يوسف وحاشيته لاستقبالهم، ودخلوا فعل وفاعل، وعلى يوسف متعلقان بدخلوا، وجملة آوى لا محل لها، وإليه متعلقان بآوى، وأبويه مفعول به، والظاهر أن دخولهم عليه كان في مضرب له في ضاحية البلد، ولذلك عطف ﴿وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ وادخلوا مصر فعل وفاعل ومفعول به، وإن شرطية، وشاء فعل الشرط، والجواب محذوف لدلالة الكلام عليه، وجملة الشرط اعتراضية بين الحال وصاحبها، فآمنين حال من الواو ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ ورفع أبويه فعل وفاعل مستتر ومفعول به، وعلى العرش متعلقان برفع، وخروا فعل وفاعل، وله متعلقان بخروا، وسجداً حال ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ يا أبت تقدم إعرابها، وهذا

مبتدأ، وتأويل خبر، ورؤياي مضاف إليه، ومن قبل حال ﴿ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ قد حرف تحقيق، وجعلها ربي فعل وفاعل، وحقاً مفعول ثان، والجملة حال مقدرة، أو مقارنة ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيَ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾ الواو عاطفة، وقد حرف تحقيق، وأحسن فعل ماض، وبي متعلقان بأحسن، وأحسن أصله أن يتعدى بإلى، وقد يتعدى بالباء كما يقال: أساء إليه، وبه، قال كثير:

أَسِيئي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لا مَلُومة لعزَّةَ مِنْ أعراضنا ما استحلَّتِ

قال ابن هشام: معناها الغاية، أي: إليّ، وقيل: ضمّن أحسن معنى لطف، فعداه بالباء، كما تقول: لطف الله بك، فالباء حينئذ للإلصاق؛ لأن اللطف ملتصق وقائم بالمتكلم، والتضمين شائع، وهو: إشراب الكلمة معنى آخر، وإذ متعلق بأحسن أيضاً، وجملة أخرجني مضافة، والفاعل مستتر، والياء مفعول به، ومن السجن جار ومجرور متعلقان بأخرجني ﴿ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾ بكم متعلقان بجاء، ومن البدو: متعلق به أيضاً، ومن بعد حال، وأن وما في حيزها مضافة للظرف، والشيطان فاعل نزغ، وبيني ظرف متعلق بنزغ، وبين عطف على الظرف الأول، وإخوتي مضاف إلى بين ﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ إن واسمها وخبرها، ولما متعلقان بلطيف، أي: لطيف التدبير لأجله رفيق، وجملة يشاء صلة، وإنه: إن واسمها، وهو ضمير فصل، أو مبتدأ، والعليم الحكيم خبران لإن، أو لهو، وقد تقدمت له نظائر ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ رب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة، وحرف النداء محذوف، وقد حرف تحقيق، وآتيتني فعل وفاعل ومفعول به، ومن الملك: من تبعيضية، وهي ومجرورها صفة لمفعول به محذوف، أي: آتيتني شيئاً عظيماً من الملك، وقيل: تبيينية، فتتعلق بآتيتني، وعلمتني عطف على آتيتني، ومن تأويل الأحاديث متعلقان بعلمتني ﴿ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يجوز أن يكون نعتاً

لرب، أو بدلاً منه، ويجوز أن يكون منادى، وحرف النداء محذوف، ولعله أولى، والسموات مضاف إليه ﴿ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾ أنت مبتدأ، ووليي خبر، وفي الدنيا حال، والآخرة عطف على الدنيا ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ فعل دعاء، والنون للوقاية، والياء مفعول به، ومسلماً حال، وألحقني عطف على توفني، وبالصالحين متعلقان بألحقني.

* الفوائـد:

﴿ أَنِ ﴾ حرف مصدري ينصب المضارع، ويؤول مع ما في حيزه بمصدر يعرب حسب موقعه، وتكون مخففة من أن، فتقع بعد فعل اليقين والظن وما شابهه، ومفسرة، وهي: التي تقع بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه، نحو: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ ﴾ وزائدة للتوكيد كالآية: ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ ﴾. قال ابن هشام: ولا معنى لأن الزائدة غير التوكيد كسائر الزوائد. وقال ابن الأثير في «المثل السائر»: وأما قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ﴾ فإنه إذا نظر في قصة يوسف عليه السلام مع إخوته منذ ألقوه في الجب، وإلى أن جاء البشير إلى أبيه عليه السلام وجد أنه كان ثَم إبطاء بعيد، وقد اختلف المفسرون في طول تلك المدة، ولو لم يكن ثمَّ مدة بعيدة، وأمدٌ متطاول، لما جيء بأن بعد لما، وقبل الفعل، بل كانت تكون الآية: فلما جاء البشير ألقاه على وجهه، وهذه دقائق ورموز لا تؤخذ من النحاة، لأنها ليست من شأنهم.

هذا؛ وقد ردَّ الصلاح الصفدي على ابن الأثير فقال: قلت: هذا من جناية إعجاب المرء بعقله، ألا تراه كيف يتصور الخطأ صواباً، ثم أخذ يتبجح أنه ظفر بما لم يكن عند النحاة، ولو أنه نظر إلى هذه الفاء عقيب ماذا وردت؟ هل هي عقيب قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ﴾ والآيات المتعلقة بواقعة إلقائه الجب، أو وردت عقيب قوله تعالى: ﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن

تُفَنِّدُونِ قَالُواْ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾ لعلم ابن الأثير أنه لا تراخي بين هذين البعيدين، ولا مدة مديدة؛ لأن المدة إنما كانت بقدر المسافة التي توجه فيها البشير من مصر، إلى أن وصل إلى أرض كنعان، وهي مقام يعقوب عليه السلام، وقدر مسافة ما بين ذلك اثنا عشر يوماً وما حولها، ولهذا قال النحاة: إنها هنا زائدة، ولابن الأثير من هذه الشناعات على النحاة وغيرهم أشياء أجبت عنها في كتابي.

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿حَرَصْتَ﴾: في «المصباح»: حرص عليه حرصاً، من باب: ضرب؛ إذا اجتهد، والاسم الحِرص ـ بالكسر ـ وحرص على الدنيا، من باب: ضرب، وحرص حرصاً، من باب: تعب، لغة: إذا رغب رغبة مذمومة. وقال علماء اللغة: وحرص على الشيء، وهو حريص من قوم حراص، وما أحرصك على الدنيا، والحرص شؤم، ولا حرس الله من حرص، وحرص القصَّارُ الثوب: شقّه، وبثوبك حرصة، وأصابته حارصة، وهي من الشجاج التي شقت الجلد، وحما محرَّص: مكدَّح، وانهلّت الحارصة والحريصة، وهي: السحابة الشديدة وقع المطر، وتحرص وجه الأرض، قال الحُوَيْدرة:

ظلَمَ البِطَاحَ بها انْهِلالُ حَرِيصة فصَفَا النِّطافُ بها بَعِيدَ المُقْلَعِ

ورأيت العرب حريصة على وقع الحريصة.

﴿ غَـٰشِيَةٌ ﴾: نقمة تغشاهم، وقيل: ما يغمرهم من العذاب، ويجللهم. وفي «القاموس» و«التاج»: الغاشية مؤنث الغاشي، والغطاء، والجمع غواش، والداهية، والقيامة، وداء في الجوف، وغاشية فلان: خدمه وزواره.

○ الإعراب:

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ ذلك اسم إشارة في محل رفع مبتدأ، ومن أنباء الغيب خبره، وجملة نوحيه إليك حال، ويجوز أن تكون في محل رفع خبراً ثانياً، وفي هذه الآية الكريمة دليل لا يقبل الريب على نبوة محمد ﷺ؛ لأنه كان أمياً لم يقرأ الكتب، ولم يلق العلماء، ولم يسافر إلى غير بلده الذي نشأ فيه، ومع ذلك أتى بهذه القصة الطويلة مستجمعة شرائط القصة وخصائصها؛ التي ابتدعت ذكرها العصور الحديثة ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ الواو عاطفة، وكنت: كان واسمها، ولديهم ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر كنت، وإذ ظرف متعلق بما تعلق به الظرف، أي: بالاستقرار المحذوف، وجملة أجمعوا مضافة للظرف، والواو للحال، وهم مبتدأ، وجملة يمكرون خبر، والجملة حالية ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ الواو عاطفة، وما نافية حجازية بذلك زيادة الباء في خبرها، وأكثر الناس اسمها، والواو اعتراضية، ولو شرطية، وحرصت فعل وفاعل، والجملة معترضة بين ما الحجازية وخبرها، وسيأتي في باب: الفوائد بحث مسهب عن الجملة الاعتراضية، والباء حرف جر زائد، ومؤمنين مجرور بالباء لفظاً في محل نصب خبر لما، وجواب لو محذوف، أي: لم يؤمنوا ﴿ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، وتسألهم فعل مضارع، وفاعل مستتر، والهاء مفعول به، وعليه حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لأجر، والضمير يعود على القرآن، ومن حرف جر زائد،

وأجر مجرور بمن لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به، وإن نافية، وهو مبتدأ، وإلا أداة حصر، وذكر خبر هو، وللعالمين صفة لذكر ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ تقدم القول مسهباً في كأين وكم الخبريتين، وهي في محل رفع مبتدأ، ومن آية تمييز مجرور بمن، وفي السموات والأرض صفة لآية ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ جملة يمرون خبر لمبتدأ، وهو كأين، وعليها متعلقان بيمرون، وهم: الواو حالية، وهم مبتدأ، وعنها متعلقان بمعرضون، ومعرضون خبرهم، والجملة الاسمية حالية، ويجوز أن يكون في السموات والأرض خبراً لكأين، وجملة يمرون صفة لآية ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، ويؤمن أكثرهم فعل مضارع وفاعل، وبالله متعلقان بيؤمن، وإلا أداة حصر، والواو حالية، وهم مبتدأ، ومشركون خبر، والجملة نصب على الحال ﴿أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، وفيه معنى التوبيخ والتهديد، والفاء عاطفة، وأمنوا فعل وفاعل، وأن تأتيهم المصدر المؤول مفعول أمنوا، والهاء مفعول تأتي، وغاشية فاعل تأتي، ومن عذاب الله صفة لغاشية ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أو تأتيهم عطف على تأتيهم السابقة، والساعة فاعل تأتيهم، وبغتة حال، والواو حالية، وهم مبتدأ، وجملة لا يشعرون خبر، والجملة نصب على الحال.

□ **البلاغة:**

(١) في قوله: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ الآية فن يسمى في علم البيان بالاحتجاج النظري، وبعضهم يسميه المذهب الكلامي، وهو: أن يلزم الخصم ما هو لازم لهذا الاحتجاج، وقد تقدم بحثه، وفيه تهكم مرير بهم؛ لأنه قد علم كل أحد أن محمداً ﷺ ما كان معهم، فإذا أخبر به، وقصه هذا القصص البديع، لم تقع شبهة في أنه ليس منه.

(٢) في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ فن الاعتراض، وقد تقدم ذكره وتحديده، ونزيد هنا ما يتعلق ببحث بلاغي

طريف، وهو: أن الاعتراض ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: لا يأتي في الكلام إلا لفائدة، وهو جار مجرى التوكيد.

والآخر: أن يأتي في الكلام لغير فائدة، فإما أن يكون دخوله فيه كخروجه منه، وإما أن يؤثر في تأليفه نقصاً، وفي معناه فساداً.

فالقسم الأول كهذه الآية.

وفائدة الاعتراض من وجهين:

أولهما: تصوير حرصه ﷺ على إيمان قومه، وهدايتهم، وتهالكه على ردعهم عن غيهم، وحرفهم عن مظان الخطأ، ومواطن الضلال، واستهدافه للأذى في سبيل هذا الحرص، مع علمه بعدم جدوى ذلك، واستحالة إقلاعهم عما هم فيه.

وثاني الوجهين: تصوير لجاجتهم، وجحود عقليتهم، وإصرارهم على الغي؛ الذي هم فيه شارعون، وبه آخذون، وعنادهم ومكابرتهم فيما لا تجدي معه الحججِ والبراهين الثابتة المنيرة.

والقرآن الكريم حافل بهذا القسم، وسيرد عليك في مواضعه إن شاء الله، وقد أوردنا طائفة من الشعر الجيد الذي زاده الاعتراض رقة وحلاوة. وما أجمل قول ابن المعذب السعدي:

فلو سألت سراة الحيِّ سلمى ... على أن قد تلوَّنَ بي زماني
لخبرها ذوو أحسابِ قومي ... وأعدائي فكلٌّ قد بلاني

وهذا اعتراض بين لو وجوابها، وهو من فائق الاعتراض ونادره، وتقديره: فلو سألت سراة الحي سلمى لخبرها ذوو أحساب قومي وأعدائي. وفائدة قوله: «على أن قد تلوّن بي زماني» أي: أنهم يخبرون عني على تلوّن الزمان بي، يريد: تنقل حالاته من خير وشر، وليس من عجمه على الزمان، وأبان عن جوهره كغيره ممن لم يعجمه، ولم يبن عنه.

أما القسم الثاني، وهو: الذي يأتي في الكلام لغير فائدة، فهو ضربان:

الأول: يكون دخوله في الكلام كخروجه منه، لا يكتسب به حسناً ولا قبحاً، فمن ذلك قول النابغة الذبياني يرثي النعمان بن المنذر:

يقولُ رجالٌ يَجْهَلُونَ خَلِيقَتي لَعَلَّ زِياداً ـ لا أَبَا لَكَ ـ غَافِلُ

فقوله: لا أبا لك من الاعتراض؛ الذي لا فائدة فيه إلا إقامة الوزن، وليس مؤثراً فيه حسناً ولا قبحاً. ومثله قول زهير بن أبي سُلْمى:

سئمتُ تكاليفَ الحياةِ ومَنْ يَعِشْ
ثمانِيَن حَوْلاً ـ لا أَبَا لك ـ يَسْأَمِ

والثاني: وهو الذي يؤثر في الكلام نقصاً، وفي المعنى فساداً، وسنورد أمثلة منه ليتفاداها العاقل، فمن ذلك قول بعضهم:

فقدْ، والشَّكُّ، بيَّنَ لي عناءٌ
بوشكِ فراقِهم صُرَدٌ يصيحُ

فإنه قدم «بوشك فراقهم» وهو معمول «يصيح» ويصيح صفة لصرد، وذلك قبيح، ألا ترى أنه لا يجوز أن يقال: هذا من موضع كذا رجل ورد اليوم، وإنما يجوز وقوع المعمول بحيث يجوز وقوع العامل، فكما لا يجوز تقديم الصفة على موصوفها، فكذلك لا يجوز تقديم ما اتصل بها على موصوفها، وفيه بعد ذلك من رديء الاعتراض الفصل بين «قد» والفعل الذي هو بيّن، وذلك قبيح جداً؛ لقوة اتصال «قد» بما تدخل عليه من الأفعال، حتى إنهم يعدونها بمثابة الجزء من الفعل، ولذلك أدخلت عليه لام القسم المراد بها توكيد الفعل، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَىٰهُ﴾ هذا؛ وفي البيت عيب ثالث وهو الفصل بين المبتدأ الذي هو الشك وبين الخبر الذي هو عناء، بقوله «بين لي». وعيب رابع، وهو: الفصل بين الفعل الذي هو بيّن وبين فاعله الذي هو صرد، بخبر المبتدأ؛ الذي هو عناء، فجاء معنى البيت، كما تراه، كأنه صورة مشوهة قد نقلت أعضاؤها بعضها إلى مكان بعض.

ومن هذا الضرب قول الآخر:

نظرتُ وشَخْصِي مَطْلعَ الشَّمْسِ ظِلُّهُ
إلى الغربِ حتى ظلّه الشّمس قد عَقَلْ

أراد: نظرت مطلع الشمس، وشخصي ظله إلى الغروب حتى عقل الشمس، أي: حاذاها، وعلى هذا التقدير فقد فصل بمطلع الشمس بين المبتدأ الذي هو شخصي وبين خبره الجملة، وهو قوله «ظله إلى الغرب»، وأغلظ من ذلك وأسمج أنه فصل بين الفعل وفاعله بأجنبي، وهذا مما يبدو السكوت خيراً منه.

وحيث تكلمنا على الاعتراض من الناحية البلاغية الفنية، فلا ندحة لنا عن أن نتناوله من ناحيته النحوية، فقد قرر النحاة أنه يقع في مواضع:

(١) بين الفاعل ومرفوعه، كقول بعضهم:
شجاكَ أظُنُّ رَبْعُ الظّاعِنينا ولم تعبأْ بعذِل العاذلينا

فشجاك فعل ماض وفاعله ربع الظاعنينا، وفصل بينهما بجملة أظن، وقد أفادت هذه الجملة المعترضة التقوية؛ لأنه حين يقال: شجاك ربع الظاعنين، يحتمل أن ذلك مظنون، أو متوهم، فأخبر أنه مظنون، على أنه يحتمل في هذا البيت نصب ربع على أنه مفعول أول لأظن، وجملة شجاك مفعوله الثاني، وتقديره: أظن ربع الظاعنينا شجاك.

(٢) بين الفعل ومفعوله المنصوب، كقول الشاعر:
وبُدِّلَتْ، والدَّهرُ ذو تبدُّلِ، هيفاً دبوراً بالصَّبا والشَّمْأَلِ

فبدلت فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود على الريح، والدهر ذو تبدل معترضة، وهيفاً مفعول بدلت، أي: ريحاً هيفاً، ومعناها حارة، وبالصبا داخلة على المتروك، كما هي القاعدة في الباء التي تقع بعد بدل، والصبا: الريح التي تهب من المشرق عند استواء الليل والنهار، والشمأل: هي الريح التي تأتي من ناحية القطب.

(٣) بين المبتدأ وخبره، كقوله:

وفيهنَّ، والأيامُ يعثرنَ بالفتى نــوادبُ لا يَمْلَلْنَــهُ ونــوائِــحُ

فقد فصل بين فيهن، وهو خبر مقدم، ونوادب وهو مبتدأ مؤخر، بجملة: والأيام يعثرن بالفتى.

(٤) وبين ما أصله المبتدأ والخبر، كقول عوف بن محلم:

إنَّ الثَّمــانيــنَ وبُلِّغْتَهــا قد أحوجتْ سَمْعي إلى ترجمان

فقوله: وبلغتها، جملة دعائية اعترضت بين اسم إن وخبرها، وأصلهما مبتدأ وخبر.

(٥) بين الشرط وجوابه، كقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ﴾ وقد تقدم إعرابها.

(٦) بين القسم وجوابه، كقول النابغة:

لَعَمْرِي وما عمري عليَّ بِهَيِّنٍ لقد نطقتْ بُطْلاً عليَّ الأقارعُ

فقد اعترض بجملة «وما عمري علي بهين» بين القسم وجوابه.

(٧) بين الموصوف وصفته، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ فقد اعترض بجملة «لو تعلمون» بين الموصوف وهو قسم، وصفته وهو عظيم.

(٨) بين الموصول وصلته، كقول الشاعر:

وإنيِّ لــرامٍ نظــرةً قِبَــل التــي لعلِّيَ ـ وإنْ شَطَّتْ نواها ـ أَزُورُها

فاعترض بين التي وصلتها، وهي أزورها بلعلي، وخبر لعل محذوف، أي: لعلي أفعل ذلك.

(٩) بين حرف التنفيس والفعل، كقول زهير:

وما أَدْري وسوفَ إخال أدري أقــومٌ آلُ حصــنٍ أم نســاءُ

وهذا الاعتراض في أثناء اعتراض آخر، فإن سوف وما بعدها اعتراض بين أدري وجملة الاستفهام.

(١٠) بين حرف النفي ومنفيه، كقوله:

فلا ـ وأبي دهماءَ ـ زالتْ عزيزةً		على قومِها ما دام للزَّندِ قادح

وهناك مواضع أخرى ضربنا عنها صفحاً لندرة وقوعها، ويمكن الرجوع إليها في المطولات.

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿سَبِيلِىٓ﴾: السبيل: الطريق، أو ما وضح منها، يذكر ويؤنث، والجمع سبُل، وسُبْل، وأسْبُل، وأسْبِلة، وسُبول، وابن السبيل: المسافر، وسبيل الله: الجهاد، وطلب العلم، والحج، وكل ما أمر الله به من الخير. ويقال: ليس لك عليّ سبيل، أي: حجة تعتلّ بها، وليس عليّ في كذا سبيل، أي: حرج. ويقول المولّدون: ما على المحسن سبيل، أي: معارضة. وسبيلنا أن نفعل كذا، أي: نحن جديرون بفعله.

○ **الإعراب:**

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ هذه مبتدأ،

وسبيلي خبر، وجملة أدعو الله تفسير للسبيل، وإلى الله متعلقان بأدعو، ويجوز أن تكون الجملة حالية من الياء، والأول أولى، وعلى بصيرة متعلقان بأدعو، أو بمحذوف حال من فاعل أدعو، وأنا تأكيد لفاعل أدعو المستتر، ومن اتبعني عطف على فاعل أدعو المستتر، ويجوز أن يكون من مبتدأ، وخبره محذوف، أي: ومن اتبعني يدعو أيضاً، ويجوز أن يكون أنا مبتدأ مؤخراً، وعلى بصيرة خبراً مقدماً، ومن اتبعني عطفاً على أنا ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وسبحان مفعول مطلق لفعل محذوف، أي: وأسبح سبحان الله، وما: الواو حرف عطف، وما نافية حجازية، وأنا اسمها، ومن المشركين خبرها ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ ما نافية، أرسلنا فعل وفاعل، ومن قبلك حال، وإلا أداة حصر، ورجالاً مفعول به، وجملة نوحي إليهم صفة، ومن أهل القرى صفة ثانية لرجالاً ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الهمزة للاستفهام، والفاء عاطفة على محذوف، وقد تقدم تقريره، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويسيروا فعل مضارع مجزوم بلم، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بيسيروا ﴿فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الفاء عاطفة، أو سببية، وينظروا فعل مضارع، إما مجزوم نسقاً على يسيروا، أو منصوب بأن مضمرة في جواب النفي، وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر كان مقدماً، وعاقبة اسم كان، والذين مضاف لعاقبة، ومن قبلهم متعلقان بمحذوف صلة الموصول ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الواو حالية، واللام لام الابتداء، ودار مبتدأ، والآخرة مضاف إليه؛ من إضافة الشيء إلى نفسه؛ لأن المراد بالدار الجنة، وهي نفس الآخرة واختار الزمخشري والبيضاوي أن يكون التقدير: ولدار الساعة الآخرة، أو الحال الآخرة، فليس في الكلام على ذلك إضافة الشيء إلى نفسه. وخير خبر دار، وللذين متعلقان بخير، وجملة اتقوا صلة، أفلا تعقلون تقدم إعرابه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟﴾ حتى حرف غاية، وهي متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام، كأنه قيل: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً، فتراخى نصرهم حتى إذا استيئسوا من النصر، ولا يلزم أن

يكون الله وعدهم بالنصر في الدنيا، بل كانوا يظنون ذلك، ويرجونه لا عن إخبار ووحي، وهذا خير ما قيل في هذه الآية؛ التي اضطربت فيها أقوال العلماء والمفسرين والمعربين فيها اضطراباً شديداً، وسياق الآية يرشد إليه، وظنوا عطف على استيئسوا، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي ظنوا، وكذبوا بالبناء للمجهول، أي: ظنت الأمم أن الرسل أخلفوا ما وعدوا به من النصر، وجملة كذبوا خبر أنهم ﴿ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ ﴾ جملة جاءهم لا محل لها لأنهم جواب إذا، وجاءهم نصرنا فعل ومفعول به وفاعل، والفاء عاطفة، ونجي بالنباء للمجهول عطف على جاءهم، ومن نائب فاعل، ونشاء صلة ﴿ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ الواو عاطفة، ولا نافية، ويرد بالبناء للمجهول، وبأسنا نائب فاعل، وعن القوم متعلقان بيرد، والمجرمين صفة ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ اللام جواب قسم محذوف، وقد حرف تحقيق، وفي قصصهم خبر مقدم، وعبرة مبتدأ مؤخر، ولأولي صفة لعبرة، والألباب مضاف إليه، وسيرد في باب: البلاغة مغزى هذه العبرة ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾ ما نافية، وكان فعل ماض ناقص، واسمها ضمير مستتر يعود على القرآن، وحديثاً خبرها، وجملة يفترى صفة لحديثاً ﴿ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ الواو حرف عطف، ولكن مخففة مهملة، وتصديق عطف على حديثاً، وهو أولى من تقدير: كان، وقد تقدم مثل هذا في سورة يونس، والذي مضاف إليه، والظرف صلة، وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة: معطوفان على تصديق، ولقوم صفة، وجملة يؤمنون صفة لقوم.

□ البلاغة:

في سورة يوسف نفحة من القصص الرائع الذي استوفى شرائط القصة؛ كما انتهت إليه أبحاث النقاد في العصر الحديث؛ مما يؤخذ من مظانه الكثيرة. وقد امتازت هذه القصة على تسلسل حوادثها، وكثرة فنونها، وتنوع فصولها بالإيجاز، وقد ألمعنا إليه فيما تقدم، ونزيده بسطاً هنا، فنقول:

(١) تقسيم الإيجاز:

يأتي الإيجاز على قسمين:

١ ـ قسم طويل، ٢ ـ وقسم قصير.

والطويل: طوله بالنسبة للقصير منه لا لغيره من الكلام، كما جاءت قصص القرآن كلها، وأحسن ما جاء منها في هذا الباب قصة يوسف، فإنها جاءت على الطريقتين في سورة واحدة من قوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ إلى قوله: ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ وجاءت على الطريقة المختصرة في قوله على لسان يوسف: ﴿يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ فذكر تعالى القصة أولاً على طريق البسط مفصلة لمن لم يشارك في طريق علمها، وذكرها تعالى أخيراً مختصرة ليعلمها مفصلة من لم يكن يعلمها، حتى إذا جاءت مجملة علم الإشارات فيها، وابتدأها بقوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ ثم أنهاها بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ووجه الاعتبار بقصصهم هو أن هذه القصص إنما سجلت لحصول العبرة منها، ومعرفة الحكمة والمغزى.

(٢) اختلاف صيغة اللفظة:

وفي قوله تعالى: ﴿لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ فن يطلق عليه القدامى الاسم الآنف الذكر، وهو من البيان بمثابة القلب من الإنسان، وهو يدق إلا على من صفت قرائحهم، واستغزرت ملكة الفصاحة فيهم، ونعني باختلاف صيغة اللفظة: نقلها من هيئة إلى هيئة، كنقلها من وزن إلى وزن آخر، أو نقلها من صيغة الاسم إلى صيغة الفعل، أو بالعكس، أو كنقلها من الماضي إلى المستقبل، أو بالعكس، أو من الواحد إلى التثنية أو الجمع، أو إلى النسب إلى غير ذلك انتقل قبحها، فصار حسناً، وحسنها فصار قبحاً، وسنورد أمثلة مترتبة على نسق الترتيب الذي أوردناه، فمن نقل اللفظة من صيغة إلى أخرى لفظة «خَوْد»

عبارة عن المرأة الناعمة، وإذا نقلت إلى صيغة الفعل قيل خوَّد على وزن فعَّل، ومعناها: أسرع. يقال: خوَّد البعير إذا أسرع، فهي على صيغة الاسم حسنة رائعة، وإذا جاءت على صيغة الفعل لم تكن مستحسنة، كقول أبي تمام من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن عبد الكريم:

وإلى بني عبد الكريمِ تواهقتْ رتك النَّعامِ رأى الظَّلامَ فخوَّدا

فهي ثقيلة سمجة كما ترى، على أن ثقلها وسماجتها يخفان عندما تنقل من الحقيقة إلى المجاز، كقول رجل من بني أسد:

أقـولُ لنفسي حين خـوَّد رألُهـا رُوَيْدك لما تشفقي حيْنَ مُشْفَق
رويدك حتَّى تنظري عمَّ ينجلي غيـابـةُ هـذا البـارقِ المتـألـق

والرأل، النعام، والمراد به ها هنا أن نفسه فرت وفزعت، وشبه ذلك بإسراع النعام في فراره وفزعه، ولما أورده على حكم المجاز خف عنه بعض ضحالقبح الذي على لفظة خوّد، وهي يدرك بالذوق السليم، ولا ضابط له، ولا يخفى ما بين هذه اللفظة في إيرادها ها هنا وإيرادها في بيت أبي تمام، فإنها وردت في بيت أبي تمام قبيحة سمجة، ووردت هنا متوسطة. أما نقل الفعل من صيغة إلى صيغة، فمثاله لفظة «ودع» وهي فعل ماض ثلاثي، لا ثقل بها، وليست حروفها متنافرة، ومع ذلك أحجم العرب عن استعمالها بصيغة الماضي لسماجتها، فإذا نقلت إلى المستقبل أو الأمر كانت حسنة فصيحة، أما الأمر فكقوله تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ﴾ ولم تأت في القرآن إلا كذلك، وأما نقلها إلى صيغة المستقبل، فكقول أبي الطيب المتنبي:

تشُقُّكُـمْ بِقنـاهـا كُـلُّ سَلْهَبـةٍ والضَّرْبُ يأخذُ منكُمْ فوقَ ما يَدَعُ

فهي هنا غاية في الفصاحة، ولهذا أمات العرب ماضي يدع ويذر، وقد استسمجوا قول أبي العتاهية مع حسن معناه:

أَثْـرَوْا فلـم يُـدْخِلُـوا قُبُـورَهُـمْ شَيئـاً مِـنَ الثَّـرْوَةِ الَّتـي جَمَعُـوا
وكـانَ مـا قَـدَّمُـوا لأنفسِهِـمْ أَعْظَمَ نَفْعاً مِنَ الَّذي وَدَعُوا

أما النقل من الإفراد إلى التثنية والجمع، فمثاله الآية التي نحن بصددها،

وذلك أن لفظة «اللب» الذي هو العقل، لا لفظة اللب الذي تحت القشر، فإنها لا تحسن في الاستعمال إلا مجموعة، وكذلك وردت هنا، وفي أكثر من موضع من القرآن الكريم، وقد تستعمل مفردة، ولكن شريطة أن تكون مضافة أو مضافاً إليها، فأما كونها مضافة، فكقول النبي ﷺ في ذكر النساء: «ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب للبّ الحازم من إحداكن يا معشر النساء» وأما كونها مضافاً إليها، فكقول جرير:

إنَّ العيونَ التي في طَرْفِهَا حَوَرٌ
قَتَلْنَنَا ثم لم يُحْيِيْنَ قَتْلانا
يَصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتَّى لا حَرَاكَ به
وهُنَّ أضعفُ خَلْقِ اللهِ إنسانا

وهذا أمر يكاد يذهل المبين، اسمع إلى كلمة الصوف، وهي مفردة، تجدها سمجة في الاستعمال، وقد استعملها أبو تمام، فجاءت غثة، وزاد في غثاثتها أنها جاءت مجازية في نسبتها إلى الزمان، حيث يقول:

كانُوا بُرُودَ زَمَانِهِمْ فَتَصَدَّعُوا فكأنَّما لَبِسَ الزَّمانُ الصُّوفا

ولكنها وردت في القرآن الكريم مجموعة، فإذا هي مرقصة مطربة، قال تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠].

ولم يمنع العرب جمع المصادر إلا لهذا السبب، والمدارُ في ذلك على الذوق السليم والجرس الموسيقي؛ الذي لا يكتنه حسنه، ولا يوصف، وقد استعمل عنترة المصدر مجموعاً، فجاء سمجاً مرذولاً، قال:

فإنْ يَبرأْ فلمْ أَنْفِثْ عليه وإنْ يُفْقَدْ فَحُقَّ لَهُ الفُقُودُ

فقوله الفقود جمع مصدر، من قولك: فقد يفقد فقداً، واستعمال مثل هذه اللفظة غير سائغ، وهذا كله مردّه الذوق السليم، ويرحم الله فولتير القائل: ذوقك أستاذك.

وما دمنا قد وصلنا إلى هذه المرحلة من التحليل الأدبي، فلا بد لنا من أن نشير إلى كتاب رائع هو «معاني القرآن» للفراء، ومنهج الكتاب يقوم على الأمور التالية:

ينهج الكتاب نهجاً مبتكراً، فهو يتعرض لآيات كل سورة بالترتيب، فلا يقتصر على الغريب، بل يتجاوزه إلى إيضاح الجانب النحوي والإعراب في الآية، وينتهي إلى النظرية العامة فيبين قواعدها، وأصولها، وأدلتها، وأسبابها، ومُسبِّباتها، ثم يتكلم عن التشبيه، والمثل، والكناية، والمجاز بصورة عامة، ثم يتناول الاستعارة أحد قسمي المجاز والالتفات. على أن الجديد كل الجدة في كتاب الفراء أنه لاحظ النسق الصوتي، والترابط بين الكلمات، وانسجام النغم، وتوافق الفواصل في آخر الآيات، فيجيز حذف أواخر الكلمات موافقة لرؤوس الآيات، مع موافقة ذلك لكلام العرب، مثل قوله عز وجل، ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ وقد قرأ القراء «يسري» بإثبات الياء، «ويسر» بحذفها، وحذفها أحب إليّ لمشاكلتها لرؤوس الآيات، والعرب قد تحذف الياء، وتكتفي بكسر ما قبلها، أنشدني:

كفَّاكَ كفٌّ ما تُليقُ دِرْهَمَاً
جُوداً وأخرى تُعْطِ بالسَّيفِ الدِّما

وأنشدني الآخر:

ليس تَخْفَى يسارتي قدرَ يومٍ ولقد تُخفِ شِيْمتي إعْسَاري

وقوله ﴿ بِطَغْوَىٰهَآ ﴾ أراد بطغيانها، إلا أن الطغوى أشكل برؤوس الآيات فاختير لذلك، ألا ترى أنه قال: ﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ ومعناه آخر دعائهم، وكذلك: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾ دعواهم فيها هذا، ﴿ وَمَا قَلَىٰ ﴾ يريد ما قلاك، فألقيت الكاف، كما تقول: قد أعطيتك وأحسنت، معناه: وأحسنت إليك، فيكتفى بالياء الأولى من إعادة الأخرى، ولأن رؤوس الآيات بالياء، فاجتمع ذلك فيه. إلى أن يقول الفراء: وقوله عز وجل

فأغنى فآوى يريد به: فأغناك وآواك، جرى على طرح الياء لمشاكلة رؤوس الآيات.

ويجيز الفراء في كتابه الممتع «معاني القرآن» إضافة المصدر إلى صاحبه، مثل ما في قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ قال: فأضيف المصدر إلى صاحبه، وأنت قائل في الكلام: لأعطينك عطيتك وأنت تريد عطية، وكان قربه من الجواز موافقة رؤوس الآيات التي جاء بعدها.

وعلى هذا النحو وضع الفراء أمامنا قواعد عامة للتغييرات؛ التي يمكن أن تطرأ على الكلمات، والتي قد يعمد إليها القرآن أحياناً؛ للتوافق الموسيقي في نظمه، وصلة تلك التغييرات بما يطرأ على القافية في الشعر لإقامة الوزن، ولا يفتأ الفراء يشير إلى أن القرآن في عدوله عن لفظ إلى آخر، أو تعديله الألفاظ، لا يخرج عن أساليب العرب وفنون القول عندهم، وخاصة في الشعر، وهو الكلام الموزون الذي يشابه ما في نظمه من توافق وانسجام ما يراعيه أسلوب القرآن، هذا؛ وسيرد من كتاب الفراء في مواضع متفرقة من هذا الكتاب، ما تميز به هذا السفر الجليل في مواضع متعددة من البيان.

ويرى الجاحظ في كتابه «نظم القرآن» الذي ألفه للفتح بن خاقان وزير المتوكل على الله؛ الذي لم يطبع ـ مع الأسف ـ بل فقد مع ما فقد من الكتب في محنة بغداد التي أوقعها بها هولاكو، ولم تقع إلا نبذ منه مبثوثة في كتب الجاحظ المطبوعة الأخرى، يرى أن التنزيل قد أولى اللفظ عناية خاصة، فاختاره بدقة ليدل على المعاني بدقة، وقد يشترك لفظان في المعنى، لكن أحدهما أدق من الآخر في الدلالة عليه، ولنظم القرآن براعته في تنزيل اللفظ منزلته في الموضع الذي أريد له، ويمتاز بروعته أيضاً في الاختيار، ومراعاة الفروق بين الألفاظ، فلا يأتي بالألفاظ المترادفة دالاً على معنى واحد، إنما للدلالة على معان مختلفة، وبقدر الدقة في إصابة المعنى يكون الفرق بين ألفاظ الناس في كلامهم وألفاظ القرآن، ويقول في هذا الصدد: وقد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أن الله تعالى لم يذكر في القرآن

الجوع إلا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السغب، ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة، وكذلك ذكر المطر؛ لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في مواضع الانتقام والأمة، وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث، ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل أرضين، ألا ترى أنه لا تجمع الأرض على أرضين ولا السمع أسماعاً، والجاري على أفواه العامة غير ذلك لا يتفقدون من الألفاظ إلا ما هو أحق بالذكر، وأولى بالاستعمال، وقد زعم بعض القراء أنه لم يرد ذكر النكاح في القرآن إلا في موضع التزويج.

وتعرَّض الجاحظ لما جرى عليه نظم القرآن من نغم، وموسيقى، ووزن خاص رتيب مكون من وحدات مترابطة منسجمة، وكم كنا نتمنى لو بقي هذا الكتاب؛ لنستمتع بما فيه من أبحاث، ولكننا سنحاول جمع ما تفرق منه في هذا الكتاب، فقد تصدى لوزن القرآن، وتكلم كثيراً لينفي عنه وزن الشعر، يقول في هذا الصدد: ويدخل على من طعن في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ وزعم أنه شعر، لأنه في تقدير مستفعلن مفاعلن، فيقال له: اعلم أنك لو اعترضت أحاديث الناس وخطبهم ورسائلهم لوجدت فيها مثل مستفعلن مستفعلن كثيراً، ومستفعلن فاعلن، وليس أحد في الأرض يجعل ذلك المقدار شعراً، ولو أن رجلاً من الباعة صاح: من يشتري باذنجان؟ لقد كان تكلم بكلام في وزن مستفعلن مفعولات، وكيف يكون هذا شعراً، وصاحبه لم يقصد إلى الشعر؟ ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتهيأ في جميع الكلام، وإذا جاء المقدار الذي يعلم أنه من نتاج الشعر والمعرفة بالأوزان والقصد إليها كان ذلك شعراً، وهذا قريب، والجواب فيه سهل، والحمد لله.

ويرى ابن قتيبة في كتابه «مشكل القرآن» أن النغم الموسيقي، والنظم، والتوقيع الداخلي في الآيات، هي إحدى الخصائص التي يقوم عليها إعجاز القرآن، فهو حلو النغم، رتيب الوقع، حبيب الجرس إلى النفوس، لا تمله

الآذان لما ينساب في عباراته وخلال لفظه من الموسيقى الخافتة، ولا تتعثر فيه الألسنة لسلاستها، وفي هذا الصدد يقول ابن قتيبة: وجعله متلواً على طول التلاوة ومسموعاً لا تمجه الآذان، وغضّاً لا يخلق على كثرة الرد.

ونختم هذا المبحث، على أن نعود إليه في مكان آخر، بكلمة وردت في القرآن جميلة جداً، ووردت في الشعر، فكانت باردة، وهي كلمة يؤذي، فقد قال أبو الطيب:

تلَـذُّ لـه المـروءةُ وَهْـيَ تُـؤْذِي وَمَـنْ يَعْشَـقْ يَلَـذُّ لَـهُ الغَـرامُ

وهذا البيت جميل شريف المعنى، إلا أن لفظة تُؤذي قد جاءت فيه غثة باردة، بينما وردت في القرآن بالغة الروعة بادية الكمال وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ ويبدو لنا أنها وردت في بيت أبي الطيب منقطعة، ألا ترى أنه قال: تلذ له المروءة وهي تؤذي. ثم قال: ومن يعشق يلذ له الغرام؛ فجاء بكلام مستأنف، وهذا باب طويل المدار في سبر غوره، واكتناه حسنه على الذوق السليم، والطبع الرهيف.

هذا؛ ولا مندوحة عن الإشارة إلى أن أكثر القصص التي وردت في القرآن الكريم من قصص الأنبياء في جهادهم؛ لتبليغ رسالتهم، ونشر دعوتهم، ومقاومة خصومهم من ذوي السلطان؛ الذين أنكروهم، وحالوا بينهم وبين هداية أقوامهم.

وإذا روجعت قصص القرآن الكريم مراجعة دقيقة، تبيّن للناظر في مضامينها أن عبرتها الأولى دروس ينتفع بها الهداة، ودعاة الإصلاح؛ إذ كان من فرائض الإسلام الاجتماعية أن ينتدب من الأمة طائفة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر.

من تلك الدروس أن الجهلاء ينقادون للأمر والسطوة، ولا ينقادون للحجة والدليل، ويريدون من صاحب الدعوة كما جاء في قصة نوح أن يكون ملكاً، أو تكون عنده خزائن الله، ويقولون له: ﴿قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا

فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ .

ومن تلك الدروس أن أصحاب السادة في الأمة يكرهون التغيير، ويتشبثون بالقديم، ويأخذون على النبي أن يتبعه أناس من غير ذوي السيادة والجاه: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ .

ومن تلك الدروس أن الجمود على التقاليد الموروثة أكبر آفات العقل البشري؛ لأنها تعطل تفكيره، وتتركه في حكم الآلة التي تسير على نهج واحد في آثار الآباء والأجداد، مع اختلاف الزمن، وتبدل الأحوال.

على أن في القرآن الكريم قصصاً شتى من غير قصص الدعوة، أو قصص الجهاد في تبليغ الرسالة، ولكنها تراد كذلك لعبرتها، ولا تراد لأخبارها التاريخية، ومنها قصة يوسف التي نحن بصددها، فهي قصة إنسان قد تمرس من طفولته بآفات الطبائع البشرية، من: حسد الأخوة، إلى غواية المرأة، إلى ظلم السجن، إلى تكاليف الولاية، وتدبير المصالح في إبان الشدة والمجاعة.





بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿عَمَدٍ﴾ ـ بفتحتين ـ وقد اضطربت أقوال علماء اللغة، فقال بعضهم: هو جمع عماد على غير قياس، والقياس أن يجمع على عمد بضم العين

والميم، وقيل: إن عمداً جمع عماد في المعنى، أي: أنه اسم جمع لا جمع صناعي، والذي في «القاموس» و«التاج»: العمود: ما يقوم عليه البيت وغيره، وقضيب الحديد، وجمعه أعمدة، وعَمَد، وعُمُد. وقال بعضهم: والعَمَد جمع عمود، ولم يأت في كلام العرب على هذا الوزن إلا أحرف أربعة: أديم وأدَم، وعَمُود وعَمَد، وأفيق وأفق، وإهاب وأَهَب، وزاد الفراء خامساً: قضيم وقَضَم، يعني: الصكاك، والجلود.

﴿صِنْوَانٌ﴾: الصنو ـ بكسر الصاد وفتحها وضمها ـ نخلة لها رأسان، وأصلهما واحد، والاثنان صِنوان، والجمع صِنوان بكسر الصاد فيهما. وفي «المختار»: إذا خرج نخلتان أو ثلاث من أصل واحد فكل واحدة منهن صنو، والاثنتان صنوانِ، والجمع صنوانٌ. أي: فهو معرب. وفي «الأساس»: شجر صنوان: من أصل واحد، وكل واحد صنو، ومن المجاز: هو شقيقه وصنوه. قال:

أتتركني وأنتَ أخي وصِنْوي	فيا للنَّاسِ للأمرِ العجيبِ

وركيَّتان صِنوان: متقاربتان، وتصغيره: صُنَيٌّ. قالت ليلى الأخيلية:

أنابغَ لم تنبُغْ ولم تَكُ أوَّلا	وكنت صُنَيّاً بَيْنَ صُدَّيْنِ مجهلا

أي: ركياً مجهولاً بين جبلَيْن. وقال بعض اللغويين: والصنو: الفرع، يجمعه وفرعاً آخر أصل واحد، والمثل. وفي الحديث: «عم الرجل صنو أبيه» أي: مثله، أو لأنهما يجمعهما أصل واحد. والنخيل والنخل بمعنى واحد، والواحدة نخلة، قال:

أَلَا يا نخلةٌ من ذات عرقٍ	عليك ورحمة اللهِ السَّلام

وعبارة أبي حيان:

الصنو: الفرع، يجمعه وآخر أصل واحد، وأصله: المثل. ومنه قيل للعم: صنو، وجمعه في لغة الحجاز صِنوان، بكسر الصاد، كقنو وقنوان، وبضمها في لغة تميم وقيس، كذئب وذؤبان، ويقال: صَنوان ـ بفتح الصاد ـ وهو اسم جمع، لا جمع تكسير؛ لأنه ليس من أبنيته. وقال: ونظير هذه

الكلمة: قِنو وقنوان، ولا يوجد لهما ثالث.

﴿ٱلۡأُكُلِۚ﴾: بضم الكاف وسكونها. وفي «المصباح»: الأكل ـ بضمتين وإسكان الثاني للتخفيف ـ: المأكول.

○ الإعراب:

﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ﴾ المر: تقدم إعرابها والقول فيها، وفي أوائل السور عموماً، واسم الإشارة مبتدأ، وآيات الكتاب خبر ﴿وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ الواو عاطفة من عطف الجمل على الجمل، والذي مبتدأ، وجملة أنزل إليك صلة ومن ربك جار ومجرور متعلقان بأنزل أيضاً والحق خبر الذي، ولكن الواو حالية، ولكن حرف استدراك ونصب، وأكثر الناس اسمها، وجملة لا يؤمنون خبرها ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾ الله مبتدأ، والذي خبره، ويجوز أن يكون صفة، والخبر سيأتي، وجملة رفع السموات صلة، وبغير عمد هذا الجار والمجرور في محل نصب على الحال من السموات، أي: رفعها خالية من عمد، وجملة ترونها فيها وجهان: أولهما: أن تكون مستأنفة، ويكون الضمير عائداً على النون، أو نصباً على الحال من السموات، أي: مرئية لكم، ويجوز أن تكون صفة لعمد إذا كان الضمير عائداً إليها، والجملة كلها مستأنفة، مسوقة للشروع في ذكر دلائل العالم العلوي؛ تمهيداً لذكر دلائل العالم السفلي ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي، واستوى فعل ماض، وفاعل مستتر، وعلى العرش متعلقان باستوى، وسخر الشمس والقمر عطف على استوى، وكل مبتدأ، وتقدم الكلام في تسويغ الابتداء به، وجملة يجري خبر، ولأجل متعلقان بيجري، ومسمى صفة ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ﴾ الجملة مستأنفة، أو خبر لله على ما تقدم، ويدبر الأمر فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، ويفصل الآيات عطف، ولعل واسمها، وبلقاء ربكم متعلقان بتوقنون، وجملة توقنون خبر لعلكم ﴿وَهُوَ

﴿ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا﴾ هو مبتدأ، والذي خبره، وجملة مدّ الأرض صلة، وجعل عطف على مدّ، وفيها متعلقان بجعل، ورواسي مفعول به، وأنهاراً عطف عليه ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ يجوز في هذا الجار والمجرور أن يتعلق بجعل بعده، والتقدير: وجعل فيها زوجين اثنين من كل الثمرات، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من اثنين؛ لأنه في الأصل صفة له، ويجوز أن يتم الكلام عند قوله من كل الثمرات، فيتعلق بجعل الأولى، والتقدير: أنه جعل في الأرض كذا وكذا، ومن كل الثمرات ويكون جعل الثاني مستأنفاً، وفيها متعلقان بجعل على كل حال، وزوجين مفعول جعل، واثنين صفة لزوجين ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ الجملة مستأنفة، أو حال من فاعل الأفعال قبلها، والفاعل ليغشي مستتر، والليل مفعول أول، والنهار مفعول ثان، والمعنى يلبسه مكانه، فيصير أسود مدلهمّاً بعد ما كان أبيض منيراً، والأنسب بالليل أن يكون هو الغاشي، ولذلك جعلناه المفعول الأول، وإن كان الكلام يحتمل الثاني ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ إن وخبرها المقدم، ولآيات اللام المزحلقة للتأكيد، وآيات اسم إن المؤخر، ولقوم صفة لآيات، وجملة يتفكرون صفة لقوم ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ الواو عاطفة، وفي الأرض خبر مقدم، وقطع مبتدأ مؤخر، ومتجاورات صفة لقطع، أي: بقاع مختلفة متباينة مع كونها متجاورة ﴿وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ وجنات عطف على قطع، ومن أعناب صفة وزرع ونخيل معطوفان أيضاً، وصنوان صفة لنخيل، وغير عطف، وصنوان مضاف إليه ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ جملة يسقى صفة لجنات وما بعدها، وبماء متعلقان بِيُسْقَى، وواحد صفة لماء، ونفضل بعضها فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به، وعلى بعض متعلقان بنفضل، وفي الأكل حال من بعضها، أي: نفضل بعضها مأكولاً، أو: وفيه الأكل، ويجوز أن يتعلق بنفضل؛ لأنه ظرف له ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ تقدم إعراب مثيلتها قريباً.

□ **البلاغة:**

(١) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ استعارة مكنية، أو تخييلية، حسب تعريف الأقدمين لها، فالمستعار الاستواء، والمستعار منه كل جسم مستو، والمستعار له الحق سبحانه؛ ليتخيل السامع عند سماع لفظ هذه الاستعارة مَلِكاً فرغ من ترتيب ممالكه، وتشييد ملكه، وجميع ما تحتاج إليه رعاياه وجنده من عمارة بلاده، وتدبير أحوال عباده، استوى على سرير ملكه استواء عظمة، فيقيس السامع ما غاب عن حسه من أمر الإلهية على ما هي متخيلة، ولها لا يقع ذكر الاستواء على العرش إلا بعد الفراغ من خلق السموات والأرض وما بينهما، وإن لم يكن ثمة سرير منصوب، ولا جلوس محسوس، ولا استواء، على ما يدل عليه الظاهر من تعريف هيئة مخصوصة.

(٢) وفي قوله تعالى: ﴿بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾ فن رفيع تقدم ذكره، وهو: نفي الشيء بإيجابه، أي: رفع السموات خالية من العمد، فالوجه انتفاء العمد والرؤية جميعاً، فلا رؤية ولا عمد.

وقد أثارت هذه الآية في النفس موضوع غزو القمر، وكيف ارتاد الإنسان الفضاء، ورأى عجائب صنع الله، وشهد الأرض معلقة، والقمر معلقاً، وكذلك الكواكب، والنجوم الأخرى معلقان بغير سناد يسندها، ولا عمد تقوم عليها، مصداقاً لقول الله: ﴿بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾

﴿۞ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٥ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ

ٱلْمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ٱلْمَثُلَٰتُۗ ﴾: جمع مثلة ـ بفتح الميم وضم الثاء ـ وفي «القاموس»: المثلة العقوبة، وما أصاب القرون الماضية من العذاب، وهي عبر يعتبر بها، وشرحها الزمخشري شرحاً لطيفاً فقال: المثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة. وقال غيره: المثلة: نقمة تنزل بالإنسان، فيجعل مثالاً يرتدع غيره به. وقال ابن الأنباري: المثلة كسمرة، العقوبة التي تبقي في المعاقب شيئاً بتغيير بعض خلقه، من قولهم: مثل فلان بفلان؛ إذا شان خلقه بقطع أنفه، وسمل عينيه، وبقر بطنه.

○ **الإعراب:**

﴿ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾ الواو استئنافية، وإن شرطية، وتعجب فعل الشرط، وفاعله مستتر تقديره: أنت يا محمد، والفاء رابطة، وعجب خبر مقدم، وقولهم مبتدأ مؤخر، وجملة فعجب قولهم في محل جزم جواب الشرط الجازم ﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۗ ﴾ هذه الجملة مقول للقول، ولك أن تعربها بدلاً منه، والهمزة للاستفهام الإنكاري، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه ومتعلق بجوابه، وهو مدلول قوله «أئنا لفي خلق جديد» والتقدير: نبعث، أو نحشر. واختار أبو حيان أن تكون إذا متمحضة للظرف، وليس فيها معنى للشرط، فالعامل فيها محذوف يفسره ما يدل عليه الجملة الثانية، وتقريره: أنبعث، أو أنحشر، وكنا كان واسمها وتراباً خبرها، أئنا الهمزة للاستفهام الإنكاري، وأن واسمها، واللام المزحلقة، وفي خلق خبر إن، وجديد صفة لخلق ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ ﴾ أولئك مبتدأ، والذين خبره، وجملة كفروا صلة، وبربهم متعلقان بكفروا ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْۖ ﴾ الواو عاطفة، وأولئك مبتدأ،

والأغلال مبتدأ ثان، وفي أعناقهم خبر الأغلال، والمبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدأ الأول، والأغلال جمع غل، وهو: طوق من حديد يُجعل في العنق ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ الواو عاطفة أيضاً، وأولئك مبتدأ، وأصحاب النار خبره، وهم مبتدأ، وفيها متعلقان بخالدون، وخالدون خبرهم، وجملة هم فيها خالدون خبر ثان لأولئك، أو حال ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ الواو عاطفة، ويستعجلونك فعل وفاعل ومفعول به، وبالسيئة متعلقان بيستعجلونك؛ لأنه ظرف للاستعجال ﴿وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ﴾ الواو للحال، وقد حرف تحقيق، وخلت فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف المحذوفة للالتقاء الساكنين، ومن قبلهم متعلقان بخلت، والمثلات فاعل خلت ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ﴾ الواو للحال أيضاً، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وذو مغفرة خبر إن، وللناس جار ومجرور متعلقان بمغفرة، وعلى ظلمهم حال من الناس، والعامل فيها مغفرة؛ لأنه العامل في صاحبها، والمعنى: ظالمين لأنفسهم، ومعنى على هنا المصاحبة، أي: كـ: مع ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ الواو عاطفة، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وشديد العقاب خبرها.

* الفوائـد:

في هذه الآية فن من فنون العرب في كلامهم، وهو القلب، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ﴾ لأن الأعناق هي التي تكون في الأغلال، ولا عكس، ومنه قول رؤبة:

ومَهْمَهٍ مُغْبَرَّة أرجاؤه ... كأنَّ لونَ أرضِه سماؤه

أي: كأن لون سمائه لون أرضه، فعكس التشبيه مبالغة، وحذف المضاف.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ

قَوۡمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ٱلۡأَرۡحَامُ ﴾ : جمع رحم ـ بفتح الراء وكسر الحاء، وبكسر الراء وسكون الحاء ـ: مستودع الجنين في أحشاء الحبلى، وهي مؤنثة، والرحم أيضاً القرابة، والمراد هنا الأول.

﴿ وَسَارِبُۢ ﴾ : ذاهب في سربه ـ بالفتح ـ أي: في طريقه ووجهه. يقال: سرب في الأرض سروباً وفي «المصباح»: سرب في الأرض سروباً، من باب: قعد، ذهب، وسرب الماء سروباً: جرى، وسرب المال سرباً: رعي نهاراً بغير راع، فهو سارب: وسرب تسمية بالمصدر، والسرب أيضاً: الطريق، ومنه يقال: خل سربه، أي: طريقه. والسرب ـ بالكسر ـ: النفس، وهو واسع السرب، أي: رخيّ البال. ويقال: واسع الصدر، بطيء الغضب. والسَّرَب ـ بفتحتين ـ: بيت في الأرض لا منفذ له، وهو الوكر.

﴿ مُعَقِّبَٰتٞ ﴾ : فيها احتمالان: أحدهما أن يكون جمع معقبة، بمعنى معقب، والتاء للمبالغة، كعلامة، ونسابة، أي: ملك معقب، ثم جمع هذا كعلامات، ونسابات. والثاني أن يكون جمع معقبة، صفة لجماعة، ثم جمع هذا الوصف، كجمل وجمال وجمالات. وقال الزمخشري: وقيل: المعقبات: الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه، وتقديره: من أمر الله، أي: من قضاياه ونوازله، أو على التهكم به.

○ الإعراب:

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ﴾ الواو استئنافية، ويقول الذين فعل وفاعل، وعدل عن الإضمار إلى الموصول ذماً لهم بكفرهم بآيات الله، وجملة كفروا صلة، ولولا حرف تحضيض بمعنى هلا، وأنزل فعل ماض مبني للمجهول، وعليه متعلقان بأنزل، وآية نائب فاعل، ومن ربه صفة لآية ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ إنما كافة ومكفوفة، وأنت مبتدأ، ومنذر خبر، ولكل خبر مقدم، وقوم مضاف إليه، وهاد مبتدأ مؤخر، والجملة مستأنفة ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ﴾ الله مبتدأ، وجملة يعلم خبر، وفاعل يعلم مستتر تقديره: هو، وما تحتمل ثلاثة أوجه متساوية: أحدها: أن تكون موصولة في محل نصب مفعول يعلم، وجملة تحمل كل أنثى صلة، والعائد محذوف، أي: تحمله. والثاني: أن تكون مصدرية، وهي مع مدخولها مفعول يعلم، فالجملة بعدها لا محل لها، ولا حاجة إلى العائد. والثالث: أن تكون استفهامية إما مبتدأ، وجملة تحمل خبر، والجملة معلقة للعلم، وإما مفعول مقدم لتحمل ﴿ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُۖ ﴾ عطف على الجملة السابقة، وتسري على «ما» الأوجه المتقدمة، وغاض وزاد يستعملان متعديين ولازمين، ومعنى غيض الأرحام وازديادها أفاض فيه المفسرون، وخلاصته: أن المراد به غذاء الولد في الرحم، فإذا خرج الدم نقص الغذاء، فينقص الولد، وإذا لم تحض يزداد الولد وينمو، وقيل: ما يتعلق بمدة الحمل. والرجوع لمعرفة التفاصيل إلى المطولات أولى ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾ كل مبتدأ، وشيء مضاف إليه، وعنده ظرف متعلق بمحذوف صفة لشيء، أو لكل، وبمقدار خبر، والمراد بالعندية: العلم بكمية كل شيء وكيفيته على الوجه المفصل المبين، أو العلم بوقت كل شيء وحالته المعينة ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ عالم الغيب خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو، والغيب مضاف إليه، والشهادة عطف، والكبير خبر ثان للمبتدأ المحذوف، والمتعال خبر

ثالث، ورسمت بغير ياء؛ لأنها رأس آية، ولولا ذلك لكان الجيد إثباتها ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ يجوز في سواء أن تكون خبراً مقدماً، ومنكم حال من ضميره، ومن موصول مبتدأ مؤخر، وهو في الأصل مصدر بمعنى مستو، وقد تقدم القول فيه في البقرة، ويجوز أن تكون مبتدأ، ومنكم صفة، ومن خبر، وجملة أسر القول صلة، أي: أخفاه في نفسه، ومن جهر به عطف على من أسر القول ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ ومن عطف على من السابقة، وهو مبتدأ، ومستخف خبر، والجملة الاسمية صلة، وبالليل جار ومجرور متعلقان بمستخف، وسارب عطف على مستخف، وبالنهار متعلقان بسارب، وقياس الكلام: ومن هو سارب، والسر فيه أن الموصول حذف، وصلته باقية، والمعنى: ومن هو مستخف بالليل، ومن هو سارب بالنهار، وحَذْف الموصول المعطوف، وبقاء صلته، شائع؛ خصوصاً وقد تكرر الموصول في الآية ثلاثاً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ الأصل: ولا ما يفعل بكم، وإلا كان حرف النفي دخيلاً في غير موضعه؛ لأن الجملة الثانية لو قدرت داخلة في صلة الأول بواسطة العاطف لم يكن للنهي موقع، وإنما صحب في الأول الموصول لا الصلة، ومنه قوله حسان:

فَمَـنْ يَهْجُـو رسـولَ اللهِ منكُـم ... ويَمْــدَحُــه ويَنْصُــرُه سَــوَاءُ

أي: ومن يمدحه وينصره سواء.

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ له خبر مقدم، والضمير مردود على «من»؛ كأنه قيل: لمن أسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات، ومعقبات مبتدأ مؤخر، ومن بين يديه صفة لمعقبات، أو متعلقان بمعقبات نفسها، ومن خلفه عطف على من بين يديه، وجملة يحفظونه صفة لمعقبات أيضاً ، ومن أمر الله متعلقان بيحفظونه، وتقدم القول في المراد بالمعقبات في باب: اللغة، ومعنى يحفظونه من أمر الله، أي: مما أمر هو به؛ لأنهم لا يقدرون أن يدفعوا أمر الله، قال ابن الأنباري:

وفي هذا قول آخر، وهو أن من بمعنى الباء، أي: يحفظونه بأمر الله، وقيل: إن من بمعنى عن، أي: يحفظونه عن أمر الله، بمعنى: من عند الله لا من عند أنفسهم، كقوله: ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ أي: عن جوع. وقيل: يحفظونه من ملائكة العذاب، وقيل: يحفظونه من الجن، واختار ابن جرير أن المعقبات: المواكب بين أيدي الأمراء، على معنى أن ذلك لا يدفع عنه القضاء.

وعبارة الفراء: في هذا قولان: أحدهما: أنه على التقديم والتأخير، تقديره: له معقبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، والثاني: أن كون الحفظة يحفظونه هو مما أمر الله به.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ إن واسمها، وجملة لا يغير خبرها، وفاعل يغير عائد على الله، وما موصول مفعول يغير، وبقوم صلة، وحتى حرف غاية وجر، ويغيروا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، وما مفعول به، وبأنفسهم صلة ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ الواو عاطفة، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه، وجملة أراد الله مضاف إليها، وبقوم متعلقان بأراد، والفاء رابطة، ولا نافية للجنس، ومرد اسمها، وله خبرها ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، ولهم خبر مقدم، ومن دونه حال، ومن زائدة، ووال مجرور لفظاً مرفوع محلاً؛ لأنه مبتدأ مؤخر.

□ **البلاغة:**

(١) الطباق في قوله: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ أي: ما تنقص وتزيد.

(٢) المبالغة أو الإفراط في الصفة على اختلاف في التسمية، والأولى لقدامة، أو الثانية لابن المعتز، والناس على تسمية قدامة، وعرفها قدامة فقال: هي أن يذكر المتكلم حالاً لو وقف عندها لأجزأت، فلا يقف عندها

حتى يزيد في معنى كلامه ما يكون أبلغ في معنى قصده، وهي أقسام عديدة: نوردها مختصرة فيما يلي:

آ ـ المبالغة في الصفة المعدولة عن الجارية بمعنى المبالغة، وقد جاءت على ستة أمثلة: فعلان كرحمن، عدل عن راحم للمبالغة، كما تقدم في البسملة، ولا يوصف به إلا الله تعالى، ولم تنعت العرب به أحداً في جاهلية ولا إسلام إلا مسيلمة الكذاب، نعتوه به، فقال شاعرهم:

سموتَ بالمجدِ يا ابنَ الأكرمين أباً　　فأنتَ غيثُ الورى لا زلتَ رحمانا

فأما الرحمن فلم يوصف به إلا الله.

وفعَّال كقوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾.

وفَعُول: كغفور، وشكور، وودود.

وفَعِيل: كعليم، وحكيم، وسميع.

ومِفْعَل: كمدعس ـ كمنبر ـ: الرمح يدعس به، أي: يطعن، كما في «تاج العروس».

ومِفْعَال: كمطعام، ومقدام.

ب ـ ما جاء بالصيغة العامة موضع الخاصة، كقولك: أتاني الناس كلهم، ولم يكن أتاك إلا واحد منهم، أردت تعظيمه، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فوعدهم سبحانه بجزاء غير مقدر؛ لإخراج العبارة مخرجاً عاماً؛ لتردد الأذهان في مقدار الثواب.

جـ ـ إخراج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة، كقوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ فجعل مجيء آياته مجيئاً له سبحانه.

د ـ إخراج الممكن من الشرط إلى الممتنع؛ ليمتنع وقوع المشروط؛ كقوله تعالى في سورة الأعراف، وقد تقدم: ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾.

هـ ـ ما جرى مجرى الحقيقة وقد كان مجازاً، كقوله تعالى: ﴿ يَكَادُ سَنَا

بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ فإن اقتران هذه الجملة بيكاد يصرفها إلى الحقيقة، فانقلبت من الامتناع إلى الإمكان.

وهذه مبالغة ظاهرة في جميع هذه الأقسام على أن هناك مبالغة مدمجة، وهي قوله تعالى في الآية التي نحن بصددها وهي: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ فإن مبالغة هذه الآية جاءت مدمجة في المقابلة.

وسيأتي مزيدٌ من المبالغة وأقسامها في مواضع متفرقة من هذا الكتاب.

□ الفوائد:

يكاد المفسرون يجمعون على أن هذه الآية تدل على أنه إذا عاش قوم في نعمة فإن الله لا يغيرها عنهم؛ إلا إذا عصوا ربهم، وظلم بعضهم بعضاً، ولازم هذا التفسير أن النعمة تدوم وتزداد بالشكر والطاعة، وأنها تزول بالجحود والطغيان، وكان وما زال في النفس شيء من هذا التفسير لأمور:

أولها: أننا نرى المحتكرين والمستثمرين كلما نشطوا في الطغيان والسلب والنهب، كثرت أموالهم، وربت.

وثانيها: أن هذا التفسير يتنافى مع قول الله تعالى في الآية الثالثة والثلاثين من سورة الزخرف: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ إذن فالسعة في الرزق لا تدل على رضا الله، كما أن الضيق لا يشعر بغضبه؛ لأنه لا يجزي الشاكرين بالذهب والفضة، ولا يعاقب العاصين بالحرمان منهما بل الأمر بالعكس، فقد جاء في القرآن الكريم أن الله يعاقب الجاحدين بكثرة الأموال: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾.

وثالثها: أنه متناف مع ما هو مأثور ومتعالم من أن المؤمن مبتلى وممتحن.

ولعل خير تفسير تتحمله الآية هو أن يقال: إن المرء الذي يثور أولاً على نفسه فيصلحها، إنما هو المصلح الحقيقي، وعلى ما ورث من تقاليد ونظم ربما كانت فاسدة، أو على ما أفسده الزمان فيصلحه هو، الذي يصح أن يكون معنياً بهذه الآية التي تكمن فيها روح الشجاعة والثورة على فساد العادات والتقاليد، وفساد العقائد والمبادىء، وعلى الفقر والجهل، وعلى الاستعمار والإقطاع، كما تكمن فيها روح الثورة على الذين يبنون قصوراً من عرق الكادحين، ويعدون سيارات من دموع المنكوبين.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ٱلسَّحَابَ ﴾: الغيم المنسحب في الهواء، والسحاب: اسم جنس واحده سحابة، فلذلك وصف بالجمع، وهو الثقال: جمع ثقيلة، ويفهم من كلام صاحب القاموس أنه جمع سحابة، قال: والسحابة: الغيم، والجمع سحاب، وسحائب، وسحب.

﴿ ٱلْمِحَالِ ﴾: المماحلة، وهي: شدة المماكرة والمكايدة، ومنه: تمحل لكذا؛ إذا تكلف استعمال الحيلة، واجتهد فيه. ومحل بفلان إذا كاده، وسعى به إلى السلطان. ؟ ومنه الحديث: «ولا تجعله علينا ما حلاً مصدقاً».

وقال الأعشى:

فَرْع نَبْعٍ يَهشُّ في غُصُنِ المَجْـ ـد غَزِير النَّدى شديد المِحال

ولعل أصله المحل بمعنى القحط، وقيل: فعل من المحل بمعنى القوة، فالميم أصلية، وقيل: أصله مفعل من الحول، أو الحيلة، أعل على غير قياس. وفي «القاموس»: والمحال ككتاب الكيد، وروم الأمر بالحيل، والتدبير، والقدرة، والجدال، والعذاب، والعقاب، والعداوة، والمعاداة، كالماحلة، والقوة، والشدة، والهلاك، والإهلاك، ومحل به مثلث الحاء محلاً ومحالاً: كاده بسعاية إلى السلطان، وماحله مماحلة ومحالاً: قاواه حتى يتبين أيهما أشد. وفي «الأساس»: وماحله كايده، وهو شديد المحال، ورجل متماحل: فاحش الطول، وبلد متماحل: بعيد، قال يصف فرساً:

مِــن المُسْبَطِــرَّاتِ الجِيــادِ طِمِــرَّةٌ
لَجُوجٌ هَواها السَّبْسَبُ المُتَمَاحِلُ

وقال آخر يصف بعيراً:

بَعِيـدٌ مِـن الحـادي إذا مـا تَـدَفَّعَـتْ
بناتُ الصُّوىَ في السَّبْسَبِ المُتَمَاحِل

وقال الزجاج يقال: ما حلته محالاً: إذا قويته حتى يتبين أيكما أشد، وقال ابن قتيبة: أي: شديد الكيد، وأصله: من الحيلة، جعل الميم كميم المكان، وأصله من الكون. قال الأزهري: غلط ابن قتيبة أن الميم فيه زائدة، بل هي أصلية، وإذا رأيت الحرف على مِثال فعال أوله ميم مكسور فهي أصلية، مثل مهاد، وملاك، ومراس.

○ **الإعراب:**

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ هو مبتدأ، والذي خبره، ويريكم البرق فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعولاه،

والجملة صلة، وخوفاً وطمعاً اختلف في نصبهما، فقيل: على المصدرية، أي: لتخافوا خوفاً، ولتطعموا طمعاً. وقيل: هما حالان من الكاف في يريكم، أي: حال كونكم خائفين وطامعين، ويجوز أن يكونا مفعولاً لهما. واختاره أبو البقاء، ومنعه الزمخشري، ونص عبارته: لا يصح أن يكونا مفعولاً لهما؛ لأنهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل، إلا على تقدير حذف المضاف، أي: إرادة خوف وطمع، أو على معنى إخافة وإطماعاً، ويجوز أن يكونا منتصبين على الحال من البرق، كأنه في نفسه خوف وطمع، أو على ذا خوف وذا طمع، أو من المخاطبين، أي: خائفين وطامعين، ومعنى الخوف والطمع أن وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث، قال أبو الطيب:

فَتىً كالسَّحَابِ الجُونِ يُخْشَىٰ ويُرْتَجَى
يُـرَجَّى الْحَيَا منها وتُخْشَى الصَّوَاعِقُ

على أن منع الزمخشري فيه تعسف، ويمكن أن يكونا مفعولاً لهما، على أن المفعول له في مثل هذاالفعل فاعل في المعنى؛ لأنه إذا أراهم فقد رأوا، والأصل: وهو الذي يريكم البرق فترونه خوفاً وطمعاً، أي: ترقبونه وتتراءونه تارة لأجل الخوف، وتارة لأجل الطمع. وينشىء السحاب عطف، والسحاب مفعول به، والثقال صفة للسحاب ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ عطف على ما تقدم، ويسبح الرعد فعل مضارع وفاعل، وبحمده في موضع نصب على الحال، وفي هذه الباء خلاف ترى بحثاً عنه في باب الفوائد، والملائكة عطف على الرعد، أي: ويسبح الملائكة من هيبته وإجلاله، فهو متعلق بيسبح، ولك أن تنصبه على الحال، أي: هائبين وخائفين ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ ويرسل الصواعق عطف على ما تقدم فيصيب عطف أيضاً، وبها متعلقان بيصيب، ومن مفعول به ليصيب، وجملة يشاء صلة ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ الواو استئنافية أو حالية وهم مبتدأ وجملة يجادلون خبر،

وفي الله متعلقان بيجادلون، والواو حالية، وهو مبتدأ، وشديد المحال: خبره، والجملة حالية ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ له خبر مقدم، ودعوة الحق مبتدأ مؤخر، وهي من إضافة الموصوف إلى صفته، أي: لدعوة الحق المطابقة للواقع ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ والذين مبتدأ، وجملة يدعون صلة، والضمير في يدعون عائد على الكفار، والعائد على الذين محذوف، أي: يدعونهم ويؤيده قراءة من قرأ تدعون بالتاء في تدعون، وقيل: الذين، أي: الكفار الذين يدعون، ومفعول يدعون محذوف، أي: يدعون الأصنام، والعائد على الذين الواو في يدعون، والواو في «ولا يستجيبون» عائد في هذا القول على مفعول يدعون المحذوف، وعلى القول الأول على الذين، ومن دونه حال، وجملة لا يستجيبون خبر، ولهم متعلقان بيستجيبون، وكذلك بشيء ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ إلا أداة حصر، وكباسط متعلق بمحذوف نعت لمصدر محذوف، أي: إلا استجابة كاستجابة باسط كفيه، وكفيه مضاف لباسط، وإلى الماء جار ومجرور متعلقان بباسط، وليبلغ اللام للتعليل، ويبلغ مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بباسط، وفاه مفعول به، وعلامة نصبه الألف؛ لأنه من الأسماء الخمسة، وفاعل يبلغ ضمير الماء، والواو حالية، وما نافية حجازية، وهو اسمها، واختلف في هذا الضمير فقيل: إنه ضمير الماء، والهاء في «ببالغه» للفم، وقيل: إنه ضمير الفم، والهاء في ببالغه للماء، وقيل: إنه ضمير لباسط، والهاء في «ببالغه» للماء، و«ببالغه»: الباء حرف جر زائد، وبالغه مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ الواو حالية، أو استئنافية، وما نافية، ودعاء الكافرين مبتدأ، وإلا أداة حصر، وفي ضلال خبر.

□ البلاغة:

(١) في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ فن رائع من فنون البلاغة، وهو: «صحة الأقسام» ويمكن تحديده بأنه عبارة عن

استيفاء المعنى من جميع أقسامه ووجوهه، بحيث لا يغادر المتكلم منها شيئاً، ففي الآية المذكورة استوفي قسمي رؤية البرق، إذ ليس فيها إلا الخوف من الصواعق، والطمع في الأمطار، كما ألمعنا في الإعراب، ولا ثالث لهذين القسمين، ولكن مجرد استيفاء الأقسام لا يعتبر بياناً، بل هناك أمر أبعد من ذلك، وأدق، وأبعد منالاً، وهذا الأمر هو تقديم ما هو أولى بالذكر، وأجدر بالتقديم، وفي الآية قدم الخوف على الطمع إذ كانت الصواعق يجوز وقوعها من أول برقة، ولا يحصل المطر إلا بعد تواتر الإبراق؛ لأن تواتره لا يكاد يخلف، ولهذا كانت العرب تعد سبعين برقة وتنتجع فلا تخطىء الغيث والكلأ، وقد رمق أبو الطيب سماء هذه البلاغة العالية فقال:

وقَــدْ أَرِدُ الميــاهَ بِغَيْــرِ هَــادٍ سِوَى عَدِّي لَهَا بَرْقَ الغَمَامِ

يقول: لا أحتاج في ورود الماء إلى دليل يدلني سوى أن أعد برق الغمام، فأتبعه كعادة العرب في عدها بروق الغمام، قال ابنُ السكيت: العرب إذا عدت مئة برقة لم تشك في أنها ماطرة قد سقت، فتتبعها على الثقة بالمطر. وقال ابنُ الأعرابي في «النوادر»: العرب كانوا إذا لاح البرق عدوا سبعين برقة، فإذا كملت وثقوا بأنه برق ماطر، فرحلوا يطلبون موضع الغيث، وأنشد عمر بن الأعور:

سقى اللهُ جيراناً حمدت جِوارهُم
كــرامــاً إذا عُــدُّوا وفــوقَ كــرام
يعــدُّون بــرقَ المــزن فــي كــلِّ مهمــهٍ
فمــا رزقهــم إلاَّ بــروق غَمــام

ولما كان الأمر المخوف من البرق يجوز وقوعه من أول برقة واحدة، أتى ذكر الخوف في الآية مقدماً أولاً؛ لكون الواحد أول العدد، ولما كان الأمر المطمع من البروق إنما يقع بعد عدد من الأبراق، أتى ذكر الطمع تالياً، لكونه لا يقع إلا في أثناء العدد، وليكون الطمع ناسخاً للخوف، كمجيء الرخاء

بعد الشدة، والفرج بعد الكربة، والمسرة بعد الحزن، فيكون ذلك أحلى موقعاً في القلوب، ويشهد لهذا التفسير قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ﴾ فجاء معنى الآية على ما جاء رحمة من الله سبحانه بخلقه، وبشرى لعباده.

المؤاخاة بين المعاني والمؤاخاة بين المباني:

وحيث وصلنا إلى هذا المدى من ترتيب الأقسام، يجدر بنا أن نتحدث عن المؤاخاة بين المعاني والمؤاخاة بين المباني، وأنها سُّر البيان ونسمة الروح فيه، وقد أخذوا على أبي الطيب قوله على أنه آية في الحسن والروعة:

لِمَنْ تَطْلُبُ الدُّنيا إذا لَمْ تُرِدْ بِهَا سُرُورَ مُحِبٍّ أو مساءةَ مُجْرِمِ

فإن المقابلة الصحيحة بين المحب والمبغض، لا بين المحب والمجرم، وليس كل من أجرم إليك كان مبغضاً لك.

وروى أبو الفرج في الأغاني أنه اجتمع نصيبٌ والكميت وذو الرمة فأنشد الكميت:

أم هل ظعائن بالعلياءِ رافعةٌ

وإن تكاملَ فيها الدَّلُّ والشَّنب

فعقد نصيب واحدة، فقال له الكميت: ماذا تحصي؟ قال: خطأك، فإنك تباعدت في القول، أين الدل من الشنب؟ ألاّ قلت كما قال ذو الرمة:

لَمْيَاءُ في شَفَتَيْها حُوَّةٌ لَعَسٌ

وفي اللِّثاثِ وفي أَنْيَابِها شَنَبُ

وهذا موضع دقيق ـ كما قلنا ـ يتورط فيه أرباب النظم والنثر كثيراً، وهو مظنة الغلط؛ لأنه يحتاج إلى شفوف طبع، وثقوب نظر. وقد وقع الخطأ لأبي نواس في قوله في وصف الديك، وهي أرجوزة سنوردها في باب: الفوائد لملاحتها وندرتها؛ ولأن الدواوين الموجودة بين أيدينا أوردتها خطأ، قال:

لـه اعتـدالٌ وانتصابُ قـدّ وجِلْـدُه يشبـه وشـيْ البـرد

كـأنَّهـا الهُـدابُ في الفـرنْـد محدودب الظهر كريم الجد

فإن ذكر الظهر من جملة الخلق والجد من النسب، وكان ينبغي أن يذكر مع الظهر ما يقرب منه، ويؤاخيه أيضاً، وسيرد من أمثلة هذا الفن في كتابنا الشيء الكثير.

(٢) وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ تشبيه تمثيلي رائع، فقد شبه دعوة الكفار للآلهة ليستجيبوا لهم، ثم صمم الآلهة وجمودها وعدم استجابتها، وهذا هو المشبه المركب بمن يبسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه، وهو بعيد عنه، ثم يبالغ في الدعوة، ويحمله الهوس على الرجاء من الماء أن يستجيب، وهو جماد لا يشعر، فهذا هو المشبه به. وقيل: شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه، فبسطها ناشراً أصابعه، فلم تلق كفاه منه شيئاً، ولم يبلغ طلبته وشربته.

وقال أبو عبيدة: أي: كالقابض على الماء ليس على شيء. قال: والعرب تضرب المثل في الساعي فيما لا يدركه بالقابض على الماء، وأنشد سيبويه:

فـأصبحـت فيمـا كـان بينـي وبينهـا
من الودِّ مثل القابضِ الماءَ باليد

وقال آخر:

وإنِّي وإيـاكُـم وشـوقـاً إليكـمُ كقابض ماء لم تطعه أنامِلُه

وقال آخر:

ومَنْ يأمنِ الدُّنيا يكن مثل قابضٍ على الماء خانته فروجُ الأصابع

* **الفوائـد:**

(١) خلاف حول الباء:

اختلف النحاة والمعربون في الباء من قوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ فقيل: هي للمصاحبة، أو الملابسة، أو باء الحال، أي: يسبحه

حامداً له، أي: ينزهه عما لا يليق به، ويثبت له ما يليق به، وضابط هذه الباء أن يغني عنها، وعن مصحوبها الحال، كما رأيت. أو يحسن في موضعها «مع». وقيل: هي للاستعانة، أي: يسبحه بما حمد به نفسه، فيكون الحمد مضافاً إلى الفاعل، أما في الأولى فهو مضاف إلى المفعول ومن العجيب أن ابن خالويه النحوي أعربها في كتابه: «إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم» عند إعرابه: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أعربها زائدة، ولا أدري كيف استساغ ذلك ومواضع زيادة الباء معروفة، وهي هنا ليست واحدة منها.

سبحانك اللهم وبحمدك:

قال ابن هشام في «مغني اللبيب»: واختلف في «سبحانك اللهم وبحمدك» فقيل: جملة واحدة، وليس مراد المغني الخلاف في الباء، بل في الواو، على أن الواو زائدة، وقيل: جملتان على أنها عاطفة، ومتعلق الباء محذوف، أي: بحمدك سبحتك لا بحولي وقوتي، يريد: أنه مما أقيم فيه المسبّب مقام السبب.

٢ ـ قصيدة أبي نواس في وصف الديك:

وعدناك بإثبات أرجوزة أبي نواس في وصف الديك، وبراً بالوعد نثبتها كما رأينا، وخلافاً لما وردت عليه في الدواوين:

أَنْعَتُ دِيكاً مِن دُيُوكِ الهِنْدِ ... أحسنَ من طاووس قطر المهدي
أسجع من عادي عرين الأسدِ ... ترى الدجاجَ حوله كالجُنْدِ
يقعين منه خيفةً للسّفْدِ ... له سقاع كدويِّ الرَّعدِ
منقاره كالمعول المُحَدِّ ... يقهر ما ناقره بالنّقدِ
عيناه منه في القَفَا والخدِّ ... ذو هامة وعنق كالوردِ
وجلدة تشبه وشي البردِ ... ظاهرها زَفٌّ شديد الوقدِ
كأنه الهدَّابُ في الفرندِ ... مضمَّر الخلق عميم القدِّ
له اعتدالٌ وانتصابُ قدِّ ... محدودب الظهر كريم الجدِّ

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ (١٥) قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ (١٦) أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ (١٧) لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ (١٨) ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ بِٱلْغُدُوِّ ﴾ جمع غُدوة ـ بضم الغين ـ وتجمع أيضاً على غُدى، والغداة بفتح الغين، وتجمع على غدوات والغديّة، وتجمع على غدايات وغديات: البكرة، أو ما بين الفجر وطلوع الشمس.

﴿ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴾ جمع الأصيل، وهو: الوقت بين العصر والمغرب، ويجمع أيضاً على آصال، وأصائل، وأُصُل، وأُصْلان.

﴿احتمل﴾: أي: حمل، فافتعل بمعنى المجرد، أو هو بمعنى المطاوع، كما يفهم من عبارة «الأساس»: وحملت الشيء، وحملنيه غيري، فاحتملته، وتحملته. ومن المجاز: حَملْتُ أدلاله عليّ واحتملتُه، قال:

أَدَلَّتْ فَلَمْ أَحمِلْ وقالتْ فلم أُجبْ
لَعَمْرُ أَبِيها إنَّني لَظَلُومُ

﴿زَبَدًا﴾: الزبد: وضر الغليان، والوضر ـ بفتحتين وبالضاد المعجمة ـ: وسخ الدسم ونحوه، وعبارة الخازن: الزبد ما يعلو على وجه الماء عند الزيادة كالحبب، وكذلك ما يعلو على القدر عند غليانها. والمعنى: فاحتمل السيل الذي حدث من ذلك الماء زبداً رابياً، أي: عالياً مرتفعاً فوق الماء طافياً عليها. وفي «القاموس»: الزبد ما يعلو على وجه الماء ونحوه من الرغوة، ومن معانيه: الخبث، ومنه المثل: «صَرَّحَ المخض عن الزبد» يعنون بالزبد رغوة اللبن، يضرب للصدق يحصل بعد الخبر المظنون.

﴿جُفَآءً﴾ قال ابن الأنباري: الجفاء: المتفرق، يقال: جفأت الريح السحاب، أي: قطعته ومزقته، وقيل: الجفاء ما يرمي به السيل، يقال: جفأت القدر بزبدها تجفأ من باب: قطع، وجفأ السيل بزبده، وأجفل باللام، وفي همزة جفاء وجهان: أظهرهما: أنها أصل لوجودها في تصاريف هذه المادة، والثاني: أنها بدل من واو. وقال في «الأساس»: ذهب الزبد جفاء، أي: مدفوعاً مرمياً به قد جفأه الوادي إلى جنباته، ويقال: جفأت القدر بزبدها، ومرّ جفاء من العسكر إلى البيات، أي: جماعة معتزلة من معظمه، وتقول: سامه جفاء، ونبذه جفاء: إذا عزله عن صحبته.

وحكى أبو عبيدة أنه سمع رؤبة يقرأ جفالاً، قال أبو عبيدة يقال: أجفلت القدر؛ إذا قذفت بزبدها، وأجفلت الريح السحاب؛ إذا قطعته. قال أبو حاتم: لا يقرأ بقراءة رؤبة؛ لأنه كان يأكل الفأر.

○ الإعراب:

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، ومسوقة لبيان انقياد الخلائق جميعها، والكائنات بأسرها للقوة الخالقة المدبرة، والتصرف على مشيئته في الحركة والسكون والامتداد والزوال، أو الفيء والتقلص، ولله متعلقان بيسجد، ومن فاعل يسجد وفي السموات والأرض صلة من وطوعاً وكرهاً نصب على الحال، أي: طائعين

وكارهين، أو على المصدرية، أي: انقياد طوع وانقياد كره ﴿ وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ۩ ﴾ الواو عاطفة، وظلالهم عطف على من، وبالغدو والآصال متعلقان بيسجد ﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ ﴾ قل فعل أمر، وفاعله أنت، والجملة بعده مقول القول، ومن اسم استفهام مبتدأ، ورب السموات والأرض خبر، وقل فعل أمر، ولله خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو الله، أو مبتدأ، والخبر محذوف، أي: لله رب السموات والأرض ﴿ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التهكمي، والفاء عاطفة على محذوف، كأن في الكلام تقديراً بين الهمزة والفاء، تقديره: قل أأقررتم بالجواب المذكور فاتخذتم، وقد تقرر هذا كثيراً، واتخذتم فعل وفاعل، ومن دونه حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لأولياء، وأولياء مفعول به، وجملة لا يملكون صفة، ولأنفسهم حال، أو بالنفع والضر على أنهما مصدران، ونفعاً مفعول به، ولا ضراً عطف عليه ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ ﴾ هل حرف استفهام بمعنى النفي، أي: لا يستويان، ويستوي الأعمى فعل مضارع وفاعل، وأم حرف عطف، وهل تستوي الظلمات، والنور عطف على الجملة السابقة، ولك أن تجعل أم منقطعة بمعنى بل ﴿ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ أم المنقطعة، وجعلوا فعل وفاعل، ولله حال؛ لأنه كان صفة، لشركاء، وشركاء مفعول به، أو لله مفعول به ثان لجعلوا، وجملة خلقوا صفة، والكاف مع مدخولها نعت لمفعول محذوف، أي: خلقوا خلقاً مثل خلقه، والفاء حرف عطف، وتشابه الخلق فعل ماض وفاعل وعليهم متعلقان بتشابه ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴾ الله مبتدأ، وخالق كل شيء خبر، وهو مبتدأ، والواحد خبر، والقهار خبر ثان ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة لضرب مثل لتقدير ما تقدم، وأنزل فعل ماض، وفاعله مستتر تقديره: هو أي الله تعالى، ومن السماء جار ومجرور متعلقان بأنزل، وماء مفعول به، والفاء حرف عطف، وسالت أودية فعل وفاعل، وبقدرها متعلقان بسالت، أو بمحذوف صفة لأودية أي: بمقدار ما يملؤها، وسيأتي

مزيد بحث عنه في باب: البلاغة ﴿ فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ﴾ الفاء عاطفة، واحتمل السيل فعل ماض وفاعل، وزبداً مفعول احتمل لأنه بمعنى حمل، ورابياً صفة لزبداً، أي: طافياً على وجهه وعالياً عليه، ومما الواو عاطفة لتعطف مثلاً آخر على المثل الأول، ومما خبر مقدم، وجملة يوقدون صلة، وعليه متعلقان بيوقدون، وفي النار حال، وابتغاء حلية مفعول لأجله على الأصح، وقيل مصدر بمعنى الحال، أي: مبتغين حلية، وليس ثمة مانع من ذلك، وأو حرف عطف، ومتاع معطوف على حلية، وزبد مبتدأ مؤخر، ومثله صفة، أي: مثل زبد السيل، وهو وضره الذي ينفيه كير الحداد ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ ﴾ كذلك نعت لمصدر محذوف، أي: مثل ذلك المذكور من الأمور الأربعة مثلين للحق ومثلين للباطل، فالأولان الماء والجوهر، والآخران الزبد والوضر، ويضرب الله الحق فعل مضارع ومفعول به، والباطل عطف على الحق ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ﴾ الفاء عاطفة للتفريع، وأما حرف شرط وتفصيل، والزبد مبتدأ، والفاء رابطة، وجملة يذهب خبر، وجفاء حال ﴿ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ الواو عاطفة، وأما حرف شرط وتفصيل، وما موصول مبتدأ، وجملة ينفع الناس صلة، والفاء رابطة، وجملة يمكث في الأرض خبر ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ تقدم إعرابه ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ اختلفت آراء المعربين في إعراب هذه الآية، ونرى أن هنالك وجهين هما أولى نوردهما، فالأول: للذين خبر مقدم، وجملة استجابوا صلة، ولربهم متعلقان باستجابوا، والحسنى مبتدأ مؤخر، والثاني: للذين متعلقان بيضرب في الآية السابقة، والحسنى صفة لمصدر محذوف، أي: الاستجابة الحسنى ﴿ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ ﴾ ويتمشى على هذه الآية الإعرابان المتقدمان، فلك أن تجعل الذين مبتدأ، فيكون الكلام مستأنفاً، وخبره لو وما في حيزها، ولك أن تعطفها نسقاً على الذين السابقة، وجملة لم يستجيبوا صلة، وله متعلقان بيستجيبوا، ولو شرطية، وأن وما في حيزها فاعل لفعل محذوف، وقد تقدم، ولهم خبر إن وما اسمها، وفي

الأرض صلة، وجميعاً حال، ومثله عطف، ومعه ظرف متعلق بمحذوف حال، أي: كائناً معه، لافتدوا اللام واقعة في جواب لو، وافتدوا فعل ماض، والواو فاعل، وبه متعلقان بافتدوا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ أولئك مبتدأ، ولهم خبر مقدم، وسوء الحساب مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية خبر أولئك، ومأواهم مبتدأ، وجهنم خبر مأواهم، وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم، والمهاد فاعل، والمخصوص بالذم محذوف، أي: مهادهم، أو هي.

□ **البلاغة:**

(١) استعارة السجود للانقياد والخضوع، وهما من خصائص العقلاء للكائنات العاقلة وغير العاقلة والطوع الناشىء عن اختيار، وهو الصادر عن الإنسان والكره الناشىء عن غير اختيار، وهو الصادر عن الجماد، ومعنى انقياد الظلال: مطاوعتها لما يراد منها كطولها، وقصرها، وامتدادها، وتقلصها.

ولأبي حيان كلام لطيف نثبته فيما يلي دفعاً للأوهام قال: وكون الظلال يراد بها الأشخاص، كما قال بعضهم ضعيف وأضعف منه قول ابن الأنباري: أنه تعالى جعل للظلال عقولاً تسجد بها وتخشع بها، كما جعل للجبال أفهاماً حتى خاطبت وخوطبت؛ لأن الجبل لا يمكن أن يكون له عقل بشرط تقدير الحياة، وأما الظل فعرض لا يتصور قيام الحياة به.

(٢) التهكم، والفرق بينه وبين الهزل الذي يراد به الجد أن التهكم ظاهره جد وباطنه هزل؛ لمجيئه على سبيل الاستهزاء والسخرية، هذا على ما تعارفناه بيننا والهزل الذي يراد به الجد ظاهره هزل وباطنه جد، وفي قوله تعالى: ﴿خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ﴾ في سياق الإنكار تهكم بهم؛ لأن غير الله لا يخلق خلقاً البتة لا بطريق المشابهة والمساواة، ولا بطريق الانحطاط والقصور، فقد كان يكفي في الإنكار عليهم أن الشركاء التي اتخذوها

لا تخلق مطلقاً، ولكن جاء قوله تعالى كخلقه تهكماً يزيد الإنكار تأكيداً، وقد أسلفنا القول في التهكم، وأوردنا أبياتاً لابن الرومي وغيره فيه، ونرى من المفيد أن نتحدث قليلاً عن نقيضه، وهو الهزل المراد به الجدّ، وهو أن يقصد المتكلم مدح شيء أو ذمه، فيخرج ذلك المقصود مخرج الهزل المعجب والمجون المطرب، وخير مثال عليه قول أبي نصر بن أبي الفتح كشاجم:

صديقٌ لنا من أبدع النَّاس في البخل
وأفضلهم فيه وليس بذي فضل
دعاني كما يدعو الصَّديق صديقه
فجئت كما يأتي إلى مثله مِثْلي
فلما جلسنا للطَّعام رأيته
يرى أنه من بعضِ أعضائه كلي
ويغتاظُ أحياناً ويشتمُ عبده
وأعلم أنَّ الشتمَ والغيظَ من أجلي
فأقبلتُ أستلُّ الغذاء مخافةً
وألحاظُ عينيه رقيبٌ على فعلي
أمدُّ يدي سرّاً لأسرق لقمةً
فيلحظني شزراً فأعبث بالبقل
إلى أن جنتْ كفي لحتفي جناية
وذلك أنَّ الجوعَ أعدمني عقلي
فجرت يدي للحين رجل دجاجة
فجرت كما جرتْ يدي رجلها رجلي
وقدم من بعد الطَّعام حلاوة
فلم أستطعْ منها أمر ولا أحلي

وقمتُ لو أني كنت بيّتّ نية
ربحتُ ثواب الصَّوم من عدم الأكل

(٣) المثل: تقدم القول في «المثل السائر» ونقول هنا: إن كتاب الله الكريم طافح بالأمثال، وفي قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ مثلان ضربهما الله للحق وأهله والباطل وحزبه، فمثّل الحق وأهله بالماء الذي ينزل من السماء، فتسيل به أودية الناس، فتخصوصب، وتخضر، وتنبت، وتزدهر، وينتفعون بأنواع المنافع، وبالجواهر التي يصوغون منها الحلي، والآلات التي تضفي عليهم القوة والهيبة والجمال والبأس الشديد، وإن ذلك كله ماكث في الأرض لا تخلق له جدة، ولا تذبل منه نضارة، وشبّه الباطل في سرعة اضمحلاله، ووشك زواله، وانسلاخه عن المنافع بزبد السيل الطافي؛ الذي تقحمه العين، وينبو عنه البصر لعدم جدواه، وبالوضر الذي يطفو فوق الجوهر إذا أذيب، وقد انطوت تحت هذا المثل الرائع أنواع من البلاغة، نوردها باختصار:

آ ـ تنكير الأودية؛ لأن المطر لا يأتي إلا على طريق التناوب بين البقاع.

ب ـ الاحتراس بقوله: ﴿بِقَدَرِهَا﴾ أي: بمقدارها الذي عرف الله أنه نافع للممطور عليهم غير ضار، وإلا فلو طما واستحال سيلاً لاجتاح الأخضر واليابس، ولأهلك الحرث والنسل.

جـ ـ تعريف السيل؛ لأنه قد فهم من الفعل قبله، وهو قوله تعالى: ﴿فَسَالَتۡ﴾ وهو لو ذكر لكان نكرة، فلما أعيد أعيد معرفة نحو: رأيت رجلاً فأكرمت الرجل، وهكذا تطرد القاعدة في النكرة إذا أعيدت.

د ـ مراعاة النظير في ألفاظ الماء، والسيل، والزبد، والربو، وفي ألفاظ النار، والجوهر، والفلزات المعدنية، والإيقاد، والحلية، والمتاع.

هـ ـ اللف والنشر الموشى في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ﴾ إلى آخر الآية.

واعلم أن وجه المماثلة بين الزبدين في الزبد؛ الذي يحمله السيل والزبد؛ الذي يعلو الأجسام المنطرقة أن تراب الأرض لما خالط الماء، وحمله معه، صار زبداً رابياً فوقه، وكذلك ما يوقد عليه في النار حتى يذوب من الأجسام المنطرقة، فإن أصله من المعادن التي تنبت في الأرض، فيخالطها التراب، فإذا أذيبت صار ذلك التراب؛ الذي خالطها خبثاً مرتفعاً فوقها.

﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾

○ الإعـراب:

﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ﴾ أفمن تقدم القول في هذا التركيب كثيراً، ونعيده للفائدة فالهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء مؤخرة من تقديم، أو عاطفة على محذوف هو مدخول الهمزة، والتقدير: أيستوي المؤمن والكافر أفمن يعلم. ومن مبتدأ، وجملة يعلم صلة، ولك في أنما وجهان أن تجعلها كافة ومكفوفة، فأنزل فعل ماض مبني للمجهول، وإليك حال، ومن ربك متعلقان بأنزل، والحق نائب فاعل، ولك أن تفصل ما، فتعرب أن حرفاً مشبهاً للفعل، وما: اسمها، والحق خبرها، وأن وما في

حيزها على الوجهين سدت مسد مفعولي يعلم، والكاف اسم بمعنى مثل خبر من، وهو مبتدأ، وأعمى خبر، والجملة الاسمية صلة من ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ إنما كافة ومكفوفة، ويتذكر فعل مضارع، وأولوا فاعله، وهو مرفوع، وعلامة رفعه الواو؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والألباب مضاف إليه ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ الذين مبتدأ، وخبره سيأتي فيما بعد، وهو قوله: «أولئك لهم عقبى الدار» ولك أن تعربه بدلاً من أولي الألباب تفادياً؛ لطول الفصل بين الابتداء والخبر، وجملة يوفون صلة وبعهد الله متعلقان بيوفون، ولا ينقضون الميثاق عطف على الجملة السابقة، وستأتي سبع صفات أخرى لهم، فتكون صفاتهم ثمانياً ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ والذين عطف على الذين، وجملة يصلون صلة، وما مفعول به، وجملة أمر الله صلة، ومفعول أمر محذوف، والتقدير: ما أمرهم، وبه متعلقان بأمر وأن، وما في حيزها بدل من الضمير المجرور، وهو الهاء، أي: بوصله ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ ويخشون عطف على يصلون، ويخشون فعل مضارع وفاعل، وربهم مفعول به، ويخافون عطف على يخشون، وسوء الحساب مفعول به ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ والذين عطف على الذين السابقة، وصبروا صلة، وابتغاء وجه ربهم مفعول لأجله، وقال بعضهم: «والذين صبروا» قيل: هو كلام مستأنف، وقيل: معطوف على ما قبله، والتعبير عنه بلفظ المضي للتنبيه على أنه ينبغي تحققه ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ وأقاموا الصلاة عطف، وهي فعل وفاعل ومفعول به، وأنفقوا عطف على أقاموا، ومما متعلقان بأنفقوا، وجملة رزقناهم صلة، وهي فعل وفاعل ومفعول به، وسراً وعلانية منصوبان بنزع الخافض، أو هما مصدران في موضع الحال، واختار هذا أبو البقاء، أي: في السر والعلانية، ويجوز نصبهما على الحال، أي: مسرين ومعلنين ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ عطف على ما تقدم، وبها تكتمل أوصافهم الثمانية، وبالحسنة متعلقان بيدرؤون، والسيئة مفعول به ليدرؤون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ أولئك مبتدأ، ولهم خبر مقدم، وعقبى الدار مبتدأ مؤخر، وجملة لهم عقبى

الدار خبر أولئك، والجملة كلها خبر الذين الأولى ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ﴾ جنات عدن بدل من عقبى الدار، أو خبر لمبتدأ محذوف، أي: هي جنات، أو مبتدأ، وجملة يدخلونها خبر، وعلى الأولين تكون الجملة حالية.

ومن عطف على الواو في يدخلونها، ولاحاجة لتقدير ضمير، كما فعل بعض المعربين لوجود الفصل بالضمير المنصوب، وللك أن تعربها مفعولاً معه، والواو واو المعية، وجملة صلح صلة، ومن آبائهم حال، وما بعده عطف عليه ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ الواو حالية، والملائكة مبتدأ، وجملة يدخلون خبر، وعليهم متعلقان بيدخلون، ومن كل باب متعلقان بيدخلون أيضاً ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ سلام مبتدأ، وعليكم خبر، وساغ الابتداء به لما فيه من معنى الدعاء، والجملة مقول قول محذوف في موضع نصب على الحال، أي: قائلين، وبما صبرتم الباء حرف جر، وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مجرور بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف، تقديره: هذا بما صبرتم، أي: هذا بسبب صبركم، فهما خبر لمبتدأ محذوف، أو متعلق بسلام، أي: نسلم عليكم، ونكرمكم بصبركم، وعن النبي ﷺ أنه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول، فيقول: «السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار». والفاء الفصيحة، ونعم فعل ماض جامد لإنشاء المدح، وعقبى الدار فاعل نعم، والمخصوص بالمدح محذوف، أي: هي.

□ **البلاغـة:**

في قوله تعالى: ﴿ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ فن الاحتراس، وقد تقدم فقد انتفى بقوله ابتغاء وجه ربهم أن يكون صبرهم ناشئاً عن حب الجاه والشهرة، أو ليقال ما أصبره، وأحمله للنوازل، وأوقره عند الزلازل لئلا يشمت به الأعداء، كقول أبي ذؤيب:

وتجلُّـدي للشَّـامتيـن أُريهـم   أنِّي لريبِ الدَّهر لا أتزعزعُ

ولا اعتقاداً منهم بأن الأمر مقدور، ولا مفر منه، ولا طائل من الهلع، ولا مرد للفائت، ولا دافع لقضاء الله، كقوله:

مـا إن جـزعـتُ ولا هلعـ ـتُ ولا يـردّ بكـاي زنـدا

﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾

☆ **اللغـة:**

﴿ طُوبَىٰ ﴾: مصدر من الطيب كبشرى ورجعى وزلفى، فالمصدر قد يجيء على وزن فعلى، وأصله يائي، فهي طيبى، قلبت الياء واواً لوقوعها ساكنة إثر ضمة، كما قلبت في موقن وموسر من اليقين واليسر، ومعنى طوبى لك أصبت خيراً طيباً، ومحلها النصب أو الرفع، كقولك: طيباً لك، وطيب لك، وسلاماً لك، وسلام لك، وفي «القاموس»: الطوبى مؤنث الأطيب والغبطة، والسعادة، والخير، والخيرة، وجمع طيبة، وهذا من نوادر الجموع.

○ **الإعـراب:**

﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾ الذين مبتدأ، وجملة ينقضون صلة، والواو فاعل، وعهد الله مفعول به، ومن بعد ميثاقه حال ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ تقدم إعراب نظيرتها ﴿ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ عطف على الجمل السابقة ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ أولئك مبتدأ، وخبره لهم اللعنة، وقد تقدم إعراب نظيرتها، وجملة أولئك لهم اللعنة خبر الذين، ولهم

سوء الدار عطف على لهم اللعنة ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ الله مبتدأ، وجملة يبسط الرزق خبر، ولمن متعلقان بيبسط، وجملة يشاء صلة، ويقدر عطف على يشاء ﴿ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ الواو استئنافية، وجملة فرحوا مستأنفة، مسوقة لبيان قبح أفعالهم مع ما أفاضه عليهم من رزق ونعم سوابغ، وبالحياة جار ومجرور متعلقان بفرحوا، والدنيا صفة للحياة ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾ الواو حالية، وما نافية، والحياة مبتدأ، والدنيا صفة، وفي الآخرة حال على حذف مضاف، أي: في جنب الآخرة، والتقدير: وما الحياة الدنيا كائنة في جنب الآخرة، و«في» هذه للمقايسة، وهي الداخلة بين مفضول سابق وفاضل لاحق، ولا يجوز أن تكون «في» للظرفية؛ لأن الحياة الدنيا لا تكون في الآخرة، وإلا أداة حصر، ومتاع خبر ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ الواو عاطفة ليتساوق الارتباط بين قولهم وما كانوا عليه من ضلال، ويقول الذين: فعل مضارع وفاعل، وجملة كفروا صلة، ولولا حرف تحضيض بمثابة هلا، وأنزل فعل ماض مبني للمجهول، وعليه متعلقان بأنزل، والضمير يعود على النبي محمد ﷺ، وآية نائب فاعل، ومن ربه صفة ﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾ إن واسمها، وجملة يضل خبرها، ومن مفعول به، وجملة يشاء صلة، ويهدي عطف على يضل، وإليه متعلقان بيهدي، ومن مفعول به، وجملة أناب صلة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ الذين بدل، وجملة آمنوا صلة، أو الذين مبتدأ خبره الذين آمنوا، والأول أولى، وتطمئن عدل عن الماضي إلى المضارع لإفادة التجدد، وسيأتي مزيد بحث عنه في باب: البلاغة، وقلوبهم فاعل تطمئن، وبذكر الله متعلقان بتطمئن، والقلوب فاعل ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴾ الذين مبتدأ، أو خبر الذين الأولى، وجملة آمنوا صلة، وعملوا الصالحات عطف على الصلة، وطوبى مبتدأ، ولهم خبر، وساغ الابتداء بها لما فيها من معنى الدعاء، وقيل: طوبى خبر لمبتدأ محذوف، واللام في لهم للبيان، مثل: سقياً لك، ورعياً لك، أو مفعول لفعل محذوف، أي: أصبت خيراً طيباً، وقرىء: «وحسن

مآب» بالنصب والرفع، ولك أن تعربها مفعولاً مطلقاً كما قدمنا على قراءة من نصب حسن؛ لظهور حركة الإعراب عليها، والأول أولى؛ لأن الجمهور قرأ بالرفع، ولأبي البقاء وهم فيها إذ أجاز إعرابها حالاً مقدرة، ولا أدري ما هو مبرره، وحسن: عطف على طوبى، ومآب مضاف إليه.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم﴾ فن رفيع من فنون البلاغة، وقد سبق ذكره، ونعيد الآن ما يتعلق بهذه الآية فقد عدل عن عطف الماضي، فلم يقل: واطمأنت قلوبهم؛ لسر من الأسرار يدق إلا على العارفين بأسرار هذه اللغة الشريفة، ذلك أن من خصائص الفعل المضارع أنه قد لا يلاحظ فيه زمان معين من حال، أو استقبال، وهما الزمانان اللذان يحتملهما المضارع، فلا يدل إلا على مجرد الاستمرار، ومنه هذه الآية، أي: أن المؤمنين تطمئن قلوبهم بصورة مطردة مهما تتالت المحن وتعاقبت الأرزاء، وحدثت المفاجأة، فكأنما أعدوا لكل محنة صبراً، ولكل رزء اطمئناناً جديداً، فتدبر هذه الملاحظة؛ فإنها عمود الجمال وسرّه.

﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾

☆ اللغة:

﴿يَاْيۡـَٔسِ﴾ قال الزمخشري: ومعنى أفلم ييئس: أفلم يعلم، قيل: هي لغة

قوم من النخع، وقيل: إنما استعمل اليأس بمعنى العلم؛ لأن اليائس عن الشيء عالم بأنه لا يكون، كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك، قال سحيم بن وثيل الرياحي:

أقولُ لهم بالشِّعْبِ إذ يَيْسِرُونَني
ألم تَيْأَسُوا أنِّي ابنُ فارِسِ زَهْدَم؟

وفي «المختار»: اليأس: القنوط، وقد يئس من الشيء، من باب: فهم، وفيه لغة أخرى يئس ييئس بالكسر فيهما، وهو شاذ، ويئس أيضاً بمعنى علم في لغة النخع، ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾.

﴿قَارِعَةٌ﴾: داهية تقرعهم بصنوف البلاء. وفي «المختار»: قرع الباب، من باب: قطع، والقارعة: الشديدة من شدائد الدهر، وهي الداهية.

○ الإعراب:

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ﴾ الكاف في محل نصب كنظائرها، أي: مثل ذلك الإرسال أرسلناك إرسالاً له شأن، وقد تقدمت نظائرها كثيراً، وأرسلناك فعل وفاعل ومفعول به، وفي أمة متعلقان بأرسلناك، وجملة قد خلت صفة لأمم، ومن قبلها حال لأنه كان صفة لأمم، وأمم فاعل ﴿لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ لتتلو اللام للتعليل، وتتلو مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بتتلو، والفاعل أنت، وعليهم متعلقان بتتلو، والذي مفعول به، وجملة أوحينا إليك صلة ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الواو للحال، أي: وحال هؤلاء أنهم يكفرون بالرحمن، والجار والمجرور متعلقان بيكفرون، ولا مانع من جعلها استئنافية كما قال بعضهم ﴿قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ هو ربي مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية مقول القول، ولا إله إلا هو تقدم القول فيها مفصلاً في البقرة، فجدِّد به عهداً ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ عليه متعلقان بتوكلت، وإليه خبر مقدم، ومتاب مبتدأ مؤخر ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الواو استئنافية، والجملة

مستأنفة، مسوقة للرد على من طلبوا من رسول الله أن يسيرّ الجبال بقرآنه عن مكة حتى تتسع لهم، ويبعث لهم آباءهم ليشهدوا بنبوته، ولو شرطية، وإن حرف مشبه بالفعل وقرآناً اسمها، وجملة سيرت خبر إن، وبه متعلقان بسيرت، والجبال نائب فاعل، وأو حرف عطف، وقطعت به الأرض معطوفة، وكذلك أو كلم به الموتى، وجواب لو محذوف، كما تقول لمن تهدده: لو أني قمت إليك، وتترك الجواب، والمعنى: لو أن قرآناً سيرت به الجبال عن مقارها، أو قطعت به الأرض حتى تتصدع وتتهافت، أو كلم به الموتى فتسمع وتجيب لما آمنوا، وقدره أبو حيان: لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير، ونهاية في الإنذار والتخويف. وسيأتي مزيد بحث عن هذا الحذف في باب: البلاغة ﴿ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ ﴾ بل حرف إضراب، ولله خبر مقدم، والأمر مبتدأ مؤخر، وجميعاً حال، وهو عطف للإضراب عما تضمنته لو من معنى النفي، أي: بل الله قادر على الإتيان بما اقترحوه متعنتين ﴿ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۗ ﴾ الهمزة للاستفهام والتقرير، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وييئس مضارع مجزوم بلم، والذين فاعل، وجملة آمنوا صلة، وأن مخففة من الثقيلة لتقدم معنى العلم عليها، واسمها ضمير الشأن، ولو حرف شرط، ويشاء فعل مضارع، والله فاعل، واللام رابطة، وجملة هدى الناس جواب لو لا محل لها، وجميعاً حال، وجملة الشرط، وجوابه خبر إن ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ ﴾ الواو عاطفة، ولا يزال فعل مضارع ناقص، والذين اسمها، وجملة كفروا صلة، وجملة تصيبهم خبر لاتزال، وبما صنعوا متعلقان بتصيبهم، أي: بسبب صنعهم، فالباء سببية، وما مصدرية، وقارعة فاعل تصيبهم ﴿ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمۡ ﴾ أو حرف عطف، وتحل عطف على تصيبهم، والفاعل هي، أي: من القارعة، وقريباً ظرف مكان، أي؛ مكاناً قريباً من دارهم، ومن دارهم متعلقان بقريباً، فيتطاير عليهم شرارها، وتطوح بهم ويلاتها، وقيل: إن الفاعل لتحل يعود إلى المخاطب، وهو الرسول ﷺ، أي: تحل أنت بجيشك قريباً من دارهم كما حل بالحديبية، وقد أتى فتح مكة، والأول أظهر وأولى

﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ حتى حرف غاية وجر، ويأتي مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، ووعد الله فاعل، والمراد بوعده النصر المحتوم، وإن واسمها، وجملة لا يخلف خبرها، والميعاد مفعول به.

□ **البلاغة:**

في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ إلى آخر الآية إيجاز عجيب، فقد حذف الجواب كما تقدم، واختلف المعربون والمفسرون في تقديره، وقد قدرناه في الإعراب: لما آمنوا، وقد اختار الزمخشري هذا التقدير، ولكنه جعله مرجوحاً، وقدر الأرجح بقوله: «لكان هذا القرآن» لكونه غاية في التذكير، ونهاية في الإنذار، وهو تقدير لا بأس به، وإن كان الأول أقرب إلى سياق الحديث، وأوكد في تقرير المعنى، وحذف جواب «لو» شائع في كلامهم، ومن أمثلته في الشعر قول أبي تمام في قصيدته البائية التي يمدح بها المعتصم عند فتحه عمورية:

لَـوْ يَعْلَـمُ الكُفْـرُ مِـنْ أَعْصُـرٍ كَمَنَـتْ
لـه المنيَّـة بيـن السُّمْـرِ والقُضُـبِ

فإن جواب لو محذوف، تقديره: لأخذ أهبته، ولأعد للأمر عدته أو لما أقدم على ما أقدم عليه من اجتراء، كما تدل عليه قصة المرأة الهاشمية التي سباها أحد العلوج فصرخت: وامعتصماه!

وعبارة ابن هشام: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ الآية أي: لما آمنوا به، بدليل: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِۚ﴾ والنحويون يقدرون: لكان هذا القرآن وما قدرته أظهر.

أي: للدليل المذكور، وفيه: أن ما قدروه أيضاً دل عليه قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ﴾ فلم يتبين كون تقديره أظهر من تقديرهم، واعلم أن كلاً من الوجهين، ودليل كل واحد، ذكره الزمخشري، فلم يقدر المصنف شيئاً انفرد به عن غيره، خلافاً لما

يشعر به قوله: وما قدرته أظهر. هذا؛ وقد أطلق الباقلاني على هذه الآية فن الإشارة، وعرفه: بأنه اشتمال اللفظ القليل على المعاني الكثيرة وقال بعضهم في وصف البلاغة: «لمحة دالة» وهو بعينه تعريف الإيجاز.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿فَأَمْلَيْتُ﴾: الإملاء: أن يترك مدة طويلة من الزمن في دعة وأمن. وفي القاموس وشرحه: أملى الله فلاناً: أطال عمره؛ أطاله ومتعه به، وأملى الله الظالم وله: أمهله. وقال: والإملاء مصدر، والإمهال، والتأخير، وما يملى من الأقوال، والمليّ: الطويل من الزمان، يقال: انتظرته ملياً، أي: زمناً طويلاً، ومر مليّ من الليل وهو: ما بين أوله إلى ثلثه، وقيل: هو قطعة منه لم تحد.

﴿أَشَقُّ﴾: أشد منه، اسم تفضيل، من شق يشق، من باب: نصر، مشقة، وشقّ الأمر: اشتد وصعب.

○ الإعراب:

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ الواو عاطفة؛ ليتساوق الكلام، وللتمهيد إلى تسلية النبي ﷺ، واللام موطئة للقسم، وقد حرف تحقيق، واستهزىء فعل ماض مبني للمجهول، وبرسل سد مسدّ نائب الفاعل، ومن قبلك صفة لرسل ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ الفاء للعطف،

وأمليت فعل وفاعل، وللذين متعلقان بأمليت، وجملة كفروا صلة، وثم حرف عطف، وأخذتهم فعل وفاعل ومفعول به، فكيف: الفاء عاطفة، وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر لكان مقدم، وكان فعل ماض ناقص، وعقابِ اسمها، وحذفت الياء لمراعاة الفواصل ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، وجوابه محذوف، تقديره: لا، كما سيأتي. والفاء عاطفة على محذوف، وقد تقدم تقديره، ومن اسم موصول مبتدأ، وهو مبتدأ ثان، وقائم خبر المبتدأ الثاني، والجملة الاسمية صلة الموصول، وعلى كل متعلقان بقائم، والباء حرف جر بمعنى مع، وما موصول مجرور بالباء، أو مصدرية، وهي مع مدخولها مجرورة بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، وخبر من محذوف، تقديره: كمن ليس كذلك من شركائهم التي لا تضر ولا تنفع، وقد دل عليه قوله فيما بعد: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ وجواب الاستفهام «لا» كما قدرناه ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ الواو للاستئناف، والجملة مستأنفة، مسوقة للدلالة على خبر من المحذوف كما تقدم، وهذا أحسن الأقوال فيها، وجعلها أبو البقاء عاطفة، وجعلها غيره حالية، وجعلوا فعل وفاعل، ولله متعلقان بمحذوف مفعول ثان، أو بمحذوف حال، وشركاء مفعول جعلوا الأول إن كانت جعل بمعنى صيرّ ﴿ قُلْ سَمُّوهُمْۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ سموهم فعل أمر للتعجيز، وهو فعل وفاعل ومفعول به، وأم هي المنقطعة، وتنبئونه فعل مضارع حذفت منه همزة الاستفهام، والتقدير: أتنبئونه، وهو فعل وفاعل ومفعول به، وبما متعلقان بتنبئونه، وجملة لا يعلم صلة، ومفعول يعلم محذوف، أي: يعلمه، وفي الأرض حال، والمراد نفي أن يكون له شركاء، كما سيأتي في باب: البلاغة، وإلا لتناولهم علمه ﴿ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ أم المنقطعة أيضاً، وهي بمعنى بل، وبظاهر متعلقان بتنبئونه، أي: من غير حقيقة واعتبار معنى، ومن القول صفة لظاهر ﴿ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ ﴾ بل حرف إضراب وعطف، وزين فعل ماضي مبني للمجهول، وللذين متعلقان بزين، وكفروا

صلة، ومكرهم نائب فاعل ﴿ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴾ الواو عاطفة، وصدوا فعل وفاعل[١]، وعن السبيل متعلقان بصدوا، ومن الواو استئنافية، ومن شرطية في محل نصب مفعول به مقدم ليضلل، ويضلل فعل الشرط، والله فاعل، فما: الفاء رابطة لجواب الشرط، وما نافية حجازية وله خبرها المقدم ومن حرف جر زائد، وهاد اسم ما محلاً مجرور بما لفظاً ﴿ لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ لهم خبر مقدم، وعذاب مبتدأ مؤخر، وفي الحياة صفة لعذاب، والدنيا صفة للحياة ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴾ الواو عاطفة، أو حالية، واللام للابتداء، والآخرة مضاف إليه، وأشق خبر عذاب، وما لهم من الله من واق: تقدم إعرابها.

□ البلاغة:

انطوت الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۢ بِمَا كَسَبَتۡۗ . . . ﴾ إلى آخر الآية على فنون عديدة من البلاغة؛ لأنها وردت في معرض الاحتجاج عليهم في إشراكهم بالله، ندرجها فيما يلي:

(١) الاستفهام الإنكاري في قوله تعالى ﴿ أَفَمَنۡ ﴾ وحذف خبره تصريحاً في التوبيخ والزراية عليهم، على القياس الفاسد لفقد الجهة الجامعة لهما، وهذا ما يسميه علماء البيان: الإضمار على شريطة التفسير، وهو أن يحذف من صدر الكلام ما يؤتى به في آخره؛ فيكون الآخر دليلاً على الأول، وهو على ثلاثة أضرب:

أ ـ أن يأتي عن طريق الاستفهام، فتذكر الجملة الأولى دون الثانية، كالآية التي نحن بصددها، وكقوله تعالى أيضاً: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ تقدير الآية: أفمن شرح الله صدره للإسلام كمن أقسى قلبه، ويدل على المحذوف قوله: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم ﴾.

---

(١) كذا في الأصل، والصحيح: فعل مبني للمجهول ونائب فاعل.

ب ـ أن يرد على حد النفي والإثبات، كقوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ تقديره: لا يستوي منكم من أنفق قبل الفتح وقاتل، ومن أنفق من بعده وقاتل.

ج ـ أن يرد على غير هذين الوجهين، فلا يكون استفهاماً ولا نفياً، وإثباتاً، كقول أبي تمام:

تجنَّب الآثامَ ثم يخافُها فكأنَّما حسناتُه آثام

ففي صدر البيت إضمار مفسر في عجزه، وتقديره: أنه يتجنب الآثام، فيكون قد أتى بحسنة، ثم يخاف تلك الحسنة، فكأنما حسناته آثام، والبيت بعد مأخوذ بطرف خفي من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾.

(٢) وضع المظهر موضع المضمر، للتنبيه على أنهم جعلوا شركاء لمن هو فرد واحد، لا يشاركه أحد في اسمه، وذلك في قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾.

(٣) التعجيز في قوله: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ أي: عيّنوا أسماءهم، فقولوا: فلان وفلان، فهو إنكار لوجودها على وجه برهاني، كما تقول: إن كان الذي تدعيه موجوداً فسمّه؛ لأن المراد بالاسم العلم.

(٤) نفي الشيء بإيجابه أو عكس الظاهر، وقد تقدم بحث هذا الفن، وهو من متطرفات علم البيان، وهو في قوله تعالى: ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ وحقيقة هذا النفي أنهم ليسوا بشركاء، وأن الله لا يعلمهم كذلك؛ لأنهم ـ في الواقع ـ ليسوا كذلك؛ وإن كانت لهم ذوات ثابتة يعلمها الله، إلا أنها مربوبة حادثة، لا آلهة معبودة، ولكن مجيء النفي على هذه السنن المتلو بديع لا تكاد تكتنه بلاغته وعبارته، ومن طريفه قول علي بن أبي طالب في وصف مجلس رسول الله ﷺ: لا تثنى فلتاته. أي: لا تذاع سقطاته، فظاهر هذا اللفظ أنه كان ثم فلتات، غير أنها لا تذاع، وليس المراد ذلك، بل المراد أنه لم يكن ثم فلتات فتثنى.

(٥) الاستدراج بقوله: ﴿أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾ ليحثهم على التفكير

دون القول المجرد من الفكر كقوله في مكان آخر: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ وهذا الاحتجاج من أعجب الأساليب وأقواها.

(٦) التدرج في كل من الإضرابات بأم المنقطعة وبـ«بل» على ألطف وجه.

﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾

○ الإعراب:

﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ مثل الجنة مبتدأ، وخبره محذوف على مذهب سيبويه، أي: فيما قصصناه عليكم مثل الجنة، أي: صفتها التي هي مثل في الغرابة، وقد تقدمت مقتطفات من كلام سيبويه في مثل هذا التركيب. وقال الزجاج: معناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الأنهار على حذف الموصوف تمثيلاً لما غاب عنا بما نشاهد. والتي صفة للجنة، ووعد المتقون فعل ماض مبني للمجهول، ونائب فاعل، وجملة تجري من تحتها الأنهار تفسير للمحذوف على رأي سيبويه، فهي نصب على الحال، وكذلك جملة أكلها دائم، وأكلها مبتدأ، ودائم خبر، وظلها مبتدأ حذف خبره، دل عليه ما قبله، أي: دائم، وتلك مبتدأ، وعقبى خبر، والذين مضاف إليه، وجملة اتقوا صلة ﴿وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ عقبى مبتدأ، والنار خبر، أو بالعكس؛ لمناسبة الأول، ولعله أولى

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ والذين مبتدأ، وجملة آتيناهم صلة، والكتاب مفعول آتيناهم الثاني، وجملة يفرحون خبر الذين، وبما متعلقان بيفرحون، وجملة أنزل إليك صلة، وسر الفرح موافقته لما ورد عندهم.

﴿ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ﴾ الواو عاطفة، ومن الأحزاب خبر مقدم، ومن مبتدأ مؤخر، وجملة ينكر صلة، وبعضه مفعول به، وسيرد في باب: الفوائد كتاب الصلح يوم الحديبية ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ ﴾ إنما كافة ومكفوفة، وأمرت فعل ماض مبني للمجهول، والتاء نائب فاعل، وأن وما في حيزها نصب بنزع الخافض، أي: بأن أعبد الله، والجار والمجرور متعلقان بأمرت ﴿ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴾ ولا أشرك عطف على أن أعبد، وبه متعلقان بأشرك، وإليه متعلقان بأدعو، وإليه الثانية خبر مقدم، ومآب مبتدأ مؤخر، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة لمراعاة الفواصل، أي: وإليه مآبي، أي: مرجعي ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ الكاف في موضع نصب صفة لمصدر محذوف، أي: ومثل ذلك الإنزال أنزلناه، وأنزلناه فعل وفاعل ومفعول به، وحكماً عربياً حالان، أي: حاكماً بين الناس عربياً، أي: بلغة العرب، ولما كان القرآن سبباً للحكم جعل نفس الحكم، وقد تقدمت له نظائر ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ اللام موطئة للقسم، وإن شرطية، واتبعت فعل وفاعل، وهو في محل جزم فعل الشرط، وأهواءهم مفعول به، وبعد ظرف متعلق باتبعت، وما موصول مضاف إليه، وجملة جاءك صلة، ومن العلم حال ﴿ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ ما نافية حجازية، أو تميمية، ولك خبر مقدم، ومن الله حال؛ لأنه كان في الأصل صفة، ومن زائدة، وولي اسم ما، أو مبتدأ، ولا واق عطف عليه، وجملة مالك لا محل لها؛ لأنها جواب القسم، ولذلك لم تقترن بالفاء، وجواب الشرط محذوف دلَّ عليه جواب القسم؛ وفقاً للقاعدة في اجتماع الشرط والقسم.

* الفوائـد :

لما كتب رسول الله ﷺ كتاب الصلح يوم الحديبية، كتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم، قالوا: ما نعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة ـ يعنون: مسيلمة الكذاب ـ فأنزل الله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي ﴾ وإنما قال: ﴿ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ ﴾ لأنهم كانوا لا ينكرون الله، وينكرون الرحمن، وقيل: لأنهم كانوا لا ينكرون الأقاصيص وبعض الأحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم، وكانوا ينكرون نعت رسول الله وغير ذلك.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾: أصله: الذي يرتد إليه، فكل كائن مكتوب فيه، والأم: أصل الشيء، والعرب تسمي كل ما يجري مجرى الأصل للشيء: أُمّاً له، ومنه: أم الرأس للدماغ، وأم القرى لمكة.

﴿ مُعَقِّبَ ﴾: المعقب في الأصل هو: الذي يتعقب الشيء بالإبطال، ومنه قيل لصاحب الحق معقب؛ لأنه يتعقب غريمه بالطلب، والمعقب: هو الذي يكر على الشيء فيبطله.

○ الإعراب:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ ﴾ الواو للاستئناف، والجملة مستأنفة، مسوقة لابطال الشبهات التي كانوا يوردونها لإبطال النبوة، وقد أنهاها المفسرون إلى ست شبهات، ويمكن الرجوع إليها في المطولات، واللام موطئة للقسم، وقد حرف تحقيق، وأرسلنا فعل وفاعل، ورسلاً مفعول به، ومن قبلك متعلقان بأرسلنا ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ وجعلنا فعل وفاعل ولهم في موضع المفعول الثاني، وأزواجاً هو المفعول الأول، وذرية عطف على أزواجاً، وهذا إبطال للشبهة الأولى من شبهاتهم، وهي قولهم: لو كان رسولاً من عند الله لما اشتغل بالنسوة، ولما انهمك في تعدد الزوجات، ولانصرف إلى النسك والزهادة، فأجاب: بأن الرسل الذين سبقوك كانت لهم زوجات كثيرة، فلم يقدح ذلك في نبوتهم. ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ الواو عاطفة، وكان فعل ماض ناقص، ولرسول خبر كان المقدم، وأن وما في حيزها اسمها المؤخر، وبآية جار ومجرور متعلقان بيأتي، وإلا أداة حصر، وبإذن الله استثناء من أعم الأحوال، فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ لكل خبر مقدم، وأجل مضاف إليه، وكتاب مبتدأ مؤخر ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ يمحو الله فعل مضارع وفاعل، وما مفعول به، وجملة يشاء صلة، ويثبت عطف على يمحو، وعنده الظرف خبر مقدم، وأم مبتدأ مؤخر، والكتاب مضاف، وهذا رد على شبهة ثانية كانوا يوردونها تعطيلاً وإرجافاً، وهي: أن محمداً يأمر أصحابه اليوم بأمر كاستقبال بيت المقدس، ثم يأمرهم في الغد بخلافه كاستقبال الكعبة، فرد عليهم مفنداً شبهتهم؛ بأنه سبحانه إنما شرع الشرائع كلها لإصلاح أحوالهم، ورأب صدوعهم، واختيار الأنفع لهم، ولكنهم معطلة لا يأبهون لصلاح أمورهم، ومقتضيات أحوالهم ﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ الواو عاطفة، وإن الشرطية أدغمت بما الزائدة، ونرينك فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله

بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم فعل الشرط، والفاعل مستتر تقديره: نحن، والكاف مفعول به، وبعض مفعول به ثان، والذي مضاف إليه، وجملة نعدهم صلة الذي، وأو حرف عطف، ونتوفينك عطف على نرينك، ويقدر المعربون جواب الشرط محذوفاً، أي: فذلك كافيك، ودليل صدقك، ويعربون الفاء في قوله «فإنما» للتعليل لهذا المحذوف، ولا داعي لهذا التكلف، بل الأسهل أن يكون قوله: «فإنما» هو الجواب، وتقدير الكلام: ومهما يكن من أمر، وكيفما دارت الأحوال، وإن أريناك مصارعهم، وأنزلنا بهم ما أوعدناهم به من عذاب، أو توفيناك قبل أن ترى شيئاً من ذلك، فما يترتب عليك، وليس قصاراك إلا تبليغ الرسالة فحسب. وإنما كافة ومكفوفة، وعليك خبر مقدم، والبلاغ مبتدأ مؤخر، وعلينا خبر مقدم، والحساب مبتدأ مؤخر ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، والواو عاطفة على محذوف ـ كما تقدم ـ تقديره: أأنكروا نزول ما أوعدناهم، وشكوا في ذلك، وامتروا فيه، ألم ينظروا في ذلك؟ ألم يروا؟ ألم تكن لهم في تلك المشاهد الكافية، والدلائل الوافية، عبرة لهم؟ ولم حرف نفي وقلب وجزم، وأن واسمها سدت مسد مفعولي يروا، وجملة نأتي خبر أن، وفاعل نأتي مستتر تقديره: نحن، والأرض مفعول به، وجملة ننقصها من أطرافها حالية من فاعل نأتي، أو من مفعوله، أي: نفتحها أرضاً بعد أرض، بما ينقص من أطراف المشركين، ويزيد في أطراف المؤمنين ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ﴾ لفظ الجلالة مبتدأ، وجملة يحكم خبر ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ لا نافية للجنس، ومعقب اسمها المبني على الفتح، ولحكمه خبر لا، وهو الواو عاطفة، وهو مبتدأ، وسريع الحساب خبر هو، وجملة لا معقب لحكمه حال أيضاً من فاعل نأتي على الالتفات؛ كأنه قيل: والله يحكم نافذاً حكمه، وستأتي الفائدة من الالتفات في باب: البلاغة ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ الواو استئنافية، وقد حرف تحقيق، وجملة مكر الذين من قبلهم استئنافية، مسوقة لتسليته ﷺ، وقد مر بحث إسناد المكر إلى الله كثيراً فعرج عليه، فلله المكر الفاءعاطفة على محذوف، بمثابة التعليل، أي: فلا تأبه

لمكرهم، ولا تخش ضيراً منه، فحذف هذا اكتفاء بدلالة القصر المستفاد من التعليل، والله خبر مقدم، والمكر مبتدأ مؤخر، وجميعاً حال، وشتان بين مكرهم ومكره ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ الجملة تفسير لقوله: ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ ويعلم فعل مضارع، وفاعله مستتر، وتقديره: هو، وما مفعول به، وجملة تكسب صلة، وكل نفس فاعل ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ السين للاستقبال، ويعلم الكفار ـ وفي قراءة الكافر ـ فعل وفاعل، ولمن: اللام حرف جر، ومن اسم استفهام في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وعقبى الدار مبتدأ مؤخر ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة لإجمال الشبهات الست التي أوردوها، والتي تنتهي في اعتقادهم إلى هذه النتيجة، وهي إبطال رسالته ﷺ، وجملة لست مرسلاً مقول قولهم، وهو مجمل شبهاتهم، وليس واسمها وخبرها ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ كفى فعل ماض، تقدم بحثه مستوفى، وبالله الباء حرف جر زائد، ولفظ الجلالة مجرور لفظاً مرفوع محلاً، وشهيداً تمييز، وبيني وبينكم ظرفان متعلقان بشهيداً، ومن: عطف على الله، وعنده الظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم، وعلم الكتاب مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية صلة من.

□ البلاغة:

(١) في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ التفات بليغ، وقد سبق ذكر الالتفات مشفوعاً بالأمثلة والشواهد، ونزيده هنا بسطاً بصدد ما يتعلق بالآية، فنقول: الرجوع عن خطاب النفس إلى الغيبة في الآية، وبناء الحكم على الاسم الجليل ينطوي على أعظم الأسرار وأبهرها، فإنه لما أبرز الكلام لهم في معرض المناصحة المشوبة بالتحذير، كان لا بد أن يتوجه إليهم بالخطاب ليريهم مكان القوة والعظمة لديه، عاد إلى تصوير الفخامة والمهابة، وتحقيق مضمون الخبر بالإشارة إلى العلة التي هي السبب في إتيان الأرض، وانتقاص أطرافها، وإدالة الأمر من

قوم لقوم، ونقل السيطرة من الظالمين بالأمس إلى المظلومين، ومن الغالبين بالأمس إلى المغلوبين، وهذه الفخمية لا تتأتى إلا بإيراد الكلام في معرض الغيبة، فقال ملتفتاً: والله يحكم في خلقه بما يشاء لا راد لحكمه، ثم أردف ذلك بقوله: ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ ولا مبطل لمشيئته، وثلث بقوله: ﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ فكل شيء محسوب لديه، وعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا، وستأتي شواهد بديعة من هذا الفن الرفيع.

(٢) الاستخدام:

وفي قوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فن رفيع من فنون البلاغة أطلق عليه علماء هذا الفن اسم: «فن الاستخدام» وعرفوه بتعريفات لا تخلو من غموض، وسنحاول بسط ما أجملوه، فأما تعريفه كما أورده ابن أبي الإصبع وابن منقذ وصاحب «نهاية الأرب» فهو: أن يأتي المتكلم بلفظة لها محملان، ثم يأتي بلفظتين تتوسط تلك اللفظة بينهما، وتستخدم كل لفظة منهما أحد محملي اللفظة المتوسطة، ففي الآية المذكورة لفظة «كتاب» تحتمل الأمد المحتوم؛ بدليل قوله تعالى في البقرة: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ أي: حتى يبلغ الكتاب أمده، أي: أمد العدة. وأجله: منتهاه، والكتاب: المكتوب، وقد توسطت لفظه كتاب بين لفظتي «أجل» و«يمحو»، فاستخدمت لفظة أجل أحد مفهوميها، وهو الأمد، واستخدمت لفظة يمحو مفهومهاالآخر، وهو المكتوب، فيكون التقدير على ذلك: لكل حد مؤقت مكتوب يمحي ويثبت.

وهنالك تعريف آخر يتمشى على طريقة صاحب «الإيضاح» ومشى عليه كثير من الناس، وهو: أن الاستخدام: إطلاق لفظ مشترك بين معنيين، فتريد بذلك اللفظ أحد المعنيين، ثم تعيد عليه ضميراً تريد به المعنى الآخر، أو تعيد عليه إن شئت ضميرين، تريد بأحدهما أحد المعنيين، وبالآخر المعنى الآخر. ومثال هذا النوع قول القائل:

إذا نَـزلَ السَّمـاءُ بـأرضِ قَـوْمٍ رَعَيْنَـاهُ وإن كـانُـوا غِضـابـا

فلفظة السماء يراد بها المطر، وهو أحد المعنيين، والضمير في «رعيناه» يراد به المعنى الآخر، وهو النبات. وأما شاهد الضميرين فمثاله قول البحتري:

فسقى الغَضَا والسَّاكنيه وإن هُم
شبّوه بين جَوانحي وضُلوعي

فإن لفظة الغضا محتملة: الموضع، والشجر، والسقيا صالحة لكل منهما فلما قال: «والساكنيه» أحد معنيي اللفظة، وهو الموضع بدلالة القرينة عليه، ولما قال «شبوه» استعمل المعنى الآخر، وهو: الشجر، بدلالة القرينة عليه، وقد أورد الشيخ عز الدين الموصلي في شرح بديعيته نقداً حسناً لبيت البحتري، فقد قال: شرط علماء البديع أن يكون اشتراك لفظة الاستخدام اشتراكاً أصلياً، والنظر هنا في اشتراك لفظة الغضا، فإنه ليس بأصلي لأن أحد المعنيين منقول من الآخر، والغضا في الحقيقة: الشجر، وسموا الوادي غضا لكثرة نبته فيه، وقالوا: جمر الغضا لقوة ناره، فكلٌّ منقول من أصل واحد.

ومن الاستخدام قول أبي العلاء في داليته الشهيرة:

قصد الدَّهر من أبي حمزة الأ ... واب مولى حَجا وخدن اقتصاد
وفقيهـا أفكـارهُ شـدن للنعمـ ... ـان مـا لم يشـده شعـرُ زيـاد

فالنعمان يحتمل هنا أبا حنيفة ـ رحمه الله ـ ويحتمل النعمان بن المنذر. وقد أراد أبو العلاء بلفظ النعمان أبا حنيفة؛ بدليل قوله «وفقيهاً» وأراد بالضمير المحذوف النعمان بن المنذر ملك الحيرة بدليل زياد، وهو النابغة، وكان معروفاً بمدح النعمان بن المنذر، وقد انتقدوه أيضاً، لأن ضمير يشده لم يعد على واحد منهما؛ لأن شرط الضمير في الاستخدام أن يكون عائداً على اللفظة المشتركة ليستخدم بها معناها الآخر؛ كما قال البحتري في «شبوه» فهذا الضمير عائد على الغضا، وهذا قد جعل الضمير في يشده غير عائد على اللفظة المشتركة التي هي النعمان، فصار طيب الذكر الذي يشيده زياد لا يعلم لمن هو: لأن الضمير لا يعود على النعمان.

* * *



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ۝٢ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ۝٣ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٤﴾

○ الإعراب:

﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ ألر: تقدم إعرابها، وكتاب خبر مبتدأ محذوف، أي: هذا كتاب، وجملة «أنزلناه» صفة، وإليك متعلقان بأنزلناه، واللام لام التعليل، وتخرج فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل ضمير مستتر تقديره: أنت،

والناس مفعول به، ومن الظلمات متعلقان بتخرج، وإلى النور متعلقان بتخرج أيضاً ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ بإذن متعلقان بمحذوف حال، أي: حال كونك مأذوناً من ربك، وربهم مضاف إليه، وإلى صراط بدل من قوله إلى النور بإعادة العامل، والعزيز مضاف إليه، والحميد صفة ﴿ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ ﴾ الله بالجر بدل، أو عطف بيان للعزيز الحميد، وقرىء بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو الله المتصف بملك ما في السموات وما في الأرض، والذي صفته، وله خبر مقدم، وما مبتدأ مؤخر، والجملة صلة الذي، وفي السموات صلة ما، وما في الأرض عطف على ما في السموات ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ ويل مبتدأ، سوغ الابتداء به قصد الدعاء على الكافرين، وسيأتي مزيد بحث عن هذه الكلمة في باب الفوائد، والجملة دعائية لا محل لها، وللكافرين خبر، ومن عذاب نعت لويل، أو متعلقان بويل، فعلى الأول تكون من بيانية، وعلى الثاني تكون للتعدية، وشديد صفة. وفي تفسير أبي السعود: ومن عذاب شديد متعلقان بويل، على معنى يولولون، ويضجون منه، قائلين: يا ويلاه، كقوله: ﴿ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ ومنع أبو حيان تعليقها بويل قال: «ومن عذاب شديد» في موضع الصفة لويل، ولا يضير الفصل بالخبر بين الصفة والموصوف، ولا يجوز أن يكون متعلقاً بويل لأنه مصدر، ولا يجوز الفصل بين المصدر وما يتعلق به الخبر ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ الذين نعت للكافرين، أو مبتدأ خبره جملة أولئك في ضلال بعيد الآتية؛ أو خبر لمبتدأ محذوف، أي: هم الذين يستحبون، وجميع هذه الأوجه متساوية في الأرجحية، فلذلك ذكرناها، وجملة يستحبون صلة، والحياة مفعول به، والدنيا صفة، وعلى الآخرة متعلقان بيستحبون؛ لأنها بمعنى الإيثار والاختيار، وهي استفعال من المحبة؛ لأن المؤثر للشيء على غيره كأنه يطلب من نفسه أن يكون أحبّ إليها وأفضل عندها من الآخر ﴿ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ ويصدون عطف على يستحبون، وعن سبيل الله جار ومجرور متعلقان بيصدون، ويبغونها عطف على يصدون، ويبغون فعل

وفاعل، والهاء نصب بنزع الخافض، أي: يبغون لها، وعوجاً مفعول به ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴾ اسم الإشارة مبتدأ، وفي ضلال خبره، وبعيد صفة لضلال، وفي جعل الضلال ظرفاً فن بلاغي سنعرض له في باب: البلاغة ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة لبيان وسيلة المخاطبة؛ التي يضطلع بها كل رسول لأمته، وما نافية، وأرسلنا فعل وفاعل، ومن زائدة، ورسول مجرور لفظاً منصوب على المفعولية محلاً، وإلا أداة حصر، وبلسان قومه حال، أي: متلبساً بلسان قومه، فهو استثناء من أعم الأحوال، وليبين اللام للتعليل، ويبين مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، ولهم متعلقان بيبين ﴿ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ ﴾ الفاء استئنافية، ويضل مرفوع على الاستئناف، ولا يجوز عطفه على يبين كما يتوهم؛ لأن المعطوف كالمعطوف عليه في المعنى، والرسل أرسلت للبيان لا للإضلال، قال الفراء: إذا ذكر فعل وبعده فعل آخر، فإن لم يكن النسق مشاكلاً للأول فالرفع على الاستئناف هو الوجه، على أن الزجاج قال: ولو قرىء بنصبه على أن اللام لام العاقبة جاز. ويضل الله فعل مضارع وفاعل، ومن مفعول به، ويشاء صلة، ويهدي من يشاء عطف على يضل الله من يشاء ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ هو مبتدأ، والعزيز خبر أول، والحكيم خبر ثان.

□ **البلاغة:**

انطوت هذه الآيات الأربع على فنون من البلاغة، نوجزها فيما يلي:

(١) الظلمات والنور استعارتان تصريحيتان للضلال والهدى، وقد تقدم نظائرها، فلا حاجة للإعادة.

(٢) في إسناد البعد إلى الضلال مجاز عقلي؛ لأن البعد في الحقيقة للضالّ؛ لأنه هو الذي يتباعد عن الطريق، فوصف به فعله، كما تقول: جد جده، وداهية دهياء.

(٣) في جعل الضلال ظرفاً مجاز أيضاً؛ كأنه قد أحاط بهم، وجلببهم بسواده، فهم منغمسون فيه إلى الأذقان يتخبطون في متاهاته، ويتعسفون في ظلماته.

(٤) في جعل اللسان لغة مجاز علاقته السببية؛ لأنه آلة النطق؛ لأن معنى بلسان قومه: بلغة قومه، واللسن واللسان، كالريش والرياش، وسيأتي في باب الفوائد تفصيل مسهب عن لغة القرآن واللهجات السبع التي قرىء بها. ووحد اللسان لأن المراد اللغة، وقد قيل: في هذه الآية إشكال؛ لأن النبي ﷺ أرسل إلى الناس جميعاً، ولغاتهم متباينة، وألسنتهم مختلفة. وأجيب بأنه إن كان ﷺ مرسلاً إلى الناس كافة، لكن لما كان قومه العرب، وكانوا أخص به، وأقرب إليه، كان إرساله بلسانهم أولى من إرساله بلسان غيرهم، وهم يبينونه لمن كان على غير لسانهم، ويوضحونه حتى يصير فاهماً له كفهمهم إياه، ولو نزل القرآن بجميع لغات من أرسل إليهم، وبينه رسول الله ﷺ لكل قوم بلسانهم، لكان ذلك مظنة للاختلاف، وفتحاً لباب التنازع على مصراعيه؛ لأن كل أمة قد تدعي من المعاني في لسانها ما لا يعرفه غيرها، وربما كان أيضاً مفضياً إلى التحريف والتصحيف بسبب الدعاوى الباطلة التي يقع فيها المتعصبون.

(٥) الطباق بين يضل ويهدي، وجميع هذه الفنون تقدم بحثها في مظانها.

* الفوائـد:

في هذه الآيات من الفوائد ما يستوعب الأجلاد، ولكننا جرياً على نهج الكتاب سنجتزىء بما لا بد من ذكره فيما يلي:

(١) (ويل):

كلمة وعيد وتهديد، وهي نقيض الوأل، أي: النجاة، اسم بمعنى الهلاك، إلا أنه لا يشتق منه فعل، إنما يقال: ويلاً له، فينصب نصب المصادر، ثم يرفع رفعها لإفادة معنى الثبات، فيقال: ويل له، كسلام عليك.

وفي «المختار»: الوائل: الملجأ، وقد وأل إليه، أي: لجأ، وبابه: وعد، ووُولاً بوزن وجود، وويل زيد وويحه منصوبان على المصدرية، وقيل: ويل كلمة عذاب، وويح كلمة ترحّم.

(٢) لغة القرآن ورأي الدكتور طه حسين:

لغة القرآن: علم قائم بذاته، ويظهر أن الحديث الشريف: «نزل القرآن على سبعة أحرف» كان سبباً في نشوء هذا العلم من علوم القرآن، وأحدث الدراسات فيه وأقومها ما قرره الدكتور طه حسين في كتابه: «الأدب الجاهلي» وفيما يلي خلاصة هذا البحث القيم:

يثبت الدكتور طه أن هنالك خلافاً جوهرياً بين اللغة التي يصطنعها الناس في جنوب البلاد العربية، واللغة التي كانوا يصطنعونها في شمال هذه البلاد، وينتهي من إثبات ذلك إلى القول بأن القدماء والمحدثين مضطربون في تحديد ما ينبغي أن يفهم من لفظ العرب، وفي تحديد ما ينبغي أن يفهم من لفظ اللغة العربية، وهذا الاضطراب ليس من شأنه أن يعين على التحقيق العلمي، ثم يمضي الأستاذ في ذكر الفروق بين لغة عرب الجنوب وعرب الشمال، ويورد بعض النصوص التي كشفها الأستاذ جويدي من اللغة الحميرية، وكيف أنها تختلف اختلافات كثيرة جداً عن اللغة الحجازية القرشية التي نعرفها، ومثال هذا النص الذي يقول: وهبم واخهو بنو كلبت هقنيو إلى مقه ذهرن ذن فرندن حجن وقهمو بمسألهو لوفيهمو وسعدهمو نعمتم. ومعناها: وهاب (اسم رجل) وأخوه بنو كلب أعطوا المقه (اسم إله في هران) هذا اللوح؛ لأنه أجابهم عن سؤالهم، وسلمهم، وساعدهم بنعمته. ويمضي في هذا البحث الطويل إلى أن يقول: إن القرآن الذي تلي بلغة واحدة ولهجة واحدة هي لغة قريش ولهجتها، لم يكد يتناوله القراء من القبائل المختلفة حتى كثرت قراءاته، وتعددت اللهجات فيه، وتباينت تبايناً كثيراً، حيَّر القراء والعلماء المتأخرين في ضبطه وتحقيقه، وأقاموا له علماً، أو علوماً خاصة، ولسنا نشير هنا إلى هذه القراءات التي تختلف فيما بينها اختلافاً كثيراً في ضبط الحركات، سواء أكانت

حركة بنية، أو حركة إعراب، لسنا نشير إلى اختلاق القراء في نصب الطير في الآية: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ أو رفعها، ولا إلى اختلافهم في ضم الفاء، أو فتحها، في الآية: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ إنما نشير إلى اختلاف آخر في القراءات يقبله العقل، ويسيغه النقل، وتقتضيه ضرورة اختلاف اللهجات بين قبائل العرب التي لم تستطع أن تغير حناجرها وألسنتها وشفاهها، لتقرأ القرآن كما كان يتلوه النبي وعشيرته من قريش، فقرأته كما كانت تتكلم، فأمالت حيث لم تكن تميل، وقصرت حيث لم تكن تقصر، وسكنت حيث لم تكن تسكن، وأدغمت، أو أخفت، أو نقلت حيث لم تكن تدغم، ولا تخفي، ولا تنقل.

وقفة لابد منها:

وهنا وقفة لا بد منها، ذلك: أن قوماً من رجال الدين فهموا أن هذه القراءات السبع متواترة عن النبي، نزل بها جبريل على قلبه، فمنكرها كافر في غير شك ولا ريبة، ولم يوفقوا إلى دليل يستدلون به على ما يقولون سوى ما روي في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» والحق أن هذه القراءات السبع ليست من الوحي في قليل ولا كثير، وليس منكرها كافراً، ولا فاسقاً، ولا مغتمزاً في دينه، وإنما قراءات مصدرها اللهجات واختلافها، للناس أن يجادلوا فيها، وأن ينكروا بعضها، ويقبلوا بعضها، وقد جادلوا فيها بالفعل، وتماروا، وخطأ فيها بعضهم بعضاً، ولم نعرف أن أحداً من المسلمين كفّر أحداً لشيء من هذا، وليست هذه القراءات بالأحرف السبعة التي أنزل القرآن عليها، وإنما هي شيء وهذه الأحرف شيء آخر، فالأحرف جمع حرف، والحرف: اللغة، فمعنى أنزل القرآن على سبعة أحرف أنه أنزل على سبع لغات مختلفة في لفظها ومادتها، يفسر ذلك قول ابن مسعود: إنما هو كقولك: هلم، وتعال، وأقبل. ويفسر ذلك قول أنس في الآية: «إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأصوب قيلاً» أصوب وأقوم وأهدى واحد، ويفسر ذلك قراءة ابن مسعود«ما ينظرون إلا زقية

واحدة» مكان «ما ينظرون إلا صيحة واحدة».

الأحرف غير القراءات:

الأحرف إذن اللغات التي تختلف فيما بينها لفظاً ومادة، فأما هذه القراءات التي تختلف في القصر والمد، وفي الحركة والسكون، وفي النقل والإثبات، وفي حركات الإعراب، فليست من الأحرف في شيء؛ لأنها اختلاف في الصورة والشكل، لا في المادة واللفظ، وقد واتفق المسلمون على أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، أي: على سبع لغات مختلفة في ألفاظها ومادتها، واتفق المسلمون على أن أصحاب النبي تماروا في هذه الأحرف السبعة، كلٌّ يقرأ على الحرف الذي سمعه من النبي، فاشتد الخلاف والمراد في ذلك، حتى كادت الفتنة تقع بين الناس، ولا سيما في جيوش المسلمين التي كانت تغزو وترابط في الثغور بعيدة عن مهبط الوحي، ومستقر الخلافة، فرفع الأمر إلى الخليفة عثمان ـ رضي الله عنه ـ فجزع له، وأشفق على المسلمين أن يقع بينهم مثل ما وقع بين النصارى من الاختلاف في نص القرآن، كما اختلفوا في نص الإنجيل، فجمع لهم المصحف، وأذاعه في الأمصار، وأمر بما عداه من المصاحف، فمحي محواً، وعلى هذا محيت الأحرف الستة، ولم يبق إلا حرف واحد هو هذا الحرف الذي نقرؤه في مصحف عثمان، وهو حرف قريش، وهو الحرف الذي اختلفت لهجات القراء فيه، فمدّ بعضهم، وقصر بعضهم، وفخّم فريق، ورقّق فريق، ونقلت طائفة وأثبتت طائفة، ثم أورد الدكتور طه ما ورد في الجزء الأول من تفسير ابن جرير الطبري لتأييد رأيه.

خلاصة قول الطبري:

قال ابن جرير ما ملخصه: إن قوماً من العلماء ذهبوا إلى أن الأحرف السبعة هي سبعة معان، جملتها: الأمر، والنهي، والوعد، والوعيد، والجدل، والقصص، والمثل. ولكنه يعارض هذا ويقول: إن الأحرف السبعة هي سبع لغات من لغات أحياء من قبائل العرب مختلفة الألسن، وذكر أن أصحاب رسول الله تماروا في تلاوة بعض القرآن، فاختلفوا في قراءته دون -

تأويله، وأنكر بعضٌ قراءة بعض مع دعوى كل قارىء قراءةٍ منهم أن رسول الله أقرأه ما قرأه بالصفة التي قرأ، ثم احتكموا إلى رسول الله، فكان من حكم رسول الله بينهم أن صوّب قراءة كل قارىء منهم على خلاف قراءة أصحابه الذين نازعوه فيها، وأمر كل امرىء منهم أن يقرأ كما علم، حتى خالط قلب بعضهم الشك في الإسلام لما رأى من تصويب رسول الله قراءة كل منهم على اختلافها، ثم جلاه الله ببيان رسول الله له أن القرآن أنزل على سبعة أحرف.

وعرض الطبري لنقطة هامة، وهي الرد على سؤال المستفسرين: فما بال الأحرف الأخر الستة غير موجودة، وقد أقرأهن رسول الله أصحابه، وأمر بالقراءة بهن، وأنزلهن الله من عنده على نبيه؟ أنسخت فرفعت؟ فما الدلالة على نسخها ورفعها؟ أم نسيتهن الأمة؟ فذلك تضييع ما قد أمروا بحفظه، أم ما القصة في ذلك؟ وأجاب ابن جرير على هذه الأسئلة المحرجة جواباً بارعاً فقال: لم تنسخ الأحرف الستة فترفع، ولا ضيّعتها الأمة وهي مأمورة بحفظها، ولكن الأمة أمرت بحفظ القرآن، وخيرت في قراءته وحفظه بأي تلك الأحرف السبعة شاءت، وضرب لها مثلاً في الفقه: إذا حنث موسر في يمين فله أن يختار كفارة من ثلاث كفارات: إما بعتقٍ، أو إطعام، أو كسوة، فكذلك الأمة أمرت بحفظ القرآن وقراءته، وخيرت في قراءته بأي الأحرف السبعة شاءت قرأت، ولعلة من العلل أوجبت عليها الثبات على حرف واحد قراءته بحرف واحد، ورفض القراءة بالأحرف الستة الباقية، ولم تحظر قراءته بجميع حروفه على قارئه بما أذن له في قراءته به.

رأي السيوطي في «الإتقان»:

أما السيوطي فقد أكد في كتابه «الإتقان» صحة الحديث بشهادة واحد وعشرين صحابياً ذكروه، ثم أراد عثمان بن عفان أن يستوثق من صحته فطلب من المسلمين، وهم مجتمعون في المسجد، أن يقف منهم من سمع هذا الحديث، فوقف من في المسجد كلهم، فقال: وأنا أشهد معهم، وانتقل السيوطي إلى بحث الأقوال التي قيلت في هذا الحديث، فإذا هي نحو أربعين

قولاً، وبدأ فأضاف إشكالاً إلى الإشكالات الموجودة في هذا الموضوع، فقال: إنه ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد، بل المراد: التيسير، والتسهيل، والسعة، ولفظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد كما يطلق السبعون في العشرات، ولكنه ردّ هذا القول بأن في القرآن آيات كثيرة تقرأ على أكثر من سبعة أوجه، ومنها ما يقرأ على أقل، ومنها ما تغيرت حركته ولم يتغير معناه ولا صورته (مادة اللفظ). ومنها ما ذكره الطبري من اختلاف الألفاظ واتفاق المعاني، وذكر الطحاوي أن ذلك كان رخصة لما كان يتعسر على كثير منهم التلاوة بلفظ واحد، لعدم علمهم بالكتابة، والضبط، وإتقان الخط، ثم نسخ بزوال العذر، وتيسر الكتابة والحفظ، وضرب مثلاً لهذا أن عبد الله بن مسعود كان يعلّم رجلاً القرآن فتلا عليه ﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ فقال الرجل: طعام اليثيم، فردّها عليه، فلم يستقم لسانه بها، فقال: أتستطيع أن تقول طعام الفاجر؟ قال: نعم، قال: فافعل.

وقول آخر ذهب إليه الكثير من العلماء، مثل أبي عبيد وثعلب والزهري، وهو: إن الأحرف السبعة هي لغات سبع، فلما قيل لهم: إن لغات العرب أكثر من سبع، أجابوا: إن المراد هو أفصحها.

ولأبي عبيد رأي قيم، وهو: أن في القرآن سبع لغات متفرقة فيه، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن وغيرهم، أي: أن في القرآن ألفاظاً وجملاً مما كانت تعرف هذه القبيلة وهذه القبيلة.

ومضى السيوطي يعرض طائفة أخرى من الأقوال لا أهمية لها، ثم أنهى كلامه بقوله: لقد ظن كثير من العوام أن المراد بالأحرف السبعة القراءات السبع، وهو جهل قبيح.

خلاصة وافية:

ويطول بنا البحث إن رحنا نتقصى ما قيل في هذا الصدد، أو نبحث

الأصول التي تمتد إليها اللغة العربية، فبإمكان القارىء أن يرجع إليها في الكتب المؤلفة بهذا الشأن، وحسبنا أن نقول الآن: إن القرآن نزل باللغة العربية القرشية؛ التي ذابت فيها اللغات الأخرى ولغات القبائل المجاورة بنوع خاص، وقد فهم الصحابة القرآن إجمالاً، ولكن ألفاظاً غير قليلة استغلقت عليهم، بل إن بعضها لا يزال مستغلقاً علينا اليوم، بالرغم من أن وسيلة العلم ببعض اللغات القديمة قد توفرت لدينا، وقدروي أن عمر بن الخطاب لم يفهم كلمة «أباً» من قوله «وفاكهة وأباً» وله العذر فهي كلمة حبشية. وروي عن ابن عباس أن أعرابيين اختصما لديه في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها وعارضه الثاني، قال ابن عباس: ففهمت حينئذ معنى قوله تعالى: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾. وروي عن ابن عباس أيضاً أنه لم يكن يفهم معنى الآية: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ حتى سمع فتاة من اليمن ـ بنت ذي يزن ـ تنادي زوجها: أفاتحك، تقصد: أحاكمك.

وقد ذكر ابن النقيب في «خصائص القرآن» أن القرآن احتوى على جميع لغات العرب، وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير، وقد سبق أن أوردنا هذا القول ومن الألفاظ غير العربية التي فطن الأقدمون إلى وجودها في القرآن ما يأتي:

إستبرق: يونانية. مشكاة: الكوة بالحبشية. ابلعي ماءك: هندية أو حبشية. منسأة: عصا بالنبطية. الأرائك: حبشية أب: حبشية. إصر أي: عهد: نبطية. أخلد: عبرية. أواب: المسبح بالحبشية. أسفار: سريانية، أو نبطية. بطائنها: أي ظواهرها بالقبطية. أليم: موجع. قالوا زنجية، أو عبرية. تنور: فارسية. الأداة: الموقن بالحبشية. جهنم: يونانية أو فارسية. حصب: بمعنى حطب في الزنجية. حواريون: أي: غسالون: بالحبشية. دينار: فارسية. دري: أي مضيء: بالحبشية. رهواً: سهلاً بالسريانية. السجل: الكتاب بالحبشية. سجيل: فارسية. الرس: أي البئر: باليونانية. سندس: فارسية وهندية سرياً: قيل سريانية، أو نبطية، أو يونانية. الطاغوت:

الكاهن بالحبشية. غساق: المنتن البارد بالتركية. الصراط: الطريق بلغة الروم الفردوس: البستان بالرومية عدن: الكروم بالسريانية. القسطاس: الميزان بالفارسية. غيض: أي: نقص، بالحبشية. كافور: بالفارسية. القسط: العدل بالفارسية. اليمّ: البحر بالسريانية والقبطية. قسورة: الأسد بالحبشية. ناشئة الليل: بالحبشية. كفلين: ضعفين بالحبشية. وزر: الملجأ بالنبطية. كوّرت: أي: غورت، بالفارسية. هيت لك: بالقبطية. مرقوم: مكتوب بالعبرية. ياقوت: بالفارسية. مناص: فرار بالنبطية. يحور: يرجع بالحبشية. المهل: الزيت بلسان البربر. يعهد: أي ينضج بالبربرية. هوناً: بالسريانية. الفوم: الحنطة بالعبرية.

وقد أورد السيوطي في «الإتقان» هذه الألفاظ وغيرها، كما أورد مئات الألفاظ وردت في القرآن بغير لغة الحجاز، ومنها لغات اليمن، وقد نص على كثير من الألفاظ الحميرية بالذات، فقد ذكر مثلاً أن أسطوراً بلغة حمير تعني الكتاب، وعلى هذا يفهم قوله: ﴿ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ ﴾. وذكر أن اللهو تعني المرأة بلغة اليمن، وعلى هذا تفهم الآية: ﴿ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوًا ﴾ ترى ما الذي يمنع وقد صح لدينا أن أمر الألفاظ القرآنية والمصادر العديدة التي جاءت منها، أن تكون الأحرف السبعة هي هذه اللغات العديدة التي ذابت في لغة قريش، والتي علم النبي بعضها والتي تضمنتها ألفاظ القرآن؟!

إننا نرجح مبدئياً، وليس لدينا وسائل الجزم النهائي، أن هذا هو الصواب في شأن الأحرف السبعة، فهي تشير إلى ألفاظ كثيرة من لغات عدة استعملها القرآن منها: الفارسية، واليونانية، والآرامية، والكلدانية، والحبشية، والحميرية، والعبرية، والسريانية، والمصرية، وكلها أضيفت إلى لغة قريش، فقوت من شأنها، وأزالت الركاكة والغثاثة التي كانت موجودة في لغة القبائل الأخرى؛ التي كانت تفد إلى الحج، وهي التي تلتزم حروفاً بدل حروف، مثل إبدال كاف المؤنث شيناً، فيقولون: كتابش بدل كتابك، وعليه قوله:

فعيناش عيناها وجيدش جيدها		ولكن عظمَ السَّاقِ منش دقيق

وأصله:

فعيناك عيناها وجيدك جيدها ولكن عَظْمَ السَّاق منك دقيق

وهي قبيلة قيس. ومثل الذين لا يستطيعون النطق بالسين، فيستبدلون بها تاء، فالناس عندهم النات، وهم قبيلة تميم.

خلا القرآن من هذه اللهجات الكثيرة، والتزم الإعراب في أواخر الكلمات جميعاً. ولم يكن ملتزماً في كثير من اللغات الأخرى، وعرف النبي وهو متلقي الوحي، ومعلم القرآن الأول تفسير ما أنزل عليه كله، وما سأله عنه أصحابه كان يخبرهم به، ولعلهم كانوا يتحاشون سؤاله في كثير من الألفاظ، بدليل جهلهم بها بعد وفاته، ونهيهم عن التكلف والتعمق، أي: البحث في معنى كل لفظ، والتنقيب وراءه، وليس هذا الذي نقوله في أمر ألفاظ القرآن، وإنما هي الأحرف السبعة قولاً شاذاً لم يقل به أحد، وإنما قال به كثيرون منهم: أبو عبيد القاسم بن سلام، وثعلب، وأبو حاتم السجستاني، وغيرهم.

وإذاً فمن الخطأ كل الخطأ أن نقول: أن قرآناً نزل ليكون معجزة نبي، ثم نقول: إنا قادرون على أن نبدل لفظاً مكان لفظ؛ لأن لدينا الكثير من الألفاظ، أي: المترادفات. استمع إلى هذه الآية: ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا ﴾ ثم نقرؤها على الأحرف التي يقول عنها هكذا «للذين آمنوا أمهلونا» أو «للذين آمنوا ارقبونا» ولنترك للقارىء أن يدقق النظر قليلاً، ويطيل التفكير ليرى هل يتفق معنى هذه التعابير كلها، وهل يبقى لها مكانها من الإعجاز وهي بهذه الصورة؟ واسمع إلى الآية الأخرى: ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ ﴾ و«كلما أضاء لهم مروا فيه» و«كلما أضاء لهم سعوا فيه» من يقل أن مشى وسعى ومرّ متساوية في الاستعمال، فهو جاهل كل الجهل، خابط في عشواء من الضلال.

الأحرف السبعة، إذن، شيء آخر غير هذه التعديلات والتبديلات، وأدنى إلى الصواب في توضيحها ما ذكرناه من تضمن القرآن الكثير من الألفاظ الأعجمية التي دخلت إليه، وإلى لغة قريش من الشعوب المحيطة بشبه

الجزيرة، وسيأتي مزيد بيان لهذا البحث الجليل؛ الذي طال قليلاً، ولم يكن من شرط الكتاب.

ونذكر بهذه المناسبة أن المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد وضع كتابيه: «أبو الأنبياء: الخليل إبراهيم» و«الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين» وتصدى فيهما لقضية لغة خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وردّ على المنحرفين الذين يريدون أن ينحرفوا ببحوثهم في اتجاه معين مسبوق بتخطيط ينسلخ بسببه العرب عن صلتهم بالخليل، وأثبت صلة إبراهيم الوثيقة بالعروبة في وقت مبكر يقع بين القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد، ونرى تتميماً لبحثه الرفيع أن نورد حديثاً ساقه الإمام البخاري في صحيحه، ورواه بسنده عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وقد استوعب هذا الحديث صفحات عدة من هذا السفر العظيم، نوجز تلخيصه، وتحديد موضوعاته، فيما يأتي:

(١) تحدّث عن الشخصيات الطاهرة التي نزلت بمكة وقت كان ليس بها أحد ولا ماء، وهم: الخليل إبراهيم، وهاجر، وابنها الرضيع إسماعيل.

(٢) نبع زمزم لهاجر وولدها.

(٣) قدوم بطن عربي جرهمي، واستئذانه هاجر في السماح له بالإقامة في مكة راضين بشرطها ـ أن لا حق لهم في الماء ـ واستقدموا أهلاً لهم، وقد شب إسماعيل عليه السلام بينهم، وتزوج منهم مرتين.

(٤) زيارات ثلاث للخليل إلى مكة لوديعته عدا الأولى التي قدم فيها بأهله إليها، وكان آخرها تلك الزيارة مع ولده، وأُمر فأذن في الناس بالحج.

وهذا الحديث يعطي حقائق موضوعية هامة توضح بعض ما غاب عن التاريخ في منهجه الحديث:

أولها: بيانه الواضح عن مبدأ تاريخ العمران في مكة.

ثانيهما: يوضح حلقة مفقودة لدى المؤرخين عن ممالك الإسماعيليين في شمال الجزيرة العربية.

ثالثهما: لغة الخليل، فقد زار الخليل مكة أربع زيارات، وتزوج إسماعيل امرأتين من جرهم، وكان يخاطبهما ويحاورهما بالعربية حتماً دون مترجم، فصحّ ما قاله العقاد، ولسنا نقول أنه تحدث بالعربية التي هي عربيتنا، أعني لغة القرآن الكريم، لكنها عربية زمانه الوثيقة الصلة أصولاً وفروعاً بعربية القرآن الكريم.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٦ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ يَسُومُونَكُمْ ﴾: يذيقونكم، وأصله من سام السلعة يسوم سوماً وسواماً: عَرَضها وذكر ثمنها، وسام المشتري السلعة: طلب بيعها، أو ثمنها، وسامت الماشية: خرجت إلى المرعى، وسامه الأمر: كلفه إياه، وسامه خسفاً: أذله، قال عمرو بن كلثوم:

إذا ما الملكُ سامَ الناسَ خَسْفاً أبينَا أن نقرَّ الذّلَّ فينا

وسام الطير على الشيء: حام عليه، وسامت الريح: مرّت واستمرت، وسام ناقته على الحوض: عرضها عليه.

ومن المجاز: سمت المرأة المعانقة: أردتها منها، وعرضتها عليها. وللسين مع الواو فاء وعيناً خاصة عجيبة، أنهما تفيدان الكلمة معنى الإحاطة

بالشيء، والهيمنة عليه، وشموله، وتغطيته؛ لأن المحيط بالأشياء شامل لها مهيمن عليها؛ فالسوء: القبح، وهو يحيط بصاحبه ويلفّه، كما يحيط بمن يمتد إليهم ويصيبهم، وقال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ وفلان يحيط الحسنى بالسوءى، وهذا مما ساءك وناءك ومما يسوءك وينوءك، قال الجاحظ: هو من السوء: البرص، وقال أبو زُبَيْد:

لم يَهَبْ حُرْمَةَ النَّدِيمِ وحُقَّتْ يـا لَقَـوْمـي للسَّـوْأَةِ السَّـوْآءِ

وسوّج وسيّج الكرم ونحوه، أو على الكرم: عمل عليه سياجاً يحوطه ويصونه، والسِّياج ـ بكسر السين ـ: الحائط وما أحيط به على كرم ونحوه، وجمع السياج: سياجات وأسوجة وسُوج، وعملت سفينة نوح من ساج، وهي خُشُب سود رزان لا تكاد الأرض تبليها، ولبسوا السيجان، وهي: الطيالسة المدورة الواسعة، والساحة: فضاء بين دور الحي يحيط بها لا بناء فيه ولا سقف، وجمعه ساح وسوح وساحات، ويقولون: اخمر اللُّوحُ، واغبرَّت السُّوح؛ إذا وقع الجدب، وقال أبو ذؤيب:

وكـانَ سِيَّـان ألاَّ يَسْـرَحُـوا نَعَمـاً
أَوْ يَسْـرَحُـوهُ بهـا واغبـرَّتِ السُّـوحُ

وساخت قوائم الدابة في الأرض، وهذه أرض تسوخ بها الأقدام، وساخت بهم الأرض، وساد قومه يسودهم؛ كأنما أحاطهم بنعمته وغلبته، وساده، أي: غلبه عند المغالبة، والسواد: خلاف البياض، وهو لون يحيط بالجسم، أو بالشيء، والسواد: الشخص. سواد البلدة: ما حولها من الريف والقرى. ومنه سواد العراق: لما بين البصرة والكوفة، ولما حولهما من القرى. وقد أبدع شوقي في قوله:

قفْ تمهَّلْ وخُذْ أماناً لقلبي من عُيُونِ المَهَا وَرَاء السَّوادِ

والأسود معروف، والأسود: الحية العظيمة السوداء، وهي المعروفة بالحنش، وفلان أسود الكبد، أي: عدو، وهم سود الأكباد، أي: أعداء، والسوداء والسويداء عند الأطباء، خلط مقره في الطحال مرض الماليخوليا،

وهو فساد الفكر في حزن، وسوداء القلب وسويداؤه: حبته، وساوره: وثب عليه، وله سورة في الحرب، وتسورت الحائط، والسور: حائط يطوف بالمدينة، ويحيط بها، وسورة الخمر وسُوارها: حدتها، والسوار: حلية كالطوق تلبسه المرأة في زندها، وهو بكسر السين وضمها، ويقال: الإِسوار، والوالي يسوس الرعية، ويسوس أمرهم، وسُوِّس فلانٌ أَمْرَ قومه بالبناء للمجهول، قال الحطيئة:

لقد سُوِّسْتِ أَمْرَ بَنيكِ حتى تـرَكْتِهِـمْ أَدَقَّ مِـنَ الطَّحِينِ

والسياسة: استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل أو الآجل، ولا جرم من يسوس القوم: يحيط بأمورهم، وساطه يسوطه سوطاً: ضربه بالسوط، ولا يضرب إلا من هيمن على الآخر وعليه، والساعة: الوقت المعلوم، وهو يحيط بالموجودات جميعها، فلا يندّ عنها شيء، وساغ الشراب: سهل، فكأنه غالب لا يقف شيء في طريقه، وساف الشيء: شمّه وفيه معنى الإحاطة والهيمنة، وسوّفه: مطله، وقال له مرة بعد مرة، وكم مسافة هذه الأرض، والمسافة: تحيط بما يمتلكه صاحب الأرض، وبينهم مساوف جمع مسافة، وقال ذو الرُّمَّة:

فقـامَ إلى حَـرْفٍ طَـوَاهـا بِطَّيـةٍ بها كُلُّ لَمَّاعٍ بَعِيدِ المَسَاوِفِ

وساق النعم فانساقت، والسوق معروفة، تحيط بما يعرض فيها من شخوص وبضائع وأمتعة، وساك يسوك سوكاً: دلك، وسوّل الشيطان له أمراً: غلبه على أمره فزين له الشر، وسوّى بين الناس: ساوى بينهم، وسويت المعوج فاستوى، والرحمن على العرش استوى، أي: استولى، ورآه في سواء المكان: في وسطه، وسوي الرجل: استقام أمره، ولا يستقيم الأمر إلا لمن غلب، وهما سواء، وهم سواسية في الشر، وهذا من عجيب أمر هذه اللغة.

﴿ وَيَسْتَحْيُونَ ﴾: يستبقون.

○ الإعـراب:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة للشروع في تفصيل ما أجمله عن الرسل في قوله تعالى: «وماأرسلنا من رسول»، واللام جواب قسم محذوف، وأرسلنا فعل وفاعل، وموسى مفعول به، وبآياتنا متعلقان بمحذوف حال، أي: مصحوباً بآياتنا ومعززاً بها ﴿ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ أن مفسرة، والضابط لها موجود، وهو أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه، وأرسلنا فيه معنى قلنا، أي: قلنا له أخرج، ويجوز أن تكون أن المصدرية الناصبة للفعل، وإنما صلح أن توصل بفعل الأمر؛ لأن الغرض وصلها بما تكون معه في تأويل المصدر، وهو الفعل، والأمر وغيره سواء في الفعلية، وتكون مع مدخولها منصوبة بنزع الخافض، والتقدير: بأن أخرج قومك، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف منصوب على الحال، أي: قائلين له أخرج قومك، وعلى هذا يكون إعرابها تفسيرية أقل عناء ما دام التقديران يرتدان إلى أصل واحد. وقومك مفعول به لأخرج، ومن الظلمات إلى النور متعلقان بأخرج ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ﴾ الواو عاطفة، وذكرهم فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به، وبأيام الله متعلقان بذكرهم، وسترى بحثاً مفيداً عن قوله أيام الله في باب الفوائد ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ إن حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك خبرها المقدم، واللام المزحلقة للتوكيد، وآيات اسم إن المؤخر، ولكل صفة، وصبار مضاف إليه، وشكور صفة لصبار ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ الظرف متعلق بمحذوف يفسره ما بعده، وهو اذكروا، أي: اذكر، وجملة قال موسى مضاف إليها الظرف، ولقومه متعلقان بقال، واذكروا فعل أمر، والواو فاعل، ونعمة الله مفعول به، وعليكم متعلقان بمحذوف حال، أي: كائنة عليكم ﴿ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ الظرف متعلق بنعمة الله إذا كانت بمعنى الإنعام، أي: إنعامه ذلك الوقت، ويجوز أن تكون بدلاً من النعمة؛ لأن النعمة تشتمل على النجاة، فيكون بدل اشتمال،

ومن آل فرعون جار ومجرور متعلقان بأنجاكم ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ أحوال ثلاثة من آل فرعون، أو من ضمير المخاطبين ﴿وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ الواو عاطفة، وفي ذلكم خبر مقدم، وبلاء مبتدأ مؤخر، ومن ربكم صفة بلاء، وعظيم صفة ثانية.

* الفوائد:

(أيام الله) هي ـ كما في القاموس ـ نعمه، ويوم أَيْمَم: شديد، وآخر يوم في الشهر. وفي «المختار»: وربما عبروا عن الشدة باليوم. وهذا من باب المجاز العقلي، ووجهه: أن العرب تتجوز بنسبة الحدث إلى الزمان مجازاً فتضيفه إليه، كقولهم: نهاره صائم وليله قائم، ومكر الليل، ويترجح تفسير أيام الله ببلائه ونعمائه، وجنح الزمخشري إلى تفسير أيام الله بوقائعه التي وقعت على الأمم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود. قال: ومنه: أيام العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذي قار، ويوم الفجار، وغيرها، وقد عبر عنها عمرو بن كلثوم بقوله:

وأيّامٍ لَنَا غُرٍّ طِوَالٍ عَصَيْنا المَلكَ فِيهَا أَنْ نَدِينا

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝٧ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٨ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا

بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ تَأَذَّنَ ﴾ : أذن، ونظير تأذن توعد وأوعد، وتفضل وأفضل، ولا بد في تفعل زيادة معنى ليس في أفعل؛ لما في التفعل من التكلف والمبالغة.

○ **الإعراب:**

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ وإذ عطف على نعمة الله عليكم، كأنه قيل: وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم، واذكروا حين تأذن ربكم، ويجوز عطفه على «إذ أنجاكم»، وجملة تأذن مضاف إليها الظرف، وربكم فاعل تأذن، وجملة «لئن شكرتم» مقول قول محذوف، أو أجري تأذن مجرى قال؛ لأنه ضرب من القول، فلا حاجة لتقدير القول، واللام موطئة للقسم، وإن شرطية، وشكرتم فعل الشرط، ولأزيدنكم اللام جواب القسم، وجملة لأزيدنكم لا محل لها؛ لأنها جواب القسم، وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم، وفاقاً للقاعدة ﴿ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ جملة معطوفة على نظيرتها، وجواب القسم محذوف، ولكنه مدلول عليه ضمناً بقوله: «إن عذابي لشديد» أي: لأعذبنكم، وإنما حذفه هنا، وأظهره في مقام الشكران؛ لأن من عادة الله ـ وهو الكريم ـ أن يصرح بالوعد، ويعرض بالوعيد، وإن واسمها وخبرها ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ وقال موسى فعل وفاعل، وجملة «إن تكفروا» مقول القول، وإن شرطية، وتكفروا فعل الشرط، والواو فاعل،

وأنتم تأكيد للواو، ومن عطف على الواو، وفي الأرض صلة من، وجميعاً حال، والفاء رابطة، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وحميد خبرها ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويأت فعل مضارع مجزوم بلم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، والكاف معفول به، ونبأ فاعل، والذين مضاف إليه، ومن قبلكم صفة ﴿ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ قوم بدل من الذين، ونوح مضاف إليه، وعاد وثمود معطوفان، والذين من بعدهم مبتدأ، وجملة لا يعلمهم إلا الله خبر، والجملة الاسمية معترضة بين المفسّر وهو نبأ الذين من قبلكم وتفسيره وهو: «جاءتهم رسلهم بالبينات»، ويجوز أن تكون والذين من بعدهم عطف على ما قبله، وهو قوم نوح، أو الذين من قبلكم، وقوله: «لا يعلمهم إلا الله» معترضة ﴿ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ جملة مستأنفة، أو خبر ثان للذين، ورسلهم فاعل، وبالبينات متعلقان بجاءتهم ﴿ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ ﴾ الفاء عاطفة، وردوا فعل وفاعل، وأيديهم مفعول به، وفي أفواههم متعلقان بردوا، أو بمحذوف حال، وسيأتي بحث عن هذا التعبير في باب: البلاغة، وقالوا عطف على ردوا، وإن واسمها وجملة كفرنا خبر، وبما متعلقان بكفرنا، وجملة أرسلتم صلة، وبه متعلقان بأرسلتم ﴿ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ وإنا عطف على إنا السابقة، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وفي شك خبر، ومما متعلقان بشك، أو صفة له، وجملة تدعوننا صلة، وإليه متعلقان بتدعوننا، ومريب صفة لشك ﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ ﴾ جملة مستأنفة، مبنية على سؤال مقدر يقتضيه المقام، كأنه قيل: فماذا قالت رسلهم؟ فأجيب بأنهم قالوا منكرين، فالهمزة الاستفهامية للإنكار من مقالتهم الحمقاء، وفي خبر مقدم، وشك مبتدأ مؤخر، وقيل شك فاعل أفي الله؛ لاعتماده على الاستفهام، ورجّحه النحاة القدامى وجميع المعربين؛ لئلا يلزم على الوجه الأول الفصل بين الصفة والموصوف بأجنبي، وهو المبتدأ، بخلاف الفاعل الذي هو كالجزء من رافعه، والحق أن هذا كله لا أساس له،

والوجه هو الأول ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ فاطر صفة لله، أو بدل منه، وجملة يدعوكم حالية، أي: حالة كونه يدعوكم إلى الإيمان بإرساله إيانا، واللام للتعليل، ويغفر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بيدعوكم، ومن ذنوبكم متعلقان بيغفر، وهي بمعنى التبعيض، قال في «الكشاف»: فإن قلت ما معنى التبعيض في قوله «من ذنوبكم» قلت: ما علمته جاء إلا هكذا في خطاب الكافرين لئلا يسوي بينهم وبين المؤمنين. وقال الرازي: أما قول صاحب الكشاف: المراد تمييز خطاب المؤمن من خطاب الكافر، فهو من باب الطامات؛ لأن هذا التبعيض إن حصل فلا حاجة إلى ذكر الجواب، وإن لم يحصل كان هذا الكلام فاسداً. وقال بعضهم: هي للبدل، أي: بدل عقوبة ذنوبكم، ويحتمل أن يضمن يغفر معنى يخلص، أي: يخلصكم من ذنوبكم، واختار أبو عبيدة زيادتها تبعاً للأخفش؛ الذي يجيز زيادتها في الموجب.
﴿ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ويؤخركم عطف على يغفر، وإلى أجل متعلقان بيؤخركم، ومسمى نعت لأجل ﴿ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ إن نافية، وأنتم مبتدأ، وإلا أداة حصر، وبشر خبر، ومثلنا صفة ﴿ تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ جملة تريدون صفة ثانية لبشر، أو تكون مستأنفة، وتريدون فعل وفاعل، وأن وما في حيزها مفعول تريدون، وعما متعلقان بتصدونا، وجملة كان صلة، وجملة يعبد خبر كان، وآباؤنا فاعل يعبد ﴿ فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ الفاء الفصيحة، وائتونا فعل أمر وفاعل ومفعول به، وبسلطان متعلقان بائتونا، ومبين صفة ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ قالت لهم رسلهم فعل وفاعل، ولهم متعلقان بقالت، وإن نافية، ونحن مبتدأ، وإلا أداة حصر، وبشر خبر، ومثلكم صفة ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ الواو حالية، أو عاطفة، ولكن واسمها، وجملة يمن خبرها، وعلى من متعلقان بيمن، وجملة يشاء صلة، ومن عباده حال ﴿ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ الواو عاطفة، وكان فعل ماض ناقص، ولنا خبر كان المقدم، وأن ومدخولها في تأويل مصدر اسم كان

المؤخر، وبسلطان متعلقان بنأتيكم، وإلا أداة حصر، وبإذن الله حال، أي: متلبساً بإذن الله ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ الواو عاطفة، وعلى الله متعلقان بيتوكل، والفاء عاطفة أيضاً، واللام لام الأمر، ويتوكل فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، والمؤمنون فاعل يتوكل ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ﴾ الواو عاطفة، وما استفهامية، والاستفهام هنا معناه النفي، أي: لامانع لنا، ولا عذر نتشبث بأهدابه، وهو في محل رفع مبتدأ، ولنا الخبر، وإن وما في حيزها في موضع نصب على الحال، أي: الجار والمجرور فهو منصوب بنزع الخافض، والواو للحال، وقد حرف تحقيق، وهدانا فعل وفاعل مستتر ومفعول به، وسبلنا نصب بنزع الخافض، والمعنى: والحال أنه قد هدانا وفعل بنا ما يوجب التوكل ويستدعيه، حيث هدانا سبلنا، أي: أرشد كلاً منا سبيله ومنهاجه ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ﴾ الواو عاطفة، واللام جواب قسم محذوف، ونصبرن: فعل مضارع مبني على الفتح، وعلى ما: على: حرف جر، وما: مصدرية، وآذيتمونا فعل وفاعل ومفعول، والواو للإشباع، ويجوز أن تكون ما موصولة، أي: على الذي آذيتمونا به ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ تقدم إعرابها، وكرر الأمر بالتوكل؛ لأن الأول لاستحداث التوكل، والثاني لإثباته.

□ البلاغة:

رد الأيدي في الأفواه بقوله تعالى: ﴿ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ وعض الأنامل، وحرق الإرم: كناية عن الغيظ، والضجر عند حدوث مالا تهواه النفس وتريده. قال أبو عبيدة: هو ضرب مثل، أي: لم يؤمنوا ولم يجيبوا، والعرب تقول للرجل إذا أمسك عن الجواب وسكت: قد ردّ يده في فيه، وهكذا قال الأخفش، واعترض ذلك القتيبي، فقال: لم يسمع أحد من العرب يقول: رد يده في فيه؛ إذا ترك ما أمر به. وقيل: المراد برد الأيدي في الأفواه هنا الضحك والاستهزاء، كمن غلبه الضحك، فوضع يده على فيه، وقيل: إن المراد بالأيدي والأفواه غير الجارحتين، فقيل: المراد بالأيدي

النعم، ومعناه: ردوا مالو قبلوه لكان نعمة عليهم، يقال: لفلان عندي يدٌ، أي: نعمة، والمراد بالأفواه: تكذيبهم الرسل، والمعنى: كذبوا بأفواههم، وردوا قولهم، وهناك أقوال أخرى ضربنا عنها صفحاً؛ لأن أقوى الوجوه هو الأول؛ لأن إقناطهم الرسل من الإيمان قولاً وفعلاً بوضع اليد في الفم هو المناسب؛ لحسدهم في الكفر، وتصدير العبارة بالحرف المؤكد، ومواجهة الرسل بضمير الخطاب، وإعادة ذلك مبالغة في التأكيد دلَّ على قنوطهم بالمرة.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

(عاد): لها معان كثيرة، وهي هنا بمعنى صار، فتلحق بها، وتعمل عملها، ويقال: عاد إليّ من فلان مكروه، أي: صار منه إلي. ومن معانيها: عاده يعوده عوداً: صرفه. وعاد السائل: رده، وعاد فلاناً بالمعروف: صنعه معه. ومن معانيها: عاده عوداً: صيره عادة، وكذلك عاد يعود عَوْداً وعياداً وعيادة وعُوادةً المريض: زاره، فهو عائد. وفي القاموس: عاد يعود الشيء عوداً وعياداً: بدأه وباشره ثانياً، قيل: ومنه المثل: «العود أحمد».

﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ ﴾: استنصروا الله على أعدائهم، كقوله تعالى: ﴿ إن

تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ وقيل: استحكموا الله، وسألوه القضاء بينهم، من الفتاحة، وهو الحكومة، كقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ ﴾. وفي القاموس: والفتح كالفتاحة بضم الفاء وكسرها: الحكم بين الخصمين.

﴿ صَدِيدٍ ﴾: هو ما يسيل من جلود أهل النار.

﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ ﴾: يتكلف جرعه، أي: ابتلاعه. وفي الأساس: جرعت الماء واجترعته بمرة، وتجرعته شيئاً بعد شيء، وما سقاني إلاَّ جُرعة وجُرَيعة وجُرَعاً، وبتنا بالأجرع وبالجرعاء، ونزلوا بالأجارع، وهي: أرضون حزنة يعلوها رمل.

﴿ يُسِيغُهُۥ ﴾: من أساغ الطعام أو الشراب: سهل دخوله في الحلق.

○ الإعراب:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ ﴾ قال الذين فعل وفاعل، وجملة كفروا صلة، ولرسلهم جار ومجرور متعلقان بقال، واللام موطئة للقسم، ونخرجنكم فعل وفاعل مستتر ومفعول به، ومن أرضنا متعلقان بنخرجنكم، والجملة مقول القول ﴿ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ﴾ أو حرف عطف بمعنى إلا، وسيأتي مزيد بحث عن أو في باب الفوائد. ولتعودن عطف على نخرجنكم، غير أن الفعل هنا معروب لعدم مباشرة نون التوكيد له، وهو مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل، والنون المشددة نون التوكيد الثقيلة، وقد تقدم له نظائر، وفي ملتنا متعلقان بتعودن، أو خبرها ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الفاء عاطفة، وأوحى إليهم ربهم فعل وفاعل، ولنهلكن اللام جواب للقسم المحذوف، ونهلكن الظالمين فعل مضارع مبني على الفتح، وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة لا محل لها من الإعراب؛ لأنها مفسرة ﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ الواو عاطفة، ونسكننكم فعل

مضارع مبني على الفتح وفاعل ومفعول به، والأرض نصب بنزع الخافض، أو مفعول به على السعة، وقد تقدم القول في دخل وسكن ونحوهما، ومن بعدهم حال ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ ذلك مبتدأ، ولمن خبر، وجملة خاف صلة، وفاعله مستتر تقديره هو ومقامي مفعول به، وهو مصدر مضاف للفاعل، أي: قيامي عليه بالحفظ، أو اسم مكان، قال الزجاج: مكان وقوفه بين يدي للحساب، وخاف فعل ماض أيضاً، ووعيد مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة لمراعاة الفواصل ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ واستفتحوا فعل ماض، والواو فاعل، والضمير يعود على الرسل، أي: واستنصروا الله على أعدائهم، وقيل: يعود على الكفار، أي: واستفتح الكفار على الرسل، والأولى أنه يعود على كلا الفريقين؛ لأن كلاًّ من الجانبين يلتمس النصر على صاحبه، فالواو استئنافية، والجملة مستأنفة، وخاب كل جبار فعل وفاعل، وعنيد صفة لجبار، ومعنى خاب هلك أو خسر، والعنيد: المعاند للحق، والمجانب له، وهو مأخوذ من العند، وهو الناحية، أي: أخذ في ناحيته معرضاً، قال الشاعر:

إذا نزلتُ فاجْعَلُوني وَسَطاً إنِّي كبيرٌ لا أُطِيقُ العُنَّدا

وقال الزجاج: العنيد: الذي يعدل عن القصد ﴿مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ من ورائه خبر مقدم، وجهنم مبتدأ مؤخر، ومعنى من ورائه: من بين يديه، أي: من أمامه وخلفه، والجملة صفة ثانية لجبار، ويسقى الواو عاطفة على مقدر جواباً عن سؤال سائل، وكأنه قيل: فماذا يكون إذن؟ قيل: يلقى فيها ويسقى. ويسقى فعل مضارع مبني للمجهول، ومن ماء متعلقان بيسقى، وصديد بدل من ماء، أو عطف بيان له، كأنه قال: ويسقى من ماء، ثم أراد أن يبين ما أبهمه فأردف بقوله: «صديد» لأن الصديد هو الماء، ولكنه السائل من جلود أهل النار خاصة قال أبو حيان: وقال ابن عطية: هو نعت لماء، كما تقول: هذا خاتم حديد، وليس بماء، ولكنه لما كان بدل الماء في

العرف عندنا، يعني: أطلق عليه ماء، وقيل: هو نعت على إسقاط أداة التشبيه، كما تقول: مررت برجل أسد، التقدير: مثل صديد، فعلى قول ابن عطية هو نفس الصديد، وليس بماء حقيقة، وعلى هذا القول لا يكون صديداً، ولكنه ما يشبه الصديد. وقال الزمخشري: صديد عطف بيان لماء، قال: ويسقى من ماء فأبهمه إبهاماً، ثم بينه بقوله صديد. والبصريون لا يجيزون عطف البيان في النكرات، وأجازه الكوفيون، وتبعهم الفارسي، فأعرب زيتونة عطف بيان لشجرة مباركة. وجملة «يسقى» معطوفة على محذوف، تقديره: من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى من ماء شديد يتميز عن عذابها بما هو أشدّ وأبلغ في الإيلام ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ الجملة صفة لماء، ويتجرعه فعل وفاعل مستتر ومفعول به، ولا بأس بجعل الجملة مستأنفة، مسوقة للرد على سؤال، كأنه قيل: فماذا يفعل به؟ فقيل: يتجرعه، أي: يتكلف جرعه مرة بعد مرة؛ إطفاء لسورة العطش، وحرارة الغليل، ولا: الواو عاطفة، ولا نافية، ويكاد من أفعال المقاربة، واسمها مستتر تقديره: هو، وجملة يسيغه خبر، وسيأتي مزيد من بحث هذا التركيب العجيب في باب: البلاغة ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ الواو عاطفة، ويأتيه الموت فعل وفاعل مؤخر ومفعول مقدم، أي: أسباب الموت كأنها تظاهرت عليه، فهي تأتيه من كل مكان، والجار والمجرور في موضع نصب على الحال، أي: تأتيه محيطة به من جميع جهاته ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ الواو للحال، وما نافية حجازية، وهو اسمها، والباء حرف جر زائد، وميت مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما، ومن ورائه خبر مقدم، وعذاب مبتدأ مؤخر، وغليظ صفة لعذاب ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ مثل الذين مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه، تقديره: وفيما يقص عليكم مثل، وقد تقدمت نظائره، وجملة «كفروا بربهم» صلة، وأعمالهم مبتدأ، والكاف بمعنى مثل خبر، أو هي حرف مع مجرورها في محل رفع خبر، والجملة مستأنفة للإجابة على سؤال مقدر نشأ عن تقدير المثل، كأنه قال: وما ذلك المثل؟ فقيل: أعمالهم كرماد،

ويجوز أن يكون مثل مبتدأ، وأعمالهم مبتدأ ثانياً، وكرماد خبر الثاني، والثاني وخبره خبر الأول. وقد رد أبو حيان هذا الوجه بقوله: وهو لا يجوز؛ لأن الجملة الواقعة خبراً عن المبتدأ الذي هو مثل عارية من رابط، يعود على المثل، وليست نفس المبتدأ في المعنى، فلا تحتاج إلى رابط، ويجوز ـ وهو وجه جميل ـ أن يكون مثل مبتدأ، وأعمالهم بدل اشتمال منه، وكرماد خبر مثل وأعمالهم معاً، وجملة اشتدت به الريح صفة لرماد، وفي يوم عاصف حال من الريح ﴿ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ الجملة حالية من فاعل كفروا، ويقدرون فعل وفاعل، ومما كسبوا حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لشيء، وقد تقدم عليه، وعلى شيء متعلقان بيقدرون، وجملة كسبوا صلة، وذلك مبتدأ، وهو مبتدأ ثان، والضلال خبر الثاني، والثاني وخبره خبر الأول، والبعيد صفة.

□ **البلاغة:**

في هذه الآيات أفانين متعددة من البلاغة، نوردها فيمايلي:

(١) في ألفاظ الآيات الواردة مورد التهديد والوعيد مراعاة النظير، وقد تقدم بحثه، فجميع ألفاظها متضافرة على التعبير عن المخيف القارع للقلوب.

(٢) في قوله تعالى: ﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ ﴾ فنون عديدة فيمايلي أهمها:

أ ـ الاستقصاء، وهو أن يتناول المتكلم معنى فيستقصيه، أي: يأتي بجميع عوارضه ولوازمه بعد أن يستقصي جميع أوصافه الذاتية؛ بحيث لا يترك لمن يتناوله بعده فيه مقالاً يقوله، فقد استقصى المعنى الذي أراده في الآية، وهو كراهية الصديد الذي يشربه بأنه يتجرعه، وفيه احتمالات: أولها: أنه مطاوع جرعته بالتشديد، نحو: علمته فتعلم، وثانيهما: أنه للتكلف، وقد اخترناه في الإعراب، أي: يتكلف جرعه. ولم يذكر الزمخشري غيره. وثالثها: أنه دال على المهلة، نحو: تفهمته، أي: يتناوله شيئاً فشيئاً بالجرع، كما يتفهم شيئاً

فشيئاً بالتفهيم. ورابعها: أنه بمعنى جرعه المجرد. وفي جميع هذه الأحوال استقصى غاية ما يمكن أن يتناوله شارب الماء.

ب ـ المبالغة في قوله: ﴿وَلَا يَكَادُ﴾ فدخول فعل يكاد للمبالغة، يعني: ولا يقارب أن يسيغه، فكيف تكون الإساغة؟ كقوله: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ أي: لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها.

جـ ـ ذكر الموت، وأراد أسبابه، وهذا مجاز.

د ـ وصف العذاب بالغلظة كناية عن قوته واتصاله؛ لأن الغلظة تستوجب القوة، وتستدعي أن يكون متصلاً تتصل به الأزمنة كلها، فلا انفصال بينها.

هـ ـ الغلو: بذكر كاد، وهذا يطرد في كل كلام تستعمل فيه أداة المقاربة، كقول الفرزدق:

يكادُ يمسكهُ عرفان راحتِهِ ... ركن الحطيم إذا ما جاءَ يستلم

وقد أفرط أبو العلاء في استعمالها، قال:

تكاد قسيّه من غير رامٍ ... تمكنُ في سيوفهم النِّبالا

تكادُ سوابقٌ حَمَلته تغني ... تجد إلى رقابِهِم انْسِلالا

تكادُ سوابقٌ حَمَلته تغني ... عن الأقدارِ صَوْناً وابْتِذالا

سرى برقُ المعرة بعد وهنٍ ... فباتَ براحةٍ يصف الكلالا

شجا ركباً وأفراساً وإبلاً ... وزاد فكاد أن يشجو الرِّحالا

ولابن خفاجة الأندلسي، وكاد هنا مرقصة:

وأهيف قامَ يسعى ... والسّكر يعطفُ قدّه

وقد ترنَّح غصناً ... وحُمّر الكأسِ ورده

وألهب السّكر خدّاً ... أورى به الوَجْد زنده

فكاد يشربُ نفسي ... وكدتُ أشربُ خدَّه

وكل هذا من الغلو المقبول؛ لأنه مقترن بالأداة، ويزداد حسنه إذا تضمن نوعاً حسناً من التخييل، كقول المتنبي:

عَقَدَتْ سَنَابِكُها عليه عِثْيَراً　　لَوْ تَبْتَغِي عَنَقاً عَلَيْهِ أَمْكَنا

ولأبي العلاء في صفة السيف:

يذيبُ الرعبُ منه كلَّ عَضْبٍ　　فلولا الغمدُ يمسكه لَسَالا

وقال في وصف الخيل:

ولما لم يسابقهن شيءٌ　　من الحيوانِ سابقن الظِّلالا

أما الغلو غير المقبول، فهو نوعان: نوع يستسيغه الفن، كقول المتنبي:

وَلَوْ قَلَمٌ أُلْقِيتُ في شَقِّ رأسِهِ
مِنَ السُّقْمِ ما غَيَّرْتُ مِنْ خَطِّ كاتِبِ

وقول أبي نواس:

وأَخَفْتَ أهلَ الشِّركِ حتَّى أنه　　لتخافُكَ النُّطَفُ التي لم تُخْلَق

و ـ التتميم: وقد تحدثنا عنه أيضاً، ونبينه هنا فنقول: التتميم أنواع ثلاثة: تتميم النقص، وتتميم الاحتياط، وتتميم المبالغة، فقد قال: يتجرعه، ولو قال: جرعه، لما أفاد المعنى الذي أراده؛ لأن جرع الماء لا يشير إلى معنى الكراهية، ولكنه عندما أتى بالتاء على صيغة التفعل أفهم أنه يتكلف شربه تكلفاً، وأنه يعاني من جراء شربه مالا يأتي الوصف عليه من تقزز وكراهية، ثم احتاط للأمر لأنه قد يوهم بأنه تكلف شربه، ثم هان عليه الأمر بعد ذلك، فأتى بالكيدودة، أي: أنه تكلف شربه، وهو لا يكاد يشربه، ولو اكتفى بالكيدودة لصح المعنى دون مبالغة، ولكن عندما جاءت يسيغه أفهم أنه لا يسيغه، بل يغص به، فيشربه بعد اللتيا والتي جرعة غب جرعة، فيطول عذابه؛ تارة بالحرارة، وتارة بالعطش.

(٣) التشبيه التمثيلي بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ﴾ فالمشبه مركب، وهو الذين كفروا وأعمالهم الصالحة التي يقومون بها في حياتهم كصلة يرفدون بها المحتاج، وصدقة يجبرون بها المكسور، وعلم يعم نفعه العباد، والمشبه به الرماد، وهو:

ما سحقته النار من الأجرام، واشتداد الريح، واليوم العاصف، ووجه الشبه أن الريح العاصف تطير الرماد، وتفرق أجزاءه؛ بحيث لا يبقى له أثر، فكذلك كفرهم أبطل أعمالهم، وأحبطها، بحيث لا يبقى لها أثر.

(٤) المجاز العقلي في إسناد العصف لليوم، كقولهم: نهاره صائم وليله قائم، شبهت صنائعهم الحميدة، ومكارمهم المجيدة، وما كانوا ينتدبون له من إغاثة الملهوف، وعتق الرقاب، وفك العاني، وافتداء الأسارى، وعقر الإبل للأضياف، وغير ذلك، شبهت هذه الصنائع في حبوطها، وذهابها هباء منثوراً، لبنائها على غير أساس من معرفة الله، والإيمان به، برماد طيرته الريح في اليوم الذين أسند إليه العصف.

(٥) وصف الضلال بالبعد، تقدم القول فيه قريباً، فجدِّد به عهداً.

* الفوائـد:

«أو» حرف عطف، وله معان، نوردها فيمايلي:

آ ـ الشك نحو: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾.

ب ـ الإبهام، نحو: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ والشاهد في أو الأولى.

ج ـ الإباحة، وهي الواقعة قبل ما يجوز فيه الجمع نحو: جالس العلماء أو الزهاد.

د ـ التخيير، وهي الواقعة قبل ما يمتنع فيه الجمع، نحو: تزوج هنداً أو أختها، وسر ماشياً أو راكباً.

هـ ـ مطلق الجمع، كالواو، كقوله:

وقد زعمتْ ليلى بأنِّيَ فاجِرٌ   لنفسي تُقاها أوْ عليها فُجُورُها

وقد أنكرها بعضهم هنا، وقال: هي للإبهام، أي: إنها تعلم اتصافها بالأمرين، وقصدت الإبهام على السامع، وهذا مردود؛ لأن كون التقى

للنفس والفجور عليها أمران مجتمعان في الواقع، كما قال تعالى: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ ومن ورودها لمطلق الجمع قول جرير:

جاءَ الخلافة أو كانتْ لهُ قدراً كما أتى ربَّهُ موسى على قَدَرِ

وقول النابغة المشهور في معلقته:

قالتْ أَلاَ لَيْتَما هذا الحَمَامُ لنا إِلى حَمَامَتِنَا أوْ نِصْفُهُ فَقَدِ

وعلى هذا المعنى حمل بعض العلماء أو في قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ وفيها أقوال أخرى، سترد في مكانها إن شاء الله.

و ـ الإضراب كـ «بل»، واشترط سيبويه لإجازة تلك شرطين: تقدم نفي أو نهي، وإعادة العامل، نحو: ما قام زيد، وما قام عمرو، واستشهد بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ ولم يشترط غير سيبويه هذين الشرطين، واستشهدوا بقول جرير:

كانوا ثمانينَ أَوْ زادُوا ثمانيةً لولا رجاؤُكَ قدْ قَتَّلْتُ أولادي

وقيل: هي المقصودة بقوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ فقال الفراء: الإخبار الأول بحسب ما يظهر للناس؛ ليندفع الاعتراض بأنه كيف يجوز الإضراب مع كونه عالماً بعددهم، وأنهم يزيدون فهو إخبار منه تعالى بناء على ما يحزر الناس من غير تحقيق، ثم أخذ في التحقيق مضرباً عما يغلط فيه الناس، بناء على ظاهر الحزر، وسيأتي المزيدُ من هذا البحث القيم عند الكلام على هذه الآية.

ز ـ التقسيم، نحو: الكلمة اسم أو فعل أو حرف، وسماه بعضهم التفريق، نحو قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ وهو أولى من التعبير بالتقسيم؛ لأن استعمال الواو في التقسيم أجود.

ح ـ أن تكون بمعنى إلا في الاستثناء، وهذه ينتصب المضارع بعدها بإضمار أن، كقول زياد الأعجم:

وكنتُ إذا غمزتُ قناةَ قومٍ كسرتُ كُعُوبَها أوْ تستقيما

وهذه الآية منها، ولكن امتنع النصب؛ لدخول اللام الدالة على الحال، فيمتنع تقدير أن الدالة على الاستقبال؛ لئلا تحصل المنافاة.

ط ـ أن تكون بمعنى إلى، وهي كالتي قبلها في انتصاب المضارع بعدها بأن مضمرة، كقوله:

لأستسهلنَّ الصَّعْبَ أو أدركَ المنى
فما انقادتِ الآمالُ إلاَّ لِصَابر

ي ـ أن تكون للتقريب، نحو: ما أدري أسلَّم أو ودَّع. قال الحريري في «درّة الغواص»: إنهم لا يفرقون بين قولهم: لا أدري أينا أقام أو أذن، وقولهم: أدري أقام أم أذن، والفرق بينهما أنك إذا نطقت بأم كنت شاكاً فيما أتى به من الإقامة والأذان، وإذا أتيت بأو فقد حققت أنه أتى بالأمرين، إلا أنه لسرعة وقرب ما بينهما صار بمنزلة من لم يقم ولم يؤذن.

ك ـ الشرطية نحو: لأضربنه عاش أو مات، أي: إن عاش بعد الضرب وإن مات.

ل ـ التبعيض، ذكره بعضهم، واستشهد بقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ وهذا محض تكلف.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ

إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

☆ **اللغـة:**

﴿ مَّحِيصٍ ﴾ : منجى ومهرب، والمحيص يجوز أن يكون مصدراً كالمغيب والمشيب، ومكاناً كالمبيت والمصيف. وفي المختار: حاص عنه: عدل وحاد، وبابه: باع، وحيوصاً ومحيصاً ومحاصاً وحَيَصاناً بفتح الياء، يقال: ما عنه محيص، أي: محيد ومهرب، والانحياص مثله. ومن أقوالهم: وقع في حيص بيص: في اختلاط لا مخرج منه، وفتنة تموج بأهلها، وهما اسمان ركبا اسماً واحداً، وبنيا بناء خمسة عشر، والذي أوجب بناءهما تقدير الواو فيهما، فالحيص: التأخر والهرب، والبوص مأخوذ من قولهم باص يبوص، أي: فات، وسبق؛ لأنه إذا وقع الاختلاط والفتنة، فمنهم فائت، ومنهم هارب، وكان القياس يقضي أن يقال حيص بوص، إلا أنهم أتبعوا الثاني الأول، وفيها لغات كثيرة أشهرها: حَيصَ بَيصَ بفتح الحاء والباء وفتح آخرهما على البناء، كما تقدم، أنشد الأصمعي لأمية بن أبي عائذ الهذلي:

قد كنتُ خَرَّاجاً ولُوجاً صَيْرَفاً   لم تَلْتَحصْني حَيْصَ بَيْصَ لحَاصِ

وقالوا: حيص بيص بكسر أولهما وفتح آخرهما، وبعضهم يبنيهما على الكسر، كما تكسر الأصوات، نحو: غاقِ غاقِ، وهناك لغات أخرى أضربنا عن ذكرها.

﴿ بِمُصْرِخِكُمْ ﴾ : بمغيثكم. وفي المصباح: صرخ يصرخ، من باب: قتل، صراخاً، فهو صارخ، وصريخ: إذا صاح وصرخ، فهو صارخ؛ إذا استغاث، واستصرخته فأصرخني: استغثت به فأغاثني، فهو صريخ، أي: مغيث ومصرخ على القياس. وهو المغيث والمستغيث، فهو من أسماء الأضداد، كما في الصحاح. قال ابن الأعرابي: المستغيث والمصرخ: المغيث.

○ الإعـراب:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ ﴾ الهمزة للاستفهام

التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وتر فعل مضارع مجزوم بلم، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي تر، والسموات مفعول خلق، وقيل: مفعول مطلق. وسترى بحثاً شيقاً في باب: الفوائد. وبالحق متعلقان بخلق، أو بمحذوف حال، فالباء للسببية على الأول، وللمصاحبة على الثاني ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ إن شرطية، ويشأ فعل الشرط، ويذهبكم جواب الشرط، والكاف مفعول به، ويأت عطف على يذهبكم، وبخلق متعلقان بيأت، وجديد صفة ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ الواو عاطفة، أو حالية، وما نافية حجازية، وذلك اسمها، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بعزيز، والباء حرف جر زائد، وعزيز مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة لتقرير بعثهم من القبور، وعبر عنه بصيغة الماضي، وإن كان معناه الاستقبال؛ لأن كل ما أخبر الله عنه فهو حق وصدق، كائن لا محالة، فصار كأنه قد حصل، ودخل في حيز الوجود، وبرزوا فعل وفاعل، ولله متعلقان ببرزوا، وجميعاً حال ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ الفاء عاطفة، وقال الضعفاء فعل وفاعل، وللذين متعلقان بقال، وجملة استكبروا صلة، وجملة إنا مقول القول، وإن واسمها، وجملة كنا خبرها، وكان واسمها، ولكم متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة له، ثم تقدمت، وتبعاً خبر كنا، وهو جمع تابع، كقولهم: خادم وخدم ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ الفاء عاطفة، وهل حرف استفهام، وأنتم مبتدأ، ومغنون خبر، وعنا متعلقان بمغنون، ومن عذاب الله حال، ومن الثانية زائدة، وشيء مفعول به محلاً مجرور بمن لفظاً، وهذا أولى الأعاريب الكثيرة ﴿قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَـٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾ قالوا فعل وفاعل، ولو حرف امتناع، وهدانا الله: فعل ومفعول به وفاعل، لهديناكم: اللام واقعة في جواب الشرط، وهديناكم: فعل وفاعل، ومفعول به، سواء خبر مقدم، وأجزعنا مبتدأ مؤخر؛ لأنه في تأويل مصدر؛ لأن الهمزة للتسوية، والفعل بعدها يؤول بمصدر، وأم حرف عطف متصلة، وصبرنا عطف على جزعنا

﴿ مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ مانافية حجازية، ولنا خبر مقدم، ومن حرف جر زائد، ومحيص مجرور لفظاً اسم ما محلاً ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ الواو عاطفة، وقال الشيطان فعل وفاعل، ولما ظرفية حينية، أو رابطة، وقضي الأمر فعل ونائب فاعل والجملة مضافة للما، أو لا محل لها، وإن واسمها، وجملة وعدكم خبرها، ووعد مفعول مطلق، والحق مضاف إليه، وجملة إن الله مقول القول، وهو من كلام إبليس قاله رداً على أهل النار؛ الذين أخذوا يلومونه ويقرعونه ﴿وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ لا بد من تقدير محذوف، أي: فصدقكم، ووعدتكم عطف على وعدكم، فأخلفتكم عطف على وعدتكم، وهو فعل وفاعل ومفعول به ﴿ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ الواو عاطفة، وما نافية، وكان فعل ماض ناقص، ولي خبرها المقدم، وعليكم متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لسلطان، ومن حرف جر وسلطان مجرور لفظاً، واسم كان محلاً، وإلا أداة استثناء، وأن وما في حيزها مستثنى؛ لأن الاستثناء المنقطع يجب نصبه، ولو كان الكلام غير موجب، ولأن الدعاء ليس من جنس السلطان، فاستجبتم عطف على دعوتكم، ولي متعلقان باستجبتم ﴿ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾ الفاء الفصيحة، كأنه قيل: إن علمتم أنكم أسرعتم في إجابتي فأنتم الملومون، ولا ناهية، وتلوموني مضارع مجزوم بلا الناهية، والواو فاعل، والنون للوقاية، والياء مفعول به، ولوموا فعل أمر وفاعل، وأنفسكم مفعول به ﴿ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ﴾ ما نافية حجازية، وأنا: اسمها، وبمصرخكم الباء حرف جر زائد، ومصرخكم خبر ما محلاً، وما أنتم بمصرخي عطف على مثيلتها، وأصل بمصرخي بمصرخين لي، جمع مصرخ، فياء الجمع ساكنة، وياء الإضافة ساكنة كذلك، فحذفت اللام للتخفيف، والنون للإضافة، فالتقى ساكنان، وهما الياءان، فأدغمت ياء الجمع في ياء الإضافة، ثم حركت ياء الإضافة بالفتح طلباً للخفة، وتخلّصاً من توالي ثلاث كسرات ﴿ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ إن واسمها، وجملة كفرت خبرها، والباء حرف جر وما مصدرية

مؤولة مع أشركتموني بمصدر مجرور بالباء، والجار والمجرور متعلقان بكفرت، أي: كفرت بإشراككم إياي، ويجوز أن تكون موصولة، والأول أولى كما قررنا، والياء مفعول أشركتموني، ومن قبل متعلقان بأشركتموني، وسيأتي في باب: البلاغة معنى إشراكهم إياه مع الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ إن واسمها، ولهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر، وأليم صفة، والجملة الاسمية خبر إن.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ ﴾ استعارة تصريحية، شبه الطاعة بالإشراك، ونزلها منزلته؛ لأنهم كانوا يطيعونه في أعمال الشر، كما يطاع الله في أعمال الخير، أو لأنهم لما أشركوا الأصنام ونحوها باتباعهم له في ذلك، فكأنهم أشركوه؛ لأنه هو الذي كان يزين لهم عبادة الأوثان، ثم حذف المشبه، وابقى المشبه به، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

وبوضوح هذه الاستعارة يتضح أن الشيطان قام لهم في هذا اليوم مقاماً يقصم ظهورهم، ويقطع قلوبهم، فقد أوضح لهم:

أولاً ـ أن مواعيده التي كان يعدهم بها في الدنيا باطلة، ومعارضة لوعد الحق من الله سبحانه.

ثانياً ـ أنه أخلفهم ما وعدهم من تلك المواعيد، ولم يف لهم بشيء منها.

ثالثاً ـ أوضح لهم أنهم قبلوا قوله بما لا يوجب القبول، ولا ينفق على عقل عاقل؛ لعدم الحجة؛ التي لا بد للعاقل منها في قبول قول غيره.

رابعاً ـ أوضح لهم أنه لم يكن منه إلا مجرد الدعوة العاطلة عن البرهان الخالية من أيسر شيء؛ مما يتمسك به العقلاء.

خامساً ـ ثم نعى عليهم ما وقعوا فيه، ودفع لومهم له، وأمرهم بأن يلوموا أنفسهم؛ لأنهم هم الذين قبلوا الباطل البحت؛ الذي لا يلتبس بطلانه على من له أدنى مسكة من عقل.

سادساً ـ أوضح لهم أنه لا نصر عنده، ولا إغاثة، ولا يستطيع لهم نفعاً، ولا يدفع عنهم ضراً، بل هو مثلهم في الوقوع في البلية، والعجز عن الخلوص من هذه المحنة.

سابعاً ـ ثم صرح لهم بأنه قد كفر بما اعتقدوه، وأثبتوه له، فتضاعفت عليهم الحسرات، وتوالت عليهم المصائب.

وإذا كانت جملة: ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ من تتمة كلامه، كما ذهب إليه بعض المفسرين، فهو نوع ثامن من كلامه الذي خاطبهم به.

* الفوائد:

إعراب: خلق الله السموات:

هذا بحث شيق، وإن يكن لا حقيقة له، فقد اعترض عبد القاهر الجرجاني على إعراب خلق الله السموات والعالم ونحوهما، إذ قال: العالم هنا مصدر لا مفعول به؛ لأن المفعول به هو الذي كان موجوداً، أو أثر فيه الفاعل شيئاً آخر بفعله، والمصدر هو الذي لم يكن موجوداً، بل كان عدماً محضاً، والفاعل موجده ومخرجه من العدم إلى الوجود بفعله، والعالم في قولنا: خلق الله العالم كذلك، فكان مصدراً. واعترض عليه بأنه لو كان مصدراً لكان نفس الخلق، ولا يجوز أن يكون ذلك لوجهين:

أحدهما: أنَّا نعلم العالم مع الشك في كونه مخلوقاً لله تعالى إلى أن نعلم ذلك بدليل منفصل، فالعالم على هذا معلوم، وكونه مخلوقاً له تعالى غير معلوم لتوقفه على الدليل، والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم، فكان الخلق غير العالم.

والوجه الثاني: أن الله تعالى يوصف بالخلق، فلو كان الخلق العالم، لكان الله موصوفاً بالعالم، وهو لا يجوز؛ لأنه يلزم من ذلك وصف القديم بالحادث، أو قدم العالم، وهذه حذلقة لا طائل تحتها.

والحق أن الذي أورده عبد القاهر الجرجاني طائح من أساسه؛ لأن الكلام إنما هو في اصطلاح النحاة، وهذا المصطلح إنما هو فيما يعرض لأواخر

الكلم من الرفع والنصب والجر؛ لاتصاف الكلمة بالفاعلية تارة، وبالمفعولية تارة، وبالإضافة تارة أخرى، إلى غير ذلك، فإذا قلنا: خلق الله السموات والأرض، قلنا، هذه الكلمات المركبة، المسموعة نسمِّيها في اصطلاحنا فعلاً وفاعلاً ومفعولاً به، فرفعنا اسم الله تعالى على أنه فاعل، ونصبنا السموات والأرض على المفعولية؛ لوقوع فعل الفاعل عليها، ولا يلزمنا من هذه العبارة التي أوقعناها على هذه الألفاظ أن يكون المعنى في الأصل قد وقع وتجدَّد؛ لأنَّ الألفاظ أدلة على المعاني، والدليل غير المدلول، ولأن الاسم غير المسمى، وإلا لزم احتراق فم من تلفّظ بالنار، ولزم إذا قلنا: أعدم الله العالم، وأقام القيامة، وأمات زيداً، أن يكون هذا كله قد وقع الآن، وتجدّد، ونحن نجد هذا باطلاً.

ونعتقد أن الإمام عبد القاهر كان يعتقد بطلان ما أورده، وإنما أورده مغالطة، وإظهاراً لصناعة البحث ليس غير.

ناصب المفعول بـه:

وهنا لا بد من إيراد بحث دقيق، وهو: ما هو ناصب المفعول به؟ مذهب سيبويه أنه الفعل، ولذلك تعدَّدت المفاعيل بحسب اقتضاء الفعل؛ لأن الفعل إن اقتضى مفعولاً نصبه، أو اثنين نصبهما، أو ثلاثة نصبها. وقال ابن هشام: إنه الفاعل؛ لأنه الذي أثر فيه في المعنى، فيؤثر فيه في اللفظ.

أقول: وهذا ليس بشيء؛ لأن الفاعل يضمر، والمضمر لا يعمل في المظهر، ولأنهم قسموا الفعل إلى لازم ومتعدّ، فدل على أن العمل له. أما الفراء فاختار أن يكون الفعل والفاعل هما اللذين نصبا المفعول، قياساً على الابتداء والخبر، وهو خلاف لا طائل تحته، وإنما أوردنا هذه المباحث النظرية؛ لأنها مصقلة للذهن، ورياضة له، ويرد على الجميع قوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا . . .﴾ إذ لا فاعل ولا فعل هنا، والكلام في هذا لا يتسع له هذا المقام.

﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾

○ الإعـراب:

﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ بعد أن شرح أحوال الكفار الأشقياء، شرع في شرح أحوال المؤمنين السعداء. وأدخل فعل ماض مبني للمجهول، والذين نائب فاعل، وجملة آمنوا صلة، وعملوا عطف على آمنوا، وهي فعل وفاعل، والصالحات مفعول به، وجنات مفعول به ثان على السعة، وجملة تجري من تحتها الأنهار صفة لجنات ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ بإذن جار ومجرور متعلقان بأدخل، وربهم مضاف لإذن، وتحيتهم مبتدأ، وفيها حال، وسلام خبر تحيتهم ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وتر مضارع مجزوم بلم، وفاعله مستتر تقديره: أنت، وكيف اسم استفهام في محل نصب على الحال، وضرب الله مثلاً فعل وفاعل ومفعول به، والحال من المفعول به ﴿ كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ كلمة بدل من مثلاً، أو منصوبة بفعل محذوف، أي: جعل كلمة طيبة، أو بتضمين ضرب معنى جعل، فيكون مفعولاً به ثانياً، وكشجرة: خبر لمبتدأ محذوف بمعنى: هي كشجرة طيبة، وطيبة صفة

لشجرة، وأصلها مبتدأ، وثابت خبر، والجملة صفة ثانية لشجرة، وفرعها في السماء عطف على أصلها ثابت، ويجوز أن يكون قوله كشجرة صفة ثانية لكلمة طيبة ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ الجملة صفة ثالثة لشجرة، وتؤتي فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: هي، وأكلها مفعول به، وكلّ حين ظرف متعلق بتؤتي، وسيأتي حديث عن الشجرة الطيبة، وبإذن ربها متعلقان بتؤتي، أو بمحذوف حال، أي: متلبسة بإذن ربها ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ويضرب الله الأمثال فعل مضارع وفاعل ومفعول به، وللناس متعلقان بيضرب، ولعل واسمها، وجملة يتذكرون خبرها ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ ومثل مبتدأ، وكلمة مضاف إليه، وخبيثة صفة، وكشجرة خبر مثل، وخبيثة صفة، وجملة اجتثت من فوق الأرض صفة ثانية لشجرة، وجملة مالها من قرار صفة ثالثة لشجرة، وما نافية حجازية، أو تميمية، ولها خبر مقدم، ومن زائدة، وقرار مبتدأ مؤخر، أو اسم ما مؤخر ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لتقرير حالة كل من المرادين بالمثلين المتقدمين، ويثبت فعل مضارع، والله فاعل، والذين مفعول به، وجملة آمنوا صلة، وبالقول متعلقان بيثبت، والثابت نعت للقول، وفي الحياة الدنيا حال ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ويضل الله الظالمين فعل وفاعل ومفعول به، ويفعل الله ما يشاء فعل وفاعل ومفعول به، وجملة يشاء صلة.

□ البلاغة:

(١) التشبيه التمثيلي في تشبيه الكلمة الطيبة الموصوفة بثلاث صفات، وهي: إيتاء الأكل كل حين، أي: من وقت أن نؤكل إلى حين انصرامها، قال الربيع بن أنس: هي النخلة؛ لأن ثمرها يؤكل أبداً ليلاً ونهاراً، وصيفاً وشتاء، فيؤكل منها الجمار، والطلع، والبلح، والبسر، والمنصف، والرطب، وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس إلى حين الطري الرطب، فأكلها

دائم في كل وقت. وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم: «إن الله ضرب مثل المؤمن شجرة فأخبروني ما هي؟» فوقع الناس في شجر البوادي، وكنتُ صبياً، فوقع في قلبي أنها النخلة، فهبتُ رسول الله أن أقولها، وأنا أصغر القوم، وروي: فمنعني منها مكان عمر، واستحييت، فقال لي عمر: يا بني! لو كنت قلتَها لكانت أحب إليّ من حمر النعم. ووجه الشبه في تمثيل الإيمان بالشجرة أن الشجرة لا تكون شجرة إلا بثلاثة أشياء: عرق راسخ، وأصل قائم، وفرع عال، كذلك الإيمان لا يتم إلاّ بثلاثة أشياء: تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأبدان، فوجود الصفات الثلاث في جانب المشبه به حسية، بينما هي في جانب المشبه معنوية.

(٢) التشبيه التمثيلي أيضاً في تشبيه الكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة غير الثابتة؛ كأنها اجتثت، أو كأنها ملقاة على وجه الأرض، فلا تغوص إلى الأرض، بل عروقها في وجه الأرض، ولا غصون لها تمتد صعداً إلى السماء، وهذا معنى قوله: ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾.

(٣) المجاز العقلي في قوله: ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا﴾ ففعل الإيتاء مسند إلى غير فاعله الحقيقي؛ لأن النخلة لا تؤتي الأكل، على حد قول الصلتان العبدي:

أشاب الصغير وأفنى الكبيـ ـــر كَرُّ الغداة ومَرّ العشي

فالمجاز وقع في إثبات الشيب فعلاً لكر الغداة ومر العشي، وهو في الحقيقة فعل الله تعالى.

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿ٱلْبَوَارِ﴾: الهلاك. وفي المصباح: بار الشيء يبور بوراً ـ بالضم ـ: هلك، وبار الشيء بواراً: كسد على الاستعارة؛ لأنه إذا ترك صار غير منتفع فأشبه الهالك من هذا الوجه، وفي القاموس والتاج «البَور ـ بفتح الباء ـ: الأرض قبل أن تُصلَحَ للزرع، أو التي تجم سنة لتزرع من قابل، والاختبار كالابتيار والهلاك، وأباره الله، وكساد السوق كالبوار فيهما، وجمع بائر وبالضم: الرجل الفاسد والهالك لا خير فيه، يستوي فيه الاثنان والجمع والمؤنث، وما بار من الأرض فلم يعمّر كالبائر والبائرة. وفي الأساس: فلان له نُورُه وعليك بُورُه، أي: هلاكه. وقومٌ بورٌ. وأُحِلُّوا دارَ البَوَارِ، ونزلتْ بَوَارِ على الكُفَّارِ. قال أبو مُكْعِتٍ الأَسَدِيّ:

قتِلَتْ فكانَ تَظالُماً وتَباغِياً ... إنَّ التَّظالُمَ في الصَّديقِ بَوَارِ
لوكانَ أوَّلَ ما أَتَيْتَ تَهَارَشَتْ ... أَوْلادُ عُرْجَ عليك عند وِجَارِ

جعلها عَلَماً للضِّبَاع فاجتمعَ التعريفُ والتأنيثُ. ومن المجاز: بارت البِيعات: كَسَدَتْ، وسوق بائِرة. وبارتِ الأيمُ: إذا لم يُرْغَبْ فيها. وكان رسول الله ﷺ يتعوَّذ من بَوَار الأيم. وبارت الأرضُ إذا لم تُزْرَعْ، وأرض بَوار، وأرضون بُور.

﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: يدخلونها. وفي المصباح: صلي بالنار وصليها صلياً، من باب: تعب: وجد حرّها، والصلاء وازن كتاب: حرّ النار، وصليت اللحم أصليه، من باب: رمى؛ إذا شويته.

﴿خِلَٰلٌ﴾ مخالّة، أي: صداقة، كذا فسّرها الزمخشري والجلال وغيرهما، وهو يقتضي أنها مفرد. وفي القرطبي: أنه جمع خُلَّة بالضم، مثله قلة وقلال، وفي الأساس ما يؤيد أنه مفرد قال: هو خليلي وخِلِّي وخُلتي، وهم أخلائي وخِلّاني، وبيننا خلة قديمة، وخاللته مُخالَّة وخلالاً. وما يؤيد أنه جمع قال: وهذه خلة صالحة، وفيه خلال حسنة.

○ الإعـراب:

﴿۞أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ الهمزة للاستفهام التعجبي، أي: ألا تعجب من صنيع هؤلاء الكفرة؛ الذي لا يصدر عمن له أدنى إدراك. ولم حرف نفي وقلب وجزم، وإلى الذين متعلقان بتر، وجملة بدلوا صلة، ونعمة الله مفعول به ثان؛ لأنه هو الذي يدخل عليه حرف الجر أي: بنعمة الله، وكفراً هو المفعول الأول. قال أبو حيان: وزعم الحوفي وأبو البقاء أن كفراً هو مفعول ثان لبدلوا، وليس بصحيح؛ لأن «بدّل» من أخوات «اختار» فالذي يباشره حرف الجر هو المفعول الثاني، والذي يصل إليه الفعل بنفسه لا بواسطة حرف الجر، هو المفعول الأول. وأحلوا عطف على بدلوا، وقومهم مفعول به أول، ودار البوار مفعول به ثان ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ جهنم بدل، أو عطف بيان من دار البوار، أو بنصبه بفعل محذوف يفسره ما بعده، أي: يصلون جهنم، وجملة يصلونها حالية على الأول، وتفسيرية على الثانية، والواو حالية، وبئس القرار فعل وفاعل، والمخصوص بالذم محذوف، أي: هي ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ الواو عاطفة، وجعلوا فعل وفاعل، ولله في محل نصب مفعول به ثان لجعلوا، وأنداداً مفعول به أول، ولك أن تعلق لله بمحذوف حال، وليضلوا: قيل اللام للعاقبة، أو الصيرورة، وقيل: هي على بابها من التعليل، ولكن ليس ذلك غرضاً حقيقاً لهم من اتخاذ الأنداد، ولكن لما كان ذلك نتيجة له شبه بالغرض، وأدخل عليه اللام بطريق الاستعارة التبعية، ويضلوا منصوب بأن مضمرة بعد لام العاقبة، أو لام

التعليل، والواو فاعل، وعن سبيله متعلقان بيضلوا ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ قل فعل أمر، وجملة تمتعوا مقول القول، وتمتعوا فعل أمر وفاعله، فإن: الفاء للتعليل، وإن واسمها، وإلى النار خبرها ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ اتفق أكثر المعربين على أن مقول القول محذوف يدل عليه جوابه، أي: قل لهم أقيموا الصلاة وأنفقوا، وسيرد على هذا القول ما اعترض به بعضهم، وذلك في باب: البلاغة. والذين صفة لعبادي، وجملة آمنوا صلة، ويقيموا مجزوم في جواب الأمر، أي: إن قلت لهم أقيموا الصلاة وأنفقوا... الخ يقيموا الصلاة وينفقوا، وجوزوا أن يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا، فهما مجزومان بلام الأمر، ويكون هذا هو المقول، وسيرد في باب: البلاغة بحث طريف بهذا الصدد، والصلاة مفعول به.

وعبارة ابن هشام في «المغني»: والجمهور على أن الجزم في الآية ـ أي: قل لعبادي ـ مثله في قولك: ائتني أكرمك. وقد اختلف في ذلك على ثلاثة أقوال:

(١) أحدها للخليل وسيبويه أنه بنفس الطلب لما تضمنه من معنى إن الشرطية، كما أن أسماء الشرط إنما جزمت لذلك.

(٢) والثاني للسيرافي والفارسي أنه بالطلب لنيابته مناب الجازم؛ الذي هو الشرط المقدر، كما أن النصب بضرباً في قولك: ضرباً زيداً، لنيابته عن أضرب، لا لتضمنه معناه.

(٣) والثالث للجمهور أنه بشرط مقدر بعد الطلب، وهذا أرجح من الأول؛ لأن الحذف والتضمين، وإن اشتركا في أنهما خلاف الأصل، لكن في التضمين تغيير معنى الأصل، ولا كذلك الحذف، وأيضاً فإن تضمين الفعل معنى الحرف إما غير واقع، أو غير كثير. ومن الثاني؛ لأن نائب الشيء يؤدي معناه، والطلب لا يؤدي معنى الشرط. وأبطل ابن مالك بالآية أن يكون الجزم في جواب شرط مقدر؛ لأن تقديره يستلزم أن لا يتخلف أحد من المقول له ذلك عن الامتثال، لكن التخلف واقع، وأجاب ابنه بأن الحكم مسند إليهم

على سبيل الاجمال، لا إلى كل فرد، فيحتمل أن الأصل يقيم أكثرهم، ثم حذف المضاف، وأنيب عنه المضاف إليه، فارتفع، واتصل بالفعل، وباحتمال أنه ليس المراد بالعباد الموصوفين بالإيمان مطلقاً، بل المخلصين منهم، وكل مؤمن مخلص، قال له الرسول: أقم الصلاة، أقامها، وقال المبرد: التقدير قل لهم أقيموا يقيموا، والجزم في جواب أقيموا المقدر، لا في جواب قل، ويرده أن الجواب لا بد أن يخالف المجاب، إما في الفعل والفاعل، نحو: ائتني أكرمك، أو في الفعل نحو: أسلم تدخل الجنة، أو في الفاعل: قم أقم، ولا يجوز أن يتوافقا فيهما. وأيضاً فإن الأمر المقدر للمواجهة ويقيموا للغيبة، وقيل: يقيموا مبني لحلوله محل أقيموا، وهو مبني، وليس بشيء. وزعم الكوفيون وأبو الحسن أن لام الطلب حذفت حذفاً مستمراً في نحو قم وأقعد، وأن الأصل: لتقم ولتقعد، فحذفت اللام للتخفيف، وتبعها حرف المضارعة، وبقولهم: أقول؛ لأن الأمر معنى فحقه أن يؤدى بالحرف، ولأنه أخو النهي ولم يدل عليه إلا بالحرف، ولأن الفعل إنما وضع لتقييد الحدث بالزمان المحصل، وكونه أمراً، أو خبراً خارج عن مقصوده، ولأنهم قد نطقوا بذلك الأصل، كقوله: لتقم أنت يا بن خير قريش.

﴿ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ وينفقوا عطف على يقيموا، ومما رزقناهم متعلقان بينفقوا، وسراً وعلانية منصوبان على الحال، أي: ذوي سر وذوي علانية، بمعنى مسرين ومعلنين، أو على المصدر، أي: إنفاق سر وعلانية، أو على الظرفية، أي: وقتي سر وعلانية، أو بنزع الخافض، أي: في سر وعلانية ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾ من قبل متعلقان بينفقوا، وأن وما في حيزها مصدر مضاف لقبل، ويوم فاعل يأتي، ولا نافية للجنس، أهملت لتكرارها كما في: لا حول ولا قوة، وقد تقدمت الأوجه فيها، وبيع مبتدأ، وفيه خبر، ولا خلال عطف على «لا بيع» ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ الله مبتدأ، والذي خبره، وخلق صلة، والسموات والأرض

مفعوله ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ وأنزل عطف على خلق، والفاعل مستتر وهو الله، ومن السماء: متعلقان بأنزل، وماء: مفعول به، فأخرج: عطف على أنزل، وبه جار ومجرور متعلقان بأخرج، ومن الثمرات حال؛ لأنه تقدم على موصوفه، وهو رزقاً، ورزقاً مفعول به، ولكم صفة لرزقاً ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ﴾ وسخر لكم الفلك عطف على ما تقدم، ولتجري اللام للتعليل، وتجري منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وفي البحر متعلقان بتجري، وبأمره حال ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴾ عطف على ما تقدم ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ عطف أيضاً، ودائبين حال من الشمس والقمر، فلما اتفقا لفظاً ومعنى ثنيا، ولا يضر اختلافهما في التذكير والتأنيث ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ وآتاكم عطف أيضاً، وهو فعل وفاعل مستتر ومفعول به، ومن كل متعلقان بآتاكم، وما موصول مضاف لكل، وسألتموه صلة، ويجوز أن تكون ما مصدرية ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، وتعدوا فعل الشرط، والواو فاعل، ونعمة الله مفعول تعدوا، ولا نافية، وتحصوها جواب إن ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة للتأكيد على جحود الإنسان الظالم لآلاء الله ونعمه، متغافل عن شكرها، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وظلوم خبر إن الأول، وكفار خبر إن الثاني.

□ البلاغة:

في هذه الآيات من التهديد، والوعيد، والإرعاد، والإبراق ما فيها، وسنورد خصائصها بصورة متعاقبة:

فأولها: التعجب الوارد بصيغة الاستفهام من أعمالهم؛ التي لا تمت إلى الحلم بصلة، فقد بدلوا نفس النعمة كفراً، وجنوا على أنفسهم وعلى قومهم.

وثانيهما: الاستعارة في قوله: ﴿ لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ولم يكن ذلك

غرضاً لهم، ولكنه شبيه به؛ لأنه نتيجة محتومة لاتخاذ الأنداد، فهي استعارة تصريحية تبعية.

وثالثهما: حذف المقول من قوله: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ الخ. وقد رد الحذاق على هذا الإعراب بقوله: وفي هذا الإعراب نظر؛ لأن الجواب حينئذ يكون خبراً من الله تعالى بأنه: إن قال لهم هذا القول امتثلوا مقتضاه، فأقاموا الصلاة، وأنفقوا، لكنهم قد قيل لهم فلم يمتثل كثير منهم. وخبر الله يجلّ عن الخلف، وهذه النكتة هي الباعثة لكثير من المعربين على العدول عن هذا الوجه من الإعراب، مع تبادره فيما ذكر بادي الرأي، ويمكن تصحيحه بحمل العام على الغالب لا على الاستغراق، ويقوى بوجهين لطيفين:

أحدهما: أن هذا النظم لم يرد إلا لموصوف بالإيمان الحق المنوه بإيمانه عند الأمر، كهذه الآية وغيرها، مثل قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ و﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ﴾.

والثاني: تكرر مجيئه للموصوفين، بأنهم عباد الله المشرفون بإضافتهم إلى اسم الله تعالى، وقد قالوا: إن لفظ العباد لم يرد في الكتاب العزيز إلا مدحة للمؤمنين، وخصوصاً إذا انضاف إليه تعالى إضافة التشريف، والحاصل أن المأمور في هذه الآي من هو بصدد الامتثال، وفي حيز المسارعة للطاعة، فالخبر في أمثالهم حق وصدق إما على العموم إن أريد، أو على الغالب.

ورابعها: التأكيد الذي جعل الخبر إنكارياً بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ فقد اشتملت هذه الآية على أربعة تأكيدات أولها: «إن»، وثانيها: «اللام المزحلقة، أو لام التأكيد»، وصيغة «ظلوم»، وصيغة «كفار».

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ

ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿وَٱجْنُبْنِى﴾: أهل الحجاز يقولون: جنبني شره بالتشديد، وأهل نجد: جنبني وأجنبني، والمعنى: أدمنا، وثبتنا على اجتناب عبادتها، ويقال: جنبه الشر، وأجنبه إياه، ثلاثياً ورباعياً، وهي لغة نجد وجنّبه إياه مشدداً، وهي لغة الحجاز، وهو المنع، وأصله من الجانب، وقال الراغب: وقوله تعالى: «واجنبني وبني» من جنبته عن كذا، أي: أبعدته منه. وقيل: من جنبت الفرس، وكأنه سأله أن يبعده عن جانب الشرك بألطاف منه وأسباب خفية، وأن نعبد على حذف حرف الجر، أي: عن أن نعبد. وفي القاموس: والجَنَب محركة: أن يجنب فرساً إلى فرسه في السباق، فإذا فتر المركوب تحول إلى المجنوب. وفي المصباح: وجنبت الرجل الشر جنوباً، من باب: قعد، أبعدته عنه، وجنبته بالتثقيل مبالغة. وفي المختار: وجنبه الشيء، من باب: نصر، وجنّبه الشيء تجنيباً بمعنى، أي: نحاه عنه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ وقال أبو علي: ويقال: جنبت فلاناً الخير، أي: نحيته عنه وجنبته أيضاً بالتثقيل. قال أبو نصر: والتخفيف أجود، قال الله تعالى: «﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾».

﴿تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾: تميل، وتحن، وتطير شوقاً نحوهم، وأصله: أن يتعدى باللام، وإنما تعدى بإلى؛ لأنه تضمن معنى تميل. قال في الأساس: وهوى إلى الجبل، وهوى الجبل: صعده هُوِياً، قال أبو بكر الهذلي يصف تأبط شراً:

وإذا رميتَ به الفجاجَ رأيتَهُ يَهْوي مخارمَها هُوِيَّ الأجدلِ

أي: إذا قذفته في نواحي الأمكنة المتشعبة رأيته يهوي مخارمها، أي: يسرع في سلوك مسالكها الضيقة كهوي الأجدل، وهو: الصقر، أي: كإسراعه في الطيران».

○ الإعـراب:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾ إذ ظرف زمان لما مضى متعلق باذكر، وجملة قال مضاف إليها الظرف، وإبراهيم فاعل، ورب منادى محذوف منه حرف النداء مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، واجعل فعل دعاء، وفاعله مستتر تقديره: أنت، وهذا مفعوله الأول، والبلد بدل من اسم الإشارة، وآمناً مفعول به ثان ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ واجنبني فعل دعاء، والنون للوقاية، والياء مفعوله، وبني عطف على الياء، أو مفعول معه، وأن نعبد: أن وما بعدها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض كما قال الراغب، أي: عن أن نعبد، والجار والمجرور متعلقان باجنبني، والأصنام مفعول به لنعبد ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ﴾ رب منادى محذوف منه حرف النداء، وقد تقدم نظيره، وإن واسمها، وجملة أضللن خبر إن، والضمير يعود على الأصنام، والمراد بالدعاء طلب الثبات والدوام على ذلك، وكثيراً مفعول به، ومن الناس صفة لكثيراً، وجملة إنهن تعليلية لقوله: واجنبني ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ الفاء عاطفة، ومن اسم شرط جازم مبتدأ، وتبعني فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والنون للوقاية، والياء مفعول به؛ فإنه الفاء رابطة لجواب الشرط، وإن واسمها، ومني خبرها، والجملة في محل جزم جواب الشرط والفعل، وجوابه خبر من ﴿ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ جملة معطوفة على نظيرتها ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ تكرر النداء لتأكيد الابتهال والتضرع، وإن واسمها، وجملة أسكنت خبرها، ومن ذريتي متعلقان بمحذوف صفة لمفعول أسكنت المحذوف، أي: أسكنت ذرية من ذريتي، ومن للتبعيض، بواد جار ومجرور

متعلقان بأسكنت، وغير صفة لواد، وذي مضاف لغير، وزرع مضاف لذي، وعند بيتك الظرف صفة لواد، والمحرم صفة لبيتك، وسيأتي تفصيل هذا الإسكان في باب الفوائد ﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ كرر نداء ربنا تأكيداً للابتهال. وليقيموا: اللام لام التعليل، وهي متعلقة بأسكنت، أي: أسكنتهم هذا الوادي الخلاء البلقع من كل مرتفق ومرتزق؛ ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرم، أي: العظيم الحرمة، ويعمروه بذكرك وعبادتك ﴿ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ الفاء الفصيحة، واجعل أفئدة فعل دعاء ومفعول به، ومن الناس صفة لأفئدة، أي: قلوباً، وجملة تهوي مفعول به ثان لاجعل، وإليهم متعلقان بتهوي ﴿ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ وارزقهم عطف على اجعل، ومن الثمرات متعلقان بارزقهم، أي: بعض الثمرات، فمن للتبعيض، ولعل واسمها، وجملة يشكرون خبرها ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ﴾ تكرير النداء لتكرير الابتهال، ودليل التضرع، واللياذ بالله تعالى. وإن واسمها، وجملة تعلم خبرها، وما مفعول تعلم، وجملة نخفي صلة، وما نعلن عطف على ما نخفي ﴿ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ يحتمل أن يكون من كلام الله تعالى تصديقاً لإبراهيم أو من كلام إبراهيم، وما نافية، ويخفى فعل مضارع، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بيخفى، ومن زائدة، وشيء مجرور بمن لفظاً فاعل محلاً، وفي الأرض صفة لشيء، ولا في السماء عطف على في الأرض ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ﴾ الحمد مبتدأ، ولله خبر، والذي نعت لله، وجملة وهب صلة، ولي متعلقان بوهب، وعلى الكبر في محل نصب حال، وعلى بمعنى مع، كقول الشاعر:

إنّي على ما تريـنَ مِن كبـري أعلمُ من حيثُ تُـؤكَـلُ الكتف

وإسماعيل مفعول به، وإسحاق عطف عليه ﴿ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ إن واسمها، واللام المزحلقة، وسميع الدعاء خبرها، والجملة تعليل لقوله «وهب لي على الكبر» ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ اجعلني فعل دعاء، والياء مفعوله الأول، ومقيم الصلاة مفعوله الثاني، أي: مستمراً عليها ﴿ وَمِن

ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ ومن ذريتي عطف على ياء المتكلم، أي: واجعل بعض ذريتي مقيم الصلاة، وهذا الجار في الحقيقة صفة لذلك المفعول المحذوف، أي: وبعضاً من ذريتي وربنا منادى، وتقبل عطف على ما تقدم، ودعائي مفعول به، وحذفت الياء مراعاة للفواصل ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ اغفر فعل دعاء، ولي متعلقان باغفر، ولوالدي وللمؤمنين عطف على لي، ويوم ظرف زمان متعلق بمحذوف حال، أي: حال كون الغفران في ذلك اليوم العصيب، وسيأتي مزيد بحث حول قيام الحساب في باب: البلاغة.

□ البلاغة:

هذه الآيات مجموعة رائعة من الابتهالات؛ التي تغرق نفس المؤمن في سبحاتها، وتذوب في بحرانها الجميل، وقد انطوت على مجموعة من الفنون البلاغية، نوجزها فيما يلي:

(١) المجاز العقلي في إسناد الإضلال للأصنام، وهي: جمادات، أو مجاز مرسل، والعلاقة هي السببية؛ لأنها سبب الإضلال.

(٢) الطباق بصورة متعددة، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾ و﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾.

(٣) الاستعارة في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ أي: يثبت، وهو مستعار من قيام القائم على الرجل، والدليل عليه قولهم: قامت الحرب على ساقها ونحوه، ولك أن تجعله مجازاً مرسلاً علاقته المحلية، مثل: «واسأل القرية».

* الفوائد:

قصة إسكان إبراهيم ذريته:

روى التاريخ أن هاجر كانت جارية لسارة، فوهبتها لإبراهيم، فولدت منه إسماعيل، فغارت سارة منهما؛ لأنها لم تكن قد ولدت قط، فأنشدته الله أن يخرجها من عندها، فأمره الله تعالى بالوحي أن ينقلها إلى أرض مكة، فأتى

من الشام، ووضعها في مكة، ورجع من يومه، فتبعته هاجر، فقالت: أين تذهب وتتركني بهذا الوادي؛ الذي ليس به إنس ولا شيء؟! فلم يلتفت، فقالت: آلله أمرك بذلك؟ قال: نعم، فقالت: إذن لا يضيعني.

ثم رجعت فانطلق إبراهيم، ثم رفع يديه إلى السماء، وتلا الابتهالات التي عبر الله عنها بآياته الرائعة، وترك عندها جراباً من تمر وسقاء من ماء، فلما نفد الماء عطشت هي وابنها، فجاء جبريل، وضرب موضع زمزم بعقبه، أو جناحه، فخرج الماء، فجعلت تشرب منه، فمكثوا كذلك حتى مرت بهم قبيلة من جرهم؛ كانوا ذاهبين إلى الشام، فعطشوا، فرأوا الماء عندها، فقالوا لها: تأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء. قالوا: نعم، وأرسلوا إلى أهليهم، فنزلوا معهم، فلما شب إسماعيل تعلَّم منهم العربية، وكان أنفسهم، وأعجبهم، فزوَّجوه امرأة منهم، وماتت أمه بعد ما تزوج . . . إلى آخر هذه القصة؛ التي تحتاج إلى القلم المبدع ليحيك منها المسرحية الخالدة.

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ

يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾

☆ **اللغة:**

﴿مُهْطِعِينَ﴾: مسرعين إلى الداعي، وقيل: الإهطاع: أن تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر إليه لا تطرف، وفي المختار: اهطع الرجل؛ إذا مدّ عنقه، وصوَّب رأسه، وأهطع في عدوه: أسرع. وفي الأساس: بعير مهطع في عنقه تصويب، وقيل: هو المسرع، وقد أهطع في سيره واستهطع، وقال:

تـعَبَّـدَني نِمْرُ بن سَعْدٍ وقد أُرَىٰ ... ونِمْرُ بن سَعْدٍ لي مُطِيعٌ ومُهْطِعُ

وقال آخر يصف ثوراً:

بمستهطِـع رَسْـلٍ كـأنَّ زمـامَـه ... بِقَيـدوم رَعْـنٍ مـنْ رُضـامٍ مُمَتَّـعِ

﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾: الإقناع: رفع الرأس، وإدامة النظر من غير التفات إلى غيره. وفي القاموس: وأقنعه: أرضاه، ورأسه: نصبه ورفعه، أو لا يلتفت يميناً ولا شمالاً، وجعل طرفه موازياً. وقيل: الإقناع من الأضداد يكون رفعاً وخفضاً، «مقنعي رؤوسهم»: رافعيها.

(الطرف): في الأصل مصدر، والطرف أيضاً: تحريك الجفن، قال جرير:

إنَّ العيونَ التي في طَرْفِها حَوَرٌ ... قَتَلْنَنَا ثُـمَّ لم يُحْيِيْنَ قَتْلانا
يَصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتَّى لاحراكَ به ... وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللهِ إنسانا

﴿مُقَرَّنِينَ﴾: قرن بعضهم مع بعض: أقرنت أيديهم إلى أرجلهم مغللين.

﴿ٱلْأَصْفَادِ﴾: القيود، وقيل: الأغلال، وأنشد لسلامة بن جندل:

وزيد الخيل قد لاقى صفادا ... يعضُّ بساعدٍ وبعظمِ ساق

وهو جمع صَفَد، يقال: صفده يصفده صفداً، من باب: ضرب، قيده وصفّده، مشدداً للتكثير. ومن أقوالهم: «الصَّفَد صَفَد» أي: العطاء قيد، ومن المجاز: صفّدته بكلامي تصفيداً إذا غلبته، وقال عمرو ابن كلثوم:

فآبوا بالنّهاب وبالسَّبايا وأبنا بالملوكِ مُصفَّدينا

﴿قَطِرَانٍ﴾: القطران فيه ثلاث لغات: قطران بفتح القاف وكسر الطاء، وقطران بزنة سكران، وقطران بكسر القاف وسكون الطاء بزنة سرحان، وهو: ما يتحلب من شجر يسمَّى الأبهل، فيطبخ فتهنأ به الإبل الجربى، فيحرق الجرب بحرّه وحدّته، والجلد، وقد تبلغ حرارته الجوف، ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار، وقد يستسرج به، وهو أسود اللون، منتن الريح، فتطلى به جلود أهل النار، حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل، وهي القمص ليجتمع عليهم لذع القطران، وحرقته، وإسراع النار في جلودهم، واللون الوحش، ونتن الريح. وفي المنجد: القَطْران والقِطْران والقَطِران: سيال دهني يتخذ من بعض الأشجار كالصنوبر والأرز.

○ الإعراب:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ الواو استئنافية، ولا ناهية، وتحسبن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وهو في محل جزم بلا الناهية، والفاعل ضمير مستتر تقديره: أنت، ولفظ الجلالة مفعول به أول، وغافلاً مفعول به ثان، وعما متعلقان بغافلاً، وجملة يعمل الظالمون صلة ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ الجملة مستأنفة أيضاً مسوقة لتعليل النهي السابق، وإنما كافة ومكفوفة، ويؤخرهم فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، وليوم متعلق بيؤخرهم، وجملة تشخص صفة ليوم، وفيه متعلقان بتشخص، والأبصار فاعل، والمعنى: لا تستقر في أماكنها من هول ما ترى ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ مهطعين ومقنعي رؤوسهم حالان من المضاف المحذوف؛ إذ التقدير أصحاب الأبصار، أو تكون الأبصار دلت على

أصحابها، فجاءت الحال من المدلول عليه، وجملة لا يرتد إليهم طرفهم حال ثالثة من الضمير في مقنعي رؤوسهم، ويجوز أن تكون مستأنفة، وأفئدتهم الواو للحال أيضاً، وأفئدتهم هواء مبتدأ وخبر، والجملة حال رابعة، ويجوز أن تكون الواو استئنافية، والجملة مستأنفة ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ وأنذر عطف على قوله: ولا تحسبن، والناس مفعول به أول، ويوم مفعول به ثان، لا مفعول فيه كما يتوهم للوهلة الأولى، على حذف المضاف، أي: أنذرهم أهواله وعظائمه، إذ لا إنذار في ذلك اليوم، وإنما الإنذار يقع في الدنيا، وجملة يأتيهم العذاب مضافة للظرف، ويأتيهم فعل ومفعول به، والعذاب فاعل مؤخر ﴿ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ﴾ الفاء عاطفة، ويقول عطف على يأتيهم، والذين فاعل، وجملة ظلموا صلة، وربنا منادى مضاف، وأخرنا فعل وفاعل مستتر ومفعول به، وإلى أجل متعلقان بأخرنا، وقريب صفة، ونجب جزم لأنه جواب الطلب، والفاعل مستتر تقديره: نحن، ودعوتك مفعول به ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ الهمزة للاستفهام التوبيخي التقريري، والواو عاطفة ولم حرف نفي وقلب وجزم، وتكونوا مضارع ناقص مجزوم بلم، والواو اسمها، والجملة مقول القول محذوف، أي: فيقال لهم هذا القول توبيخاً وتقريعاً، وجملة أقسمتم خبر تكونوا، وما نافية حجازية، أو تميمية، ولكم خبر مقدم، ومن حرف جر زائد، وزوال اسم ما، أو مبتدأ مؤخر محلاً مجرور بمن لفظاً، والجملة لا محل لها لأنها جواب القسم، وجاءت بلفظ الخطاب مراعاة لقوله: أقسمتم ﴿ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ وسكنتم عطف على أقسمتم، وهو فعل وفاعل، وفي مساكن جار ومجرور متعلقان بسكنتم، والذين مضاف لمساكن، وجملة ظلموا صلة، وأنفسهم مفعول به ﴿ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ وتبين عطف على ما تقدم، والفاعل مقدر على منطوق الجملة، أي: حالهم، وذلك بالأخبار والمشاهدة، ولكم متعلقان بتبين، وكيف مفعول مطلق، أي: أيّ فعل فعلنا بهم، ولك أن تعربها حالاً، ولا يصح أن

تكون فاعلاً لتبين؛ لأن اسم الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله، وله الصدارة، وفعلنا فعل وفاعل، وبهم متعلقان بفعلنا، وضربنا: لك أن تعطفه على تبين، ولك أن تجعله مستأنفاً، وضربنا فعل وفاعل، والأمثال مفعول به، ولكم متعلقان بضربنا ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ ﴾ الواو عاطفة، وقد حرف تحقيق، ومكروا فعل وفاعل ومكرهم مفعول مطلق، والواو حالية، وعند الله ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم، ومكرهم مبتدأ مؤخر، والهاء مضاف إليه، وهي إما هاء الفاعل فيكون المعنى: ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر أعظم، ويجوز: وإن نافية، وكان فعل ماض ناقص، ومكرهم اسمها، واللام لام الجحود الذي يستحقونه يأتيهم من حيث لا يشعرون، والأول أولى لتلاؤمه مع هاء مكرهم الأولى ﴿ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾ الواو عاطفة، وإن نافية، وكان فعل ماض ناقص مكرهم اسمها، واللام لام الجحود، وتزول فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود، والجار والمجرور خبر كان، ومنه متعلقان بتزول، والجبال فاعل، والمعنى: ولن تزول الجبال بمكرهم، وسيأتي معنى ضرب المثل بالجبال في باب: البلاغة ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ﴾ عطف تفريعي على: ولا تحسبن، ولا ناهية، وتحسبن مجزوم محلاً بلا الناهية، ولفظ الجلالة مفعول به، ومخلف مفعول ثان لتحسبن، وهو اسم فاعل، ووعده مضاف إلى مخلف، وهو المفعول الثاني لمخلف، ورسله هو المفعول الأول لمخلف، والأصل مخلف رسله وعده، ولكنه قدم الوعد لأهميته، وإيذاناً منه بأنه لا يخلف الوعد أصلاً ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ إن واسمها وخبرها، وذو انتقام خبر ثان لها ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ يوم الظرف بدل من يوم يأتيهم العذاب، أو متعلق بمحذوف، أي: اذكر يوم، وجملة تبدل مضاف إليها الظرف، وتبدل فعل مضارع مبني للمجهول والأرض نائب فاعل، وغير الأرض مفعول تبدل الثاني، والسموات عطف على الأرض، أي: تتغير معالمها على حدِّ قوله:

وما النَّـاس بالنـاسِ الـذين عهدتهـم
ولا الـدَّار بالـدَّار التي كنت تعلم

وفي المطولات أحاديث وأقوال عن تبدل الأرض والسموات، لا بأس بالرجوع إليها ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ عطف على تبدل، فهو ماض بمعنى المضارع، ولله متعلقان ببرزوا، والواحد القهار صفتان لله ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ عطف على تبدل أيضاً، والمجرمين مفعول به، والرؤية هنا بصرية، أي: تراهم رؤية العين، ويومئذ ظرف أضيف إليه ظرف، وهو متعلق بتراهم، ومقرنين حال من المجرمين، وفي الأصفاد جار ومجرور متعلقان بمقرنين، أو بمحذوف حال ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ الجملة حال ثانية، أو جلمة مستأنفة، وسرابيلهم مبتدأ، ومن قطران خبره ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ عطف على الجملة الحالية، وتغشى فعل مضارع، ووجوههم مفعول به مقدم، والنار فاعل مؤخر ﴿لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ اللام لام التعليل، ويجزي فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور متعلقان ببرزوا، والله فاعل، وكل نفس مفعول به، وما كسبت ما مفعول به ثان، وجملة كسبت صلة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ إن واسمها وخبرها، والجملة تعليلية لا محل لها ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾ هذا مبتدأ، وبلاغ خبر، وللناس صفة، ولينذروا معطوف على محذوف، أي: لينصحوا ويحذروا، وبه متعلقان بينذروا ﴿وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ وليعلموا عطف على لينذروا، وإنما كافة ومكفوفة، وقد سدت مسد مفعولي يعلموا، وهو مبتدأ، وإله خبر، وواحد صفة، وليذكر عطف على ما تقدم، وأولو الألباب فاعل.

□ البلاغة:

الاستعارة التمثيلية في قوله: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ فقد شبه بقوله لتزول منه الجبال مكرهم لتفاقمه، وشدته، وافتتانهم فيه، وبلوغهم الغاية منه. وشبه شريعته وآياته وما أنزله على نبيه من تعاليم سامية،

وحجج بينة، شبهها بالجبال في رسوخها وتمكنها من نفوس المؤمنين بها، المتشبثين بأهدابها، وهي من أرقى الاستعارات وأجملها، وتزداد روعتها بأن صدور المكر المعدّ لإزالة الجبال صادر عن قوم جوف لا جدوى فيه، ولا قوة لهم، وهم في تقلبهم وخفتهم أشبه بالهواء، إذ قال قبل ذلك: ﴿ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ والهواء الخلاء والخواء الذي لم تشغله الأجرام، فوصف به القلب، فقيل: قلب هواء إذا كان قزوقة، جباناً، لا قوة في قلبه، ولا جرأة، ويقال للأحمق أيضاً: قلبه هواء، قال زهير بن أبي سُلْمى يصف ناقته:

كأنَّ الرَّجْلَ منها فوقَ صَعْلٍ   مِن الظِّلْمَانِ جُؤْجُؤُهُ هَوَاءُ

الصعل: المنجرد شعر الرأس، والصغير الرأس. والظلمان: جمع ظليم، وهو ذكر النعام، والجؤجؤ: الصدر، وجعل صدره فارغاً ليكون أسرع في السَّير إلى طعامه، والنعام مثل في الجبن، والخوف، والحمق. وقال حسان بن ثابت يهجو أبا سفيان قبل إسلامه:

أَلَا أبلِغْ أبا سُفْيانَ عنِّي   فأنتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءُ
بأنَّ سُيوفَنا تركت عبيداً   وعبد الدَّارِ سادتها الإِماءُ
هجوتَ محمداً فأجبتُ عَنْهُ   وعندَ اللهِ في ذاكَ الجزاءُ
أَتَهْجُوهُ ولستَ له بكُفْءٍ   فشرُّكُما لخيرِكُما الفِدَاءُ
فَمَنْ يَهْجُو رسولَ اللهِ منكُم   ويمدَحُه وينصُرُه سَوَاءُ
فإنَّ أبي ووالدَهُ وعِرْضي   لِعِرْضِ محمدٍ منكمُ وِقَاءُ

والمجوف والنخب والهواء: خالي الجوف، أو فارغ القلب من العقل والشجاعة، وقد رمق شوقي في العصر الحديث هذا المعنى، فاقتبسه لوصف الغيد العذارى بقوله:

فاتَّقوا اللهَ في قلوبِ العذارى   فالعَذَارى قلوبُهنَّ هَوَاء

* الفوائد:

معنى تبدل الأرض غير الأرض:

نتقل لك خلاصة كلام الإمام الرازي في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ إلى آخر الآية لأهميته، ثم نعقب على هذا الكلام بكلمات لا تقل عنه أهمية.

قال الرازي:

اعلم أن التبديل يحتمل وجهين: أحدهما: أن تكون الأرض باقية، وتبدل صفتها بصفة أخرى، والثاني: أن تفنى الذات، وتحدث ذات ثانية. والدليل على أن إطلاق التبديل لإرادة التغيير في الصفة جائز، أنه يقال: بدلت الحلقة خاتماً إذا أنت سويتها خاتماً، فنقلتها من شكل إلى شكل، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾. ويقال: بدلت قميصي جبة، أي: نقلت العين من صفة إلى صفة أخرى. ويقال: تبدل زيد إذا تغيرت أحواله، أما ذكر التبديل عند وقوع المبدل في الذات فكقولك: بدلت الدرهم دنانير، ومنه قوله تعالى: ﴿ بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ وقوله: ﴿ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ فإذا عرفت أن اللفظ محتمل لكل واحد من هذين المفهومين، ففي الآية قولان:

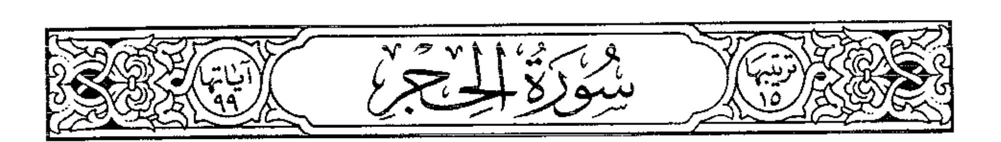
الأول: المراد تبديل الصفة لا تبديل الذات.... وقوله ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ أي: وتبدل السموات بانتثار كواكبها، وانفطارها، وتكوير شمسها، وخسوف قمرها، وكورها، فتارة تكون كالمهل، وتارة تكون كالدهان.

القول الثاني: أن المراد تبديل الذات. قال ابن مسعود: تبدل بأرض كالفضة البيضاء النقية، لم يسفك فيها دم، ولم تعمل عليها خطيئة. انتهى كلام الرازي.

وقد علل الفيلسوف الشيخ علاء الدين ابن النفيس في رسالته التي عارض بها رسالة حي بن يقظان لابن الطفيل خراب هذه الدار، وفساد هذا العالم، وظهور الآيات، فقال ما معناه ملخصاً: وإذ قد ثبت أن ميل الشمس إلى الشمال والجنوب يتناقص دائماً، فإذا بطل هذا الميل، أو قرب منه، صارت الشمس دائمة المسامتة لخط الاستواء، أو ما يقرب منه، فلذلك تحدث حرارة

شديدة جداً، ويحدث في البقاع التي لها عرض بعيد برد مفرط، فتفسد الأمزجة، وتضعف القلوب، ويكثر موت الفجأة، وتسوء الأخلاق، فتفسد المعاملات، وتكثر الشرور والمخاصمات، وتكثر الحروب والفتن، ويتقدم الأشرار، وتفسد الأذهان، وبفسادها تبعد الناس عن قبول العلوم والحكمة. إلى أن يقول: وإذا دام فقدان ميل الشمس مدة أفرط الخروج عن الاعتدال، حتى أفسد الأمزجة الحيوانية والنباتية، وكان من ذلك القيامة. انتهى كلام ابن النفيس.

* * *



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾﴾

○ الإعراب:

﴿الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾ الر تقدم إعرابها، وتلك مبتدأ، وآيات الكتاب خبر، وقرآن عطف على الكتاب، ومبين صفة للقرآن، وساغ

عطف قرآن على الكتاب، وإن كان المراد واحداً للتعدد اللفظي والتغاير فيه، ولزيادة صفة في المعطوف وهي مبين وجميل قول البيضاوي: تنكير القرآن للتفخيم، وكذا تعريف الكتاب. ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ ربما: كافة ومكفوفة، قال أبو حيان: ولما كانت «رب» عند الأكثرين لا تدخل على مستقبل، تأولوا يود في معنى ود، لما كان المستقبل في إخبار الله لتحقق وقوعه كالماضي، فكأنه قيل: ود، وليس ذلك بلازم، بل قد تدخل على المستقبل، لكنه قليل بالنسبة إلى دخولها على الماضي، ومما وردت فيه للمستقبل قول هند أم معاوية:

يـــا رُبَّ قـــائلـــةٍ غـــداً   يـــا لهـــفَ أمِّ مُعـــاويـــهْ

وقول جحدر:

فإن أهلكْ فَرُبَّ فتىً سيبكي   عليَّ مُهَــذَّبٍ رخــصِ البَنَــانِ

وسيأتي قول مسهب فيها في باب الفوائد، ويود الذين فعل مضارع وفاعل، وجملة كفروا صلة، ولو مصدرية لوقوعها بعد يود، وهي مع مدخولها في تأويل مصدر هو المفعول للودادة، والمعنى يودون كونهم مسلمين، ويجوز أن تكون لو امتناعية، ويكون جوابها محذوفاً تقديره: لو كانوا مسلمين لسروا بذلك؛ إذ تخلصوا مما هم فيه، ومفعول يود على هذا التقدير، أي: ربما يود الذين كفروا النجاة ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ذرهم فعل أمر، وفاعل مستتر، ومفعول به، وقد تقدم أن هذا الأمر وأمر دع لا يستعمل لهما ماض إلا قليلاً، بل يستعمل منهما المضارع، نحو: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ﴾ ويأكلوا جواب مجزوم على أنه جواب الأمر، ويتمتعوا عطف على يأكلوا، وكذلك يلههم الأمل، والأمل فاعل، فسوف الفاء الفصيحة، وسوف حرف استقبال، ويعلمون فعل وفاعل، والمفعول محذوف، أي: عاقبة أمرهم وسوء صنيعهم ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ الواو استئنافية، وما نافية، وأهلكنا فعل وفاعل ومن حرف جر زائد، وقرية مجرور لفظاً ومنصوب محلاً على المفعولية، وإلا

أداة حصر، والواو حالية، ولها خبر مقدم، وكتاب مبتدأ مؤخر، ومعلوم صفة للكتاب، والجملة حالية، وقيل: الواو زائدة، واختار الزمخشري وجهاً آخر، وهو: أن تكون جملة لها كتاب معلوم صفة لقرية، قال: والقياس أن لا تتوسط الواو بينهما، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴾ وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف، كما يقال في الحال: جاءني زيد عليه ثوب وعليه ثوب. وسيأتي مزيد بحث عن هذا التركيب في باب الفوائد. ﴿ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴾ ما نافية، وتسبق فعل مضارع، ومن حرف جر زائد، وأمة فاعل تسبق محلاً، وهي مجرورة لفظاً، وأجلها مفعول به، وما يستأخرون عطف على ما تسبق، وحمل على لفظ أمة أجلها فأفرد وأنّث، وعلى معناها قوله «وما يستأخرون» فجمع وذكر ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴾ الواو استئنافية، وقالوا فعل وفاعل، وجملة يا أيها الذي نزل الخ مقول القول، ويا حرف نداء، وأي منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب، والهاء للتنبيه، والذي بدل من أي: وجملة نزل صلة، وعليه متعلقان بنزل، والذكر نائب فاعل، وإن واسمها، واللام المزحلقة، ومجنون خبر إن ﴿ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ لوما حرف تحضيض كـ: هلا، وتكون حرف امتناع لوجود، والفرق بينهما أن التحضيضية لا يليها إلا الفعل ظاهراً أو مضمراً، والامتناعية لا يليها إلا الأسماء، وقد تقدم بسط ذلك، وسيأتي مزيد من بحث لوما. وتأتينا فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، وبالملائكة متعلقان بتأتينا، وإن شرطية، وكنت: كان واسمها، ومن الصادقين خبرها، وجواب إن محذوف تقديره: آتينا بالملائكة ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ﴾ كلام مستأنف، مسوق للرد على دعواهم، وفيه لف ونشر مشوش، وسيأتي حكمه في باب البلاغة. وما نافية، وننزل فعل مضارع فاعله مستتر، تقديره: نحن، والملائكة مفعول به. وإلا أداة حصر، وبالحق حال، أي: متلبساً بالحق، فالباء للملابسة، ويجوز تعليقه بنزل، وجعله الزمخشري نعتاً لمصدر محذوف، أي: إلا تنزلاً متلبساً بالحق، والجميع جائز،

والواو عاطفة، وما نافية، وكانوا: كان واسمها، وإذن حرف جواب وجزاء مهمل، ومنظرين خبر كان ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ إن واسمها، ونحن تأكيد لاسم إن، أو ضمير فصل لا محل له، وجملة نزلنا خبر إن، وإنا عطف، وله متعلقان بحافظون، واللام المزحلقة، وحافظون خبر إنا ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ الواو عاطفة، واللام موطئة للقسم، وأرسلنا فعل وفاعل، ومن قبلك صفة للمفعول به المحذوف، المفهوم من منطوق الإرسال، أي: رسلاً من قبلك، وفي شيع الأولين نعت آخر للمفعول المحذوف، والشيع جمعة شيعة، وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، ويأتيهم فعل ومفعول به، ومن حرف جر زائد، ورسول مجرور لفظاً مرفوع محلاً على الفاعلية، وإلا أداة حصر، وكانوا: كان واسمها، وبه متعلقان بيستهزئون، وجملة يستهزئون خبر كانوا، وجملة كانوا به يستهزئون حال، أو صفة لرسول. قال الزمخشري: وما يأتيهم حكاية حال ماضية؛ لأن «ما» لا تدخل على مضارع إلا وهو في موضع الحال، ولا على ماض إلا وهو قريب من الحال. وهذا الذي ذكره الزمخشري هو قول الأكثر، من: أن «ما» تخلص المضارع للحال، وتعينه له، وذهب غيره إلى أن ما يكثر دخولها على المضارع مراداً به الحال، وتدخل عليه مراداً به الاستقبال، وأنشد على ذلك قول أبي ذؤيب:

أَوْدَىٰ بَنِـيَّ وأعْقَبُـوني حَسْـرَةً … عنـد الـرُّقـادِ وعَبْـرَةً مـا تُقْلِـعُ

وقول الأعشى يمدح الرسول ﷺ:

لَـهُ نـافـلاتٌ مـا يغِـبُّ نـوالُهـا … وليسَ عطاءُ اليومِ مانِعَهُ غَدا

□ البلاغـة:

(١) التعبير بالضد: في قوله: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ اختلف علماء البلاغة في المراد بهذا التعبير، وقد قرر النحاة أن ربما لا تدخل إلا على الماضي. وما المراد بمعنى التقليل الذي تفيده رب؟ وقد أجيب عن الأول بأن المترقب في إخبار الله تعالى بمثابة الماضي المقطوع به في تحققه، فكأنه

قيل: ربما ود، وأجيب عن الثاني بأن هذا مذهب وارد على سنن العرب، في قولهم: لعلك ستندم على فعلك، وربما ندم الإنسان على ما يفعل، ولا يشكون في ندامته، ولا يقصدون تقليله، والعقلاء يتحرزون من التعرض من المظنون، كما يتحرزون من المتيقن الثابت. وهذا الجواب جميل، ولكن الأجمل منه أن يقال: إن العرب تعبر عن المعنى بما يؤدي عكس مقصوده، ومنه قول أبي الطيب المتنبي:

وَلَجُـدْتَ حتَّى كِـدْتَ تَـبْـخَلُ حَائِـلاً
لِلْمُنْتَهَـى وَمِـنَ السُّـرورِ بُكَـاءُ

وقد سبقت الإشارة إلى هذا الفن الجميل، وكلا هذين الوجهين يحمل الكلام على المبالغة بنوع من الإيقاظ إليها، والعمدة في ذلك على سياق الكلام.

(٢) اللف والنشر المشوش: وقد تقدم ذكر هذا الفن، وذلك في قوله تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ . . .﴾ رداً على مقالتهم الثانية، وهي: ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ أما رده على مقالتهم الأولى، وهي: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ فهو قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ ثم أردف ذلك بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ إلى آخر الآية، أي: أن هذا ديدنهم، وديدن الجاهلية مع جميع الأنبياء، فلا تبتئس، واقتد بمن قبلك، وتأسّ بهم.

* الفوائـد:

(١) (رب) ويقال: رُبت، وربما، وربتما، وقد تخفف حرف جر للتقليل، أو للتكثير، حسبما يستفاد من سياق الكلام، ولا يدخل إلا على نكرة، وهو في حكم الزائد، فلا يتعلق بشيء، نحو: رب جهل رفع، وإذا لحقته «ما» كفته عن العمل، فيجوز دخوله على الأفعال والمعارف، فتقول: ربما أقبل الخليل، وربما الخليل مقبل، وقد يبقى على عمله كقوله: «ربما ضربة بسيف صقيل» وتكف بما، فتدخل حينئذ على الاسم والفعل، وتصير كحرف الابتداء يقع بعدها الجملة من الفعل والفاعل، كقوله:

رُبما تجزعُ النفوسُ من الأمـ ـر لـه فُـرْجَـةٌ كَحَـلِّ العِقَـالِ

والمبتدأ والخبر، كقول أبي دؤاد الإيادي:

رُبمـا الجـامِـلُ المـؤبَّـلُ فيهـم وعنـاجيـجُ بينهُـنَّ المهـارُ

وتخلفها الواو، كقول امرىء القيس:

وليـلٍ كمـوجِ البحـرِ أَرْخَـى سُـدُولَـهُ
علـيَّ بـأنـواعِ الهُمُـومِ ليبتلـي

كما تخلفها الفاء، كقول امرىء القيس أيضاً:

فَمِثْلُكِ حُبْلى قَدْ طرقتُ ومُرْضِعِ
فـأَلْهَيْتُهـا عَـنْ ذِي تَمَـائِـمَ مُحْـوِلِ

هذا؛ ورب في الآية معناها التكثير، كما قال الشاعر:

رُبَّ رَفْـدٍ هـرقْتَـهُ ذلـكَ اليَـوْ مَ وأسرى مِـنْ مَعْشَرٍ أقيـالِ

أما علة دخوله على النكرة واختصاصها بها؛ لأن النكرة تدل على الشيوع، فيجوز فيها التقليل لقبولها التقليل، والتكثير لقبولها التكثير، وأما المعرفة فمعلومة المقدار لا تحتمل تقليلاً ولا تكثيراً، ولكنها قد تدخل في السعة على المضمر، كما تدخل على المظهر مثل دخول الكاف في الضرورة، كقول العجاج:

كـلُّ الـذّنـابـاتِ شمـالاً كثبـا وأُمُّ أوعـالٍ كَهَـا أَوْ أَقْـرَبـا

إلا أن الضمير بعد رب يلزم الإفراد والتذكير والتفسير بتمييز يأتي بعده، نحو: ربه رجلاً عرفته، وربه امرأة لقيها. وقال ابن النحاس: اختلف في الضمير العائد إلى النكرة هل هو معرفة أو نكرة؟ فإن قلنا بأن ضمير النكرة نكرة، وبه قال السيرافي والزمخشري وجماعة، فلا إشكال في دخول رب على الضمير؛ لأنه لما أبهم من جهة تقديمه على المفسر من جهة وقوعه للمفرد والمثنى والمجموع بلفظ واحد، وشاع من جهة تفسيره بالنكرة صار فيه من الإبهام والشيوع ما قارب به النكرة، فجاز دخول رب عليه. وقال الشيخ ابن

النحاس: لا بد للمخفوض بها، أو بما ناب منابها من الصفة أولاً، فمن الناس من قال منهم بعدم اللزوم. ومنهم من قال باللزوم، كأبي علي الزمخشري وابن عصفور، واحتجوا لذلك بأن الصفة في النكرة للتخصيص، فهي تفيد الموصوف تقليلاً، فيوافق المعنى المقصود في أن رب للتقليل. وقال الشيخ بهاء الدين أيضاً: إنما جاز: رب رجل وأخيه، ولم يجز: رب أخيه؛ لأن الثواني يجوز فيها ما لم يجز في الأوائل من قبل أنه إذا كان ثانياً يكون ما قبله قد وفى الموضوع حقه فيما يقتضيه، فجاز التوسع في ثاني الأمر، بخلاف ما إذا أتينا بالتوسع في أول الأمر، فإنا حينئذ لا نعطي الموضع شيئاً مما يستحقه، هذا إذا لم نقل: إن المضاف إلى ضمير النكرة نكرة، فإن قلنا أنه نكرة، كان الجواز أسوغ. قال: ولا يكون العامل فيها إلا بمعنى المضي، كقولك: رب رجل جواد لقيته، أو أنا لاق، أو هو ملقى، ولا تقول: رب رجل جواد سألقى، أو لألقين؛ لأن التقليل في الماضي شائع، ولا كذلك في المستقبل؛ لأنه لم يعلم فيتحقق تقليله. قال: وتلزم أبداً الصدر لشبهها بحرف النفي من جهة مقاربة التقليل للنفي؛ لأن النفي إعدام الشيء، وتقليله تقريب من إعدامه، ولأن العرب استعملوا القليل في موضع النفي، قال الشاعر:

قلما يبرحُ المطيعُ هواه　　كلفاً ذا صبابةٍ وجنون

معناه: ما يبرح المطيع هواه كلفاً.

وهناك أبحاث تتعلق برب لا يتسع لها صدر هذه الفوائد.

(٢) واو الحال أيضاً: مما توهم فيه النحاة اشتراطهم في واو الحال: عدم اقترانها بإلا الإيجابية، ومن العجيب أن يتورط في هذا الوهم ابن هشام في شرحه لألفية ابن مالك، ويشايعه في وهمه الشيخ خالد الأزهري، فإن ذلك ثابت في فصيح الكلام، وهو هذه الآية: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ﴾ وقول الشاعر كما قال شارح «اللب»:

نِعْمَ امرأً هَرِمٌ لم تَعْرُ نَائِبَةٌ　　إلاّ وكانَ لِمُرْتَاعٍ بها وَزَرا

وكأن الزمخشري شايع القائلين بعدم الجواز فجعل الجملة صفة والواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف.

(٣) لوما: لوما ولولا لهما وجهان أحدهما أن يدلا على امتناع جوابهما لوجود تاليهما فيختصان بالجمل الاسمية، وإلى ذلك أشار ابن مالك بقوله في الخلاصة:

لَوْلاَ وَلَوْمَا يَلْزَمَانِ الابْتِدا إذا امْتِنَاعاً بِوُجُودٍ عَقَدا

نحو قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ وقول الشاعر:

لَوْما الإصَاخَةُ للوُشَاةِ لكانَ لي
مِنْ بَعْدِ سُخْطِكَ في رضاكَ رَجَاءُ

والوجه الثاني أن يدلا على التحضيض، فيختصان بالجمل الفعلية، نحو: ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿نَسْلُكُهُۥ﴾: ندخله، يقال: سلكت الخيط في الإبرة، وأسلكته؛ إذا أدخلته فيها. وفي المختار: السلك ـ بالكسر ـ: الخيط، وبالفتح مصدر سلك الشيء في الشيء فانسلك، أي: أدخله فيه فدخل، وبابه: نصر. قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ واسلك لغة فيه. وفي القاموس

وغيره: سلك يسلُك ـ بضم اللام في المضارع ـ سلكاً وسلوكاً المكان: دخل فيه، والطريق: سار فيه متبعاً إياه، وأسلك الشيء في الشيء: أدخله فيه، كما يسلك الخيط في الإبرة، وسلكه المكان وأسلكه المكان وفيه وعليه: أدخله فيه.

﴿ سُكِّرَتْ ﴾: حيرت، أو حبست من الأبصار، أو سدت، يقال: سكرت النهر سكراً، من باب: قتل، سددته. والسكر بالكسر: ما يسد به. وفي القاموس وشرحه وغيرهما: سكر يسكر الإناء سكراً، من باب: قتل: ملأه، والنهرَ: جعل له سداً، والبابَ: سده، وسكرت الريح سُكوراً وسكراناً: سكنت، والحر: فتر. وسُكر وسُكِّر بصره: تحير وحبس عن النظر، وسكر يسكر من باب: علم، الحوض: امتلأ، وسكر الرجل عليه: اغتاظ وغضب، وسكِر سَكَراً، وسَكْراً وسُكْراً وسُكُراً وسَكَراناً من الشراب، نقيض صحا، فهو سَكِر وسكران، هي سَكِرة وسَكْرى وسكرانة، والجمع سَكْرى وسُكارى وسَكارى. وللسين مع الكاف إذا وقعتا فاء وعيناً للفعل معنى التأثير في الشيء، وإحداث الأثر فيه، يقال: سكب الماء: سفحه وصبه، وماء ودم أسكوب. قالت جنوب أخت عمرو ذي الكلب:

والطَّاعِنِ الطَّعْنَةَ النَّجْلاءَ يَتْبَعها مُثْعَنْجِرٌ مِنْ دَمِ الأَجْوَافِ أُسْكُوبُ

وهذا أمر سَكْب وسُنّة سكب: حتم، قال لقيط بن زرارة لأخيه معبد، وقد طلب إليه حين أسر أن يفديه بمئتين من الإبل: ما أنا بمنط (أي: بمعط) عنك شيئاً يكون على أهل بيتك سنة سكباً، ويدرب له الناس بنا درباً. وسكت الرجل: أصابته علة منعته من الكلام، ورجل سَكوت وساكوت وسكّيت، وبه سُكات: إذا كان طويل السكوت من علة، وللحُبلى صرخة ثم سكتة، ومن المجاز ضربته حتى أسكتّ حركته، والسَّكتة: داء معروف تتعطل به الأعضاء عن الحسّ والحركة إلا التنفس، والسُّكتة: ما تبقى في الوعاء، وما تسكت به الصبيّ أو غيره. والسُّكات: داء يمنع من الحيات، والسكات من الحيات: ما يلدغ قبل أن يُشْعَر به. وسكع يسكع، من بابي:

فهم وفتح، سكْعاً وسكَعاً: مشى على غير هدى لتأثره، وفلان يتسكع: لا يدري أين يتوجّه من أرض الله، وتسكَّع في الظلمة خبط فيها، قال:

أيـاديَ بِيضـاً بَيَّضَـتْ وَجْـهَ مَطْلَبِـي
وقـد كُنـتُ في ظَلْمـائِـهِ أَتَسَكَّـعُ

وسئل بعض العرب عن قوله تعالى: ﴿فِي طُغْيَنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ فقال: في عمههم يتسكعون، وهو إسكاف بكسر الهمزة من الأساكفة، وهو الخراز، وقيل: كل صانع، وما وطئت أُسْكُفَّة بابه، وما تسكّفت بابه، ووالله لا أتسكّف له بيتاً، ومن المجاز: وقفت الدمعة على أسكفّة عينه، أي: على جفنها الأسفل، وسكّ الباب: سده بالحديد، وسكّ البئر: حفرها، وسك أذنيه: اصطلمهما، وسك النّعام ما في بطنه: رمى به رقيقاً. يقال: ما سك سمعي مثل ذلك الكلام، أي: ما دخل، وضرب هذا الدرهم في سكة فلان، وشقّ الأرض بالسِّكة، وله سكة من نخل، وهو يسكن سكّة بني فلان، وهي: الزقاق الواسع، ومن المجاز: استكت مسامعه: صمت، قال النابغة:

أتاني أبيتَ اللعنَ أنَّكَ لُمْتَنِي وتلكَ التي تستكُّ منها المسامعُ

وسكن المتحرك وأسكنته وسكّنته، وتناسبت حركاته وسكناته، وسكنوا الدار، وسكنوا فيها، وأسكنتهم الدار، وأسكنتهم فيها، ومن المجاز: سكنت نفسي بعد الاضطراب، وعلمته علماً سكنت إليه النفس، ومالي سكن، أي: من أسكن إليه من امرأة أو حميم، قال أبو الطيب:

بِـمَ التعلُّـلُ لا أهـلٌ ولا وَطَـنٌ ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سَكَنُ

وعليه سكينة ووقار ودعة، ولهم ضرب يزيل الهام عن سكناته، قال النابغة:

بِضَـرْبٍ يُـزِيـلُ الهَـامَ عَـنْ سَكَنَـاتِـهِ
وَطَعْنٍ كَإِيزَاغِ المَخَاضِ الضَّوارِبِ

وهذا ـ كما يبدو ـ أشبه بأن يكون مقصوداً، ولكن لغتنا ولدت مع الإلهام متمشية مع خواطر النفوس وهواجسها.

﴿ بُرُوجًا ﴾: جمع برج، وبروج السماء اثنا عشر ـ كما كانوا يقولون ـ وهي الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت. قالوا: وهي منازل الكواكب السبعة السيارة: المريخ وله الحمل والعقرب، والزُهرة ولها الثور والميزان، وعُطارد (ويمنع من الصرف لصيغة منتهى الجموع) وله الجوزاء والسنبلة، والقمر وله السرطان، والشمس ولها الأسد، والمشتري وله القوس والحوت، وزحل (ويمنع من الصرف للعلميةوالعدل كعمر) وله الجدي والدلو، ولم نورد هذه الأسماء على سبيل التحقيق العلمي، فقد بدل العلم الكثير من هذه المعلومات الابتدائية، واكتشف مالم يكن يدور بالخلد والحسبان، ولكننا أوردناها للفوائد اللغوية فقط.

﴿ ٱسْتَرَقَ ﴾: خطفه وسرقه، وسارقه النظر مثله، واسترق الكاتب بعض المحاسبات: إذا لم يبرزه.

﴿ شِهَابٌ ﴾: الشهاب: كل مضيء متولد من النار، وما يرى كأنه كوكب انقضّ، والكوكب عموماً والسنان لما فيه من البريق، والجمع شهب، قال أبو تمام وجانس:

والعِلْمُ في شُهُبِ الأرماحِ ساطِعَةً
بين الخَمِيْسيْنِ لا في السَّبْعَةِ الشُّهُبِ

﴿ مَعَـٰيِشَ ﴾: جمع معيشة، وهي ما يعيش به الإنسان مدة حياته من المطاعم والمشارب والملابس، هي بياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث، وذلك لأن الياء في معايش أصلية في المفرد، والمدّ في المفرد لا يقلب همزاً في الجمع إلا إذا كان زائداً في المفرد، كما قال ابن مالك في الخلاصة:

والمـدّ زِيْـد ثالثـاً في الواحـد هَمْزاً يُرى في مثل كالقَلائد

○ الإعـراب:

﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ الكاف نعت لمصدر محذوف، أي:

مثل ذلك الإدخال ندخله في قلوب المجرمين، ونسلكه فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، وفي قلوب المجرمين متعلقان بنسلكه ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ الجملة في محل نصب على الحال، ويجوز أن تكون مفسرة لقوله نسلكه فلا محل لها، ويؤمنون فعل مضارع، وفاعل، وبه جار ومجرور متعلقان بيؤمنون، وقد: الواو حالية، وقد حرف تحقيق، وخلت سنة الأولين فعل وفاعل، والجملة حالية، ويجوز أن تكون الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، أي: مضت سنة الله في إهلاكهم وتعذيبهم ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ الواو عاطفة، ولو امتناعية شرطية، وفتحنا فعل وفاعل، وعليهم متعلقان بفتحنا، وباباً مفعول به، ومن السماء صفة لباباً، والفاء عاطفة، وظل واسمها، وسيأتي في باب البلاغة ذكر الضمير في يعرجون، وفيه متعلقان بيعرجون، وجملة يعرجون خبر ظل ﴿ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ اللام واقعة في جواب لو، وقالوا فعل وفاعل، وإنما كافة ومكفوفة، وسكرت أبصارنا فعل وفاعل، والجملة لا محل لها؛ لأنها جواب لو، وجملة إنما سكرت أبصارنا مقول القول، وجملة نحن قوم مسحورون تابعة لجملة سكرت أبصارنا، وبل حرف إضراب، ونحن مبتدأ، وقوم خبر، ومسحورون صفة ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ الواو عاطفة، واللام جواب القسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وجعلنا فعل وفاعل، وإذا كان بمعنى خلقنا كان قوله في السماء متعلقاً به، وإذا كان بمعنى صيرنا فيكون مفعوله الأول بروجاً، والجار والمجرور في محل نصب هو المفعول الثاني، وزيناها فعل وفاعل ومفعول به، وللناظرين متعلقان بزيناها ﴿ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾ الواو عاطفة، وحفظناها فعل وفاعل ومفعول به، ومن كل شيطان رجيم جار ومجرور متعلقان بحفظناها، ورجيم صفة لشيطان ﴿ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ إلا أداة استثناء، ومن اسم موصول في موضع نصب على الاستثناء المتصل إن فسر الحفظ بمعنى المنع، أي: منع الشياطين من التعرض لها على الإطلاق، والوقوف على ما فيها في الجملة، أو الاستثناء المنقطع إن فسر بالمنع

من دخولها والتصرف فيها. والفاء عاطفة، وأتبعه فعل ماض ومفعول به، وشهاب فاعل، ومبين صفة ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ والأرض نصب على الاشتغال، أي: مفعول به لفعل محذوف يفسره ما بعده، ومددناها فعل وفاعل ومفعول به، وألقينا فعل وفاعل، وفيها متعلقان بألقينا، ورواسي مفعول به، أي: جبالاً ثابتة لئلا تميد بأهلها ﴿ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ وأنبتنا عطف على ما قبله، وفيها متعلقان بأنبتنا، ومن كل شيء صفة للمفعول به المحذوف، أي: نباتاً من كل شيء، وموزون صفة، أي: معلوم مقداره ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ وجعلنا عطف على ما تقدم، ولكم متعلقان بجعلنا، أو في موضوع المفعول الثاني، وفيها حال، ومعايش مفعول جعلنا، ومن الموصول عطف على معايش، أو على محل لكم، كأنه قيل: وجعلنا لكم فيها معايش، وجعلنا لكم من لستم له برازقين، أو وجعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين، وأراد بهم: العيال، والخدم، والحشم، والدواب. وقدره الزجاج منصوباً بفعل محذوف مقدر تقديره: وأغنينا من لستم له برازقين، ويجوز قطع الواو فتكون ابتدائية، ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره: ومن لستم له برازقين جعلنا له فيها معايش.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ، لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ، وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ، لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ تشبيه تمثيلي للعناد المستحوذ عليهم، واللدد الراسخ في صدورهم، وتفصيل ذلك أن الله تعالى سلك القرآن في قلوبهم، وأدخله في سويداءاتها، كما سلك ذلك في قلوب المؤمنين المصدقين، فكذب به هؤلاء، وصدَّق به هؤلاء، كل على علم وبينة، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيّ عن بينة، ولئلا يكون للكفار على الله حجة بأنهم ما فهموا وجوه الإعجاز، كما فهمها من آمن، فأعلمهم الله تعالى من الآن، وهم في مهلة وإمكان: أنهم ما كفروا إلا على علم معاندين باغين،

ليكون أدحض لأية حجة يختلقونها، وأنفى لكل ادِّعاء يخرصون به، ولذلك عقبه الله تعالى بقوله: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوٓا۟ ﴾ . . . الخ، أي: إن هؤلاء فهموا القرآن حق الفهم، واكتنهوا أسراره، وسبروا أغوار معجزاته، وعلموا وجوه إعجازه، وولج ذلك إلى قرارات نفوسهم، ووقر في أسماعهم، ولكنهم قوم ديدنهم العناد، وشيمتهم اللجاج والمكابرة، حتى لو سلك بهم أوضح السبل وأدعاها إلى الإيمان بضرورة العيان والمشاهدة، وذلك بأن يفتح لهم باباً في السماء يعرج ويعرج بهم، حتى يدخلوا منه نهاراً، وقد أشار ذلك بقوله «ظلوا» لأن الظلول إنما يكون نهاراً، ولقالوا بعد ذلك الإيضاح العظيم المكشوف: إنما سكرت أبصارنا، وسحرنا محمد، وما هذه إلا خيالات مموهة، لا حقائق تحتها، فأسجل عليهم بذلك أنهم لا عذر لهم في التكذيب من عدم سماع، ووعي، ووصول إلى القلوب، وفهم كما فهم غيرهم من المصدقين؛ لأن شأنهم الاستمرار في اللدد، والعناد، والمكابرة، واللجاج، فإذا انتقلنا إلى التفصيل قلنا في هذا التشبيه التمثيلي:

(١) التتميم، وقد مر سابقاً، وذلك بعرض مختلف مجالي المشاهدة والاعتبار.

(٢) الاحتراس بكلمة ظلوا، خشية أن يكون عروجهم في الظلام، فيتعللوا به على عدم الاهتداء.

(٣) سكر الأبصار على طريق الاستعارة المكنية التبعية.

(٤) وفي كلمتي الحصر والإضراب دلالة على البت بأن ما يرونه لا حقيقة له، بل هو باطل خيل إليهم بنوع من السحر حسب ادعائهم، وإيضاح ذلك أنهم قالوا: «إنما» وهي تفيد الحصر في المذكور آخراً، فيكون الحصر في الأبصار لا في التسكير، فكأنهم قالوا: سكرت أبصارنا لا عقولنا، ونحن وإن كنا نتخيل بأبصارنا هذه الأشياء، لكنا نعلم بعقولنا أن الحال بخلافه، أي: لا حقيقة له ثم قالوا: «بل» كأنهم أضربوا عن الحصر في الأبصار،

وقالوا: بل جاوز ذلك إلى عقولنا بسحر صنعه لنا.

وهذه الآيات من الروائع التي يقف البيان أمامها مذعناً.

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

☆ **اللغـة:**

﴿لَوَٰقِحَ﴾: حوامل؛ لأنها تحمل السحاب وتثيره، وفيها قولان:

أحدهما: أنها جمع لاقح إذا جاءت بخير من إنشاء سحاب ماطر، كما قيل للتي لا تأتي بخير: ريح عقيم.

والثاني: أنها بمعنى الملاقح، هي الإناث التي في بطونها أولادها، قال:

لِيُبْكَ يَزِيدٌ ضارعٌ لِخُصُومةٍ ومُخْتَبِطٌ ممَّا تُطِيحُ الطَّوائِحُ

يريد المطاوح، جمع: مطيحة، وفعله لقح، يقال: لقحت تلقح، من باب: تعب، لقْحاً ولقَحاً ولقاحاً الناقة ونحوها: قبلت اللقاح، أو حملت فهي لاقح ولقوح، ولقحت الحرب: هاجت بعد سكون، ولقحت المرأة: حملت.

وفيما يلي أقوال كبار اللغويين:

قال أبو عبيدة: اللواقح: جمع ملقح؛ لأنه من ألقح يلقح، فهو ملقح، فجمعه ملاقح، فحذفت الميم تخفيفاً، يقال: ألقحت الريح السحاب، كما يقال: ألقح الفحل الأنثى.

وقال الأزهري: اللواقح: جمع لاقح، يقال: لقحت الريح؛ إذا حملت

الماء، فهي حوامل؛ لأنها تحمل السحاب، كقولك: ألقحت الناقة فلقحت؛ إذا حملت الجنين في بطنها، فشبهت الريح بها.

وقال الفراء: اللواقح: جمع لاقح على النسب، كلابن، وتامر، أي: ذات لقاح.

وفي المختار: ألقح الفحل الناقة والريح السحاب، ورياح لواقح، ولا تقل ملاقح.

○ الإعـراب:

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾ إن نافية، ومن شيء: من زائدة في المبتدأ، وإلا أداء حصر، وعندنا الظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم، وخزائنه مبتدأ مؤخر، والجملة خبر شيء ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، وننزله فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، وإلا أداة حصر، وبقدر حال من المفعول، أي: متلبساً بقدر، ولك أن تعلقه بننزله، ومعلوم صفة لقدر ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ وأرسلنا الرياح فعل وفاعل ومفعول به، ولواقح حال مقدرة من الرياح ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ فأنزلنا: الفاء عاطفة، وأنزلنا عطف على أرسلنا، ومن السماء جار ومجرور متعلقان بأنزلنا، وماء مفعول به، فأسقيناكموه: الفاء عاطفة، وأسقى فعل ماض، ونا فاعل، والكاف مفعول به أول، والميم علامة جمع الذكور، والواو لإشباع ضمة الميم، والهاء مفعول به ثان، وما: الواو للحال، وما نافية حجازية، وأنتم اسمها، وله متعلقان بخازنين، والباء حرف جر زائد، وخازنين خبر ما محلاً مجرور بالباء لفظاً ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ الواو عاطفة، وإن واسمها، واللام المزحلقة، ونحن مبتدأ، وجملة نحيي خبره، ويجوز أن تكون نحن تأكيداً لنا، ولا يجوز أن تكون فصلاً؛ لأنها لم تقع بين اسمين، ونحن مبتدأ، والوارثون خبر ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ الواو عاطفة، واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وعلمنا فعل وفاعل، والمستقدمين

مفعول به، ومنكم حال، ولقد علمنا المستأخرين عطف ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ وإن ربك: إن واسمها، وهو مبتدأ، وجملة يحشرهم خبر، والجملة الاسمية خبر إن، وإن واسمها، وحكيم خبر أول، وعليم خبر ثان.

□ البلاغة:

(١) الاستعارة التمثيلية في قوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ فقد شبه ما ينتفع به العباد جميعاً لا المطر وحده، كما قال بعضهم بالخزائن التي تودع فيها المكنونات والمخبآت لإخراج كل شيء، بحسب ما اقتضته الحكمة الإلهية، ومصالح العباد الحيوية.

(٢) الاستعارة المكنية في تشبيه الرياح باللواقح، وهي النوق؛ لتوليد المطر، مما أفاض الحديث في بسطه، ولا يتنافى مع هذه الاستعارة.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ

﴿لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾

☆ اللغة:

(الصلصال): الطين اليابس الذي يصلصل، وهو غير مطبوخ، وإذا طبخ فهو فخار، قالوا: إذا توهمت في صوته مداً فهو صليل، وإن توهمت فيه ترجيعاً فهو صلصلة. وقيل: هو تضعيف صل إذا أنتن، وقيل: الصلصال: طين يابس إذا نقر سمع له صوت، أي: صلصلة، وهو بمعنى المصلصل، كالزلزال بمعنى المزلزل، ويكون فعلال أيضاً مصدراً نحو الزلزال، وفي وزن هذا النوع، أي: ما كررت فاؤه وعينه خلاف، فقيل: وزنه فعفع كررت الفاء والعين، ولا لام للكلمة، وهو قول الفراء، وهو غلط؛ لأن أقل الأصول ثلاثة فاء وعين ولام، وقد عدل عنه الفراء، فقال: إن وزنه فعفل، وقيل: إن أصله فعّل بتشديد العين، وأصله: صلّل، فلما اجتمع ثلاثة أمثال أبدل الثاني من جنس فاء الكلمة. وخصّ بعضهم هذا الخلاف بما إذا لم يختلّ المعنى بسقوط الثالث، نحو: لملم، وكبكب، فإنك تقول فيهما: لمّ، وكبّ، فلو لم يصح المعنى بسقوطه، نحو: سمسم، فلا خلاف في أصالة الجميع. وقيل: إن وزنه فعلل بتكرير اللام، فقلبت الأولى منهما من جنس فاء الكلمة. وفي القاموس: الصلصال: الطين اليابس؛ الذي يصل من نفسه، أي: يصوت. ويقال: صلصل صلصلة الحلي أو اللجام: صوت، والرعد: صفا صوته، والجرس: رجع صوته، وصلصل فلاناً: تهدده. هذا؛ وقد جاءت الزيادة رابعة بعد اللام الأولى في أسماء صالحة العدة، تقارب عشرة أبنية، من ذلك:

فعليل، وذلك في الاسم والصفة، فالاسم: قنديل، وبرطيل، والصفة: شنظير، وهمهيم، فالقنديل معروف، والبرطيل: حجر طويل قدر الذراع، والشنظير: السيىء الخلق، والهمهيم: الذي يردّد ويهمهم، ويقال: حمار همهيم، أي: في صوته ترديد من الهمهمة.

ومن ذلك فُعلول، في الاسم والصفة، فالاسم: عُصفور، وزُنبور،

والصفة: سرحوب، وقرضوب، فالعصفور والزنبور معروفان، السرحوب: الطويل، والقرضوب: الفقير، وهو من أسماء السيف، وربما قيل للص: قرضوب.

ومن ذلك فُعْلَيل، بضم الفاء وسكون العين وفتح اللام الأولى، قالوا في الصفة: غرنيق، وهو: الرفيع السيد، والغرنيق: من طيور الماء طويل العنق، قال الجوهري: إذا وصف به الرجال قيل: غِرنيق بكسر الغين، وغُرنيق بالضم، والجمع غَرانق ـ بالفتح ـ وغرانيق.

ومن ذلك: فِعلول، جاء في الاسم والصفة، والاسم: فردوس، وحرذون، والصفة: علطوس، فالفردوس هو: البستان، والحرذون: دويبة كالقطاة، والعلطوس: الناقة الفارهة.

ومن ذلك: فَعَلول، في الاسم والصفة، فالاسم: قَرَبوس، وزَرَجون، والصفة: قرقوس، وحلكوك، فالقربوس للسرج معروف، والزرجون: الخمر؛ سميت بذلك للونها، وأصلها بالفارسية: زركون (الزر الذهب، والكون اللون) وقال أبو عمرو الجرمي: هو صبغ أحمر.

ومن ذلك فَعَلْول بفتح الفاء والعين وسكون اللام وفتح اللام، قالوا: كنهور وبلهور، والكنهور: السحاب العظيم، والبلهور: من ملوك الهند، يقال لكل ملك عظيم منهم بلهور، ولا نعلمه اسماً.

ومن ذلك فَعْلال، ولا يكون إلا في الكلام المضاعف من ذوات الأربعة، يكون اسماً وصفة، فالاسم: الزلزال، والحثحاث، والصفة: الصلصال، والقسقاس، فالزلزال مصدر كالزلزلة، والحثحاث بمعنى الحثحثة، والصلصال: الطين الحر، خلط بالرمل فصار يتصلصل إذا جف، فإن طبخ فهو الفخار، والقسقاس: الدليل الهادي، وقد جاء حرف واحد على فعلال غير مضاعف، قالوا: ناقة بها خزعال، وهو: سوء مشي من داء.

ومن ذلك: فِعلال، بكسر الفاء، يكون اسماً وصفة، فالاسم نحو:

سربـال، وحمـلاق، والصفـة: سرداح، وهلبـاج، والسربـال: القميـص، والحملاق: ما تغطيه الأجفان من العين، والسرداح: الأرض الواسعة، والهلباج: الكثير العيوب.

ومن ذلك: فَعَلَّل بفتح الفاء والعين وتضعيف اللام الأولى، يكون اسماً وصفة، فالاسم: شفلح، وهمرّجة، والصفة: العدبّس، والعملّس، فالشفلح: ثمر معين، وقد يكون صفة بمعنى الغليظ الشفة، والهمرّجة: الاختلاط، يقال: همرجت عليه الخبر، أي: خلطته، والعدبس: الضخم، والعملس: الخفيف، وقيل للذئب: عملّس، قال الشنفرى:

ولي دُونَكُـمْ أهلُـون سِيْـدٌ عَمَلَّـسٌ
وأرقَـطُ زُهْلُـولٌ وعَـرْفـاءُ جَيْـأَلُ

ومن ذلك: فُعُلّل، بضم الفاء والعين، وهو قليل، قالوا: الصفرق، والزمرد، وهما اسمان، فالصفرّق: نبت، والزمرد من الجوهر معروف.

﴿حَمَإٍ﴾: الحمأ: الطين الأسود المتغيّر الرائحة من طول مكثه، ويقال: الحمأة.

﴿مَّسْنُونٍ﴾: منتن، من سننت الحجر على الحجر؛ إذا حككته به، فإن ما يسيل بينهما يكون منتناً، ويسمى سنيناً، وقيل: المصبوب المفرغ، أي: أفرغ صورة إنسان، كما تفرغ الصور من الجواهر المذابة في أمثلتها. وقد امتاز فعل سنّ بكثرة معانيه، حتى ليكاد المرء يذهل، يقال: سن يسن السكين، من باب: نصر، أحدّه وشحذه، ويقال: هذا مما يسنك على الطعام، أي: يشحذك على أكله، ويشهيه إليك، وسن الرمح: ركب فيه السنان، وسن الأسنان: سوكها، وسن العقدة: حلها، وسن الإبل: ساقها سوقاً سريعاً، وسن الرجل: طعنه بالسنان، وعضه بأسنانه، وكسر أسنانه، ومدحه، وأطراه، وسن الأمر: بينه وسهله وأجراه، وسن الطريقة: سارفيها، وسن عليهم السنة: وضعها، وسن الطين: عمله فخاراً، وسن الشيء: صورّه، وسن الماء أو التراب: صبَّه برفق، وسنت العين الدمع: صبته، وسن الأمير

رعيته، أحسن سياستها، يقال: سن فلان طريقاً من الخير، أي: ابتدأ أمراً من البر لم يعرفه قومه، وهذا من أعاجيب لغتنا الشريفة.

﴿وَٱلْجَآنَّ﴾: الجِنُّ كآدم للناس.

﴿ٱلسَّمُومِ﴾: نار الحر الشديد النافذ من المسام، وقيل: هي نار لا دخان لها، تنفذ في المسام، قيل: السموم: ما يقتل من إفراط الحر من شمس، أو ريح، أو نار؛ لأنها تدخل في المسام، وهي الثقوب فتقتل، وتجمع على سمائم.

﴿رَجِيمٌ﴾ مطرود. وفي المصباح: الرَّجَم ـ بفتحتين ـ: الحجارة، والرجم: القبر، سُمِّي بذلك لما يجتمع عليه من الحجارة، ورجمته رجماً، من باب: قتل، ضربته بالرجم. وفي القاموس: الرجم: اللعن، والشتم، والطرد، والهجران. والمرجوم: المطرود الملعون، ولعنه الله: طرده وأبعده. قال الشماخ:

وماءٍ قد وَرَدْتُ لِوَصْلِ أَرْوَىٰ عليه الطَّيْرُ كالوَرَقِ اللَّجين
ذَعَرْتُ به القَطَا ونَفَيْتُ عنه مَقَامَ الذِّئبِ كالرَّجُلِ اللَّعينَ

○ الإعراب:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ الواو استئنافية، واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وخلقنا الإنسان فعل وفاعل ومفعول به، ومن صلصال جار ومجرور متعلقان بخلقنا، ومن حمأ يجوز أن يكون صفة لصلصال، وأن يكون بدلاً من قوله «من صلصال» بإعادة الجار، ومسنون صفة لحمأ ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ والجان نصب على الاشتغال، وخلقناه فعل وفاعل ومفعول به، ومن قبل متعلقان بمحذوف حال، ومن نار السموم متعلقان بخلقناه ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ الظرف متعلق بمحذوف تقديره: اذكر، وجملة قال ربك مضافة للظرف، وللملائكة متعلقان بقال، وإن واسمها،

وخالق خبرها، وبشراً مفعول به لخالق، ومن صلصال من حمأ مسنون تقدم إعرابها ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ الفاء عاطفة، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة سويته مضافة للظرف، ونفخت عطف على سويته، وفيه متعلقان بنفخت، ومن روحي صفة لمفعول محذوف، أي: روحاً من روحي، والمراد: الإحياء، وليس ثمة نفخ ولا منفوخ، فقعوا: الفاء رابطة لجواب إذا، وقعوا فعل أمر، والواو فاعل، وله متعلقان بساجدين، وساجدين حال ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ الفاء عاطفة على محذوف، أي: فخلقه، وسواه ونفخ فيه من روحه فسجد الملائكة، وكلهم وأجمعون تأكيدان لزيادة تمكين المعنى وترسيخه في الذهن، وسُئِل المبرد عن هذه الآية فقال: لو قال فسجد الملائكة احتمل أن يكون سجد بعضهم، فلما قال كلهم زال هذا الاحتمال، فظهر أنهم بأسرهم سجدوا، ثم عند هذا بقي احتمال، وهو أنهم هل سجدوا دفعة واحدة، أو سجد كلٌّ واحد في وقت؟ فلما قال أجمعون ظهر أنهم جميعاً سجدوا دفعة واحدة ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ تقدم القول في هذا الاستثناء أنه متصل؛ إما لأنه كان جنياً مغموراً بألوف الملائكة، فعدّ منهم تغليباً، وإما لأنه منهم حقيقة، ويجوز أن يكون منقطعاً، فيتصل به ما بعده، أي: لكن إبليس أبى أن يكون معهم، وأبى فعل ماض، وأن يكون مصدر مؤول منصوب على المفعولية لأبى، واسم يكون مستتر تقديره هو، أي: إبليس، ومع ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر يكون، والساجدين مضاف إليه ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ يا حرف نداء، وإبليس منادى مفرد علم، وما اسم استفهام للتوبيخ مبتدأ، ولك خبر، وأن وما في حيزها نصب بنزع الخافض، والجار والمجرور في محل نصب على الحال، أي: مالك غير كائن مع الساجدين، وأن لا تكون مع الساجدين تقدم إعرابها ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ لم حرف نفي وقلب وجزم، وأكن مضارع مجزوم بلم، واسمها مستتر تقديره: أنا، واللام لام الجحود، وهي لتأكيد النفي، وأسجد فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعدها، والجار والمجرور خبر أكن،

ولبشر متعلقان بأسجد، وجملة خلقته صفة لبشر، ومن صلصال من حمأ مسنون، تقدم إعرابها ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ الفاء الفصيحة؛ لأنها جواب شرط مقدر، أي: إن تماديت وعصيت فاخرج، ومنها متعلقان باخرج، والفاء تعليلية، وإن واسمها وخبرها، والجملة لا محل لها ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ الواو عاطفة، وإن حرف مشبه بالفعل للتوكيد، وعليك خبر إن المقدم، واللعنة اسمها المؤخر، وإلى يوم الدين حال، أي: مستقرة إلى تلك الغاية ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ رب منادى محذوف منه حرف النداء، وهو مضاف إلى ياء المتكلم، والفاء الفصيحة لأنها وقعت في جواب شرط مقدر، أي: إن قضيت علي بهذا الجزاء فأنظرني، أي: أمهلني، وإلى يوم متعلقان بأنظرني، ويبعثون مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وجملة يبعثون مضاف إليها، وإنما طلب الانظار إلى يوم الذي فيه يبعثون؛ ليجد مندوحة وفسحة في الإغواء، ونجاة عند الموت، إذ لا موت بعد وقت البعث، فأجابه إلى الأول دون الثاني، أي: انظر إلى آخر أيام التكليف كما سيأتي ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ الفاء عاطفة، وإن واسمها، ومن المنظرين خبرها ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾ إلى يوم جار ومجرور متعلقان بالمنظرين، والوقت مضاف إليه، والمعلوم صفة ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ رب منادى كما تقدم، وبما الباء للقسم، وما مصدرية، أي: أقسم بإغوائك إياي، وجملة لأزينن جواب القسم، وقد تقدم نظيره في الأعراف، وقيل الباء للسببية، وكلاهما جائز، لأزينن اللام جواب القسم، أو هي موطئة للقسم إن كانت الباء سببية، وأزينن فعل مضارع مبني على الفتح، ولهم متعلقان بأزينن، وفي الأرض حال، ولأغوينهم عطف على لأزينن، وأجمعين تأكيد للضمير ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ إلا أداة استثناء، وعبادك مستثنى، والمخلصين صفة، ومنهم حال ﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ هذا مبتدأ، وصراط خبر، وعلي متعلقان بمحذوف صفة، أي: حق، ومستقيم صفة ثانية، أي: هذا طريق حق علي أن أراعيه، ولا أتجاوزه، وهو: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ فالجملة

تفسيرية للصراط المستقيم؛ الذي أوجبت على نفسي التزامه، وإن واسمها، وجملة ليس خبر، ولك خبر ليس المقدم، وعليهم حال لأنه كان صفة لسلطان، وسلطان اسم ليس المؤخر.

قال ابن هشام: قول كثير من النحويين في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ ﴾ إنه دليل على جواز استثناء الأكثر من الأقل، والصواب: أن المراد بالعباد المخلصون لا عموم المملوكين، وأن الاستثناء منقطع بدليل سقوطه في الآية (٦٥) سورة الإسراء: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾. وتعقبه الدماميني بقوله: اختياره لكون الاستثناء منقطعاً مقدوح فيه بأنه ارتكاب لخلاف الأصل، من غير ضرورة لإمكان حمل الاستثناء على الاتصال، وهو الأصل، ويكون المراد بالعباد عموم المملوكين، ولا يضر في ذلك أن آية الإسراء بدون استثناء؛ لأنه أريد بالعباد فيها المخلصون فترك الاستثناء، وقد يجاب بأنه القرآن يفسر بعضه بعضاً، فإذا تكرر لفظ فيه، وكان له موضع محمل واحد، وفي آخر ذلك المحمل وغيره، حمل في الآخر على ذلك المحمل دون غيره، والاستثناء المنقطع وإن كان خلاف الأصل إلا أنه فصيح شائع.

﴿ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ قيل: هو استثناء من غير الجنس؛ لأن المراد بعبادي: الموحدون، ومتبع الشيطان غير موحد. وقيل: هو من الجنس؛ لأن عبادي جميع المكلفين، ومن الغاوين حال ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الواو عاطفة، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وموعدهم خبر إن، وأجمعين تأكيد للضمير ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ لها خبر مقدم، وسبعة أبواب مبتدأ مؤخر، ولكل باب خبر مقدم، ومنهم حال؛ لأنه كان صفة لجزء، وجزء مبتدأ مؤخر، ومقسوم نعت لجزء أيضاً، والمراد بالجزء الطائفة.

□ البلاغة:

(١) الإيجاز في قوله: ﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ ولعله من أبلغ الإيجازات؛ لأنه قسيم الايجاز بالحذف، فهو إيجاز بالتقدير، وهو قسمان:

أحدهما: ما ساوى لفظه معناه، وثانيهما: ما زاد معناه على لفظه، ويسمى بالقصر؛ إذ يدل لفظه على محتملات عديدة، ومشتملات كثيرة، ولا يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدتها، لا بل مستحيل ذلك، فقوله «هذا» إشارة تدل على القرب، فكأنه يشير إلى ما هو على مرأى من عيونهم، ومسمع من آذانهم، وبين متناول أيديهم، وصراط تدل على الطريق المسلوكة؛ التي تفضي بسالكها إلى حيث يختار لنفسه من مذاهب، ولكن الطريق قد تكون معوجة ملتوية كثيرة المنعطفات، فيتيه السالك في متاهاتها، وتلتبس عليه أوجه الاستهداء في سلوكها، فجاء بكلمة «مستقيم» والمستقيم هو: أقصر بعد بين نقطتين، وأقل انحراف يخرجه عن سنن الاستقامة وحدودها، وكلمة «علي» تعني الإلزام والإيجاب، تقول: علي عهد الله لأفعلن كذلك، فتشعر أنك قد ألزمت نفسك بما هو حق مفروض الأداء، ثم إن الإشارة تضمنت كل ما يحتويه الاستثناء فيما بعد، وهو قوله: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ فكأنه أخذ على نفسه، وأوجب على ذاته حقاً، لا انفكاك له عنه، وهو تخليص المخلصين من إغوائه، وقد تضمن تعريف المخلصين أيضاً ما يؤكد هذا المعنى، ويجعله مستقراً في الذهن؛ لأن التعريف فيه مع تحقيق الصفة للموصوف، وهي الإخلاص، تفخيم لشأنهم، وبيان لمنزلتهم ولانقطاع مخالب الإغواء عنهم، وفل معاول النقد أن تتوجه إليهم، فهذه الآية كلمات قليلة، وقد احتوت على هذه الأغراض، ولا بد لنا من أن نعرض نماذج من غير القرآن، لا لأنها ترقى إلى مستواه، ولكن لأنها تدور في فلكه، وتحوم حوله، وتستقي من مناهله، استمع إلى هذه القصة العجيبة:

لما أرسل المهلب بن أبي صفرة أبا الحسن المدائني إلى الحجاج بن يوسف يخبره أخبار الأزارقة، كلمه كلاماً موجزاً، كالذي نحن بصدده هنا، وذلك أن الحجاج سأله فقال: كيف تركت المهلب؟ فقال: أدرك ما أمّل، وأمن مما خاف. فقال: كيف هو لجنده؟ قال: والدٌ رؤوف، قال: كيف

جنده له؟ قال: أولاد بررة، قال: كيف رضاهم عنه؟ قال: وسعهم بفضله، وأغناهم بعدله، قال: كيف تصنعون إذا لقيتم العدو؟ قال: نلقاهم بجدنا، ويلقوننا بجدهم، قال: كذلك الجد إذا لقي الجد، قال: فأخبرني عن بني المهلب. قال: هم أحلاس القتال بالليل، حماة السرج بالنهار. قال: أيهم أفضل؟ قال: هم كحلقة مضروبة لا يعرف طرفاها، فقال: الحجاج لجلسائه: هذا؛ هو والله الكلام الفصل الذي ليس بمصنوع. وتأمل وصف الحجاج للكلام فقد وصف الكلام الموجز البليغ بما يدانيه في الإيجاز والبلاغة، ولا غرو فالحجاج كان آية في إتقان اللغة ومعرفة خصائصها. روى الزجاج في أماليه قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم السجستاني، عن الأصمعي قال: أربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل: الشعبي، وعبد الملك بن مروان، والحجاج بن يوسف، وابن القريّة، والحجاج أفصحهم، قال يوماً لطباخه: اطبخ لنا مخلّلة وأكثر عليها الفيجن (أي: السذاب، وهو نبات ورقه كالصعتر) واعمل لنا مزعزعاً، فلم يفهم عنه الطباخ، فسأل بعض ندمائه فقال له: اطبخ له سكباجاً، وأكثر عليها من السذاب، واعمل له فالوذاً سلساً. وسترى نماذج من الإيجاز في أماكن كثيرة يتم بها شرط الكتاب.

(٢) الاستثناء في قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ فإن هذا الاستثناء لو لم يتقدم لفظه هذا الاحتراس من قوله: «كلهم أجمعون» لاحتمل ـ كما أشرنا في الإعراب ـ أن يكون في الملائكة من لم يسجد فيتأسى به إبليس، لا يكون منفرداً بهذه الكبيرة، لاحتمال أن تكون «الـ» التعريف للعهد لا للجنس، فلما كان هذا الإشكال يتوجه على الكلام إذا اقتصر فيه على ما دون التوكيد، وجب الإتيان بالتوكيد ليعلم أن «الـ» التعريف للجنس، فيرتفع هذا الإشكال بهذا الاحتراس، فحينئذ تعظم كبيرة إبليس لكونه فارق جميع الملأ الأعلى، وخرق إجماع الملائكة، فيستحق أن يفرد بهذا اللعن إلى آخر الأبد، هذا؛ والاستثناء الذي يطلقه البلاغيون هو غير الاستثناء المعروف عند

النحاة، فهو قسمان إذاً لغوي وصناعي، أما اللغوي فقد فرغ النحاة من تقريره، أما الصناعي فهو الذي نحن بصدده، وهو المتعلق بعلم البيان، وسترد له نماذج رائعة في هذا الكتاب العجيب.

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ غِلٍّ ﴾: الغل ـ بكسر الغين ـ: الحقد الكامن في القلب، من انغل في جوفه، وتغلغل، ويطلق على الشحناء، والعداوة، والبغضاء، والحقد، والحسد، وتقول: جعل الله في كبده غُلة، وفي صدره غلاًّ، وفي ماله غُلولاً، وفي رقبته غُلاً فالغل ـ بالضم ـ: القيد، وهي مادة تدل على التغلغل مطابقة للفظها، يقال: وبي وجدٌ تغلغل في الحشا، وأبلغ فلاناً مغلغلة، وهي: الرسالة الواردة من بلد بعيد، وغلغلت إليه رسالة، قال الأخطل:

لأُغَلغلنَّ إلى كريم مدحةً ... ولأُثنيّن بنائلٍ وفَعَالِ

○ **الإعراب:**

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ إن واسمها، وفي جنات خبرها، وعيون عطف على جنات ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ الجملة مقول القول محذوف، أي: يقال لهم، وادخلوها فعل أمر وفاعل ومفعول به، وبسلام في محل نصب على الحال من الواو في «ادخلوها» أي: سالمين من كل أذى، أو مسلّماً عليكم، وآمنين حال ثانية من الواو في ادخلوها ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ ونزعنا فعل وفاعل وما مفعول به، وفي صدورهم صلة،

ومن غل حال بيان للذي استقر في صدورهم، وإخواناً حال ثانية من هم، وعلى سرر جار ومجرور متعلقان بمتقابلين، ومتقابلين حال ثالثة من ضمير صدورهم، وجاز ذلك لأن المضاف جزء من المضاف إليه، والعامل فيها معنى الإلصاق، وقيل: متقابلين صفة لإخواناً، وليس ببعيد، والأول أولى، أي: لا ينظر بعضهم قفا بعض لدوران الأسرة بهم، وهي صفة الجالسين على موائد الشراب والولائم؛ لأن ذلك أبلغ في المؤانسة والإكرام ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ يجوز أن تكون هذه الجملة مستأنفة، أو حالاً من الضمير في متقابلين، ولا نافية، ويمسهم فعل مضارع، ومفعول به مقدم، ونصب فاعل مؤخر، وما هم: الواو عاطفة، وما نافية حجازية، وهم اسمها، ومنها متعلقان بمخرجين، والباء حرف جر زائد، ومخرجين مجرور لفظاً منصوب محلاً؛ لأنه خبر ما ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ نبىء فعل أمر، والفاعل مستتر، وعبادي مفعول به، وأن وما في حيزها سدت مسد مفاعيل نبىء، وأن واسمها، وأنا ضمير فصل، أو مبتدأ، والغفور خبر أن، أو خبر أنا، والجملة خبر أن، والرحيم خبر ثان ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ عطف على سابقتها، والإعراب واحد، ولكن الأليم صفة للعذاب.

* الفوائـد:

قوله: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ هذا مما ورد منظوماً في القرآن، ولكنه ليس شعراً؛ لأنه ليس مقصوداً، وقد تقدم القول في بعض الآيات التي وردت موزونة، وهذه الآية تؤلف بيتاً كاملاً من البحر المجتث، ولكننا لم نذكر هناك معاني أسماء الأبحر، وفيما يلي بيان بالأسماء ومعانيها:

ذكر الزجاج أن ابن دريد أخبره عن أبي حاتم عن الأخفش قال: سألت الخليل: لم سميت الطويل طويلاً؟ قال: لأنه طال بتمام أجزائه، قلت: فالبسيط؟ قال: لأنه انبسط عن مدى الطويل، وجاء وسطه فَعِلن وآخره فَعِلن، قلت: فالمديد؟ قال: لتمدد سباعيه حول خماسيه، قلت: فالوافر؟ قال: لوفور أجزائه وتداً بوتد، قلت: فالكامل؟ قال: لأن فيه ثلاثين حركة لم

تجتمع في غيره من الشعر، قلت: فالهزج؟ قال: لأنه يضطرب شبه بهزج الصوت، قلت: فالرجز؟ قال: لاضطرابه كاضطراب قوائم الناقة عند القيام، قلت: فالرمل؟ قال: لأنه برمل الحصير لضم بعضه إلى بعض، قلت: فالسريع؟ قال: لأنه يسرع على اللسان، قلت: فالمنسرح؟ قال: لانسراحه وسهولته، قلت: فالخفيف؟ قال: لأنه أخف السباعيات، قلت: فالمقتضب؟ قال: لأنه اقتضب من السريع، قلت: فالمضارع؟ قال: لأنه ضارع المقتضب، قلت: فالمجتثّ؟ قال: لأنه اجتث، أي: قطع من طويل دائرته، قلت: فالمتقارب؟ قال: لتقارب أجزائه؛ لأنها خماسية كلها يشبه بعضها بعضاً.

﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ عطف على «نبىء عبادي» ليعتبروا بما حل بقوم لوط من عذاب، ونبئهم فعل أمر، وفاعل مستتر، ومفعول به، وعن ضيف إبراهيم متعلقان بنبئهم، وأصل الضيف مصدر؛ ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع، على أنه قد يجمع فيقال: أضياف، وضيوف، وضيفان ﴿ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴾ الظرف متعلق بمحذوف، تقديره:

اذكر، وجملة دخلوا مضاف إليها، وعليه متعلقان بدخلوا، فقالوا: عطف على دخلوا، وسلاماً مفعول مطلق لفعل محذوف، أي: نسلم سلاماً، أو مفعول به على المعنى، أي: اذكروا سلاماً، وقال فعل ماض، وجملة إنا. . . الخ مقول القول، وإن واسمها، ومنكم متعلقان بوجلون، ووجلون خبر إنا، أي: خائفون إما لامتناعهم من الأكل، وإما لأنهم دخلوا بغير إذن ﴿ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ لا ناهية، وتوجل مضارع مجزوم بلا الناهية، وإن واسمها، وجملة نبشرك خبرها، وبغلام متعلقان بنبشرك، وعليم صفة، والجملة تعليلية لعدم الوجل ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ الهمزة للاستفهام التعجبي، وبشرتموني فعل وفاعل ومفعول به، وعلى حرف جر، وإن وما في حيزها في محل جر بعلى، والجار والمجرور في موضع نصب على الحال، أي: حالة كونه قد مسني، والكبر فاعل مسني، فبم الباء جرف جر، وما اسم استفهام حذفت ألفها لدخول حرف الجر، والجار والمجرور متعلقان بتبشرون ﴿ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴾ جملة بشرناك مقول القول، وهو فعل ماض وفاعل ومفعول به، وبالحق متعلقان ببشرناك، والفاء حرف عطف، ولا ناهية، وتكن مضارع مجزوم بلا الناهية، واسم تكن مستتر تقديره أنت، ومن القانطين خبرها ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ الواو عاطفة، ومن اسم استفهام معناه النفي في محل رفع مبتدأ، وجملة يقنط خبره، ومن رحمة ربه متعلقان بيقنط، وإلا أداة حصر، والضالون بدل من الضمير المستتر في يقنط بدل بعض من كل، ولم يؤت معه بضمير لقوة تعلق المستثنى بالمستثنى منه ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ الفاء عاطفة لتتساوق المحاروة، وما اسم استفهام مبتدأ، وخطبكم خبر، أي: ما شأنكم، وأيها منادى نكرة مقصودة، وحرف النداء محذوف، والهاء للتنبيه، والمرسلون بدل، أو نعت لأيها ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ إن واسمها، وجملة أرسلنا خبرها، ونا نائب فاعل أرسل، وإلى قوم متعلقان بأرسلنا، ومجرمين صفة ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ فيه وجهان: أحدهما: أنه مستثنى متصل على أنه مستثنى من

الضمير المستكن في مجرمين، والمعنى أنهم أجرموا كلهم إلا آل لوط؛ فإنهم لم يجرموا، وجملة إنا لمنجوهم على هذا استئنافية، مسوقة للإخبار بنجاتهم؛ لأنهم لم يجرموا، وثانيهما: أنه مستثنى منقطع؛ لأن آل لوط لم يندرجوا في المجرمين البتة، وعلى كل حال محله النصب، ويبدو أن جعله منقطعاً أولى، وأمكن، وذلك أن في استثنائهم من الضمير العائد على قوم مجرمين بعداً، من حيث أن موقع الاستثناء إخراج ما لولاه لدخل المستثنى في حكم الأول، وهذا الدخول متعذر من التنكير، ولذلك قلما تجد النكرة يستثنى منها إلا في سياق نفي؛ لأنها حينئذ أعم؛ فيتحقق الدخول لولا الاستثناء، ومن ثم لم يحسن: رأيت قوماً إلا زيداً، وحسن: ما رأيت أحداً إلا زيداً. وإن واسمها، واللام المزحلقة، ومنجوهم خبر إنا، وأجمعين تأكيد للضمير، وعلى هذا تكون جملة إنا لمنجوهم متصلة بآل لوط كأنها خبر لكن المقدرة، أي: لكن آل لوط منجون ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ اختلف المعربون في هذا الاستثناء، وسننقل ما قاله الزمخشري وأبو البقاء، قال الزمخشري: فإن قلت فقوله «إلا امرأته» ممّ استثني؟ وهل هو استثناء من استثناء؟ قلت: استثني من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم، وليس من الاستثناء من الاستثناء في شيء؛ لأن الاستثناء من الاستثناء إنما يكون فيما اتحد الحكم فيه، وأن يقال: أهلكناهم إلا آل لوط إلا امرأته، كما اتحد الحكم في قول المطلّق: أنت طالق ثلاثاً إلا اثنتين، إلا واحدة، وفي قول المقرّ: لفلان عليّ عشرة دراهم، إلا ثلاثة، إلا درهماً، فأما في الآية فقد اختلف الحكمان؛ لأن إلا آل لوط متعلق بأرسلنا، أو بمجرمين، وإلا امرأته قد تعلق بمنجوهم، فأنى يكون استثناء من استثناء؟!.

وقال أبو البقاء: قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ﴾ فيه وجهان: أحدهما: هو مستثنى من آل لوط، والاستثناء إذا جاء بعد الاستثناء كان الاستثناء الثاني مضافاً إلى المبتدأ، كقولك له: عندي عشرة، إلا أربعة، إلا درهماً، فإن الدرهم يستثنى من الأربعة، فهو مضاف إلى العشرة، فكأنك قلت: أحد

عشر، إلا أربعة، أو عشرة، إلا ثلاثة. والوجه الثاني: أن يكون مستثنى من ضمير المفعول في منجوهم، وسيأتي في باب الفوائد مزيد.

وقدرنا فعل وفاعل، وقد ضمن معنى العلم، فلذلك علق باللام فكسرت إن، وإنما أسند الملائكة التقدير لأنفسهم لما لهم من المكانة والقربى من الله، كما تقول خاصة الملك: نحن أمرنا، ونحن رسمنا، وإن كانوا قد أمروا به ورسموه بأمر الملك، وإن واسمها، واللام المزحلقة، ومن الغابرين خبر إن ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ الفاء عاطفة على محذوف، أي: فخرجوا من عنده، وسافروا مع قريته إلى قرية قوم لوط، ولما حينية، أو رابطة، وجاء فعل ماض، وآل لوط مفعول به مقدم، والمرسلون فاعل مؤخر ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، وإن واسمها وخبرها، ومنكرون صفة لقوم ﴿ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ بل حرف إضراب وعطف، وجئناك فعل وفاعل ومفعول به، وبما متعلقان بجئناك، وجملة كانوا صلة، وفيه متعلقان بيمترون، وجملة يمترون خبر كانوا ﴿ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ الواو عاطفة، وأتيناك فعل وفاعل ومفعول به، وبالحق متعلقان بمحذوف حال، أي: متلبسين أو متلبساً أنت لإبصارك له، ويجوز تعليقه بآتيناك، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وصادقون خبر إن.

* الفوائد:

وقفنا على مناظرة جرت بين الكسائي وأبي يوسف بصدد قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ ﴾ وحكم «إلا» إذا تكررت، فقد سأل الكسائي أبا يوسف عمن قال: له عليّ مئة درهم إلا عشرة إلا اثنين، فقال: يلزمه ثمانية وثمانون، فقال الكسائي: بل يلزمه اثنان وتسعون، واستدل بالآية، فلم يخالفه، وهذا يؤيد رأي أبي البقاء، ويخطىء قول الزمخشري. وقال ابن هشام: ونظيره قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ ﴾ فالمرأة مستثناة من الأول، والآل مستثنون من القوم المجرمين، وهو

منقطع، والثاني متصل، كذا ظهر لي وبعد فلا يمتنع عندي في مثل عشرة إلا أربعة إلا اثنين أن يستثنى الاثنان من الأصل؛ لأن الحمل على الأقرب أرجح لا متعين، وكفى بباب التنازع شاهداً، وإن كلاًّ من الفريقين يجيز أعمال كل من العاملين، إلا ما استثني لعارض، والعارض يوجد هنا أيضاً نحو: عشرة إلا ثلاثة إلا أربعة، فإن قلت: ما المانع من أن يكون في الآية الاستثناء الثاني من القوم المجرمين، ويرجحه الاتصال على هذا أيضاً؛ لأنها من الآل ومن المجرمين، قلت: متى قيل هذا فقد أبعد القائل وأحال، أما الأول فواضح، وأما الثاني فلأن معنى أرسلنا: أرسلنا بالعذاب، فلا يصح إخراجها من المعذبين، فإن قلت: فما المانع من أن يستثنى من هم في «إنا لمنجوهم» وحينئذ تكون معذبة، ويكون حملاً على أقرب ما ذكرت، وتخرج الآية عن الاستثناء من الاستثناء. قلت: هو قول الزمخشري، وليس عندي كغالب أقواله الإعرابية؛ لأن «إنا لمنجوهم أجمعين» إنما ذكرت توكيداً لا تأسيساً؛ لاستفادة معناها من الإخراج من حكم المعذبين.

وبعد نَقْل ما تقدم عثرت على اعتراض جميل، وهو: أنه تقدم أن المراد بالإجرام ذلك الفعل الشنيع، فكيف يقولون: إن المرأة من الآل ومن المجرمين، وذلك الفعل لا يتصور منها؟! وعلى هذا يطيح الرأيان جميعاً، ويمكن أن يجاب بأن الدلالة على الشيء كفعله، أو السكوت على الإجرام والرضا به إجرام، وإنما أطلنا الكلام؛ لأن هذه الآية مما كثر فيه الكلام، وقل من أصاب الغرض من الأئمة الأعلام، وسئل عنها الجلال السيوطي في «الفتاوى» فما أتى بالمرام، والله أعلم.

وقد اضطرب أبو حيان في كلامه على الرأيين والموازنة بينهما فقال:

ولما استسلف الزمخشري أن «إلا امرأته» مستثنى من الضمير المجرور في لمنجوهم، لم يجوز أن يكون استثناء من استثناء، ومن قال إنه استثناء من استثناء فيمكن تصحيح كلامه بأحد وجهين: أحدهما: أنه لما كان الضمير في «لمنجوهم» عائداً على آل لوط، وقد استثنى منه المرأة، صار كأنّه مستثنى من

آل لوط؛ لأن المضمر هو الظاهر في المعنى، والوجه الآخر: أن قوله إلا آل لوط لمّا حكم عليهم بغير الحكم على قوم مجرمين اقتضى ذلك نجاتهم، فجاء قوله: «إنا لمنجوهم أجمعين» تأكيداً بمعنى الاستثناء، إذ المعنى إلا آل لوط، فلم يرسل إليهم بالعذاب، فصار نظير قولك: قام القوم إلا زيداً، فإنه لم يقم، أو إلا زيداً لم يقم، فهذه الجملة تأكيد لما تضمنه الاستثناء من الحكم على ما بعد إلا بضد الحكم السابق على المستثنى منه، فإلا امرأته على هذا التقدير الذي قررناه استثناء من آل لوط؛ لأن الاستثناء مما جيء به للتأسيس أولى مما جيء به للتأكيد.

﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَـٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿فَأَسْرِ﴾: بِقَطْع الهمزة من: أسرى، وقرىء بوصلها من سرى، يقال: سرى بالليل، وأسرى، وسريت به، وأسريت به، وطال بهم السُّرى وطالت، يكون مصدراً كالهدى، وجمع سُرية يقال: سرينا سُرية من الليل وسَرية، كالغُرفة والغَرفة، وأنشد أبو زيد:

وأرفَع صَدرَ العَنْسِ وهي شِمِلَّةٌ
إذا ما السُّرَى مالَتْ بلَوْثِ العَمَائِمِ

﴿ يَعۡمَهُونَ﴾ يتحيرون، وقد تقدم ذكره.

﴿ سِجِّيلٍ﴾ طين طبخ بالنار.

﴿ لِلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴾ للمتفرسين والمعتبرين المتأملين، والتوسم: تفعل من الوسم، والتوسم أصله التثبت والتفكر، مأخوذ من الوسم، وهو: التأثير بحديدة في جلد البقر أو غيره، وقال ثعلب: الواسم: الناظر إليك من فرقك إلى قدمك.

(القطع) تقدم تفسيره، ولا يكون إلا في آخر الليل، قال:

افْتَحِي البابَ وانْظُري في النُّجُومِ
كَمْ عَلَيْنا مِنْ قِطْعِ لَيْلٍ بَهِيمِ

○ الإعراب:

﴿ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ الفاء الفصيحة، وأسر فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، وبأهلك حال، وبقطع متعلقان بأسر، ومن الليل صفة لقطع ﴿ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ﴾ واتبع عطف على فأسر، وأدبارهم مفعول به، والواو حرف عطف، ولا ناهية، ويلتفت مجزوم بلا، ومنكم حال؛ لأنه كان في الأصل صفة، وأحد فاعل، وامضوا عطف أيضاً، وحيث ظرف مبهم في محل نصب مفعول لامضوا، ولإبهامه تعدى إليه الفعل من غير واسطة، وجملة تؤمرون مضاف إليها الظرف ﴿ وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ ﴾ وقضينا فعل وفاعل، وإليه جار ومجرور متعلقان بقضينا؛ لأنها تضمنت معنى أوحينا، وذلك مفعول قضينا، والأمر بدل من اسم الإشارة، وأن وما في حيزها مصدر مؤول بدل من ذلك الأمر، أو خبر لمبتدأ محذوف، وفي إبهامه وتفسيره تفخيم للأمر، وتعظيم لشأنه، وإن واسمها، ومقطوع خبرها، ومصبحين حال من الضمير المستقر في مقطوع، وجمعه على المعنى فيكون معنى مقطوع: مقطوعين ﴿ وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ الواو عاطفة، وجاء أهل المدينة

فعل وفاعل، وجملة يستبشرون حال ﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ إن واسمها وخبرها، والفاء الفصيحة، ولا ناهية، وتفضحوني مجزوم بلا، والواو فاعل، والنون نون الوقاية، والياء المحذوفة لمراعاة الفواصل مفعول به ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ عطف على ما تقدم، وقد تقدم إعراب نظيرها ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الهمزة للاستفهام، والواو عاطفة على محذوف، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وننهك فعل مضارع مجزوم بلم، والكاف مفعول به، وعن العالمين متعلقان بننهك، وأصح الأقوال في نهيه عن العالمين: هو نهيه عن أن يجير أحداً منهم، ويمنع بينهم وبين قومه ﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ هؤلاء بناتي مبتدأ وخبر، ولا بد من تقدير محذوف، أي: فانكحوهن، ويجوز أن يكون هؤلاء مفعولاً به بفعل مقدر، أي: انكحوا هؤلاء، وبناتي بدل، وإن شرطية، وكنتم: كان واسمها، وهي في محل جزم فعل الشرط، وفاعلين خبر كنتم، وجواب إن محذوف دل عليه ما قبله، أي: فانكحوهن ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ اللام للابتداء، وعمرك مبتدأ محذوف الخبر وجوباً، تقديره: قسمي، وجملة «إنهم» جواب القسم لا محل لها، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وفي سكرتهم متعلقان بيعمهون، وجملة يعمهون خبر إنهم، وجملة لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون اعتراضية ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ الفاء عاطفة، وأخذتهم الصيحة فعل ومفعول به وفاعل، ومشرقين حال، أي: داخلين في الشروق، وهو بزوغ الشمس ﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ الفاء عاطفة، والعطف مرتب على أخذ الصيحة، وجعلنا فعل وفاعل، وعاليها مفعول جعلنا الأول، وسافلها مفعول جعلنا الثاني، وأمطرنا عطف على جعلنا، وحجارة مفعول به، وعليهم متعلقان بأمطرنا، ومن سجيل صفة لحجارة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ إن حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك خبرها المقدم، واللام المزحلقة، وآيات اسمها، وللمتوسمين صفة لآيات، أو تتعلق بنفس الآيات؛ لأنها بمعنى العلامات ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ إن واسمها، والضمير يعود للمدينة، وهي سدوم، والمراد آثارها، واللام المزحلقة، وبسبيل خبرها، ومقيم صفة،

أي: ثابت مسلوك يعرفه الناس، وفيه تنبيه لقريش أنكم لتمرون عليها كل يوم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ تقدم إعراب نظيرتها.

□ البلاغة:

شملت الآية الكريمة وهي: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ شملت على وجازتها آداب المسافرين لأمر مهم ديني أو دنيوي من الآمر والمأمور، والتابع والمتبوع، وسنلخص ما ورد فيها من آداب:

(١) أمره بأن يقدمهم أمامه؛ لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه، وليكون مطلعاً عليهم وعلى أحوالهم.

(٢) جعل السرى في آخر الليل؛ لأنه أخفى للويل، ولأن الإنسان يكون نشيطاً فيه.

(٣) نهاهم عن الالتفات الذي يعوق الساري المسرع المغذ في سراه. في تلك الحالة المهولة المحذورة، ولئلا يروا ما حلّ بقومهم من العذاب فترق قلوبهم لهم.

(٤) ولئلا يتخلف منهم أحد لغرض، فيصيبه العذاب، ولأن المتلفت يقف دائماً، ويتذكر مرابعه ومراتعه فيتحسر ويأسى، وقد يدوم النشيج كما حدث للصمة بن عبد الله:

تلفتّ نحو الحيِّ حتى وجدتني وجعتُ من الإصغاءِ ليتاً وأخدعا

وكما حدث للشريف الرضي:

ولقد وقفتُ على ديارهم وطلولُها بيد البلى نهبُ
وبكيتُ حتى ضجَّ من لغب نضوي ولجَّ بعذلي الركبُ
وتلفتت عيني فمذ خفيتْ عني الطّلولُ تلفَّتَ القلبُ

* الفوائـد :

وفي أمثال العرب : «أجور من قاضي سدوم» قالوا : بفتح السين مدينة من مدائن قوم لوط، قال الأزهري : قال أبو حاتم في كتابه الذي صنفه في المفسد والمذال : إنما هو سذوم بالذال المعجمة، والدال خطأ، قال الأزهري : وهذا عندي هو الصحيح، قال الطبري : هو ملك من بقايا اليونانية غشوم كان بمدينة سرمين من أرض قنسرين . وهذا هو الذي اعتمده صاحب القاموس، فحمله على تغليط الجوهري، وقال الثعالبي : إن سدوم من الملوك المتقدمين المتصفين بالجور و«كالة» قاض أشد جوراً منه . قال الزبيدي : وقد علم مما تقدم أن المثل مضبوط بالوجهين، وأن المشهور فيه إهمال الدال . ونقل عن الشهاب أنه يمكن أن يكون بالمعجمة في الأصل قبل التعريب، فلما عرب أهملوا ذاله .

﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾

☆ **اللغـة:**

﴿ ٱلْأَيْكَةِ ﴾ : هي غيضة شجر بقرب المدينة، وأصحابها هم قوم شعيب . وفي المختار : الأيك : الشجر الملتف والكثير، والواحدة أيكة، مثل تمر وتمرة .

﴿ ٱلْحِجْرِ ﴾ : واد بين المدينة والشام، وهم قوم ثمود .

○ الإعـراب:

﴿ وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ﴾ الواو استئنافية، أو عاطفة، وإن مخففة من الثقيلة مهملة أو عاملة، واسمها ضمير الشأن المحذوف، أي: وإن الشأن كان أصحاب الأيكة، وكان واسمها، والأيكة مضاف إليه، واللام الفارقة، وظالمين خبر كان ﴿ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ فانتقمنا الفاء عاطفة على محذوف، أي: أمعنوا في الإثم فانتقمنا، وانتقمنا فعل وفاعل، ومنهم متعلقان بانتقمنا، وإنهما الواو حالية، أو عاطفة، وإنهما إن واسمها، والميم والألف حرفان دالان على التثنية، واختلف في عودتهم، فقيل: يعني قرى قوم لوط والأيكة، وقيل: يعودان على الأيكة ومدين؛ لأن شعيباً كان مبعوثاً إليهما، فلما ذكر الأيكة دل بذكرها على مدين، فجاء بضميرهما، قيل: يعود على لوط وشعيب، وقيل: يعود على الخبرين خبر إهلاك قوم لوط وخبر إهلاك قوم شعيب، واللام المزحلقة، وبإمام خبر إنهما، وسمي الطريق إماماً؛ لأن السالك فيه يأتم به حتى يصل إلى الموضع الذي يريده، ومبين صفته ﴿ وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ عطف على ما تقدم لتتساوق القصص، واللام موطئة للقسم، وقد حرف تحقيق، وكذب أصحاب الحجر فعل وفاعل، والمرسلين مفعول به، وهذا شروع في قصة صالح ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴾ وآتيناهم فعل وفاعل ومفعول به أول، وآياتنا مفعول به ثان، فكانوا عطف على آتيناهم، وكان واسمها، وعنها متعلقان بمعرضين، ومعرضين خبر كانوا ﴿ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾ وكانوا عطف، وكان واسمها، وجملة ينحتون خبرها، ومن الجبال حال؛ لأنه كان في الأصل صفة، أو بينحتون، وبيوتاً مفعول به، وآمنين حال من الضمير في ينحتون، أي: حال كونهم آمنين عليها من أن تتهدم لاستيثاق بنائها واستحكامها، أو من الاستهداف للغارات والاعتداءات؛ لأنها معاقل حصينة لهم ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ﴾ الفاء عاطفة، وأخذتهم فعل ومفعول به مقدم، والصيحة فاعل مؤخر، ومصبحين

حال، أي: داخلين في وقت الصباح ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ الفاء عاطفة، وما نافية، وأغنى فعل ماض، وعنهم متعلقان بأغنى، وما فاعل، وجملة كانوا صلة، وجملة يكسبون خبر كانوا، ويجوز أن تكون ما استفهامية مفعولاً مقدماً لأغنى، ويجوز أن تكون ما مصدرية، والإعراب واحد ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، وخلقنا السموات فعل فاعل ومفعول به، والأرض عطف على السموات، وإلا أداة حصر، وبالحق حال، والباء للملابسة، أي: متلبساً بالحق، والحكمة، والمصلحة ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾ الواو عاطفة، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وآتية خبرها، الفاء الفصيحة، واصفح فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، والصفح مفعول مطلق، والجميل صفة.

□ **البلاغة:**

(١) في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ﴾ مجاز مرسل علاقته الحالية؛ لأن الأيكة هي: شجر ملتف مزدحم.

(٢) في قوله: ﴿لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ استعارة تصريحية؛ لأن الطريق سبيل للوصول، والمسافر فيه يتبعه حتى النهاية، فاستعمل المشبه به بدلاً عن المشبه.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ

ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿ٱلْمَثَانِى﴾: المراد بالمثاني هنا مختلف فيه، فقيل: الفاتحة لأنها تثنى في كل ركعة، وهي سبع آيات، وقيل: هي السور السبع الطوال، وهي جمع مثناة، مؤنث مثنى، وقد تقدم بحثه مفصلاً في النساء، وسميت السور السبع الطوال مثاني لما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد، والكلام في ذلك مبسوط في المطولات.

﴿عِضِينَ﴾: جمع عضة، وأصلها: عضوة، من عضي الشاة إذا جعلها أعضاء، وقيل: عضهة من عضهته إذا بهته، وفي المختار: قال الكسائي: العضة: الكذب والبهتان، وجمعها عضون، مثل عِزَة وعزون، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ قيل: نُقصانُه الواو، وهو من عَضَوْته، أي: فرَّقته؛ لأن المشركين فرَّقوا أقاويلهم فيه، فجعلوه كذباً وسحراً وكهانة وشِعْراً. وقيل: نُقْصانه الهاء، وأصله عِضَهة؛ لأن العِضَة والعِضِين في لغة قريش: السحر، يقولون للساحر: عاضِهٌ. وسيأتي مزيد بحث عن الملحقات بجمع المذكر السالم في باب: الفوائد.

﴿فَٱصْدَعْ﴾: فاجهر به وأظهره، يقال: صدع بالحجة؛ إذا تكلم بها جهاراً، كقولك: صرح بها، من الصديع، وهو: الفجر، والصدع في الزجاجة: الإبانة، وقال الضحاك: وأصل الصدع: الشق والفرق، أي: افرق بين الحق والباطل. وسيأتي مزيد بحث عن هذا التعبير العجيب في باب: البلاغة.

○ الإعراب:

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ إن واسمها وخبرها، وهو ضمير فصل ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتنبيه المسلمين إلى أنْ ما أنزل عليهم خير من متاع الدنيا، قيل: وافت من بصرى وأذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير، فيها أنواع البز والطيب والجوهر وسائر الأمتعة، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها، وأنفقناها في سبيل الله، فقال لهم الله عز وعلا: لقد أعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع. واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وآتيناك فعل ماض وفاعل ومفعول به أول، وسبعاً مفعول به ثان، ومن المثاني صفة لسبعاً، والقرآن عطف على سبعاً، من قبيل عطف الصفات مع وحدة ذات الموصوف، والعظيم صفة للقرآن ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ﴾ لا ناهية، وتمدن فعل مضارع مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وهو في محل جزم بلا الناهية، والفاعل مستتر تقديره: أنت، وعينيك مفعول به، وإلى ما متعلقان بتمدن، وجملة متعنا صلة، وبه متعلقان بمتعنا، وأزواجاً مفعول متعنا، ومنهم صفة لأزواجاً، والمراد بالأزواج الأصناف منهم، أي: أن ما أوتيته من نعماء سابغة، يضؤل أمامه كل ما في الدنيا من بهارج الحياة وتزاويقها ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ولا تحزن عطف على لا تمدن، وعليهم متعلقان بتحزن، واخفض عطف أيضاً، وجناحك مفعول به، وللمؤمنين متعلقان باخفض ﴿وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ﴾ إن واسمها، وأنا مبتدأ، أو ضمير فصل، والنذير خبر أنا، أو خبر إن، والمبين صفة ﴿كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ﴾ كما فيها وجهان: أحدهما: أن يتعلقا بقوله «ولقد آتيناك» أي: أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب، وهم المقتسمون. والثاني: أن يتعلقا بالنذير، أي: ينزل عليك مثل الذي نزل بأهل الكتاب، وعلى كل حال: صفة لمفعول مطلق محذوف، وعلى المقتسمين جار ومجرور متعلقان بأنزلنا، وسيأتي بيانهم ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ

﴿ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ الذين صفة للمقتسمين، وجملة جعلوا صلة، والقرآن مفعول جعلوا، وعضين مفعول به ثان، أي: قسموا القرآن أقساماً، فجعلوه سحراً وشعراً وأساطير، وقد اختلف بهؤلاء المقتسمين وقصصهم اختلافاً يخرج بنا عن النهج المقرر للكتاب، فارجع إليه في المطولات ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ الفاء عاطفة، والواو للقسم، وربك مجرور بواو القسم، وهما متعلقان بفعل محذوف تقديره: أقسم، واللام واقعة في جواب القسم، و«لنسئلنهم»: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، وأجمعين تأكيد ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ الفاء الفصيحة، أي: إن عرفت هذا فاصدع، واصدع فعل أمر وفاعله أنت، وبما متعلقان به، وما مصدرية، أو موصولة، وعن المشركين متعلقان بأعرض، وقد رجح ابن هشام في «المغني» أن تكون مصدرية، وعلل ذلك ابن الشجري قال: فيه، أي: في الموصولية خمسة حذوف، والأصل بما تؤمر بالصدع به، فحذفت الباء فصار بالصدعه، فحذفت أل لامتناع اجتماعها مع الإضافة، فصار بصدعه، ثم حذف المضاف كما في: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ فصار به، ثم حذف الجار كما قال عمرو بن معد يكرب:

أمرتُكَ الخيرَ فافعلْ ما أُمرتَ بهِ		فقد تركتُكَ ذا مالٍ وذا نشب

فصار تؤمره، ثم حذفت الهاء، كما حذفت في: ﴿أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ وإنما ارتكب خمسة الحذوف لأجل أن يكون جارياً على القياس في حذف العائد المجرور؛ لأنه لا يحذف العائد المجرور إلا إذا كان مجروراً بمثل الحرف الذي جر الموصول، وأن يكون كل من الحرفين متعلقاً بعامل مماثل لما تعلق به الآخر، فقول ابن الشجري: والأصل بما تؤمر بالصدع به: العائد متعلق بمثل ما تعلق به الجار للموصول، ولو قال: اصدع بما تؤمر به لم توجد تلك الشروط لاختلاف المتعلق؛ لأن الباء الأولى متعلقة بالصدع، والثانية متعلقة بتؤمر ﴿إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ إن واسمها، وجملة كفيناك خبرها، وهو فعل وفاعل ومفعول به، والمستهزئين مفعول به ثان ﴿ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ

ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ الذين صفة للمستهزئين، وجملة يجعلون صلة، والواو فاعل، ومع الله ظرف مكان متعلق بمحذوف مفعول به ثان ليجعلون، وإلهاً مفعول به، وآخر صفة، والفاء استئنافية، وسوف حرف استقبال، ويعلمون فعل مضارع وفاعل، والمفعول محذوف، أي: عاقبة أمرهم ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ الواو عاطفة، واللام موطئة للقسم، وقد حرف تقليل، والمراد به هنا: التكثير والتحقيق، ونعلم فعل مضارع فاعله مستتر تقديره: نحن، وأنك أن وما في حيزها سدت مسد مفعولي نعلم، وأن واسمها، وجملة يضيق صدرك خبرها، وصدرك فاعل يضيق، وبما متعلقان بيضيق، وجملة يقولون صلة، والعائد محذوف، أي: يقولون من أقاويل، ويرجفون به من أراجيف ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾ الفاء الفصيحة، وسبح بحمد ربك تقدم إعرابه قريباً، وكن من الساجدين: كان واسمها، ومع ظرف مكان متعلق بمحذوف خبرها، والساجدين مضاف إليه ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ حتى حرف غاية وجر، ويأتيك فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والكاف مفعول به، واليقين فاعل، وسمي الموت يقيناً لأنه متيقن الوقوع.

□ البلاغة:

(١) في قوله: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ استعارة مكنية، فالمستعار منه الزجاجة، والمستعار الصدع، وهو: الشق، والمستعار له هو عقوق المكلفين، وهو من استعارة المحسوس للمعقول، وقد تقدمت الإشارة إلى أقسام الاستعارة، والمعنى: صرّح بجميع ما أوحي إليك، وبيّن كل ما أمرت ببيانه، وإن شق ذلك على بعض القلوب فانصدعت، والمشابهة بينهما فيما يؤثره التصديع في القلوب فيظهر أثر ذلك على ظاهر الوجوه من التقبض والانبساط، ويلوح عليها من علامات الإنكار والاستبشار، كما يظهر ذلك على ظاهر الزجاجة المصدوعة، فانظر إلى هذه الاستعارة ما أروعها! وما أبعد دلائلها ومراميها، وما أوجزها! لأنها وقعت في ثلاث كلمات انطوت على ما يستوعب

الصفحات، قال عبد الله بن عبيدة: ما زال النبي ﷺ مستخفياً حتى نزلت هذه الآية، فخرج هو وأصحابه.

ويروى أن بعض الأعراب لما سمع هذه اللفظات الثلاث سجد، فقيل له: لم سجدت؟ فقال: سجدت لفصاحة هذا الكلام؛ لأنه أدرك منه بديهاً من غير تأمل كل ما أدركناه بعد الروية والنظر، ومن هذا يتبين لك أن العرب تيقنت من أول ما سمعت القرآن أنه غير مقدور للبشر، فلم تشتغل بالمعارضة، ولا حدّثت نفوسها بها.

(٢) في قوله: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ استعارة مكنية، وسيأتي القول فيها مسهباً عند قوله: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾

* الفوائـد:

الملحق بجمع المذكر السالم:

حملوا على جمع المذكر السالم أربعة أنواع أعربت بالحروف، وليست جمعاً مذكراً سالماً، وهي كمايلي:

الأول: أسماء جموع: وهي: أولو بمعنى أصحاب، وعالمون اسم جمع عالم بفتح اللام، وليس جمعاً له؛ لأن العالم عام في العقلاء وغيرهم، والعالمون مختص بالعقلاء، والخاص لا يكون جمعاً لما هو أعم منه، وعشرون وبابه، وهو سائر العقود إلى التسعين، وقد وردت العقود كلها في القرآن، وقد أحصيناه على الشكل التالي:

آ ـ ﴿إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ﴾

ب ـ ﴿۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ﴾

ج ـ ﴿فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا﴾

د ـ ﴿فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ﴾

هـ ـ ﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ .
و ـ ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ .
ز ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ .

الثاني: جموع تكسير تغير فيها بناء الواحد، وأعربت بالحروف، وهي: بنون، جمع ابن، وقياس جمعه جمع السلامة ابنون، كما يقال في تثنيته ابنان، ولكم خالف تصحيحه تثنيته لعلة تصريفية أدت إلى حذف الهمزة، وذلك أن ابن أصله بنو، حذفت لامه للتخفيف، وعوض عنها همزة الوصل، والجمع يرد الأشياء إلى أصولها، فلما جمع رجعت الواو فذهبت الهمزة، ثم حذفت الواو والمحذوف لعلة كالثابت، فلم تأت الهمزة، وأما التثنية فلو رجعت الواو لم يكن هناك ما يقتضي حذفها؛ لأنها متحركة بالفتح، والفتح خفيف، وقد حذفت أولاً لغرض التخفيف، فلو حذفت لزال ذلك الغرض، والمانع من حذفها لو رجعت، ومن قلبها ألفاً سكون ما بعدها كما في بيان، ولو حذفت لصار اللفظ بنان، فيحصل اللبس ببنان الكف بخلاف بنون، فليتأمل، وأَرَضون بفتح الراء جمع أَرْض بسكونها، وجمع هذا الجمع؛ لأنه ربما يورد في مقام الاستعظام، كقوله:

لقد ضجَّتِ الأَرْضُون إِذ قامَ من بني
سدوس خطيبٌ فوقَ أعوادِ منبر

إلا أنه سكن الراء للضرورة. وسنون بكسر السين جمع سنة فتحها اسم للعام، ولامها واو أو هاء؛ لقولهم: سنوات وسنهات وبابه، وهو شائع في كل اسم ثلاثي حذفت لامه، وعوض عنها هاء التأنيث، ولم يكسر، نحو عضة وعضين، وأصل عضة: عضه بالهاء من العضة، وهو البهتان والكذب. وفي الحديث: «لا يعضه بعضكم بعضاً» وقيل: أصله عضو من قوله: عضيته تعضية؛ إذا فرقته فعلى الأول لامها هاء، ويدل له تصغيرها على عضيهة، وعلى الثاني واو، ويدل له جمعها على عضوات، فكل من التصغير والجمع يردان الأشياء إلى أصولها، وعزة وعزين والعِزَة بكسر العين وفتح

الزاي، وأصلها عزى، فلامها ياء، وهي الفرقة من الناس، والعزين: الفرق المختلفة؛ لأن كل فرقة تعتزي إلى غير من تعتزي إليه الأخرى، وثبة وثبين والثُّبَة بضم الثاء وفتح الباء الجماعة، وأصلها ثبو، وقيل: ثبي من ثبيت، أي: جمعت، فلامها على الأول واو، وعلى الثاني ياء، ولا يجوز في نحو اسم وأخت وبنت؛ لأن العوض فيهنّ عن لامهنّ المحذوفة غير الهاء، أما اسم فأصله سمو، فحذفت لامه، وعوض عنها الهمزة في أوله، وأما أخت وبنت، فأصلهما أخو وبنو، وحذفت لامهما، وعوض عنهما تاء التأنيث لا هاء التأنيث، والفرق بينهما أن تاء التأنيث فيهما لا تبدل هاء في الوقف، وتكتب مجرورة وهاء التأنيث يوقف عليها بالهاء، وتكتب مربوطة، ولا في نحو: شاة وشفة؛ لأنهما كسرا على شفاه وشياه، قال الجوهري: وإنما لم يجمعا بالحروف؛ لأن العرب استغنت بتكسيرهما عن تصحيحهما.

الثالث: مما حمل على هذا الجمع جموع تصحيح لم تستوف شروط الجمع، كأهلون ووابلون؛ لأن أهلاً ووابلاً ليس علمين ولا صفتين، ولأن وابلاً غير عاقل، والمعروف أن شرط هذا الجمع أن يكون لعلم من يعقل، أو صفته.

الرابع: ما سمي به من هذا الجمع، ومما ألحق به، فالأول نحو: زيدون، مسمى به شخص، والثاني: كعليون فإنه ملحق بهذا الجمع، وسمي به أعلى الجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ وهناك تفاصيل أخرى لا حاجة إلى إثباتها؛ لأنها دون الفصيح، ولهذا أضربنا عن ذكرها، ويرجع إليها في المطولات.

* * *



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ نُّطْفَةٍ ﴾ : في المصباح : نطف الماء ينطُف، من باب : قتل، سال، وقال

أبو زيد: نطفت القربة تنطُف وتنطِف نطفاناً؛ إذا قطرت، والنطفة: ماء الرجل والمرأة، وجمعها نطف ونطاف، مثل برمة وبرام، والنطفة أيضاً: الماء الصافي قلّ أو كثر، ولا فعل للنطفة، أي: لا يستعمل لها فعل من لفظها. وفي المختار: أن نطف من بابي: قتل وضرب.

﴿خَصِيمٌ﴾: شديد الخصومة، وفيه معنيان: أحدهما: أنه خصيم لربه، منكر على خالقه، قائل: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ والثاني: فإذا هو منطيق، مجادل عن نفسه، مكافح للخصوم باللدد، والجدل، والسفسطة، وما إلى ذلك من ضروب الوقاحة، والشرة، وسيأتي المزيد من هذا في باب: البلاغة.

﴿دِفْءٌ﴾: في المختار: الدفء: نتج الإبل وألبانها، وما ينتفع به منها، قال الله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ وفي الحديث: «لنا من دفئهم ما سلموا بالميثاق». وهو أيضاً السخونة، اسم من دفىء الرجل: من باب: طرب وسلم، فالذكر دفآن، والأنثى دفأى، مثل غضبان وغضبى، ورجل دفىء بالقصر، ورجل دفيء بالمد. وفي المصباح: دفىء البيت يدفأ مهموز، من باب: تعب، قالوا: ولا يقال في اسم الفاعل دفيء، وزان كريم، بل وزان تعب، ودفىء الشخص، فالذكر دفآن، والأنثى دفأى، مثل: غضبان وغضبى: إذا لبس ما يدفئه، ودفؤ اليوم مثل قرب، والدفء وزان حمل، خلاف البرد. وفي القاموس: والدّفء بالكسر ويحرك: نقيض حدة البرد كالدفاءة، والجمع أدفاء دفىء، كفرح وكرم، وتدفأ واستدفأ وادّفأ، وأدفأه: ألبسه الدفء، والدفآن: المستدفىء كالدفىء، والدفء بالكسر: نتاج الإبل وأوبارها، والانتفاع بها، وما أدفأ من الأصواف والأوبار. وقال الزمخشري: والدفء: اسم ما يدفأ به، كما أن الملء اسم ما يملأ به، وهو الدفاء من لباس معمول من صوف، أو وبر، أو شعر. فتلخص أن للدفء ثلاثة معان:

١ ـ ضد البرودة، أي: السخونة.

٢ ـ ما يتدفأ به من الثيات.

٣ ـ ما يتحصل من الإبل من نتاج ولبن، ومنافع.

﴿ تُرِيحُونَ﴾: تردونها إلى مراحها بالعشي.

﴿ تَسْرَحُونَ ﴾: تخرجونها إلى المرعى بالغداة، وسيرد المزيد من بحث الإراحة والتسريح من باب: البلاغة. وفي المصباح: سرحت الإبل سرحاً، من باب: نفع، وسروحاً: رعت بنفسها، وسرحتها يتعدى ولا يتعدّى، وسرَّحتها ـ بالتثقيل ـ مبالغة وتكثير.

﴿ بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ﴾: بجهدها بكسر الشين وفتحها، وهما لغتان في معنى المشقة، وبينهما فرق، وهو أن المكسور بمعنى النصف، كأنه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد، وأما المفتوح فهو مصدر شق عليه الأمر شقاً، وحقيقته راجعة إلى الشق، وهو الصدع. وفي المختار: الشق ـ بالكسر ـ: نصف الشيء، والشق أيضاً: المشقة، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ وهذا قد يفتح.

﴿ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾: القصد: مصدر بمعنى الفاعل، وهو القاصد، يقال: سبيل قصد وقاصد، أي: مستقيم؛ كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك، لا يعدل عنه.

﴿جَآئِرٌ﴾: حائد عن الاستقامة.

○ الإعراب:

﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ أتى فعل ماض، وأمر الله فاعله، عبر عن المستقبل بالماضي؛ لأنه بمثابة الأمر الواقع الذي لا محيد عنه، والفاء عاطفة، ولا ناهية، وتستعجلوه فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، والواو فاعل، الهاء مفعول به ﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ سبحانه مفعول مطلق لفعل محذوف، وتعالى فعل ماض، وعما تنازعه كل من سبحانه وتعالى، وما يحتمل أن تكون مصدرية، فلا تحتاج إلى عائد، ويحتمل أن تكون موصولة، فتحتاج إلى تقدير عائد، وجملة يشركون لا محل لها على كل حال ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ

﴿مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ ينزل الملائكة فعل وفاعل مستتر ومفعول به، وبالروح متعلقان بينزل، أو بمحذوف حال، أي: متلبسةً بالروح، ومن أمره متعلقان بمحذوف حال، وعلى من يشاء متعلقان بينزل، ومن عباده حال ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ أن مخففة، وهي وما في حيزها بدل من قوله بالروح، أي: ينزل الملائكة بأن أنذروا، وتقديره: بأنه أنذروا، فاسم أن ضمير الشأن، وجملة أنذروا مقول قول محذوف، أي: بأن الشأن أقول لكم أنذروا، ولك أن تجعل أن مفسرة؛ لأن الروح بمعنى الوحي الذي فيه معنى القول دون حروفه، وأنه سدت مع ما في حيزها مسد مفعول أنذروا؛ لأنه متضمن معنى أعلموا الناس، أو تكون أنذروا على معناها الأصلي، وأنه نصب بنزع الخافض، أي: أنذروا بأنه، وجملة لا إله إلا أنا خبر أنه، وقد تقدم القول مفصلاً في «لا إله إلا الله»، فاتقون: الفاء الفصيحة، أي: إذا كان الأمر كما ذكر من جريان عادته تعالى بتنزيل الملائكة على الأنبياء، وأمرهم بأن ينذروا الناس أنه لا شريك له في الألوهية، فاتقون في الإخلال بمضمونه، واتقون فعل أمر وفاعل، والنون للوقاية، وياء المتكلم حذفت لمراعاة الفواصل ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ خلق السموات والأرض فعل وفاعل مستتر، والسموات مفعول به، والأرض عطف على السموات، وبالحق في محل نصب على الحال، أي: محقاً، وتعالى فعل ماض، وفاعله مستتر تقديره: هو، وعما متعلقان بتعالى، وجملة يشركون صلة لما ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ خلق الإنسان فعل وفاعل مستتر ومفعول به، ومن نطفة متعلقان بخلق، ومن للابتداء، فإذا الفاء عاطفة، وإذا الفجائية، وهو متبدأ، وخصيم خبر، ومبين صفة ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ الواو عاطفة، والأنعام منصوب بفعل محذوف يفسره ما بعده، وخلقها فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة مفسرة، ولكم خبر مقدم، وفيها حال ودفء مبتدأ مؤخر، والجملة حالية، ويجوز أن تكون مستأنفة، ويجوز أن يكون لكم حالاً من دفء، وفيها الخبر، وقع الاسم المشتغل عنه، وهو الأنعام بعد

عاطف غير مفصول من الاسم بأما، مسبوق بفعل، وهو خلق الإنسان من نطفة، فترجح نصبه؛ لأن المتكلم عاطف جملة فعلية على جملة فعلية، والرافع عاطف جملة اسمية على جملة فعلية، وتشاكل الجملتين أحسن من تخالفهما.

وقد يقال: إن في الرفع تخلصاً من تقدير العامل، فلكل مرجح، فكان ينبغي التساوي لا أرجحية النصب، ويجاب بأن مراعاة التشاكل أقوى مما ذكر، ومنافع عطف على دفء، ومنه متعلقان بتأكلون، وتأكلون فعل مضارع وفاعل، وتقديم الجار والمجرور وهو معمول للفعل يوجب حصره فيه ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ الواو عاطفة، ولكم خبر مقدم، وفيها حال، وجمال مبتدأ مؤخر، وحين ظرف متعلق بمحذوف صفة، وجملة تريحون مضاف إليها، وكذلك قوله: «وحين تسرحون» وسيأتي مزيد بحث عن الإراحة والتسريح في باب: البلاغة ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾ الواو عاطفة، وتحمل أثقالكم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به، وإلى بلد متعلقان بتحمل، وجملة لم تكونوا بالغيه صفة لبلد، وبالغيه خبر تكونوا، وإلا أداة حصر، وبشق الأنفس في موضع نصب على الحال من الضمير المرفوع في بالغيه، أي: مشقوقاً عليكم ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ إن واسمها، واللام المزحلقة، ورؤوف رحيم خبران ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ والخيل وما بعده عطف على الأنعام، أي: وخلق هؤلاء للركوب والزينة، ولتركبوها مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور في موضع نصب مفعول لأجله، وزينة عطف على محل لتركبوها، وجر الأول بالجر لاختلاف الفاعل؛ لأن الركوب فعل المخاطبين، وفاعل الخلق هو الله تعالى، أما زينة فهي من فعله تعالى، ولذلك نصبت، فالمزين والخالق هو الله، ويجوز أن تعرب نصباً على الحال من الهاء في تركبوها ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، ومسوقة لبيان إحاطته تعالى وقدرته، وإن ما تناهى إليهم علمه يعد ضئيلاً جداً بالنسبة إلى علمه الواسع ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ على الله خبر مقدم، وقصد السبيل مبتدأ مؤخر، ومنها خبر مقدم،

وجائر صفة لموصوف هو المبتدأ المؤخر، أي: سبيل جائر، أي: حائد عن الاستقامة ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الواو عاطفة، ولو امتناعية شرطية، ومفعول شاء محذوف، أي: شاء هدايتكم، واللام رابطة لجواب لو، وهداكم فعل وفاعل مستتر ومفعول به، وأجمعين تأكيد.

□ البلاغة:

(١) الإيجاز في قوله: ﴿حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ فقد انطوت كلمتا «تريحون» و«تسرحون» على الكثير من المعاني والصور، مما يضفي على مقتني هذه الأنعام جمالاً، ورواء، وأبهة، ليس في المكنة تصوره؛ لأن الرعاة إذا ردوا الأنعام بالعشي إلى مراحها، أي: مأواها بالليل، أو سرحوها عند الغداة إلى المراعي المعشوشبة، وعرجوا على الأفنية والبيوت رغت الإبل، وخارت البقر، وثغت الشاء، فتجاوب ذلك كله مع صياح الصبيان، وحديث العقائل والأوانس، وهن يتهادين متخطرات متوثبات، شمل الفرح الجميع، ورقصت النعمة، ورفرفت السعادة. وقدم الإراحة على التسريح؛ لأن الجمال في الإراحة أكثر، تقبل وهي ملأى البطون، حافلة الضروع، معسولة الحلب.

(٢) المجاز المرسل في قوله: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ لأن الفاء تدل على التعقيب، وكونه خصيماً مبيناً لا يكون عقب خلقه من نطفة، ولكنه إشارة إلى ما تؤول إليه حاله، فهو مجاز مرسل، والعلاقة اعتبار ما سيكون؛ كقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ أي: عنباً يؤول إلى الخمر.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ

ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾

☆ **اللغة:**

﴿ تُسِيمُونَ ﴾: ترعون دوابكم، من سامت الماشية: إذا رعت، فهي سائمة، وأسامها صاحبها، وهي من السومة، وهي: العلامة؛ لأنها تؤثر بالرعي علامات في الأرض.

قال السيوطي: لم يأت اسم المفعول من أفعل على فاعل إلا في حرف واحد، وهو قول العرب: أسمت الماشية من المرعى، فهي سائمة، ولم يقولوا مسامة، وقوله تعالى: ﴿ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ من أسام يسيم واجب، المراد: أسمتها أنا فسامت هي، فهي سائمة، كما تقول: أدخلته الدار فدخل، فهو داخل.

﴿ ذَرَأَ ﴾: خلق، وذرأنا الأرض وذروناها: بذرناها، وذرأ الله الخلق وبرأ، ومَن الذارىء البارىء سواه؟! واللهم لك الذَّرء والبرَء، ومنك السَّقم والبرُء، وقد علته ذُرْأة، وهي: بياض الشيب أول ما يبدو في الفودين، وقد ذرىء رأسه ذرءاً، ورجل أذرأ، وامرأة ذَرْءاء: بيضاء الرأس، أو بيضاء الوجه، قال:

فمـرَّ ولـمـا تسخُـنِ الشَّمْـسُ غُـدْوَةً
بـذَرْءاءَ تـدري كيـف تمشي المنائـحُ

أي: مُنحت كثيراً فاعتادت ذلك، فهي تسامح بالمشي لا تأبى.

﴿ طَرِيًّا ﴾: الطراوة ضد اليبوسة، أي: غضاً جديداً، ويقال: طريت كذا، أي: جددته. وفي المصباح: طرو الشيء وزان قرب، فهو طري، أي: غضّ بين الطرواة، وطرىء بالهمز وزان تعب لغة، فهو طريء بين الطراوة، وطرأ فلان علينا يطرأ ـ مهموز بفتحتين ـ طروءاً: طلع، فهو طارىء، وطرأ الشيء يطرأ أيضاً طرآناً ـ مهموز ـ: حصل بغتة، فهو طارىء، وأطريت العسل بالياء: عقدته، وأطريت فلاناً: مدحته بأحسن ما فيه، وستأتي النكتة في وصف اللحم بالطرواة أو الطراءة في باب: البلاغة.

﴿ حِلْيَةً ﴾: في المصباح: حلي الشيء بعيني وبصدري يحلى، من باب: تعب، حسن عندي، وأعجبني، وحليت المرأة حلْياً ساكن اللام: لبست الحلى، وجمعه حلي، والأصل على فعول، مثل فلس وفلوس، والحِلية بالكسر: الصفة، والجمع حلى مقصور، وتضم الحاء وتكسر، وحلية السيف: زينته، قال ابن فارس: ولا تجمع، وتحلت المرأة: لبست الحلي، أو اتخذته، وحلّيتها بالتشديد: ألبستها الحلي، أو اتخذته لها لتلبسه، وحليت السويق: جعلت فيه شيئاً حلواً حتى حلا. وفي القاموس وشرحه وغيرهما: الحَلْي وجمعه حُلِيَ وحُلِيّ، والحِلية وجمعها حليّ وحُلًى على غير القياس: ما يزين به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة الكريمة، وقول بعض المفسرين: اللؤلؤ والمرجان تفسير معنى للحلية لا تفسير لغة، والمراد بلبسهم لبس نسائهم؛ لأنهن من جملتهم، ولأنهن إنما يتزين من أجلهم، فكأنها زينتهم ولباسهم.

﴿ مَوَاخِرَ ﴾: جواري، والمخر: شق الماء بِحَيْزومها، وعن الفراء: هو صوت جري الفلك بالرياح. وفي المختار: مخرت السفينة، من باب: قطع ودخل، جرت تشق الماء مع صوت، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ ﴾ أي: جواري. وفي الأساس: فلك مواخر وتمخر الماء: تشقه مع صوت، ونشأت بنات مخر وهي: سحاب الصيف تمخر الجو مخراً،

واستمخرتُ الريح: استقبلتها بأنفي، وخرجت أتمخر الريح واستنشئها، ومخرت الأرض مخراً: سقيتها لتطيب.

﴿تَمِيدَ﴾: تميل بكم. وفي المختار: ماد الشيء يميد ميداً، من باب: باع، ومادت الأغصان والأشجار: تمايلت، وماد الرجل: تبختر. وفي القاموس: ماد يميد ميداً ومَيَداناً: تحرك وزاغ، والسراب: اضطرب، والرجل: تبختر وأصابه غثيان ودوار من سكر، أو ركوب بحر، ومنه المائدة: الطعام، والخوان عليه الطعام كالمَيْدة فيهما.

﴿وَعَلَامَاتٍ﴾ جمع علامة، ففي المصباح: وأعلمت على كذا بالألف من الكتاب وغيره: جعلت عليه علامة، وأعلمت الثوب: جعلت له علماً من طراز غيره، وهو العلامة، وجمع العلم: أعلام، وجمع العلامة: علامات، وعلمت له علامة بالتشديد، وضعت له أمارة يعرفها.

○ الإعراب:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ هو مبتدأ، والذي خبره، وجملة أنزل صلة، ومن السماء جار ومجرور متعلقان بأنزل، وماء مفعول به، ولكم خبر مقدم، ومنه متعلقان بمحذوف حال من شراب، وشراب مبتدأ مؤخر، والجملة صفة لماء، ومنه شراب جملة مستأنفة متألفة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر، وفيه متعلقان بتسيمون، وجملة تسيمون صفة لشجر، والباء للسببية، أي: بسببه ينبت الشجر ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ينبت فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: هو، ولكم متعلقان بينبت، وبه متعلقان بينبت أيضاً، والباء للسببية، والزرع مفعول به، والزيتون والنخيل والأعناب عطف على الزرع، ومن كل الثمرات عطف على ما تقدم أيضاً، ومن تبعيضية، أي: وبعض كل الثمرات ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ إن حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك خبرها المقدم، واللام المزحلقة، وآية اسم إن المؤخر، ولقوم صفة لآية، وجملة

يتفكرون صلة لقوم ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ وسخر لكم الليل فعل وفاعل مستتر ومفعول به، ولكم متعلقان بسخر، والشمس والقمر معطوفان على الليل والنهار ﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ الواو عاطفة، والنجوم مبتدأ، ومسخرات خبر، والجملة عطف على الجملة السابقة، وبأمره متعلقان بمسخرات ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ تقدم إعراب نظيرتها ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ﴾ الواو عاطفة، وما عطف على الليل والنهار، ويعني: ما خلق فيها من حيوان ونبات وجماد، ويجوز أن تنصبه بفعل محذوف، أي: وخلق وأنبت، والمعنى واحد، ولكم متعلقان بذرأ، وفي الأرض متعلقان بذرأ أيضاً، ومختلفاً حال، وألوانه فاعل مختلفاً ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ تقدم إعرابها. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ الواو عاطفة، وهو مبتدأ، والذي خبر، وجملة سخر صلة، والبحر مفعول به، ولتأكلوا: اللام للتعليل، وتأكلوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بسخر، ومنه متعلقان بتأكلوا، ولحماً مفعول به، وطرياً صفة ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ وتستخرجوا عطف على لتأكلوا، ومنه متعلقان بتستخرجوا، وحلية مفعول به، وجملة تلبسونها صفة لحلية ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الواو اعتراضية، وترى الفلك فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة معترضة، ومواخر حال؛ لأن الرؤية بصرية، وفيه متعلقان بمواخر، ولتبتغوا عطف على لتأكلوا، ولعل واسمها، وجملة تشكرون خبرها ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ وألقى عطف على وسخر، وفي الأرض متعلقان بألقى، ورواسي صفة لمفعول به محذوف، أي: جبالاً رواسي، وأن وما في حيزها مفعول لأجله، أي: كراهة أن تميل بكم وتضطرب كالمائد الذي يدار به إذا ركب البحر، وبكم متعلقان بتميد ﴿وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ وأنهاراً وسبلاً عطف على رواسي، أو مفعول به لفعل محذوف، والتقدير: وجعل فيها؛ لأن ألقى فيه معنى جعل،

قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ ولعل واسمها، جملة تهتدون خبرها ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ وعلامات عطف على أنهاراً وسبلاً، وبالنجم متعلقان بيهتدون، وهم مبتدأ، وجملة يهتدون خبره، وقال ابن عطية: وعلامات نصب كالمصدر، أي: فعل هذه الأشياء لعلكم تعتبرون بها، وعلامات، أي: عبرة وأعلاماً في كل سلوك، فقد يهتدى بالجبال والأنهر وبالسبل، وهذا الكلام غير مفهوم، ولعل أبا البقاء كان على حق حين أعربها مفعولاً لفعل محذوف، أي: ووضع فيها علامات ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة على محذوف، ومن مبتدأ، وجملة يخلق صلة، والكاف خبر من، وجملة لا يخلق صلة لمن الثانية، والهمزة إنكار ثان، والفاء عاطفة، ولا نافية، وتذكرون أصله تتذكرون فحذفت إحدى التاءين.

□ البلاغة:

(١) التتميم:

في قوله تعالى: ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ تتميم احتياط، وقد تقدم أن التتميم فن يشتمل على كلمة لو طرحت من الكلام نقص معناه، كما تقدم أنه ثلاثة أنواع: تتميم نقص، وتتميم احتياط، وتتميم مبالغة، وتقدمت الأمثلة عليه. ونقول هنا: إنه علم سبحانه أنه إذا لم يصف اللحم بالطراوة لم يكن مظنة للفساد، ولكن المعروف أن الفساد إلى اللحم الطري أكثر من غيره، فلزم وصفه بها ليسارع إلى أكله خيفة الفساد عليه، وللفقهاء مباحث في لحم السمك تدل على ذكاء وألمعية، وسنشير إليها في باب: الفوائد إشارة سريعة، ولهذا التتميم فائدة عامة وهي: التعليم، والإرشاد إلى أن اللحم لا ينبغي أن يتناول إلا طرياً، والأطباء يقولون: إن تناوله بعد ذهاب طراوته أضرّ شيء يكون.

(٢) الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ التفات من الخطاب إلى

الغيبة، والفائدة منه أنه لما كانت الدلالة من النجم أنفع الدلالات، وأوضحها في البر والبحر، نبه على عظمها بالالتفات إلى مقام الغيبة لإفهام العموم، ولئلا يظن أن المخاطب مخصوص بذلك، وزاد التأكيد بتقديم الجار والمجرور، كأنما يشير من طرف خفي إلى أن دلالة غير النجم ضئيلة لا يؤبه لها.

(٣) التشبيه المقلوب:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ إذ مقتضى الظاهر عكسه؛ لأن الخطاب لعباد الأوثان حيث سموها آلهة تشبيهاً به تعالى، فجعلوا غير الخالق كالخالق، فجاءت المخالفة في الخطاب كأنهم لمبالغتهم في عبادتها ولإسفافهم ـ بالتالي ـ وارتكاس عقولهم، صارت عندهم كالأصل، وصار الخالق الحقيقي هو الفرع، فجاء الإنكار على وفق ذلك. وللتشبيه المقلوب أسرار كثيرة، ومنها هذا السر الذي ألمعنا إليه، ومنها أن ينسى الإنسان أن المشبه به هو المقدّم؛ لشدة ولعه بالمشبه، فيعكس التشبيه، كما فعل البحتري في وصف البركة التي بناها المتوكل على الله إذ قال:

كأنَّها حين لجَّتْ في تدفُّقِها   يَدُ الخليفة لمّا سالَ واديها

والمعهود أن تشبه يد الخليفة في تدفقها بالكرم بالبركة إذا تدفقت بالماء.

هذا؛ وقد جرى الشعراء على مذهب القلب كثيراً، فمنهم من أصاب كما أصاب أبو عبادة البحتري، ومنهم من أخطأ وتعسف، وزعم أبو بكر الصولي أن أبا تمام قد أخطأ في قلبه بقوله:

طَلَلَ الجَميعِ لَقَدْ عَفَوْتَ حَمِيدا   وكَفَى على رُزْئي بِذَاكَ شَهِيدا

قال أبو بكر: أراد: وكفى بأنه مضى حميداً شاهداً على أني رزئت، وكان وجه الكلام أن يقول: وكفى برزئي شاهداً على أنه مضى حميداً؛ لأن حمد أمر الطلل قد مضى، وليس بشاهد، ولا بمعلوم، ورزؤه بما ظهر من تفجعه شاهد معلوم، فلأن يكون الحاضر شاهداً على الغالب أولى من أن يكون

الغائب شاهداً على الحاضر. ومضى الصولي في نقده منكراً أن يكون القلب قد ورد في القرآن، وأن ما احتج به أصحاب أبي تمام من قلب في القرآن على ما جاء في بيته من قلب ليس صحيحاً رغم قول المفسرين، وأنه لهذا لا يصحّ القياس عليه، فلا يصح القلب في بيت أبي تمام.

وهذا تعسُّف وتحامل من الصولي، حدا به إلى إنكار ما انعقد الإجماع، ودل المنطق عليه، وسنعود إلى مناقشته في مكان آخر من هذا الكتاب.

(٤) التغليب:

في قوله تعالى أيضاً: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ إذ المراد بمن لا يخلق الأصنام، وجاء بمن الذي هو للعقلاء ذوي العلم، وذلك لأنهم لما عبدوها وسموها آلهة أجروها مجرى أولي العلم، فجيء بمن على اعتقادهم، ووفق ما هو مركوز في سلائقهم، وأيضاً للمشاكلة بينها وبين الخالق الحقيقي، وهو المعبر عنه بقوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ قال العز بن عبد السلام: هذه الآية مشكلة؛ لأن قاعدة التشبيه تقتضي أن يقال أفمن لا يخلق كمن يخلق، ولا يقال: إنهم كانوا يعظمون الأصنام أكثر من الله، لأنهم لم يقولوا ذلك، وإنما قالوا: نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، بخلاف قوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ وقوله: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ فإنهم لما كانوا يقولون نحن نسود في الآخرة كما سدنا في الدنيا، جاء الجواب على وفق معتقدهم أنهم أعلى والمؤمنون أدنى. وأجاب شيخ الإسلام زكريا في «فتح الرحمن»: بأن الخطاب لعباد الأوثان، وهم بالغوا في عبادتها، حتى صارت عندهم أصلاً في العبادة والخالق فرعاً، فجاء الإنكار على وفق ذلك ليفهموا المراد على معتقدهم.

* الفوائـد:

اللحم الطري ولحم السمك:

من طرائف الفقهاء أنهم يقولون: إذا حلف الرجل لا يأكل لحماً فأكل

سمكاً لم يحنث، فإذا اعترض عليهم معترض بأن الله تعالى سماه لحماً، قالوا: إن الأمر مبني على العادة وعادة الناس؛ إذا ذكر اللحم على إطلاقه لا يفهم منه السمك. قالوا: ألا ترى أنه لو حلف لا يركب دابة فركب كافراً لا يحنث، وإن سماه الله دابة في قوله: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾. وكذا لو خرب بيت العنكبوت لا يحنث بيمينه لا يخرب بيتاً، وكذلك الألية وشحم البطن ليسا بلحم لأنهما لا يستعملان استعمال اللحم، ولا يتخذ منهما ما يتخذ من اللحم، ولا يسميان لحماً عرفاً، إلى آخر هذه المباحث التي يرجع إليها في المطولات من كتب الفقه.

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة للتذكير الإجمالي بأنعم الله وآلائه، وإن شرطية، وتعدوا فعل الشرط، والواو فاعل، ونعمة الله مفعول به، ولا نافية، وتحصوها جواب الشرط، والواو فاعل، والهاء مفعول به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ إن واسمها، واللام المزحلقة للتوكيد، وغفور خبر إن الأول، ورحيم خبرها الثاني ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ الله مبتدأ، وجملة يعلم خبر، وفاعل يعلم مستتر تقديره: هو، وما مفعول به، وجملة تسرون صلة، وما تعلنون عطف على ما تسرون ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ والذين مبتدأ، وجملة

يدعون صلة، ومن دون الله حال، وجملة لا يخلقون خبر الذين، وشيئاً مفعول به، والواو عاطفة، أو حالية، وهم مبتدأ، وجملة يخلقون خبر، وهو بالبناء للمجهول ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ أي: هم أموات، فهو خبر لمبتدأ محذوف، وهو أولى من جعله خبراً ثانياً للذين، وإن كان لا يمتنع، وغير أحياء صفة لأموات قصد به التأكيد، وما يشعرون عطف على أموات، فهو بمثابة الجزء الثاني لـ«هم» المقدرة، أو خبر ثالث للذين، وأيان ظرف ليبعثون فهو متعلق به، واختلف في ضمير يبعثون، فقيل: هو للأصنام، والمعنى: وما يعلم هؤلاء الآلهة متى تبعث الأحياء، وفي ذلك من التهكم ما فيه، وهذا أرجح ما قيل فيه، ولهذا اقتصرنا عليه، واجتزأنا به ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ إلهكم مبتدأ، وإله خبر، وواحد صفة، والفاء الفصيحة، والذين مبتدأ، وجملة لا يؤمنون بالآخرة صلة، وقلوبهم مبتدأ، ومنكرة خبر لقلوبهم، والجملة الاسمية خبر الذين، وهم الواو حالية، وهم مبتدأ، ومستكبرون خبر، والجملة في محل نصب على الحال ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ لا جرم تقدم القول فيه في سورة هود، ونضيف هنا أن لا نافية، وجرم بمعنى بد، وهذا بحسب الأصل، أما هنا فقد ركبت لا مع جرم تركيب خمسة عشر، وجعلا بمعنى فعل معناه: حق وثبت، وأن وما في حيزها فاعله، وجملة يعلم خبر أن، وجملة يسرون صلة، وما يعلنون عطف على ما يسرون ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ إن واسمها، وجملة لا يحب خبرها، والمستكبرين مفعول يحب.

* الفوائد:

(أيان): اسم شرط للزمان، يجزم فعلين ملحقاً بما، أو غير ملحق بها، كقول الشاعر:

أيان نؤمنك تأمنْ غيرنا وإذا لم تدركِ الأمنَ منا لم تزلْ حذرا

وقول الآخر، وقد ألحقها ما الزائدة للتوكيد:

إذا النعجةُ الأدماءُ باتتْ بقفرة ... فأيّان ما تعدل به الريحُ تنزل

وتكون اسم استفهام عن الزمان مثل متى، وأصلها «أي آن» فهي مركبة من أي المتضمنة معنى الشرط وآن بمعنى حين، فصارتا بعد التركيب اسماً للشرط أو للاستفهام، مبنياً على الفتح، في محل نصب على الظرفية الزمانية.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿أَسَٰطِيرُ﴾: جمع أسطورة، كأحاديث، وأضاحيك، وأعاجيب، جمع أحدوثة، وأضحوكة، وأعجوبة. وفي القاموس والتاج: الإسطار والأسطار والأسطورة والأسطير، وأيضاً كلها بالهاء: ما يكتب، والجمع أساطير، والحديث الذي لا أصل له.

﴿أَوْزَارَهُمْ﴾: جمع وزر، وهو الذنب.

○ الإعراب:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ إذا ظرف لما يستقبل من الزمن، وجملة قيل لهم مضاف إليها الظرف، وجملة ماذا أنزل ربكم نائب فاعل لقيل، والكلام مستأنف، مسوق للشروع في ذكر نماذج من مثالب المشركين، وماذا: تقدم أنه يجوز فيها وجهان، فإما أن تكون كلها اسم استفهام في محل نصب مفعول مقدم لأنزل، وإما أن تكون ما وحدها اسم استفهام، وذا اسم موصول في محل رفع خبر، وأنزل ربكم فعل وفاعل، وجملة قالوا لا محل لها، وأساطير الأولين خبر لمبتدأ محذوف، أي: هي أساطير الأولين، أو المنزل أساطير الأولين، وفي تقديره المنزل بلاغة زائدة؛ لأنه يكون تهكماً، أي: على فرض أنه منزل فهو أساطير لا طائل تحتها ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۙ ﴾ اللام للتعليل، ويحملوا مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والواو فاعل، وأوزارهم مفعول به، وكاملة حال، ويوم القيامة ظرف متعلق بيحملوا، ولك أن تجعل اللام للعاقبة، وعلى كل حال هي متعلقة بقوله: قالوا أساطير الأولين، فإما أن يكون المعنى أنهم جنوا على أنفسهم بأيديهم، وقالوا ما يسبب لهم حمل الأوزار، أو أنهم فعلوا ذلك جاهلين غافلين، فكانت عاقبتهم بذلك أن يحملوا أوزارهم، يعني: ذنوب أنفسهم التي اجترحوها، وسيأتي سر قوله «كاملة» في باب: البلاغة﴿ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ ومن أوزار عطف على أوزارهم، فالجار والمجرور متعلقان بيحملوا، ومن للتبعيض، أي: وبعض أوزار من يضل بضلالهم، وهذا ما ذهبت إليه طائفة من المفسرين على رأسهم الزمخشري والبيضاوي والجلال، وقال الواحدي: ولفظ من في قوله «ومن أوزار الذين يضلونهم» ليست للتبعيض؛ لأنها لو كانت للتبعيض لنقص عن الاتباع بعض الأوزار، وذلك غير جائز؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» لكنها للجنس، اي: ليحملوا من جنس أوزار الكفار. وهو كلام جميل أيضاً، وجملة يضلونهم صلة الذين، وبغير علم

حال من المفعول به، أي: يضلون من لا يعلم أنهم ضلال، ويجوز أن تكون من الفاعل المسند إليه الإضلال، والمعنى: أنهم يقدمون على الإضلال جهلاً منهم بما يترتب عليهم من العذاب الشديد. وألا أداة تنبيه، وساء فعل ماض لإنشاء الذم، وما تمييز، أي: شيئاً، أو فاعل ساء، وجملة يزرون صفة لما على الأول، أو صلة لها على الثاني، وعلى كل حال المخصوص بالذم محذوف تقديره: وزرهم ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لتسلية النبي ﷺ عما كابده من تعنتهم ومكرهم، وقد حرف تحقيق، ومكر الذين فعل وفاعل، ومن قبلهم صلة الذين، فأتى الله بنيانهم عطف على ما تقدم، وهو فعل وفاعل ومفعول به، ومن القواعد حال، أو جار ومجرور متعلقان بأتى ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ الفاء عاطفة، وخر فعل ماض، وعليهم جار ومجرور متعلقان بخر، والسقف فاعل، ومن فوقهم حال، وأتاهم العذاب فعل ماض، ومفعول به مقدم، وفاعل مؤخر، ومن حيث متعلقان بأتاهم، وجملة لا يشعرون مضافة إلى الظرف ﴿ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ ﴾ ثم حرف عطف، ويوم ظرف متعلق بيخزيهم، والقيامة مضاف إليه، ويخزيهم فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به ﴿ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ ﴾ أين اسم استفهام في محل نصب على الظرفية المكانية، متعلق بمحذوف خبر مقدم، وشركائي مبتدأ مؤخر، والذين صفة لشركائي، وجملة كنتم صلة، وجملة تشاقون خبر كنتم، وفيهم متعلقان بتشاقون ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ قال الذين فعل وفاعل، وجملة أوتوا صلة، والواو نائب فاعل، والعلم مفعول به ثان، وإن واسمها، واليوم ظرف متعلق بالخزي؛ لأنه مصدر يعمل عمل الفعل، والسوء عطف على الخزي، وعلى الكافرين خبر إن ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ الذين نعت للكافرين، أو بدل منه، وجملة تتوفاهم الملائكة صلة، والجملة فعل ومفعول به وفاعل، وظالمي أنفسهم حال من مفعول تتوفاهم، وأنفسهم مضاف إليه، وتتوفاهم مضارع بمعنى

الماضي ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾ يجوز أن تكون الفاء عاطفة، وألقوا معطوف على توفاهم؛ لأنه بمعنى توفتهم، ويجوز أن يكون ألقوا معطوفاً على قال الذين أوتوا العلم، ويجوز أن تكون للاستئناف، وألقوا فعل وفاعل، والسلم مفعول به، والسلم: المسالمة والإخبات، وجملة ما كنا مقول القول محذوف، أي: قائلين، وما نافية، وكنا: كان واسمها، وجملة نعمل خبر كنا، ومن زائدة وسوء مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بلى حرف جواب، وإن واسمها وخبرها، وبما متعلقان بعليم، وجملة كنتم تعملون صلة ما، وجملة تعملون خبر كنتم ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ الفاء الفصيحة، وادخلوا فعل أمر وفاعل، وأبواب مفعول به على السعة، وجهنم مضاف إليه، وخالدين حال من فاعل ادخلوا، وفيها متعلقان بخالدين، والفاء استئنافية، واللام للابتداء، وبئس فعل ماض لإنشاء الذم، ومثوى المتكبرين فاعل، والمخصوص بالذم محذوف، أي: هي.

□ البلاغة:

(١) في قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ استعارة تمثيلية، فقد شبه حال جميع الماكرين المبطلين المدبرين للمكايد والمؤامرات، والذين يحاولون إيقاع الضرر والمكر بالمؤمنين، ونصب الشباك لهم، بحال قوم بنوا بنياناً شامخاً، ودعموه بأساطين البناء وقواعده، فطاح البنيان من الأساطين نفسها، بأن وهنت، ولم تقو على إمساك ما أقيم عليها، فتهدم السقف، وهوى عليها.

هذا؛ وقد ذكر علماء البلاغة ان للتمثيل مظهرين: أحدهما: أن يظهر المعنى ابتداء في صورة التمثيل. وثانيهما: ما يجيء في أعقاب المعاني لإيضاحها وتقريرها في النفوس، وهو على الحالين يكسو المعاني أبهة، ويرفع من أقدارها، ويضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعوة القلوب إليها. تأمل قول أبي الطيب:

ومـن يَـكُ ذا فـمٍ مرٍّ مـريـضٍ يجـدْ مُـرّاً بـه المـاءَ الـزلالا

لو كان عبر عن المعنى بقوله مثلاً: إن الجاهل لمفاسد الطبع يتصور المعنى بغير صورته، ويخيل إليه في الصواب أنه خطأ، فهل كنت تجد هذه الروعة؟ وهل كان يبلغ من التهجين للجاهل، والكشف عن نقصه، ما بلغ التمثيل في البيت؟ ومهما بالغت في تصوير المؤامرات المبطلة يدبرها المبطلون، ويحركونها من خلف ستار، حتى إذا خيل لهم أنها قد أحكمت، واستطاعت أن توقع الخصوم في شراكها؛ إذا بها تحبط فجأة، فهل يبلغ ذلك من نفسك مبلغ مشهد البناء، وقد تطاول، وتسامق، وتشامخ، وأحكمه بانيه إحكاماً خيل إليه معه أنه ضمن له الخلود، فما عتم أن تزلزت منه أواخيه وصياصيه، وانهار بمن وعلى من فيه. وفيما يلي طائفة من أبيات التمثيل لتقيس عليها:

قال ابن لنكك يهجو قوماً حسنت مناظرهم، وقبحت مخابرهم:

في شَجـر السّـرو منهـم مثـل لـه رواء ومـا لـه ثَمَـر

وقال ابن الرومي في المعنى نفسه:

فغـدا كـالخـلافِ يـورقُ للعيـ ـن ويـأبى الإثمـارَ كـلَّ الإبـاء

وتأمل كذلك قول أبي تمام:

وإذا أرادَ اللهُ نَشْـرَ فضيلـةٍ طوِيتْ أتاحَ لها لسانَ حَسُودِ

مقطوعاً عن البيت الذي يليه، برغم أن البيت واضح المعنى، ثم أتبعه بالبيت التالي:

لولا اشتعـالُ النّـارِ فيما جاورتْ ما كـان يُـعْرَفُ طيبُ عرفِ العُودِ

وانظر هل ينشر المعنى تمام حلّته، وأظهر المكنون من حليته وزينته، واستحق التقديم كله إلا بالبيت الأخير، وما فيه من التمثيل والتصوير.

وسيأتي من روائع التمثيل في كتابنا ما يذهل الألباب.

عودة إلى الآية:

والآية التي نحن بصددها من أرقى ما يصل إليه التمثيل، وهي خالدة،

لا تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة، فالبناء كان ولا يزال يمثل القوة، والجدّة، والثراء، وتداعيه وتطوحه يمثل، قديماً وحديثاً، زوال ذلك كله وفناءه؛ ذلك لأن الاستعارة التمثيلية أساسها التشبيه، فلا عجب أن تختلف فيها الأذواق باختلاف الأزمنة، كما اختلفت في تقدير التشبيه، وها نحن أولاء اليوم لا نستسيغ كثيراً من الاستعارات التي أوحت بها البيئة الماضية، والتي تبقى رواسم جامدة، يبهرنا لفظها أكثر مما يوضحه في نفوسنا معناها. أما الاستعارة التي تتجاوز ظروف الزمان والمكان، وتضمن لها الجدّة الباقية بقاء الدهر، فهي الاستعارة التي تحقق غرض القائل، وتكون فيها الصورة المشبهة بها واضحة معروفة، تصور ما تريد أن تصوره بوضوح، وتأثير، وإيجاز، وتضاف إليها روافد كهذه الاية عندما قال: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ فقد أكد التمثيل بقوله: «من فوقهم» لأن السقف لا يخر إلا من فوق؛ لأنه أشعر بخروره فوقهم أنهم تحته، فأزال احتمال أن يكونوا غير موجودين تحته، وأكد إبطال مؤامراتهم بموتهم متأثرين بما نصبوه للآخرين، على حد قول المثل: من حفر حفرة لأخيه وقع فيها.

(٢) الاحتراس:

في قوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ فإن لقائل أن يقول: السقف لا يكون إلا من فوق، فما معنى ذكر من فوقهم، والجواب: أنه احتراس من احتمال أن السقف قد يكون أرضاً بالنسبة لغيرهم، فإن كثيراً من السقوف يكون أرضاً لقوم، وسقفاً لقوم آخرين، فرفع الله تعالى هذا الاحتمال بجملتين، وهما قوله: «عليهم» وقوله: «خر» لأنها لا تستعمل إلا فيما يهبط أو يسقط من العلو إلى السفل.

هذا؛ وقد ساق بعض النقاد بيتاً في شواهد العيوب، وهو:

زياد بن عين عَيْنُـهُ تحت حاجِبه وبيضُ الثنايا تحت خضرةِ شارِبه

فقال: وجه العيب فيه كون العين لا تكون إلا تحت الحاجب، والثنايا تحت الشارب. وقيل في الرد على هذا العائب: إن الشاعر أراد أن هذا

الممدوح خلق في أحسن تقويم، وولد كذلك، ولم يولد مشوه الخلق، ولا معيب الصورة، ولم يطرأ عليه وهو جنين ما ينقص خلقه، أو يشوهه.

وقال ابن الأعرابي: وإنما قال: من فوقهم ليعلمك أنهم كانوا حالين تحته، والعرب تقول: خر علينا سقف، ووقع علينا حائط إذا كان يملكه، وإن لم يكن وقع عليه، فجاء بقوله: من فوقهم؛ ليخرج هذا الشك الذي في كلام العرب. وهو كلام لا بأس به.

﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيْرًاۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٞۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٖ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيْرًاۗ ﴾ وقيل للذين: قيل فعل ماض مبني للمجهول، واختلف في ضميره، وأقرب الأقوال أنهم وفود العرب الذين كانت تبعثهم القبائل إلى مكة، وللذين متعلقان بقيل، وجملة اتقوا صلة، وماذا تقدم القول فيها كثيراً، وأنزل ربكم فعل وفاعل، وخيراً مفعول لفعل محذوف، أي: أنزل خيراً، وعبارة الزمخشري: فإن قلت لم رفع الأول ونصب هذا؟ قلت: فرقاً بين جواب المقر وجواب الجاحد، يعني: أن هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا، وأطبقوا الجواب على السؤال بيناً مكشوفاً مفعولاً للإنزال، فقالوا: خيراً، أي: أنزل خيراً، وأولئك عدلوا بالجواب عن

السؤال، فقالوا: هو أساطير الأولين، وليس من الإنزال في شيء. ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ للذين خبر مقدم، وجملة أحسنوا صلة، وفي هذه متعلقان بأحسنوا، والدنيا بدل، وحسنة مبتدأ مؤخر، والجملة مستأنفة، ويجوز أن تكون مفسرة لقوله «خيراً» ولدار الآخرة اللام للابتداء، ودار الآخرة مبتدأ، وخير خبر، ولنعم دار المتقين: اللام للابتداء أيضاً، ونعم فعل ماض لإنشاء المدح، ودار المتقين فاعل، والمخصوص بالمدح محذوف، أي: هي ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ جنات خبر لمبتدأ محذوف، ويجوز أن تكون هي المخصوص بالمدح، فتعرب مبتدأ خبره جملة نعم دار المتقين، أو خبراً لمبتدا محذوف، والأول أرجح، وأقل تكلفاً، وجملة يدخلونها حالية ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ جملة تجري من تحتهم الأنهار حال أيضاً، ولهم خبر مقدم، وفيها حال، وما مبتدأ مؤخر، وجملة يشاؤون صلة، وجملة لهم فيها حال ثالثة ﴿كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ الكاف نعت لمصدر محذوف، ويجوز أن تعرب حالاً، وقد تقدم تقرير ذلك كثيراً، ويجزي الله المتقين فعل وفاعل ومفعول به ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ الذين نعت للمتقين، أو بدل منه، وجملة تتوفاهم صلة، والهاء مفعول به، والملائكة فاعل، وطيبين حال من المفعول في تتوفاهم، أي: طاهرين من الشوائب ﴿يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ جملة يقولون حال من الملائكة مقارنة، أو مقدرة، وسيأتي تعريفهما في باب: الفوائد، وسلام مبتدأ، وعليكم خبر، وادخلوا الجنة فعل أمر وفاعل ومفعول به، وبما متعلقان بادخلوا، وجملة كنتم صلة، وجملة تعملون خبر كنتم، ويجوز أن تكون ما مصدرية، والإعراب واحد ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ هل حرف استفهام، ومعناه النفي، وينظرون فعل مضارع وفاعل، وإلا أداة حصر، وأن وما في حيزها مصدر مؤول مفعول ينظرون، وأو حرف عطف، ويأتي أمر ربك عطف على تأتيهم الملائكة، أي: العذاب ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ تقدم إعراب كذلك قريباً، فجدد به عهداً، وفعل الذين فعل وفاعل، ومن قبلهم صلة الموصول

﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، وظلمهم الله فعل ومفعول به وفاعل، والواو حالية، أو اعتراضية، ولكن مخففة مهملة، وكان واسمها، وجملة يظلمون خبرها، وأنفسهم مفعول مقدم لقوله يظلمون ﴿ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ ﴾ الفاء عاطفة، وأصابهم فعل ومفعول به مقدم، وسيئات فاعل، وما موصولة، أو مصدرية، وهي على كل مضافة لسيئات ﴿ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ الواو عاطفة، وبهم متعلقان بحاق، وما فاعل، وجملة كانوا صلة، وبه متعلقان بيستهزئون، وجملة يستهزئون خبر كانوا.

* الفوائـد:

الحال بالنسبة للزمان:

للحال بالنسبة للزمان ثلاثة أقسام:

(١) مقارنة وهي الغالبة نحو: ﴿ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ ﴾

(٢) مقدرة وهي المستقبلة نحو: ﴿ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾

(٣) ومحكية وهي الماضية نحو: جاء زيد أمس راكباً.

وفي الآية التي نحن بصددها وهي: ﴿ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ﴾ يجوز أن تكون مقارنة إن كان القول واقعاً منهم في الدنيا، وأن تكون مقدرة إن كان القول واقعاً منهم في الآخرة.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ

﴿فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة لتقرير مغالطتهم، وقولهم كلمة حق أريد بها باطل، واحتجاجهم على الله تعالى بمشيئته التي لا حجة لهم فيها مع ما خلق لها من اختيار النجدين وسلوك أحد الطريقين. وقال الذين: فعل وفاعل، وجملة أشركوا صلة، ولو امتناعية شرطية، وشاء الله فعل وفاعل، والمفعول محذوف أي: لو شاء خلاف طريقتنا، وما يصدر عنا، وسيأتي مزيد بحث عن حذف المفعول به في باب البلاغة، وما نافية، وعبدنا فعل وفاعل، ومن دونه حال، ومن زائدة، وشيء مجرور لفظاً مفعول عبدنا محلاً، ونحن تأكيد لفاعل عبدنا، والمعنى: ما عبدنا شيئاً حال كونه دونه، ولا الواو عاطفة، ولا نافية، وآباؤنا عطف على نحن ﴿وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ الواو عاطفة، وحرمنا فعل وفاعل، ومن دونه حال من شيء، ومن حرف جر زائد، وشيء مجرور لفظاً مفعول به منصوب محلاً ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كذلك نعت لمصدر محذوف مفعول مطلق، وفعل الذين فعل وفاعل ومن قبلهم صلة ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ الفاء عاطفة، وهل حرف استفهام معناه النفي، وعلى الرسل خبر مقدم، وإلا أداة حصر، والبلاغ مبتدأ مؤخر، والمبين صفته ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ الواو عاطفة، واللام موطئة للقسم، وقد حرف تحقيق، وبعثنا فعل وفاعل، وفي كل أمة متعلقان ببعثنا، ورسولاً مفعول به ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ أن: يجوز أن تكون مصدرية، وهي مع مدخولها نصب بنزع الخافض، والجار والمجرور متعلقان ببعثنا، ويجوز أن تكون مفسرة؛ لأن البعث فيه معنى القول، واعبدوا فعل أمر وفاعل، ولفظ الجلالة مفعول به، واجتنبوا الطاغوت فعل أمر وفاعل ومفعول به.

﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ الفاء تفريعية

استئنافية، ومنهم خبر مقدم، ومن مبتدأ مؤخر، وهي نكرة موصوفة، وجملة هدى الله صفة لمن، ومنهم من حقت عليه الضلالة عطف على سابقتها، وهي مثلها في الإعراب ﴿فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ الفاء الفصيحة، أي: إن أردتم الاهتداء والاستدلال على الطريق المثلى فسيروا، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بسيروا، فانظروا: الفاء عاطفة، وانظروا فعل أمر وفاعل، وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر كان المقدم، وعاقبة المكذبين اسمها المؤخر.

□ البلاغة:

إيجاز الحذف:

الحذف للإيجاز، فقد حذف مفعول شاء في قوله: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ﴾ أي: لو شاء هدايتنا، ولحذف المفعول به لطائف هي أكثر من أن تذكر، ذلك أن أغراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية، فتارة يذكرونها ويريدون أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتقت منها للفاعلين، من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين، وعندئذ يكون الفعل المتعدي كغير المتعدي، ومثال ذلك قول الناس: فلان يحلّ ويعقد، ويأمر وينهى، ويضر وينفع. والقسم الثاني أن يكون للفعل مفعول مقصود؛ إلا أنه يحذف من اللفظ لدليل يدل عليه، وقد يكون ذلك جلياً لا صنعة فيه كقولهم: «أصغيت إليه» أي: بأذني، والخفي منه ما تدخله الصنعة، فمن الخفي أن تذكر الفعل وفي نفسك له مفعول مخصوص، إلا أنك تنساه وتخفيه عن نفسك، وتوهم أنك إنما تذكر الفعل لتثبت نفس معناه من غير أن تعديه إلى مفعول، كقول البحتري:

شَجْوُ حُسَّادِهِ وَغَيْظُ عِدَاهُ أَنْ يَرَىٰ مُبْصِرٌ ويَسْمَعَ وَاعِ

المعنى: أن يرى مبصر محاسنه، ويسمع واعٍ أخباره، ومن الخفي أيضاً أن يكون معك مفعول معلوم مقصود قد علم أنه ليس للفعل الذي ذكرت مفعول سواه بدليل الحال، أو ما سبق من الكلام، إلا أنك تطرحه وتتناساه؛ لكي تتوفر العناية على إثبات الفعل للفاعل، وتخلص له، وتنصرف بجملتها إليه.

قال طفيل الغنوي في بني جعفر بن كلاب :

جَزَى الله عنَّا جعفراً حين أزلقت بنا نعلُنا في الواطئين فزلَّت

أبوا أن يملّونا ولو أن أمَّنا تلاقي الذي يلْقَوْن منا لملَّت

هم خلطُونا بالنفوس وألجؤوا إلى حجراتٍ أدفأتْ وأظلَّت

حذف المفعول في أربعة مواضع هي «لمت» و«ألجئوا» و«أدفأت» و«أظلت» لأن الأصل لملتنا وألجئونا إلى حجرات أدفأتنا وأظلتنا. وقول الشاعر: ولو أن أمنا تلاقي الذي لاقوه منا لملَّت. يتضمن أن ما لاقوه منا قد بلغ من القوة إلى أن يجعل كل أم تملّ وتسأم، وأن المشقّة بلغت من ذلك حداً يجعل الأم له تمل الابن، وتتبرم به، مع ما في طباع الأمهات من الصبر على المكاره في مصالح الأولاد، وذلك أنه وإن قال «أمنا» فإن المعنى على أن ذلك حكم كل أم مع أولادها، ولو قال؛ لملتنا لم يصلح؛ لأنه يراد به معنى العموم، وأنه بحيث تملّ كل أم من كل ابن، ومن ذلك حذف المفعول بعد فعل المشيئة، كقوله:

لو شئت لم تفسدْ سماحة حاتم كرماً ولم تهدمْ مآثرَ خالد

والأصل: لو شئت أن تفسد سماحة حاتم لم تفسدها، ثم حذف ذلك من الأول استغناء بدلالة في الثاني عليه، ثم هو على ما تراه من الحسن والغرابة؛ لأن الواجب في حكم البلاغة أن لا ينطق بالمحذوف، فليس يخفى أنك لو رجعت إلى الأصل لصرت إلى كلام غث، وإلى شيء يمجّه السمع، وتعافه النفس.

ويحلل عبد القاهر الجرجاني لجمال حذف المفعول بعد فعل المشيئة بأن في البيان بعد الإبهام، وبعد تحريك النفس إلى معرفته، لطفاً ونبلاً، لا يكون إذا لم يتقدم ما يحرك، فأنت إذا قلت: لو شئت علم السامع أنك قد علقت هذه المشيئة في المعنى بشيء، فهو يضع في نفسه أن ها هنا شيئاً تقتضيه المشيئة، فإذا قلت: لم تفسد سماحة حاتم؛ عرف ذلك الشيء.

﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ﴾ إن شرطية، وتحرص فعل الشرط، وعلى هداهم متعلقان بتحرص، أي: ترغب فيه، فإن الفاء رابطة لجواب الشرط، وإن واسمها، وجملة لا يهدي خبرها، ومن اسم موصول مفعول به، وجملة يضل صلة، وقيل جواب الشرط محذوف، وجملة فإن الله لا يهدي تعليل للجواب، والتقدير: لا تقدر أنت ولا يقدر أحد على هدايتهم ﴿ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ الواو عاطفة، وما نافية حجازية، ولهم خبر ما مقدم، ومن حرف جر زائد، وناصرين اسم ما محلاً، أو مبتدأ مؤخر، ومجرور لفظاً ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾ وأقسموا: فعل وفاعل، وبالله جار ومجرور متعلقان بأقسموا، وجهد أيمانهم نصب على المصدرية، وقيل مصدر في موضع الحال، أي: جاهدين، والجملة عطف على وقال الذين أشركوا، أو استئنافية إخبارية ﴿ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ لا نافية، ويبعث الله من يموت فعل وفاعل ومفعول، والجملة لا محل لها لأنها جواب القسم، وسمي الحلف قسماً؛ لأنه يكون عند انقسام الناس إلى مصدق ومكذب، وبلى حرف جواب، أي: بلى يبعثهم لأنه إثبات لما بعد النفي، ووعداً عليه حقاً مصدران مؤكدان لما دل عليه بلى، وقيل حقاً صفة

لوعداً، وكذا عليه، وعليه متعلقان بحقاً ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الجملة حالية، ولكن واسمها، وجملة لا يعلمون خبرها ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ اللام للتعليل، ويبين فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بما دل عليه بلى، أي: يبعثهم ليبين، ولهم متعلقان بيبين، والذي مفعول به، وجملة يختلفون صلة، وفيه متعلقان بيختلفون ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴾ وليعلم عطف على ليبين، والذين فاعل، وجملة كفروا صلة، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يعلم، وأن واسمها، وجملة كانوا خبرها، وكاذبين خبر كانوا ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ إنما كافة ومكفوفة، وقولنا مبتدأ، ولشيء جار ومجرور متعلقان بقولنا، وإذا ظرف متعلق بقولنا، وجملة أردناه مضافة للظرف، وأن ومدخولها مصدر مؤول خبر قولنا، وله متعلقان بنقول، وكن فعل أمر من كان التامة، وجملة كن مقول القول، فيكون: الفاء عاطفة، ويكون معطوف على مقدر تفصح منه الفاء، وينسحب عليه الكلام، أي: فنقول له ذلك فيكون، وأما جواب لشرط محذوف فتكون فصيحة، أي: فإذا قلنا ذلك فهو يكون، وسيأتي مزيد بحث عن هذا القول والمقول والأمر والمأمور في باب البلاغة، والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير القدرة على البعث، أو كيفية التكوين على الإطلاق إبداء وإعادة ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ﴾ والذين مبتدأ، وجملة هاجروا صلة، أي: انتقلوا من مكة إلى المدينة، ومنهم من هاجر إلى الحبشة، فجمع بين الهجرتين، وفي الله متعلقان بهاجروا، وفي للتعليل، أي: لإقامة دين الله، ومن بعد حال، وما مصدرية مؤولة مع مدخولها بمصدر مضاف إلى بعد، أي: من بعد ظلمهم بالأذى من أهل مكة ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ اللام موطئة للقسم، وجملة نبوئنهم خبر الذين، وفي الدنيا حال، وحسنة صفة لمصدر محذوف، أي: تبوئة حسنة، فهي نائب مفعول مطلق، ولك أن تعربها مفعولاً ثانياً لنبوئنهم لتضمن معناه نعطينهم، فتكون صفة لمحذوف، أي: داراً حسنة ﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ الواو حالية، واللام للابتداء، وأجر الآخرة مبتدأ، وأكبر خبر، ولو

شرطية، وكان واسمها وخبرها ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ الذين خبر لمبتدأ محذوف، أي: هم الذين صبروا فمحله الرفع، أو منصوب على المدح، أي: أعني الذين صبروا فمحله النصب، وجملة صبروا صلة، وعلى ربهم جار ومجرور متعلقان بيتوكلون، ويتوكلون فعل مضارع وفاعل.

□ البلاغة:

(١) إنما:

﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ عقد الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه: «دلائل الإعجاز» فصلاً ممتعاً عن إنما ننقل خلاصته، فقد وقف يستلهم معاني «إنما» ويرى أن الوقوف فيها عند قول النحاة: أنه ليس في انضمام «ما» إلى «إن» فائدة أكثر من أنها تبطل عملها خطأ بيّن، وأصل إنما أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب، ولا ينكر صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة، فمن الأول قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ فكل عاقل يعلم أنه لا تكون استجابة إلا ممن يعقل ما يقال له، ويدعى إليه، ومثال ما ينزل هذه المنزلة قول ابن الرقيات:

إنَّما مصعبٌ شهابٌ من الله تجلَّتْ عن وجهه الظَّلْماءُ

وتفيد إنما في الكلام الذي بعدها إيجاب الفعل بشيء، ونفيه عن غيره، وتجعل الأمر ظاهراً، فإذا قلت: إنما جاءني زيد، عقل منه أنك أردت أن يكون الجائي غيره، فمعنى الكلام معها شبيه بالمعنى في قولك: جاءني زيد لا عمرو، إلا أن لها مزية، وهي: أنك تعقل معها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره دفعة واحدة، وتجعل الأمر ظاهراً في أن الجائي زيد.

(٢) الاستعارة التمثيلية: في قوله «كن فيكون» فهي استعارة للكينونة، تمثل سرعة الإيجاد عند تعلق الإرادة، وليس هناك أمر حقيقة ولا كاف ولا نون، وإلا لو كان هناك أمر لتوجه أن يقال إن كان الخطاب للشيء حال عدمه، فلا يعقل؛ لأن خطاب المعدوم لا يعقل، وإن كان بعد وجوده ففيه

تحصيل الحاصل، وإنما القصد منه تصوير سرعة الحدوث بما لا يتجاوز أمده النطق بلفظ كن، وما أسهلها.

(٣) الإخبار عن الماضي بالمستقبل أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ فالظاهر أن المعنى على المضي والتعبير بالمضارع لاستحضار تلك الصورة البديعة، حتى كأن السامع يشاهدها، وقد تقدم بحثه.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ وَٱلزُّبُرِ ﴾: الكتب، جمع: زبور، بمعنى مزبور.

﴿ تَخَوُّفٍ ﴾: تنقص، وهو قولك: تخوفته وتخونته؛ إذا تنقصته، قال زهير بن أبي سُلْمى ـ وقيل: هو لأبي كبير الهذلي ـ:

تَخَوَّفَ الرّحلُ منها تامِكاً قَـرِداً كما تَخَوَّفُ عُودَ النَّبْـعَةِ السَّفَنُ

والمعنى: يأخذهم على أن ينتقصهم شيئاً بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا، وعن عمر بن الخطاب أنه سأل عن معنى التخويف في قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾ فيقوم له رجل من هذيل، ويقول: هذه لغتنا، التخوف: التنقص. قال عمر: فهل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال: نعم، وأنشد البيت الآنف، فقال عمر: عليكم بديوانكم لا يضل، قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية؛ فإن فيه تفسير كتابكم.

الصحابة والغريب في القرآن:

بدأت مدرسة الرسول ﷺ ترسّم خطاه في التفسير، وتحفظ ما نقل عنه، وترويه، وقد تتزيد فيه بشرح لفظ غريب، وعلى الرغم من هذا لا نعدم بعض الغريب في آيات الكتاب توقفوا عنده، من ذلك ما أخرجه أبو عبيدة في «الفضائل» عن إبراهيم التيمي أن أبا بكر الصديق سُئل عن قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ فقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني، إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟. ونقل عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو الكلف يا عمر. وقد انقسم الصحابة في صدر الإسلام إلى قسمين: متحرج من القول في القرآن، ومن هؤلاء أبو بكر، وعمر، وعبد الله بن عمر، وكان عبد الله يأخذ على عبد الله بن عباس تفسيره القرآن بالشعر. والقسم الثاني الذين لم يتحرجوا، وفسروا القرآن حسب ما فهموا من الرسول، أو حسب فهمهم الخاص بالمقارنة إلى الشعر العربي وكلام العرب، ومن هؤلاء علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، ومن أخذ عنهما. وقد وقف ابن عباس على رأس المفسرين بالرأي، المتخذين شعر العرب وسيلة إلى كشف معاني القرآن، وكان علي بن أبي طالب يثني على عبد الله بن عباس ويقول: كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق. ومن هؤلاء أيضاً ابن مسعود، وأبي ابن كعب، وغيرهما، وتبعهم الحسن البصري، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والسدي، وغيرهم. ويقول أحمد أمين في كتابه الممتع: «فجر الإسلام» ما خلاصته: إن هؤلاء المفسرين من الصحابة والتابعين كانوا ينهجون منهجاً يتلخص في الاسترشاد بحديث رسول الله، وبروح القرآن، وبالشعر العربي، والأدب الجاهلي بوجه عام، ثم عادات العرب في جاهليتها وصدر إسلامها، وما قابلهم من أحداث، وما لقي رسول الله من عداء، ومنازعات، وهجرة، وحروب.

لمحة عن ابن عباس ومدرسته:

وشقَّ ابن عباس طريقه بين هؤلاء جميعاً متزعماً مدرسة خاصة تسلطت على التفسير، وطبعته بطابعها، وقد أورد السيوطي في «الإتقان» مسائل ابن الأزرق المئة في القرآن، وجواب ابن عباس عليهما بالشعر، مفسراً غريب كل آية ببيت. ويقول ابن عباس في تفسير القرآن بالشعر: إذا تعاجم شيءٌ من القرآن فانظروا في الشعر، فإن الشعر عربي، ويقول: إذا سألتم عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب. وكان إلمام ابن عباس واسعاً بلغة القرآن ومعانيه، حتى أنه قال: كل القرآن أعلم إلا أربعاً: غسلين، وحناناً، والأواه، والرقيم. وقد بدأت بمحاولات ابن عباس مدرسة جديدة في التفسير تكشف عن أسلوب القرآن ومعانيه بمقارنته بالأدب العربي شعره ونثره، ومهدت هذه المدرسة لقيام حركة واسعة لجمع اللغة والشعر من مضارب الخيام وبوادي العرب؛ ليواجهوا ما في القرآن من الغريب الذي ابتعدت به الشقة عن الحجاز، وقلب الجزيرة العربية في العراق وفارس والشام وغيرها من الأمصار الإسلامية، وتلقط العلماء ما كانت تجود به ألسنة الأعراب من أمثلة توافق ما يجري في آيات القرآن، وكانت هذه الحركة الكبرى سبباً في حفظ العربية من الضياع.

○ الإعراب:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ الواو عاطفة؛ ليتناسق الكلام يورد ناحية أخرى من نواحي تعنتهم وإصرارهم على القول: إن الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً، فهلا بعث إلينا ملكاً، ولك أن تجعلها استئنافية قائمة بنفسها، والجملة مسوقة لما ذكرناه، وما نافية، وأرسلنا فعل وفاعل، ومن قبلك حال، وإلا أداة حصر، ورجالاً مفعول أرسلنا، وجملة نوحي إليهم صفة ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ الفاء الفصيحة، أي: إن شككتم فيما ذكر فاسألوا، واسألوا فعل أمر وفاعل، وأهل الذكر مفعوله، وإن شرطية، وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، والجواب

محذوف دل عليه فاسألوا، وكان واسمها، وجملة لا تعلمون خبرها ﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ بالبينات يحتمل متعلقات شتى، فإما أن يتعلقا بأرسلنا داخلاً تحت حكم الاستثناء مع رجالاً، أي: وما أرسلنا إلا رجالاً بالبينات، ومثل له الزمخشري بقول القائل: ما ضربت إلا زيداً بالسوط؛ لأن أصله ضربت زيداً بالسوط، وإما متعلقان بمحذوف صفة لرجالاً، أي: رجالاً متلبسين بالبينات، أي: مصاحبين لها، وإما بأرسلنا مضمراً، كأنما قيل بم أرسلوا؟ فقيل: بالبينات، وإما بنوحي، أي: نوحي إليهم بالبينات. وهناك أوجه أخرى ضربنا عنها صفحاً، وأنزلنا عطف على أرسلنا، وإليك متعلقان بأنزلنا، والذكر مفعول به، ولتبين اللام للتعليل، وتبين منصوب بأن مضمرة، وهو متعلق بأنزلنا، وللناس جار ومجرور متعلقان بتبين ﴿ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ما مفعول تبين، وجملة نزل إليهم صلة، ولعلهم: لعل واسمها، وجملة يتفكرون خبرها ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، والفاء عاطفة على محذوف ـ كما تقدم ـ يرشد إليه النظم، أي: أنزلنا إليك الذكر لتبين لهم مضمونه، ولم يتفكروا في ذلك، فكأنه قيل: ألم يتفكروا؟ فأمن الذين مكروا السيئات؟ وأمن الذين فعل وفاعل، وجملة مكروا صلة، والسيئات صفة لمفعول مطلق محذوف، أي: المكرات السيئات، ويجوز أن يكون مفعولاً به لأمن، أي: أمنوا العقوبات السيئات، أو منصوباً بنزع الخافض، أي: مكروا بالسيئات، وأن يخسف: أن وما في حيزها مصدر مفعول أمن على الوجه الأول في السيئات، وبدل من السيئات على الوجه الثاني، والله فاعل يخسف، وبهم متعلقان بيخسف، والأرض مفعول به ﴿ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ عطف على أن يخسف، ومن حيث حال، وجملة لا يشعرون مضافة للظرف ﴿ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴾ عطف أيضاً على أن يخسف وفي تقلبهم حال من المفعول، أي: حال كونهم متقلبين في الأسفار، والمتاجر، وأسباب الدنيا، والفاء عاطفة، وما نافية حجازية، وهم اسمها، والباء حرف جر زائد، ومعجزين مجرور

بالباء لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ عطف ثالث على أن يخسف، وعلى تخوف حال أيضاً من الفاعل أو المفعول، أي: يأخذهم متنقصاً إياهم شيئاً بعد شيء، أو وهم متخوفون، والفاء تعليل لما تقدم، وإن واسمها، واللام المزحلقة، ورؤوف خبر إن الأول، ورحيم خبر إن الثاني.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ (٤٨) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ (٥٠) ۞ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٥١) وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢) ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ ﴾ تفيأ الظل: تقلب وانتقل من جانب إلى آخر، المصدر: التفيؤ من فاء يفيء إذا رجع، وفاء لازمٌ، فإذا أريد تعديته عدي بالهمزة كقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﴾ أو بالتضعيف، نحو: فيأ الله الظل فتفيأ، وتفيأ مطاوع فيها فهو لازم، واختلف في الفيء، فقيل: هو مطلق الظل سواء كان قبل الزوال أو بعده، وهو ينسجم مع الآية، وقيل: ما كان قبل الزوال فهو ظل فقط، وما كان بعده فهو ظل وفيء، فالظل أعم، وقيل: بل يختص الظل بما قبل الزوال، والفيء بما بعده، فالفيء لا يكون إلا في العشي، وهو ما انصرفت عنه الشمس، والظل ما يكون بالغداة، وهو ما لم تنله. وفي القاموس والتاج وغيرهما: الظل: الفيء، والجمع ظلال وأظلال وظلول، وظل الليل: سواده، يقال: أتانا في ظل الليل، قال ذو الرمة:

قد أَعْسِفُ النَّازِحَ المَجْهُولَ مَعْسِفُه
في ظِلِّ أَخْضَرَ يَدْعُو هامَهُ البُومُ

وهو استعارة؛ لأن الظلَّ في الحقيقة إنما هو ضوء شعاع الشمس دون الشعاع، فإذا لم يكن ضَوْء فهو ظلمة وليس بظل. وقال أصحاب العلم: الظل مطلقاً هو الضوء الثاني، ومعنى ذلك أن النير إذا ارتفع عن الأفق استضاء الهواء بإثبات الشعاع فيه، فهذا هو الضوء الأول، فإذا حجب هذا الضوء حاجب كان ما وراء ذلك الحاجب ضوءاً ثانياً بالنسبة إلى الضوء الأول؛ لأنه مستفاد منه، وهذا الضوء الثاني هو الظل، وقد أوحى خيال الظل إلى الشعراء طرائف بديعة، فمن ذلك قول المناوي في راقصة:

إذ ما تغنَّتْ قلت سكرى صبابةً وإن رقصتْ قلنا احتكام مُدام

أرتنا خيالَ الظِّلِّ والسِّترُ دُونَهَا فأبدتْ خيال الشَّمسِ وهو غَمام

وذكر ابن قتيبة في كتابه «أدب الكاتب» ما نصه: : يذهب الناس إلى أن الظل والفيء واحد، وليس كذلك؛ لأن الظل يكون من أول النهار إلى آخره، ومعنى الظل: الستر، والفيء لا يكون إلا بعد الزوال، ولا يقال لما كان قبل الزوال فيء، وإنما سمي فيئاً؛ لأنه ظل فاء من جانب إلى جانب، أي: رجع من جانب المغرب إلى جانب المشرق. والفيء: الرجوع. قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: ترجع.

﴿وَٱلشَّمَآئِلِ﴾: جمع شمال، أي: عن جانبيهما أول النهار وآخره. قال العلماء: إذا طلعت الشمس من المشرق، وأنت متوجه إلى القبلة، كان ظلك عن يمينك، فإذا ارتفعت الشمس، واستوت في وسط السماء، كان ظلك خلفك، فإذا مالت الشمس إلى الغروب كان ظلك عن يسارك.

﴿دَٰخِرُونَ﴾: خاضعون صاغرون.

○ الإعراب:

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، والواو عاطفة على محذوف مقدر يقتضيه السياق، أي: ألم ينظروا ولم يروا موجهين إلى ما خلق

الله، وإلى ما جار ومجرور متعلقان بيروا، وهذه الرؤية لما كانت بمعنى النظر وصلت بإلى؛ لأن المراد منها الاعتبار، وذلك الاعتبار لا يتأتى إلا بنفس الرؤية التي يكون معها النظر إلى الشيء لتدبره، والتبصر فيه، والتأمل بمغايبه وعواقبه، وجملة خلق الله صلة، ومن شيء حال من ما خلق الله، وصح أن تكون مبنية لوصفها، مع أن كلمة شيء مبهمة، وجملة يتفيأ ظلاله صفة لشيء، وظلاله فاعل يتفيأ، وعن اليمين حال، وعن الشمائل عطف، ويصح أن تكون «عن» اسماً بمعنى جانب، فعلى هذا تنتصب على الظرف، ويصح أن تتعلق بتتفيأ، ومعناه المجاوزة، أي: تتجاوز الظلال عن اليمين إلى الشمال، بقي هنا سؤال، وهو: لماذا أفرد اليمين وجمع الشمال؟ وأجاب العلماء بأجوبة عديدة، أقربها إلى المنطق أن الابتداء يقع من اليمين، وهو شيء واحد، فلذلك وحد اليمين، ثم ينتقص شيئاً فشيئاً، وحالاً بعد حال، فهو بمعنى الجمع، فصدق على كل حال لفظ الشمائل، فتعدد بتعدد الحالات، وللفراء رأي طريف قال: كأنه إذا وحّد ذهب إلى واحد من ذوات الظلال، وإذا جمع ذهب إلى كلها، لأن قوله: ﴿ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ لفظه واحد ومعناه الجمع، فعبر عن أحدهما بلفظ الواحد، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ وقال ابن الصائغ: أفرد وجمع بالنظر إلى الغايتين؛ لأن ظل الغداة يضمحل حتى لا يبقي منه إلا اليسير، فكأنه في جهة واحدة، وهو بالعشي على العكس؛ لاستيلائه على جميع الجهات، فلحظت الغايتان في الآية، هذا من جهة المعنى، وفيه من جهة اللفظ المطابقة؛ لأن سجّداً جمع، فطابقه جمع الشمائل لاتصاله به، فحصل في الآية مطابقة اللفظ للمعنى ولحظهما معاً، وتلك الغاية في الإعجاز. وقيل: أفرد اليمين مراعاة للفظ ما، وجمع ثانياً مراعاة لمعناها. وقد أفرد السهيلي رسالة لطيفة على هذه الآية. وسجّداً حال من ظلاله، والواو للحال، وهم مبتدأ، وداخرون خبر، والجملة حالية من الضمير المستتر في سجداً، فهي حال متداخلة ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ لله جار ومجرور متعلقان بيسجد، وما فاعل ليسجد، وفي السموات صلة، وما في الأرض عطف على ما في السموات، ومن دابة في

موضع نصب على الحال المبنية، والملائكة عطف على ما، وخصهم بالذكر بعد العموم تنويهاً بفضلهم ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ الواو عاطفة، وهم مبتدأ، وجملة لا يستكبرون خبر ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ۩﴾ جملة يخافون نصب على الحال من ضمير يستكبرون، أو بدل من جملة لا يستكبرون، لأن من خاف الله لم يستكبر عن عبادته، ويخافون ربهم فعل مضارع وفاعل ومفعول به، ومن فوقهم حال من ربهم، أي: يخافون ربهم عالياً عليها في الرتبة، على حد قوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ ويفعلون عطف على يخافون، وما مفعول به، وجملة يؤمرون صلة ﴿۞وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ الواو استئنافية، وقال الله فعل وفاعل، ولا ناهية، وتتخذوا فعل مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل، وإلهين مفعول به، واثنين صفة لإلهين، ومن طريف المفارقات أن جميع المفسرين تقريباً يعربونها توكيداً لإلهين، وليست اثنين من ألفاظ التوكيد المعنوي، وليست من باب التوكيد اللفظي، ويظهر أن إعرابهم لها كذلك قائم على المعنى؛ لأن معنى الوصف هو التوكيد، وسترى بحثاً طريفاً عن ذلك في باب البلاغة، وقد اضطر بعضهم إلى القول أن لفظ اثنين تأكيد لما فهم من إلهين من التثنية، وقيل: إن في الكلام تقديماً وتأخيراً، والتقدير: لا تتخذوا إثنين إلهين. إنما هو إله واحد ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ إنما كافة ومكفوفة، وهو مبتدأ، وإله خبر، وواحد صفة للتأكيد أيضاً، فإياي: الفاء الفصيحة، وإياي مفعول به لفعل مضمر يفسره ما بعده، أي: بقوله ارهبون، وارهبون فعل أمر، والواو فاعل، والنون للوقاية، والياء المحذوفة لمراعاة الفواصل مفعوله ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لك أن تجعل الواو عاطفة، والجملة معطوفة على قوله: «إنما هو إله واحد» ولك أن تجعلها استئنافية، والجملة مستأنفة، وله خبر مقدم، وما مبتدأ مؤخر، وفي السموات صلة، والأرض عطف على ما في السموات ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾ الواو عاطفة، وله خبر مقدم، والدين مبتدأ مؤخر، وواصباً حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور، والتقدير: والدين ثابت له حال كونه واصباً، وفي معنى الوصب قولان: أحدهما: الدوام، أي: له الدين ثابتاً سرمداً،

وثانيهما: المشقة والكلفة، أي: له الدين ذا كلفة ومشقة ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة على محذوف، والتقدير: أبعد ما تقرر من توحيد الله، وبعد ما عرفتم أن كل ما سواه محتاج إليه، كيف يعقل أن تتقوا غيره، وترهبوا من غيره، وغير الله مفعول مقدم لتتقون، وتتقون فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله.

□ البلاغة:

اشتملت هذه الآيات على وجازتها على فنون من البلاغة تستوعب الأجلاد، وسنحاول تلخيصها في العبارات الآتية:

(١) التغليب:

في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الخ، فقد أتى بلفظ ما الموصولية في قوله: ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ للتغليب؛ لأن ما لا يعقل أكثر ممن يعقل في العدد، والحكم للأغلب، وما الموصولة في أصل وضعها لما لا يعقل، كما أن من موضوعة في الأصل لمن يعقل، وقد تتخالفان، ومن استعمال «من» لغير العاقل في الشعر قول العباس بن الأحنف:

أسربَ القَطَا هل مَن يعيرُ جناحهُ
لعلِّي إلى مَن قد هويتُ أطير

فأوقع من على سرب القطا، وهو غير عاقل. وقول امرؤ القيس:

أَلاَ عِمْ صباحاً أيُّها الطَّلَلُ البالي
وهل يَعِمَنْ مَنْ كان في العُصُرِ الخالي

فأوقع من على الطلل، وهو غير عاقل.

وفيما يلي ضابط هام نوجزه فيما يلي:

* قد تستعمل «من» لغير العقلاء في ثلاث مسائل:

أ ـ أن ينزل غير العاقل منزلة العاقل، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وقول امرىء القيس السابق، وكذلك قول العباس بن الأحنف السابق الذكر.

فدعاء الأصنام التي لا تستجيب الدعاء في الآية الكريمة، ونداء الطلل والقطا في البيتين، سوغا تنزيلها منزلة العاقل؛ إذ لا ينادى إلا العقلاء.

ب ـ أن يندمج غير العاقل مع العاقل في حكم واحد، كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

جـ ـ أن يقترن غير العاقل بالعاقل في عموم مفصل، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ فالدابة تعم أصناف من يدب عن وجه الأرض، وقد فصلها على ثلاثة أنواع.

* وقد تستعمل ﴿ما﴾ للعاقل إذا اقترن العاقل بغير العاقل في حكم واحد، كما في الآية المتقدمة.

(٢) الاحتراس:

وذلك في قوله تعالى: ﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ والمعروف أنه لا يجمع بين العدد والمعدود إلا فيما وراء الواحد والاثنين، فيقولون: عندي رجال ثلاثة ونساء ثلاث؛ لأن المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص، فلو لم تشفعه بصفته لما فهمت العدد المراد، وأما رجل وامرأة ورجلان وامرأتان فمعدودان، فيهما دلالة على العدد، فلا حاجة إلى أن يقال: رجل واحد، وامرأة واحدة، ورجلان اثنان، وامرأتان اثنتان، أما في الآية فالاسم الحامل لمعنى الإفراد والتثنية، وهو إله وإلهان دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص، فإذا أريد الدلالة على أن المراد الذي يساق إليه الحديث هو العدد، كان لا بد من أن يشفع بما يؤكده، ألا ترى أنك

لو قلت إله ولم تؤكده بواحد لم يحسن، وخيل إليك أنك تثبت الإلهية لا الوحدانية، فكان لا بد من الاحتراس، وهذا من روائع البلاغة التي تتقطع دونها الأعناق.

(٣) الالتفات:

عن الغيبة إلى التكلم، فقد قال: ﴿۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ الخ. ثم عدل إلى الحضور وهو قوله: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ لأن ذلك أبلغ في الرهبة من أن يقول جرياً على السياق: فإياه فارهبون.

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ۝٥٣ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ۝٥٤ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٥٥ وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ۝٥٦ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ۝٥٧ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝٥٩ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٦٠﴾

☆ **اللغة:**

﴿تَجۡـَٔرُونَ﴾ تتضرعون، والجؤار بوزن الزكام: رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة، قال الأعشى يصف راهباً:

يـراوحُ مـن صَلـواتِ المليـكِ　　طـوراً سجـوداً وطـوراً جـؤارا

والمراوحة في العمل: الانتقال من حالة إلى أخرى، ولا يفوتنك ما في هذا الوصف من دقة، وقبله:

ومـــا آبلـــيٌّ علـــى هَيْكَـــلٍ　　بَنَـــاهُ وصَلَّـــب فيـــه وَصَـــارا

والآبلي: الراهب، نسبة إلى آبل، وهو: قيم البيعة، وصلب: أي: صور الصليب، وفي القاموس: جأر كمنع جأراً وجؤاراً، بوزن غراب: رفع صوته بالدعاء، وتضرع، واستغاث، والبقرة والثور: صاحا، والنبت جأراً: طال، والأرض: طال نبتها.

﴿ظَلَّ﴾ ـ هنا ـ بمعنى صار، وليست على بابها، من كونها تدل على الإقامة نهاراً على الصفة المسندة إلى اسمها، وعلى التقديرين هي ناقصة ومصدرها الظلول، ويجوز إبقاؤها على معناها الأصلي، وهو اتصاف الشيء بصفة ما نهاراً فقط؛ لأن الأوضاع تتشابه في الليل، أي: يظل سحابة نهاره مغتماً، مربدّ الوجه من الكآبة والحياء من الناس.

﴿كَظِيمٌ﴾: مملوء حنقاً على الأنثى. وفي المصباح: كظمت الغيظ كظماً، من باب: ضرب، وكظوماً: أمسكت على ما في نفسك منه على صفح أو غيظ، وفي التنزيل: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ وربما قيل: كظمت على الغيظ، وكظمني الغيظ، فأنا كظيم ومكظوم، وكظم البعير كظوماً: لم يجتر.

﴿هُونٍ﴾: هوان وذل، قال اليزيدي: والهون الهوان بلغة قريش. وكذا حكاه أبو عبيد عن الكسائي، وحكى الكسائي أنه البلاء والمشقة، قالت الخنساء:

نُهِيُن النفوسَ وهَوْنُ النفو سِ يومَ الكريهةِ أبقى لها

○ الإعراب:

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ ما شرطية في محل رفع مبتدأ، وفعل الشرط محذوف، وبكم متعلقان بفعل الشرط المحذوف، ومن نعمة حال من اسم الشرط، واختار أبو البقاء أن تكون حالاً من الضمير في الجار، والفاء رابطة لجواب الشرط، ومن الله خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: فهو من الله، والجملة في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط المحذوف والجواب في محل رفع خبر ما، ويجوز أن تكون ما موصولة مبتدأ، والجار والمجرور صلتها، والخبر قوله «فمن الله» والفاء رابطة لتضمن الموصول معنى الشرط، والتقدير: والذي

استقر بكم، وسيأتي مزيد بحث عن حذف فعل الشرط والجواب في باب: الفوائد ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾ ثم حرف عطف، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب تجأرون، وجملة مسكم مضافة للظرف، ومسكم فعل ومفعول به مقدم، والضر فاعل مؤخر، والفاء رابطة، وإليه متعلقان بتجأرون، وتجأرون فعل مضارع وفاعل، وجملة «فإليه تجأرون» لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ ثم حرف عطف، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بما في إذا من معنى المفاجأة، ولا يجوز أن يكون العامل في إذا هو الجواب؛ لأنه لا يعمل ما بعد إذا الفجائية فيما قبلها، وجملة كشف مضافة، والضر مفعول به، وعنكم متعلقان بكشف، وإذا فجائية لا محل لها، وقد تقدم القول فيها، وفريق مبتدأ ساغ الابتداء به لأنه وصف بقوله منهم، وبربهم جار ومجرور متعلقان بيشركون، وجملة يشركون خبر فريق، ومن العجيب أن أبا البقاء تورط فقاس إذا الفجائية على إذا الشرطية، فقال: «فريق فاعل لفعل محذوف» وهذا طائح من أساسه ﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ ليكفروا: اللام لام التعليل، ويكفروا مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والجار والمجرور متعلقان بيشركون، أي: إشراكهم سببه كفرهم بربهم، ويجوز أن تكون اللام لام الصيرورة، أو العاقبة، أي: فعاقبة إشراكهم بالله غيره كفرهم بالنعمة؛ التي هي كشف الضر عنهم، فيكون متعلق ليكفروا بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، وبما متعلقان بيكفروا، وجملة آتيناهم صلة، فتمتعوا جملة معمولة لقول محذوف، أي: قل لهم يا محمد تمتعوا، فسوف تعلمون: الفاء الفصيحة، وسوف حرف استقبال، وتعلمون فعل وفاعل ومفعوله محذوف تقديره: عاقبة ذلك ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ﴾ عطفة على ما سبق، ويجعلون فعل مضارع وفاعل ولما متعلقان بيجعلون، وجملة لا يعلمون صلة لما، والضمير في يعلمون عائد على المشركين، والعائد محذوف يقدر بأنها تضر ولا تنفع، ولك أن تجعله عائداً على الأصنام المدلول عليها بما، أي: الأشياء غير موصوفة بالعلم لا تشعر أجعلوا

لها نصيباً في أنعامهم وزروعهم أم لا، ونصيباً مفعول يجعلون، ومما صفة لنصيباً، وجملة رزقناهم صلة ﴿ تَأَللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ التاء تاء القسم الجارة، ولفظ الجلالة مجرور بتاء القسم، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف تقديره: قسمي، واللام واقعة في جواب القسم، وتسألن فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال، والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل، والنون المشددة نون التوكيد الثقيلة، وقد تقدم لهذا الإعراب نظائر، وعما متعلقان بتسألن، وجملة كنتم صلة، وجملة تفترون خبر كنتم ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ ويجعلون عطف على ما تقدم، ولله متعلقان بيجعلون، والبنات مفعول يجعلون، وسبحانه منصوب على المصدرية بفعل محذوف، والجملة معترضة لكونه بتقدير الفعل، وقد وقعت في مطاوي الكلام؛ لأن قوله تعالى، ولهم ما يشتهون عطف على قوله: «لله البنات» على رأي الزمخشري والفراء، ولهم خبر مقدم، وما مبتدأ مؤخر، وجملة يشتهون صلة، وبعضهم أعرب ما في محل نصب فعل مقدر، وجملة «ولهم ما يشتهون» إما استئنافية، وإما حالية، ولك أن تعطف ما على البنات، ولهم على لله، فيكون من قبيل عطف المفردات، وهذا رأي الزمخشري والفراء، وتعقبهما أبو حيان فقال: وذهلوا عن قاعدة في النحو، وهي: أن الفعل إذا رفع ضميراً وجاء بعده ضمير منصوب، لا يجوز أن ينصبه الفعل إلا إن كان من باب ظن واخواتها من الأفعال القلبية، أو فقد وعدم، فيجوز: زيد ظنه قائماً، تريد: ظن نفسه، ولو قلت: زيد ضربه، فتجعل في ضرب ضمير رفع عائداً على زيد، ولو تعدى للضمير المنصوب لم يجز، والمجرور يجري مجرى المنصوب، فلو قلت: زيد غضب عليه، لم يجز، كما لم يجز: زيد ضربه، فلذلك امتنع أن يكون قوله: لهم متعلقاً بيجعلون

الواو حالية من ضمير يجعلون، أي: الواو، أي:
كيف يستسيغون نسبة البنات إليه تعالى، وهذه حالتهم، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة بشر أحدهم مضافة للظرف، وبالأنثى جار

ومجرور متعلقان ببشر، وجملة ظل لا محل لها، ووجهه اسم ظل، ومسوداً خبرها، والواو حالية أيضاً، وهو مبتدأ، وكظيم خبر، والجملة حال متداخلة، وليس المراد السواد الذي هو ضد البياض، بل المراد الكناية بالسواد عن التغير والانكسار بما يحصل من الغم، والعرب تقول لكل من لقي مكروهاً: قد اسود وجهه غماً وحزناً، قاله الزجاج. وقال الماوردي: بل المراد سواد اللون حقيقة، قال: وهو قول الجمهور، والأول أولى؛ فإن المعلوم بالوجدان أن من غضب وحزن واغتم لا يحصل في لونه إلا مجرد التغير، وظهور الكآبة والانكسار، لا السواد الحقيقي ﴿ يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ﴾ جملة يتوارى حالية من الضمير في كظيم، ومن القوم متعلقان به، ومن سوء متعلق به أيضاً، فالأولى للابتداء، والثانية للعلة، وما اسم موصول مضاف لسوء، وجملة بشر به صلة، أي: من الأنثى وسوئها حسب اعتقاداتهم أنها مستهدفة للغواية، ويخافون عليها من الزنى، ومن حيث كونها لا تكتسب ﴿ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ﴾ الهمزة للاستفهام، وجملة يمسكه الاستفهامية معمولة لشيء محذوف، هو حال من فاعل يتوارى، أي: يتوارى حائراً، متردداً، مترجحاً بين اليقين والشك، أيمسكه محتملاً الذل، أم يئده في الحياة، ويمسكه فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به، وعلى هون حال من الفاعل المستتر، أو من المفعول به، وأم حرف عطف، ويدسه عطف على يمسكه، وفي التراب متعلقان بيدسه، والتذكير في يمسكه ويدسه مع كونه عبارة عن الأنثى لرعاية اللفظ ﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ إلا حرف تنبيه، وساء فعل ماض لإنشاء الذم، وما نكرة منصوبة على التمييز، أو موصولة فاعل ساء، وجملة يحكمون صلة، ولك أن تجعلها مصدرية، والمصدر المؤول فاعل، أي: ساء حكمهم ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ للذين خبر مقدم، وجملة لا يؤمنون صلة، وبالآخرة متعلقان بيؤمنون، ومثل السوء مبتدأ مؤخر، ولله المثل الأعلى عطف على ما سبق، وهو مبتدأ، والعزيز خبر أول، والحكيم خبر ثان.

* الفوائـد :

حذف فعل الشرط وجوابه :

يجوز حذف ما علم ما شرط إن كانت الأداة «إن» مقرونة بلا النافية، كقول الأحوص يخاطب مطراً، وكان مطر دميم الخلقة، وتحته امرأة وسيمة :

فطلِّقْهـا فلسـتَ لهـا بكـفـءٍ　　وإلاَّ يعـلُ مفـرقـكَ الحُسَـامُ

فحذف فعل الشرط لدلالة قوله : فطلقها عليه، وأبقى جوابه، أي : وإن لا تطلقها يعلِ، ولهذه الشروط منع بعض المفسرين إعراب ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ شرطية، واكتفى بأن جعلها موصولة، ولكن نقل النحاة أن هذه الشروط ليست ملزمة، فقد يتخلف واحد من إن والاقتران بلا، وقد يتخلفان معاً، فالأول ما حكاه ابن الأنباري في «الإنصاف» عن العرب : من يسلم عليك فسلم عليه، ومن لا فلا تعبأ به، أي : ومن لا يسلم عليك فلا تعبأ به، قال الشاطبي : وهذا نص في الجواز، والثاني : نحو ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا﴾ فحذف الشرط مع انتفاء اقتران إن بلا، والثالث : كقوله :

متى تؤخذوا قَسْراً بظنَّة عامر　　ولم ينجُ إلا في الصّفادِ يزيد

أي : متى تثقفوا تؤخذوا، فحذف الشرط مع انتفاء الأمرين. ويجوز حذف ما علم من جواب شرط ماض نحو : ﴿ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ﴾ فإن استطعت شرط حذف جوابه لدلالة الكلام عليه، والتقدير : فافعل، والشرط الثاني وجوابه جواب للشرط الأول، والمعنى : إن استطعت منفذاً تحت الأرض تنفذ فيه فتطلع لهم بآية، أو سلماً تصعد به إلى السماء، فتنزل منها بآية فافعل، وسيأتي تفصيل ذلك في مواضعه.

وفيما يلي عبارة ابن هشام في «المغني» قال عند الكلام على ما الشرطية : وقد جوزت في : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ على أن الأصل : وما يكن، ثم حذف فعل الشرط كقوله :

إنِ العقلُ في أموالنا لا نضِقْ بها
ذِراعاً وإن صبراً فنصبر للصبرِ

أي: إن يكن العقل. وإن نحبس حبساً، والأرجح في الآية أنها موصولة، وأن الفاء داخلة على الخبر لا شرطية، والفاء داخلة على الجواب.

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ مُّفْرَطُونَ ﴾: اسم مفعول من أفرط، أي: أعجل. يقال: أفرطت فلاناً وفرطته في طلب الماء؛ إذا قدمته. وقيل: منسيون متروكون، من أفرطت فلاناً خلفي؛ إذا خلفته ونسيته. وفي المختار: وفرط القوم: سبقهم إلى الماء، فهو فارط، والجمع فراط بوزن: كتاب، وبابه: نصر، وأفرطه: تركه. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾ أي: متروكون في النار منسيون. وأفرط في الأمر: جاوز الحدّ فيه. وفي القاموس: وأفرط فلاناً: تركه، وتقدمه، وجاوز الحد، وأعجل بالأمر، وأنهم مفرطون: أي: منسيون متروكون في النار، أو مقدمون معجلون إليها. وفي الحديث: عن أنس عن النبي ﷺ قال: «إني فرطكم على الحوض، من مرّ عليّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يُحال بيني وبينهم». وقال القُطامي:

فاسْتَعْجَلُونا وكانُوا من صَحَابتِنا
كمـا تَعَجَّـلَ فُـرّاطٌ لِـوُرّادِ

○ الإعراب:

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ الواو استئنافية، ولو شرطية، ويؤاخذ الله الناس فعل مضارع وفاعل ومفعول به، وبظلمهم الباء حرف جر للسببية، أي: بسبب ظلمهم متعلقان بيؤاخذ، وجملة ما ترك لا محل لها، وترك فعل وفاعل مستتر، وعليها متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان صفة لدابة، ومن حرف جر زائد، ودابة مجرور لفظاً مفعول به محلاً، والضمير يعود على الأرض، وإن لم تذكر فقد دلّ عليها ذكر الناس، وذكر الدابة، فإن الجميع مستقرون على الأرض ﴿ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ الواو عاطفة، ولكن حرف استدراك مهمل لأنها مخففة، ويؤخرهم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به، وإلى أجل متعلقان بيؤخرهم، ومسمى صفة، أي: معين ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ الفاء عاطفة، أو استئنافية، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة جاء أجلهم مضافة للظرف، وجملة لا يستأخرون لا محل لها، وساعة ظرف متعلق بيستأخرون ولا يستقدمون، عطف على لا يستأخرون، وقد تقدمت الإشارة في آية مماثلة لها إلى معنى لا يستأخرون ولا يستقدمون ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ۚ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ ﴾ ويجعلون فعل مضارع وفاعل، ولله متعلقان بيجعلون، وما مفعول يجعلون، وجملة يكرهون صلة، وتصف ألسنتهم الكذب فعل مضارع وفاعل ومفعول به، وقد فسر الكذب بقوله: ﴿ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ ﴾ فأن وما في حيزها بدل من الكذب بدل الكل من الكل، ولهم خبر أن المقدم، والحسنى اسمها المؤخر ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾ تقدم القول في لا جرم، وأن وخبرها المقدم، واسمها المؤخر، وأنهم مفرطون عطف على أن لهم النار ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ التاء تاء القسم والجر، والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم المقدر، واللام

واقعة في جواب القسم، وقد حرف تحقيق، وأرسلنا فعل وفاعل، وإلى أمم متعلقان بأرسلنا، ومن قبلك صفة ﴿ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ الفاء عاطفة، وزين فعل ماض، ولهم متعلقان بزين، والشيطان فاعل، وأعمالهم مفعول به ﴿ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ الفاء عاطفة، وهو مبتدأ، ووليهم خبر، واليوم ظرف متعلق بمحذوف حال إذا أردت حكاية الحال الآتية، أو في الدنيا، أو متعلق بوليهم إذا أردت حكاية الحال الماضية التي كان الشيطان يزين لهم أعمالهم فيها، بمعنى ناصرهم ومعينهم، ولهم خبر مقدم، وعذاب مبتدأ مؤخر، وأليم صفة ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، وأنزلنا فعل وفاعل، وعليك متعلقان بأنزلنا، والكتاب مفعول به، وإلا أداة حصر، ولتبين لام التعليل ومدخولها متعلقة بأنزلنا على معنى التعليل، وإنما جر المفعول لأجله باللام لاختلاف فاعله مع فاعل الفعل، فإن المنزل هو الله، والمبين هو النبي ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ هدى ورحمة عطف على محل لتبين، وقد انتصبا نصب المفعول لأجله لاتحاد فاعلهما مع فاعل الفعل؛ لأن الهادي، والرحم هو الله كما هو المنزل، ولقوم صفة، أو متعلقان بالمصدر، وجملة يؤمنون صفة لقوم.

* الفوائد:

بحث مهم عن فاء التعقيب:

المعروف عن الفاء العاطفة أنها للعطف مع التعقيب، ولكنه ليس التعقيب الفوري، بل هي للتعقيب حسب ما يصح إما عقلاً، وإما عادة، ولهذا صح أن يقال: دخلت البصرة فبغداد، وإن كان بينهما زمان كثير، لكن يعقب دخول هذه دخول تلك على ما يمكن، بمعنى أنه لم يمكث بواسط مثلاً سنة، أو مدة طويلة، بل طوى المنازل بعد البصرة، ولم يقم بواحد منها إقامة يخرج بها عن حد السفر إلى أن دخل بغداد، هذا الذي يقوله أهل اللغة وأهل الأصول، وليست الفاء للفور الحقيقي الذي معناه حصول هذا بعد هذا بغير فصل ولا زمان، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ ﴾ فإن مجيء الأجل

متراخ عن التأخير، وسيأتي لهذا نظائر.

﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾: تقدم شرحها في سورة الأنعام، وقد ذكر سيبويه الأنعام في باب: ما لا ينصرف في الأسماء الواردة على أفعال، ولذلك رجع الضمير إليه مفرداً، وقد رجع الضمير إليها مؤنثاً في سورة المؤمنون؛ لأن معناها الجمع، ويجوز أن يقال: في الأنعام وجهان: أحدهما: أن يكون تكسير نعم، كأجبال في جبل، وأن يكون اسماً مفرداً مقتضياً لمعنى الجمع، فإذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله:

فـي كُـلِّ عـامٍ نَعَـمٌ تَحـوونَـهُ　　يُلْقِحُـهُ قَـوْمٌ وتنتِجـونَـهُ

وإذا أنث ففيه وجهان: أنه تكسير نعم، وأنه في معنى الجمع، ولسيبويه بحث طريف كما قلنا، فقد عدّ المفردات المبنية على أفعال كأخلاق وأمشاج، فيعامل بالتذكير تارة باعتبار لفظه، وبالتأنيث أخرى اعتباراً بمعناه، وقيل: هو جمع نعم، كأسباب وسبب.

وقال ابن يعيش: واعلم أن أبنية القلة أقرب إلى الواحد من أبنية الكثرة، ولذلك يجري عليها كثير من أحكام المفرد، ومن ذلك جواز تصغيره على لفظه

خلافاً للجمع الكثير، ومنها جواز وصف المفرد بها: غرب ثوب أسمال وبرمة أكسار، ومنها جواز عود الضمير إليها بلفظ الإفراد، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾.

(عبرة): عظة، أي: دلالة يعبر عليها من الجهل إلى العلم، فهي مصدر بمعنى العبور أطلق على ما يعبر به إلى العلم، مبالغة في كونه سبباً إلى العبور.

﴿فَرْثٍ﴾: الفرث: الروث والأشياء المأكولة المهضمة بعض الانهضام في الكرش.

قال الحريري في «درة الغواص»: ويقولون: فرث لما يخرج من الكرش، وهو وهم، لأنه إنما يسمى به ما دام فيها، فإذا خرج سمي سرجيناً.

ومن أمثال العرب فيمن يحفظ الحقير ويضع الجليل: وفلان يحفظ الفرث ويفسد الحرث وأجيب عن هذا بأن ذلك القول باعتبار ما كان، ومثله كثير مطرد.

﴿سَآئِغًا﴾: سهل المرور في الحلق، لا يغص به.

﴿سَكَرًا﴾: السَّكَر ـ بفتحتين ـ: الخمر، سميت بالمصدر من سكر سكراً وسُكْراً، نحو: رشد رَشَداً ورُشْداً، قال:

فجاؤونا بِهِمْ سَكَرٌ علينا فَأَجْلَى اليومُ والسَّكْرَانُ صَاحي

وفي القاموس والتاج: سكر يسكر، من باب: تعب، سكراً ـ بفتحتين ـ وسُكْراً ـ بضم فسكون ـ وسُكُراً ـ بضمتين ـ وسَكْراً ـ بفتح فسكون ـ وسَكَراناً ـ بفتحتين ـ من الشراب نقيض صحا، فهو سكر وسكران، وهي سكرة وسكرى وسكرانة، والجمع سكرى وسَكارى بفتح السين؟، وسُكارى بضمها. وجاء في غيره: في السكر أربعة أقوال: الأول: أنه في أسماء الخمر، والثاني: أنه مصدر في الأصل، ثم سمي به الخمر، والثالث: أنه اسم للخل بلغة الحبشة، والرابع: أنه اسم للعصير ما دام حلواً؛ كأنه سمي مجازاً لمآله لذلك لو ترك.

﴿ يَعْرِشُونَ ﴾: يبنون، وبابه: ضرب ونصر، كما في المختار، وفي القاموس: وعرش يعرش: بنى عريشاً، كأعرش، وعرَّش بالتثقيل.

○ الإعراب:

﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾ الله مبتدأ، وجملة أنزل خبر، ومن السماء متعلقان بأنزل، وماء مفعول به، فأحيا عطف على أنزل، وبه متعلقان بأحيا، والأرض مفعول، وبعد موتها الظرف متعلق بمحذوف حال ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ إن وخبرها المقدم، واللام المزحلقة، وآية اسم إن، ولقوم صفة لآية، وجملة يسمعون صفة لقوم ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ﴾ الواو عاطفة، وإن حرف مشبه بالفعل، ولكم خبرها المقدم، وفي الأنعام حال لأنه كان صفة لعبرة، واللام المزحلقة، وعبرة اسمها المؤخر ﴿ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ نسقيكم فعل وفاعل مستتر ومفعول به، ومما متعلقان بنسقيكم، وفي بطونه صلة ما، وجملة نسقيكم مفسرة لعبرة، أو خبر لمبتدأ محذوف، على حد قوله: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه. كأنه قيل: العبرة هي نسقيكم، ومن بين فرث ودم حال لأنه كان في الأصل صفة لقوله لبناً، وقدم عليه، ولك أن تجعله حالاً من ما التي قبله، ومعنى من الأولى للتبعيض؛ لأن اللبن بعض ما في بطونها، والثانية: ابتدائية؛ لأن بين الفرث والدم مكان الإسقاء الذي منه يبتدأ، ولبناً مفعول ثان لنسقيكم، وسائغاً صفة، وللشاربين متعلقان بسائغاً ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ ومن ثمرات النخيل خبر مقدم، وجملة تتخذون صفة لموصوف محذوف هو المبتدأ المؤخر، أي: ثمر كانوا يتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً؛ لأنهم كانوا يأكلون منه بعضاً، ويتخذون السكر من بعضه الآخر، ولك أن تعلقه بمحذوف دل عليه نسقيكم، أي: نسقيكم من عصير النخيل والأعناب، وعندئذ تكون جملة تتخذون حالاً. وقال أبو حيان: والظاهر تعلق من ثمرات بتتخذون، وكررت من للتوكيد، وكان الضمير مفرداً راعياً لمحذوف، أي: ومن عصير ثمرات، أو على معنى

الثمرات، وهو الثمر، وقيل: تتعلق بنسقيكم، فيكون معطوفاً على مما في بطونه، أو بنسقيكم محذوفة دل عليها نسقيكم المتقدمة، فيكون من عطف الجمل، والذي قبله من عطف المفردات إذا اشتركا في العامل، وقيل معطوف على الأنعام، أي: ومن ثمرات النخيل والأعناب عبرة، ثم بيّن العبرة بقوله: تتخذون. وقال الزمخشري: ويجوز أن يكون تتخذون صفة موصوف محذوف، كقوله: بكفّيْ كان من أرمى البشر. تقديره: ومن ثمرات النخيل والأعناب ثمر تتخذون منه. والضمير في منه يعود على العصير المقدر، والأول أضبط، وسكراً مفعول تتخذون، ورزقاً عطف على سكراً، وحسناً صفة، ولا يخفى ما يتولد عن العنب والتمر من خل وزبيب ودبس، وفي المختار: الدبس : ما يسيل من الرطب ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ إن وخبرها المقدم، واللام المزحلقة، وآية اسمها المؤخر، وجملة يعقلون صفة لقوم ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ الواو عاطفة على ما قبلها لتتساوق الدلائل على عجائب صنعته تعالى وبدائع قدرته، ولك أن تجعلها مستأنفة، مسوقة لما ذكر، وأوحى ربك فعل وفاعل، وإلى النحل متعلقان بأوحى، وأن هي المفسرة لأن في الإيحاء معنى القول دون حروفه، وهو الشرط المعقود لأن التفسيرية، ولك أن تجعلها مصدرية، وهي مع مدخولها نصب بنزع الخافض، والجار والمجرور متعلقان بأوحينا، أي: بأن اتخذي، وسيأتي مزيد بيان لذلك في باب: الفوائد، فتنبّه له. ومن الجبال متعلقان باتخذي، فمن للتبعيض لأنها لا تبني بيوتها في كل جبل وشجر وكل ما يعرش، وسيأتي مزيد بيان لذلك في باب البلاغة، وبيوتاً مفعول اتخذي، ومن الشجر عطف على من الجبال، وكذلك مما يعرشون ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ ثم حرف عطف للتراخي، والسرّ فيه أن سعيها لطلب الرزق بعد اتخاذها البيوت لسكناها لتطلب بعد ذلك الرزق في مظانه، وكلي فعل أمر وفاعل، ومن كل الثمرات متعلقان بكلي، فاسلكي الفاء عاطفة، واسلكي عطف على كلي، وسبل ربك مفعول به، وذللاً حال من السبل؛ لأن الله ذللها لها، ووطأ لها مهادها ومسالكها، أو من فاعل اسلكي، أي: وأنت

منقادة لما أمرت به، وهيئت له ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ في الكلام التفات من الخطاب إلى الغيبة، وسيأتي الكلام عنه في باب البلاغة، ويخرج فعل مضارع، ومن بطونها متعلقان بيخرج، وشراب فاعل يخرج، ومختلف صفة لشراب، وألوانه فاعل مختلف؛ لأنه اسم فاعل، وفيه خبر مقدم، وشفاء مبتدأ مؤخر، وللناس جار ومجرور متعلقان بشفاء، والجملة صفة ثانية لشراب ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ تقدم إعراب نظيرتها قريباً، فجدِّد به عهداً.

□ البلاغة:

(١) الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ﴾ إلى آخر الآية، التفات من الخطاب إلى الغيبة، ولو جاء الكلام على النسق الأول لقيل: من بطونك، وإنما صرف الكلام هاهنا من الخطاب إلى الغيبة لفائدة، وهي: أنه ذكر للبشر العسل وأوصافه وألوانه المختلفة، وأخبرهم أن فيه فوائد شتى لهم؛ ليلفت انتباههم إليه، ولو قال: من بطونك، لذهبت تلك الفائدة التي أنتجها خطاب الغيبة، وليس ذلك بخافٍ عن نقدة الكلام.

(٢) التنكير:

ونكر قوله: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ ﴾ ولم يقل: فيه الشفاء لكل الناس، فاندفع الاعتراض بأن كثيرين يأكلون العسل، ولا يشفون مما ألم بهم. فيلاحظ أن النكرة في سياق الإثبات لا تفيد العموم. وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي سعيد: أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! إن أخي استطلق بطنه، فقال: «اسقه عسلاً» فسقاه عسلاً، ثم جاء فقال: سقيته عسلاً فما زاد إلا استطلاقاً، قال «اذهب فاسقه عسلاً» فذهب فسقاه، ثم جاء فقال: ما زاده إلا استطلاقاً، فقال رسول الله ﷺ: «صدق الله، وكذب بطن أخيك، اذهب فاسقه عسلاً» فذهب فسقاه عسلاً فبرىء.

(٣) التنكيت:

في قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ وقد تقدمت الإشارة إليه، وهو هنا في قوله: «من الجبال» إذ معنى من هنا للتبعيض، ولم يقل في الجبال؛ لأنها لا تبني بيوتها في كل جبل، وفي كل شجر، وكل ما يعرش، فلم يترك لها الحرية في بناء البيوت، ولم يكل الأمر إلى شهواتها، كما وكله إليها في قوله: ﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ وإنما خولف ذلك، وحجر عليها في المسكن، ولم يحجر عليها في المأكل؛ لأن مصلحة الآكل حاصلة على الإطلاق لاستمراء مشتهاها منه، وأما البيوت فلا تحصل مصلحتها في كل موضع، ولهذا المعنى بالذات دخلت، ثم لتفاوت الأمر، وتباعده بين الحجر عليها في اتخاذ البيوت والإطلاق لها في تناول الثمرات.

* الفوائـد:

أن التفسيرية:

تقدم القول في «أن التفسيرية» وأنها الواقعة بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه، وقد وقعت هنا بعد الإيحاء لما فيه من معنى القول فما بعدها لا محل له من الإعراب. ومن طريف المناقشات أن أبا عبد الله الرازي، وهو الفخر المشهور، منع ذلك، وقال: إننا لا نسلم أنها مفسرة، كيف وقد انتفى شرط التفسير؟! لأن الوحي هنا إلهام باتفاق، وليس في الإلهام معنى القول. قال: وإنما هي مصدرية، أي: باتخاذ الجبال بيوتاً، ولكن الفخر الرزاي جنح به الخيال هذه المرة، فلم يقع على الصواب؛ إذ المقصود من القول الإعلام، والإلهام: فعل من أفعال الله يتضمن الإعلام، بحيث يكون الملهم عالماً بما ألهم به، وإلهام الله النحل من هذا القبيل.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟

بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿وَحَفَدَةً﴾: الحفدة: جمع حافد، وهو الذي يحفد، أي: يسرع في الطاعة والخدمة، قال:

حَفَدَ الولائدُ بينهنَّ وأسلمتْ	بأكُفِّهِنَّ أَزِمَّةَ الأجْمَالِ

وفي الصحاح: الحفدة: الأعوان والخدم أيضاً. وفي المختار: الحفد: السرعة، وبابه: ضرب، وحفداً أيضاً بفتح الفاء. ومنه قولهم في الدعاء: وإليك نسعى ونحفد، وأحفده: حمله على الحفد، وبعضهم يجعل أحفد لازماً، والحَفَد ـ بفتحتين ـ: الأعوان والخدم، وقيل: ولد الولد، واحدهم حافد. وفي القاموس والتاج: حفد يحفد، من باب: ضرب، حفْداً بسكون الفاء، وحفوداً وحفداناً، واحتفد في العمل: أسرع، وحفده: خدمه، وأحفد الظلم: أسرع، وأحفده: حمله على الحفد، أي: الإسراع. والحفيد: ولد الولد، وجمعه حُفَدَاء. والحافد: الخادم، والتابع، والناصر، وولد الولد، وجمعه حفدة وحفد. والحفدة أيضاً: صناع الوشي. وللمفسرين كلام طويل حول المراد بهم، واللفظ يحتمل الجميع؛ لاشتمال الحفدة على الكثير من المعاني كما تقدم.

○ **الإعراب:**

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ الله مبتدأ، وجملة خلقكم خبر، ثم حرف عطف للتراخي كما تقدم، ومنكم الواو حرف عطف، ومنكم خبر مقدم، وهو معطوف على مقدر، أي: فمنكم من يبقى

محتفظاً بقوة جسمه وعقله، ومنكم، ومن مبتدأ مؤخر، وجملة يرد صلة، ونائب الفاعل مستتر تقديره: هو، وإلى أرذل العمر متعلقان بيرد، وأرذل العمر هو الهرم؛ حيث تغور الأعين، وتضعف الحركات، وترتعش المفاصل، ويدب الوهن إلى جميع أنحاء الجسم، ويستولي الخرف عليه ﴿ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ اللام لام التعليل، وكي حرف مصدري ونصب، ولا نافية، ويعلم منصوب بكي، واللام ومدخولها متعلقة بيرد، ويجوز أن تكون اللام للصيرورة، أي: فكانت عاقبته أنه رجع إلى حال الطفولة في النسيان وعدم الإدراك، وبعد علم ظرف متعلق بيعلم، وشيئاً مفعول به ليعلم، ولك أن تجعل المسألة من باب التنازع، فتنصب شيئاً بالعلم، وهو مصدر، وإن واسمها، وعليم خبرها الأول، وقدير خبرها الثاني ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ﴾ الله مبتدأ، وجملة فضل خبر، وبعضكم مفعول به، وعلى بعض جار ومجرور متعلقان بفضل، وفي الرزق حال، أي: حالة كونكم مرزوقين، فمنكم غني، ومنكم فقير ﴿ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ ﴾ الفاء عاطفة، وما نافية حجازية، والذين اسمها، وجملة فضلوا صلة، والباء حرف جر زائد، ورادي مجرور لفظاً خبر ما محلاً، ورزقهم مضاف إليه من إضافة المصدر إلى مفعوله، وعلى ما متعلقان برادي، وملكت أيمانهم صلة ﴿ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ﴾ الفاء عاطفة للدلالة على أن التساوي مترتب على التراد، أي: لا يردون عليهم رداً مستتبعاً للتساوي، وإنما يردون عليهم شيئاً يسيراً، وهم مبتدأ، وفيه متعلقان بسواء، وسواء خبر هم، وسيأتي بحث هذا الإيجاز البليغ في باب البلاغة ﴿ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ استفهام إنكار وتوبيخ، والفاء عاطفة على مقدر، أي: يشركون به فيجحدون نعمته، وبنعمة الله متعلقان بيجحدون؛ لأنه متضمن معنى الكفران ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ الله مبتدأ، وجملة جعل خبر، ولكم متعلقان بجعل، ومن أنفسكم حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لأزواجاً، وأزواجاً مفعول جعل ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ عطف على ما تقدم، والإعراب مماثل لها ﴿ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ

﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ ورزقكم فعل ماض، وفاعل مستتر، ومفعول به، ومن الطيبات متعلقان برزقكم، والهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، والفاء عاطفة على مقدر، أي: يكفرون بالله فيؤمنون بالباطل، وبنعمة الله متعلقان بيكفرون، وهم مبتدأ، وجملة يكفرون خبر.

□ البلاغة:

الإيجاز:

في قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ إيجاز بليغ، وإشارة إلى أرفع النظم التي يتحتم على البشر سلوكها في دنياهم؛ لتستقيم أمورهم، وتزول أسباب العدواة والخصام من قلوبهم، وليسود السلام بينهم، فقد أخبر تعالى أنه جعلهم متفاوتين في الرزق، ولكن هذا التفاوت لا يعني تفضيلهم عليهم في الإنسانية، أو كأنه يشير إلى أن الواجب يحتم عليكم أن تردوا فضل ما رزقتموه عليهم، حتى تتساووا في الملابس والمطاعم. روي عن أبي ذر الغفاري أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إنما هم إخوانكم، فاكسوهم مما تلبسون، وأطعموهم مما تطعمون». ويزداد هذا المعنى رسوخاً بما تلاه من توبيخ لهم وتقريع؛ لأنهم فرقوا بين الناس، ومايزوا بين الطبقات. وفي قوله تعالى: ﴿إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ إيجاز آخر، إلى الهرم وما يستوجبه من حالات الضعف والخرف التي تدنو بالعاجز والهرم إلى عالم الطفولة الأول، مع الفارق البيِّن بين الأمل المترتب على الطفولة ومخايلها المبشرة بالفوز في المستقبل، والأمل بالحياة الراغد في الآتي، أما الآن فليس أمامه إلا مكابدة الحالات التي كان رسول الله ﷺ يتعوذ منها، وهي قوله: «اللهم إني أعوذ بك من البخل والكسل، وأرذل العمر، وعذاب القبر، وفتنة المحيا والممات».

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ

ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿أَبْكَمُ﴾ : الأبكم: الذي ولد أخرس، فهو أخص من مطلق الأخرس. وفي القاموس: البكم ـ محرك ـ الخرس كالبكامة، أو مع عيٍّ وبله، أو أن يولد ولا ينطق ولا يسمع ولا يبصر، وبكم كفرح فهو أبكم وبكيم، والجمع بكم، وبكم، ككرم، امتنع عن الكلام تعمداً. وروى ثعلب عن ابن الأعرابي: الأبكم: الذي لا يسمع ولا يبصر، وعلى هذا يتميز عن الأخرس بأنه لا يفهم ولا يُفهم، أما الأخرس فيفهم بالسماع أو بالإشارة، ويفهم بالإشارة.

﴿كَلٌّ﴾ : ثقيل على من يلي أمره ويعوله، وفي القاموس وغيره: مصدر كل يكل، من باب: تعب، كلاًّ وكلة وكلالاً وكلولاً وكَلالة وكلُولة: تعب وأعيا، والضعيف، والذي لا ولد له ولا والد، قفا السكين، أو السيف، والوكيل، والصنم، والمصيبة تحدث، والعيّل، والعيال، والثقل. ويطلق الكَلّ على الواحد وغيره، وبعضهم يجمع المذكر والمؤنث على كلول.

○ الإعراب:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الواو عاطفة، ويعبدون فعل مضارع وفاعل، ومن دون الله حال، وما مفعول به، وجملة لا يملك صلة، ورزقاً مفعول به، ومن السموات والأرض صفة لرزقاً، أو متعلقان برزقاً ﴿شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ شيئاً مفعول به لرزقاً إذا

أردت به المصدر، أو اسم المصدر، كقوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا . . .﴾، وإن أردت به المرزوق كان شيئاً بدلاً منه بمعنى قليلاً، وسيأتي في باب الفوائد تفصيل حول إعراب شيئاً لا بُدَّ من معرفته، ولا يستطيعون: يجوز في هذه الجملة العطف على صلة ما، والإخبار عنهم بعدم الاستطاعة باعتبار معناها؛ لأن ما هنا مفردة لفظاً جمع معنى، ويجوز أن تكون مستأنفة، وعلى كل حال: الواو عائدة على ما، والمراد بها آلهتهم ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ الفاء استئنافية، ولا ناهية، وتضربوا فعل مضارع مجزوم، والواو فاعل، ولله متعلقان بتضربوا، والأمثال مفعول به؛ لأن ضرب المثل تشبيه حال بحال، وذلك يتنافى مع الذات الإلهية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ إن واسمها، وجملة يعلم خبر، والجملة تعليلية، وأنتم الواو حالية، وأنتم مبتدأ، وجملة لا تعلمون خبر ﴿۞ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ جملة مستأنفة لتعليمهم كيف يضرب الله المثل، وضرب الله مثلاً فعل وفاعل ومفعول به، وعبداً بدل من مثلاً، ومملوكاً صفة، وجملة لا يقدر على شيء صفة ثانية، وعلى شيء متعلقان بيقدر، أي: من التصرفات ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ الواو عاطفة، ومن عطف على عبداً مملوكاً، ومن اسم موصول، أو نكرة موصوفة، كأنه قيل: وحراً رزقناه؛ ليطابق عبداً، وجملة رزقناه صلة على الأول، وصفة على الثاني، ونا فاعل، والها مفعول به، ومنا متعلقان برزقناه، ورزقاً مفعول به ثان إن أردت به الحال، أو مفعول مطلق إن أردت به المصدر، وحسناً صفة لرزقاً ﴿فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾ الفاء عاطفة، وهو متبدأ، وجملة ينفق خبر، ومنه متعلقان بينفق، وسراً وجهراً مصدران منصوبان على المفعولية المطلقة، أي: إنفاق سر وجهر، أو منصوبان على الحال، أي: مسراً ومجاهراً، وتقديم السر على الجهر مشعر بفضيلته عليه، وأن الثواب فيه أكثر، وهل حرف استفهام للنفي، وجمع الضمير في يستوون وإن تقدمه اثنان؛ لأن المراد جنس الأحرار والعبيد المدلول عليهما، والمعنى: لا يستوي الأحرار والعبيد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الحمد مبتدأ، ولله خبر، وبل حرف إضراب، وأكثرهم مبتدأ، وجملة

لا يعلمون خبر، وأتى بالجملة الإخبارية إرشاداً للعبد إلى وجوب شكر المنعم على ما أسبغ من العوارف والآلاء ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ ﴾ الواو عاطفة، وضرب الله مثلاً فعل وفاعل ومفعول به، ورجلين بدل من مثلاً ﴿ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ أحدهما مبتدأ، وأبكم خبره، وجملة لا يقدر على شيء صفة أبكم ﴿ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ ﴾ الواو حالية، وهو مبتدأ، وكل خبره، وعلى مولاه متعلقان بكل ﴿ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ﴾ أينما اسم شرط جازم في محل نصب على الظرفية المكانية، وهو متعلق بفعل الشرط هي القاعدة، وقيل بجوابه، ولكل وجه. وقال الرضي: العامل في متى وكل ظرف فيه معنى الشرط شرطه، على ما قاله الأكثرون. غير إذا، والصحيح: أن العامل فيها الجواب، ووجهه ابن الحاجب، فقال: إن الشرط والجزاء جملتان، ولا يستقيم عمل الجواب في اسم الشرط؛ لأنه يؤدي إلى أنه يصير جملة واحدة، لأنه إذا كان ظرفاً له كان من تتمته، ولا يكون جملة ثانية، أما إذا فالعامل فيها هو الجزاء ووجه ذلك قوة توهم الإضافة في إذا وضعفه في متى، وفصل بعضهم، فقال: والأولى أن نفصل ونقول: إن تضمن إذا معنى الشرط فحكمه حكم أخواته من متى ونحوه، وإن لم يتضمن نحو: إذا غربت الشمس جئتك، بمعنى: أجيئك وقت غروب الشمس، فالعامل هو الفعل الذي في محل الجزاء، وإن لم يكن جزاء في الحقيقة دون الذي في محل الشرط، إذ هو مخصص للظرف، وتخصيصه له إما لكونه صفة له، أو لكونه مضافاً إليه، ولا ثالث بالاستقراء. ويوجهه فعل الشرط، ولا نافية، ويأت جواب الشرط، وبخير متعلقان بيأت ﴿ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ هل حرف استفهام معناه النفي، ويستوي فعل مضارع، وهو تأكيد للفاعل المستتر، ومن عطف على الفاعل المستتر في يستوي، والشرط موجود، وهو العطف بالضمير المنفصل، وهو لفظ هو، وهو مبتدأ، وعلى صراط مستقيم خبره، والجملة الاسمية صلة من، وحذف مقابل أحدهما أبكم للدلالة عليه بقوله: ومن يأمر، أي: والآخر ناطق قادر خفيف على مولاه أينما يوجهه يأت بخير.

* الفوائد:

☆ الفرق بين المصدر واسم المصدر:

كثر الاختلاف في إعراب شيئاً، ولهذا كان لا بد من التبسُّط في إعمال المصدر، والفرق بينهما: أن المصدر هو الذي له فعل يجري عليه كالانطلاق في انطلق، واسم المصدر هو اسم المعنى، وليس له فعل يجري عليه كالقهقرى، فإنه لنوع من الرجوع، ولا فعل له يجري عليه من لفظه، وقد يقولون مصدر واسم مصدر في الشيئين المتغايرين لفظاً، أحدهما للفعل، والآخر للدلالة التي يستعمل بها الفعل، كالطَّهور والطُّهور، والأَكل والأُكل، فالطهور المصدر، والطهور اسم ما يتطهر به، والأكل المصدر، والأُكُل ما يؤكل.

ويعمل المصدر عمل فعله إن كان يحل محله فعل، إما مع أن المصدرية والزمان ماض، أو مستقبل نحو: عجبت من ضربك زيداً أمس، ونحو: يعجبني ضربك زيداً غداً، وإما مع ما المصدرية والزمان حال فقط كـ: يعجبني ضربك زيداً الآن، أي: ما تضربه الآن، وعمل المصدر مضافاً أكثر من عمله غير مضاف، نحو: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ وعمله منوناً هو القياس؛ لأنه أقرب إلى الشبه بالفعل لتنكيره، نحو: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا﴾ فإطعام مصدر، وفاعله مستتر، ويتيماً مفعوله، وعمله معرفاً بأل قليل في السَّماع ضعيف في القياس؛ لبعده من مشابهة الفعل، كقوله:

ضَعِيفُ النِّكَايَةِ أعداءَهُ ... يَخَالُ الفِرارَ يُراخِي الأَجَلْ

فالنكاية مصدر مقرون بأل، وأعداءه مفعوله، والمعنى: ضعيف نكايته أعداءه يظن أن الفرار من الموت يباعد الأجل.

أما اسم المصدر فيعمل أيضاً كالمصدر إذا كان ميمياً، كقول العرجي، وقيل: الحارث بن خالد المخزومي:

أَظَلُومُ إنَّ مُصَابَكُم رَجُلاً ... أَهْدَى السَّلامَ تَحِيَّةً ظُلْمُ

فمصاب مصدر ميمي مضاف إلى فاعله، ورجلاً مفعوله، وجملة أهدى السلام نعت رجلاً، وتحية مفعول مطلق، وستأتي قصة هذا البيت، وإن كان غير ميمي لم يعمل عند البصريين؛ لأن أصل وضعه لغير المصدر، فالغسل موضوع لما يغتسل به، والوضوء لما يتوضأ به، ويعمل عند الكوفيين وجماعة من البصريين، وعليه قول القُطامي:

أَكُفْـراً بعـد رَدِّ المـوتِ عنِّـي   وبعد عَطَائِكَ المئةَ الرِّتاعا

فعطاء اسم مصدر مضاف إلى فاعله والمئة مفعوله الثاني، أما الأول فهو محذوف، أي: عطائك إياي المئة الرتاع، أي: الراتعة، وهي: الإبل التي ترتعي، والواقع أن البصريين اضطربت أقوالهم، فقال بعضهم بالجواز، وقال بعضهم بالمنع.

قصة بيت العرجي:

غنت جارية بحضرة الواثق من شعر العرجي:

أَظَلُـومُ إنَّ مُصَـابَكُـمْ رَجُـلاً   أَهْـدَى السَّـلامَ تَحِيَّـةً ظُلْـمُ

فاختلف من بالحضرة في إعراب رجلاً، فمنهم من نصبه، وجعله اسم إن، ومنهم من رفعه على أنه خبرها، والجارية مصرة على أن شيخها أبا عثمان المازني لقنها إياه بالنصب، فأمر الواثق بإشخاصه، قال أبو عثمان: فلما مثلت بين يديه قال: ممن الرجل؟ قلت: من مازن، قال: من أي الموازن؟ قلت: من مازن ربيعة، فكلمني بكلام قومي، وقال: باأسمك؟ لأنهم يقلبون الميم باء والباء ميماً إذا كانت في أول الأسماء، فكرهت أن أجيبه على لغة قومي لئلا أواجهه بالمكر، فقلت: بكر يا أمير المؤمنين! ففطن لما قصدته، وأعجبه مني ذلك، ثم قال: ما تقول في قول الشاعر:

أَظَلُـومُ إنَّ مُصَـابَكُـمْ رَجُـلاً   أَهْـدَى السَّـلامَ تَحِيَّـة ظُلْـمُ

أترفع رجلاً أم تنصبه؟ فقلت: الوجه النصب، قال: ولم ذلك؟ فقلت: لأن مصابكم مصدر بمعنى إصابتكم، وهو بمنزلة قولك: إن ضربك زيداً

ظلم، فالرَّجل مفعول مصاب ومنصوب به، والدليل عليه أن الكلام متعلق إلى أن تقول ظلم، فيتم. فاستحسنه الواثق، وأمر له بألف دينار.

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ظَعْنِكُمْ ﴾: سفركم، يقال: ظعن يظعن من باب: فتح، ظْعناً وظعَناً وظعوناً ومظعناً: سار ورحل، قال:

أقاطِنٌ قوم سَلْمى أَمْ نَوَوْا ظَعَنا إنْ يَظْعَنُوا فَعَجِيبٌ عَيْشُ مَن قَطَنا

والقاعدة هي: كل ما كان بوزن فعل مما عينه حرف حلق يجوز تسكينه، كبحر، ونحر، ونهر، وشعر، وشهر. وقال ابن درستويه في «شرح الفصيح»: أهل اللغة وأكثر النحويين يقولون: كل ما كان الحرف الثاني منه حرف حلق جاز فيه التسكين والفتح، وقال الحذاق: ليس ذلك صحيحاً، ولكن هي كلمات فيها لغتان، فمن سكن من العرب لا يفتح، ومن فتح لا يسكن إلا في ضرورة شعر، والدليل على ذلك أنه قد جاء عنهم مثل ذلك في

كلام كثير، ليس في شيء منه من حروف الحلق شيء، مثل: القبض والقبض، فإنه جاء فيهما الفتح والإسكان. قال: ومما يدل على بطلان ما ذهبوا إليه أنه قد جاء في النطع أربع لغات، فلو كان ذلك من أجل حروف الحلق لجازت هذه الأربع في الشعر والنهر، وكل ما كان فيه شيء من حروف الحلق، قال: ومما جاء فيه الوجهان مما ثانيه حرف حلق: الشعر والشعر، والنهر والنهر، والصخر والصخر، والبعر والبعر، والظعن والظعن، والدأب والدأب، والفحم والفحم، والسحر والسحر للرئة، ومما جاء فيه الوجهان، وليس ثانيه حرف حلق نشز من الأرض، ونشز: مرتفع، ورجل صدع وصدع: خفيف اللحم، وليلة النفر والنفر، وسطر وسطر، وقدر وقدر، ولفظ ولفظ، وشمع وشمع، ونطع ونطع، وغذل وغذل، وطرد وطرد، وغبن وغبن، ودرك ودرك، وشبح وشبح: للشخص، وهو صريح في أن طريق ذلك السماع.

﴿أَثَٰثًا﴾: الأثاث: متاع البيت الكبير، وأصله من أث، أي: تكاثف وكثر، ومنه: شعر أثيث، أي: كثير مجتمع، قال امرؤ القيس:

وَفَرْعٍ يَزِينُ المَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ أَثِيثٍ كَقِنْوِ النَّخْلةِ المُتَعَثْكِلِ

وقال الخليل: الأثاث والمتاع واحد، وجمع بينهما لاختلاف لفظيهما، فإن قلت: لا بد من فرق بين الأثاث والمتاع حتى يصح ذكر واو العطف، والعطف يوجب المغايرة، فما هو هذا الفرق؟ قلت: الأثاث: ما كثر من آلات البيت وحوائجه، فيدخل فيه جميع أصناف المال، والمتاع: ما ينتفع به في البيت خاصة، فظهر الفرق بين اللفظين.

﴿أَكْنَٰنًا﴾: جمع كن، وهو: ما يستكن فيه من البيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف. وفي المختار: الكنّ: السترة، والجمع أكنان، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ والأكنة: الأغطية، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ الواحد: كنان، وقال الكسائي: كنّ الشيء: ستره، وبابه: رد. وقد تقدَّم ذكر الأكنة.

﴿ سَرَابِيلَ﴾ هي القمصان والثياب المتخذة من الصوف والكتان والقطن، ومنه قول لبيد:

الحمدُ لله إذ لم يأتني أَجَلِي حتَّى اكتسيتُ من الإسلام سِرْبالا

○ الإعـراب:

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ الواو استئنافية، والله: خبر مقدم، وغيب السموات والأرض مبتدأ مؤخر، والواو عاطفة، وما نافية، وأمر مبتدأ، والساعة مضاف إليه، وإلا أداة حصر، وكلمح البصر خبره، وأو حرف عطف، وهو مبتدأ، وأقرب خبره ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ إن واسمها، وعلى كل شيء متعلقان بقدير، وقدير خبر إن ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ الله مبتدأ، وجملة أخرجكم خبر، ومن بطون أمهاتكم جار ومجرور متعلقان بأخرجكم ﴿ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ الجملة في محل نصب على الحال من الكاف، أي: غير عالمين شيئاً، وشيئاً مفعول به ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ وجعل عطف على أخرجكم، والفاعل مستتر تقديره: هو، ولكم في موضع المفعول الثاني لجعل، والسمع مفعوله الأول، والأبصار والأفئدة عطف عليه، ولعل واسمها، وجملة تشكرون خبرها ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويروا فعل مضارع مجزوم بلم، والواو فاعل، وإلى الطير متعلقان بيروا، ومسخرات حال، أي: مذللة للطيران بما خلق لها من أجنحة وأسباب مواتية له، وفي جو السماء متعلقان بمسخرات، أي: للتحليق في سمت العلو وسكاكه ﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ الجملة حالية، وما نافية، ويمسكهن فعل، وفاعل مستتر، ومفعول به، وإلا أداة حصر، والله فاعل ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ إن وخبرها المقدم، واللام المزحلقة، وآيات اسمها المؤخر، ولقوم صفة لآيات، وجملة يؤمنون صفة لقوم ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾ والله مبتدأ، وجملة جعل خبر مفعوله الأول سكناً،

ومفعوله الثاني أحد الجارين، والثاني حال، لأنه كان صفة لسكناً، وتقدم عليه، وإذا كانت جعل بمعنى خلق تعلق أحد الجارين به، واكتفى بمفعول واحد، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَـٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ﴾ وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تقدم إعراب نظيرتها، والمراد بالبيوت هنا القباب والأبنية من الأدم والأنطاع كالخيام وغيرها، وجملة تستخفونها صفة لبيوتاً، ويوم ظعنكم الظرف متعلق بتستخفونها، ويوم إقامتكم عطف على يوم ظعنكم ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَـٰثًا وَمَتَـٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾ ومن أصوافها عطف على من جلود الأنعام، وأثاثاً معطوف على بيوتاً، أي: وجعل لكم من أصوافها أثاثاً، فيكون من باب: عطف الجار والمجرور، والمنصوب على مثله، ومتاعاً عطف على أثاثاً، وإلى حين متعلقان بمتاعاً، أو صفة له ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَـٰلًا ﴾ تقدم إعرابها ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَـٰنًا ﴾ تقدم إعرابها أيضاً ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ جملة تقيكم الحر صفة لسرابيل، وحذف المعطوف للعلم به، أي: والبرد ﴿ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾ وسرابيل عطف على سرابيل الأولى، وجملة تقيكم صفة، وتقيكم فعل مضارع، وفاعل مستتر، والكاف مفعوله الأول، وبأسكم مفعوله الثاني، والمراد بها الدروع والجواشن ﴿ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ كذلك نعت مصدر محذوف، وقد تقدم كثيراً، ويتم نعمته فعل وفاعل مستتر ومفعول به، ولعل واسمها، وجملة تسلمون خبرها ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ الفاء استئنافية، وإن شرطية، وتولوا فعل الشرط، وأصله: تتولوا، فحذفت إحدى التاءين، ويجوز أن يكون فعلاً ماضياً، والكلام فيه التفات، ولعله أولى، وجواب إن محذوف، أي: فلا غضاضة عليك، والفاء تعليلية، وإنما أداة حصر كافة ومكفوفة، وعليك البلاغ خبر مقدم، ومبتدأ مؤخر، والمبين صفة.

□ **البلاغة:**

معنى التشبيه هنا التمثيل، أي: إن الساعة لما كانت آتية ولا بد، جعلت من القرب بمثابة لمح البصر، واللمح: النظر بسرعة، ولا بد فيه من زمان تنقلب فيه الحدقة نحو المرئي، وكل زمان قابل للتجزئة، وقال الزجاج: لم يرد أن الساعة تأتي في لمح البصر، وإنما وصف سرعة القدرة على الإتيان بها؛ لأنه يقول للشيء كن فيكون. وقيل: المعنى هي عند الله كذلك، وإن لم تكن عند المخلوقين بهذه الصفة.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿يُسْتَعْتَبُونَ﴾: يسترضون، وقد اختلفت عبارات المفسرين فيها، فلنرجع إلى كتب اللغة. قال في المختار: عتب عليه: وجد، وبابه: ضرب ونصر، ومعتباً أيضاً بفتح التاء، والتعتب كالعتب، والاسم المعتبة بفتح التاء وكسرها. وقال الخليل: العتاب: مخاطبة الإدلال، ومذاكرة الموجدة، وعاتبه معاتبة وعتاباً وأعتبه: سرَّه بعد ما أساءه، والاسم منه العتبى، واستعتب وأعتب بمعنى. واستعتب أيضاً: طلب أن يعتب، تقول: استعتبه فأعتبه، أي: استرضاه فأرضاه. وفي الأساس: واستعتبه: استرضاه. وما بعد الموت مُسْتَعْتَب. وبينهم أُعتوبة إذا كانوا يتعاتبون. تقول: سمعت منها أُعْتوبة، لم تكن إلا أُعجوبة. وعتابك السّيف. وعاتبتُ المشيبَ، قال النابغة:

على حين عاتبتُ المشيبَ على الصِّبا
وقلتُ: ألمَّا أَصْحُ والشَّيْبُ وَازِعُ

أي: قلت للشيب: ما أقبح بك أن تصبو ـ وعلى: من صلة عاتبت، كما تقول: عاتبتُه على الذنب.

﴿نَبْعَثُ﴾: نرسل، وفي القاموس وغيره: بعثه يبعثه، من باب: فتح، بعثاً وتبعاثاً: أرسله وحده، وبعث به: أرسله مع غيره، وبذلك يتضح صواب أبي الطيب المتنبي في قوله:

فَآجَرَكَ الإلهُ على عَلِيلٍ بعَثْتَ إلى المسيحِ به طَبِيبا

وقد أخطأ الصاحب في نقده لهذا البيت لأنه عدى بعث بالباء؛ بحجة أن بعث يتعدى إلى العاقل بنفسه، وإلى غير العاقل بالباء، وقد صرفه تحامله على أبي الطيب عن التأمل في قصة البيت، فقد ذكر الواحدي في كتابه: قال: سمعت الشيخ كريم بن الفضل، قال: سمعت والدي أبا بشر قاضي القضاة، قال: أنشدني أبو الحسين الشامي الملقب بالمشوق، قال: كنت عند المتنبي فجاء وكيل علي بن محمد بن سيار بن مكرم، وكان يحب الرمي، فلما دخل عليه أنشده أبياتاً سخيفة، فنظم المتنبي قصيدته الرائعة في مديح علي بن مكرم، والتي مطلعها:

ضُرُوبُ النَّاسِ عُشَّاقٌ ضُرُوبا فَأَعْذَرُهُمْ أَشَفُّهُمْ حَبِيبا

وفيها يصف نفسه بأبيات ما لحسنها نهاية، نثبتها فيما يلي:

أَعَزْمِي طالَ هذا اللَّيْلُ فَانْظُرْ أَمِنْكَ الصُّبْحُ يَفْرَقُ أن يَؤُوبا
كأَنَّ الفَجْرَ حِبٌّ مُسْتَزَارٌ يُرَاعِي مِنْ دُجُنَّتِهِ رَقِيبا
كأَنَّ نُجُومَهُ حَلْيٌ عليه وقد حُذِيَتْ قوائِمُه الْجَبُوبا
كأنَّ الجوَّ قَاسَى ما أُقاسِي فصار سَوَادُهُ فيه شُحُوبا
كأَنَّ دُجَاهُ يَجْذِبُها سُهَادي فليسَ تَغِيبُ إلاَّ أَنْ يَغيبا
أُقَلِّبُ فيه أَجْفَاني كأَنِّي أَعُدُّ به على الدَّهْرِ الذُّنُوبا
وما لَيْلٌ بأطولَ مَن نَهَارٍ يَظَلُّ بِلَحْظِ حُسَّادي مَشُوبا

وما مَوْتٌ بِأَبْغَضَ مِن حَيَاةٍ أَرَىٰ لَهُـمُ معـي فِيهـا نَصِيبـا

ثم يتطرق إلى مديح علي بن مكرم، ويشير إلى قصة وكيله الشاعر السخيف:

تَـيَـمَّمَنِـي وَكِيلُـكَ مـادِحـاً لي وأَنْشَـدَني مـن الشِّعـر الغَـريبـا

فَـآجَـرَكَ الإِلـهُ على عَلِيـلٍ بَعَثْـتَ إلى المسيـحِ بـه طَبِيبـا

وعبر عنه بما لا يعقل؛ لأنه عدى البعث بحرف الجر، أو أنه من جملة الهدايا التي بعث بها إليه، ولكنها هدية منكرة إذ يقول:

ولسـتُ بِمُنْكِـرٍ منكَ الهَـدَايـا ولكِـنْ زِدْتَنِـي فِيهـا أَدِيبـا

أما أبيات الوكيل فهي تافهة غير مستقيمة الوزن؛ ولهذا أعرضنا عنها.

○ الإعـراب:

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ يعرفون نعمة الله: يعرفون فعل مضارع، والواو فاعل، ونعمة الله مفعول به، وثم حرف عطف للتراخي، ينكرونها عطف على يعرفون، وعطف بثم للدلالة على أن إنكارهم أمر مستبعد بعد توفر دلائل المعرفة، وأكثرهم: الواو للحال، وأكثرهم مبتدأ، والكافرون خبره، أو بالعكس، أي: أنهم كانوا يعرفون وينحرفون ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ الظرف متعلق بمحذوف، أي: اذكر، وجملة نبعث مضاف إليها الظرف، ومن كل أمة حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لشهيداً، وشهيداً مفعول به ﴿ ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ ثم حرف عطف للتراخي، ولا نافية، ويؤذن فعل مضارع مبني للمجهول، وللذين متعلقان به، وقد اختلفت الآراء في هذا الإذن، وأصحها أنه لا يؤذن لهم في الاعتذار، لا سيما وأن لها مثيلاً في القرآن، وهو قوله: ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ ولا الواو عاطفة، ولا نافية، وهم مبتدأ، وجملة يستعتبون خبر، وإنما عطف بثم لطول المدة التي كانت مغبتها منعهم من الكلام ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ الواو عاطفة، وإذا ظرف مستقبل

متضمن معنى الشرط، وجملة رأى مضافة إلى الظرف، والذين فاعل رأى، وجملة ظلموا صلة، والعذاب مفعول به، والفاء رابطة لجواب إذا ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ الفاء رابطة لجواب إذا، ولا نافية، ويخفف فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر، أي: العذاب، ولا عاطفة، وهم مبتدأ، وجملة ينظرون خبر ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ﴾ تقدم نظيرتها، وشركاءهم مفعول رأى ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ﴾ جملة قالوا لا محل لها؛ لأنها جواب إذا، وربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء، وهؤلاء مبتدأ، وشركاؤنا خبر، والذين صفة شركاؤنا، وجملة كنا صلة، وكان واسمها، وجملة ندعو خبر كنا، ومن دونك حال من مفعول ندعو المحذوف، أي: ندعوهم ونعبدهم من دونك.

﴿فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ الفاء عاطفة، وألقوا فعل وفاعل، وهو الشركاء، وإليهم متعلقان بألقوا، والقول مفعول به، وإنكم لكاذبون: إن واسمها، واللام المزحلقة وخبرها، والجملة مقول القول.

﴿وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾ الواو عاطفة، وألقوا فعل وفاعل، وهو

الكفار، وإلى الله جار ومجرور متعلقان بألقوا، ويومئذ ظرف أضيف إلى ظرف مثله، والتنوين عوضاً عن جملة، وقد مرّ مثاله كثيراً، والسلم مفعول به ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ الواو عاطفة، وضل فعل ماض، وعنهم متعلقان به، وما فاعل ضل، وجملة كانوا صلة، وكان واسمها، وجملة يفترون خبر كانوا ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ الذين مبتدأ، خبره جملة زدناهم، وجملة كفروا صلة، وصدوا عن سبيل الله عطف على كفروا، وزدناهم فعل وفاعل ومفعول به، وعذاباً مفعول به ثان، وفوق العذاب ظرف متعلق بمحذوف صفة لعذاباً، وبما متعلقان بزدناهم، والباء للسببية، وما مصدرية، أي: بسبب صدهم وإفسادهم، وكان واسمها، وجملة يفسدون خبرها ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ الظرف متعلق بمحذوف تقديره: اذكر، وقد تكررت هذه الجملة مبالغة في التهديد والوعيد، وجملة نبعث مضافة للظرف، وفي كل أمة متعلقان بنبعث، وشهيداً مفعول به، وعليهم متعلقان بشهيداً، ومن أنفسهم صفة لشهيداً ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ وجئنا الواو عاطفة، وجئنا فعل وفاعل، وبك جار ومجرور متعلقان بجئنا، وشهيداً حال، وعلى هؤلاء متعلقان بشهيداً ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ونزلنا عطف على جئنا، ونا فاعل، وعليك متعلقان بنزلنا، والكتاب: مفعول به، وتبياناً: مفعول لأجله، أو حال، أي: مبيّناً، ولكل شيء: متعلقان بتبياناً، وهدى ورحمة وبشرى عطف على تبياناً، وللمسلمين متعلقان ببشرى، وهو متعلق بالمصادر الأخرى المتقدمة من حيث المعنى ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ إن واسمها، وجملة يأمر خبر إن، وبالعدل متعلقان بيأمر، والإحسان عطف على العدل، وكذلك إيتاء، وذي القربى مضاف لإيتاء ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ وينهى عطف على يأمر، والفاعل مستتر، وعن الفحشاء متعلقان بينهى، وما بعده عطف عليه، وجملة

يعظكم حال من فاعل يأمر وينهى، ولعل واسمها، وجملة تذكرون، أي: تتذكرون خبرها.

□ البلاغة:

اتفق علماء البلاغة والمفسرون جميعاً على أن هذه الآية أجمع آية في القرآن للخير والشر، وهي قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾... الخ وقد أمر عمر بن عبد العزيز الخليفة الصالح بتلاوتها بدلاً من القذف الذي كان يعقب خطب الجمعة بالإمام علي بن أبي طالب، وبسببها أسلم عثمان بن مظعون. وروي أن النبي ﷺ قرأها على الوليد بن المغيرة فقال له: يا بن أخي! أعد فأعاد النبي ﷺ قراءتها عليه، فقال له: إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وما هو بقول البشر.

وقد اشتملت في الواقع على أفانين من البلاغة نبينها فيما يلي:

(١) الإيجاز: فقد أمر في أول الآية بكل معروف، ونهى بعد ذلك عن كل منكر، وختم الآية بأبلغ العظات، وصاغ ذلك في أوجز العبارات.

(٢) صحة التقسيم: فقد استوفى فيها جميع أقسام المعنى، فلم يبق معروف إلا وهو داخل في نطاق الأمر، ولم يبق منكر إلا وهو داخل في حيز النهي، وقدم ذكر العدل؛ لأنه واجب، وتلاه بالإحسان؛ لأنه مندوب، ليقع نظم الكلام على أحسن ترتيب، وقرنهما في الأمر؛ لأن الفرض لا يخلو من خلل وتفريط يجبره الندب والنوافل، وخص ذا القربى بالذكر بعد دخوله في عموم من أمر بمعاملته بالعدل والإحسان لبيان فضل ذي القربى، وفضل الثواب عليه.

(٣) الطباق اللفظي والمقابلة بين يأمر وينهى، وبين العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وبين الفحشاء والمنكر والبغي.

(٤) حسن النسق: في ترتيب الجمل، وعطفها بعضها على بعض كما ينبغي، حيث قدم العدل وعطف عليه الإحسان؛ لكون الإحسان اسماً عاماً،

وإيتاء ذي القربى خاص، فكأنه نوع من ذلك الجنس، ثم أتى بجملة الأمر مقدمة، وعطف عليها جملة النهي.

(٥) التسهيم: لأن صدر الكلام يدل على عجزه، كدلالة صدر البيت المسهم على عجزه.

(٦) حسن البيان: لأن لفظ الآية لا يتوقف من سمعه في فهم معناه؛ إذ سلم من التعقيد في لفظه، ودل على معناه دلالة واضحة بأقرب الطرق وأسهلها، واستوى في فهمه الذكي والغبي.

(٧) الائتلاف: لأن كل لفظة لا يصلح مكانها غيرها.

(٨) المساواة: لأن ألفاظ الكلام قوالب لمعانيه، لا تفضل عنها، ولا تقصر دونها.

(٩) تمكين الفاصلة: لأن مقطع الآية مستقر في حيزه ثابت في مقره وقراره، معناه متعلق بما قبله إلى أول الكلام، ولأنه لا تحسن الموعظة إلا بعد التكليف ببيان الأمر والنهي، ولأن أي لفظة حذفتها من ألفاظ الآية يختل المعنى بحذفها اختلالاً ظاهراً، وينقص نقصاً بيّناً.

﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿تَوْكِيدِهَا﴾: توثيقها، والتوكيد مصدر وكد يوكد بالواو، وفيه لغة

أخرى: أكد يؤكد بالهمز، ومعناه التقوية، وهذا كقولهم: ورخت الكتاب وأرخته، وليست الهمزة بدلاً من واو كما زعم بعضهم؛ لأن الاستعمالين في المادتين متساويان، فليس ادعاء كون أحدهما أصلاً أولى من الآخر.

﴿أَنكَـٰثًا﴾: جمع نِكث ـ بكسر النون ـ وهو ما ينكث فتله، وفي المصباح: نكث الرجل العهد نكثاً، من باب: قتل، نقضه ونبذه فانتكث، مثل نقضه فانتقض، ونكث الكساء وغيره نقضه أيضاً، والنكث بالكسر: ما نقض ليغزل ثانية، والجمع أنكاث، مثل حمل وأحمال. وفي القاموس: النكث ـ بالكسر ـ: ما نقض من الأكسية والأخبية ليغزل ثانية، وجمعه أنكاث، يقال: حبل نكث وأنكاث، أي: منكوث.

﴿دَخَلًا﴾: مفسدة ودغلاً، وفي الصحاح: الدغل ـ بالتحريك ـ: الفساد، مثل الدخل. وفي المعاجم: الدخل: العيب. وفي القاموس والتاج: الدخل ـ بفتحتين ـ: ما داخل الإنسان من فساد في العقل أو الجسم، والخديعة، والعيب في الحسب، والقوم الذين ينسبون إلى من ليسوا منهم. ومن غريب أمر الدال والخاء أنهما لا تجتمعان إلا دلتا على فساد أو ظلام، فالدَّخ والدُّخ ـ بفتح الدال وضمها ـ: الدخان، وناهيك بظلمته واربداده. قالت امرأة أعرابية لزوجها، وكان قد كبر:

لا خيَـــر في الشَّيـــخِ إذا مـــا اجْلَخَّـــا
وســـالَ غَـــرْبُ عينِـــه فـــاطْلَخَّـــا
وكـــان أكـــلاً قـــاعـــداً وشخَّـــا
تحـــتَ رِوَاقِ البيـــتِ يَغْشَـــى الـــدُّخَّـــا
وانْثَنَـــتِ الـــرِّجْـــلُ فصـــارتْ فَخَّـــا
وصـــار وَصْـــلُ الغـــانيـــاتِ أَخَّـــا

ودخر: ذل وصغر، وأدخره: أذله، ودخس الحافر بكسر الخاء: أصابه داء الدخْس بسكون الخاء، وهو ورم في الحافر. والدخس بضم الدال وسكون الخاء: دابة في البحر، والدخيس: الملتف من الكلأ، وإذا التف فقد قارب

السواد، والعدد الكثير، واللحم المكتنز، وتداخلت الأمور: التبست وتشابهت، والدخل بفتح الدال وسكون الخاء: ما دخل عليك من مالك، ويقابله الخرج، وهو مفسدة لصاحبه ما لم يؤدّ زكاته وما يترتب عليه، ومنه سميت ضريبة الدخل، ودخلة الرجل بتثليث الدال داخلته، وهي محتجبة بظلمة الخفاء، والدخيل: من دخل في قوم، وانتسب إليهم، وليس منه، فهو في لبس من أمره، وقلما يكون صالحاً، وداء دخيل، أي: داخل في أعماق البدن، وكل كلمة أعجمية أدخلت في كلام العرب، ودخمه: دفعه بإزعاج، ودخن الطعام واللحم وغيرهما: أصابه الدخان في حال طبخه، أو شيّه، فتغلبت رائحة الدخان على طعمه، فهو دخن. والدخن بفتحتين: الحقد، والفساد، وتغير العقل والدين والحسب، يقال: لست أصالحه على دخن. أي: على مكر وفساد. والدخي بفتح الدال المشددة: الظلمة، وليلة دخياء: مظلمة، وهذا من عجائب اللغات:

﴿أَرْبَىٰ﴾: أزيد عدداً، وأوفر مالاً.

○ الإعراب:

﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ الواو عاطفة، وأوفوا فعل أمر وفاعل، وبعهد الله جار ومجرور متعلقان بأوفوا، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة عاهدتم مضاف إليها الظرف ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتنقضوا مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل، والأيمان مفعول به، وبعد ظرف متعلق بتنقضوا، وتوكيدها مضاف إليه، والواو حالية، والجملة حال من فاعل تنقضوا، وقد حرف تحقيق، وجعلتم الله فعل وفاعل ومفعول به، وعليكم متعلقان بكفيلاً، وكفيلاً مفعول به ثان لجعلتم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ تقدم إعراب مثيلتها كثيراً ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتكونوا مجزوم بها، وكان واسمها، والكاف خبرها، وجملة نقضت صلة، وغزلها مفعول به، ومن بعد

قوة حال من فاعل نقضت، أو من مفعوله، أي: محكمة له أو محكماً، وأنكاثاً منصوب بفعل محذوف، أي: فجعلته أنكاثاً، أو بتضمين نقضت معنى صيرت، فهو مفعول ثان، وجوّز الزجاج فيه وجهاً آخر وهو النصب على المصدرية؛ لأن معنى نقضت نكثت، فهو مطابق لعامله في المعنى، وقيل: هو حال من غزلها، أي: منقوضاً، وستأتي قصة هذه المرأة في باب: الفوائد ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ جملة تتخذون حال من ضمير تكونوا، أي: لا تكونوا مثلها متخذين أيمانكم دخلاً، وتتخذون فعل مضارع وفاعل، وأيمانكم مفعول به أول، ودخلاً مفعول به ثان، وبينكم صفة لدخلاً، وأن وما في حيزها مصدر في محل نصب مفعول لأجله، أي: مخافة أن تكون، وأمة اسم تكون، وهي مبتدأ، وأربى خبر، والجملة خبر تكون، ومن أمة جار ومجرور متعلقان بأربى، كانوا يحالفون الحلفاء، ويقطعون العهود والمواثيق، فإذا وجدوا أكثر منهم، وأعز جانباً، نقضوا حلف أولئك، وحالفوا هؤلاء ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ إنما كافة ومكفوفة، وهي للحصر، ويبلوكم الله: فعل، ومفعول مقدم، وفاعل مؤخر، وبه متعلقان بيبلوكم، وليبيننّ: الواو عاطفة، واللام موطئة للقسم، ويبيننّ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة وجوباً، ولكم متعلقان يبيننَّ، ويوم القيامة ظرف متعلقان بمحذوف حال وما مفعول به، وكنتم صلة، وهي كان واسمها، وفيه جار ومجرور متعلقان بتختلفون، وجملة تختلفون خبر كنتم ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ الواو عاطفة، ولو شرطية، وشاء الله فعل وفاعل، واللام واقعة في جواب لو، وجعلكم فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول، وأمة مفعول به ثان، وواحدة صفة ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ الواو حالية، ولكن حرف استدراك مهملة لأنها خففت، ويضل فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: هو، ومن مفعول به، ويشاء صلة، ويهدي من يشاء عطف على ما تقدم ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الواو عاطفة، واللام موطئة للقسم، وتسألن فعل مضارع معرب؛ لأن النون لم

تباشره، فهو مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال، والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين نائب فاعل، والنون المشددة هي نون التوكيد الثقيلة، وعما متعلقان بتسألن، وجملة كنتم تعملون خبر كنتم.

* الفوائـد:

روىَ التاريخُ أن امرأة حمقاء اسمها ريطة بنت سعد بن تميم من مكة، اتخذت مغزلاً قدر ذراع، وصنارة مثل إصبع، وفلكة عظيمة على قدرها، فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر، ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن، فالكلام تشبيه تمثيلي مرسل، والمشبه به معين.

﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾

○ الإعـراب:

﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ ﴾ كرره تأكيداً مع التصريح بالنهي عنه مبالغة في قبحه ﴿ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾ الفاء فاء السببية المسبوقة بالنهي، وتزل مضارع منصوب بإضمار أن، وقدم فاعل، وبعد ظرف متعلق بتزل، وثبوتها مضاف إليه ﴿ وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ وتذوقوا عطف على تزل، والسوء مفعول به، والباء حرف جر، وهي للسببية، وما مصدرية، وهي مع مدخلوها في محل جر بالباء، والجار

والمجرور متعلقان بتذوقوا، وعن سبيل الله متعلقان بصددتم، ولكم خبر مقدم، وعذاب مبتدأ مؤخر، وعظيم صفته ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتشتروا فعل مضارع مجزوم بلا، وبعهد الله متعلقان بتشتروا، فالباء داخلة على المتروك، وثمناً مفعول به، وقليلاً صفة ﴿ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ إن واسمها، والظرف صلة ما، وهو مبتدأ، وخير خبر، والجملة خبر إن، ولكم متعلقان به، وإن شرطية، وكنتم في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسم كان، وجملة تعلمون خبرها، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله، أي: فلا تنقضوا ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ ما اسم موصول مبتدأ، وعندكم ظرف متعلق بالصلة، وجملة ينفد خبر ما، ومثلها وما عند الله باق ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ اللام موطئة للقسم، ونجزين فعل مضارع مبني على الفتح لتأكيده بالنون المشددة، والفاعل مستتر تقديره: نحن، والذين صبروا مفعوله، وأجرهم مفعول ثان لنجزين، وبأحسن جار ومجرور متعلقان بنجزين، وهو صفة لمحذوف، أي: بجزاء أحسن، وما مصدرية، وكان واسمها، وجملة يعملون خبرها، ولك أن تجعل ما موصولة، والتقدير: بجزاء أحسن من عملهم الذي كانوا يعملونه في الدنيا، أو نجعل الأجر متناسباً مع الأحسن من أعمالهم ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ من اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، وعمل فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، ومن ذكر متعلقان بمحذوف حال من فاعل عمل، وأو حرف عطف، وأنثى عطف على ذكر، وهو الواو حالية، وهو مبتدأ، ومؤمن خبر، والجملة حالية، فلنحيينه: الفاء رابطة، واللام موطئة للقسم، ونحيينه فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والهاء مفعول به، وحياة مفعول مطلق، وطيبة صفة، وجملة فلنحيينه جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر من، ولك أن تجعل من اسماً موصولاً، والفاء الداخلة لما في الموصوف من رائحة الشرط، فتكون جملة «فلنحيينه» خبره.

﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ تقدم إعرابها، وسيأتي مزيد بيان لهذه الآيات في باب البلاغة.

□ البلاغة:

(١) في قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ إلى آخر الآية، فنون شتى، أبرزها التتميم، وقد تقدم القول فيه وتكرر في هذه الآية مرتين: الأولى: في قوله: ﴿ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ لأن من الشرطية أو الموصولية تفيد العموم، فكان لابد من تتميمها بذلك للتأكيد، وإزالة لوهم التخصيص جرياً على معتقدات العرب القديمة في تفضيل الذكر على الأنثى، وإيثاره بكل ما هو خير. والثانية: في قوله: ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ وقد اختلفت الآراء في هذا التتميم، وما هو المراد بالحياة الطيبة التي ينالها من هو بهذه المثابة، وأحسن ما نختاره منها قول الزمخشري، وننقله بنصه لفائدته، قال وأبدع:

وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح ـ موسراً كان أو معسراً ـ يعيش عيشاً طيباً، إن كان موسراً فلا مقال فيه، وإن كان معسراً فمعه ما يطيب عيشه، وهو القناعة والرضا بقسمة الله، وأما الفاجر فأمره على العكس، إن كان معسراً فلا إشكال في أمره، على حد قول أبي دلامة:

ما أحسنَ الدِّين والدُّنيا إذا اجتمعا
وأقبح الكُفْر والإفلاس في الرَّجُل

وإن كان موسراً فالحرص لا يدعه أن يهنأ بعيشه. ويؤيد هذا ما نراه من انهماك النوع البشري في ابتكار وسائل التدمير والخراب للاستعلاء، والاستغلال، والسيطرة على العالم. وهيهات!!

(٢) وفي قوله: ﴿ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾ استعارة تمثيلية للمستقيم الحال يقع في شر عظيم، ويسقط فيه؛ لأن القدم إذا زلت نقلت الإنسان من

حال خير إلى حال شر، ويقال لمن أخطأ في شيء: زلت به قدمه، ومنه قول زهير:

تداركْتُما عَبْساً وقد ثلَّ عرشها ... وذبيان قد زلَّتْ بأقدامها النّعل

(٣) وفي قوله: ﴿فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا﴾ الخ، توحيد القدم وتنكيرها، والسر في ذلك استعظام أن تزلّ قدم واحدة عن طريق الحق بعد أن توطأ لها مهاده، وثبتت عليه، فكيف بأقدام كثيرة؟! وفيه تقليل للواعي من الناس لما يقضي بسداد الرأي، واستقامته. ومن جنس إفادة التنكير هنا للتقليل إفادته له في قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ﴾ وفي قوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾ فنكر الأذن والنفس تقليلاً للواعي من الناس لما يقضي بسداده.

﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

○ الإعراب:

﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ الفاء استئنافية، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن متعلق باستعذ، وجملة قرأت مضاف إليها الظرف، والقرآن مفعول به، أي: إذا أردت قراءة القرآن، والفاء رابطة للجواب، واستعذ فعل أمر، وفاعله أنت، وبالله متعلقان باستعذ، وكذلك يتعلق باستعذ من الشيطان، والرجيم صفة ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ

رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ الجملة تعليلية للأمر، وإن واسمها، وجملة ليس خبرها، وله خبر مقدم لليس، وسلطان اسمها المؤخر، وعلى الذين جار ومجرور متعلقان بسلطان؛ لأنه مصدر بمعنى التسلط، أي: الاستيلاء، والقهر، والتمكن، وآمنوا صلة، وعلى ربهم متعلقان بيتوكلون ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ إنما كافة ومكفوفة، وسلطانه مبتدأ، وعلى الذين خبر، وجملة يتولونه من الفعل والفاعل والمفعول به صلة الموصول وعائده، والذين عطف على الذين الأولى وجملة هم مشركون صلة، وهم مبتدأ، وبه متعلقان بمشركون، ومشركون خبر هم ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ الواو عاطفة، وإذا ظرف مستقبل، وبدلنا فعل وفاعل، وآية مفعول به، ومكان مفعول ثان لبدلنا، أو ظرف مكان متعلق ببدلنا، وآية مضاف إليه ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟﴾ الواو اعتراضية، والجملة معترضة بين شرط إذا وجوابها لا محل لها، والله مبتدأ، وأعلم خبر، وبما متعلقان بأعلم، وينزل صلة، وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب إذا ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الجملة مقول القول، وإنما كافة ومكفوفة، وأنت مبتدأ، ومفتر خبر، وبل حرف اضراب، وأكثرهم مبتدأ، وجملة لا يعلمون خبر، وحذف مفعول يعلمون للعلم به، أي: حقيقة التبديل والنسخ وفائدتهما ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ جملة نزله مقول قل، وهو فعل ومفعول به مقدم، وروح فاعل مؤخر، والقدس مضاف إليه من إضافة الموصوف لصفته، أي: الروح المقدس، وهو جبريل، ومن ربك متعلقان بنزله، وبالحق حال، أي: متلبساً بالحق، وليثبت: اللام لام التعليل، ويثبت فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل هو، والذين مفعول به، وآمنوا صلة، وليثبت في محل نصب مفعول لأجله، وجر باللام لأن المصدر ليس بقلبي، ولاختلاف الفعل؛ لأن المنزل هو جبريل، والمثبت هو القرآن ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ هذان المصدران معطوفان على محل ليثبت، أي: تثبيتاً، وهداية، وبشرى.

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ يُلْحِدُونَ ﴾: يميلون، ولحدت القبر، وألحدتُه، وقبروه في لحد، وملحود، ولحد للميت، وألحد له حفر له لحداً، ولحد الميت، وألحده: جعله في اللحد، ولحد السهم عن الهدف، وألحد، وألحد في دين الله، ولحد عن القصد: عدل عنه، وألحد في الحرم، ولحد إليه: مال إليه، والتحد إليه: التجأ، ومالي دونه ملتحد، قال ذو الرمة:

إذا استوسجتْ آذانها استأنستْ لها
أنـاسيُّ مَلْحـودٌ لهـا في الحـواجـبِ

○ **الإعـراب:**

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ﴾ الواو عاطفة، واللام موطئة للقسم، وقد حرف يراد به التكثير هنا، ونعلم فعل مضارع، وفاعل مستتر، وأن وما في حيزها سدت مسدّ مفعولي نعلم، وأن واسمها، وجملة يقولون خبرها ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾ الجملة مقول قولهم، وإنما كافة ومكفوفة، ويعلمه بشر فعل ومفعول به مقدم، وبشر فاعل مؤخر، وهو قين، أي: حداد رومي اسمه جَبْر بفتح الجيم وسكون الباء الموحدة، وهو غلام عامر بن الحضرمي، وقيل:

يعنون جبراً ويساراً، وكانا يصنعان السيوف بمكة، ويقرآن التوراة والإنجيل، وكان الرسول ﷺ يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه، وقيل غير ذلك مما لا يخرج عن الصدد ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ﴾ لسان مبتدأ، والذي مضاف إليه، وجملة يلحدون إليه صلة، وأعجمي خبر لسان، أي: غير مبين، وهذا مبتدأ، وعربي خبر، ومبين صفة، وهذا تأكيد على عروبة لغة القرآن، ووجه الجواب أن الذي يعزون إليه أنه يعلم النبي القرآن رجل أعجمي في لسانه لكنة وعجمة تمنعانه من الإفصاح والإبانة، ومحمد ﷺ الذي جاءكم بهذا القرآن المبين؛ الذي عجزتم عن الإتيان بسورة من مثله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إن واسمها، وجملة لا يؤمنون صلة، وبآيات الله متعلقان بيؤمنون، وجملة لا يهديهم الله خبر إن، والواو عاطفة، ولهم خبر مقدم، وعذاب مبتدأ مؤخر، وأليم صفته ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ إنما كافة ومكفوفة، ويفتري فعل مضارع، والكذب مفعول به مقدم، والذين فاعل مؤخر، وجملة لا يؤمنون بآيات الله صلة ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾ الواو اعتراضية، وأولئك مبتدأ، وهم ضمير فصل، أو مبتدأ ثان، والكاذبون خبر أولئك، أو خبر هم، والجملة خبر أولئك، وجملة «أولئك هم الكاذبون» معترضة.

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ أولى الأعاريب التي ذكرها المعربون لمن أن تكون بدلاً من الذين لا يؤمنون بآيات الله، وتكون جملة «وأولئك هم الكاذبون» اعتراضاً بين البدل والمبدل منه، والمعنى: إنما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه، ويجوز على بعد أن تعربه مبتدأ خبره جملة فعليهم، والفاء زيدت لتضمن الموصول معنى الشرط، وجملة كفر بالله صلة، كما يجوز أن تعرب من شرطية، وبالله جار ومجرور متعلقان بكفر، ومن بعد إيمانه حال، وإلا أداة استثناء، ومن مستثنى متصل؛ لأن الكفر يكون بالقول من غير اعتقاد، وقيل: هو منقطع؛ لأن الكفر اعتقاد، والإكراه على القول دون الاعتقاد كالمكره، وجملة أكره صلة

الموصول، وقلبه الواو حالية، وقلبه مبتدأ، ومطمئن خبر، وبالإيمان متعلقان بمطمئن ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ولكن: الواو استئنافية، ولكن حرف مشبه بالفعل، واسمها ضمير الشأن، ومن مبتدأ، وشرح فعل الشرط إن جعلتها صلة، وصلة إن جعلتها موصولاً، والله فاعل، وصدراً تمييز، أي: طاب به نفساً واعتقده، فعليهم: الفاء رابطة، وعليهم خبر مقدم، وغضب مبتدأ مؤخر، ومن الله صفة، ولهم خبر مقدم، وعذاب مبتدأ مؤخر، وعظيم صفة.

□ البلاغة:

☆ الإلجاء:

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾الخ، وقول الله تعالى جواباً لهذا القول: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ والإلجاء فن لم يذكره علماء البديع كثيراً، وقد تكلم عنه أسامة بن منقذ في «بديعه» تحت اسم: الالتجاء والمغالطة، وهو أن تكون صحة الكلام المدخول ظاهرة موقوفه على الإتيان فيه بما يبادر الخصم إلى رده بشيء يلجئه إلى الاعتراف بصحته، أو بعبارة أوضح: لكل كلام يرد فيه على المعترض عليه جواب مدخول، إذا دخله الخصم به التجأ إلى تصحيح الجواب، كقوله تعالى الآنف الذكر؛ فإن للخصم أن يقول: نحن أردنا القصص والإخبار، ونحن نعلم أن الأعجمي إذا ألقى الكلام إلى العربي لا يخرجه عن كونه تعلم معانيه من الأعجمي، فظاهر الكلام لا يصح أن يكون رداً على المشركين، فيقال لهم: هب الأعجمي علّمه المعاني، فهذه العبارة الهائلة التي قطعت أطماعكم عن الإتيان بمثلها من علمها له؟ فإن كان هو الذي أتى بها من قبل نفسه، فقد أقررتم أن رجلاً واحداً منكم أتى بهذا المقدار من الكلام الذي هو مئة سورة وأربع عشرة سورة، وقد عجزتم بأجمعكم، وكل من تدعون من دون الله عن الإتيان بأقصر سوره، فإن قلتم: إن الأعجمي علمه المعاني والألفاظ، فهذا أشد عليكم؛ لأنه

إقرار بأن رجلاً أعجمياً قدر على تبيين الآيات المتضمنة للأخبار والقصص، وقد عجزتم عن ثلاث آيات منهن، يلجئهم ذلك إلى الإقرار بأنه من عند الله.

* الفوائد:

☆ قصة عمار بن ياسر:

روى التاريخ أن ناساً من أهل مكة فتنوا، فارتدوا عن الإسلام بعد دخولهم فيه، وكان فيهم من أكره، فأجرى كلمة الكفر على لسانه، وهو معتقد للإيمان، منهم: عمار بن ياسر، وأبواه ياسر وسمية، وصهيب، وبلال، وخباب، وسالم، عذبوا، فأما سمية أم عمار فربطوها بين بعيرين، وضربها أبو جهل بحربة في بطنها فماتت، وقتل زوجها ياسر، وهما أول قتيلين في الإسلام. وأما عمار فإنه أعطاهم بعض ما أرادوا بلسانه مكرهاً، فقيل: يا رسول الله! إن عماراً كفر، فقال: «كلا إن عماراً مليء إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه» فأتى عمارٌ رسولَ الله يبكي، فقال رسول الله ﷺ: «ما وراءك؟» قال: شر يا رسول الله! نلتُ منك فذكرت، فجعل النبي ﷺ يمسح عينيه وقال: «إن عادوا لك فقل لهم ما قلت» إلى آخر هذه القصة الممتعة التي يرجع إليها في المطولات.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ

رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿النفس﴾ يؤخذ من مجموع أقوال المعاجم العربية أن النفس مصدر، وهي أيضاً الروح والدم، يقال: دفق نفسه، أي: دمه. والجسد، يقال: هو عظيم النفس، أي: الجسد. والعين، يقال: أصابته نفس، أي: عين. وشخص الإنسان، ونفس الشيء: عينه. ويؤكد به فيقال: جاءني هو نفسه، وبنفسه. ونفس الأمر: حقيقته. والنفس أيضاً: العظمة، والهمة، والعزة، والأنفة، والإرادة، والرأي، والعقوبة، والماء. والنفس مؤنث إن أريد بها الروح، نحو: خرجت نفسه، ومذكر إن أريد بها الشخص، نحو: عندي خمسة عشر نفساً. والجمع أنفس ونفوس. ويقال: في نفسي أن أفعل شيئاً، أي: قصدي ومرادي أن أفعل كذا، وفلان يؤامر نفسيه ويشاورهما، أي: يتردد في الأمر، ويتجه له رأيان، لا يدري على أيهما يثبت. وخرجت نفسه، وجاد بنفسه: إذا مات. أما معنى النفس عند الفلاسفة فمرجعه علم النفس، وليس هذا مكانه، والخلاف فيه طويل، وقد أصاب أبو الطيب حيث قال:

تَخَالَفَ النَّـاسَ حتَّى لا اتِّـفَاقَ لَـهُمْ
إلا على شَجَبٍ والخُلْفُ في الشَّجَبِ

فَقِيـل تَخْلُـصُ نَفْـسُ المـرءِ سـالمـةً
وقيل تَشْرَكُ جِسْمَ المرءِ في العَطَبِ

ومَـنْ تَفَكَّـرَ في الـدُّنيـا ومُهْجَتِـهِ
أقـامَـهُ الفِكْـرُ بين الهَـمِّ والتَّعَـبِ

☆ من قصيدة الرئيس ابن سينا في النفس:

هذا؛ ومن المفيد أن نقتبس هنا أبياتاً مختارة من قصيدة الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا في النفس:

هبطت إليك من المحلِّ الأرفع
وَرْقاءُ ذاتُ تعزُّزٍ وتمنُّعِ
محجوبةٌ عن كلِّ مقلةِ عارفٍ
وهي التي سَفَرَتْ ولم تتبرقَعِ
وصلتْ على كُرْهٍ إليك وربما
كرهت فراقَكَ وهي ذاتُ توجُّعِ
أنِفَتْ وما أنستْ فلمَّا واصلتْ
ألفت مجاورةَ الغرابِ الأبقع
وأظنُّها نسيتْ عهوداً بالحمى
ومنازلاً بفراقها لم تَقْنَعِ
حتى إذا اتَّصلتْ بهاء هُبوطها
عن ميم مَرْكزها بذات الأجرعِ
علقتْ بها ثاءُ الثقيل فأصبحت
بين المعالم والطُّلول الخُضَّع
تبكي وقد ذكرت عُهُوداً بالحمى
بمدامعٍ تَهْمي ولما تُقلعِ
وتظلُّ ساجعةً على الدِّمن التي
درستْ بتكرار الرِّياحِ الأربعِ

ويطول بنا القول إن حاولنا شرح ما رمزت إليه هذه الأبيات المقتبسة من العينية الرائعة، وحاصل ما أراده أنه يتساءل: لم تعلقت النفس بالبدن؟ إن كان رائدها غير الكمال فهي حكيمة خفية على الأذهان، وإن كان رائدها الكمال فلم ينقطع تعلقها به قبل حصوله.

○ الإعراب:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ الإشارة إلى ما تقدم من ذكر الغضب والعذاب، واسم الإشارة مبتدأ خبره بأنهم، أي: ثابت

بسبب أنهم، فالباء للسببية، وإن واسمها، وجملة استحبوا خبرها، أي: اختاروا، والحياة مفعول به، والدنيا صفة، وعلى الآخرة جار ومجرور متعلقان باستحبوا ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وأن عطف على بأنهم، وأن واسمها، وجملة لا يهدي خبرها، والقوم مفعول به، والكافرين صفة القوم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ أولئك مبتدأ، والذين خبره، وجملة طبع الله صلة، وعلى قلوبهم جار ومجرور متعلقان بطبع، وسمعهم وأبصارهم عطف على قلوبهم، وأولئك مبتدأ، وهم مبتدأ ثان، أو ضمير فصل، والغافلون خبر هم، أو خبر أولئك ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ لا جرم تقدم القول فيها، وأن واسمها، وفي الآخرة متعلقان بالخاسرون، وهم مبتدأ، والخاسرون خبره، والجملة خبر إن ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ﴾ ثم للترتيب مع التراخي لتباعد حال هؤلاء عن حال أولئك، وإن واسمها، وللذين خبر إن بمعنى أنه وليهم وناصرهم، وجملة هاجروا صلة، ومن بعد متعلقان بهاجروا، وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مضاف للظرف، أي: من بعد فتنتهم، ثم حرف عطف وتراخ، وجاهدوا وصبروا عطف على هاجروا ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ إن واسمها ومن بعدها حال، واللام المزحلقة، وغفور خبر إن الأول، ورحيم خبرها الثاني، هذا وقد أسهب المعربون في إعراب هذه الآية، واضطربت أقوالهم اضطراباً شديداً؛ لفرط عنايتهم وتحريهم مواقع الصواب، فجهدهم مشكور، ولكن لا حاجة لذلك كله، والكلام واضح لا لبس فيه ﴿۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ الظرف متعلق بمحذوف، أي: اذكر، وجملة تأتي مضافة للظرف، وكل نفس فاعل تأتي، وجملة تجادل حال، وعن نفسها متعلقان بتجادل، وإنما جازت إضافة النفس إلى النفس، ومن شرط المتضايفين أن يكونا متغايرين لأن المراد بالنفس الأولى الإنسان وبالثاني ذاته، فكأنه قال: يوم يأتي كل إنسان يجادل على ذاته، أي: يعتذر عنها لا يهمه شأن غيره ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

وتوفى عطف على تجادل، وكل نفس نائب فاعل، وما عملت مفعول توفى الثاني، وهم الواو حالية، أو عاطفة، وهم مبتدأ، وجملة لا يظلمون خبر.

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ الواو استئنافية، وضرب الله مثلاً فعل وفاعل ومفعول به، وقرية بدل من مثلاً، أي: جعل القرية الموسومة بهذه السمات مثلاً لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا، وجملة كانت صفة لقرية، وكان واسمها المستتر، وآمنة خبرها، ومطمئنة خبر ثان، وجملة يأتيها خبر ثالث، وهو فعل مضارع، ومفعول به مقدم، ورزقها فاعل مؤخر، ورغداً وصف للمصدر، أي: إتياناً رغداً فهو مفعول مطلق، أو بمعنى راغداً فهو حال، ومن كل مكان متعلقان بيأتيها ﴿ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ الفاء عاطفة، وكفرت فعل ماض، والفاعل مستتر يعود على القرية، وبأنعم الله متعلقان بكفرت، فأذاقها: الفاء عاطفة للتعقيب، وأذاقها فعل، ومفعول به مقدم، وفاعل مؤخر، ولباس الجوع والخوف مفعول ثان، والباء حرف جر للسببية، وما مصدرية، أو موصولة، والعائد محذوف، أي: بسبب صنعهم، أو بسبب الذي كانوا يصنعونه ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ ﴾ الواو عاطفة، واللام موطئة للقسم، وقد حرف تحقيق، وجاءهم رسول فعل ماض ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر، ومنهم صفة لرسول، فكذبوه: الفاء حرف عطف، وكذبوه فعل ماض

وفاعل ومفعول به ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ فأخذهم عطف على فكذبوه، والعذاب فاعل، والواو حالية، وهم مبتدأ، وظالمون خبر، والجملة حالية.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً ﴾ مجاز مرسل واستعارتان مكنيتان، أما المجاز المرسل ففي قوله: قرية، والمراد: أهلها، فعلاقة المجاز المحلية إذ أطلق المحل وأريد الحال، وأما الاستعارة الأولى فهي استعارة الذوق للباس، فأما الإذاقة فقد كادت تجري عند العرب مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا، فيقولون: ذاق فلان البؤس والضرر، شبّه ما يدرك منهما من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المرّ البشع، وأما اللباس فقد صح التشبيه به؛ لأنه يشتمل على لابسه، وأما الاستعارة الثانية فهي استعارة اللباس للجوع والخوف، كأنما قد أحاط بهم، واشتمل عليهم، كما يشتمل اللباس على لابسه، وبناء الاستعارة على الاستعارة ميدان فسيح، تضل فيه الأفكار، وقد ينغلق فهمه كما انغلق على ابن سنان الخفاجي في نقده للآمدي، حين تناول بيت امرىء القيس:

فقلتُ له لما تمطَّى بصُلبه وأردفَ أعجازاً وناءَ بِكَلْكَلِ

فقد قال الآمدي في كتاب «الموازنة»: وقد عاب امرأ القيس بهذا المعنى من لم يعرف موضوعات المعاني ولا المجازات، وهو في غاية الحسن، والجودة، والصحة، وهو إنما قصد وصف أجزاء الليل الطويل، فذكر امتداد وسطه، وتثاقل صدره للذهاب، والانبعاث، وترادف أعجازه وأواخره شيئاً فشيئاً، وهذا عندي منتظم لجميع نعوت الليل الطويل على هيئته، وذلك أشد ما يكون على من يراعيه، ويترقب تصرمه، فلما جعل له وسطاً يمتد، وأعجازاً رادفة للوسط، وصدراً متثاقلاً في نهوضه، حسن أن يستعير للوسط اسم الصلب، وجعله متمطياً من أجل امتداده؛ لأن تمطّى وتمدّد بمنزلة واحدة، وصلح أن يستعير للصدر اسم الكلكل من أجل نهوضه، وهذه أقرب

الاستعارات من الحقيقة وأشد؛ لملاءمته هنا لما استعيرت له، وكذلك قول زهير:

... ... وعُرِّي أفراسُ الصِّبا ورواحِلُهْ

لما كان من شأن ذي الصّبا أن يوصف أبداً بأن يقال: ركب جواده وجرى في ميدانه، وجمح في عنانه، ونحو هذا، حسن أن يستعار للصبا اسم الأفراس، وأن يجعل النزوع عنه أن تعرى أفراسه ورواحله، وكانت هذه الاستعارة أيضاً من أليق شيء بما استعيرت له.

وقال ابن سنان الخفاجي في كتابه «سر الفصاحة»: حول قول امرىء القيس:

فقلـتُ لـه لـمـا تمطَّـى بصُلْبـه وأردفَ أعجـازاً ونـاء بكَلْكَـلِ

إن هذا الذي ذكره الآمدي ليس بمرضي غاية الرضا، وإن بيت امرىء القيس ليس من الاستعارة الجيدة ولا الرديئة، بل هو وسط، فإن الآمدي قد أفصح بأن امرأ القيس لما جعل لليل وسطاً ممتداً استعار له اسم الصلب، وجعل متمطياً من أجل امتداده، وحيث جعل له أولاً وآخراً استعار له عجزاً وكلكلاً، وهذا كله إنما يحسن بعضه مع بعض، فذكر الصلب إنما يحسن من أجل العجز، والوسط والتمطي من أجل الصلب، والكلكل لمجموع ذلك استعارة مبنية على استعارة أخرى. هذا ما قاله الرجلان بصدد الاستعارة المبنية على استعارة أخرى، وقد غفل ابن سنان على سموه في البلاغة عن آية القرآن، وإلا ما كان أساغ لنفسه أن يذم هذه الاستعارة.

وروي أن ابن الراوندي الزنديق قال لابن الأعرابي إمام اللغة والأدب: هل يُذاق اللباس؟ فقال له ابن الأعرابي: لا بأس أيها النسناس، هب أن محمداً ما كان نبياً أَمَا كان عربياً؟ كأنه طعن في الآية بأن المناسب أن يقال: فكساها الله لباس الجوع، أو فأذاقها الله طعم الجوع، فرد عليه ابنُ الأعرابي. وقد أجاب علماء البلاغة أن هذا من تجريد الاستعارة، وذلك أنه استعار اللباس لما خشي الإنسان من بعض الحوادث كالجوع والخوف لاشتماله عليه

اشتمال الثوب على اللابس، ثم ذكر الوصف ملائماً للمستعار له وهو الجوع والخوف؛ لأن إطلاق الذوق على إدراك الجوع والخوف جرى عندهم مجرى الحقيقة، فيقولون: ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه غيره، فكانت الاستعارة مجردة، ولو قال: فكساها كانت مرشحة، قيل: وترشيح الاستعارة وإن كان مستحسناً من جهة المبالغة، إلا أن للتجريد ترجيحاً من حيث أنه روعي جانب المستعار له، فازداد الكلام وضوحاً.

﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ الفاء الفصيحة، أي: إذا استبان لكم حال من كفر، وما آل إليه أمرهم، فانتهوا عما أنتم عليه، وأقلعوا عن كفران النعم، وكلوا، واشربوا، ومما متعلقان بكلوا، وجملة رزقكم صلة، وحلالاً حال، ولك أن تجعله مفعولاً به لكلوا، وطيباً صفة ﴿ وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ واشكروا نعمة الله فعل أمر وفاعل ومفعول به، وإن شرطية، وكنتم فعل الشرط، وكان واسمها، وإياه مفعول مقدم لتعبدون، وجملة تعبدون خبر كنتم ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ إنما كافة ومكفوفة، وحرم فعل وفاعل مستتر وعليكم جار ومجرور متعلقان بحرم، والميتة مفعول به، والدم ولحم الخنزير عطف على الميتة، وما عطف أيضاً، وجملة أهل صلة، ولغير الله حال،

وبه متعلقان بأهل، وقد تقدمت هذه الآية ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ الفاء تفريعية، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، واضطر فعل ماض مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط، ونائب الفاعل مستتر يعود على من، وغير باغ حال، ولا عاد عطف على باغ، والفاء رابطة، وإن واسمها، وغفور خبرها الأول، ورحيم خبرها الثاني، والجملة في محل جزم جواب الشرط ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ لا ناهية، وتقولوا مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل، ولما تصف اللام حرف جر، وما مصدرية، وهي مع مدخولها في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بتقولوا، وألسنتكم فاعل تصف، والكذب مفعول تصف، وجملة هذا حلال مقول القول، فيكون المعنى: ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب، أي: لتعوّدها عليه وجريانها به، أي: لا تحللوا ولا تحرموا لأجل قول تنطق به ألسنتكم، وهو قول مدفوع لا تقوم به حجة، وهذا حرام عطف على هذا حلال، ولتفتروا بدل من قوله لما تصف، وعلى الله متعلقان بتفتروا، والكذب مفعول به لتفتروا، ويجوز أن ينتصب الكذب مفعولاً لتقولوا، ولكون جملة هذا حلال بدل منه، وعندئذ تكون ما موصولة، أي: ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم فتقولوا: هذا حرام وهذا حلال، وكلا الإعرابين صحيح وسائغ، وأورد ابن هشام في «المغني» هذه الآية وعبارته: قيل في «ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب» وفي «كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم» أن الكذب بدل من مفعول تصف المحذوف، أي: لما تصفه، وكذلك في رسولاً بناء على أن «ما» في «كما» موصول اسمي، ويرده أن فيه إطلاق ما على الواحد من أولي العلم، والظاهر أن ما كافة، وأظهر منه أنها مصدرية لإبقاء الكاف حينئذ على عمل الجر، وقيل في الكذب إنه مفعول لتقولوا، والجملتان بعده بدل منه، أي: لا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل أو الحرمة، وإما لمحذوف، أي: فتقولون الكذب، وإما لتصف على أن ما مصدرية، والجملتان محكيتا القول، أي: لا تحللوا وتحرموا لمجرد قول تنطق به

ألسنتكم. وسيأتي معنى وصف الألسنة بالكذب في باب: البلاغة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ﴾ إن واسمها، وجملة يفترون صلة، وعلى الله متعلقان بيفترون، والكذب مفعول يفترون، وجملة لا يفلحون خبر إن ﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ متاع خبر مبتدأ محذوف، أي: ذلك العمل الذي هو ديدنهم متاع قليل الفائدة، أو مبتدأ محذوف الخبر، أي: لهم متاع، وقليل صفة متاع، ولهم خبر مقدم، وعذاب مبتدأ مؤخر، وأليم صفة عذاب.

□ البلاغة:

وصف الألسنة للكذب تعبير عربي مبين للمبالغة جعلت الألسنة لاستساغتها الكذب، وجريانه عليها، وتردده فيما تنطق به دائماً، كأنها تصفه، وتجسده للسامع. ومن ذلك قولهم: وجهها يصف الجمال، وعينها توحي بالسحر، أو كأن الكذب أمر مجهول، وعليهم تبيانه للناس، وكشف الغطاء عن خوافيه، فهو مجاز عقلي.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ﴾ وعلى الذين متعلقان بحرمنا، وهادوا صلة الذين، وما مفعول به، وقصصنا صلة، وعليك متعلقان بقصصنا، ومن قبل متعلقان بحرمنا، وقد تقدمت الإشارة إلى

ما خص اليهود بتحريمه، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ إلى آخر الآية من سورة الأنعام ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، وظلمناهم فعل وفاعل ومفعول به، والواو حالية، ولكن مخففة مهملة، فهي حرف استدراك، وكانوا: كان واسمها، وأنفسهم مفعول مقدم ليظلمون، وجملة يظلمون خبر كانوا ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ﴾ ثم حرف عطف للتراخي، وإن واسمها، وللذين خبرها، أي: غفور للذين، وعملوا صلة، والسوء مفعول به، وبجهالة في موضع الحال من الواو، أي: عملوا السوء جاهلين، ثم تابوا عطف على عملوا، ومن بعد متعلقان بتابوا، وذلك مضافة لبعد، وأصلحوا عطف على تابوا ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ إن واسمها، ومن بعدها متعلقان بغفور، واللام المزحلقة، وغفور خبر إن، ورحيم خبر ثان ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ إن واسمها، جملة كان خبرها، واسم كان مستتر تقديره: هو، أي: إبراهيم، وأمة خبر كان، أي: كان وحده أمة بذاتها؛ لأنه اجتمعت فيه من صفات الكمال ما يجتمع في أمة، فصدق فيه قول أبي نواس:

ليس على الله بمستنكرٍ أن يجمعَ العالمَ في واحد

وقانتاً خبر ثان لكان، ولله متعلقان بقانتاً، وحنيفاً خبر ثالث، ولم يك: لم حرف نفي وقلب وجزم، ويك فعل مضارع مجزوم بلم، وعلامة جزمه السكون، وحذفت النون للتخفيف، وقد مر ذلك في بحث خصائص كان، واسم يك مستتر تقديره: هو، ومن المشركين خبر يك ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ شاكراً خبر رابع لكان، ولأنعمه متعلقان بشاكراً، وجملة اجتباه خبر خامس، وهداه عطف على اجتباه، وإلى صراط جار ومجرور متعلقان بهداه، ومستقيم صفة لصراط ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ عطف على ما تقدم على طريق الالتفات عن الغيبة إلى التكلم لزيادة الاعتناء بشأنه وآتيناه فعل وفاعل ومفعول به، وفي

الدنيا جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان صفة لحسنة، وحسنة مفعول به ثان، وإنه: إن واسمها، وفي الآخرة متعلقان بمحذوف حال، واللام المزحلقة، من الصالحين خبر إن ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ثم حرف عطف، وأوحينا فعل وفاعل، وعطفها بثم الدالة على التراخي والتباعد إشعار بالمكانة السميا، والمنزلة العليا لمحمد ﷺ، وإن أجلّ ما أوتي إبراهيم من النعمة اتباع محمد لشريعته، وإليك متعلقان بأوحينا، وأن اتبع أن مفسرة، أو مصدرية، فتكون منصوبة بنزع الخافض، وملة إبراهيم مفعول اتبع، وحنيفاً حال من إبراهيم، وسيأتي بحث مجيء الحال من المضاف إليه، والواو عاطفة، وما نافية، وكان واسمها المستتر، ومن المشركين خبرها.

* الفوائـد:

☆ مجيء الحال من المضاف إليه:

تأتي الحال من المضاف إليه بشروط ثلاثة:

(١) أن يكون المضاف جزءاً من المضاف إليه، نحو: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا ﴾ فإخواناً حال من المضاف إليه، وهو الضمير، والصدور بعضه، ونحو: ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ فميتاً حال من الأخ المضاف إليه اللحم، واللحم بعض الأخ.

(٢) أو كالجزء منه مثل هذه الآية، فحنيفاً حال من إبراهيم المضاف إليه الملة، والملة كبعضه في صحة حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، إذ لو قيل: واتبع إبراهيم، لكان صحيحاً.

(٣) أن يكون المضاف عاملاً في الحال، كأن يكون مصدراً، أو وصفاً، نحو: ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًاۖ ﴾ فجميعاً حال من الكاف والميم المضاف إليه مرجع، ومرجع مصدر ميمي عامل في الحال النصب.

﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ إنما كافة ومكفوفة، وجعل فعل ماض مبني للمجهول، والسبت نائب فاعل، وعلى الذين جار ومجرور متعلقان بجعل، فهو بمثابة المفعول الثاني، وجملة اختلفوا صلة، وفيه متعلقان باختلفوا، وقد تقدم أن اليهود خالفوا نبيهم موسى؛ حيث أمرهم أن يعظموا يوم الجمعة بالتفرغ للعبادة فيه، وترك الأشغال، فقالوا: لا نريده، اختاروا السبت، فشدد عليهم فيه ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ الواو عاطفة، أواستئنافية، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وجملة يحكم خبر إن، وبينهم متعلقان بيحكم، وكذلك الظرف، وهو يوم القيامة، وفيما متعلقان بمحذوف حال، وجملة كانوا صلة، وفيه متعلقان بيختلفون، وجملة يختلفون خبر كانوا ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ ادع فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، والمفعول محذوف، أي: الناس، وإلى سبيل ربك متعلقان بادع، وبالحكمة حال، أي: متلبساً بها، والموعظة الحسنة عطف على الحكمة ﴿ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ وجادلهم عطف على ادع، والهاء مفعول به، وبالتي متعلقان بادع، وهي

مبتدأ، وأحسن خبر، والجملة الاسمية صلة التي ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ إن واسمها، وهو مبتدأ، وأعلم خبر، والجملة خبر إن، وبمن متعلقان بأعلم، وجملة ضل صلة، وعن سبيله متعلقان بضل، وهو مبتدأ، وأعلم خبر، وبالمهتدين متعلقان بأعلم ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ الواو استئنافية، وإن شرطية، وعاقبتم فعل ماض، والتاء فاعل، وهو في محل جزم فعل الشرط، فعاقبوا: الفاء رابطة، وعاقبوا فعل أمر وفاعل، وبمثل جار ومجرور متعلقان بعاقبوا، وما مضاف إليه، وجملة عوقبتم صلة، وبه متعلقان بعوقبتم، وجملة فعاقبوا في محل جزم جواب الشرط ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ اللام موطئة للقسم، وإن شرطية، وصبرتم في محل جزم فعل الشرط، واللام واقعة في جواب القسم لتقدمه، وقد تقدم ذلك، وهو مبتدأ، وخير خبر، وللصابرين متعلقان بخير ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ واصبر: الواو استئنافية، واصبر فعل أمر، وفاعله مستتر، وما صبرك: الواو حالية، وما نافية، وصبرك مبتدأ، وإلا أداة حصر، وبالله خبر، والواو عاطفة، ولا ناهية، وتحزن فعل مضارع مجزوم بلا، وعليهم متعلقان بتحزن ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ الواو عاطفة، ولا نافية، وتك فعل مضارع مجزوم بلا، وعلامة جزمه السكون المقدر على النون المحذوفة للتخفيف، واسم تك مستتر تقديره: أنت، وفي ضيق خبر تك، ومما مضافة لضيق، وجملة يمكرون صلة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ إن واسمها، مع ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر، والذين مضاف إليه، واتقوا صلة، والذين عطف على الذين، وهم مبتدأ، ومحسنون خبر، والجملة صلة.

□ **البلاغة:**

☆ خواتم سورة النحل:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ﴾ يجوز أن يكون من الكلام المقلوب؛ لأن الضيق وصف يكون في الإنسان، ولا يكون الإنسان فيه، ويجوز أن يراد أن في

الكلام تشبيهاً، فقد شبه الضيق بالشيء الذي يحيط بالإنسان، وهو من روائع التعبير وجوامع الكلم؛ ولذلك روي عن إبراهيم بن حيان عندما احتضر أنه قيل له: أوص، فقال: إنما الوصية من المال، ولا مال لي، ولكني أوصيكم بخواتم سورة النحل.

* * *



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿سُبۡحَٰنَ﴾: علم جنس للتنزيه والتقديس، وانتصابه بفعل مضمر متروك إظهاره، تقديره: أسبح الله سبحانه، أو سبحت الله سبحانه، أي: فهو مفعول مطلق، ومعناه: ما أبعد الذي له هذه القدرة عن جميع النقائص، ولذا لا يستعمل إلا فيه تعالى.

﴿أَسۡرَىٰ﴾: سرى بمعنى سار في الليل، وهما لازمان، ومصدر الأول الإسراء، ومصدر الثاني السُّرى بضم السين.

﴿مَرَّتَيۡنِ﴾: تثنية مرة، وفي القاموس: مر مراً ومروراً: جاز وذهب واستمر، ومره، وبه: جاز عليه. وامترّ به وعليه كمر، والمرة: الفعلة الواحدة، والجمع: مَرّ ومرار ومرر بكسرهما، ومروره بالضم، ولقيه ذات مرة، ولا يستعمل إلا ظرفاً.

﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾: في القاموس: الجوس ـ بالجيم ـ: طلب الشيء باستقصاء، والتردد خلال الدور، والبيوت في الغارة، والطوف فيها كالجوسان والاجتياس، وبابه: قال. وخلال الديار فيه وجهان: أحدهما: أنه اسم مفرد بمعنى وسط، والثاني: أنه جمع خِلل كجبل وجبال، وجمل وجمال.

وقال الجوهري: الجوس مصدر جاسوا خلال الديار، أي: تخللوا فطلبوا ما فيها، كما يجوس الرجل الأخبار، أي: يطلبها. وحكى الهروي في «الغريبين» عن الأزهري أن معنى جاسوا: وطئوا. وحكي عن الأصمعي أنه يقال: تركت فلاناً يجوس بني فلان، ويحوسهم، ويدوسهم، أي: يطؤهم. وقال أبو عبيد: كل موضع خالطته ووطئته فقد جسته وحسته.

﴿ٱلۡكَرَّةَ﴾: الغلبة والدولة، وهي في الأصل مصدر كر يكر، أي: رجع، ثم استعملت تعبيراً عن الدولة، والقهر، والغلبة.

﴿نَفِيرًا﴾ : النفير، من ينفر مع الرجل من قومه، وقيل: جمع نفر كالعبيد والمعيز، وفيه أوجه:

أحدهما: أنه فعيل بمعنى فاعل، أي: نافر.

والثاني: أنه جمع نفر نحو: عبيد.

والثالث: أنه مصدر، أي: أكثر خروجاً إلى الأعداء.

وقد قدمنا أن النون والفاء إذا كانتا فاء للكلمة وعيناً لها، دلتا على الخروج والنفاذ.

(يتبروا): التتبير: الهلاك.

﴿حَصِيرًا﴾ : محبساً وسجناً. قال لبيد:

ومَقامةٍ غُلْبِ الرجالِ كأنَّهمْ جِنٌّ لدى باب الحَصِيرِ قِيامُ

وقال الحسن: يعني: فراشاً. وعنه أيضاً: وهو مأخوذ من الحصر. والذي يظهر أنها حاصرة لهم، أي: محيطة بهم من جميع جهاتهم، فحصير معناه: ذات حصر، إذ لو كان للمبالغة لزمته التاء لجريانه على مؤنث، كما تقول: رحيمة، وعليمة، ولكنه على معنى النسب كقوله: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ ، أي: ذات انفطار.

○ الإعراب:

﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ سبحان مفعول مطلق لفعل محذوف، وقد تقدم بحثه في باب: اللغة، والذي مضاف إليه، وجملة أسرى صلة، وبعبده متعلقان بأسرى، وليلاً ظرف متعلق بأسرى، وسيأتي في باب: البلاغة سر ذكره، مع أن السرى لا يكون إلا في الليل، وبعبده جار ومجرور متعلقان بأسرى، وليلاً ظرف زمان متعلق بأسرى أيضاً، ومن المسجد جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: مبتدئاً، وإلى المسجد الأقصى حال أيضاً، أي: منتهياً إلى

المسجد، والأقصى نعت للمسجد، والذي نعت ثان، وباركنا صلة، وهي فعل وفاعل، وحوله ظرف متعلق بباركنا ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ اللام للتعليل، ونريه فعل مضارع منصوب بأن مضمرة، والفاعل مستتر تقديره: نحن، والهاء مفعول به، والأولى أن تجعل الجار والمجرور خبراً لمبتدأ محذوف، أي: وذلك لنريه، ومن آياتنا جار ومجرور متعلقان بنريه، ومن حرف جر للتبعيض، وإن واسمها، وهو مبتدأ، أو ضمير فصل، والسميع خبر هو، أو خبر إن، والبصير خبر ثان، وسيأتي سر هذه الالتفاتات في باب: البلاغة ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ الواو استئنافية، أو عاطفة على جملة سبحان الذي أسرى، ونا فاعل، وموسى مفعول به أول، والكتاب مفعول به ثان، وجعلناه هدى فعل وفاعل، والهاء مفعول به أول، وهدى مفعول به ثان، ولبني متعلقان بهدى، وإسرائيل مضاف إليه ﴿ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴾ يصح في أن أن تكون مصدرية منصوبة مع مدخولها بنزع الخافض، أي: بأن لا تتخذوا، والجار والمجرور متعلقان بكتبنا، ويجوز أن تكون مفسرة؛ لأن الإتيان فيه معنى القول دون حروفه، ولا ناهية، وتتخذوا مضارع مجزوم بلا، ووكيلاً مفعول تتخذوا الأول، ومن دوني هو المفعول الثاني لتتخذوا ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ ذرية: اضطربت أقوال المعربين في نصبها المتفق عليه بين القراء جميعاً، فقيل: نصبت على الاختصاص، وبه بدأ الزمخشري، وقيل: على النداء، وقيل: بدل من وكيلاً، وقيل: مفعول ثان لتتخذوا، على أن النفس لا تطمئن لواحد منها، والله أعلم، ومن مضاف إلى ذرية، وحملنا صلة، ومع ظرف مكان متعلق بحملنا، ونوح مضاف إليه، وإن واسمها، وكان فعل ماض ناقص، واسمها ضمير مستتر تقديره: هو، وعبداً خبرها، وشكوراً صفة، ومما يرجح إعراب ذرية على الاختصاص أو النداء قول الزمخشري في إعراب جملة: «إنه كان عبداً شكوراً» أنها تعليلية لاختصاصهم بأنهم أولاد المحمولين مع نوح، فكأنه قيل: لا تتخذوا من دوني وكيلاً، ولا تشركوا بي؛ لأن نوحاً عليه السلام كان عبداً شكوراً، وأنتم ذرية من آمن

به، وحمل معه، فاجعلوه أسوتكم، كما جعله آباؤكم أسوتهم. وهذه فطنة من الزمخشري تسترعي الانتباه، وتستحق الإعجاب ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ الواو عاطفة، وقضينا فعل وفاعل، وإلى بني إسرائيل متعلقان بقضينا، وقضينا في الأصل فعل يتعدى بنفسه، ولكنه تعدى هنا بإلى لتضمنه معنى أوحينا، ومعنى قضينا أعلمنا وأخبرنا، أو حكمنا وأتممنا، وأصل القضاء: الإحكام للشيء والفراغ منه، وقيل: أوحينا، ويدل عليه قوله إلى بني إسرائيل، ولو كان بمعنى الإعلام والإخبار لقال: قضينا بني إسرائيل، ولو كان بمعنى حكمنا لقال: على بني إسرائيل، ولو كان بمعنى أتممنا لقال: لبني إسرائيل. وفي الكتاب حال، والمراد به التوراة ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ اللام جواب للقسم المحذوف، أو أجرى القضاء المبتوت مجرى القسم، كأنه قيل: وأقسمنا لتفسدن، وتفسدن فعل مضارع معرب؛ لأنه لم يتصل مباشرة بنون التوكيد الثقيلة، وعلامة رفعه ثبوت النون المحذوفة لتوالي النونات، وواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين هي الفاعل، والأصل: لتفسدونن، وقد تقدمت له نظائر، وفي الأرض متعلقان بتفسدن، ومرتين نصب على الظرفية، وأعربه أبو البقاء مفعولاً مطلقاً على أنه صفة لمصدر محذوف، أو على أنه في نفسه مصدر عمل فيه ما هو من غير جنسه، وسيأتي المراد بالمرتين في باب: الفوائد ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ الواو عطف، ولتعلن عطف على لتفسدن، وهي مماثلة لها في إعرابها، وعلواً مفعول مطلق، وكبيراً صفة ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ الفاء عاطفة، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة جاء مضاف إليها الظرف، ووعد فاعل، وأولاهما مضافة لوعد، ولما كان الوعد على إطلاقه خاصاً بالخير، كان لا بد من تقدير مضاف محذوف، أي: وعد عقاب أولاهما، وجملة بعثنا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، وعليكم متعلقان ببعثنا، وعباداً مفعول به، وأولي صفة لعباداً، وهي من الأسماء الخمسة بمعنى أصحاب، وبأس مضاف إليه، وشديد صفة لبأس ﴿فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ الفاء عاطفة، وجاسوا عطف على بعثنا، وخلال ظرف

مكان متعلق بجاسوا، والديار مضاف إليه، والواو عاطفة، وكان عطف على الجوس، واسمها ضمير يعود على الجوس، أو الوعد بالعقاب، ووعداً خبر كان، ومفعولاً صفة لوعداً ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾ ثم حرف عطف للتراخي، ورددنا فعل وفاعل، ولكم متعلقان برددنا، والكرة مفعول به، وعليكم متعلقان بالكرة، أي: الغلبة عليهم، أو حال منها ﴿ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ وأمددناكم عطف على رددنا، وهو فعل وفاعل ومفعول به، وبأموال جار ومجرور متعلقان بأمددناكم، وبنين عطف على أموال، وجعلناكم فعل وفاعل ومفعول به، وأكثر مفعول به ثان، ونفيراً تمييز ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ إن شرطية، وأحسنتم فعل وفاعل، وهو في محل جزم فعل الشرط، وأحسنتم جوابه، وإن أسأتم عطف على إن أحسنتم، والفاء رابطة للجواب، ولها متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، أي: فإساءتكم، وكان القياس يقتضي أن يقول: فعليها، ولكنه عدل إلى اللام للمشاكلة مع قوله لأنفسكم، وقيل: اللام بمعنى على، أي: فعليها، كما في قول عنترة:

... ... فخرَّ صَريعاً لليـدَيْـنِ ولِلْفَـمِ

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ الفاء عاطفة، وإذا ظرف مستقبل، جاء وعد فعل وفاعل، والآخرة مضاف لوعد، وأراد المرة الآخرة، وليسوؤوا اللام للتعليل، ويسوؤوا مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وهو متعلق بجواب إذا المحذوف، أي: بعثناهم ليسوؤوا، وقد دل على الجواب جواب إذا الأولى، ووجوهكم مفعول به، والمعنى: ليجعلوا وجوهكم بادية المساءة، منكسفة المعالم ﴿ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ وليدخلوا عطف على ليسوؤوا، أي: فهو متعلق بمحذوف هو بعثناهم، والمسجد منصوب على السعة، وكما نصب على المصدرية، أي: دخولاً مثل دخلوهم، وأول مرة نصب على الظرفية ﴿ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾ وليتبروا عطف على ليسوؤوا، وواوالجماعة فاعل، وما مفعول به ليتبروا،

أي: ليهلكوا كل شيء غلبوه، واستولوا عليه، ويجوز أن تجعل ما مصدرية ظرفية، ومفعول يتبروا محذوف، ولعله أولى لإفساح المجال أمام الخيال ليتصور مدى إهلاكهم الحرث والنسل مدة علوهم على البلاد، ويكون الظرف متعلقاً بيتبروا، وتتبيراً مفعول مطلق ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ عسى فعل ماض من أفعال الرجاء ترفع الاسم وتنصب الخبر، وربكم اسمها، وأن مع مدخولها في محل نصب خبر، والواو حرف عطف، وإن شرطية، وعدتم فعل ماض وفاعل في محل جزم فعل الشرط، وعدنا فعل ماض وفاعل في محل جزم جواب الشرط، وجعلنا عطف على عدنا، ونا فاعل، وجهنم مفعول به أول، وللكافرين متعلقان بحصيراً، وحصيراً مفعول به ثان، هذا إذا اعتبرنا حصيراً فعيلاً بمعنى الفاعل، وإن اعتبرناه اسماً جامداً، أي: مكان الحبس المعروف، فتكون للكافرين حالاً منه.

□ البلاغة:

اشتملت هذه الآيات على ضروب من البلاغة، ندرجها فيمايلي:

(١) الذكر:

ذكر الليل مع أن السرى لا يكون إلا بالليل، يحتمل أمرين:

أ ـ أولهما: أن الإسراء لما دل على أمرين أحدهما: السير، والآخر: كونه ليلاً، أريد إفراد أحدهما بالذكر تثبيتاً في نفس المخاطب، وتنبيهاً على أنه مقصود بالذكر. وقد مرت الإشارة إلى هذه النكتة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [النحل: ٥١] فالاسم الحامل للتثنية دال عليها وعلى الجنسية، وكذلك المفرد فأريد التنبيه؛ لأن أحد المعنيين، وهو التثنية، مقصود مراد.

ب ـ وثانيهما: الإشارة بتنكير الليل إلى تقليل مدته؛ لأن التنكير فيه قد دل على معنى البعضية، وهذا بخلاف مالو قيل: أسرى بعبده الليل، فإن

التركيب مع التعريف يفيد استغراق السير لجميع أجزاء الليل .

(٢) الوصل والفصل :

ومن الفنون البعيدة المنال التي تطول على من رامها : الفصل والوصل ، فإن القارىء ليشعر أن بين آية الإسراء وقوله : ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ إلى آخر الآية تبايناً شديداً في ظاهر الأمر ، حتى إذا تمعّن وتدبر وجد الوصل بين الفعلين ، فإنه تعالى أخبر أنه أسرى بمحمد ﷺ إلى الأرض المقدسة ؛ ليريه من آياته ، ويرسله إلى عباده ، كما أسرى بموسى من مصر إلى مدين حين خرج خائفاً يترقب ، وأسرى به وبابنة شعيب إلى الأرض المقدسة ليريه من آياته ، ويرسله إلى فرعون وملئه ، وآتاه الكتاب ، فهذا هو الوصل بين الفصلين المذكورين . وأما الوصل بين قوله تعالى : ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ وبين ما قبله ، فتذكار بني إسرائيل بأول نعمه عز وجل عليهم بنجاة آبائهم مع نوح في السفينة من الغرق ، إذ لو لم ينج آباؤهم لما وجدوا ، فكأنما النعم السابغة عليهم سلسلة متعاقبة الحلقات ، أولها : نجاة آبائهم من غرق الطوفان الذي عم العالم بأسره ، وآخرها : نجاتهم من الغرق حين شق لهم البحر ليغرق فرعون وجنوده وملؤه ، وينجوا هم ، وإذاً كان يترتب عليهم أن يشكروا من أسبغ عليهم هذه الآلاء والعوارف ، وأن يتأسوا بنوح جدهم الأكبر ؛ الذي كان عبداً شكوراً ، أليس الولد سرّ أبيه؟ بيد أن هؤلاء نسيج وحدهم من الجحود والإنكار ، وغمط النعمة ، ومقابلة الحسنات بالسيئات .

(٣) الالتفات :

تحدثنا عن الالتفات كثيراً في هذا الكتاب ، وتقدمت له شواهد متعددة ، وفي هذه الآية ، آية الإسراء ، تعاقب الالتفات كثيراً على قصر متنه وتقارب طرفيه ، فقد قال أولاً : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ ﴾ بلفظ الواحد الغائب ، ثم قال : ﴿ ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا ﴾ بلفظ الجمع المتكلم ، ثم قال : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ بلفظ الواحد الغائب ، ولو جاء الكلام على مساق الأول لكان : «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بارك حوله ليريه

من آياته إنه هو السميع البصير» وهذا جميعه محمول على أسرى، فلما خولف بين المعطوف والمعطوف عليه في الانتقال من صيغة إلى صيغة، كان ذلك اتساعاً في الكلام، وتفنناً فيها، وتنويعاً لأساليبه، والفائدة منه فضلاً عن تطرية نشاط الذهن، واستحضاره، واسترعائه لعرض الحقائق المملوءة بالعظات والعبر: أنه لما بدأ الكلام بسبحانه ردفه بقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَسۡرَىٰ﴾ إذ لا يجوز أن يقال: الذي أسرينا، فلما جاء بلفظ الواحد، والله تعالى أعظم العظماء، وهو أولى بخطاب العظيم في نفسه الذي هو بلفظ الجمع، استدرك الأول بالثاني فقال: ﴿بَـٰرَكۡنَا﴾ ثم قال: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَـٰتِنَآ﴾ فجاء بذلك على نسق ﴿بَـٰرَكۡنَا﴾ ثم قال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾ عطفاً على أسرى، وذلك موضع متوسط الصفة؛ لأن السمع والبصر صفتان يشاركه فيهما غيره، بصرف النظر عن التفاوت بين السمعين والبصرين، وتلك حال متوسطة فخرج بهما عن خطاب العظيم في نفسه إلى خطاب غائب، وهذه مرام بعيدة المدى، جليلة الغرض، لا يسبر غورها، ولا يكتنه فحواها، إلا المطبوع.

* الفوائد:

(١) «من» و«إلى» الجارتين:

لـ «من» الجارة معان كثيرة، يمكن الرجوع إليها في «مغني اللبيب» وغيره من الكتب المطولة في النحو، ولكننا نريد أن نشير إلى المعنى الرئيسي لها الوارد في آية الاسراء، وهو الابتداء، أي: ابتداء الغاية المكانية باتفاق جميع النحاة بصريهم وكوفيهم، بدليل انتهاء الغاية بعدها، وهي قوله: ﴿إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾. أما ابتداء الغاية الزمانية فقد اختلف النحاة فأقرها الكوفيون، وأقرها من البصريين: المبرد، والأخفش، وابن درستويه، وهذا هو الصحيح؛ لورودها في الكتاب العزيز، وهو قوله: ﴿مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ﴾ وفي الحديث وهو قول أنس: فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة. وفي الشعر، وهو قول النابغة الذبياني يصف السيوف:

تُـخُيِّـرْنَ مِنْ أَزْمانِ يَوْمِ حَلِيمَةٍ إلى اليوم قَدْ جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجارِبِ

أما «إلى» الجارة فهي تفيد انتهاء الغاية مكانية وزمانية، فمثالها في المكان: ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ ومثالها في الزمان: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ ولإلى سبعة معان أخرى حكاها في «مغني اللبيب» وغيره، ومما أشكل من معاني إلى قول النابغة الذبياني أيضاً يعتذر إلى النعمان بن المنذر:

فلا تَتْرُكَنِّي بالوَعِيدِ كأَنَّني إلى النَّاسِ مَطْلِيٌّ به القارُ أَجْرَبُ

ذكر في «المغني» أنها هنا بمعنى في، وهو غريب، وقال الدماميني: إلى متعلقة بمحذوف، وهو حال من اسم كأن، أي: كأنني مبغضاً إلى الناس بسبب الوعيد كجمل أجرب طلي به القار، أي: جعل فيه، أو اتصف به. وقد ذهل الدماميني عن القلب في مطلي به القار، أو أنه تكلفه ليجعل مطلياً بمعنى مبغض، فالقار يُطْلَى به، ولا يطلي هو، ولهذا كان لا بد من الرجوع إلى رأي ابن هشام، وهو أن إلى بمعنى في، وأن الجار والمجرور في موضع النصب على الحال، أي: كأنني كائناً في الناس بعير طلي بالقار، وهو مبغض.

(٢) معنى مرتين:

اختلف المفسرون في تفسير المرتين الواردتين في قوله تعالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ فذهب بعضهم إلى أن المرة الأولى هي قتل زكريا، وحبس أرميا، والثانية، قتل يحيى، وقصد قتل عيسى. وقال البيضاوي: أولاهما مخالفة أحكام التوراة، وقتل شعيا، وقيل: أرميا، وثانيتهما: قتل زكريا ويحيى، وقصد قتل عيسى عليه الصلاة والسلام. على أن فساد اليهود في الأرض لا يمكن حصره بمرتين، وإنما أتى القرآن الكريم بالمرتين مثالاً سريعاً لفسادهم الذي لا يحصى، والذي يستمر مدى الدهور. ويمكن الرجوع إلى المطولات لهذا الغرض.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ

ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٠﴾ وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ﴿١١﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾﴾

○ الإعـراب:

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ إن واسمها، والقرآن بدل من اسم الإشارة، ويهدي فعل وفاعل مستتر، والمفعول به محذوف، أي: يهدي الناس، والجملة خبر إن وللتي جار ومجرور متعلقان بيهدي، وهي مبتدأ، وأقوم خبر، والجملة الاسمية صلة التي، وأقوم اسم تفضيل على قول الزجاج إذ قدر أقوم الحالات، وقدره غيره أقوم مما عداها، أو من كل حال، ورجح أبو حيان أنها ليست للتفضيل، إذ قال: لا مشاركة بين الطريقة التي يرشد إليها القرآن وطريقة غيرها، وفضلت هذه عليها، وإنما المعنى التي هي قيمة، أي: مستقيمة كما قال: ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ و﴿ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ﴾ أي: مستقيمة الطريقة، قائمة بما يحتاج إليه من أمر الدين ﴿ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا﴾ ويبشر عطف على يهدي، والمؤمنين مفعول به، والذين صفة المؤمنين، وجملة يعملون صلة، والصالحات مفعول به، وأن وما في حيزها نصب بنزع الخافض، والجار والمجرور متعلقان بيبشر، ولهم خبر أن المقدم، وأجراً اسمها المؤخر، وكبيراً صفة ﴿ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ وأن الذين عطف على أن لهم أجراً كبيراً، أي: يبشر المؤمنين ببشارتين عظيمتين: الأولى بثوابهم، والثانية بعقاب أعدائهم،

ويجوز أن يعطف على يبشر بإضمار، ويخبر بأن الذين لا يؤمنون معذبون، وجملة أعتدنا خبر أن، ولهم متعلقان بأعتدنا، وعذاباً مفعول به، وأليماً صفة ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ الواو استئنافية، ويدعو الانسان فعل وفاعل، وبالشر متعلقان بمحذوف حال، أو بيدعو، ودعاءه مفعول مطلق، وبالخير حال أيضاً، أو متعلقان بالدعاء لأنه مصدر، والواو عاطفة، أو حالية، وكان واسمها وخبرها ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ وجعلنا فعل وفاعل، والليل مفعول به، والنهار عطف على الليل، وآيتين مفعول به ثان، فمحونا: الفاء عاطفة، ومحونا عطف على جعلنا، وآية الليل مفعول به.

﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وجعلنا فعل وفاعل، وآية النهار مفعول به أول، ومبصرة مفعول به ثان، ولتبتغوا: اللام للتعليل، وتبتغوا مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والواو فاعل، والجار والمجرور متعلقان بقوله: وجعلنا، وفضلاً مفعول به، ومن ربكم متعلقان بتبتغوا، وصفة لقوله فضلاً ﴿وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ ولتعلموا عطف على ولتبتغوا، وعدد السنين مفعول به، والحساب عطف على عدد، ولا تكرار فيهما، وكل شيء نصب على الاشتغال، ورجح نصبه لتقدم جملة فعلية، كما سيأتي في باب الفوائد، وفصلناه فعل وفاعل ومفعول به، وتفصيلاً مفعول مطلق ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ﴾ وكل إنسان نصب على الاشتغال أيضاً، وألزمناه فعل وفاعل ومفعول به، وطائره مفعول به ثان، وفي عنقه حال، أي: كائناً، وسيأتي تفصيل ذلك في باب: البلاغة ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ الواو عاطفة، ونخرج فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: نحن، وله جار ومجرور متعلقان بنخرج، وكتاباً مفعول به، وجملة يلقاه صفة لكتاباً، ومنشوراً إما صفة ثانية لكتاباً، وإما حال ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ جملة «اقرأ كتابك» في موضع نصب مقول قول محذوف، أي: يقال له، واقرأ فعل أمر، وفاعله

مستتر تقديره: أنت، وكتابك مفعول به، وكفى فعل ماض، وبنفسك الباء حرف جر زائد، ونفسك فاعل مرفوع محلاً مجرور بالباء لفظاً، واليوم ظرف متعلق بمحذوف حال، وعليك متعلقان بحسيباً، وحسيباً تمييز، وهو بمعنى حاسب كما ذكر سيبويه، قال سيبويه: ضريب القداح بمعنى: ضاربها، وصريم بمعنى صارم. وأجاز بعضهم إعرابه حالاً لأنه مشتق، وليس ببعيد ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ﴾ من شرطية مبتدأ، واهتدى فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، فإنما: الفاء رابطة وإنما كافة ومكفوفة، ويهتدي فعل مضارع مرفوع، والفاعل هو، ولنفسه متعلقان بيهتدي، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ﴿ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ عطف على الجملة السابقة، وعليها في موضع نصب على الحال، أي: واقعاً ضلاله عليها ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ الواو عاطفة، ولا نافية، وتزر فعل مضارع وفاعل، ووزر مفعول لتزر، أي: تحمل، وأخرى مضاف إليه ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، وكنا كان واسمها، ومعذبين خبرها، حتى حرف غاية وجر، ونبعث فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، ورسولاً مفعول به.

□ **البلاغة:**

(١) المجاز العقلي في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ لأن النهار لا يبصر، بل يبصر فيه، فهو من إسناد الفعل إلى زمانه، وقد تقدم ذكره كثيراً.

(٢) ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ تعبير مسوق على عادة العرب، كانوا لا يباشرون عملاً من الأعمال الهامة إلا إذا اعتبروا أحوال الطير، ليتبينوا إذا كانت مغبة العمل خيراً أم شراً، فإذا طارت الطير بنفسها، أو بإزعاج من أحد، متيامنة، تفاءلوا، وأقدموا على عملهم، وإذا طارت متياسرة تشاءموا، وأحجموا عن عملهم، ولما كثر منهم ذلك سموّا نفس الخير والشر بالطائر، تسمية للشيء باسم لازمه على طريق المجاز المرسل، وقد تقدم ذكره كثيراً.

وإنما خص العنق بالذكر؛ لأنه محل القلادة التي تزين الجيد، وتبدوا لأول وهلة، وتسم المتقلد بها بالوسامة، فكان ذلك كناية عن اتصافه بالخير والشر المقدرين له في لوح الأزل، وإيثاره باختياره جانب واحد منهما كالذي يتبع السوانح، وهي الطير الذاهبة متيامنة، والذي يتبع البوارح، وهي الطير الذاهبة متياسرة. وأجاز بعضهم أن يكون الكلام من باب: الاستعارة التصريحية، أي: استعير الطائر لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد، أي: لما جعلوا الطائر سبباً للخير واشر، وأسندوهما إليه باعتبار سنةحه وبروحه، استعير الطائر لما كان سبباً لهما، وهما قدرة الله الكائنة وعمل العبد المختار، وكما أن الطائر الحقيقي يأتي إلى كل مكان بعد مزايلة وكناته وأعشاشه، فكذلك الحوادث تنتهي إلى الإنسان.

(٣) الطباق بين الهدى والضلال، وقد تقدم.

(٤) في قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ فن الجمع مع التفريق، وهو أن يجمع المتكلم بين شيئين في حكم واحد، ثم يفرق بينهما في ذلك الحكم، ومما ورد منه في الشعر قول البحتري البديع:

ولمَّا الْتَقَيْنا والنَّقا مَوْعِدٌ لنا تَعَجَّبَ رائي الدُّرِّ منَّا ولاقِطُهْ
فَمِنْ لُؤْلُؤٍ تَجْلُوهُ عندَ ابتسامِها ومِنْ لُؤْلُؤٍ عندَ الحديثِ تُسَاقِطُهْ!

* الفوائـد:

☆ الاشتغال:

الاشتغال عرفه النحاة بأنه: اسم تقدم على عامل من حقه أن ينصبه لولا اشتغاله عنه بالعمل في ضميره، نحو: خالد أكرمته، والأفضل في الاسم المتقدم الرفع على الابتداء، والجملة بعده خبره، ويجوز نصبه بفعل محذوف يفسره المذكور بعده، وجملة رأيته مفسرة للجملة المقدرة، ولا محل لها من الإعراب، ولا يجوز إظهار الفعل المقدر، ويقدر بلفظ الفعل المذكور، إلا إذا

كان لازماً، فيقدر بمعناه، نحو: حمص مررت بها، فيقدر بجاوزت مثلاً، وله أحوال:

(١) وجوب النصب:

وذلك إذا وقع بعد أدوات التحضيض والشرط والاستفهام غير الهمزة، نحو: هلاّ الخير فعلته، وإنْ علياً لقيته فسلم عليه، وهل خالداً أكرمته؟ غير أن الاشتغال بعد أدوات الاستفهام والشرط لا يكون إلا في الشعر.

(٢) ترجيح النصب:

ويترجح النصب في خمسة أمور:

آ ـ أن يقع بعد الاسم أمر، نحو: خالداً أكرمه، وقد استثنيت من ذلك مسألة: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ وقد تقدم الكلام عليها مستوفى.

ب ـ أن يقع بعد الاسم نهي، نحو: الكريم لا تهنه.

ج ـ أن يقع بعد الاسم دعاء، نحو: اللهم أمري يسره.

د ـ أن يقع الاسم بعد همزة الاستفهام، كقوله تعالى: ﴿ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ ﴾.

هـ ـ أن يقع الاسم جواباً لمستفهم عنه كقولك: علياً أكرمته، في جواب من قال: من أكرمت؟

(٣) وجوب الرفع:

ويجب الرفع في موضعين:

(١) أن يقع قبل إذا الفجائية نحو: خرجت فإذا الجو يملؤه الضباب، لأن إذا الفجائية لا تدخل على الأفعال.

(٢) أن يقع قبل أدوات الاستفهام، أو الشرط، أو التحضيض، أو

ما النافية، أو لام الابتداء، أو ما التعجبية، أو كم الخبرية، أو إن وأخواتها، نحو: علي هل أكرمته، وسعيد إنْ لقيته فسلم عليه، وخالد هلاّ دعوته، والشر ما فعلته، والخير لأنا أفعله، والخلق الحسن ما أطيبه، وزهير كم أكرمته، وخالد إني أحبه، فالاسم في ذلك كله مبتدأ، والجملة بعده خبر، وإنما لم يجز نصبه؛ لأن هذه الأدوات لها الصدارة، وما بعدها لا يعمل فيما قبلها.

(٤) ترجيح الرفع:

ويترجح الرفع إذا لم يكن هناك ما يوجب نصبه، أو يرجحه، أو يوجب رفعه، نحو: الكتاب قرأته؛ لأن عدم التقدير أولى من التقدير.

وهناك مسائل تتعلق بالاشتغال يرجع إليها في المطولات، وستأتي نكت طريفة منه في هذا الكتاب.

﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴿١٨﴾ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴿١٩﴾ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ﴿٢١﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿مُتۡرَفِيهَا﴾: منعميها بمعنى رؤسائها، وفي القاموس: الترفه بالضم: النعمة، والطعام الطيب، والشيء الظريف تخصّ به صاحبك، وترف كفرح:

تنعّم، وأترفته النعمة: أطغته، أو نعمته كترفته تتريفاً، والمترّف كمكرم: المتروك يصنع ما يشاء ولا يمنع، والمتنعم لا يمنع من تنعمه، وتترف: تنعم. وفي أساس البلاغة: أترفته النعمة: أبطرته، وأترف فلان وهو مُتْرَف، وأعوذ بالله من الإتراف والإسراف، واسترفوا، تعفرتوا وطغوا، ولم أزل معهم في تُرفة، أي: في نعمة.

﴿ مَّدۡحُورًا ﴾: مطروداً، وفي القاموس: الدحر: الطرد، والإبعاد، والدفع كالدحور فعلهن كجعل، وهو داحر ودحور.

○ الإعـراب:

﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا ﴾ الواو استئنافية مسوقة لبيان الأسباب التي تهلك بها القرى، وتدول الشعوب، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة أردنا مضاف إليها الظرف، وأن وما في حيزها مصدر مؤول في محل نصب مفعول به لأردنا، وقرية مفعول به، وجملة أمرنا لا محل لها؛ لأنها جواب إذا، ومترفيها مفعول، ففسقوا الفاء عاطفة، وفسقوا فعل وفاعل، وفيها متعلقان بفسقوا ﴿ فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرًا ﴾ الفاء عاطفة، وحق فعل ماض، وعليها متعلقان بحق والقول فاعل، وفدمرناها فعل وفاعل ومفعول به، وتدميراً مفعول مطلق، وسيأتي تفصيل لهذه الآية البليغة في باب: البلاغة ﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ ﴾ كم خبرية في محل نصب مفعول أهلكنا ومن القرون في محل نصب تمييز لـ «كم»، ومن بعد نوح متعلقان بمحذوف حال، أو بأهلكنا فمن للابتداء ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴾ الباء زائدة في الفاعل، وقد تقدم ذلك قريباً، وبذنوب عباده متعلقان بخبيراً بصيراً ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ من شرطية مبتدأ، وكان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، وجملة يريد العاجلة خبر كان، وعجلنا فعل وفاعل، وهو في محل جزم جواب الشرط، وله متعلقان بعجلنا، وفيها متعلقان بمحذوف حال، وما موصول مفعول به، وجملة نشاء صلة، ولمن الجار والمجرور بدل من له بإعادة العامل، وجملة

نريد صلة ومفعول نريد محذوف، أي: لمن نريد تعجيله، وفعل الشرط، وجوابه خبر من ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ ثم حرف عطف لتراخي المدة، وجعلنا فعل وفاعل، وله في محل نصب مفعول جعلنا الثاني، وجهنم مفعول جعلنا الأول، وجملة يصلاها حال من الضمير في له، ومذموماً حال من الضمير في يصلاها، وكذلك مدحوراً ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ الواو عاطفة، والجملة معطوفة على سابقتها، وهي مماثلة لها في الإعراب، وسعى لها عطف على أراد، وسعيها مفعول مطلق، أي: حق سعيها. ومن سقطات معظم المفسرين كأبي البقاء والكرخي وغيرهما أنهم أجازوا إعراب سعيها مفعولاً به، ونسوا أن سعى فعل لازم، هذا بالإضافة إلى أن المصدرية واضحة تماماً. والواو حالية، وهو مبتدأ، ومؤمن خبر، والجملة نصب على الحال من الضمير في سعى ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ الفاء رابطة لجواب من، وأولئك اسم إشارة مبتدأ، وكان واسمها وخبرها، والجملة خبر أولئك، وجملة أولئك كان الخ في محل جزم جواب الشرط ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ﴾ كلاًّ مفعول به مقدم لنمد، والتنوين عوض عن الإضافة، أي: كل واحد، وفاعل نمد مستتر تقديره: نحن، وهؤلاء بدل من كلاًّ، وهؤلاء عطف على هؤلاء الأولى، ومن عطاء ربك جار ومجرور متعلقان بنمد ﴿ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ الواو عاطفة، أو حالية، وما نافية، وكان واسمها وخبرها.

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ انظر فعل أمر والفاعل مستتر، وكيف اسم استفهام في محل نصب على الحال، وفضلنا فعل وفاعل، وبعضهم مفعول به، وعلى بعض جار ومجرور متعلقان بفضلنا ﴿ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ الواو للحال، واللام للابتداء، والآخرة مبتدأ، وأكبر خبر، ودرجات تمييز نصب بالكسرة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، وأكبر عطف على أكبر الأولى، وتفضيلاً تمييز.

□ البلاغة:

في هذه الآية: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ فنون شتى:

أولها: الالتزام، أو لزوم مالا يلزم، وقد تقدم البحث عنه مستفيضاً، وهو: التزام حرف أو حرفين فصاعداً قبل الروي، على قدر طاقة الشاعر أو الكاتب، من غير كلفة، وإنما قيدناه بعدم الكلفة؛ لأنه يستحيل صنعة باهتة لا أثر فيها لجمال، ويسف عن درجة البلاغة، ولا ينتظم في سلكها، فقد التزم في قوله «مترفيها» و«فيها» الفاء قبل ياء الردف، ولزمت الياء، وسيأتي الكثير منه في القرآن، وهو من أرشق الاستعمالات. ومما ورد فيه التزام سين قبل ألف الردف قول أبي العلاء صاحب «اللزوميات»:

رُوَيْدك قد غررتَ وأنتَ حرٌّ   بصاحبِ حيلةٍ يعظ النِّساء
يحرم فيكم الصّهباء صُبْحاً   ويشربها على عمدٍ مساء
يقول لقد غدوتُ بلا كساء   وفي لذّاتها رهنُ الكساء

وثانيها: المجاز المرسل في قوله: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ لأن حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم افسقوا، وهذا باطل، فبقي أن يكون مجازاً، وإنما جعل الترف، وهو: الاتساع في العيش والبلهنية التي لا حدود لها، ذريعة إلى المعاصي، والانجرار وراء الشهوات، فكأنهم مأمورون بذلك لا مناص لهم عنه، ولا انفكاك لهم منه، وليس ثمة أمر ولا آمر، وإنما هو المال رائد الشهوة، وبريد الغفلة، يزين للنفوس الموبقات، فتسترسل فيها، وتتعامى عن رؤية واقعها، وقد يكون واقعها عالياً وفوق المستويات، بيد أنه لا يحتم أن يهوي بعد أن غفل عنه حارسوه وكالئوه، كما حدث للعرب بعد استبحار مجدهم، واتساع سلطانهم، فهووا من حالق، وأضاعوا ملكاً لم يحافظوا عليه مثل الرجال، على حد قول أم أبي عبد الله آخر ملوك بني الأحمر في الأندلس:

ابكِ مثلَ النِّساءِ ملْكاً مضاعاً   لم تحافظْ عليه مثلَ الرِّجال

وثالثها: الحذف: فقد حذف المأمور به، ولم يقل بماذا أمرهم إيجازاً في القول، واعتماداً على بديهة السامع؛ لأن قول ففسقوا فيها يدل عليه، وهو كلام مستفيض. تقول: أمرته فقام، وأمرته فقرأ، لا يفهم منه إلا أن المأمور به قيام وقراءة، ولو أردت تقدير غيره لتكلفت شططاً، وحذفت مالا دليل عليه هذا في حين توفر الدلائل على نقيضه، كما بيّنا لك.

هذا؛ وقد تورط بعضهم، فزعم في مجازفة لا حدود لها أن أمرنا معناها كثَّرنا، وفي مقدمة هؤلاء المتورطين أبو علي القالي في كتابه الممتع «الأمالي» فقد قال: وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ أي: كثرنا، ولا أدري كيف ساغ له هذا التفسير؛ لأن أمر من باب فرح بكسر الميم، والقراءة أمر بفتحها، وهو أيضاً لازم، ولا يجوز أن تفسر بمعنى كثر المشددة الثاء إلا إذا ضعفت الميم، وقد قرىء بها، فكان الأولى به أن يشير إلى ذلك. قال أبو البقاء: «أمرنا» يقرأ بالقصر والتخفيف، أي: أمرناهم بالطاعة، وقيل: كثرنا نعمهم، وهو في معنى القراءة بالمد، ويقرأ بالتشديد والقصر، أي: جعلناهم أمراء، وقيل: هي بمعنى الممدودة لأنه تارة يعدى بالهمزة، وتارة بالتضعيف.

وفي قوله: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ لف ونشر مرتب، فهؤلاء الأولى للفريق الأول، أي: مريد الدنيا، وهؤلاء الثانية للفريق الثاني، أي: مريد الآخرة.

* الفوائـد:

تساءل بعضهم عن معنى قوله تعالى: ﴿كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وكيف يصح التفاوت بين أبناء البشر وهم سواسية؟ والجواب هو أن التفاوت منوط بالفضل، ومبلغ ما يؤديه المرء لأبناء جلدته وللمجتمع عامة، روى التاريخ أن قوماً من الأشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر بن الخطاب، فخرج الإذن لبلال وصهيب، فشق على أبي سفيان، فقال سهيل بن عمرو:

إنما أتينا من قبلنا أنهم دعوا ودعينا ـ يعني: إلى الإسلام ـ فأسرعوا وأبطأنا. وهذا باب عمر، فكيف التفاوت في الآخرة، ولئن حسدتموهم على باب عمر؛ لما أعد الله لهم في الجنة أكثر.

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَـٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾

○ الإعراب:

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ لا ناهية، وتجعل فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وفاعله ضمير مستتر تقديره: أنت، ومع الله ظرف متعلق بمحذوف مفعول تجعل الثاني، وإلهاً مفعول تجعل الأول، وآخر صفة، فتقعد: الفاء فاء السببية، وتقعد فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية، والفاعل مستتر تقديره: أنت، ومذموماً حال، ومخذولاً حال ثانية، وسيأتي ما في تقعد من أقوال ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لبيان منزلة الوالدين ووجوب معاملتهما من قبل الأبناء معاملة لائقة، وقضى ربك فعل وفاعل، ومعنى قضى: أمر أمراً قاطعاً، وقيل: أوصى، و«أن» يحتمل أن تكون مصدرية، فلا نافية، وتعبدوا منصوب بها، والمصدر منصوب بنزع الخافض، والجار والمجرور متعلقان بقضى، وقيل: مفسرة؛ لأن قضى فيه معنى القول دون حروفه، أو مخففة من الثقيلة، فلا على الحالين ناهية، وتعبدوا مجزوم بها، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل، وإلا أداة حصر، وإياه مفعول، وبالوالدين جار ومجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: وأحسنوا، وإحساناً

مفعول مطلق ناصبه الفعل المحذوف، وإنما علقناهما بالفعل المحذوف لأن المصدر لا تتقدم عليه صلته ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا ﴾ إن شرطية زيدت عليها ما تأكيداً لها، ويبلغن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وهو في محل جزم فعل الشرط، وعندك ظرف متعلق بمحذوف حال، وأحدهما فاعل يبلغن، والميم والألف حرفان دالان على التثنية، وأو حرف عطف، وكلاهما عطف على أحدهما، وعلامة رفعه الألف؛ لأنه ملحق بالمثنى، ومعنى عندك، أي: حالة كونهما في كفالتك يتولى منهما ما كانا يتوليان منه إبان الطفولة، وفي ذلك منتهى التوصية باستعمال لين الجانب، ودماثة الخلق معهما في هذه الحال ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ الفاء رابطة للجواب، ولا ناهية، وتقل فعل مضارع مجزوم بلا، ولهما متعلقان بتقل، وأف اسم فعل مضارع بمعنى التضجر، وفاعله مستتر تقديره: أنا، والجملة مقول القول، وسيأتي تحقيق واسع في هذه الكلمة، وفي أسماء الأفعال في باب: الفوائد، ولا تنهرهما عطف على لا تقل لهما والنهر الزجر، وقل فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، ولهما متعلقان بقل، وقولاً مفعول مطلق، وكريماً صفة ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ واخفض لهما عطف على وقل لهما، وجناح الذل مفعول به، ومن الرحمة متعلقان باخفض فمن للتعليل، أي: من أجل الرحمة، أو الابتداء، أي: أن هذا الخفض ناشىء من الرحمة المركوزة في الطبع، ولك أن تعلقها بمحذوف حال ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ وقل عطف على ما تقدم، ورب منادى مضاف لياء المتكلم محذوف منه حرف النداء، وارحمهما فعل دعاء، وكما نعت لمصدر محذوف، أي: ارحمهما رحمة مثل تربيتهما لي، أو رحمة مثل رحمتهما لي، فتكون التربية بمعنى الرحمة، وربياني فعل ماض، والألف ضمير الاثنين فاعل، والنون للوقاية، والياء مفعول به، وصغيراً حال من الياء ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ﴾ ربكم مبتدأ، وأعلم خبر، وبما متعلقان بأعلم، وفي نفوسكم صلة ما ﴿ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾ الجملة حالية، وإن شرطية، وتكونوا فعل

الشرط، الواو اسمها، وصالحين خبرها، والفاء رابطة للجواب، وإن واسمها، وجملة كان خبرها، وللأوابين، أي: التوابين، متعلقان بغفوراً، وغفوراً خبر كان.

□ البلاغة:

(١) في قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ استعارة شغلت علماء البيان، وقد وعدناك أن نتحدث عن هذه الاستعارة مطولاً، فلنبحث هذا الموضوع، ولنورد ما قاله البيانيون في صددها: فهي استعارة مكنية؛ لأن إثبات الجناح للذل يخيل للسامع أن ثمة جناحاً يخفض، والمراد: ألن لهما جانبك، وتواضع لهما تواضعاً يلصقك بالتراب، والجامع بين هذه الاستعارة والحقيقة أن الجناح الحقيقي في أحد جانبي الطائر، وأن الطائر إذا خفض جناحه، وهو الذي به يتقوى وينهض، انحط إلى الأرض، وأسف إلى الحضيض، ولصق بالتراب، فالاستعارة مكنية؛ إذ شبهت إلانة الجانب بخفض الجناح، بجامع العطف والرقة، وهذه أجمل استعارة، وأحسنها، وكلام العرب جاء عليها.

وذكر الصولي في كتابه «أخبار أبي تمام»: وعابوا عليه ـ أي: على أبي تمام ـ قوله:

لا تسقني ماءَ الملامِ فإنَّني ... صَبٌّ قد استعذبتُ ماءَ بكائي

فقالوا: ما معنى ماء الملام؟ وهم يقولون: كلام كثير الماء، وما أكثر ماء شعر الأخطل، قاله يونس بن حبيب ويقولون: ماء الصبابة، وماء الهوى، يريدون الدمع. قال ذو الرمة:

أَأَنْ تَرَسَّمْتَ مِنْ خَرْقَاءَ مَنْزِلةً ... ماءُ الصَّبابةِ من عينيكَ مسْجُوم؟

وقال أيضاً:

أَدَاراً بحُزْوَى هِجْتِ للعينِ عَبْرَةً ... فماءُ الهوى يَرْفَضُّ أو يَتَرَقْرَقُ

وقال عبد الصمد ـ وهو مَحْسِنٌ عند من يطعن على أبي تمام:

أيُّ مـاءٍ لمـاءِ وجهِـكَ يَـبْـقَـى ‏ ‏ ‏ ‏ بعد ذُلِّ الهَوَى وذُلِّ السُّؤال؟

فصير لماء الوجه ماء. وقالوا: ماء الشباب يجول في وجناته، فما يكون أن استعار أبو تمام من هذا كله حرفاً، فجاء به في صدر بيته لما قال في آخر بيته: فإنني صب قد استعذبتُ ماء بكائي. قال في أوله: لا تسقني ماء الملام، وقد تحمل العرب اللفظ على اللفظ فيما لا يستوي معناه قال الله عز وجل: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ والسيئة الثانية ليست بسيئة لأنها مجازاة، ولكنه لما قال: وجزاءِ سيئة قال: سيئة، فحمل على اللفظ، وكذلك: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾ وكذلك: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ لما قال بشر هؤلاء بالجنة قال: بشر هؤلاء بالعذاب، والبشارة إنما تكون في الخير لا في الشر، فحمل اللفظ على اللفظ. ويقال: إنما قيل لها البشارة لأنها تَبْسُط الوجهَ، فأما الشر والكراهة فإنهما يَقْبِضانه، وقال الأعشى:

يزيدُ يَغُضُّ الطَّرْفَ دُوني كأنَّما ‏ ‏ ‏ ‏ زَوَى بين عَيْنَيْه عليَّ المحاجمُ

وقال الله عز وجل: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ فهذه أجمل استعارة وأحسنها، وكلام العرب جارٍ عليها، فما يكون أنْ قال أبو تمام:

لا تسقنـي مـاءَ المـلامِ فـإنَّنـي ‏ ‏ ‏ ‏ صَبٌّ قد استعذبتُ ماءَ بكائي

أما ابن الأثير فيقول في كتابه «المثل السائر»:

وقد عيب عليه قوله:

لا تسقنـي مـاءَ المـلامِ فـإنَّنـي ‏ ‏ ‏ ‏ صَبٌّ قد استعذبتُ ماءَ بكائي

وقيل: إنه جعل للملام ماء، وذلك تشبيه بعيد، وما بهذا التشبيه عندي من بأس، بل هو من التشبيهات المتوسطة التي لا تحمد ولا تذم، وهو قريب من وجه، بعيد من وجه، أما سبب قربه فهو أن الملام هو القول الذي يعنف به الملوم لأمر جناه، وذلك مختص بالسمع، فنقله أبو تمام إلى السقيا التي هي مختصة بالحلق، كأنه قال: لا تذقني الملام، ولو تهيأ له ذلك مع وزن الشعر لكان تنبيهاً حسناً، ولكنه جاء بذكر الماء فحط من درجته شيئاً، ولما كان

السمع يتجرع الملام أولاً كتجرع الحلق الماء، صار كأنه شبيه به، وهو تشبيه معنى بصورة. وأما سبب بعد هذا التشبيه فهو أن الماء مستلذّ، والملام مستكره، فحصل بينهما مخالفة من هذا الوجهه، فهذا التشبيه إن بعد من وجه، فقد قرب من وجه، فيغفر هذا لهذا، ولذلك جعلته من التشبيهات المتوسطة التي، لا تحمد ولا تذم. وقد روي أن بعضَ أهل المجانة أرسل إلى أبي تمام قارورة وقال: ابعث في هذه شيئاً من ماء الملام، فأرسل إليه أبو تمام وقال: إذا بعثت إليّ ريشة من جناح الذل بعثت إليك شيئاً من ماء الملام. وما كان أبو تمام ليذهب عليه الفرق بين هذين التشبيهين، فإنه ليس جعل الجناح للذل كجعله الماء للملام، فإن الجناح للذل مناسب، وذاك أن الطائر إذا وَهَنَ أو تَعِبَ بسط جناحه، وخفضه، وألقى نفسه على الأرض، وللإنسان أيضاً جناح، فإن يديه جناحاه، وإذا خضع واستكان طأطأ من رأسه، وخفض من يديه، فحسن عند ذلك جعل الجناح للذل، وصار تشبيهاً مناسباً، وأما الماء الملام فليس كذلك في مناسبة التشبيه.

هذا ما أورده الصولي وابن الأثير، وقد عقب عليهما كثير من نقاد القرن الرابع الهجري، ووقفوا منهما بين مؤيد ومعاكس، فأخذ الآمدي برأي الصولي في كتابه «الموازنة» ولكن على أساس آخر من الفهم، وعاب على أبي تمام استعماله استعارات شبيهة بماء الملام، قال: فمن مرذول ألفاظه وقبيح استعارته قوله:

يا دهر قوِّم من أخدعيكَ فقد ... أضججتَ هذا الأنامَ من خرقك

وقال:

سأَشْكُرُ فَرْجَةَ الليتِ الرَّخِيِّ ... ولِيْـنَ أَخَـادعِ الـدَّهْـرِ الأَبـيِّ

وقال:

أَنْزَلَتْهُ الأيامُ عن ظَهْرِها مِنْ ... بَعْدِ إثباتِ رِجْلِهِ في الرِّكابِ

وقال:

كأنَّني حين جَرَّدْتُ الرَّجاءَ له ... غضّاً صببتُ به ماءً على الزَّمَنِ

ثم قال: وأشباه هذا مما إذا تتبعته في شعره وجدته، فجعل كما ترى مع غثاثة هذه الألفاظ للدهر أخدعاً، ويداً تقطع من الزند، وكأنه يصرع ويحل، ويشرق بالكرام، ويبتسم، وإن الأيام تنزلع، والزمان أبلق، وجعل للممدوح يداً، وجعل للأيام ظهراً يركب، والزمان كأنه صب عليه ماء.

ولننظر الآن في ماء الملام ـ عند أبي تمام ـ أهو تعبير طبيعي؟ أهو تعبير سائغ مستحسن؟ إن إطلاق الماء وإضافته إلى البكاء يثب بالذهن أولاً إلى الصورة المباشرة المعروفة للماء الذي يشرب، والماء في البحار والمحيطات والأنهار، ثم ماء المطر. وبمجرد أن تنطلق كلمة بكاء يتضاءل المعنى الأول فجأة، وينكمش إلى صورة جزئية، هي بضع قطرات من الدمع، ولكن على أية حال هناك صلة تجعل الصورة محتملة، أما ماء الملام فلا صلة البتة بين الماء والملام، وإذا انطلقت كلمة ماء بمعانيها الأصلية والربطية، ومعها كلمة الملام ومعانيها الربطية، فلا يجمع بينهما صلة، أو رابط مشترك من الصور الجزئية؛ لذلك كان التعبير بارداً مختلاً، لا يدل في الذهن على شيء؛ لأنه لا صلة بين الملام والماء، أما ما احتج به الصولي من القرآن، فلا يبرر ما اعتمده، فإن كلمة السيئة اقترنت بكلمة الجزاء، فأثارت معنى آخر مقابلاً هو القصاص، وقد سماه القرآن سيئة، ولكن أصحاب البديع يحاولون الاستشهاد بالشاهد القرآني ليبرروا صناعة أبي تمام، ومَن نحا نحوه.

ووجدت للسكاكي رأياً يستهجن فيه قول أبي تمام قال فيه: إن الاستعارة التخييلية فيه منفكة عن الاستعارة بالكناية، وصاحب الإيضاح يمنع الانفكاك فيه، مستنداً بأنه يجوز أن يكون قد شبه الملام بظرف شراب مكروه، فيكون استعارة بالكناية، وإضافة الماء تخييلية، أو أنه تشبيه من قبيل لجين الماء لا استعارة، قال: ووجه الشبه أن اللوم يسكن حرارة الغرام، كما أن الماء يسكن غليل الأوام، وقال الفاضل الجلبي في حاشية المطول: فيه نظر؛ لأن المناسب للعاشق أن يدعي أن حرارة غرامه لا تسكن بالملام، ولا بشيء آخر، فكيف يجعل ذلك وجه شبه. اهـ كلامه.

ورأيت في كتاب «الكشكول» للعاملي رأياً مطولاً فيه ننقل خلاصته تتمة للبحث قال: إن للبيت محملاً آخر كنت أظن أني لم أسبق إليه، حتى رأيته في «التبيان» وهو أن يكون ماء الملام من قبيل المشاكلة لذكر ماء البكاء، ولا تظن أن تأخر ذكر ماء البكاء يمنع المشاكلة، فإنهم حرصوا في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ وأن تسميته الزحف على البطن مشياً لمشاكلة ما بعده، وهذا الحمل إنما يتمشى على تقدير عدم صحة الحكاية المنقولة. ثم أقول: هذا الحمل أولى مما ذكره صاحب «الإيضاح» فإن الوجهين اللذين ذكرهما في غاية البعد، إذ لا دلالة في البيت على أن الماء مكروه، كما قاله المحقق التفتازاني في المطول، والتشبيه لا يتم بدونه، وأما ما ذكر صاحب «المثل السائر» من أن وجه الشبه أن الملام قول يعنف به الملوم، وهو مختص بالسمع، فنقله أبو تمام إلى ما يختص بالحلق كأنه قال: لا تذقني الملام، ولما كان السمع يتجرع الملام أولاً كتجرع الحلق الماء، صار كأنه شبيه به، فهو وجه في غاية البعد أيضاً كما لا يخفى، والعجب منه أن جعله قريباً، وغاب عنه عدم الملاءمة بين الماء والملام، هذا؛ وقد أجاب بعضهم عن نظر الفاضل الجلبي في كلام صاحب «الإيضاح» بأن تشبيه الشاعر الملام بالماء في تسكين نار الغرام إنما هو على وفق معتقد اللوام بأن حرارة غرام العشاق تسكن بورود الملام، وليس ذلك على وفق معتقده، فلعل معتقده أن نار الغرام تزيد بالملام، قال أبو الشيص:

أَجِدُ الملامةَ في هَوَاكِ لذيذةً حُبّاً لِـذِكْـرِكِ فَلْيَلُمْنِـي اللُّـوَّمُ

أو أن تلك النار لا يؤثر فيها الملام أصلاً، كما قال الآخر:

جاؤوا يرومُون سُلْواني بلومِهِم عن الحبيبِ فراحُوا مثلما جاؤوا

فقول الجلبي: لأن المناسب للعاشق إلى آخره غير جيد، فإن صاحب «الإيضاح» لم يقل إن التشبيه معتقد العاشق، وعقب العاملي صاحب «الكشكول» على ذلك: إن ذكر صاحب «الإيضاح» الكراهة في الشراب صريح بأنه غير راض بهذا الجواب.

(٢) صورة مجسّدة لطاعة الوالدين:

هذا؛ ولا بد من التنويه بالصورة المجسدة التي رسمتها الآية لطاعة الوالدين وبرّهما، ليتدبرها البنون، ويكتنهوا سرها الخفي، وقد أفصح عنها رسول الله ﷺ بجلاء حين شكا إليه رجل أباه، وأنه يأخذ ماله، فدعا به فإذا شيخ يتوكأ عصا، فسأله فقال: إنه كان ضعيفاً، وأنا قوي، وفقيراً وأنا غني، فكنت لا أمنعه شيئاً من مالي، واليوم أنا ضعيف وهو قوي، وأنا فقير وهو غني، ويبخل علي بماله! ثم التفت إلى ابنه منشداً:

غَـذَوْتُـكَ مَـوْلُـوداً وعِلْتُـكَ يـافِعـاً
تُعَـلُّ بمـا أُدْني إليـكَ وتَنْهَـلُ

إذا ليلـةٌ نـابَتْـكَ بـالشَّكْـو لم أَبِـتِ
لأجلـكَ إلا سـاهِـراً أَ تَمَلْمَـلُ

كـأنِّي أنـا المطـروقُ دُونَـكَ بـالـذي
طُـرِقْـتَ بـهِ دُوني فَعَيْنـي تَهْمُـلُ

فلمَّـا بَلَغْـتَ السِّـنَّ والغـايـةَ التـي
إليهـا مَـدَى مـا كنـتُ فيـكَ أُؤمِّـلُ

جَعَلْتَ جَزائي منكَ غلظةً وفَظَاظةً
كـأنَّـك أنـتَ ا لمُنْعِـمُ ا لمُتَفَضِّـلُ

فَلَيْتَـكَ إذْ لـم تَـرْعَ حَـقَّ أُبُـوَّتي
فَعَلْـتَ كمـا الجـارُ المجـاورُ يَفْعَـلُ

فبكى رسول الله ﷺ وقال: «ما من حجر ولا مدر يسمع هذا إلا بكى» ثم قال للولد: «أنت ومالك لأبيك».

وعن ابن عمر أنه رأى رجلاً في الطواف يحمل أمه ويقول:

إنِّي لهـا مطيـةٌ لا تـذعـر إذا الـركـابُ نفـرتْ لا تنفـر
مـا حملـتْ وأرضعتنـي أكثـر الله ربي ذو الجـلالِ أكبر

تظنني جازيتها يا بن عمر؟ قال: لا، ولو زفرة واحدة.

* الفوائـد:

(١) القول في «أف»:

اختلف النحاة في أسماء الأفعال، هل هي ألفاظ نائبة عن الأفعال، أو لمعانيها من الأحداث والأزمنة، أو أسماء للمصادر النائبة عن الأفعال، أو هي أفعال. والصحيح أنها أسماء أفعال، وأنها لا موضع لها من الإعراب، وقد قدمنا أقسامها، ونقول: إن «أف» اسم فعل مضارع، ومعناه: أتضجر، وفيه أربعون لغة، وحاصلها أن الهمزة إما أن تكون مضمومة، أو مكسورة، أو مفتوحة، فإن كانت مضمومة فاثنتان وعشرون لغة، وحاصل ضبطها أنها إما مجردة عن اللواحق، أو ملحقة بزائد، والمجردة إما أن يكون آخرها ساكناً أو متحركاً، والمتحركة إما أن تكون مشددة أو مخففة، وكل منهما مثلث الآخر فهذه اثنتا عشرة، والساكنة إما مشددة أو مخففة مع التنوين، وعدمه، فهذه أربع عشرة، واللواحق لها من الزوائد، إما هاء السكت، أو حرف المد، فإن كان هاء السكت فالفاء مثلثة مشددة، فهذه سبع عشرة، وإن كان حرف مد، فهو إما واو أو ياء أو ألف، والفاء فيهن مشددة، مع التنوين وعدمه، فهذه ست، وفتح الفاء وكسرها بالتشديد فيهما مع التنوين وعدمه، فهذه أربع لغات، والحادية عشرة: أفي بالإمالة، وإن كانت مفتوحة فالفاء مشددة مع الفتح والكسر، والتنوين وعدمه، والخامسة: أف بالسكون، والسادسة: أفي بالإمالة، والسابعة: أفاه بهاء السكت، فهذه السبع مكملة للأربعين، وقد قرىء من هذه اللغات بسبع: ثلاث في المتواتر، وأربع في الشواذ، وقراءة حفص وهي قراءتنا أف بالكسر والتنوين مع التشديد.

(٢) لمحة في العقوق:

ومما جاء في العقوق ما يروى عن جرير فقد كان أعق الناس بأبيه، وكان بلال ابنه كذلك، فراجع جرير بلالاً في الكلام فقال له: الكاذب بيني

وبينك . . . أمه، فأقبلت أمه عليه، وقالت: يا عدو الله! تقول هذا لأبيك، فقال جرير: دعيه فكأنه سمعها مني، وأنا أقولها لأبي.

وممن شهر عنه العقوق بوالديه الحطيئة الشاعر المخضرم، قال يهجو أباه:

فنعمَ الشيخُ أنت لدى المخازي   وبئس الشيخُ أنت لدى الفعال

جمعتَ اللؤم لا حيَّاكَ ربِّي   وأبوابَ السَّفاهةِ والضَّلال

وقال يهجو أمه:

لحاكِ الله ثم لحاكِ أماً   ولقاكِ العقوقَ من البنينا

أغربالاً إذا استودعتِ سرّاً   وكانوناً على المتحدِّثينا

وممن هجا أباه علي بن بسام، قال في أبيه:

هبك عمرتَ عمرَ عشرين نسراً   أترى أنَّني أموتُ وتبقى؟

فلئن عشتُ بعد موتك يوماً   لأشقَّنَّ جيبَ مالك شقّا

وقال فيه أيضاً:

بنى أبو جعفر داراً فشيَّدها   ومثله لخيارِ الدُّورِ بنّاء

فالجوعُ داخلها والذلُّ خارجها   وفي جوانبها بؤسٌ وضراء

ما ينفعُ الدار من تشييد حائطِها   وليس داخلها خبزٌ ولا ماء

ولقد كذب، كان أبو جعفر محمد بن منصور بن بسام في نهاية السؤدد والمروءة والنظافة، كان رجلاً مترفاً، نبيل المركب، مليح الملبس، له همة في تشييد البنيان، وما رثاه به ابن الرومي يدل على كذب ابنه، قال ابن الرومي فيه:

أودى محمد بن نصر بعد ما   ضربتْ به في جودِه الأمثال

ملك تنافست العُلا في عمره   وتنافستْ في موته الآجال

من لم يعاينْ سيرَ نعشِ محمد   لم يدرِ كيف تسيرُ الأجيال

وذخرته للدَّهرِ أعلمُ أنه   كالحصنِ فيه لمن يؤولُ مآل

وتمتعتْ نفسي بروحِ رجائه   زمناً طويلاً والتمتعُ مال

ورأيته كالشَّمس إن هي لم تنلْ فـالـرِّفـقُ منهـا والضيـاءُ ينـال
بالله أقسمُ أن عمركَ ما انقضى حتى انقضى الإحسانُ والإجمال

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ فَتَقْعُدَ ﴾: فتصير، وهو من المجاز. قال في الأساس: ومن المجاز وقعد عن الأمر: تركه، وقعد له: اهتم به، وقعد يشتمني: أقبل، وأرهف شفرته حتى قعدت كأنها حربة: صارت، وقال الدّيان الحارثي:

لأُصْبحنَّ ظالماً حرْباً رَباعِيَة فاقْعُدْ لها ودَعَنْ عنك الأظانينا

وتقاعد عن الأمر وتقعّد، وما قعد به عن نيل المساعي، وما تقعّده، وما أقعده إلا لُؤْم عُنْصره، وقال:

بَنُو المجدِ لم تَقْعُدْ بهم أُمَّهاتُهم وآباؤهم آباءُ صِدْقٍ فأنجَبُوا

﴿ مَّحْسُورًا ﴾: منقطعاً لا شيء عندك، من حسره السفر: إذا بلغ منه. وفي المختار: والحسرة: شدة التلهف على الشيء الفائت، تقول: حسر على الشيء، من باب: طرب، وحسرة أيضاً فهو حسير، وحسّرعه غيره تحسيراً.

﴿ وَيَقْدِرُ ﴾: يقال قدر عليه رزقه، وقدّر: قتر وضيق.

﴿ إِمْلَٰقٍ ﴾: فقر وفاقة، يقال أملق الرجل: أنفق ماله حتى افتقر، ورجل

مملق. وقال أعرابي: قاتل الله النساء كم يتملقن العلل، لكأنها تخرج من تحت أقدامهن، أي: يستخرجنها.

﴿خِطْـًٔا﴾: مصدر خطيء، من باب: علم.

○ الإعراب:

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ وآت ذا القربى حقه: آت فعل أمر، وفاعل مستتر تقديره: أنت، وذا القربى مفعول به، وحقه مفعول به ثان، والمسكين وابن السبيل عطف على ذا القربى، ولا ناهية وتبذر مضارع مجزوم بلا، وتبذيراً مفعول مطلق ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾ إن واسمها، وجملة كانوا خبرها، وإخوان الشياطين خبر كان، أي: أمثالهم، والعرب تقول لكل ملازم سنة قوم: هو أخوهم، والملازم للشيء هو أخ له، فيقولون: فلان أخو الجود، وأخو الكرم، وأخو الشعر ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ الواو عاطفة، أو حالية، وكان واسمها، ولربه متعلقان بكفوراً، وكفوراً خبر كان، ولا بد من تقدير مضاف، أي: لنعم ربه وآلائه ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ وإما: إن شرطية، وما زائدة، وتعرضن فعل الشرط، وهو في محل جزم، والفاعل مستتر تقديره: أنت، وعنهم متعلقان بتعرضن، وابتغاء رحمة مفعول من أجله، ولك في ناصبه وجهان: فإما أن تجعله فعل الشرط من وضع المسبب مكان السبب، أي: وإن أعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو أن يفتح لك، فسمى الرزق رحمة، فردهم رداً جميلاً، وإما تجعله جواب الشرط، وقد تقدم عليه، أي: فقل لهم قولاً كريماً ليناً، وعدهم وعداً جميلاً، تطييباً لقلوبهم، ابتغاء رحمة من ربك. ومن ربك صفة لرحمة، وجملة ترجوها حال من رحمة، أو صفة ثانية، فقل: الفاء رابطة، وقل فعل أمر، ولهم متعلقان بقل، وقولاً مفعول مطلق، وميسوراً صفة ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتجعل مضارع مجزوم بلا، والفاعل مستتر تقديره: أنت، ويدك مفعول تجعل الأول، ومغلولة مفعول تجعل الثاني، وإلى عنقك

جار ومجرور متعلقان بمغلولة ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ ولا تبسطها عطف على لا تجعل، وكل البسط: مفعول مطلق، فتقعد: الفاء فاء السببية، وتقعد مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء المسبوقة بالنهي، وستأتي الشروط التي يجب أن تسبق هذه الفاء في باب: الفوائد، وفاعل تقعد مستتر تقديره: أنت، وملوماً محسوراً حالين، أو تجعلهما خبرين لتقعد إذا ضمنتها معنى تصير ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ إن واسمها، وجملة يبسط خبرها، والرزق مفعول به، ولمن متعلقان بيبسط، وجملة يشاء صلة، ويقدر عطف على يبسط، وإن واسمها، وجملة كان خبرها، واسم كان مستتر تقديره: هو، وبعباده متعلقان بخبيراً بصيراً، وهما خبران لكان ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ لا ناهية، وتقتلوا مجزوم بها، وأولادكم مفعول به، وخشية مفعول لأجله، وإملاق مضاف إليه ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ نحن مبتدأ، وجملة نرزقهم خبر، وإياكم عطف على الهاء، وإن واسمها، وجملة كان خبر إن، وخطئاً خبر كان، واسمها مستتر تقديره: هو، وكبيراً صفة لخطئاً.

□ البلاغة:

اشتملت هذه الآيات على طائفة من الحكم والأمثال، وعلى أنواع من البلاغة، نوجزها فيما يلي:

(١) الاستعارة التمثيلية:

في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ استعارة تمثيلية لمنع الشحيح وإعطاء المسرف، فقد شبه حال البخيل في امتناعه من الإنفاق بحال من يده مغلولة إلى عنقه، فهو لا يقدر على التصرف في شيء، وشبه حال المسرف المبذر المتلاف بحال من يبسط يده كل البسط، فلا يبقي على شيء في كفه، ولا يدخر شيئاً ينفعه في حال الحاجة؛ ليخلص إلى نتيجة مجدية وهي: التوسط بين الأمرين، والاقتصاد الذي هو: وسط بين الإسراف والتقتير، وقد طابق في الاستعارة بين بسط اليد وقبضها من حيث المعنى؛ لأن

جعل اليد مغلولة هو قبضها وغلّها أبلغ في القبض، وقد رمق أبو تمام سماء هذا المعنى فقال في المعتصم:

تعوَّدَ بَسْطَ الكفِّ حتَّى لو أنه ثَناها لقبضٍ لم تُطِعْهُ أنامِلُهْ

(٢) التغاير:

في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ وقد تقدم بحثه في سورة الأنعام، وفيه سر خفي بين ما جاء في سورة الإسراء وما جاء في سورة الأنعام، وهو قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ فجدد به عهداً، ونضيف إليه الآن: أن قتل الأولاد إن كان مبعثه خوف الفقر، فهو من سوء الظن بالله، واليأس من رحمته، وإن كان مبعثه الغيرة على البنات فهو تدبير أرعن، لا ينجم عنه إلا هدم المجتمع، وتعطيل معالم الحياة.

* الفوائد:

شروط النصب بأن بعد فاء السببية وواو المعية:

لا تضمر أن بعد فاء السببية وواو المعية أيضاً إلا بشرطين أساسيين، وهما: أن يسبقهما نفي، أو طلب محضين، ولا فرق في النفي بين أن يكون حرفاً، أو فعلاً، أو اسماً، أو تقليلاً مراداً به النفي. ومثال التقليل: قلما تأتينا فتحدثنا، وأما الطلب فيشمل سبعة أمور، وهي: الأمر، والنهي، والدعاء، والعرض، والتحضيض، والاستفهام، والتمني. فهذه سبعة مع النفي تصير ثمانية، وزاد بعضهم الترجي، وقد جمع هذه التسعة بقوله:

مُرْ وانهَ وادعُ وسلْ عرض لحضّهم
تمنّ وارج كذاك النَّفي قد كملا

واحترزنا بقولنا: «نفي أو طلب محضين» من النفي التالي تقريراً بالهمزة؛ لأن التقرير إثبات، ومن النفي المتلو بالنفي؛ لأن نفي النفي إثبات، ومن النفي المنتقض بإلا، ومما يجب مراعاته قول جميل بن معمر العذري:

ألم تَسأل الرَّبْعَ القواء فَيَنْطِقُ وهل يُخبِرَنْكَ اليومَ بَيْداءُ سَمْلَقُ؟

فينطق مرفوع، وهو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف أي: فهو ينطق، والفاء استئنافية، وليست للسببية، كما أنها ليست للعطف؛ إذ العطف يقتضي الجزم. ورجح ابن هشام في «المغني» أن تكون الفاء للعطف، وأن المعتمد بالعطف الجملة لا الفعل وحده، وإنما يقدر النحويون كلمة هو ليبينوا أن الفعل ليس المعتمد بالعطف، قال: ومثله: فإنما يقول له كن فيكون. أي: فهو يكون حينئذ، وقوله:

الشِّعْر صعبٌ وطويلٌ سلّمه إذا ارتقى فيه الذي لا يَعْلَمُه

زلَّتْ به إلى الحَضِيضِ قَدَمُه يريدُ أن يعربَه فَيُعْجِمُه

أي: فهو يعجمه.

ونعود إلى بيت جميل فنقول: أورده سيبويه في كتابه، وقال ما نصه: لم يجعل الأول سبب الآخر، ولكنه جعله ينطق على كل حال، كأنه قال وهو مما ينطق، كما يقال: ائتني وأحدثك، فجعل نفسه ممن يحدثه على كل حال، وزعم يونس أنه سمع هذا البيت. وإنما كتبت ذلك لئلا يقول إنسان فلعل الشاعر قال: إلا اهـ. وقال ابن النحاس: تقرير معناه أنك سألته، فيقبح النصب؛ لأن المعنى يكون: إنك إن تسأله ينطق. وقال الأعلم: الشاهد فيه رفع ينطق على الاستئناف والقطع، على معنى: فهو ينطق، وإيجاب ذلك، ولو أمكنه النصب على الجواب لكان أحسن.

وقال الفراء: أي: قد سألته فنطق، ولو جعلته استفهاماً وجعلت الفاء شرطاً لنصبت، كما قال آخر:

ألم تسأل فتخبرَكَ الدِّيارا عن الحيِّ المضلّل حيث سارا

والجزم في هذا البيت جائز، كما قال:

فقلتُ له صوب ولا تجهدنه فيدرك من أخرى القَطاة فتزلقُ

فجعل الجواب بالفاء كالمنسوق على ماقبله.

هذا؛ ولأهمية هذا البيت وعناية العلماء به نقول: إنه مطلع قصيدة لجميل بن معمر العذري صاحب بثينة المشهور وبعده، وهو من جيد الشعر:

بِمُختلِـف الأرواحِ بيــن سُــوَيقــةٍ
وأَحْـدَبَ كـادتْ بعـد عَهْـدِكَ تَخْـلَقُ

أَضــرَّتْ بهـا النَّكْبَـاءُ كــلَّ عشيــةٍ
ونَـفْـخُ الصَّـبـا والـوابــلُ المُتَعَـبِّـقُ

وقفـتُ بهـا حتـى تجلَّـتْ عَمـايتـي
ومـلَّ الـوقـوفَ الأرحبـيُّ المُنـوَّقُ

وقــال صَــديقــي: إنَّ ذا لَصَبـابــةٌ
أَلاَ تَـزْجُـرُ القلـبَ اللَّجُـوجَ فَيَلْحَـقُ؟

تَعَــزَّ وإنْ كــانــتْ عليـك كـريمــةً
لعلـكَ مِــن أسبـابِ بَـثْـنَـة تُـعْتَـقُ

فقلــتُ لــه: إنَّ البِعــادَ يَشُــوقُنــي
وبعـضُ بعـادِ البَيـنْ والنَّـأي أَشْـوقُ

والربع: المنزل، والقواء: القفر، وجعله ناطقاً للاعتبار بدروسه وتغيره، ثم حقق وأخبر أنه لا يجيب، ولا يخبر سائله لعدم وجود القاطنين به، البيداء: القفر، والسملق: الأرض التي لا شيء فيها.

ومما اختلف فيه وكان موضع الدقة قول عروة العذري صاحب عفراء:

وما هـو إلا أن أراهـا فجـاءةً فأبهتَ حتَّى ما أكـادُ أُجـيب

قال سيبويه: وسألت الخليل عن قول الشاعر: وما هو إلا أن أراها. . الخ فقال: أنت في «فأبهت» بالخيار إن شئت حملتها على أن، وإن شئت لم تحملها عليها فرفعت، كأنك: قلت: ما هو إلا الرؤى فابهت. ومعنى ما أراده سيبويه أن النصب بالعطف، على أن المراد المصدر، والتقدير: فما هو إلا الرؤية فأبهت، والرفع على القطع والاستئناف، والمعنى: فإذا أنا مبهوت. وإنما أطلنا في هذا لأنه من الدقة بمكان، فاعرفه، وقس عليه.

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾: يكتب بالياء؛ لأنه مصدر زنى يزني، ويكتب بالألف على أنه مقصور من الزناء بالمد، ويقولون: هو زان بين الزنى، والزناء بالمد والقصر، قال الفرزدق:

أبـا خـالـدٍ مَـنْ يَـزْنِ يُعْلَـمْ زِنـاؤه
ومَنْ يَشْرَبِ الخُرْطُومَ يُصْبِح مُسَكَّرا

وقال الفراء: المقصور من زنى، والممدود من زانى، يقال: زاناها مزاناة وزناء، وخرجت فلانة تزاني وتباغي، وقد زنّى بها، وهو ولد زنية، وإنه لزنية بالفتح والكسر.

﴿ بِٱلْقِسْطَاسِ ﴾ هو رومي عُرِّب كما تقدم، وقد ذكرنا من قبل أن ذلك لا يقدح في عربية القرآن؛ لأن العجمي إذا استعملته العرب، وأجرته مجرى كلامهم في الإعراب والتعريف والتنكير ونحوها، صار عربياً، وسيأتي المزيد من هذا البحث المفيد، والقسطاس: بالضم والكسر وهو القرسطون، أي:

القبان، وقيل: كل ميزان صغر أو كبر.

﴿وَلَا تَقْفُ﴾ ولا تتبع، يقال قفا أثره وقافه، قيل: هو مأخوذ من القفا، كأنه يقفو الأمور: يتبعها ويتعرفها، وقيل: القفو شبيه بالعضيهة، ومنه الحديث: «من قفا مؤمناً بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي المخرج» وأنشدوا لبعضهم:

ومِثْلُ الدُّمى شُمُّ العَرانِينِ سَاكِنٌ بِهِنَّ الحَياءُ لا يُشِعْنَ التَّقافِيا

يصف نساء بأنهن جميلات مثل الدمى، ويشبههن بالبيوت، ويشبه الحياء بقوم يسكنونها على طريق الاستعارة المكنية، والسكنى تخييل لذلك، ويقول: إنهن لا يشعن، أي: لا يظهرن التقافي، أي: المتابعة بالقذف، من قفوته: إذا اتبعته بالغيبة.

وقال الكميت:

ولا أَرْمِي البَرِيءَ بغيرِ ذَنْبٍ ولا أَقْفُو الحَوَاصِنَ إنْ قُفِينا

يقول: لا أتهم البريء بشيء زور، بل بذنب محقق، ولا أتبع العفائف، وأتكلم فيهن بفحش ما دمن عفائف، إن قفاهنَّ الناس فتكلموا فيهن، فكيف إذا لم يتكلم فيهنَّ أحد؟!

○ الإعراب:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتقربوا فعل مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل، والزنا مفعول به، وجملة إنه تعليلية لا محل لها، وإن واسمها، وجملة كان خبرها، واسم كان مستتر تقديره: هو، وفاحشة خبرها، وساء فعل ماض للذم، والفاعل مستتر، وسبيلاً تمييز، والمخصوص بالذم محذوف، أي: هو ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ ولا تقتلوا عطف على ما تقدم، والنفس مفعول به، والتي صفة، وجملة حرم الله صلة، وإلا أداة حصر، وبالحق متعلقان بتقتلوا، والباء للسببية، أو بمحذوف حال من فاعل تقتلوا، فهي للملابسة، أي: متلبسين

بالحق ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ الواو استئنافية، ومن شرطية مبتدأ، وقتل فعل ماض مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط، ونائب الفاعل مستتر تقديره: هو، ومظلوماً حال، فقد الفاء رابطة، وقد حرف تحقيق، وجعلنا فعل وفاعل، ولوليه مفعول جعلنا الثاني، وسلطاناً مفعول جعلنا الأول، أي: حجة يثيب بها عليه ﴿ فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾ الفاء عاطفة، ولا ناهية، ويسرف مضارع مجزوم بلا، وفاعله مستتر يعود على الولي، أي: فلا يقتل غير القاتل، ولا اثنين والقاتل واحد؛ كديدن الجاهلية، على حد قول مهلهل ابن ربيعة:

كُلُّ قتيلٍ في كُلَيْبٍ غُرَّهْ حتَّى يَنَالَ القَتْلُ آلَ مُرَّهْ

وفي القتل متعلقان بيسرف، وجملة إنه تعليلية، وإن واسمها، وجملة كان خبرها، واسم كان مستتر، ومنصوراً خبرها ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ ولا تقربوا عطف أيضاً، ومال اليتيم مفعول به، وإلا أداة حصر، وبالتي استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي: لا تقربوه بحال من الأحوال إلا بالخصلة، أو الطريقة التي هي أحسن، وهي حفظه، وصيانته، واستغلاله لمصلحة اليتيم، وهي مبتدأ، وأحسن خبر، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ حتى حرف غاية وجر، ويبلغ منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والمراد بالأشد بلوغه مرتبة يحسن فيها التصرف، وقد تقدم معنى الأشد، وأنه مفرد بمعنى القوة، أو جمع لا واحد له من لفظه. وقيل: جمع شدة أو شد. وفي كتاب «معاني القرآن» للفراء أن الأربعين أشبه بالصواب ﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ أوفوا فعل أمر، والواو فاعل، وبالعهد متعلقان بأوفوا، وإن واسمها، وجملة كان خبرها، ومسؤولاً خبر كان، ومعنى مسؤولاً مطلوباً كأنه يطلب من المعاهد أن يفي به، وحذف الجار والمجرور تخفيفاً، أي: عنه، وقد ذكر في بقية الآي، كما سيأتي، ويجوز وجه آخر سيأتي في باب: البلاغة ﴿ وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴾ وأوفوا فعل أمر، والواو فاعل، والكيل مفعول أوفوا، وإذا ظرف مستقبل

متضمن معنى الشرط، وجملة كلتم مضافة إلى الظرف، وجوابه محذوف دل عليه قوله: «أوفوا الكيل». وزنوا بالقسطاس المستقيم عطف على أوفوا بالكيل ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ذلك مبتدأ، وخير خبر، وأحسن عطف على خير، وتأويلاً تمييز، أي: أحسن عاقبة، فالتأويل تفضيل من آل: إذا رجع، وهو ما يؤول إليه في الآخرة. ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ لا ناهية، وتقف مجزوم بلا، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، وهو الواو، وفاعله مستتر تقديره: أنت، وما مفعول به، وجملة ليس صلة، ولك خبر ليس المقدم، وبه متعلقان بمحذوف حال، ولا يجوز تعلقها بعلم؛ لأن معمول المصدر لا يتقدم عليه، وقال بعضهم: متعلقان بما تعلق به لك، وهو الاستقرار، وفيه بعد، ومعنى الآية النهي عن أن يقول الإنسان ما لا يعلم أو يعمل بما لا علم له به، وقد جعلها جماعة من المفسرين خاصة بأمور، إلا أن الشيوع أولى، وعلم اسم ليس المؤخر ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ إن واسمها، والبصر والفؤاد عطف على السمع، وكل مبتدأ، وأولئك مضاف، وجملة كان خبر، وعنه متعلقان بمسؤولاً، ومسؤولاً: خبر كان، وسيأتي مزيد من التفصيل حول هذه الآية في بابي: البلاغة والفوائد ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ لا ناهية، وتمش مجزوم بها، وفاعله مستتر تقديره: أنت، وفي الأرض متعلقان بتمش، ومرحاً حال على تقدير مضاف، أي: ذا مرح، أي: ولا تمش في الأرض حال كونك ذا مرح، أي: مارحاً متلبساً بالكبر والخيلاء، وقد أحسن الأخفش إذ فضل المصدر على اسم الفاعل، كأنه نفس المرح، ويجوز أن يعرب مفعولاً لأجله كما قال أبو البقاء ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ جملة تعليلية لا محل لها، كأنها تعليل للنهي، أي: لن تجعل فيها صدوعاً وخروقاً بدروسك لها، وإن واسمها، وجملة لن تخرق الأرض خبرها، ولن تبلغ الجبال عطف على لن تخرق، وطولاً تمييز محول عن الفاعل، أي: ولن يبلغ طولك الجبال، وقيل: مصدر في موقع الحال، أو مفعول له، وسيأتي مزيد من البحث في باب البلاغة ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ كل مبتدأ، وذلك مضاف إليه، والإشارة إلى ما تقدم من

الخصال الخمس والعشرين الآنفة من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ وسيأتي تفصيل عدها في باب الفوائد، وكان فعل ماض ناقص، وسيئه اسمها، وعند ربك ظرف متعلق بمكروهاً، ومكروهاً خبر كان ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ ذلك مبتدأ، أي: ما تقدم من خصال، ومما خبر، وجملة أوحى صلة، وإليك متعلقان بأوحى، وربك فاعل، ومن الحكمة حال من عائد الموصول المحذوف، أي: من الذي أوحاه إليك كونه من الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته، والخير للعمل به، أو حال من نفس الموصول، وقد استهلت هذه الخصال، وختمت بالنهي عن الشرك ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ ولا تجعل عطف على ما تقدم، ومع ظرف مكان متعلق بمحذوف هو المفعول الثاني لتجعل، وإلهاً هو المفعول الأول، وآخر صفة، فتلقى: الفاء فاء السببية، ونائب الفاعل مستتر تقديره: أنت، وفي جهنم متعلقان بتلقى، وملوماً ومدحوراً حالان.

□ البلاغة:

انطوت هذه الآية على فنون كثيرة من البلاغة نثبتها فيما يلي:

(١) الإطناب:

في قوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ فإن معنى هذه الاية جاء موجزاً في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ لكن الأول إطناب، والثاني إيجاز، وكلاهما موصوف بالمساواة، وقد تحدثنا عن الإيجاز، فلنتحدث الآن عن الإطناب والمساواة، فالإطناب مأخوذ في الأصل من أطنب في الشيء إذا بالغ فيه، يقال: أطنبت الريح إذا اشتدت في هبوبها، وأطنب في السير إذا اشتد فيه، وفي اصطلاح البيانيين هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، فإذا لم تكن في الزيادة فائدة سمي تطويلاً إن كانت الزيادة غير متعينة، وحشواً إن كانت متعينة، فالتطويل كقول عنترة بن شداد:

حُيِّيْتَ مِن طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ أَقْوَى وأَقْفَرَ بَعْدَ أُمِّ الهَيْثَمِ

والحشو كقول زهير بن أبي سلمى:

وأَعْلَمُ عِلْمَ اليومِ والأمسِ قَبْلَهُ ولكِنَّني عَنْ عِلْمِ ما في غَدٍ عَمِ

والإطناب يكون بأمور عدة، نوجزها فيما يلي:

أ ـ التأكيد والتقرير، وهو يكون حقيقة ومجازاً، فالحقيقة كقولهم: رأيته بعيني، وقبضته بيدي، ووطئته بقدمي، وذقته بفمي، وكل هذا يظن الظان أنه لا حاجة إليه، فالرؤية لا تكون إلا بالعين، والقبض لا يكون إلا باليد، والوطء لا يكون إلا بالقدم، والذوق لا يكون إلا بالفم، وليس الأمر كما توهم، بل يطرد في كل ما يعزّ مناله، ويعظم الوصول إليه، ومن أمثلته البديعة في الشعر قول البحتري:

تَأَمَّلْ مِنْ خِلاَلِ السِّجْفِ وانْظُرْ بِعَيْنِكَ ما شَرِبْتُ ومَنْ سَقَاني

تَجِدْ شَمْسَ الضُّحَى تَدْنُو بِشَمْسٍ إلَيَّ مِنَ الرَّحِيقِ الخُسْرُوَاني

ولما كان الحضور في هذا المجلس مما يعزّ وجوده ومناله، وكان الساقي بهذه المثابة من الحسن قال: انظر بعينيك. وعلى هذا ورد الكثير منه في القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ والمجاز كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ ففائدة ذكر الصدور هنا أنه قد تعورف وعلم أن العمى على الحقيقة مكانه البصر، وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها، واستعماله في القلب تشبيه وتمثيل، فلما أريد إثبات ما هو خلاف ما تعورف وعلم من نسبة العمى إلى القلوب احتاج الأمر إلى زيادة تصوير وتعريف؛ ليقرر أن مكان العمى هو القلوب لا الصدور.

ب ـ ذكر الخاص بعد العام: كقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ فقد خص الله سبحانه الروح بالذكر وهو جبريل، مع أنه داخل في عموم الملائكة تكريماً له وتعظيماً لشأنه، وكأنه من جنس آخر، ففائدة الزيادة هنا التنويه الخاص.

ج ـ ذكر العام بعد الخاص: كقوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ فقد ذكر الله سبحانه المؤمنين والمؤمنات، وهما لفظان عامان، يدخل في عمومها من ذكر قبل ذلك، والغرض من هذه الزيادة إفادة الشمول مع العناية بالخاص ذكره مرة وحده، ومرة مندرجاً تحت العام.

د ـ الإيضاح بعد الإبهام: كقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ فقوله «ذلك الأمر» إبهام، وقوله: «أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين» إيضاح للإبهام الذي تضمنه لفظ الأمر؛ لزيادة تقرير المعنى في ذهن السامع مرة على طريق الإجمال والإبهام، ومرة على طريق التفصيل والإيضاح.

هـ ـ التكرار لتقرير المعنى: وهذا موضوع جم الشعاب، متعدد المسالك، نحتاج إلى مجلدات لإحصائه، ولكننا نذكر ما هو بمثابة الدليل والرائد لغيره، كقول عنترة بن شداد في بعض روايات معلقته:

يدعون عنتر والسيوف كأنها ... لمع البوارق في سحاب مظلم
يدعون عنتر والرماح كأنها ... أشطان بئر في لبان الأدهم

فالتكرار في بيتي عنترة تقرير المعنى في نفس السامع، وترسيخه في ذهنه، وهو هنا لداعي الفخر، ويطرد في الخطابة، وفي مواطن الفخر، والمدح، والإرشاد، والإنذار، وقد يكون للتحسر كقول الحسين بن مطير يرثي معن بن زائدة:

فيا قبرَ معنٍ أنتَ أوّل حفرةٍ
من الأرض خُطَّتْ للسَّماحةِ مَوْضِعا
ويا قبَر معنٍ كيف واريتَ جودَهُ
وقد كان منه البرّ والبَحْر مَرْتعا

ومنها طول الفصل كقول الشاعر:

لقد عا الحيُّ اليمانون أنَّني ... إذا قلتُ أما بعد إنّي خطيبُها

و ـ الاعتراض: وهو أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين في المعنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب؛ لغرضٍ يقصد إليه البليغ، وقد تقدم ذكره، ومنه قول النابغة الجعدي:

أَلاَ زعمتْ بنو سعد بأنِّي ـ ألا كذبوا ـ كبيرَ السِّنِّ فانِ

فقد جاءت جملة «ألا كذبوا» معترضة بين اسم إن وخبرها؛ للإسراع إلى التنبيه على كذب من رماه بالكبر.

ز ـ التذييل: وهو تعقيب الجمل بجملة أخرى تشتمل على معناها توكيداً لها، كقول الحطيئة:

تزور فتى يعطي على الحمدِ ماله

ومن يُعطِ أثمان المحامدِ يحمد

فإن المعنى تم في الشطر الأول، ثم ذيل بالشطر الثاني للتوكيد.

ح ـ الاحتراس: وقد تقدم بحثه، ومنه قول ابن المعتز:

صببنا عليها ظالمين سِياطنا فطارت بها أيد سراع وأرجل

فلو أسقطنا كلمة «ظالمين» لتوهم السامع أن فرس ابن المعتز كانت بليدة تستحق الضرب، وهذا خلاف المقصود.

هذا، وستأتي أمثلة من الإطناب في مواضعها من هذا الكتاب.

أما المساواة فهي أن تكون المعاني بقدر الألفاظ، والألفاظ بقدر المعاني، لا يزيد بعضها على بعض، ولا ينقص عنه، وقد تقدم التمثيل لها بقوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ الخ ومن أمثلتها في الشعر قول النابغة الذبياني:

فإنكَ كاللَّيلِ الذي هو مُدْركي وإن خلتُ أن المنتأى عنكَ واسعُ

وقول طرفة:

ستبدي لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً

ويأتيك بالأخبارِ من لم تزودِ

والقرآن حافل بأمثلة المساواة، وستأتي في مواضعها إن شاء الله.

٢ ـ الاستعارة:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ وقد قدمنا أنه جار على الحقيقة بحذف الجار والمجرور، ويجوز أن يكون الكلام جارياً على طريق الاستعارة المكنية، بأن يشبه العهد بمن نكث عهده، ونسبته السؤال إليه تخييل.

٣ ـ التهكم:

وقد سبق ذكره؛ لأن مشية المرح مشتملة على شدة الوطء والتباهي على الأرض بمشيه عليها، والتطاول على الآخر، ولوكان المتكبر خفيف الوطأة، قميء النظرة، شخت الخلقة، على حد قول المتنبي:

أفي كلِّ يومٍ تحت ضَبْنِي شُوَيْعرٌ ضعيفٌ يُقاويني قصيرٌ يُطاوِلُ

* الفوائـد:

في هذه الآيات الجامعة فوائدكثيرة، نتناول المهم منها جرياً على أسلوبنا في هذا الكتاب، فمنها تعليق الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ فقد علقناه في باب الإعراب بمسؤولاً، وجعلنا نائب الفاعل ضميراً يعود على كل، أي: كان كلُّ واحد منها مسؤولاً عن نفسه، يعني: عما فعل به صاحبه، وقد أسند الزمخشري مسؤولاً إلى الجار والمجرور، وجعله بمثابة نائب الفاعل، وهذا سهو من الزمخشري يجل عنه؛ لأن الجار والمجرور يقام مقام الفاعل، أو نائبه، إذا تقدم الفعل، أو ما يقوم مقامه، وأما إذا تأخر فلا يصح ذلك؛ لأن الاسم إذا تقدم على الفعل صار مبتدأ، وحرف الجر إذا كان لازماً لا يكون مبتدأ، فـ «عنه» ليس هو النائب عن الفاعل خلافاً لصاحب «الكشاف» ولا ضمير المصدر كما قال بعضهم، وإنما النائب في هذه الآية ضمير راجع إلى ما رجع إليه اسم كان، وهو المكلف المدلول عليه بالمعنى، والتقدير مسؤولاً هو، أي: المكلف، وإنما لم يقدر

ضمير كان راجعاً لكل؛ لئلا يخلو مسؤولاً عن ضمير، فيكون مسنداً إلى عنه، وذلك لا يجوز.

وعبارة ابن هشام: وقول بعضهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ إن عنه مرفوع المحل بمسؤولاً، والصواب أن اسم كان ضمير المكلف وإن لم يجد له ذكر، وإن المرفوع بمسؤولاً مستقر فيه، راجع إليه أيضاً، وأن عنه في موضع نصب.

أي: على أنه مفعول ثان لمسؤولاً؛ لأنه يتعدى لمفعولين ثانيهما بعن.

الخصال الخمس والعشرون:

وعدناك بإحصاء الخصال الخمس والعشرين التي وردت الإشارة إليها بقوله تعالى: ﴿كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ وهذا إحصاؤها بالترتيب:

١ ـ ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾.

٢و٣ ـ قوله تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ إلى آخر الآية لاشتماله على تكليفين، وهما: عبادة الله، والنهي عن عبادة غيره.

٤ ـ ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾.

٥ ـ ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾.

٦ ـ ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾.

٧ ـ ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾.

٨ ـ ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾.

٩ ـ ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾.

١٠ ـ ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾.

١١ ـ ﴿وَٱلْمِسْكِينَ﴾.

١٢ ـ ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

١٣ ـ ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ .

١٤ ـ ﴿ فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾ .

١٥ ـ ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً ﴾ .

١٦ ـ ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ .

١٧ ـ ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ ﴾ .

١٨ ـ ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ .

١٩ ـ ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ﴾ .

٢٠ ـ ﴿ فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ﴾ .

٢١ ـ ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ﴾ .

٢٢ ـ ﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ ﴾ .

٢٣ ـ ﴿ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ﴾ .

٢٤ ـ ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ .

٢٥ ـ ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ .

الإشارة بأولئك :

الإشارة في قوله تعالى : ﴿ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ إلى السمع والبصر والفؤاد، وقد أشير إليها بأولئك، وهي في الأكثر لمن يعقل؛ لأنه جمع ذا، وذا لمن يعقل ولما لا يعقل، وأولاء ممدود عند الحجازيين، مقصور عند أهل نجد وتميم، والأكثر مجيئه للعقلاء، ويقل مجيئه لغير العقلاء، كقول جرير بن عطية :

ذُمَّ المنازلَ بَعْدَ منزلةِ اللِّوى والعيشَ بعد أولئك الأيامِ

وهو من قصيدة مستجادة له مطلعها :

سَرَتِ الهمومُ فَبِتْنَ غَيرَ نيامِ وأخو الهمومِ يرومُ كلَّ مرامِ

وفيها يقول بعد البيت المتقدم:

وإذا وقفتُ على المنازلِ باللِّوى
فاضَتْ دُمُوعي غيرَ ذاتِ نِظَامِ

طَرَقَتْكَ صائدةُ القلوبِ وليس ذا
وقتُ الزِّيارةِ فارْجِعي بِسَلامِ

تُجْرِي السِّواكَ على أَغَرَّ كأنَّه
بَرَدٌ تَحَدَّرَ من مُتُونِ غَمَامِ

لو كان عهدُكِ كالذي حَدَّثْتِنا
لَوَصَلْتِ ذاكَ فكانَ غيرَ رِمامِ

إنِّي أُواصِلُ مَن أَرَدْتُ وِصالَهُ
بِحبالِ لا صَلِفٍ ولا لَوَّامِ

ومنها في هجاء الفرزدق:

خلِقَ الفَرَزْدَقُ سَوْءَةً في مالِكٍ
ولِخَلْفِ ضَبَّةَ كان شَرَّ غُلامِ

مَهْلاً فَرَزْدَقُ إنَّ قومَكَ فِيهُمُ
خَوَرُ القلوبِ وخِفَّةُ الأحلامِ

الظَّاعِنُونَ على العَمَى بِجَمِيعهم
والنَّازِلُونَ بشرِّ دارِ مُقامِ

واللوى: بكسر اللام وفتح الواو مقصوراً في الأصل: منقطع الرمل، وقد ورد في مطلع معلقة امرىء القيس وهو:

قِفا نَبْكِ من ذِكْرى حبيبٍ ومنزلِ
بسقطِ اللِّوى بين الدَّخُول فَحَوْمَلِ

وهو أيضاً موضع بعينه، قال ياقوت: وقد أكثرت الشعراء من ذكره،

وخلطت بين ذلك اللوى والرمل، فعز الفصل بينهما، وهو واد من أودية بني سليم.

﴿ أَفَأَصْفَـٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنَـٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ أَفَأَصْفَـٰكُمْ ﴾: أخلصكم وخصكم، والتصفية في الأصل معناها: التخليص، ولكنه هنا ضمن معنى خصكم لأجل تعلق البنين به. وفي الأساس: ومن المجاز: أصفيته المودة وأصفيته بالبر: آثرته واختصصته ﴿ أَفَأَصْفَـٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ ﴾ وأصفى عياله بشيء يسير: أرضاهم به، وصادف الصياد خَفقاً فأصفى أولاده بالغبيراء، قال الطرمّاح:

أو يصادِفْ خَفْقاً يُصْفِهم   بعتيقِ الخَشْلِ دون الطَّعامِ

وهو صفيي من بين إخواني، وهم أصفيائي، وصافيته، وهما خليلان متصافيان.

﴿ صَرَّفْنَا ﴾: بينا وأوضحنا، ولها معان كثيرة بالتشديد، يقال: صرفه بمعنى صرفه مع مبالغة، وصرَّف الشيء: باعه، وصرف الدراهم: بدلها، وصرف الخمر: شربها صرفاً، أي: غير ممزوجة، وصرف الكلام: اشتق بعضه من بعض، وصرفه في الأمر: فوض الأمر إليه، وصرف الماء؛ أجراه، وصرف الله الرياح: أجراها من وجه إلى وجه.

○ الإعراب:

﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ﴾ الهمزة للاستفهام، والحقيقة أن هذا الاستفهام معناه الإنكار الإبطالي، وهذا يقتضي أن ما بعده غير واقع، وأن مدعيه كاذب، ومعناه التقريع والتوبيخ والنفي أيضاً، أي: لم يفعل ذلك. وأصفاكم فعل ماض، والكاف مفعوله، وهو معطوف على محذوف يقدر بحسب المقام، وربكم فاعل، وبالبنين متعلقان بأصفاكم، واتخذ من الملائكة إناثاً عطف على أصفاكم، وهو فعل وفاعل مستتر، ومن الملائكة مفعول اتخذ الثاني، وإناثاً هو المفعول الأول، ويجوز أن تكون جملة اتخذ من الملائكة إناثاً حالية، والواو واو الحال، وقد مقدرة ﴿ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ إن واسمها، واللام المزحلقة، وجملة تقولون خبرها، وقولاً مفعول مطلق، وعظيماً صفة ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ الواو عاطفة، واللام موطئة للقسم، وقد حرف تحقيق، وصرفنا فعل وفاعل، ومفعوله محذوف، أي: أمثالاً، ومواعظ، وحكماً، وقصصاً، وأخباراً، وأوامر، ونواهي، وقد حذف الضمير للعلم به، وفي هذا متعلقان بصرفنا، والقرآن بدل، واللام للتعليل، ويذكروا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والواو للحال، وما نافية، ويزيدهم فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: هو، وإلا أداة حصر، ونفوراً مفعول يزيدهم الثاني ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ ﴾ قل فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، ولو شرطية، ومعه ظرف متعلق بمحذوف خبر كان المقدم، وآلهة اسمها المؤخر، وكما يقولون نعت لمصدر محذوف، أي: كوناً مشابهاً لما يقولون ﴿ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ إذاً حرف جواب وجزاء مهملة دالة على أن ما بعدها، وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين، واللام واقعة في جواب لو، وجملة ابتغوا لا محل لها، والواو فاعل، وإلى ذي العرش متعلقان بابتغوا، أو بمحذوف حال من سبيلاً، وسبيلاً مفعول ابتغوا ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ سبحانه مفعول مطلق، وقد تقدم مراراً، وتعالى عطف على

ما تضمنه المصدر، والتقدير: تنزه وتعالى، فهو فعل ماض، وعما متعلقان به، وجملة يقولون صلة، وعلواً مفعول مطلق؛ لأنه مصدر واقع موقع التعالي، وكبيراً صفة ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ ﴾ تسبح فعل مضارع، وله متعلقان به، والسموات فاعل، والسبع صفة، والأرض عطف على السموات، ومن عطف على السموات والأرض، وفيهن متعلقان بمحذوف صلة من ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ ﴾ الواو عاطفة، وإن نافية، ومن حرف جر زائد، وشيء مجرور لفظاً مرفوع محلاً، وساغ الابتداء به لتقدم النفي، وإلا أداة حصر، ويسبح فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: هو، والجملة خبر شيء، وبحمده حال، أي: متلبساً بحمده، ولكن: الواو حالية، ولكن حرف استدراك مهمل، ولا نافية، وتفقهون فعل مضارع وفاعل، وتسبيحهم مفعول به ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ إن واسمها، وجملة كان خبرها، واسم كان مستتر، وحليماً خبر أول لكان، وغفوراً خبر ثان لها.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ ﴾ فن التنكيت، وقد تقدمت الإشارة إليه، وأنه قصد المتكلم إلى شيء بالذكر دون غيره مما يسدّ مسدّه، لنكتة في المذكور ترجح مجيئه على سواه، فقد خصّ سبحانه تفقهون دون تعلمون؛ لما في الفقه من الزيادة على العلم؛ لأنه التصرف في المعلوم بعد علمه واستنباط الأحكام منه، والمراد الذي يقتضيه معنى الكلام التفقه في معرفة التسبيح من الحيوان البهيم والنبات والجماد، وكل ما يدخل تحت لفظه شيء مما لا يعقل ولا ينطق؛ إذ تسبيح ذلك بمجرد وجوده الدال على قدرة موجده وحكمته.

﴿ وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي

ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ الواو استئنافية، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وقرأت القرآن فعل وفاعل ومفعول به، والجملة مضافة إلى إذا، وجعلنا فعل وفاعل، وبينك الظرف متعلق بمحذوف مفعول به ثان، وبين الذين لا يؤمنون عطف على الظرف الأول، وجملة لا يؤمنون صلة، وبالآخرة متعلقان بيؤمنون، وحجاباً مفعول جعلنا الأول، ومستوراً نعت لحجاباً، ويجوز أن يكون مستوراً على بابه، أي: لا يرى فهو مستور، ويجوز أن يكون مفعولاً بمعنى فاعل، أي: ساتراً لك عنهم فلا يرونك، يريد الذين حاولوا الفتك برسول الله ﷺ ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ جعلنا فعل وفاعل، وعلى قلوبهم مفعول جعلنا الثاني، وأكنة مفعول جعلنا الأول، وأن يفقهوه في موضع النصب مفعول من أجله، أي: كراهة أن يفقهوه، ويجوز أن يكون منصوباً بنزع الخافض، أي: من يفقهوه، والجار والمجرور متعلقان بأكنة؛ لأن فيها معنى المنع من الفقه، فكأنه قيل: ومنعناهم أن يفقهوه، «وفي آذانهم وقراً» عطف على قوله «على قلوبهم أكنة» ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾ الواو عاطفة، وإذا ظرف مستقبل، وجملة ذكرت مضافة، وذكرت فعل وفاعل، وربك مفعول به، وفي القرآن متعلقان بذكرت، ووحده حال؛ لأنه في قوة النكرة، أي: منفرداً، وجملة: ولوا لا محل لها، وعلى أدبارهم متعلقان بمحذوف حال، ونفوراً مفعول مطلق؛ لأنه في معنى ولوا، أي: فهو مصدر، ويجوز إعرابه مفعولاً من أجله، وأعربه أبو البقاء حالاً، أي: نافرين، فيكون جمع نافر ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ نحن مبتدأ، وأعلم خبر، وبما متعلقان بأعلم، وجملة يستمعون صلة، وبه جار ومجرور متعلقان بيستمعون، والباء سببية، والمعنى:

ما يستمعون بسببه، وهو الهزء بك وبالقرآن، وقال الزمخشري: به في موضع الحال كما تقول يستمعون بالهزء، أي: هازئين. وفيه بعد، وقال أبو البقاء: الباء بمعنى اللام، وإذ ظرف لما مضى متعلق بأعلم، وجملة يستمعون إليك مضافة للظرف ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ عطف على إذ داخلة في حكمها، فهي ظرف لأعلم، أي: وبما يتناجون به إذ هم ذوو نجوى، فهم مبتدأ، ونجوى خبر على حذف مضاف، ويحتمل أن يكون نجوى جمع نجي، فلا حاجة لتقدير مضاف قبل الخبر ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ إذ يقول بدل من إذ هم نجوى، أو من إذ يستمعون إليك، ويقول الظالمون فعل مضارع وفاعل، وإن نافية، وتتبعون فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، وإلا أداة حصر، ورجلاً مفعول به، ومسحوراً نعت لرجلاً.

* الفوائـد:

بحث طريف عن وحده:

اعلم أن «وحده» لم يستعمل إلا منصوباً إلا ما ورد شاذاً، قالوا: هو نسيج وحده، وعيير وحده، وجحيش وحده، فأما نسيج وحده فهو مدح، وأصله أن الثوب إذا كان رفيعاً فلا ينسج على منواله غيره، فكأنه قال: نسيج أفراده، يقال: هذا للرجل إذا أفرد بالفضل، وأما عيير وحده، وجحيش وحده، فهو تصغير عير، وهو الحمار. يقال للوحشي والأهلي وجحيش وحده، وهو ولد الحمار، فهو ذم. يقال للرجل المعجب برأيه، لا يخالط أحداً في رأي، ولا يدخل في معونة أحد، ومعناه أنه ينفرد بخدمة نفسه، وأما قولك جاء وحده: فوحده حال من فاعل جاء المستتر فيه وهو معرفة بالإضافة إلى الضمير، فيؤول بنكرة من لفظه، أو من معناه، أي: متوحداً أو منفرداً، وتقول: مررت به وحده، ومررت بهم وحدهم، فوحده مصدر في موضع الحال؛ كأنه في معنى إيحاد جاء على حذف الزوائد، كأنك قلت: أوحدته بمروري إيحاداً، أو إيحاد في معنى موحد، أي: منفرد، فإذا قلت: مررت به

وحده، فكأنك: قلت مررت به منفرداً، ويحتمل عند سيبويه أن يكون للفاعل والمفعول.

وكان الزجاج يذهب إلى أن وحده مصدر، وهو للفاعل دون المفعول، فإذا قلت مررت به منفرداً، فكأنك قلت أفردته بمروري إفراداً.

وقال يونس: إذا قلت مررت به وحده، فهو بمنزلة موحداً ومنفرداً، وتجعله للممرور به، وليونس فيه قول آخر: أن وحده معناه على حياله، وعلى حياله في موضع الظرف، وإذا كان الظرف صفة أو حالاً قدر فيه مستقر ناصب للظرف، ومستقر هو الأول.

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ وَرُفَٰتًا ﴾: الرفات: ما بولغ في دقه وتفتيته، وهو اسم مفرد لأجزاء ذلك الشيء المفتت، وقال الفراء: هو التراب يؤيده أنه تكرر في القرآن تراباً وعظاماً. ويقال: رفت الشيء يرفته بالكسر، أي: كسره، والفُعال يغلب في التفريق كالحطام، والرقاق، والفتات. وفي القاموس وتاج العروس: «رفته يرفُته ويرفته: كسره، ودقّه، وانكسر واندق لازم ومتعد، وانقطع كارفتّ ارفتاتاً في الكل، وكغراب الحطام، وكصرِد: التبن والذي يرفت كل شيء، أي: يكسره وفي الأساس: وفي ملاعبهن رفات المسك، أي: فتاته، ويقال لمن عمل ما يتعذر عليه التفصي منه: الضبع ترفت العظام، ولا تعرف قدر

استها، تأكلها، ثم يتعسر عليها خروجها. ومن المجاز: هو الذي أعاد المكارم، وأحيا رفاتها، وأنشر أمواتها.

﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾: أي: يحركون رؤوسهم. وفي المختار: نغض رأسه، من باب: نصر وجلس، أي: تحرك، وأنغض رأسه: حرّكه كالمتعجب من الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ ونغض فلان رأسه، أي: حرّكه، يتعدى ويلزم. وفي اللسان: يقال: أنغض رأسه ينغضها، أي: حركها إلى فوق وإلى أسفل إنغاضاً، فهو منغض، وأما نغض ثلاثياً ينغض، وينغض ـ بالفتح والضم ـ فمعنى تحركَ لا يتعدى.

○ الإعراب:

﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ انظر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره: أنت، وكيف اسم استفهام في محل نصب حال، وضربوا فعل وفاعل، ولك متعلقان بضربوا، والأمثال مفعول به، فضلوا عطف على ضربوا، والفاء حرف عطف، ولا نافية، ويستطيعون سبيلاً فعل وفاعل ومفعول به ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا﴾ الواو عاطفة، وقالوا فعل وفاعل، والهمزة للاستفهام الإنكاري، واستبعاد ما يتساءلون عنه، وإذا ظرف مستقبل متعلق بمحذوف تقديره: أنبعث، أو نحشر إذا كنا عظاماً ورفاتاً، وقد دل عليه مبعوثون، ولا يجوز أن يتعلق به؛ لأن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها، وكذا ما بعد الاستفهام لا يعمل فيما قبله، وقد اجتمعا هنا، والجواب هو الفعل الذي تعلقت به، وكنا: كان واسمها، وعظاماً خبرها، ورفاتاً عطف على عظاماً ﴿أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري والاستبعاد كما تقدم، وإن واسمها، واللام المزحلقة، ومبعوثون خبر إن، وخلقاً حال، أي: مخلوقين، أو مفعول مطلق من معنى الفعل لا من لفظه، أي: نبعث بعثاً جديداً، وجديداً صفة ﴿۞ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ جملة كونوا حجارة مقول القول، وكان واسمها، وحجارة خبرها، وأو حرف عطف، وحديداً عطف على حجارة، والأمر هنا معناه

التعجيز مع الإهانة ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ أو حرف عطف، وخلقاً عطف على حجارة، ومما صفة لخلقاً، وجملة يكبر صلة، وفي صدوركم متعلقان بيكبر ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ الفاء عاطفة، والسين حرف استقبال، ويقولون فعل مضارع وفاعل، ومن اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، وجملة يعيدنا خبر وقل فعل أمر، والذي فطركم مبتدأ خبره محذوف، تقديره: يعيدكم، أو خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو الذي فطركم، وجملة فطركم صلة، وأول مرة ظرف متعلق بفطركم ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ الفاء عاطفة، والسين للاستقبال، وينغضون فعل مضارع وفاعل، وإليك متعلقان بينغضون، أي: يحركون رؤوسهم إلى فوق وإلى أسفل، هزءاً وسخرية، ورؤوسهم مفعول به، ويقولون عطف على ينغضون، ومتى اسم استفهام متعلق بمحذوف خبر مقدم، وهو مبتدأ مؤخر، أي: البعث ﴿قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ عسى من أفعال الرجاء، واسمها ضمير مستتر تقديره: هو، وأن وما بعدها في محل نصب خبر عسى، واسم يكون مستتر تقديره: هو، وقريباً خبرها ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ في متعلّق هذا الظرف أقوالٌ لا تطمئن إليها النفس؛ لأن أقربها إلى الفهم أن يكون متعلقاً باسم كان، أي: البعث، ولكنه ممتنع من الناحية النحوية؛ لأن الضمير لا يعمل، فالأولى أن يعرب بدلاً من قريباً، أو يتعلق بيكون على رأي من يرى التعلق بالأفعال الناقصة، واختار أبو السعود تبعاً لأبي البقاء أن يكون ظرفاً لاذكر، وهو بعيد عن سياق الموضوع، وجملة يدعوكم مضاف إليها الظرف، فتستجيبون عطف على يدعوكم، وبحمده متعلقان بمحذوف حال، أي: حامدين، قال الزمخشري وأحسن: وهي مبالغة في انقيادهم البعث، كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فيتأبى ويتمنع: ستركبه وأنت حامد شاكر. ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الواو حالية: وتظنون فعل مضارع مرفوع وفاعل، أي: يخيل إليكم لفرط ما تكابدون من الهول والرّوع، وإن نافية، ولبثتم فعل وفاعل، وإلا أداة حصر، وقليلاً ظرف متعلق بلبثتم، أي: في الدنيا، أي: تستقصرون مدة

لبثكم في الدنيا، وتحسبونها يوماً أو بعض يوماً، فهو نعت لزمان محذوف، ويجوز أن يكون نعتاً لمصدر محذوف، أي: لبثاً قليلاً.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾ إلى آخر الآية فنان من فنون البلاغة:

(١) أولهما فن يسمى التمكين، وبعضهم يسميه الإرصاد، وحقيقته: أن يمهد المتكلم لقافيته أو سجعة فقرته تمهيداً تأتي القافية فيه متمكنة في مكانها، مستقرة في قرارها، غير نافرة، ولا قلقة، فإن السامع يعلم أنه أراد حجارة أو حديداً بجاذب من قلبه، ووحي من هاجسه، دون أن يسمع بقية الآية، ومثل ذلك في الشعر قول أبي الطيب:

يا من يَعِزُّ علينا أن نفارقَهم وجدانُنا كلّ شيء بَعْدَكُم عَدَم

وللبحتري في علوة الحلبية:

فليس الذي حَلَّلْتِه بِمُحَلَّلٍ وليسَ الذي حَرَّمْتِهِ بِحَرامِ

وقال النابغة الذبياني في القديم:

كالأُقْحُوانِ غَدَاةَ غِبِّ سَمائِهِ جَفَّتْ أعيالُه وأسفَلُه نَدِي

زَعَمَ الهُمامُ ولم أَذُقْهُ بأَنَّه يُشْفَى بريَّا رِيقِها العَطِشَ الصَّدِي

ومن طريف هذا الفن ما يحكى أنَّه اجتمع السراج الوراق، وأبو الحسين الجزار، وابن نفيس الشاعر، فمرّ بهم غلام مليح الصورة، فقال السراج:

شمائلُه تدلُّ على اللَّطافة وريقتُه تنوبُ عن السّلافة

فقال أبو الحسين الجزار:

وفي وجناتِه وردٌ ولكن عقارب صُدْغِه منعتْ قطافه

فقال ابن نفيس:

فلو ولي الخلافةَ ذو جمال لحقَّ له بأن يُعْطَى الخلافه

فالقوافي في الثلاث متمكنة كما ترى.

(٢) والفن الثاني في هاتين الآيتين هو التخيير، وهو أن يؤتى بقطعة من الكلام، أو بيت من الشعر جملة، وقد عطف بعضها على بعض بأداة التخيير، وأن يتضمن صحة التقسيم، فيستوعب كلامه أقسام المعنى الذي أخذ المتكلم فيه، فانظر إلى التخيير في هاتين الآيتين، وصحة التقسيم، وحسن الترتيب في الانتقال، على طريق البلاغة، من الأدنى إلى الأعلى، حتى بلغ سبحانه النهاية في أوجز إشارة، وأعذب عبارة، حيث قال بعد الانتقال من الحجارة: ﴿أَوْ حَدِيدًا﴾ فانتقل من الحجارة إلى ما هو أصلب منها وأقوى، ثم قال بعد ذلك: ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ غير حاصر لهم في صنف من الأصناف، وتصوّر أيها القارىء بعد ذلك المعنى كيف يتكامل ويشرق في النفس إشراقاً تغرق النفس فيه، أي: إنكم تستبعدون أن يجدد الله خلقكم، ويرده إلى حال الحياة، وإلى رطوبتها وغضاضتها بعد ما كنتم عظاماً يابسة، وذلك ديدنكم في الإنكار، ودأبكم في العناد، فهبكم لم تكونوا عظاماً، بل كنتم أقسى منها، وأصلب، وأبعد عن رطوبة الحياة، هبكم حجارة طبيعتها القساوة والصلابة بل هبكم حديداً، وهو أشد أنواع المادة بعداً من الحياة ومنافاة لها، بل أترك الأمر لكم لتتصوروا ما هو أقسى، وأصلب، وأنأى عن قبول الحياة، مما لا يخطر إلا لذوي العناد من أمثالكم، فإنه لقادر على أن يردكم إلى الحياة؛ لأن القادر على البدء قادر على الإعادة، بل هي أهون عليه بالنسبة لأفهامنا، لا إليه تعالى، وهذا من بديع الكلام ومعجزه، بل هو من النمط الذي استحق أن لا يكون من كلام البشر.

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا

يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ الواو عاطفة، والجملة منسوقة على ما سبق ليستكمل التعاليم التي بها قوام أمورهم. وقل فعل أمر وفاعل مستتر تقديره: أنت، ولعبادي متعلقان بقل، ويقولوا جواب الطلب، أو مجزوم بلام الأمر المحذوفة، وقد تقدم في سورة إبراهيم تفصيل لهذا التعبير، فجدد به عهداً، والتي مفعول به ليقولوا، أو على الأصح صفة لمفعول محذوف، أي: الكلمة التي هي أحسن، وهي مبتدأ، وأحسن خبر، والجملة صلة ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ الجملة تعليلية لقوله: يقولوا التي هي أحسن، وإن واسمها، وجملة ينزغ بينهم، أي: يفسد بينهم خبر، وجملة إن الشيطان الثانية بدل من الأولى، وكان فعل ماض ناقص، وللإنسان جار ومجرور متعلقان بعدواً، وعدواً خبر كان، ومبيناً صفة لعدواً، وجملة كان.. الخ خبر إن ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ ﴾ ربكم مبتدأ، وأعلم خبر، وبكم متعلقان بأعلم، وإن شرطية، ويشأ فعل الشرط مجزوم، ويرحمكم جواب الشرط مجزوم أيضاً ﴿ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ عطف على ما تقدم، والواو عاطفة، وما نافية، وأرسلناك فعل وفاعل، وعليهم متعلقان بوكيلاً، ووكيلاً حال من الكاف، أي: موكولاً إليك أمرهم، فتحاول هدايتهم ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ ﴾ وربك مبتدأ، وأعلم خبر، وبمن متعلقان بأعلم، وفي السموات والأرض صلة ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ الواو عاطفة، واللام موطئة للقسم، وقد حرف تحقيق، وفضلنا فعل وفاعل، وبعض النبيين مفعول به، وعلى بعض متعلقان بفضلنا، وآتينا عطف على فضلنا، وهو فعل وفاعل،

وداود مفعول به أول، وزبوراً مفعول به ثان، وسيأتي في باب: الفوائد سر تخصيص داود بإيتاء الزبور ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ جملة ادعوا الذين مقول القول وادعوا فعل أمر وفاعل، والذين مفعول به، وجملة زعمتم صلة، ومفعولا زعمتم محذوفان للعلم بهما، وهما زعمتموهم آلهة، ومن دونه الجار والمجرور متعلقان بمحذوف نصب على الحال ﴿ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ الفاء استئنافية، ولا نافية، ويملكون كشف الضر فعل مضارع وفاعل ومفعول به، وعنكم متعلقان بكشف، والواو حرف عطف، ولا نافية، وتحويلاً معطوف على كشف الضر ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ أولئك مبتدأ، والذين يدعون بدل منه، وجملة يبتغون خبر، والواو فاعل، وإلى ربهم متعلقان بالوسيلة، والوسيلة مفعول به، ويجوز لك أن تعرب الذين هي الخبر، وجملة يبتغون حال من فاعل يدعون ﴿ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ أيهم بدل من فاعل يبتغون، وأي موصولة، ويجوز أن تكون استفهامية فهي مبتدأ، وأقرب خبر، وعبارة أبي حيان: واختلفوا في إعراب أيهم أقرب وتقديره، فقال الحوفي: أيهم أقرب ابتداء وخبر، والمعنى: ينظرون أيهم أقرب فيتوسلون به، ويجوز أن يكون أيهم أقرب بدلاً من الواو في يبتغون. ففي الوجه الأول أضمر فعل التعليق، وأيهم أقرب في موضع نصب على إسقاط حرف الجر؛ لأن نظر إن كان بمعنى الفكر تعدى بفي، وإن كانت بصرية تعدت بإلى، فالجملة المعلق عنها الفعل على كلا التقديرين تكون في موضع نصب على إسقاط حرف الجر، كقوله: ﴿ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا ﴾ وفي إضمار الفعل المعلق نظر، والوجه الثاني قاله الزمخشري قال: وتكون أي موصولة، أي: يبتغي من هو أقرب منهم، وأزلف الوسيلة إلى الله، فكيف بغير الأقرب؟!. فعلى هذا الوجه يكون أقرب خبر مبتدأ محذوف، واحتمل أن يكون أيهم معرباً، وهو الوجه، واحتمل أن يكون مبنياً لوجود مسوغ البناء، وسيأتي حكم «أي» في باب: الفوائد. وأقرب خبر لمبتدأ محذوف، والمعنى يبتغون من هو أقرب منهم، وأمت إليهم بزلفى الوسيلة إلى الله فما بالك بغير الأقرب، فكيف يزعمون أنهم آلهة، ويرجون رحمته عطف

على يبتغون، ويرجون فعل مضارع وفاعل، وحذفت لام الفعل، وهي الواو لالتقاء الساكنين، ورحمته مفعول به، ويخافون عذابه عطف على يرجون رحمته ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ تعليل للخوف، وإن واسمها، وجملة كان خبرها، واسم كان مستتر تقديره: هو، ومحذوراً خبر كان.

* الفوائـد:

(١) معنى تفضيل بعض الأنبياء على بعض:

تفضيل بعض الأنبياء على بعض يكون بتفاوت الفضائل النفسانية، ولهذا اشتهر منهم أولو العزم المستهدفون للبلاء، فما وهنوا، وما استكانوا، وكان محمد ﷺ خاتمة الأنبياء؛ الذين اتسموا بكامل الصفات، وتخصيص داود بالزبور فيه رد على اليهود؛ الذين زعموا أنه لا نبي بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة، وقد استعمل الزبور بلام التعريف ومجرداً عنها لمحاً للأصل؛ لأنه فعول بمعنى المفعول، كالحلوب بمعنى المحلوبة، أو لأنه أراد بعضاً من الزبور.

(٢) أي:

تأتي على ستة أوجه:

(١) شرطية: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ بدليل جزم تدعوا، وإدخال الفاء رابطة على الجملة الاسمية، وأيّاً ما مفعول تدعوا.

(٢) استفهامية: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾.

(٣) موصولية: ﴿لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾ التقدير: لننزعن الذي هو أشد.

(٤) أن تكون دالة على الكمال فتقع صفة للنكرة نحو: زيد رجل أيّ رجل، وحالاً للمعرفة نحو: مررت بعبد الله أيّ رجل.

(٥) أن تكون وصلة إلى نداء ما فيه أل نحو: يا أيها الرجل، وإنما التزم بناؤها على الضم لتكون على صورة المنادى المفرد المقصود بالنداء؛ لأنه مضموم الآخر.

(٦) أن تكون للتعجب نحو: سبحان الله أيّ رجل هذا.

وأيّ تعرب في جميع أحوالها إلا إذا كانت موصولة مضافة ومحذوفاً صدر صلتها، كما تقدم فتبنى على الضم، ولأيّ تفاصيل يرجع إليها في المطولات، وسيأتي المزيد من بحثها.

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ الواو استئنافية، وإن نافية، ومن حرف جر زائد، وقرية مجرور لفظاً مرفوع محلاً مبتدأ، وإلا أداة حصر، ونحن مبتدأ، ومهلكوها خبر، والجملة الاسمية خبر قرية، وقبل يوم القيامة الظرف متعلق بمهلكوها، وأو حرف عطف، ومعذبوها عطف على مهلكوها، وعذاباً مفعول مطلق، وشديداً صلة ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا﴾ كان واسمها، وفي الكتاب متعلقان بمسطوراً، ومسطوراً خبر كان ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، ومنعنا فعل ماض، ومفعول به مقدم، وأن نرسل

المصدر المؤول مفعول ثان لمنع، وبالآيات الباء حرف جر زائد على حد زيادتها في قول عمرو بن كلثوم:

وقد عَلِمَ القبائلُ مِن مَعَدٍّ إذا قُبَبٌ بأَبْطَحِها بُنِينا
بأنَّا المُطْعِمُونَ إذا أَرَدْنا وأنَّا النَّازِلُون بحيثُ شِينا

ولك أن تجعلها أصلية فتكون للملابسة، والمفعول محذوف، أي: في محل نصب حال، والمعنى: وما منعنا أن نرسل نبياً حالة كونه متلبساً بالآيات، وإلا أداة حصر، وأن الثانية وما في حيزها في محل رفع فاعل منع، وبها متعلقان بكذب، والأولون فاعل ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ هذه آية من الآيات التي اقترحها الأولون ثم كذبوا بها، وآتينا فعل وفاعل، وثمود مفعول به أول، والناقة مفعول به ثان، ومبصرة حال، فظلموا الفاء عاطفة، وظلموا فعل وفاعل، وهو متضمن معنى كفروا، وبها متعلقان به ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ الواو للحال، وما نافية، ونرسل فعل مضارع، وفاعل مستتر، وبالآيات تقدم القول في هذه الباء، وإلا أداة حصر، وتخويفاً مفعول لأجله، ولك أن تجعله مصدراً في موضع نصب على الحال، إما من الفاعل، أي: مخوفين بها، أو من المفعول، أي: مخوَّفاً بها ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ الظرف متعلق بمحذوف، أي: اذكر، ولك متعلقان بقلنا، وإن واسمها، وجملة أحاط بالناس خبرها ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، وجعلنا الرؤيا فعل وفاعل ومفعول به، وأراد بها ما رآه بعد الوحي في منامه، أو ليلة الإسراء على خلاف، وإذا كانت ليلة الإسراء فتسميتها رؤيا على أنها كانت في الليل، ولأنها وشيكة سريعة الانقضاء؛ لأن الرؤيا للحلم، أما الرؤية البصرية فلا يطلق عليها رؤيا، ولذلك أخذوا على المتنبي قوله:

... ... ورؤياكَ أَحْلى في الجُفُونِ مِنَ الغُمْضِ

ويبرر المتنبي أنه استعملها في الجفون؛ لأن الرؤيا لا تكون إلا فيها، والتي صفة، وأريناك صلة الموصول، وإلا أداة حصر، وفتنة مفعول به ثان

لجعلنا، وللناس صفة لفتنة ﴿ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴾ عطف على الرؤيا، والملعونة نعت لها، وفي القرآن جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، والمراد بها شجرة الزقوم، وسيأتي الحديث عنها في موضع من هذا الكتاب، فقد سخروا من محمد ﷺ عندما سمعوا بشجرة الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم، وقالوا: إنه يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة، ثم يقول أن الشجر ينبت فيها ﴿ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴾ الواو استئنافية، ونخوفهم فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، فما الفاء عاطفة، وما نافية، ويزيدهم فعل ومفعول به، والفاعل مستتر تقديره: تخويفنا، وإلا أداة حصر، وطغياناً مفعول به ثان، وكبيراً نعت.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ لَأَحْتَنِكَنَّ ﴾ لأستأصلن ذريته بالإغواء، من احتنك الجراد الأرض؛ إذا جرّد ما عليها أكلاً، مأخوذ من الحنك، ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم: أحنك الشاتين، أي: آكلهما، وقيل معنى لأحتنكن: لأسوقنهم وأقودنهم حيث شئت، من حنك الدابة؛ إذا جعل الرسن في حنكها. وفي المختار: حنك الفرس جعل في فيه الرسن، وبابه نصر وضرب، وكذا احتنكه، واحتنك الجراد الأرض: أكل ما عليها، وأتى على نبتها، وقوله تعالى: حاكياً عن إبليس: ﴿ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ ﴾ قال الفراء: لأستولين عليهم، والحنك:

المنقار، يقال: أسود مثل حنك الغراب، وأسود حانك مثل حالك، والحنك: ما تحت الذقن من الإنسان وغيره. ولهذه المادة شعاب يضيق عن استيعابها الحصر، ففي القاموس وتاج العروس واللسان ما خلاصته: حنك يحنك ويحنك بالضم والكسر حنكاً الشيء: فهمه وأحكمه، واحتنك الفرس: جعل في فيه الرسن، وحنك وحنّك: مضغ فَدَلَكَ بحنكه، وحنك يحنك ويحنك بالضم والكسر أيضاً حِنْكاً وحَنَكاً، وحنَّك وأحنك، واحتنك الدهر الرجل: جعلته التجارب والأمور وتقلبات الدهر حكيماً، فهو حنيك. وتحنّك: أدار العمامة من تحت حنكه، واحتنك أيضاً الجراد الأرض: أكل ما عليها، واحتنكه: استولى عليه، واستحنك: اشتد أكله بعد قلَّةٍ، والحُنك والحِنك والحُنكة: الاسم من حنّكه الدهر، والحَنَك: أعلى باطن الفم والأسفل من طرف مقدَّم اللحيين.

﴿ وَٱسْتَفْزِزْ ﴾ استفزه: استخفه، والفزّ: الخفيف. وفي القاموس والتاج: فزّ يفُزّ فزّاً: انفرد، وفز عنه: تنحى وعدل، وفزّ الظبي: فزع، وفزه: عزه، وغلبه، وطير فؤاده، وأفزعه، وأزعجه، وأزاله عن مكانه. وفز يفزّ فزيزاً الجرح: سال بما فيه، وفز فزازة وفزوزة: اضطرب وتوقد. وافتزّ عليه: غلب. وتفازّ الرجلان: تبارزا. واستفزه: استخفّه، واستدعاه، وجعله يضطرب، وأزعجه، وأخرجه من داره، وقتله. والفزّ: الرجل الخفيف، وولد البقرة الوحشية. والفزة: الوثبة بانزعاج.

﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم ﴾ صحْ عليهم، وتصرف فيهم بكل ما تقدر. وفي المختار: وجلب على فرسه يجلب جلباً بوزن: طلب يطلب طلباً: صاح به من خلفه، واستحثه للسبق، وكذا أجلب عليه. وفي القاموس والتاج: جلبه يجلبه بالضم والكسر جلباً وجلباً بالسكون والفتح: ساقه، وجاء به. وجَلب الرجل: انساق، وجلب الجرح: برىء، وأجلب القوم: جمعهم. وجلبه وأجلب: توعده بالسر، وجلب وأجلب لأهله: كسب، وجلب وأجلب على الفرس: صاح به، واستحثه للسبق، وجلب وأجلب القوم: ضجوا واختلطت

أصواتهم. والجلبة: اختلاط الأصوات، والصياح. والجلب بفتحتين ما يجلبه من بلد إلى بلد، وجمعه أجلاب، فما يقوله العامة عن المتاع هو جَلَب ـ بفتحتين ـ صحيح لا غبار عليه.

﴿ وَرَجِلِكَ ﴾ بفتح فكسر: الركاب والمشاة، وفي القاموس: الرجل: الراجل، ومن يمشي على رجليه: والراجل: من يمشي على رجليه لا راكباً، وجمعه رَجْل ورجّالة ورُجّال ورِجال ورُجَالى ورَجَالى ورُجلان، يقال: جاءت الخيالة والرجالة، وأغار عليهم بخيله ورجله، والخيل: الخيالة، ومنه الحديث: «يا خيل الله اركبي».

○ الإعراب:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ الواو استئنافية، والظرف متعلق بمحذوف، أي: اذكر، وقد تقدم إعراب هذه الآية المكررة كثيراً ﴿ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري الصادر عن تعنت، وسوء تقدير، وجهل، وغباء، ولمن متعلقان بأسجد، وجملة خلقت صلة، وطيناً حال من الموصول، والعامل فيه أأسجد، أو من عائد هذا الموصول، أي: خلقته طيناً، فالعامل فيها خلقته، وجاز وقوع طيناً حال، وإن كان جامداً لدلالته على الأصالة؛ كأنه قال متأصلاً من طين، وأعربه بعضهم منصوباً بنزع الخافض، أي: من طين بدلالة آية أخرى صرح فيها بالجار. قال: ﴿ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ وقال الزجاج وغيره: هو تمييز، وفيه بعد ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ ﴾ تقدم القول مفصلاً في أرأيتك، وأنها بمعنى أخبرني، والكاف لتأكيد الخطاب لا محل لها من الإعراب، وهذا مفعول أول، والموصول صفة، أو بدل عنه، والثاني محذوف لدلالة الصلة عليه، أي: أخبرني عن هذا الذي كرمته عليّ بأن أمرتني بالسجود له لمَ كرمته علي، ولم يجبه الله تعالى عن هذا السؤال؛ استصغاراً لأمره، واحتقاراً لشأنه، فاختصر الكلام بحذف ذلك، ثم ابتدأ بالقسم فقال: ﴿ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ اللام موطئة للقسم، وإن شرطية،

وأخرتني فعل وفاعل ومفعول به، والنون للوقاية، وهو فعل الشرط، وإلى يوم القيامة متعلقان بأخرتني، ولأحتنكن اللام واقعة في جواب القسم، وأحتنكن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والفاعل مستتر تقدير: أنا، وذريته مفعول به، وإلا أداة استثناء، وقليلاً مستثنى من ذريته منصوب، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه، وسيأتي مزيد بحث عنه في باب: البلاغة ﴿ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴾ اذهب فعل أمر وفاعل مستتر، والجملة مقول القول، وليس المراد بالذهاب نقيض المجيء، وإنما معناه: امض لشأنك الذي اخترته بمحض مشيئتك، وسيأتي أنه أمره بأمور أربعة أخرى، فيكون المجموع خمسة، وكلها تهدف إلى التنديد به، وتهديده، واستدراجه، فمن الفاء استئنافية، ومن شرطية مبتدأ، وتبعك فعل ماض، الفاعل مستتر، والكاف مفعول به، وهو في محل جزم فعل الشرط، ومنهم حال، فإن الفاء رابطة لجواب الشرط، وإن واسمها وخبرها، وجزاء مفعول مطلق لفعل دل عليه جزاؤكم، أي: تجزون جزاء، ولا مانع عندي من أن يكون مصدراً انتصب بمثله، وسيأتي مزيد بحث عنه في باب: الفوائد، وقيل هو حال موطئة، وقيل تمييز، وليس ذلك ببعيد، وسيأتي القول في هذا الالتفات في باب: البلاغة، وموفوراً صفة ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ واستفزز أمر ثان للشيطان، من استطعت: من اسم موصول مفعول استفزز، وجملة استطعت صلة، ومفعول استطعت محذوف تقديره: من استطعت أن تستفزه، ومنهم متعلقان بمحذوف حال، وبصوتك متعلقان باستفزز، وأجلب أمر ثالث، وعليهم متعلقان بمحذوف حال، وبخيلك متعلقان بأجلب، ورجلك عطف على بخيلك، أي: استخف منهم من استطعت بصوتك، وصِحْ عليهم، وسقهم حال كونك مصحوباً بخيلك ورجلك ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ وشاركهم أمر رابع، والهاء مفعول به، وفي الأموال متعلقان بشاركهم، والمشاركة في الأموال، أي: حملهم على جمعها بالطرق الحرام غير

المشروعة كالربا، والميسر، وإنفاقها في الأمور المحرمة، والفسوق، والعصيان، وعدهم هذا هو الأمر الخامس، والهاء مفعول به، ولم يذكر الموعود اختصاراً، والمراد: المواعيد الكاذبة الباطلة، وما الواو للحال أو اعتراضية، وما نافية، ويعدهم الشيطان فعل مضارع، ومفعول به مقدم، وفاعل مؤخر، وفي الكلام التفات سيأتي الكلام عنه، وإلا أداة حصر، وغروراً يجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف، أي: إلا وعداً غروراً، ونسبة الغرور للمصدر سيأتي في باب: البلاغة، ولك أن تعربه مفعولاً من أجله، أي: ما يعدهم ويمنيهم من الوعود الكاذبة والأماني المعسولة إلا لأجل الغرور، والجملة حالية، أو معترضة ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ جملة تعليلية للأمر بالوعد، أي: إنما نأمرك بذلك؛ لأننا نعلم أنه ليس لك سلطان على عبادنا الصالحين، وإن واسمها، وجملة ليس خبرها، ولك خبر مقدم لليس، وعليهم حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لسلطان، وسلطان اسم ليس مؤخر، وكفى فعل ماض، والباء زائدة في الفاعل، ووكيلاً تمييز.

□ البلاغة:

اشتملت هذه الآيات على فنون شتى منها:

(١) المجاز المرسل في استعمال الرؤية بمعنى الإخبار في قوله ﴿أرأيتك﴾ لأنها سببه، فالعلاقة فيها السببية، وقد تقدم بحث ذلك.

(٢) الالتفات عن الخطاب إلى الغيبة، وكان مقتضى الظاهر أن يقال: وما تعدهم إلا غروراً، ولكنه عدل عن ذلك تهويناً لأمره، واستصغاراً لأمر الغرور؛ الذي يعدهم به من جهة، وليتولى الكلام على طريق الغيبة متحدثاً إلى الناس جميعاً ليعلم الجاهل، ويخلد المبطل إلى الصواب.

(٣) المجاز العقلي في نسبة الغرور إلى الوعد على حد قوله: نهاره صائم وليله قائم، وقد تقدم تفصيل ذلك في مواضعه.

* الفوائـد:

(١) عامل المفعول المطلق:

عامل المفعول المطلق إما مصدر مثله لفظاً ومعنى، مثل: ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ فجزاء مفعول مطلق، وعامله جزاؤكم، وهو مصدر مثله، أو معنى لا لفظاً نحو: أعجبني إيمانك تصديقاً، أو ما اشتق منه من فعل نحو: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ أو من وصف، أي: اسم فاعل، أو اسم مفعول، أو للمبالغة دون التفضيل، والصفة المشبهة، فاسم الفاعل نحو: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ واسم المفعول نحو: الخبز مأكول أكلاً، وأمثلة المبالغة نحو: زيد ضرّاب ضرباً، ولا يجوز زيد حسن وجهه حسناً، ولا أقوم منك قياماً، وأما قول الشاعر:

أما الملوكُ فأنتَ اليومَ ألأمهم لؤماً وأبيضهم سربال طباخ

فلؤماً منصوب بمحذوف. ونعود إلى الآية فقد اعترض بعضهم على انتصاب جزاء بالمصدر، وهو جزاؤكم، قال: إنه وإن كان لفظه مصدراً معناه المجزي به لحمله على جهنم، فمعنى الآية أن جهنم هي الشيء الذي أنتم مجزيون به. ولوجاهة هذا الاعتراض قلنا: إنه يجوز أن ينتصب بفعل محذوف دل عليه جزاؤكم، والمعنى: تجازون، أو على الحال الموطئة.

(٢) الحال الموطئة:

والحال الموطئة بكسر الطاء أو بفتحها هي الجامدة الموصوفة؛ لأنها ذكرت توطئة للنعت بالمشتق أو شبهه، نحو: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ فإنما ذكر بشراً توطئة لذكر سوياً، ومعنى هذا الكلام أن الاسم الجامد لما وصف بما يجوز أن يكون حالاً صح أن يكون حالاً، والموطئة لغة: هي المهيئة، وسيأتي المزيد منها أثناء الكلام على هذه الآية في سورة مريم.

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ

كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ يُزْجِى ﴾: يجري ويسير، وفي القاموس: زجاه: ساقه ودفعه، كزجّاه وأزجاه، ومنه قول الشاعر:

يا أيها الراكبُ المزجي مطيّته　　سائلْ بني أَسَدٍ ما هذه الصوتُ؟

﴿ حَاصِبًا ﴾ الحاصب: الريح التي تحصب، أي: ترمي بالحصباء، والحصباء: الحجارة الصغيرة، واحدتها حصبة، كقصبة. وفي المصباح: وحصبته حصباً من باب: ضرب، وفي لغة من باب: قتل؛ رميته بالحصباء.

قال أبو عبيدة والقتيبي: الحصب: الرمي، أي: ريحاً شديدة حاصبة، وهي التي ترمي بالحصى الصغار، وقال الزجاج: الحاصب: التراب الذي فيه حصباء، فالحاصب ذو الحصباء، والحصباء كاللابن والتامر، ويقال للسحابة التي ترمي بالبرد: حاصب، ومنه قول الفرزدق:

مستقبلين جبالَ الشَّام تضربنا　　بحاصبٍ كنديفِ القطنِ منثور

﴿ قَاصِفًا ﴾ القاصف: الريح التي لها قصيف، وهو الصوت الشديد، كأنها تتقصف، أي: تتكسر، وقيل: التي لا تمر بشيء إلا قصفته.

﴿ تَبِيعًا ﴾ التبيع: المطالب. قال الشماخ يصف عقاباً:

تَلُوذُ ثَعالِبُ الشَّرقَيْنِ منها　　كما لاذَ الغريمُ من التَّبِيعِ

أي: تهرب منها ثعالب الشرقين بمعنى المشرقين، كما هرب والتجأ الغريم، أي: المدين من التبيع، أي: الدائن المطالب.

○ الإعـراب:

﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ الجملة تعليل لبيان قدرته تعالى، وربكم مبتدأ، والذي خبره، وجملة يزجي صلة، ولكم متعلقان بيزجي، والفلك مفعول به، وفي البحر متعلقان بمحذوف حال، ولتبتغو ا اللام للتعليل، وتبتغوا مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بتبتغوا، أي: تبتغوا الربح من فضله ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ إن واسمها، وجملة كان خبرها، وبكم متعلقان برحيماً، ورحيماً خبر كان ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ الواو عاطفة، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة مسكم مضافة للظرف، والكاف مفعول به، والضر فاعل، وفي البحر متعلقان بمحذوف حال، أي: حالة كونكم في البحر، وجملة ضل لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، ومن فاعل ضل، وجملة تدعون صلة، وإلا إياه استثناء، أي: ذهب عن خواطركم كل من تدعونه إلا إياه، فإنكم عندئذ وفي ذلك الوقت بالذات تذكرونه، فهو استثناء متصل؛ لأنه اندرج مع من ذكروه، وجوز أن يكون منقطعاً، أي: ضل من تدعونه من الآلهة عن إغاثتكم، ولكن الله وحده هو الذي ترجونه وحده ﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴾ لما أداة شرط غير جازمة، ونجاكم فعل ماض ومفعول به، وهو فعل الشرط، وفاعله هو، وإلى البر متعلقان بنجاكم، وأعرضتم جواب الشرط، وكان واسمها وخبرها ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة على محذوف تقديره: أنجوتم، فأمنتم، فحملتكم نجاتكم على الإعراض. وأمنتم فعل وفاعل، وأن يخسف مصدر مؤول في محل نصب بنزع الخافض أي: من أن يخسف، والجار والمجرور متعلقان بأمنتم، وبكم حال، أي: مصحوباً بكم، فالباء للمصاحبة، ويجوز أن يتعلق بيخسف، وتكون الباء للسببية. وجانب البر مفعول يخسف، وأو حرف عطف، ويرسل عطف على يخسف، وعليكم متعلقان بيرسل، وحاصباً

مفعول به ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا ﴾ ثم حرف عطف للتراخي، ولا نافية، وتجدوا عطف على يرسل أيضاً، ولكم متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لوكيلاً، وتقدمت عليه، ووكيلاً مفعول به ﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ أم حرف عطف، وهي متصلة، أي: أي الأمرين كائن، وأمنتم فعل وفاعل، وأن يعيدكم مصدر مؤول في محل نصب بنزع الخافض، والجار والمجرور متعلقان بأمنتم، وفيه متعلقان بيعيدكم، وتارة ظرف متعلق بيعيدكم أيضاً، وأخرى صفة ﴿ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ﴾ الفاء عاطفة، ويرسل عطف على أن يعيدكم، وعليكم متعلقان بيرسل، وقاصفاً مفعول به، ومن الريح صفة، والفاء حرف عطف، ويغرقكم عطف على يرسل، وبما متعلقان بيغرقكم، وما مصدرية، أي: بسبب كفركم ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴾ ثم حرف عطف، ولا تجدوا عطف على يغرقكم، ولكم متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لتبيعاً، وتقدمت عليه، فهو على حد قوله أبي الطيب المتنبي:

لولا مفارقةُ الأحبابِ ما وجدت لها المنايا إلى أرواحنا سُبُلا

فقوله لها متعلق بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صف لسبلاً، ولا يجوز تعليقه بوجدت؛ لأن وجد لا يتعدى باللام، وإنما يتعدى بنفسه، وعلينا متعلقان بمحذوف حال أيضاً، وبه متعلق بتبيعاً، ويجوز أن يتضمن تبيعاً معنى ناصراً؛ لأن المطالب بحق الملازم للطلب، فيكون علينا متعلقاً به، أي: ناصراً علينا.

﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ

فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿فَتِيلًا﴾: تقدم القول في النقير والقطمير، فالفتيل هو: الخيط الذي في نقرة النواة طولاً، وأما القشرة فهي: القطمير، وأما الخيط الذي في ظهرها فهو النقير، ففي النواة أمور ثلاثة: فتيل وقطمير ونقير، وفي القاموس: الفتيل: السحاة في شق النواة، والقطمير والقطمار بكسر القاف فيهما: القشرة الرقيقة بين النواة والثمرة، والنقير: النكتة في ظهر النواة.

○ **الإعراب:**

﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ الواو استئنافية، واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وكرمنا فعل وفاعل، وبني آدم مفعول به، وحملناهم عطف على كرمنا، وهو فعل وفاعل ومفعول به، وفي البر والبحر متعلقان بحملناهم ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ورزقناهم فعل وفاعل ومفعول به أيضاً، ومن الطيبات متعلقان برزقناهم، وفضلناهم عطف أيضاً، وعلى كثير متعلقان بفضلناهم، وممن خلقنا صفة لكثير، وجملة خلقنا صلة، وتفضيلاً مفعول مطلق ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ الظرف متعلق بمحذوف تقديره: اذكر، وندعو فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: نحن، وكل أناس مفعول به، وجملة ندعو مضافة للظرف، وبإمامهم يجوز أن يتعلق بندعو، وأن يتعلق بمحذوف حال، أي: موسومين ومعروفين، والمراد بالإمام من ائتموا به في دنياهم، وفوضوا إليه أمورهم وأحكام معايشهم، وقلدوه في شؤون دنياهم وأخراهم ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ الفاء عاطفة، ومن شرطية، أو موصولة، وهي في محل رفع مبتدأ، وأوتي فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر، وكتابه مفعول به ثان، وبيمينه متعلقان بأوتي، والفاء رابطة، وجملة أولئك جواب

الشرط، أو خبر الموصول، وأولئك مبتدأ، وجملة يقرؤون خبر، وكتابهم مفعول به، ولا: الواو حرف عطف، ولا نافية، ويظلمون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وفتيلاً نائب مفعول مطلق، أي: ظلماً قدر الفتيل، وقد تقدمت له نظائر ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ﴾ الواو عاطفة، ومن شرطية، أو موصولة، وكان فعل ماض ناقص، وفي هذا خبر مقدم، والإشارة للدنيا، وأعمى اسم كان مؤخر، وهي بمعنى فاعل ﴿فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ الفاء رابطة، وهو مبتدأ، وفي الآخرة حال، وأعمى خبر، وهي إما بمعنى فاعل كالأولى، أي: من كان في هذه الدنيا عمياً عن حجته، فهو في الآخرة كذلك، وإما بمعنى أفعل التفضيل التي تقتضي من، والمعنى: من كان في هذه الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى أيضاً، والمراد العمى القلبي الذي لا يبصر الهداية، وأضل عطف على أعمى، وسبيلاً تمييز.

﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾

○ الإعـراب:

﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ﴾ الواو استئنافية، وإن مخففة من الثقيلة مهملة، ويجوز إعمالها قليلاً كما تقدم، وكادوا فعل ماض ناقص من أفعال المقاربة، والواو اسمها، واللام الفارقة، وجملة يفتنونك خبر كادوا، وعن الذي متعلقان بيفتنونك، وقد ضمّن يفتنونك معنى يصرفونك، فلذلك عدي بعن، وجملة أوحينا صلة، وإليك

متعلقان بأوحينا، لتفتري: اللام لام التعليل، وتفتري مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وعلينا متعلقان بتفتري، والفاعل مستتر تقديره: أنت، وغيره مفعول به ﴿وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ الواو عاطفة، وإذاً حرف جزاء، وجواب يقدر بلو الشرطية، أي: ولو اتبعت مرادهم، وحققت مقترحاتهم التي حاولوا أن يستنزلوك لتحقيقها، واللام موطئة للقسم، والتقدير: والله لاتخذوك، والكاف مفعول به أول، وخليلاً مفعول به ثان ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ لولا حرف امتناع لوجود، وإن وما في حيزها مبتدأ محذوف الخبر، أي: ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا إياك، واللام جواب لولا، وقد حرف تحقيق، وكاد واسمها، وجملة تركن خبرها، وإليهم متعلقان بتركن، وشيئاً مفعول مطلق فهو بمعنى الركون، أي: وشيئاً قليلاً من الركون ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ إذاً حرف جواب وجزاء يقدر بلو الشرطية أيضاً، أي: ولو اتبعت مرادهم، وحققت مقترحاتهم؛ التي حاولوا أن يستنزلوك لتحقيقها، واللام موطئة للقسم، وأذقناك فعل وفاعل ومفعول به، وضعف مفعول ثان، والحياة مضاف، ولا بد من تقدير محذوف، أي: ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات، وثم حرف عطف وتراخ، ولا نافية، وتجد فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: أنت، ولك متعلقان بتجد، وعلينا متعلقان بنصيراً، ونصيراً مفعول به ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ﴾ الواو عاطفة، وإن مخففة يجوز إهمالها وإعمالها، وكادوا من أفعال المقاربة، والواو اسمها، واللام الفارقة، وجملة يستفزونك خبر كادوا، ومن الأرض متعلقان بيستفزونك، وليخرجوك متعلقان بيستفزونك، ومنها متعلقان بيخرجوك، والضمير يعود إلى الأرض، وهي أرض المدينة ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الواو عاطفة، وإذاً حرف جواب وجزاء مهمل، ولا نافية، ويلبثون فعل مضارع مرفوع وخلافك، أي: خلفك ظرف متعلق بيلبثون، وعليه قول الشاعر:

عفتِ الديارُ خلافَهم فكأنَّما بسط الشّواطب بينهن حَصِيرا

يصف الشاعر ديارهم بعدهم بدورسها، وكثرة قمامتها؛ لعدم كنسها، ووجود من يتعهدها، والشواطب: النساء يشققن شطب النخل، أي: سعفه الأخضر يعملنه حصيراً. وإلا أداة حصر، وقليلاً صفة لظرف محذوف، أي: زماناً قليلاً، أو صفة لمصدر محذوف، أي: لبثاً قليلاً، فهي ظرف، أو مفعول مطلق ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ نصبت سنة نصب المصدر المؤكد، أي: سن الله ذلك سنة، واختيار الفراء نصبها على نزع الخافض، أي: كسنة الله، وإذن ينبغي على هذا الإعراب أن لا يوقف على قليلاً، واختار آخرون أن تنصب بفعل محذوف، أي: اتبع سنة، ولا مانع من ذلك، فالأوجه كلها متساوية.

□ البلاغة:

* قصة ثقيف واقتراحاتها:

في هذه الآيات ضروب من البلاغة، ولا بد لتقريرها من إيراد قصة تنزيلها، فقد روي أن ثقيفاً قالت للنبي ﷺ: لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالاً نفتخر بها على العرب: لا نعشر، ولا نحشر، ولا نُجَبِّي في صلاتنا، وكل ربا لنا فهو لنا، وكل ربا علينا فهو موضوع عنا، وأن تمتعنا باللات سنة حتى نأخذ ما يهدى لها، فإذا أخذناه كسرناها وأسلمنا، وأن تحرم وادينا كما حرمت مكة، فإن قالت العرب: لم فعلت ذلك؟ فقل: إن الله أمرني به، وجاؤوا بكتابهم فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف: لا يعشرون ولا يحشرون، فقالوا: ولا يجبون، فسكت رسول الله، ثم قالوا للكاتب: اكتب ولا يجبون، والكاتب ينظر إلى رسول الله، فقام عمر بن الخطاب فسلّ سيفه فقال: أسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف! أسعر الله قلوبكم ناراً، فقالوا: لسنا نكلم إياك، وإنما نكلم محمداً، فنزلت. ولا بد من شرح بعض المفردات فقولهم: لا نعشر بالبناء للمجهول، أي: لا يؤخذ

منا عشر أموالنا، ولا نحشر بالبناء للمجهول أيضاً أي: لا نساق للجهاد، ولا نجبي في صلاتنا بالبناء للمجهول أيضاً من التجبية، وهي ـ كما في الصحاح ـ أن يقوم الإنسان قيام الراكع، وقال أبو عبيدة: تكون في حالين: أحدهما: أن يضع يديه على ركبتيه، والآخر أن ينكب على وجهه باركاً، وهو السجود، والمراد: لا نركع ولا نسجد، والقصة طريفة تمثل أموراً هامة:

أ ـ إصرار القوم، وعتوهم، وتماديهم في الكبرياء والعنفوان.

ب ـ حلم النبي ﷺ، وأخذه القوم باللين والاستمالة، وفي ذلك منتهى الكياسة والسياسة.

جـ ـ صلابة عمر وجرأته، ولأمرٍ ما سمي الفاروق.

أما أوجه البلاغة في الآية فهي:

(١) الإطناب في ذكر هذا الموقف الذي يثبت لك دهاء السياسي وأحوذيته، يأخذ قومه بالملاينة والصبر، ولا تذهب نفسه شعاعاً، وهو يرى التمادي في الغي والإصرار على الخطل.

(٢) المبالغة في تقليل الكيدودة؛ لأن مجرد الملاينة التي تقتضيها السياسة واستمالة القوم أخذت على النبي؛ لأن الذنب يعظم بحسب فاعله على ما ورد من أن: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

(٣) الاستعارة المكنية في «أذقناك ضعف الحياة» وقد تقدمت أمثالها كثيراً.

(٤) الحذف، فقد حذف العذاب تكريماً لمقام النبي ﷺ، وهو في الأصل موصوف، أي: عذاباً ضعفاً في الحياة، وعذاباً ضعفاً في الممات، ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه، وهو الضعف، ثم أضيفت الصفة إضافة الموصوف، فقيل: ضعف الحياة وضعف الممات، كما لو قيل: أذقناك أليم الحياة وأليم الممات.

☆ ولابن هشام فصل ممتع عن كاد أورده في الباب السادس من كتابه

«المغني» في التحذير من أمور اشتهرت بين المعربين، والصواب خلافها: الثامن عشر قولهم إن كان إثباتها نفي ونفيها إثبات فإذا قيل: «كاد يفعل» فمعناه أنه لم يفعل وإذا قيل: «لم يكد يفعل» فمعناه أنه فعله، دليل الأول: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ وقوله:

كـادت النفـس أن تفيـض عليـه ... ...

ودليل الثاني: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾.

وقد اشتهر ذلك بينهم حتى جعله المعري لغزاً فقال:

أنحـويَّ هـذا العصرِ مـا هـي لفظـةٌ
جـرتْ في لسـانَـيْ جُـرهـمٍ وثمـودِ
إذا استُعملتْ في صورةِ الجحدِ أثبتتْ
وإن أُثبتـتْ قـامـتْ مقـامَ جُحـودِ

والصواب أن حكمها حكم سائر الأفعال في أن نفيها نفي، وإثباتها إثبات، وبيانه: أن معناها المقاربة، ولا شك أن معنى «كاد يفعل» قارب الفعل، وأن معنى «ما كاد يفعل» ما قارب الفعل، فخبرها منفي دائماً، أما إذا كانت منفية فواضح؛ لأنه إذا انتفت مقاربة الفعل انتفى عقلاً حصول ذلك الفعل، ودليله: ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ ولهذا كان أبلغ من أي يقال: «لم يرها» لأن من لم ير قد يقارب الرؤية، وأما إذا كانت المقاربة المثبتة، فلأن الإخبار بقرب الشيء يقتضي عرفاً عدم حصوله، وإلا لكان الإخبار حينئذ بحصوله لا بمقاربة حصوله؛ إذ لا يحسن في العرف أن يقال لمن صلى قارب الصلاة، وإن كان ما صلى حتى قارب الصلاة، ولا فرق فيما ذكرنا بين كاد ويكاد، فإن أورد على ذلك: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ مع أنهم قد فعلوا، إذ المراد بالفعل الذبح، وقد قال تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا﴾ فالجواب أنه إخبار عن حالهم في أول الأمر، فإنهم كانوا أولاً بُعداء من ذبحها بدليل ما يتلى علينا من تعنتهم، وتكرر سؤالهم، ولما كثر استعمال مثل هذا فيمن انتفت عنه مقاربة الفعل أولاً، ثم فعله بعد ذلك توهم من توهم أن هذا الفعل بعينه هو الدال

على حصول ذلك الفعل بعينه، وليس كذلك، وإنما فهم حصول الفعل من دليل آخر، كما فهم في الآية من قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا﴾.

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ أي: من وقت زوالها، يقال: دلكت الشمس، أي: غربت، وقيل: زالت، واشتقاقه من الدلك؛ لأن الانسان يدلك عينيه عند النظر إليها، فإن كان الدلوك الزوال، فالآية جامعة للصلوات الخمس المفروضة، وإن كان الغروب، فقد خرجت منها الظهر والعصر، وأصل هذه المادة، أي: ما كانت فاؤه وعينه دالاً ولاماً: يدل على التحول والانتقال، فالدلبة واحدة الدُّلب، وهو شجر عظيم الورق لا زهر له ولا ثمر، وهي تتسامى صعداً في الجو، كأنها انتقلت من الأسفل إلى الأعلى، ومنه قولهم: هو من أهل الدّرْبة، بمعالجة الدُّلبة. ومنه تتخذ النواقيس، أي: هو نصراني. وسقى أرضه بالدَّوْلاب بفتح الدال، وهم يسقون بالدواليب، وهي تستعمل لنقل المياه من مكان إلى مكان لسقاية الأرض، ودلج من الدلجة، وهي سير الليل، والانتقال فيه من مكان إلى آخر، ودلج، ومنه وكَفَتْ عيناه، وكيف غَرْبَيْ دالج، وهو الذي يختلف بالدلو من البئر إلى الحوض، وبات ليلته يدلُج دلوجاً، قال:

كأنَّها وقد بَراها الإخْمَاسْ ودَلَجُ الليلِ وهادٍ قَيَّاسْ
شرائحُ النّبعِ براها القَوَّاسْ

ودلح بالحاء المهملة: إذا مشي مشياً متثاقلاً، ودَلْدَلَ أعضاءه دلدلة، أي:

حركها في المشي، وتدلدل في مشيه: اهتز واضطرب، ودلس الظلام معروف، وخرج في الدَّلَس والغَلَس، ودلّس المحدّث في حديثه: أتى فيه بغير الراهن، كأنما انتقل من واقعة إلى واقع آخر، ومنه تدليس البائع: يكتم المساوىء فيما يبيعه ويظهر المحاسن، وأرض دلصتها السيول: انتقلت بها من حال إلى حال، فجعلتها ملساء، ومنه درع دلاص، قال أبو الطيب:

لأْمَـةٌ فـاضَـةٌ أَضَـاةٌ دِلاَصٌ أَحْكَمَـتْ نَسْجَهـا يَـدا دَاوُدِ

ودلع وأدلع لسانه: أخرجه من فمه، ودلع بنفسه واندلع: خرج واسترخى من كرب أو عطش، وكما يدلع الكلب. ومن المجاز: اندلع السيف من غمده واندلق، واندلعت ألسنة النيران، والمُدلَّع: المتربي في العز والنعمة، والاسم الدلاعة، وهو من كلام العامة، فهو عامي فصيح، ودلف: إذا مشى مشي المقيد، يقال: دلف الشيخ والمقيّد دليفاً ودُلوفاً، وهو فوق الدبيب، وشيخ دالف، وعجائز دوالف، قال طرفة:

لا كبيـرٌ دالِـفٌ مِـن هَـرَمٍ أَرْهَبُ النَّاسَ ولا كَلٌّ الظُّفُرْ

وجاء يدلف بحمله لثقله. ودلق عليهم السيل، ودلقت عليهم الخيل واندلقت، ودلقوا عليهم الغارة: شنوها، ودلق البعير شقشقته: أخرجها، وضربه فاندلقت أقتاب بطنه، ودلك الشيء مرسه بيده، وقد تقدم، ودله على الطريق، وهو دليل المفازة، ودلت تدلُّ، وهي حسنة الدل والدلال، أي: أخرجت كل ما لديها من مفاتن جسمية لتستهوي بها الآخرين، ودله فلان دلهاً: تحير، وذهب عقله، من هم أو عشق، ففيه انتقال معنوي، وأدليت دلوي في البئر: أرسلتها فيها، ودلى رجليه من السرير، وتدلت الثمرة من الشجرة: همت بالانتقال منها، وأدلى بحقه وبحجته أحضرها، فكأنه نقلها إلى مكان النقاش، ويطول بنا القول إن رحنا نتقصى ما في هذه المادة العجيبة.

﴿غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾: الغسق: الظلمة، وقيل: دخول أول الليل، قاله النضر ابن شميل، وقيل: هو سواد الليل وظلمته، وأصله من السيلان، يقال: غسقت العين، أي: سال دمعها، فكأن الظلمة تنصب على العالم، وتسيل

عليهم. وفي الأساس: يقولون: من الغسق إلى الفلق، وهو دخول أول الليل حين يختلط الظلام، وقد غسق الليل يغسق غسقاً، وبنو تميم على أغسق، قال ابن قيس:

إنَّ هــذا الليــلَ قــد غَسَقــا   واشتكَيــتُ الهَــمَّ والأَرَقــا

وقال جسّاس:

أزورُ إذا ما أغسقَ الليل خُلَّتي   حِذارَ العِدى أوْ أن يُرجَّمَ قائلُ

﴿فَتَهَجَّدْ﴾: الهجود: ترك النوم للصلاة، وفيه خلاف بين أهل اللغة، فقيل: هو النوم، وقيل: الهجود مشترك بين النائم والمصلّي، وقال ابن الأعرابي: تهجد صلى من الليل، وتهجد: نام، وهو قول أبي عبيد والليث، ووزن تفعّل يأتي للسلب، نحو: تحرّج، وتأثم، وتحوّب. وفي الأساس: وهجد الرجل هجوداً وتهجَّد: ترك الهجود للصلاة ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾ وبات فلان متهجداً: متوحداً، وهجِّدنا: مكِّنا من الهجود، قال لبيد:

قال هَجِّدنا فقد طال السُّرى   وقَدَرْنا إن خَنَى الدَّهْرُ غَفَلْ

وفي القاموس والتاج: الهجود: النوم بالنهار، والهجوع: النوم بالليل، والتهجد: صلاة الليل.

﴿نَافِلَةً﴾: زائدة.

○ الإعـراب:

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ أقم الصلاة فعل أمر، وفاعل مستتر تقديره: أنت، ومفعول به، ولدلوك في هذه اللام وجهان: أحدهما: أن تكون بمعنى بعد، أي: بعد دلوك الشمس، كقولهم: كتبت كتابي لثلاث خلون، وستأتي معاني اللام في باب: الفوائد. والثاني: أن تكون على بابها، أي: لأجل دلوكها، وقد انتفى اتحاد الوقت واتحاد الفاعل في «أقم الصلاة لدلوك الشمس»، ففاعل القيام المخاطب وفاعل الدلوك هو الشمس، وزمنهما مختلف، فزمن الإقامة متأخر عن زمن الدلوك، فلذلك جر بلام

التعليل، وقيل: هي لابتداء الغاية، وأن في الكلام حذف مضاف، والجار والمجرور متعلقان بأقم على كل حال. وإلى غسق الليل فيه وجهان: أحدهما: أن تعلقه بأقم أيضاً لانتهاء غاية إقامة الصلاة، والثاني: أنه متعلق بمحذوف حال من الصلاة، أي: أقمها ممتدة إلى غسق الليل. ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ الواو عاطفة، وقرآن عطف على الصلاة، أو نصب على الإغراء، فالأول معناه: وأقم صلاة الصبح، عبرّ عن الصلاة بالقراءة، وهي أحد أركانها، والثاني: معناه وعليك قرآن الفجر، أي: الزمه. والأول أقل تكلفاً. كما أنه لم يسمع إضمار أسماء الأفعال، وهي عاملة، وجملة إن قرآن... الخ تعليل للأمر، وإن واسمها، وجملة كان مشهوداً خبرها، ومشهوداً خبر كان، واسمها مستتر تقديره: هو ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ الواو عاطفة، ومن الليل متعلقان بتهجد، أي: تهجد بالقرآن بعض الليل، ولك أن تعلقهما بمحذوف، أي: قم قومة من الليل، وقال الحوفي: من متعلقة بفعل دل عليه معنى الكلام تقديره: واسهر من الليل بالقرآن، والفاء عاطفة، وتهجد فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، وبه متعلقان بتهجد، ونافلة حال، ولك صفة لنافلة، أي: صل حال كون الصلاة نافلة لك، ويجوز أن تكون نافلة مصدراً كالعافية والعاقبة، فتكون مفعولاً مطلقاً، والمعنى: فتنفل نافلة، ولا أدري كيف أعربها بعضهم مفعولاً لتهجد، وهو فعل لازم، إلا أن يقال: إنه ضمنه معنى أعبد، وما أغنانا عن ذلك ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ عسى من أفعال الرجاء، والرجاء من الله قطعي الوقوع، واسم عسى مستتر، وأن يبعثك خبرها وربك فاعل يبعثك، أو المسألة من باب التنازع، ومقاماً نصب على الظرف، أي: يبعثك في مقام، أو مفعول مطلق لأن يبعثك هنا معناها: يقيمك، أو حال، أي: يبعثك ذا مقام، ومحموداً صفة مقاماً ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ رب منادى محذوف منه حرف النداء، وأدخلني فعل دعاء، وفاعل مستتر، والياء مفعول به، ومدخل صدق مفعول مطلق؛ لأنه مصدر ميمي، وإضافته لصدق من إضافة الموصوف إلى صفته، أو للبيان، أو أخرجني مخرج صدق عطف على

الجملة المماثلة ﴿ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴾ واجعل عطف على أدخلني وأخرجني، ولي مفعول ثان لاجعل، وسلطاناً مفعول أول لاجعل، ونصيراً صفة، ومن لدنك حال لأنه كان صفة لسلطاناً، أو متعلق بما تعلق به الأول ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ أي: قل عند دخولك مكة فاتحاً، وجملة جاء الحق مقول القول، وزهق الباطل عطف عليه ﴿ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ إن واسمها، وجملة كان خبرها، وزهوقاً خبر كان.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ فن التذييل، وهو أن يذيل الناظم والناثر كلامه بعد تمامه، وحسن السكوت عليه بجملة تحقق ما قبلها من الكلام، وتزيده توكيداً، وتجري منه مجرى المثل لزيادة التحقيق، والفرق بينه وبين التكميل أن التكميل يرد على معنى يحتاج إلى الكمال، والتذييل لم يفد غير تحقيق الكلام الأول وتوكيده، وهذه الآية من أعظم الشواهد عليه، فالجملة الأخيرة هي التذييل الذي خرج مخرج المثل السائر، ومن شواهده في النظم قول النابغة الذبياني:

ولستَ بِمُسْتَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّهُ على شَعَثٍ أيُّ الرِّجال المُهَذَّبُ؟

أي: المنفي الفعال المرضي الخصال، فصدر البيت دل بمفهومه على نفي الكامل من الرجال، وعجزه تأكيد لذلك، وتقرير لأن الاستفهام فيه للإنكار، أي: لا مهذب في الرجال، وقد اتفق علماء البديع على أن قوله: أي الرجال المهذب، من أحسن تذييل وقع في شعر؛ لأنه خرج مخرج المثل، ومن ثم قالوا: إن النابغة كان أشعر الناس بربع بيت.

* الفوائد:

(١) تحققت البشارة، وأتى أمر الله، ودخل محمد مكة فاتحاً، كما هو معروف في تاريخ السيرة، وقال جبريل لمحمد ﷺ عندما نزل بهذه الآية يوم الفتح: خذ مخصرتك، ثم ألقها فجعل يأتي صنماً صنماً، وهو ينكث

بالمخصرة في عينه، ويقول: ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ فينكب الصنم لوجهه، حتى ألقاها جميعاً، وبقي منها صنم خزاعة فوق الكعبة، وكان من قوارير صفر فقال: «يا علي! ارم به» فصعد فرمى به فكسره إلى آخر هذه القصة الفريدة.

(٢) معاني اللام الجارة:

أورد ابن هشام في «مغني اللبيب» أن لّلام الجارة اثنين وعشرين معنى، واكتفى غيره بذكر اثني عشر معنى فقط، وأنكر أن يكون لها هذه المعاني الأخرى، وفيمايلي تلخيص مفيد لذلك:

١ ـ الملك، نحو: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾.

٢ ـ شبه الملك. وجعل ابن هشام هذا القسم قسمين، وهما: الاختصاص نحو: السرج للدابة، والاستحقاق وهي الواقعة بين معنى وذات نحو: العزة لله، والأمر لله.

٣ ـ التعدية إلى المفعول به، نحو: ﴿ فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ ورجح ابن هشام وغيره أن يمثل لها بنحو: ما أضرب زيداً لعمرو؛ لأن ضرب متعد في الأصل، ولكنه لما بني منه فعل التعجب نقل إلى فعل بضم العين، فصار لازماً فعدي بالهمزة إلى زيد وباللام إلى عمرو.

٤ ـ التعليل كقول أبي صخر الهذلي:

وإنِّي لَتَعْرُوني لِذكراكِ هِزَّةٌ　　كما انتفضَ العصفورُ بَلَّلَهُ القَطْرُ

أي: لأجل ذكري إياك.

٥ ـ التوكيد، وهي الزائدة، وهي أنواع منها:

أ ـ اللام المعترضة بين الفعل المتعدي ومفعوله، كقول ابن ميَّادة الرماح يمدح عبد الملك بن مروان:

ومَلَكْتَ ما بين العراقِ ويَثْرِب　　مُلْكاً أجارَ لِمُسْلِمٍ ومُعاهَدِ

أي: أجار مسلماً ومعاهداً.

ب ـ ومنها اللام المقحمة بين المتضايفين، كقول زهير بن أبي سلمى:

سئمتُ تكاليفَ الحياةِ ومَن يَعِشْ
ثمانينَ حولاً لا أبالَكَ يَسْأَمِ

والأصل: لا أباك موجود، وهو تعبير المدح والذم، وانجرار ما بعدها بالإضافة.

ج ـ ومنها لام المستغاث، فإنها زائدة عند المحققين بدليل صحة إسقاطها.

٦ ـ تقوية العامل الذي ضعف إما بكونه فرعاً في العمل كالمصدر واسمي الفاعل والمفعول وأمثلة المبالغة، نحو: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ ونحو: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ وإما بتأخره عن المعمول نحو ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ والأصل إن كنتم تعبرون الرؤيا، فلما أخر الفعل، وقدم معموله عليه، ضعف عمله، فقوي باللام، وجعلها ابن هشام في «المغني» زائدة، والأصح أنها ليست كذلك.

٧ ـ موافقة «إلى» أي: لانتهاء الغاية، نحو: ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: إلى أجل مسمى.

٨ ـ القسم، وتختص بالجلالة؛ لأنها خلف عن التاء، نحو: لله لا يؤخر الأجل.

٩ ـ التعجب، نحو: لله درك أي: ما أكثر درك، وأكثر ما تستعمل في النداء كقول امرىء القيس:

فما لكَ من ليلٍ كأنَّ نُجُومَهُ بكلِّ مُغارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ

١٠ ـ الصيرورة أو العاقبة أو المآل، نحو: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ وقول أبي العتاهية:

لِدُوا للموتِ وابنُوا للخرابِ ... ...

فإن الموت ليس علة للولد، والخراب ليس علة البناء، ولكن صار عاقبتهما ومآلهما إلى ذلك، وأنكرها الزمخشري وقال: والتحقيق أنها لام

العلة، وأن التعليل فيها وارد على المجاز دون الحقيقة.

١١ ـ البعدية، نحو: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ وقد تقدم ذكرها، لأن الوقت إنما يدخل ونعلمه بالدلوك، فلا تقام الصلاة إلا بعد الدلوك، وهو ميل الشمس عن الاستواء، ومنه قوله ﷺ: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته» وقول متممّ بن نويرة:

فلمَّا تفرَّقنا كأنِّي ومالكاً لِطُولِ اجتماعٍ لمْ نبتْ ليلةً معا

١٢ ـ الاستعلاء، أي: موافقة على حقيقة، نحو: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ جمع ذقن، أي: عليها، ومجازاً نحو: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ أي: عليها.

١٣ ـ موافقة في، نحو: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا يجليها في وقتها إلا هو.

١٤ ـ موافقة «عند» كقراءة الجحدري: (بل كذبوا بالحق لما جاءهم) بكسر اللام وتخفيف الميم، أي: عند مجيئه إياهم.

١٥ ـ موافقة «مع» كقول متمم بن نويرة الآنف الذكر:

فلما تفرقنا... الخ.

١٦ ـ موافقة «من» نحو: سمعت له صراخاً، وقول جرير:

لنا الفضلُ في الدُّنيا وأنفُكَ راغِمٌ
ونحنُ لكم يومَ القيامةِ أفضلُ

أي: ونحن منكم أفضل.

١٧ ـ التبليغ، نحو: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ﴾ وضابطها أن تجر اسم السامع لقول.

١٨ ـ موافقة «عن» إذا استعملت مع القول نحو: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾.

١٩ ـ التمليك، نحو: وهبت لزيد ديناراً.

٢٠ ـ التعليل، نحو: قول امرىء القيس:

ويَوْمَ عَقَرْتُ للعَذَارى مَطِيَّتي فيا عَجَباً مِن كُورِها المُتَحَمَّلِ

ومنها اللام الداخلة لفظاً على المضارع، نحو: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ وانتصاب الفعل بعدها بأن مضمرة.

٢١ ـ توكيد النفي، وهي الداخلة في اللفظ على الفعل مسبوقاً بما كان أو بلم يكن، نحو: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ ويسميها أكثر النحاة لام الجحود.

٢٢ ـ التبين، وقد تقدم ذكرها، ونعيدها هنا مفصلة فنقول: هي ثلاثة أقسام:

آ ـ ما تبين المفعول من الفاعل، وضابطها أن تقع بعد فعل تعجب، أو اسم تفضيل مفهمين حباً أو بغضاً، تقول: ما أحبني، وما أبغضني، فإن قلت لفلان: أنت فاعل الحب والبغض وهو مفعولهما، وإن قلت: إلى فلان فالأمر بالعكس.

ب وجـ ـ ما يبين فاعلية غير ملتبسة بمفعولية، وما يبين مفعولية غير ملتبسة بفاعلية، ومصحوب كل منهما إما غير معلوم مما قبلها، أو معلوم، لكن استؤنف بيانه تقوية للبيان، وتوكيداً له، واللام في ذلك كله متعلقة بمحذوف. مثال المبينة للمفعولية: سقياً لزيد وجدعاً له، فهذه اللام ليست متعلقة بالمصدرين، ولا بفعليهما المقدرين لأنهما متعديان، ولا هي مقوية للعامل لضعفه بالفرعية، وإنما هي لام مبنية للمدعو له أو عليه.

واختلف في قوله تعالى: ﴿۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ فقيل: اللام زائدة، وما فاعل، وقيل: الفاعل ضمير مستتر راجع إلى البعث والإخراج، فاللام للتبيين، والبحث في اللام طويل، ومرجعه للمطولات.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿وَنَـَٔا﴾: النأي بالجانب: أن يوليه عطفه، ويوليه ظهره، وأراد الاستكبار؛ لأن ذلك ديدن المستكبرين، وفي المصباح: ونأى نأياً، من باب: نفع: بَعُد. ويتعدى بنفسه وبالحرف، وهو الأكثر، فيقال: نأيته، ونأيت عنه، ويتعدى بالهمزة فيقال: أنأيته.

﴿شَاكِلَتِهِۦ﴾: مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة، من قولهم: طريق ذو شواكل، وهي الطريق التي تتشعب منه، والمعنى كل إنسان يعلم حسب جوهر نفسه، فإن كانت نفسه شريفة طاهرة صدرت عنه أفعال جميلة، وإن كانت نفسه كدرة خبيثة صدرت عنه أفعال خبيثة فاسدة.

○ **الإعراب:**

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ الواو عاطفة، وننزل فعل مضارع، وفاعل مستتر تقديره: نحن، ومن القرآن حال على أن من للتبيين، ويجوز أن تكون لابتداء الغاية، أو تبعيضية، فهي متعلقة بننزل، كما اختار أبو حيان، وما مفعول به، وهو مبتدأ، وشفاء خبر، والجملة صلة الموصول، ورحمة عطف على شفاء، وللمؤمنين متعلقان بشفاء ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ الواو حالية، ولا نافية، ويزيد الظالمين فعل وفاعل مستتر ومفعول به، وإلا أداة حصر، وخساراً مفعول به ثان ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ الواو حرف عطف، وإذا ظرف مستقبل، وجملة أنعمنا مضافة للظرف، وهو فعل وفاعل، وعلى الإنسان متعلقان به، وجملة أعرض لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، ونأى عطف على أعرض، وبجانبه متعلقان بنأى ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾ عطف على ما تقدم، وجملة مسه الشر مضافة للظرف، وجملة كان لا محل لها، واسم كان مستتر تقديره: هو، ويئوساً خبر كان ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ كل مبتدأ، أي: كل أحد، وجملة يعمل

خبر، وعلى شاكلته متعلقان بيعمل ﴿ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾ الفاء استئنافية، وربكم مبتدأ، وأعلم خبره، وبمن متعلقان بأعلم، وهو مبتدأ، وأهدى خبر، والجملة صلة، وسبيلاً تمييز.

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ ﴾ الواو استئنافية، ويسألونك فعل مضارع وفاعل ومفعول به، وعن الروح متعلقان بيسألونك، والضمير يعود على اليهود المتعنتين الذين سألوه تجنياً منهم عن أصحاب الكهف، وعن ذي القرنين وعن الروح، فبين لهم القصتين، وأبهم أمر الروح، وهو مبهم في التوراة ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الروح مبتدأ، ومن أمر ربي خبر، أي: أنه مما استأثر الله بعلمه، والواو عاطفة، أو حالية، وما نافية، وأوتيتم فعل ماض مبني للمجهول، ومن العلم متعلقان بأوتيتم، وإلا أداة حصر، وقليلاً مفعول به ثان لأوتيتم، أي: شيئاً قليلاً بالنسبة إلى علمه تعالى، وإن كان كثيراً في حد ذاته ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ الواو عاطفة، واللام موطئة للقسم، وإن شرطية، وشئنا فعل ماض وفاعل في محل جزم فعل الشرط، واللام جواب القسم، وجواب الشرط محذوف، أي: ذهبنا به على القاعدة في اجتماع الشرط، والقسم من حذف جواب المتأخر استغناء عنه بجواب المتقدم، وبالذي متعلقان بنذهبن، وجملة أوحينا صلة، وإليك متعلقان بأوحينا ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ ثم حرف عطف، ولا نافية، وتجد فعل مضارع مرفوع، وفاعله أنت، ولك متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لوكيلاً، وبه متعلقان بتجد، وعلينا متعلقان

بوكيلاً، ووكيلاً مفعول به، أي: لا تجد من يتوكل علينا باسترداده بعد رفعه.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ يجوز في هذا الاستثناء أن يكون متصلاً؛ لأن الروح يندرج في قوله وكيلاً، أي: إلا رحمة فيكون مستثنى، أو بدلاً من وكيلاً، ويجوز أن يكون منقطعاً. وإلا بمعنى لكن، فتعرب رحمة مفعولاً من أجله، والتقدير: حفظناه عليك للرحمة، أو مفعولاً مطلقاً، والتقدير: لكن رحمناك رحمة، ومن ربك صفة لرحمة، وإن واسمها، وجملة كان خبرها، وعليك حال لأنه كان صفة لكبيراً، وكبيراً خبر كان.

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾

○ الإعراب:

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ لئن اللام موطئة للقسم، وإن شرطية، واجتمعت فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والإنس فاعل، والجن عطف على الإنس، وعلى أن يأتوا: أن وما في حيزها في محل جر بعلى، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: متظاهرين ومتعاونين، وبمثل متعلقان بيأتوا، وهذا مضاف لمثل، والقرآن بدل ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ لا يأتون: لا نافية، ويأتون فعل مضارع مرفوع لأنه جواب القسم المحذوف لتقدمة لا جواب الشرط، والواو فاعل، وبمثله متعلقان بيأتون، ولو: الواو حالية، ولو وصلية، وكان فعل ماض ناقص، وبعضهم اسم كان، ولبعض متعلقان بظهيراً، وظهيراً خبر كان، وجملة لو كان. . . الخ حالية، ولهذا التركيب قاعدة نوردها في باب الفوائد ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ الواو عاطفة، واللام موطئة للقسم، وقد حرف تحقيق، وصرفنا فعل وفاعل، وفي هذا متعلقان

بصرفنا، والقرآن بدل، ومن كل مثل صفة للمفعول به المحذوف، أي: من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾ فأبى عطف على صرفنا، وأكثر الناس فاعل، وإلا أداة حصر؛ لأن أبى متأول بالنفي، كأنه قيل: فلم يرضوا إلا كفوراً، وكفوراً مفعول به.

* الفوائـد:

إذا أتى حرف العطف قبل لو الوصلية كان عاطفاً على مقدر، ويكون حذف المعطوف عليه مطرداً لدلالة المعطوف دلالة واضحة عليه، ففي قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ فالعطف هنا على مقدر، أي: لا يأتون بمثله لو لم يكن بعضهم ظهيراً لبعض، ولو كان بعضهم ظهيراً لبعض، فإن الإتيان بمثله حيث انتفى عند التظاهر، فلأن ينتفي عند عدمه أولى، وعلى هذه النكتة يدور ما في إن ولو الوصليتين من التأكيد، ومحله النصب على الحال حسبما عطف عليه، أي: لا يأتون بمثله على كل حال مفروض، ولو في هذه الحال المنافية لعدم الإتيان به فضلاً عن غيرها.

﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٣﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿يَنۢبُوعًا﴾: اليَنبوع ـ بفتح الياء ـ: عين غزيرة لا ينضب ماؤها، وهو يفعول من نبع الماء، كيعبوب من عب الماء؛ إذا زخر، وكثرت أمواجه، وللنون مع الباء فاء وعيناً للكلمة سرّ عجيب مطرد، وهو أنها تدل على الظهور

والبروز، وقد أحصيناها في جميع تراكيبها، فرأيناها لا تنفك عن أداء هذا المعنى: فنبأ معناها: ارتفع، والنبأ: الخبر والنبوءة، والنبوة: الإخبار عن الغيب أو المستقبل، والنابىء: المكان المرتفع المحدودب، وسيل نابىء: طارىء من حيث لا يدرى، وكل شيء يظهر، قال:

أَلاَ فاسْقيانِي وانْفِيا عنكُما القَذَى
وليسَ القَذَى بالعُودِ يسقطُ في الخمرِ
ولكِنْ قَذَاها كلُّ أَشْعَثَ نابِىء
أَتَتْنا به الأقدارُ من حَيْثُ لا ندري

ونبّ التبس نبأً: صاح عند الهياج، وليس أظهر من ذلك، ورمح مطرد الأنابيب، وشرب من أنبوب الكوز، وله أنبوب من نخل وغيره، قال:

أوْمِن مُشَعشِعةٍ وَرْهاء نشوتُها
أو من أنابيبِ رُمَّانٍ وتُفَّاحِ

ونبت المكان: صار ذا نبت ظاهر، وظهر النبت والنبات في الأرض، والنابتة مؤنث النابت، والناشئة من الأولاد والأنعام، ونبث التراب من الحفرة: استخرجه، ونبثوا عن الأمر: بحثوا عنه، ولا يزالون يتنابثون عن الأسرار، ويتباحثون عن الأخبار، والأُنبوثة بضم الهمزة: لعبة للصبيان يدفنون شيئاً في حفيرة فمن استخرجه غلب، وإنه لنفّاج نبّاج ليس معه إلا الكلام، ونبحته الكلاب معروفة، واستنبح الضيف الكلاب عند ظهوره، قال الأخطل وهو أهجى بيت:

قومٌ إذا استنبحَ الأضيافَ كلبُهم
قالُوا لأمِّهم: بُولي على النّار

ونبذ الشيء من يده: طرحه ورمى به، وصبي منبوذ، والتقط فلان منبوذاً، ونبذ أمري وراء ظهره، ونبذ النبيذ وهو: أن يلقي الثمر في الجرّ وغيره، والنبيذ: التمر المنبوذ، والخمر المعتصر من العنب، وغيره، وجمعه أنبذة، والنبّاذ: بائع النبيذ، ونبر الغلام: ترعرع، ونبر المغنّي: رفع صوته

بعد خفض، ونبر الحرف: همزه، والمنبر: محل مرتفع يرتقيه الخطيب، أو الواعظ يكلم منه الجمع؛ سمي بذلك لارتفاعه، وكسرت الميم على التشبيه بالآلة، والجمع منابر، والنبز: اللقب، ونبزه بكذا: لقبه ليعرف به، وهو شائع في الألقاب القبيحة، ونبس بالمجلس ونبّس: تكلم، وأكثر استعماله بعد النفي يقال: ما نبس بكلمة، وتقول: كلّمته فعبس وما نبس، ونبش الشيء المستور: أبرزه وأظهره، ونبش الكنز من الأرض: كشفه واستخرجه، وهو ينبش الأسرار، قال:

مَهْلاً بني عمّنا مَهْلاً مَوَالِينا
لا تَنْبُشُوا بَيْنَنا ما كان مَدْفُونا

وهو ينبش لعياله ويحترش: إذا استخرج رزقهم من هنا وهنا، واحتال، وانتبش العروق من الأرض: استخرجها، قال الكميت:

مَوْتُهُنَّ انتِباشُهُنَّ من الأرْ ضِ ويحيينَ ما سكَنَّ القُبورا

أي: ما دامت العروق تحت الأرض كانت حية فإذا انتبشت ماتت، والنبّاش فعال للمبالغة: الذي ينبش القبور، ونبص الغلام بالطائر والكلب، وهو: أن يضمّ شفتيه ويدعوه، ونبض عرقه نبضاً ونبضاناً، وتقول: رأيت وَمْضة برق كنبضة عرق، ونبط الماء: نبع، واستنبط البئر: أخرج ماءها، واستنبط العرب: صاروا نبطاً. قال خالد بن الوليد لعبد المسيح بن بُقَيْلة: أعرب أنتم أم نبيط؟ فقال: عرب استنبطنا ونبيط استعربنا، وقال أبو العلاء المعري:

أينَ امرؤ القيسِ والعَذَراى إذ مالَ من تحتِه الغَبِيطُ
اسْتَنْبَطَ العُرْبُ في المَوامي بعدَكَ واسْتَعْرَبَ النَّبِيطُ

وتقدم القول في النبع والينبوع. ونبغ الشيء: خرج وظهر، ونبغ الرجل: قال الشعر وأجاده، ويقال: إن النابغة قال الشعر على كبر سنه فأجاد، فسمي النابغة، وقيل بل لقوله:

وحَلَّتْ في بني القَيْن بن جَسْرٍ
فقد نَبَغَتْ لنا منهم شُؤونُ

وهو نابغة من النوابغ، ونبغ في العِلم وفي كل صناعة. ونبق الشيء ينبقُ: ظهر، والنّبْق والنَّبِق والنِّبْق والنَّبق: حمل شجر السدر، والواحدة نَبِقة. وعن بعض العرب: إن النبق ليعجبني، وإن النّبق لي لمؤذ، وفي الحديث: «ونبقها كقلال هجر»، ووقعنا في نَبَك من الأرض ونباك، جمع نبكة، وهي: الأكمة المحددة الرأس، ونبك المكان: ارتفع، وهضاب نوابك، قال ذو الرمة:

طواهُنَّ تَغْويري إذا الآلُ أرفلَتْ
به الشَّمسُ أُزرَ الحزْوراتِ النَّوابك

ونبُل الرجل: كان ذا نبالة وفضل ظاهرتين، ورجل نابل ونبّال: معه نَبْل، قال امرؤ القيس:

أيقتلُنِي والمَشْرَفيُّ مُضاجِعي ومَسْنُونةٌ زُرْقٌ كأنياب أَغْوالِ
وليس بذي رُمْحٍ فيطَعنني بهِ وليس بذي سَيْفٍ وليس بِنَبَّالِ

ورجل تنبال: قصير، ونبه ينتبه للأمر: فطن له، وكان ذا نباهة وشرف، ونبا السيف عن الضريبة نُبُوّاً ونَبْوة، وسيف ناب، ولكل صارم نبوة، قال:

أنا السيفُ إلاَّ أنَّ للسيفِ نَبْوَةً ومثلي لا تَنْبُو عليك مَضَارِبُهْ

وقد رمق سماء هذا المعنى حافظ إبراهيم فقال:

لا تلمْ كفي إذا السيفُ نبا صحَّ مني العزمُ والدَّهْرُ أبى

﴿ كِسَفًا﴾: قطعاً، يقال: كسفت الثوب: قطعته، وقال الزجاج: كسف الشيء بمعنى غطاه، قيل: ولا يعرف هذا لغيره. وفي الأساس: وهذه كِسفة وكِسْف وكِسَفٌ من السحب، وأعطني كسفة من الثوب: قطعة.

﴿ قَبِيلًا ﴾: كفيلاً بما تقول، شاهداً بصحته، وقيل: مقابلة وعياناً، وقيل: هو جمع قبيلة، أي: بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة، يشهدون بصحة ما تقول، واللغة تحتمل الجميع.

﴿ زُخْرُفٍ﴾ ذهب، وهو المراد هنا، ولها معان شتى، منها: حسن الشيء، وزخرف الكلام: أباطيله المموهة، وزخرف الأرض: ألوان نباتها، والجمع زخارف، وزخرف الشيء: حسنه وزينه، والكلام: موّهه بالكذب.

○ الإعـراب:

﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ الواو عاطفة، وقالوا فعل وفاعل، ولن حرف نفي ونصب واستقبال، ونؤمن نصب بها، وفاعل نؤمن مستتر تقديره: نحن، ولك متعلقان بنؤمن، وحتى حرف غاية وجر، وتفجر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، ولنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، ومن الأرض متعلقان بتفجر، وينبوعاً مفعول به ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا﴾ أو حرف عطف، وتكون عطف على تفجر، وهو المطلب الثاني من مطالبهم الستة. ولك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر تكون المقدم، وجنة اسمها المؤخر، فتفجر: الفاء عطف، وتفجر عطف على تكون، وفاعله ضمير مستتر تقديره: أنت، والأنهار مفعول به، وخلالها ظرف متعلق بمحذوف حال، أي: كائنة خلالها، وتفجيراً مفعول مطلق ﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ أو حرف عطف، وتسقط عطف على ما تقدم، وهو المطلب الثالث، والسماء مفعول به، والكاف حرف جر، أو اسم بمعنى مثل، وهي مع ما المصدرية المؤولة بمصدر نعت لمصدر محذوف، أو نصب على الحال، وعلينا متعلقان بتسقط، وكسفاً حال من السماء، والإشارة إلى قوله تعالى: ﴿ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ﴿ أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ هذا هو المطلب الرابع من مطالبهم المتعنتة، وبالله متعلقان بتأتي، والملائكة عطف على الله، وقبيلاً حال من الله والملائكة، وقد تقدم معناها في باب: اللغة ﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ وهذان هما المطلبان الخامس والسادس. ولك خبر يكون المقدم، وبيت اسم يكون المؤخر، ومن زخرف متعلقان بمحذوف صفة لبيت، أو حرف عطف، وترقى عطف على

ما تقدم، وبه تكتمل المطالب الستة المتعنتة، وفي السماء جار ومجرور متعلقان بترقى، ومعنى الرقي: الصعود في السماء ﴿ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ﴾ الواو عاطفة، ولن حرف نفي ونصب واستقبال، ونؤمن منصوب بها، وفاعله ضمير مستتر تقديره: نحن، ولرقيك متعلقان بنؤمن، وحتى حرف غاية وجر، وتنزل فعل مضارع منصوب بأن مضمرة، وفاعله ضمير مستتر تقديره: أنت، وعلينا متعلقان بتنزل، وكتاباً مفعول به، وجملة نقرؤه نعت لكتاباً، أو حال مقدرة من نافي علينا ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ قل فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، أي: قل في الرد على العناد واللجاج، وسبحان ربي مفعول مطلق، والجملة مقول القول، ومعناها التعجب من هذا اللجاج، وتنزيه الله سبحانه عن أن يشاركه أحد في قدرته، وهل حرف استفهام معناه النفي والإنكار، وكنت فعل ماض ناقص، والتاء اسمها، وإلا أداة حصر، وبشراً خبر كنت، أو حال، ورسولاً نعت، أو خبر كنت.

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ الواو عاطفة، أو استئنافية، وما نافية، ومنع فعل ماض، والناس مفعول به مقدم، وأن وما في حيزها في محل نصب مفعول به ثان لمنع، وإذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بمنع، أي: وما منع الناس الإيمان وقت مجيء الهدى، وجملة جاءهم الهدى مضاف إليها الظرف ﴿ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ إلا أداة حصر، وأن وما في حيزها

في محل رفع فاعل منع، والهمزة للاستفهام الإنكاري، وما أنكروه هو المنكر، وبعث الله فعل وفاعل، وبشراً حال من رسولاً؛ لأنه كان نعتاً له، وتقدم عليه كما هي القاعدة، ورسولاً مفعول به ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾ قل فعل أمر، ولو شرطية، وكان فعل ماض ناقص، وفي الأرض متعلقان بمحذوف خبر كان المقدم، وملائكة اسمها المؤخر، وجملة يمشون صفة لملائكة، ومطمئنين حال، ويجوز في كان التمام، وملائكة هي الفاعل ﴿ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ اللام واقعة في جواب لو، ونزّلنا فعل وفاعل، وعليهم متعلقان بنزلنا، ومن السماء متعلقان بنزلنا أيضاً، وملكاً حال من رسولاً، ورسولاً مفعول نزلنا ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ كفى فعل ماض، والباء حرف جر زائد، والله مجرور بالباء لفظاً، وهو فاعل كفى محلاً، وشهيداً تمييز، وبيني الظرف متعلق بشهيداً، وبينكم عطف على الظرف الأول ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ إن واسمها، وجملة كان خبرها، وخبيراً بصيراً خبران لكان.

﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ الواو استئنافية، ومن اسم شرط جازم في محل

نصب مفعول مقدم ليهد، ويهد فعل الشرط، والله فاعل، فهو: الفاء رابطة لجواب الشرط لأنه جملة اسمية، وهو مبتدأ، والمهتدي خبره، وتحذف الياء في رسم المصحف، وجملة هو المهتدي في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر من على الأصح ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِۦ﴾ الواو عاطفة، والجملة معطوفة على سابقتها، ولم متعلقان بأولياء، ومن دونه حال ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ ونحشرهم: الواو استئنافية، ونحشرهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به، ويوم القيامة متعلق بنحشرهم، وعلى وجوههم حال من الهاء في نحشرهم، وعمياً وما عطف عليه أحوال أيضاً ﴿مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ مأواهم جهنم جملة مستأنفة مؤلفة من مبتدأ وخبر، وكلما ظرف متضمن معنى الشرط، وقد تقدم، وهو متعلق بالجواب، وهو زدناهم، وسعيراً مفعول به ثان، وجملة كلما خبت حال من جهنم ﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ ذلك اسم إشارة مبتدأ، وجزاؤهم خبره، وبأنهم أن وما في حيزها في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بجزاؤهم، ويجوز أن يكون جزاؤهم بدلاً من ذلك، وبأنهم هو الخبر، وجملة كفروا خبر أن، وبآياتنا متعلقان بكفروا ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، وإذا ظرف مستقبل، وكنا عظاماً كان واسمها، وخبرها، ورفاتاً عطف على عظاماً، والهمزة للاستفهام الإنكاري أيضاً، وإن واسمها، واللام المزحلقة، ومبعوثون خبر إنا، وخلقاً حال، وجديداً نعت، ولك أن تجعل خلقاً مفعولاً مطلقاً من معنى الفعل، أي: نبعث بعثاً جديداً ﴿۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري للرد على إنكارهم، والواو عاطفة على محذوف، وقد تقدم تحقيقه كثيراً، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يروا، والذي صفة لله، وجملة خلق السموات والأرض صلة، وقادر خبر أن، وعلى أن متعلقان بقادر، ومثلهم صفة للمفعول المحذوف، أي: خلقاً مثلهم، وتقرير ذلك أن مثل الشيء مساوياً له في حاله، فجاز أن يعبر به عن الشيء نفسه ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ

فِيهِ﴾ الواو عاطفة، وجعل معطوف على أو لم يروا؛ لأنه في تقدير: قد رأوا، والمعنى: قد علموا بالدلائل العقلية أن من قدر على خلق السموات والأرض هو قادر على خلق أمثالهم وجعل أجل لهم، ولهم متعلقان بمحذوف مفعول جعل الثاني، وأجلاً مفعول جعل الأول، ولا ريب فيه الجملة صفة لأجلاً، ولا نافية للجنس، وريب اسمها المبني على الفتح، وفيه خبرها ﴿فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ تقدم تقريره قريباً، فجدّد به عهداً ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ﴾ لو شرطية، وحقها أن تدخل على الأفعال دون الأسماء، فلا بد من تقدير فعل يفسره ما بعده، أي: لو تملكون، فلما أضمر على شريطة التفسير انفصل الضمير، فأنتم تأكيد للفاعل المستتر في الفعل المحذوف الذي يفسره ما بعده، وسيأتي بحث ذلك مفصلاً في باب: الفوائد. وغلط من أعرب أنتم فاعلاً؛ لأن ضمير المخاطب لا يجوز إظهاره، وجملة تملكون مفسرة لا محل لها، وخزائن رحمة ربي مفعول به.

﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ إذاً حرف جواب وجزاء مهمل، ولأمسكتم: اللام واقعة في جواب لو، والجملة لا محل لها، وخشية الإنفاق مفعول لأجله، والواو حالية، وكان الإنسان قتوراً: كان واسمها وخبرها، والجملة نصب على الحال، وسيرد تقرير هذا المعنى في باب الفوائد.

* الفوائـد:

(١) «لو» والاسم بعدها:

تقدم القول في غير موضع من هذا الكتاب أن الشرط لا يكون إلا بالأفعال؛ لأنك تعلق وجود غيرها على وجودها، والأسماء ثابتة موجودة لا يصح تعليق وجود شيء على وجودها، ولذلك لا يلي حرف الشرط إلا الفعل، ويقبح أن يتقدم الاسم فيه على الفعل، ولو داخلة في هذا التحديد، إذا وقع بعدها الاسم وبعده الفعل، فالاسم محمول على فعل قبله مضمر يفسره الظاهر، وذلك لاقتضائها الفعل دون الاسم، ومن كلام حاتم: لو ذات

سوار لطمتني». على تقدير: لو لطمتني ذات سوار.

(٢) معنى ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾:

أورد بعض المتعنتين سؤالاً اعترض فيه على قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ وقال على طريق التعنت والجدل اللفظي: كيف يصح هذا السلب الكلي؟ وكيف يكون عموم الجنس الإنساني ممسكاً بخيلاً، ونحن نرى من بني الإنسان الجواد الكريم؟ والجواب في غاية البساطة وهو أن بناء أمر الإنسان في الأصل قائم على الحاجة والبخل بما يحتاج إليه للحفاظ على ما فيه قوام معيشته، وملاك أمره، وكسب الذكر الجميل، والثناء العطر غاية لما يبذله، حتى أن من بينهم ـ كما قال المعترض ـ لا الجواد الكريم فحسب، بل الذي يرى بذل النفس والنفيس على حد قوله:

يجودُ بالنفسِ إن ضنَّ الجوادُ بها
والجودُ بالنفسِ أقصى غاية الجود

(٣) ذهب بعض المتأخرين من النحاة إلى قياس إذاً الظرفية على؛ إذ في إلحاق التنوين بها و«إذاً» إذا حذفت الجملة التي تضاف هي إليها عوض عنها التنوين، كقوله تعالى: ﴿وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم﴾ و﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ﴾ و﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ﴾ و﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ﴾ و﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ قالوا: وليست إذاً في هذه الأمثلة الناصبة للمضارع؛ لأن تلك تختص به، ولذا عملت فيه، ولا يعمل إلا ما يختص، وهذه لا تختص به، بل تدخل على الماضي وعلى الاسم، وممن ذكر هذا الكافجي وأبو حيان في «تذكرته» والزركشي في «البرهان» وما نحسبه بعيداً قالوا: وتقول لمن قال: أنا آتيك: إذاً أكرمك. بالرفع على معنى: إذا أتيتني أكرمتك، فحذف أتيتني، وعوض التنوين من الجملة، فسقطت الألف لالتقاء الساكنين.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ

فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿بَصَآئِرَ﴾ : عبر وبينات، وجمع بصيرة، قال قس بن ساعدة الإيادي:

فـي الـذَّاهبيـن الأوَّليـ ـنَ مـن القُـرونِ لنـا بَصَـائـر

وله فراسة ذات بصيرة، وذات بصائر، وهي الصادقة، ورأيت عليك ذات البصائر، قال الكميت:

ورَأَوْا عليـكَ ومنـكَ في الـ ـمهـدِ النُّهـى ذاتَ البَصـائِـرْ

﴿مَثْبُورًا﴾ هالكاً أو مصروفاً عن الخير، وفي المصباح: وثبر الله الكافر ثبوراً، من باب: قعد، أهلكه، وثبر هو يتعدى ويلزم.

﴿لَفِيفًا﴾ : قيل: هو مصدر لف يلف لفيفاً، نحو: النذير والنكير، من لف الشيء يلفه لفاً، والألف: المتداني الفخذين، أو عظيم البطن، وقيل: هو اسم جمع لا واحد له من لفظه، والمعنى: جئنا بكم جميعاً.

○ **الإعراب:**

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ﴾ الواو استئنافية، واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وآتينا فعل وفاعل، وموسى مفعول به، أول، وتسع آيات مفعول به ثان، وبينات صفة للعدد، فهي منصوبة، أو صفة للمعدود، فهي مجرورة، وقد تقدم ذكر هذه الآيات، وما فيها من خلاف، ونوجزها هنا في رواية ابن عباس، وقال: هي العصا، واليد، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والحجر، والبحر، والطور الذي نتقه على بني إسرائيل. وعن الحسن هي: الطوفان، والسنون، ونقص الثمرات، مكان

الحجر، والبحر، والطور، وقيل غير ذلك مما لا علاقه له بكتابنا هذا ﴿ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ الفاء الفصيحة إذا كان الخطاب لمحمد ﷺ، وقيل: الخطاب لموسى فتكون عاطفة على قول محذوف، أي: فقلنا له: اسأل بني إسرائيل، أي: اسأل فرعون، وبني إسرائيل مفعول ثان، وإذ ظرف لما مضى متعلق بآتينا على الأول، وبالقول المقدر على الثاني، وجملة جاءهم مضافة إليها الظرف، فقال له عطف على مقدر، أي: إذ جاءهم وبلغهم الرسالة، فقال له فرعون: فعل وفاعل، وله متعلقان بقال، وإني: إن واسمها، واللام المزحلقة، وأظنك فعل مضارع، وفاعل مستتر تقديره: أنا، ومفعول به، ويا موسى: يا حرف نداء وموسى منادى مفرد علم، ومسحوراً مفعول به ثان، أي: سحرت، فخولط عقلك، واختل كلامك ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾ قال فعل ماض وفاعله مستتر، أي: موسى، واللام جواب للقسم المحذوف، وعلمت فعل وفاعل، وما نافية، وأنزل فعل ماض، وهؤلاء مفعول به، أي: الآيات التي جئت بها، وإلا أداة حصر، ورب السموات والأرض فاعل، وبصائر حال، أي: أنزلها بصائر، وإنما احتجنا إلى هذا التقدير؛ لأن ما بعد إلا لا يكون معمولاً لما قبلها، وأجازه بعضهم فهي حال من هؤلاء. ﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ الواو عاطفة، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وجملة أظنك خبر إن، ويا فرعون نداء، ومثبوراً مفعول ثان لأظنك ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ الفاء عاطفة، وأراد فعل وفاعل مستتر، أي: فرعون، وأن وما في حيزها مصدر مؤول مفعول أراد، ومن الأرض متعلقان بيستفزهم ﴿ فَأَغْرَقْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴾ الفاء عاطفة، وأغرقناه فعل وفاعل ومفعول به، ومن الواو واو المعية، ومن مفعول معه، ويجوز عطفه على الهاء، وسيأتي تفصيل ذلك في باب الفوائد: ومعه ظرف مكان صلة من، وجميعاً حال ﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ وقلنا عطف على ما تقدم، ومن بعده حال، ولبني إسرائيل متعلقان بقلنا ﴿ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ جملة اسكنوا مقول القول، والأرض مفعول به على

السعة، وقد تقدم تفصيل ذلك، فإذا: الفاء عاطفة، وإذا ظرف مستقبل، وجاء وعد الآخرة فعل وفاعل، وجملة جئنا لا محل لها، وبكم متعلقان بجئنا، ولفيفاً حال.

* الفوائـد:

* حالات المفعول معه:

للمفعول معه خمس حالات:

١ ـ وجوب العطف نحو: كل رجل وعمله، ونحو: اشترك زيد وعمرو؛ لأن الاشتراك لا يتأتى إلا من اثنين.

٢ ـ ترجيح العطف نحو: جاء زيد وعمرو؛ لأنه الأصل.

٣ ـ وجوب المفعول معه نحو: مالك وزيداً؛ لامتناع العطف، ونحو: مات زيد وطلوع الشمس؛ لأن العطف يقتضي التشريك، وهو باطل هنا.

٤ ـ ترجيح المفعول معه، نحو قوله:

فكونُوا أنتم وبني أبيكُم مكانَ الكليتين مِنَ الطّحال

ونحو: قمت وزيداً ففي المثال الأول يكون المعنى مع العطف كونوا لهم، وليكونوا لكم، وذلك خلاف المقصود، وفي المثال الثاني لا يحسن العطف على الضمير المتصل المرفوع إلا بعد توكيده بضمير منفصل.

٥ ـ امتناع كليهما نحو:

علفتُها تبناً وماءً بارداً حتى غدتُ همَّالةً عيناها

وقول الآخر:

إذا ما الغانياتُ بَرَزْنَ يوماً وزجَّجْنَ الحواجبَ والعُيونا

أما امتناع العطف فلانتفاء المشاركة؛ لأنَّ الماء لا يشاركه التبن في العلف، والعيون لا تشارك الحواجب في التزجيج؛ لأن تزجيج الحواجب: تدقيقها وتطويلها، يقال: رجل أزج، وامرأة جزاء؛ إذا كانت حاجباهما دقيقين

طويلين، وأما امتناع المفعول معه فلانتفاء المعية في البيت الأول؛ لأن الماء لا يصاحب التبن في العلف، وانتفاء فائدة الإعلام بمصاحبة العيون للحواجب في البيت الثاني، إذ أن المعلوم أن العيون مصاحبة للحواجب فلا فائدة في الإعلام بذلك، ويجب في ذلك إضمار فعل ناصب للاسم الواقع بعد الواو على أنه مفعول به، أي: علفتها تبناً، وسقيتها ماء بارداً، وزججن الحواجب، وكحلن العيون.

﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ مُكْثٍ ﴾: بتثليث الميم، أي: تطاول في المدة، وعلى مهل وتؤدة، ولم ترد قراءة بالكسر.

﴿ لِلْأَذْقَانِ ﴾: جمع ذقن، وهو مجتمع اللحيين، وسيأتي تفصيل واسع في باب: البلاغة.

﴿ تُخَافِتْ ﴾: تسر، يقال: خفت الصوت من بابي: ضرب وجلس؛ إذا سكن، ويعدى بالباء فيقال: خفت الرجل بصوته إذا لم يرفعه، وخافت بقراءته مخافتة؛ إذا لم يرفع صوته بها، وخفت الزرع ونحوه: مات، فهو خافت.

○ الإعـراب:

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ الكلام هنا مرتبط بما تقدم من كلامه تعالى عن القرآن، وقوله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾ الخ على طريق الاستطراد المتبع في أساليب العرب، حيث ينتقلون من الصدد الذي هم فيه إلى غيره، ثم يعودون إليه، وعلى كل فالواو استئنافية، وبالحق متلعقان بأنزلناه، وأنزلناه فعل وفاعل ومفعول به، وبالحق متعلقان بنزل، فالباء سببية فيهما، ولك أن تجعلها للملابسة، فيتعلق الجار والمجرور بمحذوف حال، أي: متلبساً، والحال من المفعول به، أو متلبسين بالحق، فالحال من الفاعل، وسيأتي المزيد من هذا البحث في باب: البلاغة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ الواو عاطفة، وما نافية، وأرسلناك فعل وفاعل ومفعول به، وإلا أداة حصر، ومبشراً حال، ونذيراً معطوف عليه، وسيأتي الحديث عن هذا القصر في باب: البلاغة ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ وقرآناً منصوب على الاشتغال بفعل محذوف يفسره ما بعده، فتكون جملة فرقناه مفسرة، أي: جعلنا نزوله مفرقاً منجماً حسب الحوادث والوقائع ومقتضيات الأحوال، ولتقرأه اللام للتعليل، وتقرأه مضارع منصوب بأن مضمرة، والجار والمجرور متعلقان بفرقناه، وفرقناه فعل وفاعل ومفعول به، وعلى الناس متعلقان بتقرأه، وعلى مكث في موضع الحال من الفاعل، أي: متريثاً متمهلاً، وشيئاً بعد شيء، رعاية لمصالح العباد ومعايشهم، ونزلناه فعل وفاعل ومعفول به، وتنزيلاً مفعول مطلق ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ جملة آمنوا مقول القول، والأمر للاحتقار، أي: سواء علينا إيمانكم أو عدمه، فما أنتم بمن يؤبه لهم، أو لا تؤمنوا، أو حرف عطف، ولا ناهية، وتؤمنوا مجزوم بلا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ إن واسمها، وجملة أوتوا العلم صلة، والعلم مفعول ثان لأوتوا، والأول نائب الفاعل، وهو الواو، ومن قبله حال، والجملة تعليلة للقول على سبيل التسلية له ﷺ، وإذا ظرف مستقبل متعلق بيخرون، وجملة يتلى مضاف إليها الظرف، وعليهم متعلقان

بيتلى، وجلمة يخرون لا محل لها؛ لأنها جواب إذا، وللأذقان متعلقان بيخرون، وسجداً حال ﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ ويقولون عطف على يخرون، وسبحان ربنا مفعول مطلق، وإن مخففة مهملة، واسمها ضمير الشأن، وجملة كان خبرها، ووعد ربنا اسم كان ، واللام الفارقة، ومفعولاً خبرها ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا۩ ﴾ الجملة معطوفة على سابقتها، وسيأتي سر هذا التكرير في باب: البلاغة، وجملة يبكون حالية، والواو للحال، ويزيدهم فعل وفاعل مستتر، والهاء مفعول به أول، وخشوعاً مفعول به ثان، وسيأتي سر هذين الحالين المتتابعين في باب: البلاغة ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾ سمعوا محمداً يدعو مرة في سجوده، ويقول: يا الله يا رحمن، فقال أبو جهل: إن محمداً ينهانا عن آلهتنا، وهو يدعو إلهين اثنين، فنزلت، وجملة ادعوا الله مقول القول، والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء، وهي تنصب مفعولين حذف أحدهما استغناء عنه للعلم به، ولفظ الجلالة مفعول به، وأو للتخيير فهي عاطفة، وادعوا معطوف على ادعوا الأولى، والرحمن مفعول به، أي: سموه بهذا الاسم، أو بذاك ﴿ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ أياً شرطية، وهي منصوبة بتدعوا على أنها مفعول مقدم، وما زائدة للإبهام المؤكد، وتدعوا فعل الشرط، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل، والفاء رابطة للجواب؛ لأنه جملة اسمية، وله خبر مقدم، والأسماء مبتدأ مؤخر، والحسنى صفة، وقيل: ما شرطية، وجمع بين أداتي الشرط للتأكيد، ولاختلاف اللفظين، ولا داعي لهذا، وستأتي الأسماء الحسنى في باب: الفوائد ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتجهر مضارع مجزوم بلا، والفاعل مستتر تقديره: أنت، نهي عن المجاهرة تفادياً لشتائمهم، وهذا من محاسن الأخلاق، ولا تخافت عطف على ولا تجهر، أي: لا تجعلها غير مسموعة لمن خلفك من المصلين، وابتغ فعل أمر بني على حذف حرف العلة، وبين ظرف متعلق بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لسبيلاً، وذلك مضاف للظرف، والإشارة إلى اثنين، وهما: المجاهرة والمخافتة، ولذلك صح دخول بين،

وسبيلاً مفعول ابتغ ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ جملة الحمد لله مقول القول، والحمد مبتدأ، ولله خبر، والذي صفة، وجملة لم يتخذ ولداً صلة، وترتيب الحمد على عدم اتخاذ الولد؛ لأن من كان هذا وصفه فهو القادر ولا شك على إسباغ النعم وإيلائها، أما صاحب الولد فهو مستهدف للتلهي بولده عن غيرهم، والاشتغال بهم عمن سواهم ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ عطف على لم يتخذ، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلم، وله خبرها المقدم، وشريك اسمها المؤخر، وفي الملك متعلقان بشريك، ونفي الشريك أدعى إلى الحمد لعدم وجود المزاحم الذي تتعارض إرادته معه ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ عطف على ما تقدم، ونفي النصير يدل على الاستغناء، وإنما يستغني القوي القادر على زيادة الإنعام، ومن الذل متعلقان بولي أي: ناصر، وكبّره عطف على قل، وهو فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به، وتكبيراً مفعول مطلق للتأكيد.

□ البلاغة:

حفلت خواتم سورة الإسراء بطائفة من فنون البلاغة، نوجزها فيما يلي فأولها:

(١) الذكر أو التصريح:

بقوله تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ فإنه لو ترك الإظهار وعدل عنه إلى الإضمار كما يقتضي السياق، فقال: وبالحق أنزلناه وبه نزل، لم يكن فيه من الفخمية ما فيه الآن، ويسميه بعضهم بالتصريح، ويورد عليه شاهداً قول البحتري:

قد طلبنا فلم نجدْ لكَ في السُّؤ دد والمجـدِ والمكـارمِ مثـلا

والمعنى: قد طلبنا مثلاً فلم نجده، وحذف لأن هذا المدح إنما يتم في المثل، وأما الطلب فكالشيء الذي يذكر ليبنى عليه الغرض المطلوب، وإذا كان ذلك كذلك فقد قال قد طلبنا مثلاً في السؤدد والمجد فلم نجده، ومنه قوله

تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ فلو ترك الإظهار إلى الإضمار فقال: قل هو الله وهو الصمد، لم يكن له الواقع الملائم.

(٢) فن الاستطراد:

الاستطراد: ذكر الحاتمي في «قواعد الشعر»: أنه نقل هذه التسمية عن البحتري الشاعر، وسمّاه ابن المعتز: الخروج من معنى إلى معنى، وعرفه غيره بأنه: أن يكون المتكلم في غرض من الأغراض يوهم أنه مستمر فيه، ثم يخرج منه إلى غيره لمناسبة بينهما، ثم يرجع إلى الأول، ويقطع الكلام، فقد انتقل سبحانه من كلامه عن القرآن، وأن الإنس والجن عاجزون عن الإتيان بمثله في فصاحته وبلاغته، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، انتقل إلى ما في منطوياته من مثل وعبر وبصائر، وانساق الكلام إلى تعنت الكافرين، وتماديهم في اللجاج، وسدورهم في الغي، والمكابرة، وطمس الحقائق، وإنكار الوقائع، ثم أورد شاهداً على ذلك ما لاقاه موسى من مكابرة فرعون وملئه، وضرب مثلاً في المغبة التي نالها فرعون ومن معه، ثم عاد إلى الموضوع الذي شرع فيه، وهو كون القرآن نازلاً بالحق وإليه هادفاً. ومن طريف الاستطراد قول عبد المطلب المشهور:

لنا نفوسٌ لنيل المجدِ عاشقة   فإن تسلَّتْ أسلناها على الأسل
لا ينزل المجدُ إلا في منازلنا   كالنومِ ليس له مأوى سوى المُقَل

فقد استطرد من ذكر المجد إلى النوم. وقد استغله الشعراء للهجاء. قال بعضم يهجو شعر خالد الكاتب:

وشادن بالدَّلال عاتبني   ومنيتي في تدلُّلِ العاتب
فكان ردِّي عليه من خَجَلي   أبردَ من شعرِ خالد الكاتب

فما أجمل هذا الاستطراد! لقد كان يتغزل بالشادن، وليس ثمة أبرد ممن يعاتب الحلو الجميل، ويرد عليه إذا تدلل أو عتب، وأن من يتكلف مثل هذا الرد لن يأتي إلا بالبارد من الكلام الذي يشبه شعر خالد الكاتب. وجميل قول

بعضهم يهجو قاضي القضاة منتقلاً من وصف البستان إلى ما هو بصدده، قال:

لله بستــانٌ حَلَلْنــا دَوْحَــه ... فـي جنَّـةٍ قـد فتحـتْ أبـوابها
والبـان تحسبُـه سنـانيراً رأتْ ... قاضي القضاة فنفشت أذنابها

وأورد الباخرزي في «دمية القصر» للظاهر الحرمي هذه الأبيات يهجو فيها مغنياً اسمه البرقعيدي، وهي:

وليلٍ كوجهِ البَرْقَعيْديِّ ظُلْمَةً ... وبَـردِ أغـانيـه وطُـولِ قُـرونِـهِ
قَطعـتُ دَيـاجيـهِ بِنَـومٍ مُشَـرَّدٍ ... كعقلِ سُليمانَ بنِ فَهْدٍ ودِينِهِ
على أَوْلَـقٍ فيـه التفـاتٌ كـأنَّـهُ ... أبـو جـابـرٍ في خَبْطـهِ وجُنُـونِـهِ
إلى أن بدا ضوءُ الصَّباحِ كأنَّه ... سَنا وجهِ قرواشٍ وضوء جَبينهِ

(٣) القصر وطرقه:

وفي قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ قصر إضافي، والقصر: هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص، وينقسم إلى حقيقي وإضافي، فالحقيقي: ما كان الاختصاص فيه بحسب الواقع والحقيقة، لا بحسب الإضافة إلى شيء آخر، نحو: لا كاتب في المدينة إلا علي، إذا لم يكن فيها غيره من الكتاب، والإضافي: ما كان الاختصاص فيه بحسب الإضافة إلى شيء معين، نحو: ما علي إلا قائم، أي: أن له صفة القيام لا صفة القعود، وكل منهما ينقسم إلى قصر صفة على موصوف، نحو: لا فارس إلا علي وقصر موصوف على صفة، نحو: وما محمد إلا رسول.

والقصر الإضافي ينقسم باعتبار حال المخاطب إلى ثلاثة أقسام: قصر إفراد إذا اعتقد المخاطب الشركة، وقصر قلب إذا اعتقد العكس، وقصر تعيين إذا اعتقد واحداً غير معين.

وللقصر طرق أربع مشهورة وطرق كثيرة غير مشهورة، أما الأربع المشهورة فهي:

أ ـ النفي والاستثناء، وهنا يكون المقصور عليه ما بعد أداة الاستثناء، مثل: لا يفوز إلا المجد، فالفوز مقصور، والمجد مقصور عليه، وهو قصر صفة على موصوف.

ب ـ «إنما» ويكون المقصور عليه مؤخراً وجوباً، وقد تقدم كلام عبد القاهر على إنما، نحو: إنما الحياة تعب، فالحياة مقصورة، والتعب مقصور عليه، وهو قصر موصوف على صفة.

ج ـ العطف بلا أو بل أو لكن، فإن كان العطف بلا كان المقصور عليه مقابلاً لما بعدها، نحو: الأرض متحركة لا ثابتة، وإن كان العطف ببل أو لكن كان المقصور عليه ما بعدهما، نحو: ما الأرض ثابتة بل متحركة، وما الأرض ثابتة لكن متحركة.

هـ ـ تقديم ما حقه التأخير، وهنا يكون المقصور عليه هو المقدم، نحو: على الرجال العاملين نثني.

وهناك طرق أخرى للقصر غير هذه الأربع، منها: ضمير الفصل، نحو: علي هو الشجاع، ومنها: التصريح بلفظ «وحده» الحالية، أو ليس غير، نحو: أكرمت علياً وحده، ولكنها لا تعدّ من طرقه الاصطلاحية.

(٤) التكرير المعنوي:

وقد تقدم بحث التكرير في اللفظ، وهذا التكرير الذي نحن بصدده يتعلق بالمعنى، فقد كرر الخرور للذقن، وهو السقوط على الوجه لاختلاف الحالين، فالأول خرورهم في حال كونهم ساجدين، والثاني خرورهم في حال كونهم باكين، أو الأول في حالة سماع القرآن، أو قراءته، والثاني في سائر الحالات. ثم عقب الحالين بحال ثالثة، وهي زيادتهم خشوعاً كلما قرؤوا وكلما سجدوا، فاستوفى بذلك سائر أحوالهم، وهم الكملة الذين أوتوا العلم، ومما لا بد من التنويه أنه أتى بالحال الأولى اسماً، وهي قوله «سجداً» للدلالة على الاستمرار، وأتى بالحال الثانية فعلاً للدلالة على التجدد والحدوث، فكأنما

بكاؤهم يتجدد بتجدد الأحوال الطارئة والعظات المتتالية، وهذا موضع من التكرير مشكل، وتدق معرفته على الأغمار، ومما ورد منه حديث حاطب بن أبي بلتعة في غزوة الفتح، وذاك أن النبي ﷺ أمر علي بن أبي طالب والزبير والمقداد رضي الله عنهم فقال: «اذهبوا إلى روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فائتوني به»، قال علي رضي الله عنه: فخرجنا تتعادى بنا خيلنا، حتى أتينا الروضة، وإذا فيها الظعينة، فأخذنا الكتاب من عقاصها، وأتينا به رسول الله ﷺ، وإذا هو: من حاطب بن بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض شأن رسول الله ﷺ فقال له: «ما هذا يا حاطب»؟ فقال: يا رسول الله! لا تعجل عليّ إني كنت امرءاً مُلصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابة يحمون بها أموالهم وأهليهم بمكة فأحببتُ إذ فاتني ذاك من النسب أن أتخذ عندهم يداً، يحمون قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً، ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «إنه قد صدقكم». فقوله: ما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، من التكرير الحسن، يظنه بعض الجهال تكريراً لا فائدة فيه، فإن الكفر والارتداد عن الدين سواء، وكذلك الرضا بالكفر بعد الإسلام، وليس كذلك، والذي يدل عليه اللفظ هو أني لم أفعل ذلك وأنا كافر، أي: باق على الكفر ولا مرتداً، أي: أني كفرت بعد إسلامي، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، أي: ولا إيثاراً لجانب الكفار على جانب المسلمين، وهذا حسن واقع في مكانه، ولكن هي مقتضيات الأحوال ومتشبعات لا يرود ثناياها إلا الطلعة المتذوق. ومما ورد شعراً من هذا التكرير المعنوي قول المقنع الكندي، ونوردها كاملة لأهميتها:

يُعاتبني في الدَّيْن قومي وإنَّما
دُيُوني في أشياء تكسبُهم حَمْدا

أسدُّ به ما قد أخلّوا وضيّعوا
ثغورَ حقوقٍ ما أطاقوا لها سدّا

وإنَّ الـذي بيني وبين بني أبي
وبين بني عمي لمختلفٌ جدّا
فإن أكلوا لحمي وفرتُ لحومَهم
وإن هَدَمُوا مجدي بنيتُ لهم مَجْدا
وإن ضيَّعوا غيْبي حفظتُ غيوبَهم
وإن هم هووا عني هويتُ لهم رشدا
وإن زجروا طيراً بنحسٍ تمرُّ بي
زجرتُ لهم طيراً تمرُّ بهم سعدا
ولا أحملُ الحقدَ القديمَ عليهم
وليس رئيس القومِ من يحملُ الحقدا
وليسوا إلى نصري سِراعاً وإن هم
دعوني إلى نصرٍ أتيتُهم شدّا
وإنِّي لعبدُ الضَّيف ما دام ثاوياً
وما شيمةٌ لي غيرها تشبهُ العبدا

فإن كل لحم يؤكل للإنسان هو تضييع لغيبه، وليس كل تضييع لغيبه أكلاً للحمه، ألا ترى أن أكل اللحم هو الاغتياب، وأما تضييع الغيب فمنه الاغتياب، ومنه التخلي عن النصرة والإعانة، ومنه إهمال السعي في كل ما يعود بالنفع كائناً ما كان، وهو موضع يرد في الكلام البليغ، ويظن الجاهل أنه لا فائدة فيه.

* الفوائد:

(١) الأسماء الحسنى:

«إن لله عز وجل تسعة وتسعين اسماً مئة إلا واحداً، إنه وتر يحب الوتر، من أحصاها دخل الجنة، وهي: هو الله الذي لا إله إلا هو، الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارىء، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق،

الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، أي: المقتدر، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدىء، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الأحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور».

(٢) الجهر والمخافتة، وبيان السبب في ذلك:

بعد أن وجدت قريش أن دخولها في محاورات مع النبي لن يجديها شيئاً، بعد أن تكررت هزيمتها أمام الحجج الرائعة والمعاجز الإلهية التي كان يبدهها بها، وبعد أن شعرت أنه لا قبل لها بتحدي القرآن وسلطانه المقدس على النفوس، قرّ رأيها على أن تلجأ إلى ضرب آخر من المقاومة السلبية، وذلك أن تمتنع تماماً عن سماع القرآن، روى ابن إسحاق: جعلوا إذا جهر الرسول بالقرآن، وهو يصلي، يتفرقون عنه ويأبون أن يستمعوا له، وكان الرجل منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله بعض ما يتلو من القرآن، وهو يصلي استرق السمع دونهم فرقاً منهم، فإنْ رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع منه ذهب خشية أذاهم، فلم يستمع، وإن خفض رسول الله ﷺ صوته، فظن الذي يستمع أنهم لا يستمعون شيئاً من قراءته وسمع هو شيئاً دونهم، أصاخ له يستمع منه.

وروى ابن عباس: إنما أنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ الخ من أجل هؤلاء النفر.

وإذا كان سادة قريش قد دعوا أهل مكة إلى الانصراف عن سماع القرآن، فما كانت بهم طاقة على تنفيذ هذا الأمر لما يحسون في أنفسهم من رقة، ومن شغف لسماع هذا التنزيل؛ الذي لا عهد لهم به.

وروى ابن إسحاق أيضاً:

أن أبا سفيان وأبا جهل والأخنس خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله، وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً. ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة. ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجلٍ منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد أن لا نعود، فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرقوا.

فلما أصبح الأخنس أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال له:

ـ أخبرني يا أبا حنظلة! عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال:

ـ يا أبا ثعلبة! والله لقد سمعت أشياء أعرفها، وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها، فقال له الأخنس:

ـ وأنا والذي حلفت به كذلك.

ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل، فدخل عليه بيته، وقال له:

ـ يا أبا الحكم! ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال:

ـ ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا

نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه، فقام عنه الأخنس وتركه.

وهكذا كانت قريش في حيرة من أمرها: ترق قلوبها، وتخشع أفئدتها للقرآن لإدراكها أسراره، ونفاذها إلى بيانه، وسبرها غوره، بيد أن نزاع العصبية، وشارات الرياسة، وأوضاع الجاهلية، كل ذلك كان يحجبها عن الإسلام. وسيأتي المزيد من هذا البحث الطريف الجليل.

* * *



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦) إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (٨) ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ عِوَجًا ۜ ﴾: جاء في القاموس وغيره من معاجم اللغة: عوج ـ بكسر الواو ـ يعوج ـ بفتحها ـ عَوَجاً العود ونحوه: انحنى، والإنسان: ساء خلقه، فهو أعوج. والعِوَج ـ بكسر ففتح ـ الاسم من عوج، والالتواء، وعدم الاستقامة. ولم تفرق هذه المعاجم بينهما. وفي الأساس: يقال في العود

عَوَج، وفي الرأي عِوَج. ففرق بينهما، وهذا هو الحق بدليل الآية. فالعوج ـ بكسر ففتح ـ في المعاني كالعَوَج ـ بفتحتين ـ في الأعيان، وقال الشهاب في حاشيته على البيضاوي: يعني أن المكسور يكون فيما لا يدرك بالبصر بل بالبصيرة، والمفتوح فيما يدرك به. وقال في الكشاف: والعوج ـ بكسر ففتح ـ في المعاني كالعوج ـ بفتحتين ـ في الأعيان. وسيأتي المزيد عنه في باب: البلاغة.

﴿ قَيِّمًا ﴾: مستقيماً معتدلاً لا إفراط فيه ولا تفريط، أو قيماً بمصالح العباد، فيكون وصفاً للكتاب بالتكميل بعد وصفه بالكمال، أو قيماً على الكتب السابقة، مصدقاً لها، شاهداً بصحتها. وفي القاموس والتاج واللسان: القيم على الأمر: متوليه، كقيم الوقف وغيره، وقيم المرأة: زوجها، وأمر قيم: مستقيم، والديانة القيمة: المستقيمة، وفي التنزيل: ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ أي: دين الأمة القيمة، ويتعدى بالباء وبعلى.

﴿ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ ﴾: مهلكها وقاتلها، يقال: بخع الرجل نفسه يبخعها، من باب: نفع، بخعاً وبخوعاً: أهلكها وجداً، وسيأتي مزيد بيان لها في باب: البلاغة.

﴿ صَعِيدًا ﴾: ترباً أو فتاتاً يضمحل بالريح، لا اليابس الذي يرسب.

﴿ جُرُزًا ﴾ ـ بضمتين ـ والجرز: الذي لا نبات فيه، فهو حائل البهجة، باطل الزينة. يقال: سنة جرز وسنون أجراز، وجرز الجراد الأرض: أكل ما فيها، والجروز: المرأة الأكول، قال الراجز:

إنَّ العجوزَ حيَّةً جروزا ... تأكلُ كلَّ ليلةٍ قفيزا

وجرزه: الزمان اجتاحه. قال تُبَّع:

لا تَسْقِني بيديكَ إنْ لم أَلْقَها ... جُرُزاً كأنَّ أشاءَها مَجْرُوزُ

وفي أمثال العرب: «لن ترضى شانئة إلا بجرزة» وهو يضرب في العداوة، وأن المبغض لا يرضى إلا باستئصال من يبغضه.

○ الإعـراب:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾ الحمد مبتدأ، ولله متعلقان بمحذوف تقديره: ثابت لله، فهو الخبر، والذي نعت، وجملة أنزل صلة، وعلى عبده متعلقان بأنزل، والكتاب مفعول به، والواو يجوز أن تكون عاطفة، فالجملة معطوفة على أنزل داخلة في حيز الصلة، ويجوز أن تكون اعتراضية، فالجملة معطوفة بين الحال، وهي قيماً وصاحبها، وهو الكتاب، ويجوز أن تكون حالية، فالجملة حال من الكتاب، فتكون قيماً حالاً متداخلة كما سيأتي ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ ﴾ اضطربت أقوال النحاة والمفسرين في إعراب قيماً اضطراباً شديداً، وقد وقع اختيارنا على أن تكون حالاً من الكتاب، وجملة ولم يجعل معترضة، واختار أبو البقاء أن تكون حالاً من الهاء في له، والحال مؤكدة، واختار الزمخشري أن تكون منصوبة بفعل مقدر تقديره: جعله قيماً، وننقل عبارته لأهميتها: فإن قلت: بم انتصب قيماً؟ قلت: الأحسن أن ينتصب بمضمر، ولا يجعل حالاً من الكتاب؛ لأن قوله ولم يجعل معطوف على أنزل، فهو داخل في حيز الصلة، فجاعله حالاً من الكتاب فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة، وتقديره: ولم يجعل له عوجاً جعله قيماً؛ لأنه إذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة. وقد فطن حفص إلى هذا الاضطراب في إعراب قيماً، فوقف على تنوين عوجاً مبدلاً له ألفاً سكتة لطيفة من غير قطع نفس؛ إشعاراً بأن قيماً ليس متصلاً بعوجاً، وإنما هو من صفة الكتاب. وصرح أبو حيان في «البحر» بأن المفرد يبدل من الجملة، كقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾ فقيماً بدل من جملة، ولم يجعل له عوجاً؛ لأنها في معنى المفرد، أي: جعله مستقيماً. وهناك أعاريب أخرى ضربنا عنها صفحاً؛ لأنها لا تخرج عن هذا النطاق.

ولينذر: اللام للتعليل، وينذر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بأنزل، وينذر ينصب مفعولين، وحذف أولهما، وتقديره: الكافرين، وبأساً مفعول به ثان، وشديداً صفة، ومن لدنه

صفة ثانية، أو متعلقان بقوله: لينذر ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ ويبشر عطف على لينذر، والفاعل مستتر تقديره: هو، والمؤمنين مفعول به، وجملة يعملون الصالحات صلة، وأن وما في حيزها، قيل: هو مصدر مؤول مفعول به ثان ليبشر، على رأي من يرى أن يبشر تتعدى لمفعولين، وقيل: هو مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض، والجار والمجرور متعلقان بيبشر، ولهم خبر أن المقدم، وأجراً اسمها المؤخر، وماكثين حال من الهاء في لهم، أي: مقيمين فيه، وفيه متعلقان بماكثين، وأبداً ظرف متعلق بماكثين أيضاً ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ وينذر عطف على لينذر الأولى، والذين مفعول ينذر الأول وحذف الثاني، وهو الغرض المنذر به؛ لأنه سبق ذكره، وهو البأس، فيكون في الكلام احتباك، وجملة قالوا صلة، وجملة اتخذ مقول القول، والله فاعل، وولداً مفعول به ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لتقرير جهالتهم، وأنهم يقولون ما لا يعرفون، وما نافية، ولهم خبر مقدم، وبه متعلقان بعلم، ومن حرف جر زائد، وعلم مبتدأ مؤخر، ولا الواو عاطفة، ولا نافية، ولآبائهم عطف على لهم ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ كبرت فعل ماض لإنشاء الذم، والتاء علامة التأنيث، والفاعل ضمير مستتر يعود على مقالتهم المختلفة، وهي قولهم اتخذ الله ولداً، أي: كبرت مقالتهم، وكلمة تمييز، والكلام مبني على أسلوب التعجب، كأنه قيل: ما أكبرها كلمة، وجملة تخرج نعت لكلمة، ومن أفواههم متعلقان بتخرج، ويجوز أن يكون الفاعل ضميراً مفسراً بنكرة، وهي كلمة المنصوبة على التمييز، فيكون الكلام للذم المحض، ويكون المخصوص بالذم محذوفاً تقديره: هي، أي: الكلمة، وكلا الوجهين مستقيم سائغ، وإن نافية، ويقولون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعل، وإلا أداة حصر، وكذباً فيه وجهان: أظهرهما: أنه نعت لمصدر محذوف، أي: إلا

قولاً كذباً، ويجوز أن يكون مفعولاً به؛ لأنه يتضمن جملة، وعليه يتمشى قول دعبل:

ما أكثرَ النَّاس لا بل ما أقلّهم　　اللهُ يعلمُ أنيّ لم أقلْ فندا
إنيّ لأغمضُ عيني ثم أفتحُها　　على كثيرٍ ولكن لا أرى أحدا

﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ الفاء استئنافية، ولعل حرف ترجّ ونصب، وهي من أخوات إن، والكاف اسمها، وباخع خبرها، ونفسك مفعول به، وعلى آثارهم متعلقان بباخع، وسيأتي مزيد بيان عنه في باب: البلاغة، وإن شرطية، ولم يؤمنوا فعل الشرط، وبهذا متعلقان بيؤمنوا، والحديث بدل من اسم الإشارة، وأسفاً مفعول لأجله، أو على أنه مصدر في موقع الحال، وجواب الشرط محذوف دل عليهم الترجي، والتقدير: فلا تحزن ولا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ إن واسمها، والجملة تعليل للنهي المقصود من الترجي، وجملة جعلنا خبر إنا، وما موصول مفعول به أول لجعلنا، وإن كانت بمعنى التصيير، وعلى الأرض صلة ما، وزينة مفعول به ثان لجعلنا، وإن كانت بمعنى خلقنا فتكون زينة حالاً، ومن العجيب أن يعربها بعضهم مفعولاً لأجله، مع أن الزينة ليست من المصادر القلبية مهما أسرفنا في التأويل، ولها صفة لزينة، ولنبلوهم اللام للتعليل، ونبلوهم منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بجعلنا، وأيهم اسم استفهام مبتدأ، والهاء مضاف إليه، وأحسن خبر، وعملاً تمييز، والجملة في محل نصب سادة مسد مفعولي نبلو لأنه في معنى نعلم، وقد علق عن العمل بأي الاستفهامية، ويجوز أن تكون أي موصولة بمعنى الذي، وتعرب بدلاً من الهاء في نبلوهم، والتقدير: لنبلو الذي هو أحسن، وأحسن خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو أحسن، والجملة صلة للموصول، وتكون الضمة في أي للبناء؛ لأنْ شرطه موجود، وهو أن تضاف، ويحذف صدر صلتها، أو تكون ضمتها ضمة إعراب على رأي بعض النحاة، والضمير في نبلوهم يعود

على سكان الأرض كما يفهم من سياق الكلام، أو على ما، ولكنه بعيد؛ لأنه يحتاج إلى تأويل ما بأنها خاصة بالعقلاء ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ الواو عاطفة، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وجاعلون خبرها، وما مفعول به ثان لجاعلون، وعليها صلة، وصعيداً مفعول به ثان لجاعلون، وجرزاً نعت لصعيداً، ويجوز اعتبار الكلمتين بمعنى واحد نحو: الرمان حلو حامض، أي: مز، فهما بمثابة المفعول الثاني، ولعله أولى، وسيأتي تحقيقه في موضعه من هذا الكتاب.

□ البلاغة:

اشتملت هذه الآيات على أفانين متعددة من فنون البلاغة، نذكرها فيما يلي:

(١) التكرير:

١ ـ التكرير، وقد تقدم ذكره في قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ۜ قَيِّمًا ﴾ فإن نفي العوج معناه إثبات الاستقامة، وإنما جنح إلى التكرير لفائدة منقطعة النظير، وهي التأكيد والبيان، فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة، مجمع على استقامته ومع ذلك؛ فإن الفاحص المدقق قد يجد له أدنى عوج، فلما أثبت له الاستقامة أزال شبهة بقاء ذلك الأدنى الذي يدق على النظرة السطحية الأولى.

(٢) المطابقة:

فقد طابق سبحانه بين العوج والاستقامة، فجاء الكلام حسناً لا مجال فيه لمنتقد، كما حدث لأبي الطيب الذي أهمل المطابقة في قصيدة من أبدع قصائده، وذلك أنه أنشد في مجلس سيف الدولة قوله:

نظرتُ إلى الذين أرى مُلوكاً ... كـأنَّـكَ مستقيـمٌ في مُحَـالِ
فـإنْ تَفُـقِ الأنـامَ وأنـتَ منهـمْ ... فـإنَّ المسـكَ بعـضُ دَمِ الغَـزَالِ

فقيل له: إن المحال لا يطابق الاستقامة، ولكن القافية ألجأتك إلى ذلك، ولكن لو فرض أنك قلت: كأنك مستقيم في اعوجاج، كيف كنت تصنع في

البيت الثاني؟ فقال ولم يتوقف: فإن البيض بعض دم الدجاج. فاستحسن هذا من بديهته.

نقول: إنما يستحسن هذا في سرعة البديهة، وإلا أين قوله: فإن المسك بعض دم الغزال من قوله: فإن البيض بعض دم الدجاج.

ولما كنا نريد أن ننصف النقد نورد ما أخذه أحد خصوم المتنبي عليه من أنه كان لا يقيم للمطابقة وزناً، وأن ديدنه عدمها، وذلك رغم إعجابنا الشديد بشاعر الخلود، وتفضيلنا إياه على جميع شعراء العربية في القديم والحديث، قال الناقد القديم: وأما عدم المطابقة في شعر أبي الطيب المتنبي فكثير جداً، من ذلك قوله:

ولكُلِّ عينٍ قُرَّةٌ في قُرْبِهِ حتَّى كأنَّ مَغِيبَهُ الأقْذَاءُ

القرة ضدها السخنة، والأقذاء ليست ضدها.

وقوله أيضاً:

ولَمْ يَعْظُمْ لِنَقْصٍ كان فيه ولم يَزَلِ الأميرُ ولن يَزَالا

العظم ضد الحقارة، والنقص ضد الكمال، فلو قال: ولم يكمل لنقص كان فيه، لكان أمنع.

وكذلك قوله رغم سموه وإبداعه:

لمن تطلبِ الدُّنيا إذا لم تردْ بها سرورَ محبٍّ أو إساءةَ مجرم

وليس المجرم ضد المحب، ولا السرور ضد الإساءة، وإنما المجرم ضد المحسن، والمحب ضد المبغض، والإساءة ضد الإحسان.

وكذا قوله:

وانَّهَ المشيرَ عليكَ فيَّ بضَلَّةٍ فالحرُّ مُمْتَحَنٌ بأولادِ الزِّنى

والحرّ ضد اللئيم.

(٣) نفي الشيء بإيجابه:

وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ وقد

تقدم ذكر هذا الفن، وله تسمية أخرى وهي عكس الظاهر، وهو من مستطرفات علم البيان، وذلك أن تذكر كلاماً يدل ظاهره على أنه نفي لصفة موصوف، وهو نفي للموصوف أصلاً، فإن لقائل أن يقول: إن اتخاذ الله ولداً هو في حد ذاته محال، فكيف ساغ قوله: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾؟ وهو يشبه الاعتراض في قوله تعالى: ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ فإن ذلك كله وارد على سبيل التهكم، وإلا فلا سلطان على الشرك حتى ينزل، والولد في حد ذاته محال لا يستقيم تعلق العلم به، ولكنه ورد على سبيل التهكم والاستهزاء بهم، ونظيره كما تقدم قوله ﷺ: «لا تثنى فلتاته» أي: لا تذاع سقطاته، وليس ثمة فلتات فتثنى، وقول الشاعر يصف فلاة:

لا تفـزع الأرنـب أَهْـوالهـا ولا تـرى الضَّـبَّ بها يَنْجَحِرُ

فإن ظاهر هذا المعنى أنه كان هناك ضب، ولكنه غير منجمر، وليس ذلك كذلك، بل المعنى أنه لم يكن ثمة ضب أصلاً.

(٤) التشبيه التمثيلي البليغ المصون عن الابتذال:

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ فقد شبهه تعالى وإياهم حين تولوا عنه، ولم يؤمنوا به، وأصروا على المكابرة والعناد واللجاج بالسفسطة الباطلة، ثم ما تداخله من جراء ذلك من وجد وأسف على توليهم، وإشفاق عليهم لسوء المغاب التي تؤول إليها أمورهم. شبه ذلك سبحانه برجل فارقه أحبته وأعزته، فهو يتساقط حسرات على آثارهم، ويبخع نفسه وجداً عليهم، وتلهفاً على فراقهم، وأتى بهذه الصورة الفريدة صيانة لتشبيهه من الابتذال؛ فإن التلهف على فراق الأحبة، واستشعار الوجد أمر شائع تناوله الشعراء في أشعارهم، وتحدثوا في قصائدهم عن لواعجهم، وهذا مقياس يقاس به البليغ، يترفع في تشبيهه المألوف عن العادي من التشبيه بتزاويقه وتحاسينه، ويفيض عليه من روائه، وكان المتنبي ـ بنوع خاص ـ يتفطن لذلك، ويصون تشبيهه الذي

لا مندوحة له عنه من الابتذال، وسنورد لك نماذج من شعره، لتعلم إلى أي مدى بلغ هذا الشاعر الخالد.

فقد صور أبو الطيب موقفاً من مواقف الغزل، اضطر فيه إلى تشبيه نفسه بالميت المتكلم، ومحبوبته بالبدر المبتسم، وكلا هذين التشبيهين وارد تناوله الشعراء، فابتذل وذهبت جدته، وإذن فليجعل من الحوار وسيلة إلى تصوير موقف رائع، يحلو فيه التشبيه، ويبدو معه جديداً كل الجدة، قال:

نَرَىٰ عِظَماً بالبَيْنِ والصَّدُّ أَعْظَمُ ونتَّهِمُ الواشِينَ والدَّمْعُ مِنْهُمُ
ومَنْ لُبُّهُ مع غيرِهِ كيفَ حالهُ ومَنْ سِرُّهُ في جَفْنِهِ كيفَ يَكْتُمُ
ولمَّا الْتَقَيْنَا والنَّوى وَرقِيبُنا غَفُولان عنَّا ظِلْتُ أبكي وتَبْسِمُ
فلمْ أَرَ بَدْراً ضاحِكاً قَبْلَ وَجْهِها ولم ترَ قَبْلِي مَيِّتاً يَتَكَلَّمُ

فهو بعد أن قرر أثر الصدّ، وأن مسافته لا تقرب ولا تقطع؛ لأن البين قد يقرب، وقد تقطع مسافته، اعترف بأنه غير قادر على كتمان رسيس هواه؛ لأنه إذا كان عقلك مع غيرك، فكيف يكون حالك؟ وإذا كان سرك في جفنك، فكيف تقدر على كتمانه؟ يريد أن الدمع يظهره، ثم صور الموقف، فجعل من حسناءه عابثة ازدهاها الدّل، واستخف بها النعيم، فهي عابثة لاهية تبتسم وهو يحرق الأرم، ويتكوى بنار الهجران، على حد قولهم: «ويل للشجي من الخلي» وهذا من أروع الشعر وأعذبه.

ونعود إلى الآية فنقول: إن الله تعالى أراد أن يسلي نبيه، وأن يهدهد عنه ما ألم به من جوى وارتماض، فعرض الموقف بصيغة الترجي، وإن كان المراد به النهي، أي: لا تبخع نفسك، ولا تهلكها من أجل غمك على عدم إيمانهم، وأتى بهذا التشبيه التمثيلي البديع. والأسف: المبالغة في الحزن.

* الفوائد:

(١) نصب المفعول لأجله:

اشترط النحاة لنصب المفعول لأجله خمسة أمور، وهي:

□ كونه مصدراً.

□ كونه قلبياً من أفعال النفس الباطنة كالتعظيم، والاحترام، والإجلال، والتحقير، والخشية، والخوف، والجرأة، والرغبة، والرهبة، والحياء، والوقاحة، والشفقة، والعلم، والجهل، ونحوها. ويقابل أفعال الجوارح، أي: الحواس الظاهرة، وما يتصل به، كالقراءة، والكتابة، والقيام، والقعود، والوقوف، والجلوس، والمشي، والنوم، واليقظة، وغيرها؛ وذلك لأن العلة هي الحاملة على إيجاد الفعل، والحامل على الشيء متقدم عليه، وأفعال الجوارح ليست كذلك.

□ كونه علة؛ لأنه الباعث على الفعل.

□ اتحاده مع الفعل المعلل به في الزمان، فلا يجوز: تأهبت اليوم السفر غداً؛ لأن زمن التأهب غير زمن السفر.

□ اتحاده مع الفعل المعلل به في الفاعل، فلا يجوز: جئتك محبتك إياي؛ لأن فاعل المجيء المتكلم، وفاعل المحبة المخاطب.

ومتى فقد شرطاً من هذه الشروط وجب جره بحرف تعليل كاللام، ومن، والباء، وفي. وفيما يلي أمثلة لكل شرط مفقود:

* ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ فالأنام علة للوضع ولكنه ليس مصدراً فلذلك جر باللام.

* ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ فإملاق هو علة القتل، ولكنه ليس مصدراً قلبياً، فلذلك جر بمن.

* قتلته صبراً، فصبراً مصدراً، ولكنه ليس علة، فامتنع نصبه مفعولاً لأجله، وامتنع جره باللام؛ لأن اللام تفيد العلية.

* قول امرىء القيس:

فَجِئْتُ وقد نَضَّتْ لِنَوْمٍ ثِيَابَها لدى السِّتْرِ إلاَّ لِبْسَةَ المُتَفَضِّلِ

فالنوم وإن كان علة لخلع الثياب، لكن وقت الخلع سابق على وقت النوم، فلذلك جر باللام، هذا والنوم ليس مصدراً قلبياً أيضاً، ففي الاستشهاد به على عدم اتحاد الزمن فقط تسامح.

* قول أبي صخر الهذلي:

وإنِّي لَتَعْرُوني لذكراكِ هزَّةٌ　　كما انتفضَ العصفورُ بلَّلَهُ القَطْرُ

فالذكرى علة عن الهزة، ففاعل العرو الهزة، وفاعل الذكرى هو المتكلم، فلذلك جر باللام. ونعود إلى الآية فقوله: ﴿زِينَةً لَّهَا﴾ علة لنجعل، ولكنه ليس قلبياً؛ لأنها من أعمال اليد، فلذلك استغربنا إعراب بعضهم لها مفعولاً لأجله إلا بتقدير فعل الإرادة، أي: إرادة الزينة، ولكن هذا التكلف لا يجوز، وفيه مندوحة بإعرابها مفعولاً ثانياً لجعلنا، كما تقدم، أو حالاً.

* إبدال المفرد من الجملة:

قلنا في الإعراب أن أبا حيان اختار إعراب ﴿قَيِّمًا﴾ بدلاً من جملة ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾؛ لأنها في معنى المفرد. وأقول: إن النحاة صرحوا بإبدال الجملة من المفرد بدل كل، كقول الفرزدق:

إلى الله أشكو بالمدينةِ حاجةً　　وبالشَّام أخرى كيف يَلْتقيان

أبدل جملة «كيف يلتقيان» من «حاجة»، وأخرى، وهما مفردان، وإنما صح ذلك لرجوع الضمير إلى مفرد فهل يجوز العكس؟ ومعنى البيت: إلى الله أشكو هاتين الحالين تعذر التقائهما، فتعذر مصدر مضاف إلى فاعله، وهو بدل من هاتين. قال الدماميني: ويحتمل أن يكون كيف يلتقيان جملة مستأنفة، نبه بها على سبب الشكوى، وهو استبعاد اجتماع هاتين الحاجتين، والشام بلاد سميت بشام بن نوح، فإنه بالشين المعجمة بالسريانية، أو لأن أرضها شامات بيض وحمر وسود، وعلى هذا لا يهمز، وقد يذكر، كذا في القاموس.

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ الْكَهْفِ ﴾ الغار في الجبل، قيل: مطلق الغار، وقيل: هو ما اتسع في الجبل، فإن لم يتسع فهو غار، والجمع كهوف. وفي القاموس: الكهف هو كالبيت المنقور في الجبل، فإذا صغر فهو الغار؛ الملجأ، والجمع كهوف. وفي الأساس: لجؤوا إلى كهف وإلى كهوف، وهي الغيران. وتكهّف الجبل: صارت فيه كهوف، ومن المجاز: فلان كهف قومه: ملجؤهم، وتقول: أولئك معاقلهم وكهوفهم.

﴿ وَالرَّقِيمِ ﴾ في القاموس: الرقيم: الكتاب، المرقوم، ورقم يرقم ـ من باب: نصر ـ الكتاب: بينه، وأعجمه بوضع النقط والحركات وغير ذلك، ورقم الثوب: خططه، والبعير: كواه، والخبز: نقشه، ويقولون: فلان يرقم على الماء لمن يكون ذا حذق في الأمور: قيل: هو لوح كتب فيه أسماء أهل الكهف وقصتهم، ثم وضعوه على باب الكهف، وكان اللوح من رصاص، وقيل: من حجارة. وعن ابن عباس: أن الرقيم اسم الوادي الذي فيه أصحاب الكهف، وقيل: اسم للقرية التي خرجوا منها، وقيل: اسم للجبل الذي فيه أصحاب الكهف، وقيل: هو اسم كلبهم، قال أمية بن أبي الصلت:

وليسَ بها إلاَّ الرَّقيمُ مُجاوِراً وَصِيدَهُمْ والقَوْمُ في الكهفِ هُمَّدُ

والوصيد: فناء البيت، وبابه، وعتبته، والبيت يحتملها، والهمد جمع

هامد، أي: راقد. يقول: ليس في تلك الصحراء إلا الكلب حالة كونه مجاوراً لفناء غارهم، وإلا القوم حال كونهم رقوداً في الكهف.

وقال الزجاج: إن الفتية لما هربوا من أهلهم خوفاً على دينهم، ففقدوهم، فخبروا الملك خبرهم، فأمر بلوح من رصاص، فكتبت فيه أسماءهم، وألقاه في خزانته، وقال: إنه سيكون له شأن، فذلك اللوح هو الرقيم.

وقال في «أماليه»: اعلم أن في الرقيم خمسة أقوال: أحدها: هذا الذي روي عن ابن عباس ـ رحمه الله ـ: أنه لوح كتب فيه أسماؤهم، والآخر: أن الرقيم هو الدواة، يروى ذلك عن مجاهد، وقال: هو بلغة الروم، وحكى ذلك ابن دريد قال: ولا أدري ما صحته. والثالث: أن الرقيم القرية، وهو يروى عن كعب. والرابع: أن الرقيم الوادي. والخامس: ما روي عن الضحاك وقتادة أنهما قالا: الرقيم: الكتاب، وإلى هذا يذهب أهل اللغة ويقولون: هو فعيل بمعنى مفعول، يقال: رقمت الكتاب، أي: كتبته، فهو مرقوم ورقيم، كما قال عز وجل: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾.

○ الإعراب:

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ أم منقطعة، وقد تقدم ذكرها، والغالب أن تفسر ببل والهمزة، وتفسر ببل وحدها، وبالهمزة وحدها، أي: أظننت أن قصة أهل الكهف عجب في بابها، أو لا تظن أنها أعجب الآيات، بل من الآيات ما هو أعجب منها. وحسبت فعل وفاعل، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي حسبت، وأن واسمها، والرقيم عطف على الكهف، وجملة كانوا خبر أن، ومن آياتنا حال، وعجباً خبر كانوا، والاستفهام هنا للإنكار والنفي، وليس المراد نفي العجب عن قصة أهل الكهف، فهي عجب كما ذكرنا، ولكن القصد نفي كونها أعجب الآيات، ثم شرع في سرد قصتهم، فقال: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ الظرف الماضي يتعلق باذكر محذوفاً، وجملة أوى في محل جر بإضافة الظرف إليها، والفتية فاعل أوى، وإلى الكهف متعلقان بأوى، خائفين على أنفسهم

من الكفار؛ لأنهم كانوا مؤمنين، وقصتهم مستفيضة في جميع المطولات، وقد صنف الكاتب القصصي المعاصر توفيق الحكيم مسرحية «أهل الكهف» فارجع إليها لأنها من أمتع القصص.

﴿ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ فقالوا عطف على أوى، وربنا منادى، وآتنا فعل دعاء مبني على حذف حرف العلة، والفاعل مستتر تقديره: أنت، ونا مفعول به، ومن لدنك حال لأنه كان صفة لرحمة، وتقدم عليها، ورحمة مفعول به، وهيء عطف على آتنا، ولنا متعلقان بهيء، ومن أمرنا حال، ورشداً مفعول به ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ الفاء عاطفة، وضربنا فعل وفاعل، وعلى آذانهم متعلقان بضربنا، ومفعول ضربنا محذوف تقديره: حجاباً مانعاً لهم من السماع، وفي الكهف حال، وسنين ظرف لضربنا، وعدداً نعت لسنين، أو مفعول مطلق لفعل محذوف، فهو إما مصدر فيجوز فيه الوجهان، وإما فعل بمعنى مفعول، فلا يجوز فيه إلا النعت ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا﴾ ثم حرف عطف للتراخي، وبعثناهم فعل وفاعل ومفعول به، ولنعلم يجوز أن تكون اللام للتعليل، أو للعاقبة، وعلى كل حال نعلم مضارع منصوب بأن مضمرة بعدها، وسيأتي في باب: البلاغة معنى العلم بإحصائهم، والله عالم بذلك، وأيّ اسم استفهام مبتدأ، وفاعله يعود على أي الحزبين، ولما لبثوا اللام حرف جر، وما مصدرية، ولبثوا فعل وفاعل، وما وما بعدها مصدر مؤول مجرور باللام، والجار والمجرور متعلقان بأحصى، وأمداً مفعول به، واختلف النحاة هل يجوز أن يكون أحصى اسم تفضيل أم لا، أما القائلون بالجواز فأعربوا أحصى خبر أي، وأمداً تمييز، أو مفعول لفعل محذوف، أي: أحصى أمداً، وسيأتي مناقشة هذه الآراء في باب: الفوائد.

□ **البلاغة:**

في هذه الآيات أفانين من البلاغة تذهل العقول، وتكشف النقاب عن بيان

القرآن البديع، وهذا هو التفصيل :

(١) الاستعارة التصريحية :

في قوله تعالى : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾ فقد استعار الحجاب المانع على آذانهم للزوم النوم، وخص الآذان؛ لأنه بالضرب عليها يحصل عليها، فالصور البيانية لا تتجسد إلا باعتمادها على أسس جمالية ونفسية قريبة من البحوث الحديثة، وقد ذكر الجماليون الإحساسات التي يصح نعتها بالجمال على أتم وجه هي الإحساسات البصرية، حتى لقد عرف ديكارت الجمال بقوله : هو ما يروق في العين، فالعين حاسة النور، وحاجة الإنسان إلى النور راجع إلى حاجته إلى الحياة إذ تتعلق به العناصر التي تمد الجسم بالحياة، والنشاط، والحركة، والمتعة، والسرور. وسيأتي ما اعتمده القرآن من الصور البصرية، ولا يقف الأمر عند حاسة البصر، بل حاسة السمع هي التي أوجدت أرفع الفنون : الشعر، والموسيقى، والبلاغة. قال الرماني في كتابه : «النكت في إعجاز القرآن» : وإحساس السمع في قوله تعالى : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ وحقيقته : منعناهم الإحساس بآذانهم من غير صمم. فكأن الاستعارة قصدت إلى هذا التصوير السمعي، وإبراز فقدان حاسة السمع دون سائر الحواس، ودون الدلالة على الصمم النهائي، وستأتي تتمة هذه الصورة المهولة صورة الضرب على الآذان في قوله تعالى في سورة يس : ﴿ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾» .

(٢) التعليق :

وذلك في قوله : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾ ليس المراد أن يعلم الله شيئاً هو داخل في نطاق علمه، ولكنه أراد ما تعلق العلم به من ظهور الأمر لهم ليزدادوا إيماناً واعتباراً، وليكون ذلك من الألطاف الخفية على المؤمنين في زمانهم، أو ليحدث تعلق علمنا تعلقاً حالياً، أي : نعلم أن الأمر واقع في الحال بعد أن علمنا قبل أنه سيقع في مستقبل الزمان، أما المراد

بالحزبين اللذين اختلفا، فقال الفراء: إن طائفتين من المسلمين في زمان أصحاب الكهف اختلفوا في مدة لبثهم، وقيل: المراد بالحزبين نفس أصحاب الكهف؛ لأنهم اختلفوا فيما بينهم في المدة التي لبثوها نائمين، وروي عن ابن عباس: أن المراد بالحزبين الملوك الذين تداولوا المدينة ملكاً بعد ملك، وأصحاب الكهف، إلى غير ذلك من أقوال لا يتسع المجال لإيرادها.

* الفوائـد:

(١) رجحنا أن تكون «أحصى» في قوله تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا﴾ فعلاً ماضياً؛ لأن بناء اسم التفضيل من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس، أما نحو أعدى من الجرب، وأفلس من ابن المذاق، فشاذ، والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع، فكيف به؟! كما أن إعراب أمداً لا يصح إلا بكون «أحصى» فعلاً ماضياً، وإذا جعلناه اسم تفضيل احتجنا إلى تقدير فعل؛ لأن اسم التفضيل لا يعمل، على أن بعض النحاة جعل بناء اسم التفضيل من المزيد في الهمزة قياساً، فتقول في أكرم فعلاً: فلان أكرم من فلان على رأيهم، وزعم هؤلاء النحاة أن سيبويه قال به، وعلله بأن بناءه منه لا يغير نظم الكلمة، وإنما هو تعويض همزة بهمزة، هذا؛ وقد اختار كون أحصى للتفضيل الزجاج والتبريزي، واختار أبو علي الفارسي والزمخشري كونه فعلاً ماضياً، وعليه درجنا.

(٢) ما يقوله المبرد عن أي:

قال المبرد في حديثه عن أيّ: ألا ترى أن معناها أذا أم ذا؟ وقال عز وجل: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا﴾ لأن معناها أهذا أم هذا؟ وقال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ على ما فسرت لك، وتقول: أعلم أيهم ضرب زيداً، وأعلم أيهم ضرب زيد، تنصب أياً بضرب؛ لأن زيداً فاعل، فإنما هذا لما بعده، وكذلك ما أضيف إلى اسم من هذه الأسماء المستفهم بها، نحو: قد علمت غلامُ أيهم في الدار، وقد عرفت غلامُ من في الدار، وقد علمت غلام من ضربت، فتنصبه بضربت، فعلى هذا مجرى الباب. وخلاصة ما أراد المبرد

أن يقوله في هذه اللمحة المفيدة: أن أدوات الاستفهام إذا كانت أسماء امتنعت مما قبلها.

وقال ابن هشام في «المغني» أنه وهم، أي: كونه اسم تفضيل؛ لأن شرط التمييز المنصوب بعد أفعل أن يكون كونه فاعلاً في المعنى، كزيد أكثر مالاً، بخلاف: مال زيد أكثر مال، ففي المثال الأول فاعل الكثرة في المعنى المال لا زيد، وقال في الخلاصة:

والفاعل المعنى انصبن بأفعلا مفضلاً كأنت أعلى منزلا

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ نحن مبتدأ، وجملة نقص خبر، وعليك متعلقان بنقص، ونبأهم مفعول به، وبالحق حال من فاعل نقص، أو من مفعوله، وهو النبأ، فالباء للملابسة ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة لسرد قصتهم، وإن واسمها وخبرها، وجملة آمنوا بربهم خبر، وزدناهم فعل وفاعل ومفعول به أول، وهدى مفعول به ثان، أو تمييز ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ وربطنا عطف على زدناهم، وعلى قلوبهم متعلقان بربطنا، وإذ ظرف ماض متعلق بربطنا، وجملة قاموا مضاف إليها الظرف فقالوا عطف على قاموا، وربنا مبتدأ، ورب السموات والأرض خبره ﴿ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ لن حرف نفي ونصب واستقبال، وندعو منصوب بلن، ومن دونه

حال لأنه كان صفة لإلهاً، وتقدم عليه، ولقد : اللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وقلنا فعل وفاعل، وإذاً حرف جواب وجزاء مهمل، وشططاً مفعول مطلق، أي: قولاً ذا شطط، فهو نعت للمصدر المحذوف بتقدير المضاف، ويجوز أن يكون مفعولاً به؛ لأن الشطط فيه معنى الجملة، وقال سيبويه ما نصه بالحرف: «نصبه على الحال من ضمير مصدر قلنا» والشطط: هو الإفراط في الظلم والإبعاد فيه من شط إذا بعد، فقول سيبويه له وجه كبير من الصحة، قالوا ذلك وهم قيام بين يدي الملك الجبار دقيانوس ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ هؤلاء مبتدأ، وقومنا بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان، وجملة اتخذوا خبر، ومن دونه حال، وآلهة مفعول به، ومعنى الخبر هنا الإنكار، ويجوز أن تعرب هؤلاء مبتدأ، وقومنا هو الخبر، وجملة اتخذوا في موضع نصب على الحال ﴿ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ لولا حرف تحضيض، ويأتون فعل مضارع وفاعل، والجملة مستأنفة، وعليهم، أي: على عبادتهم، متعلقان بمحذوف حال، وبسلطان متعلقان بيأتون، وبيّن صفة، فمن أظلم: الفاء استئنافية، ومن اسم استفهام معناه النفي والإنكار مبتدأ، وأظلم خبره، وممن متعلقان بأظلم، وجملة افترى صلة، وعلى الله متعلقان بافترى، وكذباً مفعول به.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ استعارة تصريحية تبعية تشبه: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾ لأن الربط هو الشد بالحبل، والمراد قوينا قلوبهم بالصبر على هجر الأوطان والفرار بالدين إلى الكهوف والغيران، وافتراش صعيدها، وجسرناهم على قول الحق، والجهر به أمام دقيانوس الجبار.

﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم

مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ۞

☆ **اللغة:**

﴿ مِّرْفَقًا ﴾: بكسر الميم وفتح الفاء وبالعكس، وقد قرىء بهما: ما ترتفقون به من غداء وعشاء، أي: تنتفعون. قال في أساس البلاغة: وارتفقت به: انتفعت، ومالي فيه مَرفق وما فيها مِرفق من مرافق الدار، نحو: المتوضأ والمطبخ. وقيل بالكسر في الميم هو لليد، وبالفتح للأمر، وقد يستعلم كل منهما موضع الآخر، حكاه الأزهري عن ثعلب. وقال بعضهم: هما لغتان فيما يرتفق به، فأما الجارحة فبكسر الميم فقط. وفي القاموس والتاج وغيرهما: المرفق ـ بكسر الميم وفتح الفاء ـ والمرفق ـ بفتح الميم وكسر الفاء ـ: الموصل بين الساعد والعضد، وما ارتفقت به، فهما لغتان.

﴿ تَّزَٰوَرُ ﴾: أي: تمايل، أصله: تتزاور، فخفف بإدغام التاء في الزاي أو حذفها، وقد قرىء بهما، وقرىءٍ تزورّ وتزوارّ، وكلها من الزور، وهو الميل، ومنه زاره: إذا مال إليه، والزور: الميل عن الصدق.

﴿ تَّقْرِضُهُمْ ﴾: تقطعهم، وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم البتة، مأخوذ من معنى القطيعة والصرم، قال ذو الرمة:

إلى ظُعُنٍ يقرِضْنَ أجوازَ مُشْرِفٍ   شِمالاً وعن أيْمانهنَّ الفوارِسُ

وقبله:

نظـرتُ بجَـرْعـاء السَّبِيـةِ نظـرَةً
ضُحىً وسوادُ العينِ في الماءِ شامس

وجرعاء السبية، اسم موضع، وسواد العين... الخ جملة حالية، أي: الدمع كثير الحركة والاضطراب، من شمس الفرس إذا جمح وساء خلقه، والظعن: جمع ظعينة، وهي المرأة في الهودج، ويقرضن، أي: يقطعن، وأجواز جمع جوز، وهو: المجاز والطريق، أي: يفصلنه عنهن، والفوارس اسم موضع، لا جمع فارس.

وقال الفارسي: ومعنى تقرضهم: تعطيهم من ضوءها شيئاً كالقرض، ثم يسترد بعد حين، وهي تزول بسرعة أيضاً.

﴿فَجْوَةٍ﴾: متسع من الفجاء، وهو تباعد ما بين الفخذين، يقال رجل أفجى، وامرأة فجواء، والجمع فجاء، كقصعة وقصاع، وفي القاموس: الفجوة: الفرجة بين الشيئين، وساحة الدار، وما اتسع من الأرض، والجمع فجوات وفجاء.

﴿الوصيد﴾ تقدم شرحه، ونضيف إليه ما قاله صاحب القاموس: الوصيد: العتبة، فناء الدار، الكهف، وقال غيره: والباب أيضاً، وأنشد:

بأرضٍ فَضَاءٍ لا يُسَدُّ وَصِيدُها عليَّ ومَعْرُوفي بها غَيْرُ مُنْكَرِ

والبيت لزهير، يقول: نزلت في أرض خالية من البناء ليس فيها بناء له وصيد، أي: باب يسد علي، ويحجب عني الضيفان، كأهل الحضر، فنفي السد كناية عن نفي الوصيد من أصله، فهو من باب: نفي الشيء بإيجابه، وإحساني بها معروف، لا ينكره أحد من الناس.

○ الإعراب:

﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ خطاب من بعضهم لبعض حين صمموا على الفرار بدينهم، فإذ منصوب بمضمر تقديره: قال بعضهم لبعض، وجملة اعتزلتموهم في محل جر بإضافة الظرف إليها، وهي فعل وفاعل

ومفعول به، وما يعبدون: الواو حرف عطف، وما معطوف على الهاء، أي: اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم، فما موصولية، أو مصدرية، فيقدر: وعبادتهم، وإلا أداة استثناء، والله مستثنى متصل على تقدير كونهم مشركين، ومنقطع على تقدير تمحضهم في عبادة الأوثان، وقيل: الواو اعتراضية، وما نافية، والجملة معترضة، وهي إخبار من الله عن الفتية أنهم لم يعبدوا غير الله، ولا مانع من ذلك. قال الفراء: هو جواب إذ، كما تقول: إذ فعلت فافعل كذا، وهو قول ضعيف؛ لأنه يعني أن إذ تفيد الشرطية، والمعروف أنها لا تفيدها إلا مقترنة مع ما ﴿فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ الفاء هي الفصيحة، أي: إن شئتم النجاة بدينكم فأووا، وأووا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، وإلى الكهف متعلقان به ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ ينشر فعل مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للطلب، ولكم متعلقان بينشر، وربكم فاعل ينشر، ومن رحمته صفة لمفعول ينشر المحذوف، أي: ينشر لكم نجاحاً من رحمته، ويهيىء عطف على ينشر، ولكم متعلقان بيهيىء، ومن أمركم حال لأنه كان صفة لمرفقاً، ومرفقاً مفعول به ﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾ في الكلام إيجاز بحذف عدة جمل، وتقدير الكلام: فأووا إلى الكهف كما قرروا بينهم، وشعروا بالتعب فناموا، واسترسلوا في النوم، وأجاب الله دعاءهم إذ قالوا: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ فالواو استئنافية، وترى فعل مضارع، وفاعله أنت، والشمس مفعول به، وإذا ظرف مستقبل متعلق بتزاور، وهو الجواب، وتزاور فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: هي، والجملة لا محل لها، وعن كهفهم متعلقان بتزاور، وذات اليمين ظرف متعلق بتزاور ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ عطف على الجملة السابقة، وهي مماثلة لها في إعرابها ﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ﴾ الواو للحال، وهم مبتدأ، وفي فجوة خبر، ومنه صفة لفجوة، وذلك مبتدأ، ومن آيات الله خبر ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ من شرطية في محل نصب مفعول مقدم، ويهد فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، والفاء

رابطة للجواب؛ لأنه جملة اسمية، وهو مبتدأ، والمهتدي خبره، وحذفت الياء بخط المصحف، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً عطف على ما تقدم، والجملة مماثلة لسابقتها ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ الواو استئنافية، وتحسبهم فعل مضارع، وفاعل مستتر ومفعول به أول، وأيقاظاً مفعول به ثان، وهم الواو حالية، وهم مبتدأ، ورقود خبر، والجملة في محل نصب حال ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ ونقلبهم الواو عاطفة، ونقلبهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به، وذات اليمين ظرف متعلق بنقلبهم، وذات الشمال عطف على ذات اليمين، وكلبهم: الواو للحال، وكلبهم مبتدأ، وباسط خبر، وذراعيه مفعول به، وبالوصيد متعلقان بباسط ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ لو شرطية، واطلعت فعل وفاعل، وعليهم متعلقان باطلعت، ولوليت اللام واقعة في جواب لو، ووليت فعل وفاعل، ومنهم متعلقان بفراراً، وفراراً مفعول مطلق من معنى الفعل قبله؛ لأنه مرادفه، ويجوز أن يعرب مصدر في موضع الحال، أي: فاراً، ولملئت عطف على لوليت، ومنهم متعلقان برعباً، ورعباً تمييز، ورجح أبو حيان أن يكون مفعولاً ثانياً لملئت.

□ **البلاغة:**

في قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ تشبيه وطباق، أما الطباق فهو ظاهر بين أيقاظ ورقود، وأما التشبيه فهو قسم من أقسام التشبيه جاءت فيه الأداة فعلاً من أفعال الشك واليقين، تقول: حسبت زيداً في جرأته الأسد، وعمراً في جوده الغمام، فحاصل ذلك تشبيه زيد بالأسد وعمرو بالغمام، وفي الآية حاصله تشبيه أهل الكهف في حال نومهم بالأيقاظ في بعض صفاتهم؛ لأنه قيل إنهم كانوا مفتحي العيون في حال نومهم.

* **الفوائد:**

استدل الكسائي بقوله: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ على أن اسم

الفاعل يعمل عمل الفعل، ولو كان بمعنى الماضي، ومنع البصريون ذلك، وقالوا: لا حجة للكسائي ومن تبعه في أن اسم الفاعل هنا بمعنى الماضي، وعمل في ذراعيه النصب، وأنه على إرادة حكاية الحال الماضية، أي: إنه يقدر الهيئة الواقعة في الزمن الماضي واقعة في حال التكلم، والمعنى يبسط ذارعيه، فيصح وقوع المضارع موقعه، بدليل أن الواو في «وكلبهم» واو الحال؛ ولذا قال سبحانه: «ونقلبهم» بالمضارع الدال على الحال، ولم يقل: وقلبناهم بالماضي.

﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ بِوَرِقِكُمْ ﴾ الوَرِق ـ بفتح الواو وكسر الراء ـ: الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة، ومنه الحديث: «أن عرفجة أصيب أنفه يوم الكُلاب، فاتخذ أنفاً من ورق، فأنتن، فأمره رسول الله ﷺ أن يتخذ أنفاً من ذهب» والكُلاب ـ بضم ـ: اسم ماء كانت عنده الوقعة، كما في الصحاح قال:

أعطيتني وَرَقاً لم تعطني وَرِقاً قل لي بلا ورِق ما ينفعُ الورَق؟

﴿ أَزْكَىٰ ﴾ أطيب، وفي القاموس: زكا يزكو زِكاء وزُكوّاً الزرع: نما، والأرض: طابت، والزكي: ما كان نامياً طيباً صالحاً.

○ **الإعراب:**

﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ﴾ الكاف نعت لمصدر محذوف،

أي: كما أنمناهم هذه النومة الطويلة كذلك بعثناهم، وبعثناهم فعل وفاعل ومفعول به، وليتساءلوا: اللام للتعليل، ويتساءلوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والظرف متعلق بمحذوف حال ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ قال قائل فعل وفاعل، وكم اسم استفهام في محل نصب على الظرفية، والمميز المنصوب محذوف تقديره: كم يوماً، بدليل الجواب عليه، ومنهم صفة لقائل، قالوا فعل وفاعل، وجملة لبثنا مقول القول، ويوماً ظرف متعلق بلبثنا، أو حرف عطف، بعض يوم عطف على يوماً، وأو هنا للشك منهم ﴿قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ قالوا فعل وفاعل، وربكم مبتدأ، وأعلم خبره، بما جار ومجرور متعلقان بأعلم، ولبثتم صلة ما، وما أجمل تفويضهم أمر العلم بمدة اللبث إلى الله، وما ينطوي عليه هذا التفويض من حسن الأدب، فقد استرابوا في أمرهم بعد أن راعوا إلى أنفسهم، ونظروا إلى طول شعورهم وأظفارهم ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ الفاء عاطفة على محذوف، أي: فدعوا التساؤل، وخذوا فيما هو أهم وأجدى لنا في موقفنا هذا، فابعثوا، وأحدكم مفعول به، وبورقكم متعلقان بابعثوا، أو بمحذوف حال من أحدكم، والباء للملابسة، أي: متلبساً بها، ومصاحباً لها، وهذه نعت لورقكم، وإلى المدينة متعلقان بابعثوا، فلينظر: الفاء عاطفة، واللام لام الأمر، وينظر مضارع مجزوم بلام الأمر، وأيها يجوز أن تكون استفهامية، ويجوز أن تكون موصولة، وقد تقدم ذلك في قوله: ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فجدّد به عهداً، وهي مبتدأ خبره أزكى، وطعاماً تمييز محول عن المضاف إليه، أي: أيّ أطعمة المدينة أزكى، وأحلّ، وأرخص، وأطيب ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ الفاء عاطفة، واللام لام الأمر، ويأت مجزوم بلام الأمر والفاعل مستتر تقديره: هو، والكاف مفعول به، وبرزق متعلقان بيأتكم، منه صفة لرزق، وليتلطف عطف على فليأتكم، ولا: الواو عاطفة، ولا ناهية، ويشعرن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وهو في محل جزم بلا الناهية، والفاعل مستتر تقديره: هو،

وبكم متعلقان بيشعرن، واحداً مفعول به ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ﴾ إن واسمها، وإن شرطية، ويظهروا فعل الشرط، والواو فاعل، وعليكم متعلقان بيظهروا، ويرجموكم جواب الشرط، أو يعيدوكم عطف على يرجموكم، وفي ملتهم متعلقان بيعيدوكم، أي: يردوكم إلى ملتهم التي كنتم عليها قبل أن يهديكم الله، أو المراد بالعود هنا الصيرورة على تقدير: أنهم لم يكونوا على ملتهم، وإيثار كلمة «في» على كلمة «إلى» للدلالة على الاستقرار. ﴿ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾ الواو عاطفة، ولن حرف نفي ونصب واستقبال، وتفلحوا فعل مضارع منصوب بلن، والواو فاعل، وإذاً حرف جواب وجزاء مهمل، وأبداً ظرف متعلق بتفلحوا.

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ۖ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾: أطلعنا عليهم قومهم والمؤمنين، وفي الأساس: وعثر على كذا: اطلع عليه، وأعثره على كذا: أطلعه، وأعثره على أصحابه: دله

عليهم، ويقال: للمتورط: «وقع في عاثور»، وفلان يبغي صاحبَه العواثير، وأصله: حفرة تحفر للأسد وغيره يعثر بها، فيطيح فيها.

﴿ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ﴾ رمياً بالخبر الخفي، وإتياناً به، وفي المصباح: الرجم ـ بفتحتين ـ: الحجارة، ورجمته رجماً، من باب: قتل، ضربته بالرجم، وهي: الحجارة الصغيرة، ورجمته بالقول: رميته بالفحش، قال تعالى: ﴿ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ﴾ أي: ظناً من غير دليل ولا برهان، كقول زهير بن أبي سُلمى يصف الحرب:

وما الحربُ إلا ما علمتُم وذُقْتُم وما هو عَنْها بالحديثِ المُرَجَّمِ

أي: المظنون. وسيرد في باب: البلاغة مزيد من البحث حول هذا التعبير.

﴿ تُمَارِ ﴾: تجادل، وفي القاموس: مارى مراء ومماراة: جادل، ونازع، ولاجّ، وتماريا: تجادلا، وامترى في الشيء: شك، والمرية بكسر الميم والمرية بضمها: الجدل. يقال: ما في ذلك مرية، أي: جدل وشك.

○ الإعـراب:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾ الكاف نعت لمصدر محذوف، أي: وكما أنمناهم وبعثناهم أطلعنا عليهم قومهم والمؤمنين، وأعثرنا فعل وفاعل، والمفعول به محذوف كما قدرناه في باب: اللغة، وعليهم متعلقان بأعثرنا، وليعلموا: اللام للتعليل، ويعلموا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي ليعلموا، وأن واسمها، وحق خبرها، وأنَّ الساعة عطف، وأن واسمها، ولا نافية للجنس، وريب اسمها، وفيها خبرها، وجملة لا واسمها وخبرها في محل رفع خبر أن، والمراد بوعد الله: البعث؛ لأن من قدر على إنامتهم هذه النومة الطويلة، وبعثهم بعدها قادر على أن يحييهم بعد الموت ﴿ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾ الظرف متعلق بأعثرنا، أي: أعثرنا

عليهم قومهم حين يتنازعون، ويختلفون في حقيقة البعث، فكان بعضهم يقول: تبعث الأرواح دون الأجساد، وبعضهم يقول: تبعث الأجساد مع الأرواح، وجملة يتنازعون في محل جر بإضافة الظرف إليها، وبينهم ظرف مكان متعلق بيتنازعون، وأمرهم نصب بنزع الخافض، أي: في أمرهم، وقيل: تنازعوا تنصب مفعولاً إذا كانت بمعنى التجاذب، فيكون في الكلام استعارة ﴿فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا﴾ الفاء عاطفة، وقالوا فعل وفاعل، وجملة ابنوا مقول القول، وهو فعل أمر وفاعل، وعليهم متعلقان بابنوا، وبنياناً مفعول به، أي: قالوا ذلك حين توفى الله أصحاب الكهف، وأكثر الروايات على أنهم ماتوا حين حدث تمليخا حامل الورق حديثهم موتاً حقيقياً، ورجع من كان يساوره الشك في بعث الأجساد إلى اليقين، أي: ابنوا عليهم بنياناً ضناً بتربتهم، ومحافظة عليها، وجملة ابنوا عليهم بنياناً مقول قولهم ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ الجملة إما تتمة لمقولهم قالوا ذلك تفويضاً للعلم إلى الله سبحانه، وقيل: هو مقول كلام لله سبحانه رداً لقول المتنازعين فيهم، أي: دعوا ما أنتم فيه من التنازع، فإني أعلم بهم منكم، والكلام مبتدأ وخبر، وبهم متعلقان بأعلم ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ قال الذين فعل وفاعل، وجملة غلبوا صلة الموصول، وعلى أمرهم متعلقان بغلبوا، وهم المؤمنون، وكانت الكلمة لهم آنذاك، ولنتخذن اللام الموطئة للقسم، ونتخذن فعل مضارع مبني على الفتح، وفاعله مستتر تقديره: نحن، وعليهم حال، ومسجداً مفعول به ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ السين للاستقبال، إشارة إلى أن النزاع في أمرهم حصل في زمن النبي ﷺ، أي: في المستقبل البعيد بالنسبة لقصتهم، ويقولون فعل مضارع وفاعل، والضمير يعود غلى الخائضين في قصتهم زمن النبي من أهل الكتاب والمؤمنين. قال أبو حيان: وجاء بسين الاستقبال لأنه كأنه في الكلام طي وإدماج، والتقدير: فإذا أجبتهم عن سؤالهم، وقصصت عليه قصة أهل الكهف، فسلهم عن عددهم، فإنهم إذا سألتهم سيقولون، ولم يأت بالسين فيما بعده؛ لأنه معطوف على المستقبل، فدخل في الاستقبال، أو لأنه

أريد به معنى الاستقبال الذي هو صالح له. وثلاثة خبر لمبتدأ محذوف، أي: هم ثلاثة أشخاص، وإنما قدرنا أشخاصاً؛ لأن رابعهم اسم فاعل أضيف إلى الضمير، والمعنى أنه ربعهم، أي: جعلهم أربعة، وصيرهم إلى هذا العدد، فلو قدر ثلاثة رجال استحال أن يصير ثلاثة رجال أربعة لاختلاف الجنسين، ورابعهم مبتدأ، وكلبهم خبر، وجملة ثلاثة مقول القول، وجملة رابعهم كلبهم في محل نصب على الحال، أي: حال كون كلبهم جاعلهم أربعة بانضمامه إليهم، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم عطف على الجملة السابقة، وهي مماثلة في إعربها، ورجماً منصوب على المصدرية بفعل محذوف، أي: يرجمون رجماً، والمعنى: يرمون رمياً بالخبر الخفي المظنون، أو على الحال بمعنى راجمين، وبالغيب متعلقان برجماً ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الواو عاطفة، ويقولون فعل وفاعل، وسبعة خبر لمبتدأ محذوف، والواو فيها أقوال تربو على الحصر، وقد شغلت العلماء والأدباء، فصنّفوا فيها المطولات، وسنأتي على ذكرها، وخلاصة ما قيل فيها في باب الفوائد، وأولى ما يقره المنطق أن تكون هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة، تشبيهاً لها بالجملة الواقعة حالاً بعد المعرفة، نحو: جاء زيد ومعه رجل آخر، وذلك لتأكيد لصوق الصفة بالموصول، بمعنى أن اتصافه بها أمر مستقر راسخ في الأذهان، وهذا ما اختاره الزمخشري وابن هشام، وانتظر التفاصيل. وجملة ثامنهم كلبهم صفة لسبعة، وقد ردّ أبو حيان هذا القول وعبارته: وكون الواو تدخل على الجملة الواقعة صفة دالة على لصوق الصفة بالموصول، وعلى ثبوت اتصاله بها شيء لا يعرفه النحويون، بل قرروا أنه لا تعطف الصفة التي ليست بجملة على صفة أخرى؛ إلا إذا اختلفت المعاني، حتى يكون العطف دالاً على المغايرة، وأما إذا لم يختلف فلا يجوز العطف في هذه الأسماء المفردة، وأما الجمل التي تقع صفة فهي أبعد من أن يجوز ذلك فيها، وقد ردوا على من ذهب إلى أن قول سيبويه: وأما ما جاء لمعنى، وليس باسم ولا فعل، هو على أن ليس باسم ولا فعل صفة لقوله المعنى، وأن الواو دخلت في الجملة، بأن ذلك ليس من كلام العرب: مررت برجل، ويأكل، على تقدير الصفة، وأما قوله

تعالى: ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ فالجملة حالية. ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ربي مبتدأ، وأعلم خبره، والجملة مقول القول، وبعدتهم متعلقان بأعلم، وجملة ما يعلمهم حالية، وما نافية، ويعلمهم فعل مضارع ومفعول به، وإلا أداة حصر، وقليل: فاعل يعلمهم، والتفضيل بالنسبة للكيفية؛ لأن مراتب اليقين متفاوتة في القوة، وليس التفضيل بالنسبة إلى الطائفتين الأولين؛ الذين جنحا إلى الرجم بالغيب والحدس والتخمين، دون الحقيقة والاطلاع على الواقع ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ الفاء الفصيحة، أي: إن عرفت هذا، وحق لك أن تعرفه فلا تجادل، ولا ناهية، وتمار مجزوم بلا، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، وإلا أداة حصر، ومراء مفعول مطلق، وظاهراً صفة ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، تستفت مجزوم بلا، وعلامة جزمه حذف حرف العلة أيضاً، والفاعل مستتر تقديره: أنت، وفيهم متعلقان بتستفت، ومنهم حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لأحداً، وأحداً مفعول به؛ لأن فيما أوحي إليك مندوحة لك عن السؤال ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ الواو حرف عطف، ولا ناهية، وتقولن فعل مضارع مبني للفتح لاتصاله بنون التوكيد في محل جزم بلا، والفاعل مستتر تقديره: أنت، ولشيء متعلقان بتقولن، أي: لأجل شيء تقدم عليه، وتهتم به، وقيل: اللام بمعنى في، وقد تقدم ذكر ذلك، وكسرت همزة إن لسبقها بالقول، وإن واسمها مقول القول، وفاعل خبر إن، وذلك مفعول لفاعل، وغداً ظرف متعلق بفاعل، وإلا أن يشاء الله استثناء مفرغ من أعم الأحوال، أي: لا تقل لشيء في حال من الأحوال إلا في حال تلبسك بالمشيئة والتعليق عليها، فأن وما بعدها حال، والتقدير: لا تقولن أفعل غداً إلا قائلاً إن شاء الله، وقيل: التقدير إلا بأن يشاء الله، فالمصدر منصوب بنزع الخافض، والجار والمجرور في موضع النصب على الحال، أي: إلا متلبساً بقول إن شاء الله، وقيل: إن الاستثناء منقطع، وموضع أن يشاء الله نصب على الاستثناء.

وقد أجاد في إعراب هذه الآية أبو البقاء العكبري، ونصه: في المستثنى منه ثلاثة أوجه:

أحدها: هو من النهي، والمعنى: لا تقولن أفعل غداً إلا أن يؤذن لك في القول.

والثاني هو من فاعل تقولن، أي: لا تقولن إني فاعل غداً حتى تقرن به قول إن شاء الله.

والثالث: إنه منقطع.

وموضع أن يشاء الله نصب على وجهين:

أحدهما: على الاستثناء، والتقدير: لا تقولن ذلك في وقت إلا وقت أن يشاء الله، أي: يأذن فحذف الوقت، وهو مراد. والثاني: هو حال، والتقدير: لا تقولن أفعل غداً إلا قائلاً إن شاء الله، فحذف القول، وهو كثير، وجعل قوله أن يشاء في معنى إن شاء، وهو مما حمل على المعنى، وقيل: التقدير إلا بأن يشاء الله، أي: متلبساً بقول إن شاء الله. والخلاصة أن الغرض من هذا النهي عن هذا القول هو عدم اقترانه بقول المشيئة، وهذا نهي تأديب حين قالت اليهود لقريش: سلوا محمداً عن الروح وعن أصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه، فقال ائتوني غداً أخبركم، ولم يستثن، فأبطأ عليه الوحي حتى شق عيه، وكذبته قريش، وسيأتي في باب: الفوائد ذكر انقطاع الوحي.

﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾ واذكر عطف على ما تقدم، وربك مفعول به، ولا بد من حذف مضاف، أي: مشيئة ربك، وإذا ظرف متعلق باذكر، أي: إذا فرط منك نسيان، وجملة نسيت في محل جر بإضافة الظرف إليها، وجوابها محذوف دل عليه ما قبله، أي: فاذكر، وقول عطف على اذكر، وعسى من أفعال الرجاء، واسمها مستتر تقديره: هو، وأن يهديني أن وما في حيزها هي الخبر، وربي فاعل يهديني، ولأقرب متعلق بيهديني، ومن هذا متعلقان بأقرب، ورشداً

تمييز، أو مفعول مطلق، أي: يهديني هداية، فيكون ملاقياً لعامله بهذا المعنى، والأول أقرب، أي: لشيء أقرب إرشاداً للناس، ودلالة على ذلك، والإشارة في قوله هذا لما تقدم من نبأ أصحاب الكهف وقصتهم العجيبة التي اختتمت الآن ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴾ ولبثوا عطف على ما تقدم حسماً للخلاف، وإماطة للشبهة الناجمة عن الاختلاف في أمرهم، ومدة لبثهم، وفي كهفهم متعلقان بلبثوا، وثلاث ظرف ومئة مضاف إليه، وسنين عطف بيان لثلاثمئة، أو بدل، ولا يصح أن يكون تمييزا؛ لأن تمييز المئة مجرور، وجره بالإضافة، والتنوين مانع منها، وسيأتي بحث العدد مفصلاً في باب: الفوائد. وازدادوا فعل وفاعل، وتسعاً مفعول به، أي: تسع سنين ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ﴾ الله مبتدأ، وأعلم خبر، الجملة مقول القول، وبما متعلقان بأعلم، وجملة لبثوا صلة الموصول، أي: بالزمن الذي لبثوه ﴿ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ﴾ له خبر مقدم، وغيب السموات والأرض مبتدأ مؤخر، وأبصر صيغة تعجب، وهو فعل ماض أتى على صيغة الأمر، ومعناه الخبر، والباء مزيدة في الفاعل إصلاحاً للفظ، وسيأتي البحث في صيغتي التعجب في باب: البلاغة، وأسمع عطف على أبصر ﴿ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ ما نافية، ولهم خبر مقدم، ومن دونه حال، ومن حرف جر زائد، وولي مبتدأ مؤخر محلاً، ولا الواو عاطفة، ولا نافية، ويشرك فعل مضارع، وفاعل مستتر، وفي حكمه متعلقان بيشرك، وأحداً مفعول به.

□ البلاغة:

الكلام يطول جداً على هذه الآيات وما اشتملت عليه من فنون بلاغية، وسنجنح إلى الاختصار ما أمكن، فنقول:

(١) الاستعارة المكنية:

في قوله تعالى: ﴿ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾ استعارة مكنية، فقد شبه أمرهم

بشيء كثر النزاع حوله، ثم حذف ذلك الشيء، واستعير النزاع القائم حوله.

وفي قوله تعالى: ﴿رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾ استعارة مكنية أيضاً، فقد شبه الغيب والخفاء بشيء يرمى بالحجارة، واستعير الرجم له.

(٢) واو الثمانية والخلاف المشتجر حولها:

وعدناك بأن نأتي بالأقوال حول الواو الداخلة على ثامنهم في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ وقد قدمنا في الإعراب ما اخترناه من هذه الأقوال، فقال عدد من كبار الأدباء: إنها واو الثمانية. قال ابن هشام: واو الثمانية ذكرها جماعة من الأدباء كالحريري، ومن النحويين الضعفاء كابن خالويه، ومن المفسرين كالثعلبي، وزعموا أن العرب إذا عدوا قالوا ستة سبعة وثمانية إيذاناً بأن السبعة عدد تام، وأن ما بعده عدد مستأنف، واستدلوا على ذلك بآيات إحداها: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ وقيل: هي في ذلك لعطف جملة على جملة، إذ التقدير: هم سبعة، ثم قيل: الجميع كلامهم[1]، وقيل: العطف من كلام الله تعالى، والمعنى: نعم هم سبعة وثامنهم كلبهم، وأن هذا تصديق لهذه المقالة، كما أن رجماً بالغيب تكذيب لتلك المقالة. وبعد كلام طويل قال: وأقول لو كان لواو الثمانية حقيقة، لم تكن الآية منها، إذ ليس فيها ذكر عدد البتة، وإنما فيها ذكر الأبواب، وهي جمع لا يدل على عدد خاص، ثم الواو ليس داخلة عليه، بل على جملة هو فيها.

وقال آخرون في الرد على من زعم وجود واو الثمانية: وهو أن في اللغة واواً تصحب الثمانية، وتختص بها، فأين ذكر العدد في أبواب الجنة حتى ينتهي إلى الثامن فتصحبه الواو؟! وربما عدوا من ذلك ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وهو الثامن من قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ وهذا مردود أيضاً بأن الواو إنما اقترنت بهذه الصفة لتربط بينها وبين الأولى التي هي الآمرون

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: ثمانية، كما يقتضيه السياق.

بالمعروف؛ لما بينهما من التناسب والربط، ألا ترى اقترانهما في جميع مصادرهما ومواردهما، كقوله: ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وكقوله: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وربما عد بعضهم من ذلك الواو في ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ لأنه وجدها مع الثامن، وهـذا غلط فاحش، فإن هذه واو التقسيم، ولو ذهبت تحذفهـا فتقول: ثيبات أبكاراً لم يستدل الكلام، فقد وضح أن المراد في جميع هذه المواضع المعدودة واردة لغير ما زعمه هؤلاء.

قلت: لو سقطت الواو من أبكار لاختل المعنى؛ لأنهن لا يكنّ ثيبات أبكاراً في وقت معاً، فاضطر إلى الواو لتدل على المغايرة. هذا وقد كان القاضي الفاضل صاحب الطريقة المصنوعة في الإنشاء يعتقد زيادة الواو في هذه الآية، ويتبجح باستخراجها، ويقول: هي واو الثمانية، إلى أن ذكر ذلك بحضرة الشيخ أبو الجود المقري، فبين له أنه واهم، وأن الضرورة تدعو إلى دخولها، وإلا فسد المعنى، بخلاف واو الثمانية، فإنه يؤتى بها لا لحاجة، فقال: أرشدتنا يا أبا الجود.

هذا. وممن أيد وجود واو الثمانية الإمام فخر الدين الرازي، وقال العلامة الكافيجي قولاً طريفاً منصفاً في هذا الصدد، نورده بنصّه: هي في التحقيق واو العطف، لكن لما اختص استعمالها بمحل مخصوص، وتضمنت أمراً غريباً، واعتباراً لطيفاً، ناسب أن تسمى باسم غير جنسها، فسميت واو الثمانية لمناسبة بينها وبين سبعة، وذلك لأن السبعة عندهم عقد تام كعقود العشرات لاشتمالها على أكثر مراتب أصول الأعداد فإنَّ الثمانية عقد مستأنف، فكان بينهما اتصال من وجه، وانفصال من وجه، وهذا هو المقتضي للعطف، وهذا المعنى ليس موجوداً بين السبعة والستة. وأقول: إن توجيه تمام السبعة هو أن العدد إما فرد وإما مركب من فردين، وهو الزوج، أو من زوج وفرد، أو من زوجين، والثلاثة الأول من الثلاثة، فإن في ضمنها الواحد والاثنين والآخر من الأربعة. ومجموع الثلاثة والأربعة سبعة، فتمت بها

الأصول، وما يأتي تكرار، فالثمانية زوج وزوج قد مضى، والتسعة زوج وفرد، وهكذا.

هذا؛ وسيأتي المزيد من هذا البحث عند الكلام على: ﴿فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ وعلى: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ فقد طال البحث جداً.

* الفوائد:

(١) أحكام العدد وتمييزه:

مميز العدد على ضربين: منصوب ومجرور، فالمجرور على ضربين: مفرد ومجموع، فالمفرد: مميز المئة والألف، والمجموع مميز الثلاثة إلى العشرة، والمنصوب: مميز أحد عشر إلى تسعة وتسعين، ولا يكون إلا مفرداً، ومما شذ عن ذلك قولهم: ثلاثمئة إلى تسعمئة اجتزؤوا بلفظ الواحد عن الجمع، وقد رجع إلى القياس من قال:

ثلاث مئين للملوكِ وفى بها ردائي وجلت عن وجوه الأهاتم

فجاء بتمييز الثلاث جمعاً من لفظ المئة على ما يقتضيه القياس، وإن كان شاذاً في الاستعمال، ويجوز في التمييز حينئذ وجهان: أحدهما: الإتباع على البدل، نحو: ثلاثة أثواب، والنصب على التمييز، نحو: ثلاثة أثواباً. وقوله تعالى: ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ﴾ نصب على البدل، أو عطف البيان لثلاثمئة.

هذا رأي أبي إسحاق الزجاج، قال: ولا يجوز أن يكون تمييزاً؛ لأنه لو كان تمييزاً لوجب أن يكون أقل ما لبثوا تسعمئة سنة؛ لأن المفسر يكون لكل واحد من العدد، وكل واحد سنون، وهو جمع، والجمع أقل ما يكون ثلاثة، فيكونون قد لبثوا تسعمئة سنة، وأجاز الفراء أن يكون سنين تمييزاً على حد قوله:

فيها اثنتان وأربعونَ حلوبةً سُوداً كخافيةِ الغرابِ الأَسْحَمِ

قال: وذلك أنه جاء في التمييز سوداً، وهو جمع؛ لأن الصفة والموصوف شيء واحد، والمذهب الأول لأن الثواني يجوز فيها ما لا يجوز في الأوائل، ألا

ترى أنك تقول: يا زيد الطويل، ولو قلت: يا الطويل لم يجز.

هذا، والبيت لعنترة من معلقته التي مطلعها:

هل غادر الشُّعراءُ من متردَّمِ أم هل عرفتَ الدَّارَ بعد تَوَهُّمِ

وقبل البيت المستشهد به:

مـا راعنـي إلاَّ حَمُـولَـةُ أَهْلِهـا وَسْطَ الدِّيارِ تسفُّ حبَّ الخِمْخمِ

وراعني: أفزعني، والحمولة: الإبل التي يحمل عليها، ووسط ظرف، وإذا لم يكن ظرفاً حركت السين، فقلت: وَسَط الدار واسع، وتسف: تأكل، يقال: سففت الدواء أسفه، والحلوبة: المحلوبة تستعمل في الواحد والجمع على لفظ واحد، والخوافي: أواخر ريش الجناح مما يلي الظهر، والأسحم: الأسود، واثنتان مرفوع بالابتداء، وأربعون معطوف عليه، وقوله سوداً نعت لحلوبة؛ لأنها في معنى الجمع، والمعنى من الحلائب، والكاف في قوله «كخافية» في موضع نصب، والمعنى سوداً مثل خافية الغراب الأسحم. ومما ذكرناه في تفسير الحلوبة وصلاحيتها للإطلاق على الواحد والجمع تعلم ما في قولهم: إن الشاهد في هذا البيت جواز وصف المميز المفرد بالجمع، وادعائهم أن حلوبة مفرد مميز للعدد، وأنه وصف بالجمع، وهو سود الذي هو جمع سوداء، وزعم الأعلم أن قوله سوداً ليس بوصف، وإنما هو حال من قوله: «اثنتان وأربعون» قال: وهو حال من نكرة، ويجوز رفعه على النعت، ولا يكون نعتاً لحلوبة؛ لأنها مفردة إذا كانت تمييزاً للعدد، وسوداً جمع، ولا ينعت الواحد بالجمع. وليس بشيء؛ لأنهم غفلوا عن السر، وهو إطلاق حلوبة على الواحد والجمع.

هذا؛ ونلخص فيما يلي أحكام العدد عامة:

ألفاظ العدد من ثلاثة إلى تسعة تكون على عكس المعدود في التذكير والتأنيث، سواء كانت مفردة كقوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ أو مركبة، كخمسة عشر قلماً، وست عشرة ورقة، أو معطوفاً كثلاثة وعشرين يوماً، وأربع وعشرين ساعة، وأما واحد واثنان فهما على

وفق المعدود في الأحوال الثلاثة، وأما مئة وألف فلا يتغير لفظهما في التذكير والتأنيث، وكذلك ألفاظ العقود كعشرين وثلاثين، إلا عشرة فهي على عكس معدودها إذا كانت مفردة، وعلى وفقه إذا كانت مركبة.

هذا؛ ويصاغ من اسم العدد وصف على وزن فاعل مطابق لموصوفه، أما تعريف العدد، فالمضاف تدخل «أل» على المضاف إليه، والمركب تدخل ﴿أل﴾ على جزئه الأول، والمعطوف تدخل «أل» على الجزأين.

وأما إعراب الأعداد فعلى ثلاثة أشكال:

١ ـ بالحركات من واحد إلى عشرة، على أن تكون هذه مفردة غير مركبة، ويستثنى منها العدد اثنان للمذكر، واثنتان للمؤنث، فإنهما لفظان ملحقان بالمثنى.

وكذلك العددان مئة وألف.

٢ ـ بالحروف، وهو العدد اثنان للمذكر، واثنتان للمؤنث والعقود.

٣ ـ بالبناء على الفتح، وهي الأعداد المركبة، أي: من أحد عشر إلى تسعة عشر، ومن الحادي عشر إلى التاسع عشر، ما عدا الجزء الأول من اثني عشر؛ لأنه يلحق بالمثنى كماتقدم.

☆ اسم الفاعل المشتق من العدد:

يستعمل اسم الفاعل المشتق من العدد على معنيين:

أحدهما: أن يكون المراد به واحداً من جماعة.

وثانيهما: أن يكون فاعلاً كسائر أسماء الفاعلين.

فالأول نحو: ثاني اثنين، وثالث ثلاثة، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ وقال عز وجل: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ فما كان من هذا الضرب فإضافة محضة؛ لأن معناه أحد ثلاثة وبعض ثلاثة، فكما أن إضافة هذا صحيحة، فكذلك ما هو في معناه،

ولا يجوز فيه أن ينون وينصب في قول أكثر النحويين؛ لأنه ليس مأخوذاً من فعل عامل، وأما الثاني وهو ما يكون فاعلاً كسائر أسماء الفاعلين نحو: ثالث اثنين، ورابع ثلاثة، وخامس أربعة، فهذا غير الوجه الأول، إنما معناه: هو الذي جعل الاثنين ثلاثة بنفسه، فمعناه الفعل، كأنه قال الذي ثلثهم وربعهم وخمسهم، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ ومثله: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ . . . رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ وعلى هذا الوجه يجوز أن ينون وينصب ما بعده، فتقول: هذا ثالث اثنين، ورابع ثلاثة؛ لأنه مأخوذ من ثلثهم وربعهم، فهو بمنزلة: هذا ضارب زيداً، والأول أكثر، قال سيبويه: قلما تريد العرب هذا، يعني: خامس أربعة، فإن أضفته، فهو بمنزلة: ضارب زيد، فتكون الإضافة غير محضة، هذا إذا أريد به الحال أو الاستقبال، فإن أريد به الماضي لم يجز فيه إلا حذف التنوين والإضافة، كما كان كذلك في قولك: هذا ضارب زيد أمس.

(٢) التعجب وصيغه في العربية:

التعجب: انفعال يحدث في النفس عند الشعور بأمر خفي سببه، ولهذا يقال: إذا ظهر السبب بطل العجب، ولا يطلق على الله أنه متعجب؛ إذ لا شيء يخفى عليه، وما وقع مما ظاهره ذلك في القرآن فمحمول على أنه مصروف إلى المخاطب، نحو قوله تعالى: ﴿ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ أي: إن حالهم في ذلك اليوم ينبغي لك أيها المخاطب أن تتعجب منه، وقيل: التعجب هو استعظام فعل فاعل ظاهر المزية فيه، وقوله تعالى هنا: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ ذهب العلماء فيه ثلاثة مذاهب:

١ ـ أنه بلفظ الأمر ومعناه الخبر، والباء مزيدة في الفاعل إصلاحاً للفظ، فإن قلت: كيف تكون الهاء فاعلاً، وهي ضمير نصب أو جر؟ قلت: إنما هو اصطلاح، وساغ ذلك لوجود الباء لفظاً قبلها؛ ولأن الباء إنما زيدت ليصير على صورة المفعول.

٢ ـ أن الفاعل ضمير المصدر .

٣ ـ أن الفاعل ضمير المخاطب، واحتج القائلون بذلك على أنه لا يعهد استعمال الأمر في الماضي وإنما التزم إفراده وتذكيره فلم يثن ولم يجمع ولم يؤنث؛ لأنه كلام جرى مجرى المثل، وهذه إحدى صيغ التعجب القياسية .

والثانية ما أفعله، وهاتان الصيغتان هما المبوب لهما في كتب النحو وهما القياسيتان، ومعنى ما كما قال سيبويه: إنها نكرة تامة بمعنى شيء، وابتدىء بها لتضمنها معنى التعجب، وما بعدها من الجملة الفعلية في موضع رفع خبرها، وهذا هو المذهب الصحيح؛ لأن قصد المتعجب الإعلام بأن المتعجب منه ذو مزية إدراكها جلي، وسبب الاختصاص بها خفي، فاستحقت الجملة المعبر بها عن ذلك أن تفتح بنكرة غير مختصة؛ ليحصل بذلك إبهام متلو بإفهام .

وهنالك صيغ أخرى للتعجب واردة في الكتاب والحديث ولسان العرب، فمن الكتاب: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ﴾ ومن الحديث قوله ﷺ لأبي هريرة: «سبحان الله إن المؤمن لا ينجس» ومن كلام العرب: لله دره فارساً. ولكن النحاة لم يبوبوا بهذه الصيغ؛ لأنها لم تدل على التعجب بالموضع، بل بالقرينة .

* مسائل هامة :

١ ـ لا يتعجب إلا من معرفة، أو نكرة مختصة، فلا يقال: ما أسعد رجلاً؛ لأنه لا فائدة من ذلك .

٢ ـ يجوز حذف المتعجب منه إذا كان ضميراً، كقول علي بن أبي طالب كما قيل :

جزى اللهُ عني والجزاءُ بفضله ربيعةَ خيراً ما أعفّ وأكرما

أي: ما أعفها وأكرمها. وإنما قلنا كما قيل؛ لأن هذا البيت لم يثبت لعلي، وفي القاموس في مادة «ودق» نقلاً عن المازني، وصوبه الزمخشري، أنه لم

يصح أنه تكلم بشيء من الشعر غير بيتين، وهما قوله:

تِلْكُم قريشٌ تَمَنَّاني لِتَقْتُلَني فلا وربِّكَ لا بَرُّوا ولا ظَفِروا
وإنْ هَلَكْتُ فَرَهْنٌ ذِمَّتي لَهُمُ بذاتِ وَدْقَيْنِ لا يَعْفُو لها أَثَرُ

وفي باب: أفعِل به إن كان معطوفاً على آخر مذكور معه، كما في الآية: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ وإنما حذف مع كونه فاعلاً؛ لأن لزومه للجر كساه صورة الفضلة، وشذ حذفه دون أن يعطف على مثله، كقول عروة بن الورد:

فَذَلِكَ إنْ يَلْقَ المنيَّةَ يَلْقَها حَميداً وإنْ يَسْتَغْنِ يوماً فَأَجْدِرِ

فحذف المتعجب منه، ولم يكن معطوفاً على مثله.

هذا؛ ولا يبنى هذان الفعلان إلا مما اجتمعت فيه ثمانية شروط:

١ ـ أن يكون فعلاً، وشذ قولهم: ما أذرع المرأة بنوه، من قولهم: امرأة ذراع، والذراع كسحاب: الخفيفة اليدين بالغزل. وروى ابن القطاع في «الأفعال»: ذرعت المرأة خفت يدها في العمل، فهي ذراع، وعلى هذا لا شذوذ في قولهم: ما أذرع المرأة، ومن ذلك قولهم: ما أجدره بكذا، وما أقمنه بكذا، فالأول بنوه من قولهم: هو قمين بكذا، والثاني من قولهم: هو جدير بكذا، والمعنى فيهما: ما أحقه بكذا، ولا فعل لهما، ولكن قال في القاموس: وقد جدر ككرم جدارة، وإنه لمجدرة أن يفعل، ومجدور، أي: مخلقة، وجدره: جعله جديراً. وطاح كلام النحاة من أساسه.

٢ ـ أن يكون الفعل ثلاثياً، فلا يبنيان من رباعي مجرد، ولا مزيد فيه، ولا ثلاثي مزيد بحرف أو حرفين أو ثلاثة إلا وزن أفعل، فقيل: يجوز بناؤهما منه سواء كانت الهمزة فيه للنقل، أم لا، نحو: ما أظلم الليل، وما أقفر هذا المكان، وقيل: هو شاذ يحفظ ما سمع منه كما تقدم، ولا يقاس عليه، وقالوا: ما أعطاه للدرهم، وما أولاه للمعروف، وما أتقاه لله، وشذ كذلك: ما أخصره؛ لأنه من اختصر.

٣ ـ أن يكون الفعل متصرفاً؛ لأن التصرف فيما لا يتصرف نقض لوضعه، وشذ ما أعساه، وأعسى به.

٤ ـ أن يكون معناه قابلاً للتفاضل، أو التفاوت، فلا يبنيان من نحو: فني ومات وغرق؛ لأنه لا مزية فيه لبعض فاعليه على بعض حتى يتعجب منه.

٥ ـ أن يكون مبنياً للمعلوم، فلا يبنيان من المبني للمجهول، وبعضهم استثنى ما كان ملازماً للبناء على المجهول، نحو: عنيت بحاجتك، وزهي علينا، فيجيز التعجب لعدم اللبس، فتقول: ما أعناه بحاجتك، وما أزهاه علينا.

٦ ـ أن يكون تاماً، فلا يبنيان من نحو كان وكاد وصار؛ لأنهن نواقص، وحكى ابن السراج والزجاج: ما أكون زيداً قائماً.

٧ ـ أن يكون مثبتاً، فلا يبنيان من منفي، سواء كان ملازماً للنفي نحو: ما عاج بالدواء، أي: ما انتفع به، ومضارعه يعيج ملازم للنفي أيضاً، كذا قال النحاة، وطاح كلامهم بوروده غير منفي، روى أبو علي القالي في «نوادره»: أنشدنا ثعلب عن ابن الأعرابي:

ولم أَرَ شيئاً بعدَ لَيْلى أَلَذُّهُ ولا مَشْرَباً أَرْوَى به فَأَعِيجُ

أي: أنتفع به، أم غير ملازم للنفي لئلا يلتبس المنفي بالمثبت.

٨ ـ أن لا يكون اسم فاعله على وزن أفعل فعلاء، فلا يبنيان من نحو عرج، فهو أعرج من العيوب، وشهل فهو أشهل من المحاسن، وخضر الزرع فهو أخضر من الألوان، ولمي فهو ألمى من الحلي؛ لأن الألوان والعيوب والمحاسن الظاهرة جرت مجرى الخلق الثابتة التي لا تزيد ولا تنقص، كاليد والرجل وسائر الأعضاء في عدم التعجب منها.

شرط تاسع:

وهناك شرط تاسع أغفله الكثير من النحاة، مع أنه مهم جداً، وهو: أن لا يستغنى عنه بالمصوغ من غيره، نحو: قال من القائلة، فإنهم لا يقولون: ما أقيله استغناء بقولهم: ما أكثر قائلته، ذكره سيبويه، ونحو: سكر وقعد وجلس، فإنهم لا يقولون: ما أسكره وأقعده وأجلسه، استغناء بقولهم:

ما أشد سكره، وأكثر قعوده وجلوسه، وزاد ابن عصفور: قام وغضب ونام، وحكى سيبويه: ما أنومه، وقالوا: أنوم من فهد.

* كيف يتم التوصل إلى التعجب مما فقد بعض الشروط:

ويتوصل إلى التعجب من الزائد على الثلاثي، ومما وصفه على أفعل فعلاء بـ: ما أشد ونحوه، وبنصب مصدرهما بعده، وبأشدد ونحوه، وبجر مصدرهما بعده، فتقول: ما أشد انطلاقه، أو حمرته، وأشدد بانطلاقه وحمرته، والمنفي والمبني للمجهول يكون مصدرهما مؤولاً لا صريحاً، نحو: ما أكثر ألاّ يقوم، وما أشد ما ضرب، واشدد بهما، وأما الناقص فيؤتى بمصدره إن كان له مصدر على نحو ما تقدم، نحو: ما أشد صيرورته جميلاً، وأما الجامدة وغير القابل للتفاوت، فلا يتعجب منهما البتة.

(٣) القول في أحد، والفرق بين الأحد والواحد:

أحد أكمل من الواحد، ألا ترى أنك إذا قلت: فلان لا يقوم له واحد، جاز في المعنى أن يقوم له اثنان فأكثر، بخلاف قولك: لا يقوم له أحد، وفي الأحد خصوصية ليست في الواحد، تقول: ليس في الدار أحد، فيجوز أن يكون من الدواب والطير والوحش والإنس، فيعم الناس وغيرهم، بخلاف ليس في الدار واحد، فإنه مخصوص بالآدميين.

ويأتي الأحد في كلام العرب بمعنى الواحد، فيستعمل في النفي والإثبات، نحو: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: واحد، وأول: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ﴾ وبخلافهما، فلا يستعمل إلا في النفي، تقول: ما جاءني من أحد، ومنه قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ وواحد يستعمل فيهما مطلقاً، وأحد يستعمل في المذكر والمؤنث، قال تعالى: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ بخلاف الواحد، فلا يقال: كواحد من النساء، بل كواحدة، وأحد يصلح للأفراد والجمع، ولهذا وصف به في قوله: ﴿مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ بخلاف الواحد والأحد له جمع من لفظه، وهو الأحدون والآحاد،

وليس للواحد جمع من لفظه، فلا يقال: واحدون، بل اثنان وثلاثة، والأحد ممتنع من الدخول في شيء من الحساب، بخلاف الواحد، فتلخص من ذلك سبعة فروق.

(٤) قصة انقطاع الوحي لفترة محدودة:

ولا بد هنا من تفصيل قصة انقطاع الوحي، فقد ذكر الرواة أن قريشاً لجأت إلى وسيلة رهيبة لتكافح بها تأثير القرآن، فأوفدت إلى يهود يثرب وفداً يسألها عن الوسائل التي تستطيع أن تقاوم بها هذا الذي جاء به محمد، فطلب منهم اليهود أن يسألوا النبي عن أمور، فلما عادوا إلى مكة ذهبوا إليه، وقالوا: يا محمد أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، قد كانت لهم قصة عجب، وعن رجل جان طوافاً قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وأخبرنا عن الروح ما هي؟ فقال لهم النبي: «أخبركم عما سألتم غداً».

وكان رسول الله ينتظر أن ينزل عليه وحي فيه جواب ما سألت عنه قريش، ولكن الوحي أبطأ على النبي خمسة عشر يوماً، وطارت قريش فرحاً بعجزه عن الجواب، وقالت: وعدنا محمد غداً، واليوم خمس عشرة ليلة، قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألناه، وقد أحزن النبي انقطاع الوحي عنه حزناً شديداً، وزاد في قلقه ما كان يتكلم به أهل مكة، وفي ختام هذا اليوم نزل جبريل فابتدره بقوله:

«لقد احتبست عني يا جبريل! حتى سؤت ظناً» فرد عليه جبريل بالآية الكريمة: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ ثم أخذ جبريل يلقن النبي سورة «الكهف» وفيها ـ كما سيأتي ـ رد على ما سألت قريش، وتفصيل رائع لكثير من الأمور التي تشغل الأذهان إذ ذاك، وقد أخذت عليهم إجابات سورة الكهف السبيل، فلم يحيروا رداً ولا جواباً.

﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾

☆ اللغة:

﴿ مُلْتَحَدًا ﴾: ملتجأ تجنح إليه لائذاً إن هممت بالتبديل للقرآن. وفي المصباح: قال أبو عبيدة: ألحد إلحاداً: جادل وماري، ولحد: جار وظلم، وألحد في الحرم: استحل حرمته وانتهكها، والملتحد بالفتح اسم الموضع، وهو: الملجأ. وفي القاموس: التحد عن الدين بمعنى ألحد، والتحد إلى كذا: مال، والتحد إلى فلان: التجأ.

﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ ﴾ لا تنصرف، يقال: عداه؛ إذا جاوزه، ومنه قولهم: عدا طوره، وجاءني القوم عدا زيد، فحق الكلام أن يقال بالنصب، أي: لا تعد عينيك، وإنما عدل إلى الرفع لأنه أراد صاحب العينين، فهو من المجاز، وسيأتي مزيد شرح له في باب البلاغة.

﴿ فُرُطًا ﴾: بضمتين، أي: مجاوزاً الحد، وقد تقدم شرح هذه المادة مفصلاً.

○ الإعراب:

﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ﴾ الواو عاطفة، واتل فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، والفاعل مستتر تقديره: أنت، [illegible] به، وجملة أوحي صلة، وإليك متعلقان بأوحي، ومن كتاب ربك حال من ما ﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ لا نافية للجنس، ومبدل اسمها مبني على الفتح، ولكلماته خبر، والجملة حالية، ولن تجد عطف، ومن دونه حال،

وملتحداً مفعول به ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ واصبر عطف، وهو فعل أمر، والفاعل مستتر تقديره: أنت، ونفسك مفعول به، ومعنى الصبر هنا: حبس النفس وتثبيتها. وفي المختار: الصبر: حبس النفس عن الجزع، وبابه: ضرب، وصبره: حبسه، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ وقال عنترة يذكر حرْباً كان فيها:

فَصَبَرْتُ عارفةً لذلك جَسرةً تَرْسُو إذا نفسُ الجبان تَطَلَّعُ

أي: حبست نفساً عارفة لذلك البلاء، وضمّن عارفة معنى صابرة فعداه باللام، وجسرة، أي: قوية صلبة، ويروى حرة تسكن إذا طلعت نفس الجبان من مستقرها وطارت شعاعاً. ومع الذين ظرف مكان متعلق باصبر، جملة يدعون ربهم صلة، وربهم مفعول به، وبالغداة والعشي متعلقان بيدعون، وجملة يريدون وجهه حال ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ عطف على واصبر، ولا ناهية، وتعد مجزوم بلا، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، وعيناك فاعل، وعنهم متعلقان بتعد، وجملة تريد زينة الحياة الدنيا حال، والدنيا صفة، وسيأتي القول مفصلاً عنها في باب: الفوائد ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ الواو عاطفة على ما تقدم، ولا ناهية، وتطع مجزوم بها، والفاعل مستتر، ومن مفعول به، وجملة أغفلنا صلة، وقلبه مفعول به، وعن ذكرنا متعلقان بأغفلنا، واتبع هواه فعل ماض، وفاعل مستتر، ومفعول به، والواو عاطفة، وكان واسمها وخبرها.

□ البلاغة:

المجاز العقلي:

في قوله: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ﴾ مجاز عقلي لأنه أسند فعل عدا، أي: تجاوز إلى العينين، ومن حقه أن يسندهما إليه؛ لأن عدا متعد بنفسه كما تقدم، وإنما جنح إلى المجاز لأنه أبلغ من الحقيقة، فكأن عينيه ثابتتان في الرنو إليهم، وكأنما أدركتا ما لا تدركان، وأحستا بوجوب النظر إلى هؤلاء، وصبر النفس، ورياضتها على ملازمتهم.

وقيل: هو من باب التضمين، فقد ضمن عدا معنى نبا وعلا، من قولهم: نبت عينه عنه؛ إذا اقتحمته ولم تعلق به، والغرض من هذا التضمين إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقوى من إعطاء معنى مفرد، أي: لا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم، وهو جميل أيضاً.

* الفوائـد:

* القاعدة في اسم التفضيل أنه إذا كان مقترناً بأل، امتنع وصله بمن الجارة، فلا يقال: فلان الأفضل من فلان، ووجبت مطابقته لما قبله إفراداً وتثنية وجمعاً وتذكيراً وتأنيثاً، وقد شذ وصله بمن في قول الشاعر:

ولستَ بالأكثرِ منهم حَصىً ... وإنَّما العـزةُ للكـاثـرِ

وإذا تجرد من أل والإضافة، فلا بد من إفراده وتذكيره في جميع أحواله، وأن تتصل به من الجارة ولو تقديراً، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾

وإذا أضيف إلى نكرة وجب إفراده وتذكيره، وامتنع وصله بمِن الجارة.

وإذا أضيف إلى معرفة امتنع وصله بمن الجارة، وجاز فيه وجهان: الإفراد والتذكير، كالمضاف إلى نكرة، ومطابقته لما قبله، وقد ورد الاستعمالان في القرآن، فمن الأول: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ﴾ ولم يقل أحرصي الناس، ومن الثاني: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا﴾.

☆ حكم الدنيا: هذا؛ والقياس أن تأتي الدنيا بالألف واللام؛ لأنها صفة في الأصل على وزن فُعلى، والمذكر الأدنى له، فمن حقها المطابقة كما أتت في الآية التي نحن بصددها، على أنهم استعملوها استعمال الأسماء، فهم لا يكادون يذكرون معها الموصوف، فاستعملوها بغير ألف ولام كسائر الأسماء، قال العجاج:

يومَ ترى النفوسَ ما أعدتِ ... من نـزلٍ إذا الأمـورُ غبّـتِ

في سعي دنيا طالما قد مدت ... حتى انقضى قضاؤها فأدتِ

وقال بشامة بن حزن النهشلي، وقيل: للمرقش الأكبر:

وإن دعوتِ إلى جُلَّى ومكرمةٍ يوماً سَراة كرامِ النَّاسِ فادْعِينا

فقيل: جلى مؤنث أجل على حد الأكبر والكبرى، وبذلك يجري مجرى دنيا في سيرورة الاستعمال استعمال الأسماء، وقيل: هو مصدر كالرجعى والبشرى بمعنى الرجوع والبشارة، فأما قول أبي النواس الحسن بن هانىء يصف الخمر:

كـأنَّ صغـرى وكبرى مـن فَـواقِعِهـا
حَصْبـاءُ دُرٍّ على أرضٍ مـن الـذَّهَـبِ

فقد عابه بعضهم لكونه استعملها نكرة، وهذا الضرب من الصفات لا يستعمل إلا معرفة، والاعتذار عنه أنه استعملها استعمال الأسماء؛ لكثرة ما يجيء منه بغير تقدم موصوف، ويجوز أن يكون لم يرد فيه التفضيل، بل معنى الفاعل، كأنه قال: كأن صغيرة وكبيرة من فواقعها، على حد قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ وقيل: إن «من» المذكورة زائدة، وكبرى مضافة إلى فواقعها، لكن يرد على هذا أن زيادة من في الموجب لا تجوز.

وقال ابن الأثير في «المثل السائر»: ألا ترى أن أبا نواس كان معدوداً في طبقات العلماء مع تقدمه في طبقات الشعراء، وقد غلط فيما لا يغلط مثله فيه، فقال في صفة الخمر:

كـأنَّ صغـرى وكبرى مـن فَـواقِعِهـا
حَصْبـاءُ دُرٍّ على أرضٍ مـن الـذَّهَـبِ

وهذا لا يخفى على أبي نواس، فإنه من ظواهر علم العربية، وليس من غوامضه في شيء؛ لأنه أمر نقلي يحمله ناقله فيه على النقل من غير تصرف، وقول أبي نواس «صغرى وكبرى» غير جائز؛ فإن فعلى أفعل لا يجوز حذف الألف واللام منها، وإنما يجوز حذفها من فعلى التي لا أفعل لها، نحو: حبلى إلا أن تكون فعلى أفعل مضافة، وهاهنا قد عريت عن الإضافة وعن

الألف واللام، فانظر كيف وقع أبو نواس في مثل هذا الموضع مع قربه وسهولته.

ورد ابن أبي حديد في كتاب «الفلك الدائر» على هذا القول بأن قال: لا ينكر أن كثيراً من أئمة العربية طعن في هذا البيت، ولكن انتصر لأبي نواس كثير منهم، فقالوا: وجدنا فُعلى أفعل في غير موضع واردة بغير لام ولا إضافة، ولا من، مثل دنيا في قول الراجز:

في سعي دنيا طالما قد مدت.

وقول آخر:

وإن دعوت إلى جلى ومكرمة.

وقول الآخر:

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة.

وقالوا: طوبى لك. وفي البيت وجه آخر، وهو أن تكون من في قوله: من فواقعها زائدة، على مذهب أبي الحسن الأخفش في زيادة من في الواجب؛ فإنه يذهب إلى ذلك، ويحتج بقوله تعالى: ﴿فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ﴾ أي: فيها برد، وهذا يرجح أن يكون صغرى وكبرى في البيت مضافتين.

وقال الشيخ بهاء الدين بن النحاس: هذا عجيب من مثل هذا الرجل الفاضل، أما إيراده دنيا وأخواتها فكل وجوهها مذكورة في كتب النحاة بما يغني عن الإطالة بذكره بخلاف صغرى وكبرى، وأما قوله بزيادة من، فكأنه يظن أن من إذا كانت زائدة كان الجر بالإضافة، أو كانت الإضافة باقية، وهذا لا وجه له، وإنما الجر بحرف الجر لأن حروف الجر لا تعلق، وأما زيادة حرف الجر بين المتضايفين فلم يقل به إلا في مثل لا أبالك على شذوذ، وليس هذا منه، ولا يريد الأخفش بقوله: إن من تزاد في الواجب ما أراد ابن أبي الحديد. ومثله قول العروضيين فاصلة صغرى وفاصلة كبرى، أي: صغيرة

وكبيرة، لا يريدون التفضيل، وإنما يريدون الاسم وقول أبي تمام يصف الربيع:

دنيا معاشٍ للورَى حتَّى إذا حلَّ الربيعُ فإنَّما هي مَنْظَرُ

غلبت الاسمية عليها حتى لم يعد يلمح الأصل التفضيل فيها.

وننتهز الفرصة لنورد أبياتاً من القصيدة التي منها هذا البيت لأبي نواس لحسنها، ومطلعها:

ساعٍ بكأسٍ إلى ناشٍ على طربِ كلاهما عَجَبٌ في مَنْظرٍ عجبِ

قامَتْ تُرِيني وسترُ الليلِ منسدلٌ صُبْحاً تولَّد بين الماء والعنبِ

كأنَّ صُغرى وكُبرى... البيت، وبعده:

كأنَّ تُرْكاً صُفوفاً في جوانبها تُواتِرُ الرَّمْيَ بالنُّشَّابِ من كَثَبِ

في كفِّ ساقيةٍ ناهيكَ ساقيةً في حُسْنِ قدٍّ وفي ظَرْفٍ وفي أَدَبِ

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ أَعْتَدْنَا ﴾: أعددنا وهيأنا، وفي القاموس: عتّد وأعتد الشيء: هيأه

وأعده، وعتُد الشيء يعتُد من باب: ظرف وجمل، عَتاداً: تهيأ، وتعتّد في صنعته: تأنّق فيها، والعتاد: ما أعد لأمر ما، وكل ما هيىء من سلاح وآلة حرب، والجمع أعتُد، وعُتُد، وأعتدة.

﴿ سُرَادِقُهَا ﴾: السُّرادِق ـ بضم السين وكسر الدال ـ: الفسطاط الذي يمد فوق صحن البيت، والخيمة، والغبار، والدخان المرتفع المحيط بالشيء، والجمع سرادقات. وفي الكشاف: شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق، وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط، وبيت مسردق: ذو سرادق، وقيل: هو دخان يحيط بالكفار قبل دخول النار، وقيل: حائط من نار يطيف بهم. وقال الراغب: السرادق: فارسي معرب، وليس في كلامهم اسم مفرد ثالث حروفه ألف بعدها حرفان إلا هذا. وفي المختار: السرادق مفرد، والجمع سرادقات الذي يمد فوق صحن الدار، وكل بيت من كرسف، أي: قطن فهو سرادق، ويقال: بيت مسردق. قال الجوهري: والسرادق: واحد السرادقات، وهي التي تمد فوق صحن الدار، وكل بيت من كرسف فهو سرادق، ومنه قول رؤبة:

يا حَكَمُ بن المنذرِ بن جارودْ　　سُرادِقُ المَجْدِ عليك ممدودْ

وقال الشاعر:

هو المُدْخِل النُّعْمان بيتاً سَماؤُه　　صُدورُ الفُيولِ بَعْدَ بَيْتٍ مُسَرْدَقِ

يقوله سلامة بن جندل لما قتل ملك الفرس ملك العرب النعمان بن المنذر تحت أرجل الفيلة.

(المهل): بضم الميم، اسم يجمع معدنيات الجواهر كالفضة والحديد والصفر، ما كان منها ذائباً، القطران الرقيق، الزيت الرقيق، السم، القيح، أو صديد الميت خاصة، ما يتحات عن الخبز من الرماد، وقيل: هو كعكر الزيت، أي: ما بقي في الإناء منه، والخلاصة: هواسم جامع لكل المستقذرات التي تغثى منها النفس، وتتألم، وتنفر.

﴿ مُرْتَفَقًا ﴾: تقدم ذكر هذه المادة في هذه السورة، وهي هنا: متكأ من

المرفق، وهذا المشاكلة قوله: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ الآتي، وإلا فلا ارتفاق لأهل النار ولا اتكاء، وقد يكون من وادي قوله:

إنِّي أَرِقْتُ فَبِتُّ الليلَ مُرْتَفِقاً كأنَّ عَيْنِيَ فيها الصَّابُ مَذْبُوح

والارتفاق: الاتكاء على المرفق مع نصب الساعد، وهي هيئة المتحزن المتحسِّر، والصاب: نبت مرّ كالحنظل، والمذبوح: المشقوق، وهو كناية عن البكاء وانصباب الدموع، والبيت لأبي ذؤيب الهذلي.

(السندس): ما رقّ من الديباج.

(الإستبرق): ما غلظ من الديباج، والإستبرق يونانية، والسندس فارسية، وقيل: هندية، وقد تقدم ذكرهما في جدول أحصينا فيه الألفاظ الأعجمية.

○ الإعـراب:

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ الحق خبر لمبتدأ محذوف، ومن ربكم حال، ويجوز أن يكون الحق مبتدأ، ومن ربكم خبره، فمن شاء الفاء استئنافية، ومن شرطية مبتدأ، وشاء فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والفاعل مستتر تقديره: هو، والفاء رابطة للجواب؛ لأن الجملة طلبية، واللام لام الأمر، ويؤمن مضارع مجزوم بلام الأمر، ومن شاء فليكفر عطف على سابقتها ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ إن واسمها، وجملة أعتدنا خبرها، وللظالمين متعلقان بأعتدنا وناراً مفعول به، وأحاط بهم سرادقها الجملة صفة لنار، وأحاط فعل ماض وبهم متعلقان بأحاط، وسرادقها فاعل أحاط ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، ويستغيثوا فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل، ويغاثوا جواب الشرط، وبماء متعلقان بيغاثوا، وكالمهل صفة لماء، وجملة يشوي الوجوه صفة ثانية، أو حال، والوجوه مفعول به ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ بئس فعل ماض جامد من أفعال الذم، والشراب فاعل، والمخصوص بالذم محذوف، أي: هي،

وساءت عطف على بئس، ومرتفقاً تمييز محول عن الفاعل، أي: مرتفقها، ولا تلتفت لمن أعربها مصدراً ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ إن واسمها، وجملة آمنوا صلة، وعملوا الصالحات عطف على آمنوا، إنا لا نضيع يجوز أن تكون هذه الجملة خبر إن، أو يجوز أن تجعلها معترضة، وإن واسمها، وجملة لا نضيع خبرها، وفاعل نضيع مستتر تقديره: نحن، وأجر مفعول به، ومن موصول مضاف إليه، وجملة أحسن صلة، وعملاً تمييز، ويجوز أن يكون مفعولاً به، وفاعل أحسن ضمير هو الرابط إذا جعلت «إنا لا نضيع» خبر «إن الذين» أو الرابط هو تكرر الظاهر بمعناه ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ الجملة خبر ثان لإن الذين، أو خبر إذا جعلت جملة «إنا لا نضيع» معترضة، وأولئك مبتدأ، ولهم خبر مقدم، وجنات عدن مبتدأ مؤخر، والمبتدأ الثاني، وخبره خبر أولئك، وجملة تجري من تحتهم الأنهار حال من جنات، أو صفة لها، فصار لهم بذلك نوعان من الثواب من خمسة أنواع، والثلاثة الباقية هي: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ﴾ يحلون فعل مضارع مبني للمجهول، الواو نائب فاعل، وفيها حال، أي: حال كونهم في الجنة، أو متعلقان بيحلون، ومن أساور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول محذوف، أي: حلياً من ذهب، ومن ذهب صفة لأساور، ويلبسون عطف على يحلون، والواو فاعل، وثياباً مفعول به، وخضراً صفة، ومن سندس صفة، أو حال من ثياباً، وإستبرق عطف على سندس، ومتكئين حال من أولئك، وفيها حال أيضاً، فهي متداخلة، وعلى الأرائك متعلقان بمتكئين، فتمت بذلك النعم السوابغ الخمس ﴿ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ تقدم إعراب نظيرتها، فجدد به عهداً.

□ البلاغة:

في هذه الآيات فنون كثيرة من البلاغة، تقدم ذكر معظمها، فنكتفي بالإشارة إليها:

(١) التهكم:

في قوله تعالى: ﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ فقد سمى أعلى أنواع العذاب إغاثة، والإغاثة هي الإنقاذ من العذاب تهكماً بهم، وتشفياً منهم، والتهكم: فن طريف من فنونهم، من تهكمت البئر: إذا تهدمت، أو من التهكم بمعنى الغضب الشديد، أو الندم على أمر فائت، فالبشارة فيه إنذار، والوعد معه وعيد، والإجلال للمخاطب المتهكم به تحقير، وهذه الآية من أحسن شواهده؛ إذ جعل الإغاثة ضد الإغاثة نفسها، ففيه إلى جانب التهكم مشاكلة أيضاً. وقد افتتن الشعراء بهذا المعنى، وأخذه بعضهم بلفظه، فأجاد من جهة، وأسف من جهة التركيب، وذلك بقوله يهجو بخيلاً:

أبـات الضُّيـوف على سَطْحِـه فبـات يُـريهـم نجـومَ السَّمـاء
وقـد فتـتَ الجـوعُ أكبـادَهُـم وإن يستغيثـوا يُغـاثُـوا بمـاء

وقد برع فيه من شعرائنا ابن الرومي، وأوردنا نماذج من تهكمه، ونورد الآن أبياتاً له يتهكم فيها بصاحب لحية طويلة:

ارع فيها الموسى فإنَّك منها يشهـــدُ الله في آثـــامٍ كبير
أيّمـا كـوسـجٍ يـراهـا فيلقـى ربَّـه بعـدهـا صحيـح الضَّمير
هو أحرى بأن يشكّ ويغرى بـاتِّهـام الحكـم في التَّقـديـر
لحية أهملتْ فسالتْ وفاضتْ فــإليهـا تشيرُ كــفّ المشير
ما رأتها عينُ امرىء ما رآها قــطّ إلا أهـــلَّ بـــالتَّكْبِير
روعــة تستخفّــه لم يُــرَعْهـا مَـن رأى وَجْـهَ منكـرٍ ونكير
فـاتـق اللهَ ذا الجـلال وغيِّـر منكـراً فيـك مُمْكِـن التَّغيير
أو فقصِّر منها فحسبكَ منها نصـف شبـرٍ عـلامـة التَّـذكير

ومغالطته بادية من دخيلة إحساسه بهيبة اللحية، حتى البحتري لم تسلم لحيته من هجوه إذ يقول:

البحتريّ ذنــوبُ الــوجـهِ تعـرفُـه
ومـا رأينـا ذنـوبَ الـوجـهِ ذا أدب

(٢) التشبيه المؤكد:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَآ﴾ فقد شبه النار المحيطة بهم بالسرادق المضروب على من يحتويهم، وأضيف السرادق إلى النار، فذلك هو التشبيه المؤكد، وهو أن يضاف المشبه إلى المشبه به، كقول بعضهم:

والريحُ تعبثُ بالغصونِ وقد جرى
ذهـــبُ الأصيـــلِ على لجينِ المـــاء

فقد أضاف الأصيل، وهو المشبه، إلى الذهب، وهو المشبه به، كما أضاف الماء الذي هو المشبه، إلى اللجين الذي هو المشبه به، وقد رمقه شوقي فقال في وصف دمشق:

دخلتُهـا وحـواشيهـا زمـردةٌ والشَّمسُ فوق لجينِ الماء عقيان

والمراد بالتشبيه المؤكد قوله لجين الماء، أما حواشيها زمردة والشمس عقيان، فهو من التشبيه البليغ المضمر الأداة.

(٣) المشاكلة:

وذلك في قوله: ﴿وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ فقد ذكر الارتفاق مشاكلة، لقوله فيما بعد في وصف أهل الجنة: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ لأن ارتفاق اليد في النار لا يصح، بل فيها العذاب والضرر، وقد ذكرنا في باب: اللغة أنه يجوز أن يكون الارتفاق ناشئاً عن الهم والعذاب، كقول الهذلي المتقدم فلا مشاكلة، ومن طريف المشاكلة قول بعضهم، وقد دعاه إخوانه إلى صبوح، وليس لديه ثياب يلبسها، فكتب إليهم.

إخـوانـنـا قَصَـدُوا الصّبـوحَ بسحـرةٍ
وأتـــى رســـولُهـــم إِلـــيَّ خصيصـــا
قالوا التمسْ شيئاً نجدْ لك طبخه
قلـــتُ اطبخُـــوا لي جُبَّـــةً وقميصـــا

ومن المفيد أن نشير إلى تأنيث حسنت وساءت، وذلك على المعنى، أي:

ساءت النار مرتفقاً، وحسنت الجنة مرتفقاً.

(٤) الاستتباع:

وهو فن جميل، يتقصى الشيء الذي تتصدى للكتابة عنه باستقصاء الأوصاف المحيطة به، والملائمة له، فلا يكاد المتكلم يذكر معنى من المعاني، أو يتناول غرضاً من الأغراض، حتى يستتبع معنى آخر من جنسه يقتضي زيادة في وصفه، فقد ذكر تعالى الجنة جزاء للذين آمنوا وعملوا الصالحات، فوصفها بأن الأنهار تجري خلالها من تحتهم، ثم ذكر الأساور حلية لهم، ونكرها لإبهام أمرها في الحسن، وجمع بين السندس والإستبرق، وهما ما رقّ وغلظ من ألبسة الحرير على عادة المترفين؛ الذين يعدون ثياباً للصيف تصلح له، وللشتاء لباساً أخرى تلائم حالات البرد الشديد، وخص الاتكاء بالذكر لأنه هيئة المنعّمين المترفين المسترخين على المقاعد والسرر في الأبهاء الممتعة، والقصور المنيفة، فسبحان قائل هذا الكلام.

ومن الاستتباع في الشعر قول المتنبي:

نَهَبْتَ مِنَ الأعمارِ ما لَوْ حَوَيْتَهُ لَهُنِّئَتِ الدُّنيا بأنَّكَ خالِدُ

فقد استتبع مدحه بالشجاعة مدحه بأنه سبب لصلاح الدنيا حيث جعلها مهنأة بخلوده؛ لأنه سبب عمرانها. ومثله قوله أيضاً:

إلى كَمْ تَرُدُّ الرُّسْلَ عمَّا أَتَوْا بهِ كأنَّهُمُ فيما وَهَبْتَ مَلَامُ

فقد مدح سيف الدولة بالشجاعة أيضاً، واستتبع في باقي البيت مدحه بالكرم لعصيان الملام في الهبات، والمعنى: إنك تردهم عما يطلبون من الهدنة ردك لوم اللائمين لك في العطاء، أي: كما أنك لا تصغي إلى ملامة لائم في سخائك، فكذلك لا تقبل الهدنة، وهذا من أروع ما تبتكره الأذهان. ومن الفائدة أن نورد أبياتاً مختارة من هذه القصيدة التي قالها في مديح سيف الدولة، وقد وردت عليه رسل الروم يطلبون الهدنة في سنة أربع وأربعين وثلاثمئة، أولها:

أَرَاعَ كـذا؟ كُـلَّ الملـوكِ هُمَـامُ وَسَحَّ لَهُ رُسْلَ الملوكِ غَمَامُ؟

يقول: هل راع ملك جميع الملوك، كما أرى من روعك إياهم، وهل تقاطرت الرسل على ملك كما تقاطرت عليك. جعل توالي الرسل عليه كسح الغمام. وفي البيت براعة استهلال؛ لأنه أشار فيه، وهو مطلع القصيدة، إلى موضوع الرسل، ثم قال:

وَدَانَـتْ لـه الـدُّنيـا فـأصبـحَ جَـالِسـاً
وأيّـامُهـا فيمـا يُـريـدُ قِيـامُ
إذا زارَ سيـفُ الـدَّولـةِ الـرُّومَ غـازيـاً
كَفَـاهـا لِمَـامٌ لـو كَفَـاهُ لِمَـامُ
فتى تَتْبَعُ الأزمانُ في النَّاسِ خَطْوَهُ
لكـلِّ زمـانٍ في يـديـه زِمَـامُ
تَـنَـامُ لـديـكَ الـرُّسْـلُ أَمْنـاً وغِبْطَـةً
وأَجْفَـانُ رَبِّ الـرُّسْـلِ ليـسَ تَـنَـامُ
حِـذَاراً لِمُعْـرَوِرِي الجِيـادِ فجَـاءَةً
إلى الطَّعْـنِ قُبْـلاً مـا لَهُـنَّ لِجَـامُ
تُعَطَّـفُ فيـه والأعِنَّـةُ شَعْـرُهـا
وتُضْـرَبُ فيـه والسِّيـاطُ كَـلاَمُ
إلى كَـمْ تَـرُدُّ الـرُّسْـلَ عمَّـا أَتَـوْا بـهِ
كـأنَّهُـمُ فيمـا وَهَبْـتَ مَـلاَمُ
وإِنْ كُنتَ لا تُعْطِي الذِّمامَ طَوَاعَةً
فَعَـوْذُ الأعـادي بـالكـريـم ذِمَـامُ
وإِنَّ نُفُـوسـاً أَمَّمَتْـكَ منيعـةٌ
وإنَّ دمـاءً أَمَّلَتْـكَ حَـرَامُ

وفيها يقول:

وَشَرُّ الحِمَامَيْنِ الزُّؤامَيْنِ عِيشَةٌ
يَذِلُّ الذي يَخْتَارُهَا ويُضَامُ
فلو كانَ صُلْحاً لم يَكُنْ بشَفَاعَةٍ
ولكِنَّهُ ذُلٌّ لَهُمْ وغَرَامُ

﴿ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿أَعْنَٰبٍ﴾: جمع عنب، والعنبة: الحبة، وفي القاموس وغيره: عنّب الكرم: صار ذا عنب، والعنب: ثمر الكرم، وجمعه أعناب، والحبة منه عِنَبَة.

﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا﴾: جعلنا النخل محيطاً بكل منهما. يقال: حفه القوم: إذا

طافوا به، وحففته بهم: إذا جعلتهم حافين حوله، فتزيده الباء مفعولاً ثانياً، كقولك: غشيه، وغشيته به، وفي الأساس: حفّوا به واحتفّوا: أطافوا، وهم حافون به، وحففته بالناس: جعلتهم حافّين به و«حُفّت الجنة بالمكاره» ﴿وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾ ودخلت عليه وهو محفوف بخدمه، وهودج محفف بالديباج، قال امرؤ القيس:

رَفَـعْنَ حَوايا واقْـتَعَدْنَ قعائداً وحَفَّفْنَ مِن حَوْكِ العراقِ المنمَّقِ

وجلسوا حفافيه، وحفافي سريره، وهما جانباه، وركبت في محفتها، وهو رجل محفوف بثوب، وما بقي في شعر رأسه إلا حِفاف، وهو طرَّة حول رأسه، وحفّت المرأة وجهها واحتفّته: أخذت شعره، وحفّ الفرس والريح والطائر والسهم حفيفاً، وهو صوت مروره، ولأغصان الشجرة حفيف.

﴿ثَمَرٌ﴾: أنواع من المال من ثمر ماله: إذا كثره بالتشديد، وفي المصباح: الثمر ـ بفتحتين ـ والثمرة مثله، فالأول مذكر، ويجمع على ثمار، مثل: جبل وجبال، ثم يجمع على ثمر، ككتاب وكتب، ثم يجمع على أثمار، مثل: عنق وأعناق، والثاني مؤنث، والجمع ثمرات، مثل: قصبة وقصبات، والثمر هو الحمل الذي تخرجه الشجرة، سواء أكل أو لا، فيقال: ثمر الأراك، وثمر العوسج، وثمر الدوم، وهو المقل، كما يقال: ثمر النخل، وثمر العنب، قال الأزهري: وأثمر الشجر: أطلع ثمره أول ما يخرجه، فهو مثمر، ومن هنا قيل لما لا نفع فيه: ليس له ثمرة، وفي الأساس: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾ أي: مال، وانظر ثمر مالك ونماءه، ومال ثمِر: مبارك فيه، وأثمر القوم وثمروا ثموراً: كثر مالهم، وثمُر ماله يثمُر: كثر، وفلان مجدود ما يثمُر له مال. والمراد في الآية أنه كان إلى جانب الجنتين الموصوفتين الأموال الدائرة من الذهب والفضة وغيرهما، وكان وافر اليسار من كل وجه.

﴿حُسۡبَانًا﴾: إما أن تكون مصدراً، كالغفران والبطلان، فإن لحسب مصادر عديدة، تقول: حسَبه بفتح السين، يحسُبه بضمها، حَسْباً وحساباً وحِسباناً وحُسباناً وحِسبة وحسابَة: عده، وتقول: حسِبه بكسر السين،

يحسبه بكسرها وفتحها، حسباناً ومحسِبة ومحسَبة: ظنه، وتقول: حسُب بضم السين، يحسُب بضمها أيضاً، حَسَباً وحَسابة: كان ذا حسب وذا كرم، فهو حسيب، فإلى أي الفروع ينتمي هذه المصدر؟ واضح مما تقدم أنه ينتمي إما إلى حسَب يحسُب بمعنى العد، والمعنى عندئذ: يرسل عليها مقداراً من العذاب قدره الله وحسبه، وهو تخريبها، والإطاحة بها، وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداه، وإما أن تكون حُسباناً جمع حُسبانة بضم الحاء، وهي السهم، أو الصاعقة، وقال الزجاج: عذاب حسبان، وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك.

﴿زَلَقًا﴾: صفة لصعيداً، أي: ملساء لا تثبت عليه القدم، وفي القاموس: الزلق ـ بفتحتين ـ والزلق ـ بفتح فسكون ـ: أرض ملساء ليس بها شيء، وصيرورتها كذلك لاستئصال نباتها.

﴿غَوْرًا﴾: مصدر غار في الأرض، أي: ذهب، فلا سبيل إليه، فهو بمعنى الفاعل، أي: غائراً في الأرض لا يدرك، وزاد أبو نصر غؤوراً، وغارت عينه تغور غؤوراً، وغارت الشمس تغور غؤوراً أيضاً، والغَور الاسم، يقال: سقطت في الغَوْر يعني: الشمس، وغار الرجل يغور غَوراً: إذا أتى الغور، وزاد اللحياني: وأغار أيضاً، وأنشد بيت الأعشى:

نَبِيٌّ يَرَى مالا تَرَوْنَ وذِكْرُهُ أَغَارَ لَعَمْري في البلادِ وأَنْجَدا

فهذا على ما قال اللحياني، وكان الكسائي يقول: هو من الإغارة، وهي: السرعة، وكان الأصمعي يقول: أغار ليس هو من الغَور، إنما هو بمعنى عدا. وقال اللحياني: يقال للفرس: إنه لمغوار، أي: شديد العدو، والجمع مغاوير، والتفسير الأول الوجه؛ لأنه قال: وأنجدا، فإنه أراد أن الغور، وأتى نجداً، والغور تهامة، وغار فلان على أهله يغار غيرة، ورجل غيور من قوم غُيُر، وامرأة غَيْرَى من نساء غَيارَى. وقال الأصمعي: فلان شديد الغار على أهله، أي: شديد الغَيرة، وزاد اللحياني: والغَيْر، وقال أبو نصر: أغار فلان على بني فلان يُغير إغارة، وقال اللحياني: يقال للرجل:

إنه لمغوار، أي: شديد الإغارة، والجمع: مغاوير، وقال أبو نصر: يقال: غارهم يغيرهم: إذا مارهم، والغيار المصدر، قال عبد مناف بن ربعي الهذلي:

مـاذا يَغيـرُ ابْنَتَـيْ رِبْـعٍ عَـوِيلُهُمـا
لا تَـرْقُـدانِ ولا بُـؤْسَـى لمـن رَقَـدا

يريد: أنه لا يغني بكاؤهما على أبيهما من طلب ثأره شيئاً.

وقال أبو نصر: الغاران: البطن والفرج، يقال: المرء يسعى لغاريه، أي: لبطنه وفرجه، وقال أبو عبيدة: يقال لفم الإنسان وفرجه: الغاران، وقال أبو نصر: الغار كالكهف في الجبل، ويقال: في أمثالهم: «عسى الغوير أبؤساً» وأصله: أنه كان غار فيه ناس، فانهار عليهم، أو أتاهم فيه عدو فقتلوهم فيه، فصار مثلاً لكل ما يخاف منه الشر، وقيل: إن الغوير اسم ماء بناحية السماوة، قالته الزباء لما رأت قصيراً الذي جاء يأخذ بثأر جذيمة الأبرش، عن طريق الغوير. والغوير: تصغير غار، وخلاصة معنى المثل: عسى أن يكون جاء البأس من الغار، وحسبنا ما تقدم، فهذه المادة لا يدرك غورها.

﴿خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: العروش في المصباح: العرش: شبه بيت من جريد يجعل فوقه الثمام، والجمع عروش. فهو في الأصل صنع ليوضع عليه الكرم، فإذا سقط ما عليه، وقد تقدم تقريره.

﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾: بفتح الواو وبكسرها: الملك، والقهر، والسلطة.

○ الإعراب:

﴿۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ تقدم في سورة البقرة أن ضرب مع المثل يجوز أن يتعدى لاثنين؛ لأنه بمعنى الجعل، فاضرب فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، ولهم متعلقان باضرب، ومثلاً مفعول به، ورجلين لك أن تجعلها بدلاً من مثلاً، فيكون لهم بمثابة المفعول الثاني، ومثلاً هو المفعول الأول، ولك أن تجعل رجلين هي المفعول الثاني، وسيأتي حديث الرجلين ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا

جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ جملة جعلنا صفة لرجلين، ولأحدهما مفعول ثان لجعلنا، جنتين مفعول أول، ومن أعناب صفة لجنتين، وحففناهما عطف على جعلنا، وهو فعل وفاعل ومفعول به، وبنخل متعلقان بحففناهما، وجعلنا بينهما زرعاً عطف على ما تقدم، وقد تقدم إعراب نظيرتها ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ كلتا مبتدأ، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف؛ لأنه اسم مقصور، وسيأتي حكم كلا وكلتا في باب: الفوائد، وجملة آتت أكلها خبر كلتا، وقد روعي لفظها فأتى الخبر مفرداً، ولم تظلم عطف على آتت، ومنه حال لأنه كان صفة لشيئاً، وشيئاً إما مفعول به على أن تظلم بمعنى تنقص، أو مفعول مطلق، وقد تقدم تحقيق ذلك، ومن نوادر كلام العرب: قيل لأعرابي: أتأكل العنب؟ قال: ما ظلمني أن آكله، أي: ما منعني. قال أبو عثمان سعيد بن هارون الأشناندانى: ومنه قول الله عز وجل: ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ أي: لم تمنع ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ فجرنا فعل وفاعل، وخلالهما ظرف متعلق بفجرنا، ونهراً مفعول به ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ الواو عاطفة، وكان فعل ماض ناقص، وله خبر كان المقدم، وثمر اسمها المؤخر، فقال عطف على وكان، ولصاحبه متعلقان بقال، والواو للحال، وهو مبتدأ، وجملة يحاوره خبر، والجملة حالية، والمراد به أحدهما ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ الجملة مقول القول، وسيأتي أنه قال ثلاث قولات منافية للحق في باب: البلاغة، وأنا مبتدأ، وأكثر خبر، ومنك متعلقان بأكثر، ومالاً تمييز، وأعز نفراً عطف على أكثر مالاً ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ ودخل جنته فعل وفاعل ومفعول به على السعة، وهو الواو للحال، وهو مبتدأ، وظالم خبر، والجملة حالية، ولنفسه متعلقان بظالم، وقال فعل ماض والفاعل مستتر تقديره: هو، وجملة ما أظن مقول القول، وأن وما بعدها سدت مسد مفعولي أظن، وهذه فاعل تبيد، وأبداً ظرف زمان متعلق بتبيد ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ وما أظن عطف على ما أظن الأولى، والساعة مفعول به أول، وقائمة مفعول به ثان، وأراد وهو منكر للبعث:

ما أحسب الساعة قائمة كما تزعم، كما أن شكه في بيدودة جنته وأمواله ناشىء عن طول اغتراره وهيمنة الحرص عليه، ولئن: الواو عاطفة، واللام موطئة للقسم، وإن شرطية، ورددت فعل ماضي مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط، والتاء نائب فاعل، ولأجدن: اللام واقعة في جواب القسم وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم، كما هي القاعدة، على حد قول صاحب الخلاصة:

واحذفْ لدى اجتماع شَرْطٍ وقَسَم
جـوابَ مـا أخَّـرْتَ فهـو مُلْتَـزَمْ

وخيراً مفعول به لأجدن، ومنها متعلقان بخيراً، ومنقلباً تمييز، أي: مرجعاً، فهو مصدر، ويجوز أن نعرب خيراً حال، ومنقلباً مفعول، أي: منقلباً خيراً من منقلب هذه الدنيا ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ قال فعل ماض، وله متعلقان به، وصاحبه فاعل، والواو للحال، وهو مبتدأ، وجملة يحاوره خبر، والهمزة للاستفهام التوبيخي والتقريعي، وكفرت فعل وفاعل، وبالذي متعلقان بكفرت، وجملة خلقك صلة، ومن تراب جار ومجرور متعلقان بخلقك، وثم من نطفة عطف، وثم حرف عطف، وسواك فعل ماض وفاعل مستتر، والكاف مفعول به، ورجلاً حال، وإنما ساغ مجيئه حالاً، وهو غير مشتق لأنه بعد سواك إذ كان من الجائز أن يسويه غير رجل، وسيأتي بحث ذلك مفصلاً في باب: الفوائد، ويجوز أن يعرب مفعولاًثانياً لسواك، وأعربه بعضهم تمييز ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ لكنا: الأصل لكن أنا، فألقيت حركة الهمزة المحذوفة على النون، وأدغمت النون في النون، والجيد حذف الألف في الوصل وإثباتها في الوقف؛ لأن أنا كذلك، والألف فيه زائدة لبيان الحركة، وأنا مبتدأ، وهو، أي: ضمير الشأن، مبتدأ ثان، والله مبتدأ ثالث، وربي الخبر، والياء عائدة على المبتدأ الأول، ولا يجوز أن تكون لكن المشددة العاملة نصباً، إذ لو كان كذلك لم يقع بعدها هو؛ لأنه ضمير مرفوع، ويجوز أن يكون

اسم الله بدلاً من هو، ومثل هذا التركيب قول القائل:

وتَرْمِينني بالطَّرفِ أي أنت مذنبٌ

وتَقْلينني لكن إيَّاكِ لاأَقْلي

ولكن أصله: لكن أنا، فنقلت حركة الهمزة إلى النون، ثم حذفت، ثم ادغمت النون في النون بعدها، وحذفت الألف الأخيرة في الرسم كاللفظ، ولو أجرى الوصل مجرى الوقف لثبتت، وقدم المفعول، وهو إياك، للاهتمام ببراءتها من قلاه، وتخصيصها بذلك دون غيرها من النساء. وواضح أن قوله: «ترمينني بالطرف» استعارة تصريحية؛ لأنه شبه إطلاق البصر بإطلاق الحجر. والواو استئنافية، ولا نافية، وأشرك فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: أنا، وبربي متعلقان بأشرك، وأحداً مفعول به ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ ولولا: الواو عاطفة، ولولا حرف تحضيض، أي: هلا، وإذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بقلت، وما شاء الله ما موصولة في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، أي: هذا الذي شاءه الله من بدائع الجمال، وتهاويل النعم، وتعاجيب المنن والآلاء، أو نعرب ما مبتدأ، والخبر محذوف تقديره: كان، والجملة مقول القول، وجملة شاء الله صلة، والعائد محذوف كما قدرناه، ويجوز أن تكون شرطية منصوبة الموضع بفعل الشرط، والجواب محذوف، أي: كان، والمعنى: أي شيء شاءه الله كان، والجملة كلها مقول القول، ولا نافية للجنس، وقوة اسمها المبني على الفتح، وإلا أداة حصر، وبالله خبر لا ﴿ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ إن شرطية، وترني فعل الشرط، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، والنون للوقاية، والياء مفعول به، وحذفت في رسم المصحف، وأنا ضمير فصل، وأقل مفعول به ثان لترني، ويجوز أن تعرب أنا توكيداً للياء، ومنك متعلقان بأقل، ومالاً تمييز، وولداً عطف عليه ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط؛ لأنه اقتران بفعل الرجاء، وهو جامد، وقد تقدمت مواضع وجوب ربط الجواب بالفاء، المجموعة في قول بعضهم:

اسميـــةٌ طلبيَّـــةٌ وبجـــامـــدٍ وبمـا ولـن وبقـد وبـالتَّنفيـس

وربي اسم عسى، وأن وما في حيزها في محل نصب خبرها، وخيراً مفعول ثان ليؤتيني، ومن جنتك متعلقان بخير ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ ويرسل عطف على يؤتيني، والفاعل مستتر تقديره: هو، وعليها متعلقان بيرسل، وحسباناً مفعول به، فتصبح: الفاء عاطفة على ما تقدم، وتصبح فعل مضارع منصوب؛ لأنه عطف على ما تقدم، واسم تصبح مستتر تقديره: هي، وصعيداً خبر تصبح، وزلقاً نعت لصعيد من باب: الوصف بالمصدر ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾ أو حرف عطف، ويصبح معطوف على ما قبله، وماؤها اسم يصبح، وغوراً خبرها، والفاء عاطفة، ولن حرف نفي ونصب واستقبال، ويستطيع منصوب بلن، والفاعل ضمير مستتر تقديره: أنت، وله متعلقان بطلباً، وطلباً مفعول به ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ الواو عاطفة على محذوف يقدر بحسب مدلول الكلام، أي: فانقضت الصواعق على جنته، وغارت الأمواه فيها، وأحيط بثمره بالهلاك أيضاً، وأحيط فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر، وبثمره متعلقان بأحيط، فأصبح عطف، واسمها مستتر تقديره: هو، وجملة يقلب كفيه خبرها، وعلى ما متعلقان بيقلب؛ لأنه ضمن معنى يندم، وسيأتي سر هذا التعبير في باب: البلاغة، ويجوز أن يتعلق الجار والمجرور بمحذوف على أنه حال من فاعل كفيه، أي: نادماً ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ الواو للحال، وهي مبتدأ، وخاوية خبر، وعلى عروشها خبر ثان، وقد تقدم إعرابه، ويقوله عطف على يقلب، أو الواو للحال، وجملة يقول حال من فاعل يقلب، وجملة يا ليتني لم أشرك مقول القول، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وبربي متعلقان بأشرك، وأحداً مفعول به، وقوله يا ليتني تقدم بحثه مراراً، وهو أن تكون يا للتنبيه، أو للنداء، والمنادى محذوف ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ الواو للعطف، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وتكن فعل مضارع ناقص

مجزوم، وله خبرها المقدم، وفئة اسمها المؤخر، وجملة ينصرونه صفة لفئة، وذكّرت الصفة، وجمعت؛ لأن الفئة تتضمن الجمع، وهو يتضمن الذكور والإناث، ومن دون الله حال، والواو حرف عطف، وما نافية، وكان واسمها المستتر، ومنتصراً خبرها ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ هنالك اسم إشارة في محل نصب على الظرفية المكانية، وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم، والولاية مبتدأ مؤخر، ولله متعلقان بما في معنى اسم الإشارة، أو بمتعلقه، والحق صفة لله، ويجوز أن يتعلق اسم الإشارة بمعنى الاستقرار في لله، والولاية مبتدأ، ولله خبره، أي: مستقرة لله، ويجوز أن يتعلق بالولاية نفسها؛ لأنها مصدر بمعنى النصرة، وهو مبتدأ، وخير خبر، وثواباً تمييز، وخير عقباً عطف على خير ثواباً، وعقباً بمعنى عاقبة.

□ البلاغة:

حفلت هذه الآية بأفانين متعددة من فنون البلاغة، وهذا هو التفصيل:

(١) التتميم والاحتراس والكناية:

التتميم أو التمام، وقد تقدم بحثه مستوفى في سورة البقرة، عند قوله تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ الآية، وهو هنا في وصف الجنتين، فإن قوله تعالى: ﴿ ۞وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ يحتمل أن تكون الجنتان مجرد اجتماع شجر متكاثف، ويستر بظل غصونه الأرض، كما تقتضيه الدلالة اللغوية على معنى الجنة، أو يكون النفع منها ضئيلاً كشجر الأثل والخمط ونحوهما، فيكون أسفه عليها أقل من أن تكون الجنتان من نخيل وأعناب ينتفع بما تثمرانه عليه، ثم تمم ذلك أيضاً بقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ لئلا يتوهم أن الانتفاع قاصر على النخيل والأعناب، ولتكون كل من الجنتين جامعة للأقوات والفواكه متواصلة العمار على الشكل الحسن والترتيب الأنيق، ثم تمم ذلك بقوله: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ للدلالة على ديمومة الانتفاع بهما، فإن الماء هو سر الحياة، وعامل النمو

الأول في النباتات، وإذاً فقد استكمل هذا الرجل كل الملاذّ، واستوفى ضروب النعم، ثم تمم ذلك بقوله: ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا ﴾ لاستحضار الصورة التامة للانتفاع بالموارد، واحترس بقوله: ﴿ وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ﴾ من أن يكون ثمة نقص في الأكل الذي آتته، وليكون كناية عن تمام الجنتين ونموهما دائماً وأبداً، وأنهما ليستا على عادة الأشجار، حيث يتم ثمرها، فتؤتيه ببعض السنين دون بعض، أو تأتي بالثمر ناقصاً عاماً بعد عام، فهي فيّاضة المورد في كل حين، فقد استوفى وصف الجنتين هذه الفنون الثلاثة جميعاً.

(٢) اللف والنشر المشوش:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴾ الآية، وحاصل ما قاله هذا الكافر ثلاث مقالات شنيعة، وهي:

١ ـ ﴿ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾.

٢ ـ عندما دخل جنته متكبراً مزهواً ظالماً لنفسه قال وقد رنحه الغرور: ﴿ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴾.

٣ ـ والثالثة: بادئاً بالآخرة لأنها الأهم، قائلاً: ﴿ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ ﴾ وثنى بالثانية ناصحاً لأنها تأتي في المرتبة بعدها، فقال: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ ﴾ الخ وثلث بالأولى مقرعاً، فقال: ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ ﴾.

فهو لف ونشر مشوش، قد تقدم ذكره.

(٣) عودة إلى التتميم والكناية:

ثم عاد إلى التتميم، فصور الإطاحة بالجنتين وبالثمر معاً، فقال: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ ﴾ ثم وصف حالته، فقال: ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا ﴾ وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر؛ لأن النادم يقلب كفيه ظهراً لبطن، كما كنى عن ذلك بعضّ الأنامل، والسقوط في اليد.

* قصة الرجلين الأخوين:

وهو أن أحد الرجلين اللذين ضرب بهما المثل، وقد رويت قصتهما على طرق شتى، وخلاصتها: أن رجلين أخوين من بني إسرائيل، أحدهما كافر اسمه قطروس، والآخر مؤمن اسمه يهوذا، ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار، فتشاطراها، فاشترى الكافر أرضاً بألف، فقال المؤمن: اللهم إن أخي اشترى أرضاً بألف دينار، وأنا أشتري منك أرضاً في الجنة بألف، فتصدق به، ثم بنى أخوه داراً بألف دينار، فقال المؤمن: اللهم إني أشتري منك داراً في الجنة فتصدق به، ثم تزوج أخوه امرأة بألف، فقال: اللهم إني جعلت ألفاً صداقاً للحور، ثم اشترى أخوه خدماً ومتاعاً بألف، فقال: اللهم إني اشتريت الولدان المخلدين بألف، فتصدق به، ثم أصابته حاجة، فجلس لأخيه على طريقه، فمر به في حشمه، فتعرض له، فطرده، ووبخه على التصدق بماله، وقيل غير ذلك، وإنما أوردنا القصة على خلاف شرطنا في هذا الكتاب لطرافتها، ولتكون نبراساً للمبدعين من الكتاب.

(٤) المبالغة:

وفي قوله تعالى: ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾ فن يقال له: المبالغة والإفراط في الصفة، كما سماها ابن المعتز، والتسمية الأولى لقدامة، وهو: أن يذكر المتكلم حالاً لو وقف عندها لأجزأت، فلا يقف عندها حتى يزيد في معنى كلامه ما يكون أبلغ في معنى قصده، وقد جاءت المبالغة في الكتاب العزيز على ضروب، نذكر ما ورد منها فيه:

أولاً ـ فمنها المبالغة في الصفة المعدولة، وقد جاءت على ستة أمثلة:

أ ـ فعلان كرحمن، عدل عن راحم للمبالغة، ولا يوصف به إلا الله، ولم تنعت العرب به أحداً في جاهلية ولا إسلام إلا مسيلمة الكذاب، نعتوه به مضافاً، فقالوا رحمان اليمامة، وأنشد شاعر من بني حنيفة يمدح به مسيلمة:

سموتَ بالمجدِ يا بنَ الأكرمين أباً
وأنتَ غيثُ الورى لا زلتَ رحمانا

ب ـ فعّال معدول عن فاعل للمبالغة، كقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾.

جـ ـ وفعول عدل عن فاعل للمبالغة، كغفور وشكور.

د ـ فعيل عدل عن فاعل للمبالغة، كعليم وحكيم.

وهذه الصيغ الأربع وردت في القرآن، وهناك صيغتان: مفعل كمطعن، ومفعال كمطعام ومبطار.

ثانياً ـ إخراج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة والإخبار عنه مجاز، وقد جاء منه في القرآن قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ فجعل مجيء جلائل آياته مجيئاً له للمبالغة.

ثالثاً ـ إخراج الممكن من الشرط إلى الممتنع ليمتنع وقوع المشروط، وقد تقدم ذكر هذا النوع في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾.

رابعاً ـ ما كان مجازاً فصار بالقرينة حقيقة كقوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ فإن اقتران هذه الجملة بيكاد يصرفها إلى الحقيقة، فانقلبت من الامتناع إلى الحقيقة والإمكان.

خامساً ـ وقسم أتى بصيغة اسم التفضيل، وهو محض الحقيقة من غير قرينة، كقوله تعالى: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ وهو الذي نحن في صدده.

سادساً ـ ما بولغ بصفته على طريق التشبيه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ۝٣٢ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾

* المبالغة في الشعر:

هذا ما ورد من المبالغة وضروبها في الكتاب العزيز. أما هي في الشعر

ففنون تتشعب، وأنواع اختلفت مقاييسها ومعاييرها، كما اختلفت آراء الناس فيها، فمنهم من يستجيدها، ويراها الغاية القصوى في الجودة، ومنهم نابغة بني ذبيان، وهو القائل: أشعر الناس من استجيد كذبه، وضحك من رديئه. وقد أورد صاحب «العمدة» مثالاً على ذلك ما جرى بين النابغة وحسان بن ثابت ومطالبته حسان بن ثابت بالمبالغة، واتهامه بالتقصير، في قوله:

لنا الجفناتُ الغرّ يَلْمَعْنَ بالضُّحى
وأسيافنا يَقْطُرْنَ من نجدةٍ دما

وهي مشهورة مستفيضة في كتب الأدب، وأورد صاحب «العمدة» من أبيات المبالغة التي اختلفت الآراء فيها قول امرىء القيس:

كأنَّ المدامَ وصوبَ الغمام
وريحَ الخُزَامى ونَشْرَ القُطُرْ
يُعَلُّ به بردُ أنيابها
إذا غرَّد الطائرُ المستحرّ

فوصف فاها بهذه الصفة سحراً عند تغير الأفواه بعد النوم، فكيف تظنها أول النوم، وفي أول الليل؟ وقال امرؤ القيس:

تَنَوَّرْتُها من أَذْرِعاتٍ وأهلُها بِيَثْرِبَ أدنى دارِها نظرٌ عالِ

وبين المكانين بعد أيام.

وقال أيضاً يصف نارها:

نظرتُ إليها والنُّجومُ كأنَّها مَصابيحُ رُهْبانٍ تُشَبُّ لِقُفَّالِ

يقول: نظرت إلى نار هذه المرأة تشب لقفال، والنجوم كأنها مصابيح رهبان، وإنما يرجع القفال من الغزو والغارات وجه الصباح، فإذا رأوها من مسافة أيام وجه الصباح، وقد خمد سناها، وكل موقدها، فكيف كانت أول الليل؟ وشبه النجوم بمصابيح الرهبان لأنها في السحر يضعف نورها، كما يضعف نور المصابيح الموقدة ليلهاأجمع، فربما نعسوا في ذلك الوقت.

* تعريف آخر للمبالغة:

وذهب قوم إلى أن المبالغة: إفراط في وصف الشيء الممكن عادة، القريب وقوعه، وسنورد من بديع المبالغة ما يستهوي الألباب، فمن ذلك مارواه أحمد بن حمدون قال: كان الفتح بن خاقان يأنس بي، ويطلعني على الخاص من أموره، فقال لي مرة: يا أبا عبد الله! لما دخلت البارحة إلى منزلي استقبلتني جارية من جواريّ، فلم أتمالك دون أن قبلتها، فوجدت بين شفتيها هواء لو رقد فيه المخمور صحا. فكان ذلك مما يستظرف ويستملح من الفتح بن خاقان. وقد اقتبسه بعضهم فقال:

سقى الله ليلاً طابَ إذ زارَ طيفه فأنحلته حتَّى الصَّباحِ عناقا
بطيبِ نسيمٍ منه يستجلبُ الكرى ولو رَقَدَ المخمورُ فيه أفاقا

وذهب أبو تمام في المبالغة مذهباً عجيباً، فقال وأبدع متغزلاً:

تلقَّاهُ طَيفي في الكَرَى فتجنَّبا وقَبَّلْتُ يوماً ظِلَّهُ فتغضَّبا
وَخُبِّرَ أنِّي قد مَرَرْتُ ببابه لأَخْلِسَ منه نظرةً فَتَحَجَّبا
ولو مَرَّتِ الريحُ الصَّبا عند أُذْنِهِ بِذِكْري لَسَبَّ الرِّيحَ أو لَتَعتَّبا
ولم تَجْرِ منِّي خَطْرَةٌ بِضَميره فَتَظْهَرَ إلاَّ كنتُ فيه مُسَبَّبا
وما زَادَهُ عندي قَبِيحُ فَعالِهِ ولاالصَّدُّ والإعراضُ إلاَّ تَحَبُّبا

وله أيضاً:

قد قَصَرْنا دُونَكَ الأبصا رَ خَوْفاً أن تَذُوبا
كُلَّما زِدْناكَ لَحْظاً زِدْتَنا حُسْناً وطِيبا
مَرِضَتْ ألحاظُ عَيْنَيْـ ـكَ فَأَمْرَضْتَ القُلوبا

* الفوائد:

(١) كلا وكلتا:

كلا وكلتا لفظان يعربان إعراب المثنى إن أضيفا إلى الضمير، فإن أضيفا إلى الاسم الظاهر أعربا إعراب الاسم المقصور، أي: بحركات مقدرة على

الألف على كل حال، وهما اسمان ملازمان للإضافة، ولفظهما مفرد، ومعناهما مثنى، ولذلك يجوز الإخبار عنهما بما يحمل ضمير المفرد باعتبار لفظهما، وضمير المثنى باعتبار معناهما، وقد اجتمعا في قول الشاعر:

كلاهما حين جدَّ الجريُ بينهما قد أقلعا وكلا أنفيهما رابي

إلا أن اعتبار اللفظ أكثر، وبه جاء القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا ﴾ قال ابن هشام في «مغني اللبيب»: وقد سُئلت قديماً عن قول القائل: زيد وعمر كلاهما قائم، أو كلاهما قائمان؟ فكتبت: إن قُدِّر كلاهما توكيد قيل: قائمان؛ لأنه خبر عن زيد وعمرو، وإن قدر مبتدأ، فالوجهان، والمختار الإفراد، ويتعين مراعاة اللفظ في نحو: كلاهما محب لصاحبه. لأن معناه كل واحد منهما، وقوله:

كلانا غنيٌّ عن أخيهِ حياتَهُ ونحنُ إذا مُتنا أشدُّ تغانيا

ومن الأبيات التي أتى فيها ذكر «كلتا» قول حسان بن ثابت:

إنَّ التي نَاوَلْتَنِي فرددتُها قُتِلتْ، قُتِلْتَ، فهاتِها لم تُقْتَلِ
كلتاهُما حَلَبُ العَصِيرِ فعاطِني بِزُجَاجَةٍ أرخاهما للمفْصَلِ

أخبر عن التي بالمفرد فوحد، ثم قال كلتاهما فثنى، وما معنى كلتاهما حلب العصير، ولم يذكر إلا خمرة واحدة، وأخبر عن كلتاهما بأرخاهما، والصحيح الإخبار عنهما بمفرد؛ لأنهم لحنوا من قال: كلا الرجلين قاما، وكلتا المرأتين حضرتا على اللغة الفصيحة، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا ﴾ وأيضاً فالرواية صحت في المِفصَلِ أنه بكسر الميم وفتح الصاد، وإنما يقال مَفصِلِ بفتح الميم وكسر الصاد.

وأجاب الحريري وغيره عن هذه الاعتراضات بأن قال: أما قوله:

إن التي ناولتني فرددتها قتلت . . .

فإنه خاطب به الساقي الذي كان ناوله كأساً ممزوجة؛ لأنه يقال: قتلت الخمرة إذا مزجتها، فكأنه أراد أن يعلمه أنه فطن لما فعله، ثم إنه دعا عليه

بقوله: قتلت، وقوله أرخاهما للمفصل يعني به اللسان، وسمي مفصلاً لأنه يفصل به بين الحق والباطل.

وقال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري: اجتمع قوم على شراب، فغناهم المغني البيتين المتقدمين، فقال بعضهم: امرأتي طالق إن لم أسأل الليلة القاضي عبيد الله بن الحسن عن علة هذا الشعر، لم قال: إن التي فوحّد، ثم قال كلتاهما فثنّى، فأشفقوا على صاحبهم، وتركوا ما كانوا عليه، ومضوا يتخطون القبائل حتى انتهوا إلى بني شقرة، وعبيد الله يصلي، فلما أتم صلاته شرحوا له، وسألوه الجواب عن ذلك، فقال لهم: إن التي عنى بها الخمر الممزوجة بالماء، ثم قال من بعد: كلتاهما حلب العصير يريد الخمر المتحلبة من العنب، والماء المتحلب من السحاب المكنى عنه بالمعصرات في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾.

(٢) الحال الثابتة:

الأصل في الحال أن تكون منتقلة؛ لأنها مأخوذة من التحول، وهو التنقل، وتقع ثابتة في مواضع يرجع إليها في المطولات، ومنها: أن يدل عاملها على تجدد ذات صاحبها وحدوثه، أو تجدد صفة له: نحو ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ إذ كان من الجائز أن يسويه غير رجل، وقولهم خلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها، فيديها بدل من الزرافة بدل بعض من كل، وأطول حال ملازمة من يديها، ومن رجليها متعلقان بأطول؛ لأنه اسم تفضيل، وعامل الحال خلق، وهو يدل على تجدد المخلوق.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ

رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾

☆ **اللغة:**

﴿ هَشِيمًا ﴾: يابساً متفرق الأجزاء، وقال الزمخشري: الهشيم: ما تهشم وتحطم، الواحدة هشيمة، وقال ابن قتيبة: كل ما كان رطباً ويبس فهو هشيم، ويقال: صارت الأرض هشيماً، أي: صار ما عليها من النبات والشجر قد يبس وتكسّر، وللهاء مع الشين فاء وعيناً خاصة التكسر، والتحطيم، والرخاوة، وكل ما هو غير مقاوم فالهش الرخو اللين من كل شيء، وخبزة هشة: رخوة المكسر، ويقال: فلان هشّ المكسر، أي: سهل الجانب فيما يطلب عنده من الحوائج، يكون ذلك مدحاً وذماً. والهشيش كالهشيم، وهشر الناقة: حلب ما في ضرعها أجمع، وشجرة هشرة وهَشُور: يسقط ورقها سريعاً، والهيشر من الرجال: الرخو الضعيف الطويل، والهُشُم من الجبال: الرخوة، وتهشمت الأرض: أجدبت لانقطاع المطر عنها.

﴿ تَذْرُوهُ ﴾: تفرقه وتنثره وذرت الريح التراب، وأذرت العين دمعها، وعيناه تذريان الدموع، وطعنته فأذريته عن فرسه، وأذراه الفرس عن ظهره: رمى به، وذرا حدّ نابه: انسحقت أسنانه، وسقطت أعاليها، وبلغني عنه ذَرْوٌ من قول، أي: طرف منه، وأخذ في ذرو من الحديث: إذا عرّض ولم يصرح، قال صخر بن حبناء:

أتـاني عـن مغيرةَ ذَرْوُ قـولٍ وعـن عيسـى فقلتُ بـه كـذا

﴿ نُغَادِرْ ﴾: نترك، يقال: غادر وأغدره: إذا تركه، ومنه الغدر: ترك الوفاء، والغدير: ما غادره السيل، والغديرة: الشعر الذي نزل حتى طال، والجمع غدائر.

○ الإعراب:

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ الواو استئنافية، واضرب فعل أمر، ولهم متعلقان باضرب، ومثل الحياة الدنيا مفعول به أول، والكاف مفعول به ثاني، وجملة أنزلناه من السماء صفة لماء، ويجوز أن تكون اضرب بمعنى اذكر، فينصب مفعولاً واحداً، فتكون الكاف خبراً لمبتدأ محذوف، أو متعلقة بمعنى المصدر، أي: ضرباً كماء ﴿ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ ﴾ الفاء حرف عطف، واختلط فعل ماض، وبه متعلقان باختلط، ونبات الأرض فاعل، وسيأتي سر هذا التشبيه في باب: البلاغة ﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ فأصبح عطف على اختلط، واسم أصبح مستتر يعود على نبات الأرض، وهشيماً خبر أصبح، وجملة تذروه الرياح صفة لقوله هشيماً، وكان الواو استئنافية، أو حالية، وكان واسمها، ومقتدراً خبرها، وعلى كل شيء متعلقان بمقتدراً ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ المال مبتدأ، والبنون عطف على المال، وزينة الحياة مضاف إليه، والدنيا صفة ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ الواو استئنافية، والباقيات مبتدأ، والصالحات صفة، وخير خبر الباقيات، والتفضيل ليس على بابه؛ لأن زينة الدنيا ليس فيها خير، أو هو على بابه في زعم الجاهلين والمغرورين، وعند ربك متعلقان بمحذوف حال، وثواباً تمييز، وخير أملاً عطف على خير ثواباً ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ الظرف متعلق بمحذوف تقديره: اذكر، وجملة نسير مضاف إليها الظرف، والفاعل مستتر تقديره: نحن، والجبال مفعول به، وترى الأرض عطف على ما تقدم، وفاعل ترى مستتر تقديره: أنت، والأرض مفعول به، وبارزة حال؛ لأن الرؤية بصرية ﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ

نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ الواو هنا للحال، وحشرناهم فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل نصب حال، أي: نفعل التسيير في حال حشرهم ليشاهدوا بأعينهم تلك الأهوال، أو الواو عاطفة، وأريد بالماضي المستقبل، أي: ونحشرهم، ومن المفيد أن نورد هنا ما قاله الزمخشري بهذا الصدد، وهو: فإن قلت لم جيء بحشرناهم ماضياً بعد نسير وترى؟ قلت: للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير، وقبل البروز؛ ليعاينوا تلك الأهوال العظام. فلم: الفاء حرف عطف، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ونغادر فعل مضارع مجزوم بلم، وفاعله مستتر تقديره: نحن، ومنهم حال لأنه كان صفة لأحداً، وأحداً مفعول به ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ الواو عاطفة على وحشرناهم، داخلة في حيزها، وعرضوا فعل ماضي مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وعلى ربك متعلقان بعرضوا وصفاً حال من الواو في: وعرضوا ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ اللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وجئتمونا فعل وفاعل ومفعول به، وكما نعت لمصدر محذوف، أو حال، وخلقناكم فعل وفاعل ومفعول به، والجملة لا محل لها، وأول مرة نصب على الظرف متعلق بخلقناكم، وجملة لقد جئتمونا حالية، أو مقول لقول محذوف ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ بل حرف إضراب، وزعمتم فعل وفاعل، وأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، ولن حرف نفي ونصب واستقبال، ونجعل مضارع منصوب بلن، وفاعله مستتر تقديره: نحن، والجملة خبر أن، ولكم مفعول به ثان، وموعداً مفعول به أول لنجعل، وموعداً يحتمل الزمان والمكان، وإذا كان الجعل مجرد الإيجاد كانت لكم متعلقة به، وموعداً هي المفعول به ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ الواو عاطفة، ووضع فعل ماض مبني للمجهول، والكتاب نائب فاعل، فترى: الفاء عاطفة، وترى فعل مضارع مرفوع، والفاعل مستتر تقديره: أنت، والمجرمين مفعول به أول، ومشفقين مفعول به ثان، والرؤية هنا علمية، ولك أن تجعلها بصرية، فتكون مشفقين حالاً، ومما متعلقان بمشفقين، وفيه متعلقان بمحذوف صلة الموصول ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ

صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ﴾ ويقولون عطف، ويا حرف نداء، وويلتنا منادى ينادون هلكتهم التي هلكوها، وسيأتي مزيد بيان لهذا النداء في باب: البلاغة، وما اسم استفهام مبتدأ، ولهذا خبره، والكتاب بدل، وجملة لا يغادر حالية، وصغيرة مفعول به، ولا كبيرة عطف على صغيرة، وإلا أداة حصر، وجملة أحصاها صفة لصغيرة، ويجوز أن تكون مفعولاً ثانية ليغادر؛ لأنها بمعنى ترك، وهي تنصب مفعولين، والمراد بالاستفهام هنا مجرد التعجب من الكتاب في هذا الإحصاء الدقيق ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ الواو عاطفة، ووجدوا فعل وفاعل، وما مفعول به، وجملة عملوا صلة، أو ما مصدرية، والمصدر المؤول مفعول به، أي: وجدوا عملهم، وحاضراً مفعول به ثان، ولا يظلم الواو حالية، ولا نافية، ويظلم ربك أحداً فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل نصب على الحال ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ الظرف متعلق بمحذوف تقديره: اذكر، وجملة قلنا مضافة للظرف، وللملائكة متعلقان بقلنا، واسجدوا فعل أمر وفاعل، ولآدم متعلقان باسجدوا، فسجدوا فعل وفاعل، وإلا أداة استثناء، وإبليس مستثنى، والاستثناء منقطع، وقيل: متصل، وقد تقدم تقرير ذلك ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة لبيان التعليل بعد استثناء إبليس من الساجدين، كأنه جواب سؤال مقدر، وهو: لمَ لم يسجد؟ فقيل: كان، واسم كان مستتر تقديره: هو، يعود على إبليس، ومن الجن خبر، ففسق عطف على كان، وعن أمر ربه متعلقان بفسق ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التعجبي، وتتخذونه فعل مضارع وفاعل ومفعول به، وذريته يجوز أن تكون الواو عاطفة، وذريته عطف على الهاء، ويجوز أن تكون بمعنى مع، وذريته مفعول معه، وأولياء مفعول به ثان، ومن دوني متعلقان بمحذوف صفة لأولياء، أو بتتخذونه، وهم الواو للحال، وهم مبتدأ، ولكم متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان صفة لعدو، وعدو خبر هم، والجملة حال من مفعول تتخذونه، أو فاعله، وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم، وفاعله

مضمر مفسر بنكرة، وللظالمين متعلقان ببدلاً، وبدلاً تمييز، ويجوز أن يتعلق للظالمين بمحذوف حال، والخصوص بالذم محذوف تقديره: بئس، البدل إبليس وذريته ﴿ ۞مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ ﴾ ما نافية، وأشهدتهم فعل وفاعل ومفعول به، وخلق السموات والأرض مفعول به ثان، ولا خلق أنفسهم عطف على خلق السموات والأرض ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾ الواو عاطفة، وما نافية، وكنت: كان واسمها، ومتخذ خبرها، والمضلين مضاف إليه، وفيه وضع الظاهر موضع المضمر، وعضداً مفعول به ثان لمتخذ، وسيأتي الكلام عن هذا التشبيه في باب: البلاغة.

□ البلاغة:

(١) في قوله تعالى: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ إلى آخر الآية، تشبيه تمثيلي مقلوب، أما التشبيه التمثيلي فهو تشبيه الحياة الدنيا، وما فيها من زخارف تعجب المتلهي برؤيتها، والمستمتع بزينتها، حتى إذا أفاق من عمايته وجد أن ما كان يتلهى ويستمتع به باطل لا حقيقة، بالنبات الذي اختلط به الماء الهاطل من السماء، فربا، والتف، وزها، ورف، وأنبت من كل زوج بهيج، ولم تكد العين تستمتع به، والنفس تنشرح بمنظره، حتى يبس وتصوّح، ثم جف وذبل، ثم أصبح هشيماً تذروه الرياح، فكأنه ما كان. وأما التشبيه المقلوب فقد كان من حق الكلام أن يقول فاختلط بنبات الأرض، ووجهه أنه لما كان كل من المختلطين موصوفاً بصفة صاحبه، عكس للمبالغة في كثرته، وبعبارة أوضح: لما كان الاختلاط عبارة عن شيئين متداخلين صدق على كل منهما أنه مختلط ومختلط به، لكن في عرف اللغة والاستعمال تدخل الباء على الكثير غير الطارىء، فلذا جعل هذا من القلب، ولما كان القلب مقبولاً إذا كان فيه نكتة، وهي أن كلاً منهما مختلط، ومختلط به، وهي المبالغة في كثرته، حتى كأنه الأصل الكثير، فالمراد بالعكس مما قدمناه آنفاً هو القلب، وهذا من الممتع الرائع فاعرفه.

(٢) الاستعارة المكنية في قوله: ﴿ يَٰوَيۡلَتَنَا ﴾ نداء الويلة قائم على تشبيهها بشخص يطلب إقباله، كأنه قيل: يا هلاكنا أقبل فهذا أوانك.

(٣) التشبيه البليغ في قوله: ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴾ فقد شبه المضلين بالعضد الذي يتقوى به الإنسان، وأصله العضو الذي هو المرفق إلى الكتف، ولم يذكر الأداة، وقد جعله بعضهم استعارة، وهو خطأ لوجود ركني التشبيه، وهما: المشبه والمشبه به.

(٤) استعمال العام في النفي والخاص في الإثبات: وذلك في قوله تعالى: ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ ﴾ فإن وجود المؤاخذة على الصغيرة يلزم منه وجود المؤاخذة على الكبيرة، فينبغي أن يكون لا يغادر كبيرة ولا صغيرة؛ لأنه إذا لم يغادر صغيرة، فمن الأولى أن لا يغادر كبيرة، وأما إذا لم يغادر كبيرة، فإنه يجوز أن يغادر صغيرة؛ لأنه إذا لم يعف عن الصغيرة، فينبغي القياس أنه لا يعفو عن الكبيرة، وإذا لم يعف عن الكبيرة، فيجوز أن يعفو عن الصغيرة.

(٥) وفي قوله تعالى: ﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ فن الجمع، وهو أن يجمع المتكلم بين شيئين أو أكثر في حكم واحد، وهو واضح في الآية، ومنه في الحديث قوله ﷺ: «من أصبح آمناً في سربه، معافىً في بدنه، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها». فجمع الأمن، ومعافاة البدن، وقوت اليوم في حوز الدنيا بحذافيرها، وهي: النواحي، والواحد حذفار، ومنه في الشعر قول أبي العتاهية:

إِنَّ الشَّبابَ والفراغَ والجِده ... مفسدةٌ للمرء أيّ مَفْسده

وقول ابن خفاجة الأندلسي:

تعلقته ريّان من خَمْر ريقِه ... له رشفُها دوني ولي دونه السّكر

وطبنا معاً ثغراً وشعراً كأنّما ... له منطقي ثغر له ولي ثغره شعر

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ مَّوْبِقًا ﴾: اسم مكان، أو مصدر ميمي، من: وبق يبق وبوقاً، كوثب يثب وثوباً، أو وبق يوبق وبقاً، كفرح يفرح فرحاً؛ إذا هلك، أي: مهلكاً يشتركون فيه، وهو النار، وفي القاموس وغيره: وبق يبق، من باب: ضرب يضرب، ووبق يبق من باب: علم يعلم، ووبق يوبق وَبَقاً ووبوقاً ومَوْبقاً، واستوبق: هلك، فهو وبق، والموبق: المهلك، والموعد، والمحبس، وكل شيء حال بين شيئين. وعن الحسن: موبقاً: عداوة، والمعنى: عداوة هي في شدتها هلاك، وقال الفراء: البين: الوصل، أي: وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكاً يوم القيامة.

﴿ مَصْرِفًا ﴾: اسم مكان، أو زمان، وقال أبو البقاء: أي: انصرافاً، فهي

مصدر ميمي، وفي الكشاف مصرفاً: معدلاً، قال:

أَزُهَيْرُ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَصْرِفِ ... ...

﴿ جَدَلًا ﴾: خصومة في الباطل، قال الفرزدق:

ما أنتَ بالحكم الترضَّى حكومته
ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدل

﴿ قُبُلًا ﴾: عياناً ومقابلة، وفي القاموس: رأيته قُبُلاً وقَبْلاً وقَبَلاً وقِبَلاً وقُبَلاً وقبلاً وقبيلاً وقبلياً، أي: عياناً ومقابلة.

قال الفراء: إن قبلاً جمع قبيل، أي: متفرقاً يتلو بعضه بعضاً، وقيل: عياناً، وقيل: فجأة.

﴿ لِيُدْحِضُواْ ﴾: ليبطلوا ويزيلوا، من إدحاض القدم، وهو: إزلاقها وإزالتها عن موطئها. وفي المختار: دحضت حجته: بطلت، وبابه: خضع، وأدحضها الله، ودحضت رجله: زلقت، وبابه: قطع، والإدحاض: الإزلاق.

﴿ مَوْئِلًا ﴾: منجى وملجأ، والأصل: المرجع من وأل يئِل وَأْلا وموئلاً: إذا لجأ إليه، وهو هنا مصدر مصدر ميمي، وفي المصباح: وأل إلى الله يئل، من باب: وعد: التجأ، وباسم الفاعل سمي، ومنه وائل بن حجر، وهو صحابي، وسحبان بن وائل، ووأل: رجع، وإلى الله الموئل، أي: المرجع.

○ الإعـراب:

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ ﴾ الظرف متعلق بمحذوف تقديره: اذكر، وجملة يقول مضاف إليها الظرف، ونادوا فعل أمر وفاعل، وشركائي مفعول به، والذين نعت، وجملة زعمتم صلة، والعائد محذوف، أي: زعمتموهم شركاء، كما حذف المفعول الثاني لزعمتم أيضاً ﴿ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾ إما أن تعطف الجملة على محذوف مقدر، أي: فبادروا إلى آلهتهم فدعوهم، وإما أن تقدر الماضي بمعنى المستقبل، ودعوهم

فعل وفاعل ومفعول به، فلم: الفاء عاطفة، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويستجيبوا مضارع مجزوم بلم، والواو فاعل، ولهم متعلقان بيستجيبوا، وجعلنا فعل وفاعل، وبينهم الظرف متعلق بمحذوف هو المفعول الثاني، وموبقاً هو المفعول الأول، والمعنى: صيرنا بين الأوثان وعابديها مكاناً يجتمعون فيه ليهلكوا معاً ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ ورأى المجرمون النار فعل وفاعل ومفعول به، فظنوا: الفاء عاطفة، وظنوا فعل وفاعل، وإن واسمها وخبرها، وسدت مسد مفعولي ظنوا، أي: تراءت لهم من مكان بعيد، فأيقنوا أنهم واقعون فيها، والظن هنا معناه اليقين؛ لأن ذلك الحين ليس حين شك ﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ الواو عاطفة، ولم يجدوا عطف على ظنوا، وعنها متعلقان بمصرفاً؛ لأنه اسم مكان، أو زمان مشتق، أو مصدر ميمي بمعنى انصرافاً، ومصرفاً: مفعول به ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ الواو عاطفة، واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وصرفنا فعل وفاعل، وفي هذا متعلقان بصرفنا، والقرآن بدل من هذا، وللناس متعلقان بصرفنا أيضاً، ومن كل صفة لموصوف محذوف هو مفعول صرفنا، أي: معنى غريباً بديعاً يشبه المثل بغرابته وطرافته، ومثل مضاف إليه ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ الواو عاطفة، أو حالية، وكان الإنسان كان واسمها، وأكثر شيء خبرها، وجدلاً تمييز، يعني الإنسان أكثر المخلوقات الحية مجادلة ولجاجاً باطلاً ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، ومنع فعل ماض، والناس مفعول به مقدم، وأنْ يؤمنوا مصدر مؤول في موضع المفعول الثاني لمنع، وإذا ظرف لما مضى من الزمن متعلق بيؤمنوا، وجملة جاءهم الهدى مضاف إليها الظرف ﴿وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾ ويستغفروا عطف على يؤمنوا، والواو فاعل، وربهم مفعول به، وإلا أداة حصر، وأن وما في حيزها فاعل منع، وتأتيهم فعل مضارع ومفعول به مقدم، وسنة الأولين فاعل مؤخر، وأو حرف عطف، ويأتيهم العذاب عطف على تأتيهم سنة الأولين، وقبلاً حال من الضمير، أو العذاب، ولا بد من تقدير مضاف

محذوف قبل أن تأتيهم سنة الأولين تقديره: انتظار الإتيان، قالوا: إنما احتيج إلى تقدير المضاف إذ لا يمكن جعل إتيان سنة الأولين مانعاً من إيمانهم، فإن المانع يقارن الممنوع، وإتيان العذاب متأخر عن إيمانهم بمدة طويلة. ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، ونرسل المرسلين فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، وإلا أداة حصر، ومبشرين حال، ومنذرين عطف ﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ﴾ يجادل فعل مضارع، والذين فاعل، وكفروا صلة، وبالباطل متعلقان بيجادل، وليدحضوا: اللام للتعليل، ويدحضوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، وبه متعلقان بيدحضوا، والحق مفعول به ﴿ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴾ الواو حالية، أو استئنافية، واتخذوا فعل وفاعل، وآياتي مفعول به، والواو حرف عطف، وما اسم موصول معطوف على آياتي، وجملة أنذروا صلة، ويجوز جعل ما مصدرية، والمصدر معطوف على آياتي، وهزواً مفعول به ثان ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ الواو استئنافية، ومن اسم استفهام معناه النفي في محل رفع مبتدأ، وأظلم خبر، وممن متعلقان بأظلم، وجملة ذكر صلة، وبآيات ربه متعلقان بذكر، فأعرض عطف على ذكر، وفاعله مستتر تقديره: هو، وعنها متعلقان بأعرض، ونسي عطف على ما تقدم، وما مفعول به، وجملة قدمت صلة، ويداه فاعل ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ إن واسمها، وجملة جعلنا خبرها، وعلى قلوبهم في محل نصب مفعول به ثان لجعلنا، وأكنة مفعول به أول، وأن يفقهوه المصدر في محل نصب مفعول لأجله، وفي آذانهم وقراً عطف على معمولي جعلنا ﴿ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾ الواو حرف عطف، وأن شرطية، وتدعهم فعل الشرط، وفاعله مستتر تقديره: أنت، والهاء مفعول به، وإلى الهدى متعلقان بتدعهم، فلن: الفاء رابطة، ولن حرف نفي ونصب واستقبال، ويهتدوا نصب بلن، والواو فاعل، وإذاً حرف جواب وجزاء، وأبداً ظرف متعلق بيهتدوا ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ﴾

وربك: الواو استئنافية، وربك مبتدأ، والغفور خبر، وذو الرحمة خبر ثان، ولو شرطية، ويؤاخذهم فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، وبما متعلقان بيؤاخذهم، وجملة كسبوا صلة، واللام رابطة، وعجل فعل ماض، وفاعله مستتر تقديره: هو، ولهم متعلقان بعجل، والعذاب مفعول به ﴿ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾ بل حرف إضراب، ولهم خبر مقدم، وموعد مبتدأ مؤخر، ولن حرف نفي ونصب واستقبال، ويجدوا فعل مضارع منصوب بلن، ومن دونه متعلقان بمحذوف حال، وموئلاً مفعول به ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾ تلك مبتدأ، أو منصوب على الاشتغال، والقرى بدل، وجملة أهلكناهم خبر، والمراد: أهل القرى، ويجوز إعراب القرى خبراً، وجملة أهلكناهم إما حال، وإما خبر ثان، ولما ظرف بمعنى حين متعلق بأهلكناهم، وجملة ظلموا مضافة للما ﴿ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ وجعلنا فعل وفاعل، ولمهلكهم حال، أو متعلقان بموعداً، وموعداً مفعول به. ومهلكهم مصدر ميمي مضاف إلى الفاعل إن كان لازماً، أو مضاف إلى المفعول إن كان متعدياً.

□ **البلاغة:**

في قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ اتفاق اللفظ واختلاف المعنى، وقد أوردنا في باب اللغة معاني القبل، وقد صنّف فيه أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، وأبو العميثل الأعرابي؛ الذي صنف كتاباً مأثوراً عنه، وهو مجرد حصر للألفاظ التي قد يتعدد مدلولها، دون التزام منه لترتيب ما في سوق الكلمات، وبدون تعليل، أو محاولة لإيجاد أية صلة بين المعاني المختلفة، إذ يقول: القبل على سبعة أوجه: القبل في العين، والقبل: النشز من الأرض يستقبلك، تقول: رأيت شخصاً بذلك القبل، والقبل: أن ترى الهلال قبلاً، فكان صغيراً، والقبل: أن يتكلم الرجل بكلام لم يكن استعدّ له، يقال: تكلم فلان قبلاً، والقبل: أن يورد الرجل إبله الماء، ثم يستقي، ويصب عليها،

فيقال: سقاها قبلاً، والقبل: شيء شبيه بالصوف يعلق في أعناق الصبيان، والقبل: طي البئر في أعلاها.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ۝٦٠ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ۝٦١ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ۝٦٢ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ۝٦٣ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾: ملتقى البحرين، وهو المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر، وقد اختلفت أقوال المفسرين فيه، فقيل: ملتقى بحر الروم بحر فارس، وقيل غير ذلك مما يرجع إليه في المطولات.

﴿ حُقُبًا ﴾: زمناً طويلاً، والحقب: ثمانون سنة، وفي القاموس: الحُقُب: ـ بضم الحاء والقاف ـ: ثمانون سنة أو أكثر، والدهر والسنون، ويجمع على أحقاب وحقاب، وقيل: الحُقْب ـ بضم الحاء وسكون القاف ـ ويجمع على حقاب. وفي المصباح: الحقب: الدهر، والجمع: أحقاب، مثل: قفل وأقفال، وضم القاف للإتباع لغة، يقال: الحقب: ثمانون عاماً، والحقبة: بمعنى المدة، والجمع حقب، مثل سدرة، وقيل: الحقبة مثل الحقب.

﴿ سَرَبًا ﴾ أي: مثل السرب، وهو الشق الطويل لا نفاذ له، وفي معاجم اللغة: السَّرَب ـ بفتحتين ـ: الحفير تحت الأرض، والقناة يدخل منها الماء، ويقال: طريق سرب، أي: يتتابع فيه الناس.

﴿ غَدَآءَنَا ﴾: هو ما يؤكل أول النهار.

○ الإعراب:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة للشروع في قصة التقاء موسى والخضر، وما تخلل ذلك من أعاجيب، وسنأتي على تفاصيلها في باب الفوائد، والظرف متعلق بمحذوف تقديره: اذكر، وقال موسى الجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها، ولفتاه متعلقان بقال، ولا نافية، وأبرح فعل مضارع ناقص، واسمها مستتر تقديره: أنا، والخبر محذوف تقديره: أسير، ويحتمل أنها تامة، فلا تستدعي خبراً بمعنى لا أزول عما أنا عليه من السير والطلب، ولا أفارقه، وحتى حرف غاية وجر، وأبلغ منصوب بأن مضمرة بعد حتى، ومجمع البحرين مفعول به، وأو حرف عطف، وأمضي معطوف على أبلغ، وحقباً ظرف زمان متعلق بأمضي، واختار أبو البقاء وغيره أن تكون بمعنى إلى، وأبلغ منصوب بأن مضمرة بعدها، وما أحسبه صحيحاً ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ الفاء عاطفة، ولما ظرف بمعنى حين، وجملة بلغا في محل جر بإضافة الظرف إليها، والألف فاعل، ومجمع مفعول به، وبينهما ظرف أضيف إلى مجمع، أي: بين البحرين، وجملة نسيا لا محل لها لأنها جواب لما، وحوتهما مفعول به، فاتخذ: الفاء عاطفة واتخذ فعل ماض، وفاعله مستتر تقديره: هو، أي: الحوت، وسبيله مفعول به، وسرباً مفعول به ثان، وفي البحر متعلقان بمحذوف حال، وفي الكلام تقديم وتأخير؛ لأن اتخاذ الحوت سبيله في البحر قبل النسيان ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا ﴾ الفاء عاطفة، ولما ظرفية حينية، وجملة جاوز مضاف إليها الظرف، والمفعول محذوف، أي: الموعد، وهو الصخرة، وجملة قال لفتاه لا محل لها، وجملة آتنا غداءنا مقول القول، وغداءنا مفعول به ثان لآتنا ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ اللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، ولقينا فعل وفاعل، ومن سفرنا متعلقان بلقينا، وهذا صفة لسفرنا، أو بدل منه ونصباً مفعول به للقينا ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ

﴿إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ﴾ أرأيت تقدم الكلام عليها مطولاً، وأنها بمعنى أخبرني، ومفعولا أرأيت محذوفان اختصاراً، أي: رأيت أمرنا ما عاقبته، وهذا أسلوب معهود في الكلام المتداول بين الناس، يقول أحدهم لصاحبه: إذا ألَمّ به خطب أرايت ما نابني، فالظرف متعلق بهذا المحذوف، أي: بنابني، وسيأتي مزيد من بحث هذه الرؤية في باب البلاغة. وجملة أوينا مضاف إليها الظرف، وإلى الصخرة متعلقان بأوينا ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥ﴾ الفاء لتعليل الدهشة التي اعترتهما مما نابهما، وأن واسمها، وجملة نسيت الحوت خبرها، والواو اعتراضية، والجملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، وما نافية، وأنسانيه فعل ماض، والنون للوقاية، والياء مفعول به أول، والهاء مفعول به ثان، وإلا أداة حصر، والشيطان فاعل أنسانيه، وأن وما في حيزها بدل اشتمال من الهاء، اي: وما أنساني ذكره إلا الشيطان ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا﴾ الواو عاطفة، واتخذ فعل ماض معطوف على نسيت، وفاعله مستتر تقديره: هو، أي: الحوت، وسبيله مفعول به أول، وفي البحر حال، وعجباً مفعول به ثان لاتخذ، أو مفعول مطلق لفعل محذوف، وفي البحر هو المفعول الثاني، أي: قال موسى عجبت عجباً: حوت يؤكل دهراً، ثم يصير حياً بعد ما أكل بعضاً!

□ البلاغة:

في قوله: ﴿أَرَءَيۡتَ﴾ الرؤية هنا مستعارة للمعرفة التامة، والمشاهدة الكاملة، وهي استعارة تصريحية تبعية؛ لأنها أجريت في فعل، وقد حذف المشبه، وأقيم المشبه به مقامه، والاستفهام في أرأيت للتعجب؛ كأنه يحاول إثارة العجب في نفس موسى مما رأى من المعاجز التي لا تدور في الخلد، ويكاد لا يصدقها العقل، مما يمكن الرجوع إليه في التفاسير المطولة، والروايات المنقولة، مما يخرج بنا عن نطاق الكتاب، وسنكتفي بسرد قصة لقاء موسى والخضر معتمدين على نص الحديث، والتحليل المنطقي المعقول، تاركين

المجال لأصحاب المواهب القصصية عسى أن ينسجوا على منوال الكاتب القاصّ توفيق الحكيم.

﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ ﴾

○ الإعـراب:

﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾ ذلك مبتدأ، وما خبر، وجملة كنا صلة، وكان واسمها، وجملة نبغي خبرها، وجملة ذلك... الخ مقول القول، وفي المصحف تحذف ياء نبغي؛ لأنها من ياءات الزوائد ﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ الفاء عاطفة، وارتدا فعل وفاعل، وعلى آثارهما متعلقان بمحذوف حال، أي: رجعا أدراجهما، وقصصاً مفعول مطلق لفعل محذوف، أي: يقصان قصصاً، ويتبعان آثارهما اتباعاً، ولك أن تجعلها حالاً، أي: فارتدا على آثارهما مقتصّين ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ الفاء عاطفة، ووجدا عبداً فعل وفاعل ومفعول به، ومن عبادنا صفة لعبد، وجملة آتيناه صفة ثانية، ورحمة مفعول به ثان، ومن عندنا صفة لرحمة، وعلمناه فعل وفاعل ومفعول به، ومن لدنا حال؛ لأنه كان صفة لعلماً، وتقدم عليه، وعلماً مفعول به ثان لعلمناه، ولو كان مفعولاً مطلقاً لكان تعليماً؛ لأن فعله على فعّل بالتشديد، وقياس مصدره التفعيل ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ قال فعل ماض، وله متعلقان به، وموسى فاعل، وهل حرف استفهام، وأتبعك فعل مضارع، وفاعل

مستتر، ومفعول به، على أن تعلمني: أن وما في حيزها في محل جر بعلى، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من الكاف في هل أتبعك، أي: هل أتبعك حال كونك معلماً لي، ومما متعلقان بتعلمني، وجملة علمت صلة، ورشداً مفعول ثان لتعلمني؛ لأن الياء هي المفعول الأول، ويجوز أن تعرب رشداً مفعولاً لأجله، أي: لأجل الرشاد، أو مصدر في موضع نصب على الحال ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ جملة إنك مقول القول، وإن واسمها، ولن حرف نفي ونصب واستقبال، وتستطيع منصوب بلن، ومعي ظرف مكان متعلق بمحذوف، أي: حال كونك معي، وصبراً مفعول به ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾ وكيف: الواو عاطفة، وكيف اسم استفهام في محل نصب حال، وتصبر فعل مضارع مرفوع، وفاعله ضمير مستتر تقديره: أنت، وعلى ما متعلقان بتصبر، وجملة لم تحط صلة، وبه متعلقان بتحط، وخبراً مفعول مطلق لتحط في المعنى؛ لأن لم تحط بمعنى لم تخبر، وأعربها الزمخشري تمييزاً محولاً عن الفاعل، أي: لم يحط به خبرك، وليس ببعيد ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ ستجدني: السين حرف استقبال، وتجدني فعل مضارع مرفوع، والنون للوقاية، وفاعله مستتر تقديره: أنت، والياء ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول، وإن شاء الله جملة معترضة، وصابراً مفعول به ثان لتجدني، وقد ذكر الرحمة احتراساً لما يأتي من قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ ﴾، وقتله للغلام يوهم اتصافه بالغلظة والجفاء، وجملة «ولا أعصي لك أمراً» معطوفة على صابراً، فهي في محل نصب، أو معطوفة على ستجدني، فلا محل لها من الإعراب، ولك متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان صفة لأمراً، وإنما قيد موسى بالمشيئة لعلمه بشدة الأمر وصعوبته، وأن الحمية قد تعترضه عندما يرى أمراً مغايراً، وسيأتي تفصيل ذلك في حينه ﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ الفاء عاطفة، وإن شرطية، واتبعتني فعل ماض وفاعل ومفعول به، وهو في محل جزم فعل الشرط، والفاء رابطة، ولا ناهية، وتسألني مضارع مجزوم بلا، والنون للوقاية، والياء مفعول به، وعن شيء متعلقان بتسألني، وحتى حرف غاية

وجر، وأحدث فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، ولك متعلقان بأحدث، ومنه حال، وذكراً مفعول به، ولا بد من تقدير صفة محذوفة بعد شيء، أي: شيء خفي عليك سره، وغبي أمره.

* الفوائـد:

(١) عند ولدن:

لدن، هي بمعنى عند، فتكون اسماً لزمان الحضور ومكانه، كما أن عند كذلك، إلا أن لدن تختص بستة أمور:

١ ـ إنها ملازمة لمبدأ الغايات الزمانية والمكانية، وعند غير ملازمة، فمن ثم يتعاقبان في نحو: جئت من عنده من لدنه، وفي الآية الكريمة، وقد لا يتعاقبان في نحو: جلست عنده، لعدم معنى الابتداء هنا، وإنما ترك التعاقب في الآية تفادياً لتكرار النظم.

٢ ـ إن الغالب في لدن استعمالها مجرورة بمن، ونصبها قليل، وجر عند بمن دون جر لدن في الكثرة.

٣ ـ إنها مبنية على السكون بخلاف عند، فإنها معربة دائماً.

٤ ـ جواز إضافتها إلى الجمل، كقول القطامي:

صريـــع غـــوانٍ راقهـــنّ ورُقْنَـــه
لدُن شبَّ حتى شابَ سُودُ الذَّوائِبِ

٥ ـ جواز إفرادها قبل غدوة، كقوله:

وما زالَ مُهْرِي مَزْجَرَ الكلبِ فيهم
لَـدُن غُـدْوَةً حتّـى دَنَـتْ لِغُـرُوبِ

بنصب غدوة على التمييز، أو على التشبيه بالمفعول به، وبجرها على القياس.

٦ ـ إنها لا تقع إلا فضلة بخلاف عند، فإنها قد تقع عمدة.

وقال بعضهم: إن عند في لسان العرب لما ظهر، ولدن لما بطن، فيكون

المراد بالرحمة ما ظهر من كراماته، وبالعلم الباطن الخفي المعلوم قطعاً بأنه خاص.

(٢) حديث النبي عن الخضر:

وقد آن أن نورد لك الحديث البليغ الذي روي عن النبي ﷺ بشأن الخضر، والحديث الآخر الذي تحدث به عن لقاء موسى والخضر:

الحديث الأول: روي عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أحدثكم عن الخضر»؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «بينما هو ذات يوم يمشي في سوق بني إسرائيل، أبصره رجل مكاتب، فقال: تصدق عليّ بارك الله فيك، فقال الخضر: آمنت بالله، ما شاء من أمر يكون، ما عندي شيء أعطيكه، فقال المسكين: أسألك بوجه الله لما تصدقت عليّ، فإني نظرت السماحة في وجهك، ورجوت البركة عندك، فقال الخضر: آمنت بالله، ما عندي شيء أعطيكه، إلا أن تأخذني فتبيعني، فقال المسكين: وهل يستقيم هذا؟ قال: نعم، أقول: لقد سألتني بأمر عظيم، أما إني لا أخيبك بوجه ربي، بعني، قال فقدمه إلى السوق فباعه بأربعمئة درهم، فمكث عند المشتري زماناً لا يستعمله في شيء، فقال: إنما اشتريتني التماس خير عندي، فأوصني بعمل، قال: أكره أن أشق عليك، إنك شيخ كبير ضعيف، قال: ليس يشقّ عليّ، قال: قم فانقل هذه الحجارة، وكان لا ينقلها دون ستة نفر في اليوم، فخرج الرجل لبعض حاجته، ثم انصرف، وقد نقل الحجارة في ساعة، قال: أحسنت وأجملت وأطقت ما لم أرك تطيقه قال: ثم عرض للرجل سفر، فقال: إني أحبك أميناً، فاخلفني في أهلي خلافة حسنة، قال: وأوصني بعمل، قال: إني أكره أن أشق عليك، قال: ليس يشقُّ علي، قال: فاضرب من اللَّبِنِ بيتي حتى أقدُم عليك. قال: فمر الرجل لسفره، قال: فرجع الرجل وقد شيَّد بناءه، قال: أسألك بوجه الله ما سببك؟ وما أمرك؟ قال: سألتني بوجه الله، ووجه الله أوقعني في هذه العبودية، فقال الخضر: سأخبرك من أنا، أنا الخضر الذي سمعت به، سألني مسكين صدقة، فلم يكن عندي شيء

أعطيه، فسألني بوجه الله، فأمكنته من رقبتي، فباعني، وأخبرك أنه من سُئِل بوجه الله فردَّ سائله وهو يقدر وقف يوم القيامة جلدة ولا لحم له يتقعقع، فقال له الرجل: آمنت بالله، شَقَقْتُ عليك يا نبي الله ولم أعلم، قال: لا بأس أحسنت وأتقنت، فقال الرجل: بأبي وأمي يا نبي الله! احكم في أهلي ومالي بما شئت، أو اختر فأخلّي سبيلك، قال: أحبّ أن تخلّي سبيلي فأعبد ربي، فخلّى سبيله، فقال الخضر: الحمد لله الذي أو ثقني في العبودية، ثم نجاني منها».

☆ لمحة تحليلية:

أخبر رسول الله ﷺ، في هذا الحديث، عن نبذة طريفة عن الخضر، ومدى إيمانه العميق بالله، ورغبته في ثوابه، ورهبته من عقابه لتكون بمثابة معالم الصبح لكل مؤمن بما يعتقده حقاً وصواباً، لا يبالي ما يتكبده في سبيل ترسيخ ما يعتقده في النفوس، كما انطوت النبذة على ميله إلى إجابة السائل الفقير المحتاج ولو ببيع نفسه، قال أحدهم:

يجودُ بالنَّفسِ إذ ضنَّ الجوادُ بها
والجودُ بالنفسِ أقصى غايةِ الجود

بثّ النَّوال ولا تمنعك قلَّته
فكلُّ ما سدَّ فقراً فهو محمود

ثم أعطى الخضر نصيحة غالية تصلح للاحتذاء في مختلف ظروف الزمان والمكان، فحذر المسؤولين من البخل خشية الوقوف يوم الحساب حفاة عراة، وهيئة أجسامهم رثة بالية تضطرب لرداءتها وقذارتها، فكأن جسمه جلدة مثل الهيكل، فقط يضطرب ويتحرك، ولا تستدل عليه إلا بقعقعة خفيفة، وأحسب أبا الطيب رمق سماء هذا المعنى حين قال واصفاً نحوله:

كَفَى بجسمي نُحولاً أنَّني رجلٌ
لولا مخاطبتي إيَّاك لم تَرَني

وانظر بعد ذلك إلى أسمى مطلب يجنح إليه العقلاء: «تخلي سبيلي فأعبد

ربي» وهذا بمثابة مثل ضربه النبي ﷺ لكل إنسان ليجود بماله في مشروعات الخير، وليثق بالله الرزاق المنفق المخلف، وليتحلى بشيم السخاء والعطاء.

وما أجمل قول أبي فراس الحمداني وقد تضمَّن هذه المعاني السامية كلها، كما صور الفتوة أجمل تصوير:

غيري يُغيِّـره الفعـالُ الجـافـي
ويحـولُ عـن شيـم الكـريـم الـوافي
إنَّ الغنـيَّ هـو الغنـيُّ بنفسـه
ولـو أنَّـه عـاري المنـاكـب حـافِ
مـا كـلُّ مـا فـوق البسيطـةِ كـافيـاً
وإذا قنعـتَ فكـلُّ شيءٍ كـافِ
وتعـاف لي طمـعَ الحـريـصِ فتـوتي
ومـروءتي وقنـاعتـي وعفـافي
ومكـارمـي عـددُ النجـوم ومنـزلي
مـأوى الكـرام ومنـزلُ الأضيـافِ
لا أرتضي ودّاً إذا هـو لـم يَـدُمْ
عنـد الجفـاءِ وقلَّـةِ الإنصـافِ

☆ الحديث الثاني في لقاء موسى والخضر:

ورد في صحيح مسلم: عن أبي بن كعب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قام موسى عليه السلام خطيباً في بني إسرائيل فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم، قال: فعتب الله عليه إذ لم يردّ العلم إليه، فأوحى الله إليه أن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: أي رب! كيف لي به؟ فقيل له: احمل حوتاً في مكتل، فحيث تفقد الحوت فهو ثم، فانطلق، وانطلق معه فتاه وهو يوشع بن نون، فحمل موسى عليه السلام حوتاً في مكتل، وانطلق هو وفتاه يمشيان، حتى أتيا الصخرة، فرأى رجلاً مسجى عليه ثوب، فسلم عليه موسى، فقال له الخضر: أنَّى بأرضك السلام؟ قال:

أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: إنك على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، وأنا على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه».

وسيأتي في الآيات الآتية إيضاح أعمالهما، هذا؛ ولم يذكر يوشع بن نون لأنه كان تابعاً لموسى، فأدرج في مطاوي الحديث عنه، أما أعمالهما فهي:

١ ـ خرق السفينة.

٢ ـ قتل الغلام.

٣ ـ إخراج كنز من جدار.

وقال رسول الله ﷺ: «يرحم الله موسى لوددت أنه كان صبر حتى يقصّ علينا من أخبارهما».

☆ لماذا سمي الخضر؟

وقال النووي: وقد صح في البخاري وغيره عن النبي ﷺ قال: «إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة فإذا هي تهتز من خلفه خضراء» وجمهور العلماء على أنه حي موجود بين أظهرنا، وكان الحوت سمكة مالحة، والمكتل: القفة والزنبيل والطاقة، وقوله: مسجى: مغطى. وأنى بأرضك السلام: بمعنى كيف، أي: السلام عجيب بدار الكفر هذه.

☆ التأدب في طلب العلم:

وقال البيضاوي: ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة (سيدنا موسى) أن يتعلم من غيره، ما لم يكن شرطاً في أبواب الدين، فإن الرسول ينبغي أن يكون أعلم ممن أرسل إليهم فيما بعث به من أصول الدين وفروعه لا مطلقاً، وقد راعى في ذلك غاية التواضع والأدب، فاستجهل نفسه، واستأذن أن يكون تابعاً له، وسأل منه أن يرشده، وينعم عليه بتعليم بعض ما أنعم الله به عليه.

☆ هل الخضر حيّ؟

هذا؛ وقد زعم كثيرون أن الخضر حي، وهذا غير صحيح؛ إذ لا دليل عليه من كتاب منزل أو سنة ثابتة، فيجب المصير إليه، ولم ينقل عن أحد ممن يوثق به ويعتمد على نقله أنه رآه، وأخبره أنه الخضر صاحب موسى، ومثل هذا لا يمكن الركون إليه، والتعويل عليه، والتصديق به، إلا بأحد هذين الطريقين، إما الخبر الصادق، أو المشاهدة بالبصر، وبدون ذلك فالتصديق بوجوده ضرب من الخلط. والعادة المستمرة أن الإنسان لا يعيش مثل هذا العمر الطويل، فمن ادعى خلاف العادة في فرد من أفراد هذا النوع طولب بالدليل على ذلك، وكل ما استند إليه القائلون بحياة الخضر إلى الآن، وأنه يبقى حياً إلى آخر الدنيا، أحاديث لم يصح منها شيء عند أهل العلم، وحكايات لفقها القصاصون ترويجاً لحالهم عند العامة، ولذلك أنكر الإمام المجتهد أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري، وشيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني الحنبلي صحة ذلك، وكفى بقولهما على سعة علمهما بحديث رسول الله ﷺ ومعرفة صحيحه وضعيفه حجة لنا فيما ذكرناه، على أن القرآن يخالف ما ذهب إليه القائلون بحياته، فإن الله جل شأنه قال في محكم كتابه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ وقال لشرّ خلقه إبليس: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ في جواب قوله: ﴿أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ فجعل ذلك خصوصية لعدوه إبليس لامتحان خلقه به، ولتتم لعنته عليه، لم يجعل ذلك لأحد غيره، لا نعمة ولا نقمة، فالقائل بغير ذلك غير مصيب فيما قاله، والله أعلم.

أما لفظ الخضر فقد ضبطوه بكسر الخاء مع سكون الضاد، وبفتح الخاء مع سكون الضاد وكسرها، ففيه ثلاث لغات، وهذا لقبه، وكنيته أبو العباس، واسمه بليا، وهو من نسل نوح، وكان أبوه من الملوك.

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا

نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

☆ **اللغة:**

﴿إِمْرًا﴾: الإمر: العظيم المنكر، قال أبو عبيدة: الإمر: الداهياء العظيمة، وأنشد:

قـد لَقِـيَ الأقـرانُ مني نُكْـرا داهِيَـةً دَهْيـاءَ وأَمْـراً إِمْـرا

ويقال: أمر الإمر، أي: عظم وتفاقم، وهذه المادة اللغوية غريبة، تقول الأمر بالفتح: طلب إحداث الشيء، وجمعه أوامر، والأمر: الشأن، وجمعه أمور، وأولو الأمر: أهل الرياسة والعلماء، والإمّر والإمّر: الضعيف الرأي، والأمير: الآمر، فتتغير معانيها بتغير شكلها.

﴿تُرْهِقْنِي﴾: تكلفني، وفي المختار: رهقه: غشيه، وبابه: طرب، وأرهقه عسراً كلفه إياه.

﴿ زَكِيَّةً ﴾ : طاهرة من الذنوب لأنها صغيرة لم تبلغ الحنث، وفي القاموس: زكا يزكو زكاء وزكّواً، وزكِي يزكى زكيً الزرع : نما، والرجل : صلح وتنعم، وزكاه الله بالتشديد: أنماه، وطهّره، وأصلحه، وأخرج زكاته، وزكّى ماله : أدّى عنه الزكاة، وزكّى نفسه : مدحها .

﴿ نُّكْرًا﴾ : بضم فسكون، وبضمتين: المنكر، وهو أبلغ من الإمر؛ لأن معه القتل بخلاف خرق السفينة فإنه يمكن تداركه وتلافيه، وقيل: الإمر أبلغ؛ لأن قتل النفس بسبب الخرق أعظم من قتل نفس واحدة .

﴿ يُضَيِّفُوهُمَا ﴾ : يقال: ضافه: إذا كان له ضيفاً، وحقيقته من الميل، يقال: ضاف السهم عن الغرض وأضافه وضيفه: جعله ضيفاً، وهم ضيوف وأضياف وضيفان، ومن المجاز: أضاف إليه أمراً: إذا أسنده إليه، واستكفأه، وفلان أضيفت إليه الأمور، وما هو إلا مضاف، أي: دعي، ونزلت به مضوفة. قال:

وكنتُ إذا جاري دَعَا لِمَضُوفَةٍ أُشَمِّرُ حتَّى يَبْلُغَ السَّاقَ مِئْزَري

○ الإعراب:

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ ﴾ الفاء استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة للشروع في الأمور الثلاثة التي ألمعنا إليها، والتي خفيت بواطنها عن موسى، وبدت له ظواهرها مستنكرة، ولا بد من تقدير محذوف، أي: فانطلقا يمشيان، ومعهما تابعهما يوشع بن نون، وقد اكتفى بذكر المتبوع عن التابع، أي: على ساحل البحر يطلبان سفينة تقلهما، فوجدا سفينة فركباها، فأخذ الخضر الفأس، فخرق السفينة؛ بأن قلع لوحين من ألواحها مما يلي، فجعل موسى يعارضه، ويقول. . . الخ. وحتى حرف غاية وجر، وإذا ظرف مستقبل، وجملة ركبا في السفينة في محل جر بإضافة الظرف إليها، وجملة خرقها جواب إذا، وهو فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به ﴿ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴾ قال ـ أي: موسى ـ أخرقتها، والهمزة للاستفهام الإنكاري، لتغرق: اللام للتعليل، وتغرق فعل مضارع منصوب

بأن مضمرة بعد لام التعليل، وأهلها مفعول به، وسيأتي سر نسيان نفسه في باب: البلاغة، واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وجئت فعل وفاعل، وشيئاً مفعول به، وإمراً صفة ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وإن واسمها، وجملة لن تستطيع معي صبراً خبرها ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ لا ناهية، وتؤاخذني فعل مضارع مجزوم بلا، والنون للوقاية، والفاعل مستتر تقديره: أنت، والياء مفعول به، ومن أمري حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لعسراً، وعسراً مفعول به ثان لترهقني ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴾ فانطلقا: الفاء للعطف، وانطلقا فعل وفاعل، وحتى حرف غاية وجر، وإذا ظرف مستقبل، وجملة لقيا مضافة للظرف، وهي شرط إذا، وغلاماً مفعول به، والفاء حرف عطف، وقتله عطف على لقيا، فهو داخل في حيز فعل الشرط بخلاف قوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾ بغير فاء، فقد جعله هنا جواباً، والعلة في هذه المخالفة: أن خرق السفينة لم يأت عقب الركوب مباشرة، أما القتل فقد أتى عقب لقاء الغلام مباشرة، وقال: هو جواب إذا، أقتلت: الهمزة للاستفهام الإنكاري، ونفساً مفعول به، وزكية صفة، وبغير نفس: الجار والمجرور في موضع نصب على الحال من الفاعل أو المفعول، أي: قتلته ظالماً، أو مظلوماً، أو متعلق بقتلت، واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وجئت فعل وفاعل، وشيئاً مفعول به، ونكراً صفة ﴿ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وإن واسمها، وجملة لن تستطيع معي صبراً خبرها، وقد زاد هنا لفظ لك؛ لأن سبب العتاب أكثر، وموجبه أقوى، وقيل: زاد لفظ لك لقصد التأكيد، كما تقول لمن توبخه: لك أقول وإياك أعني ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ﴾ إن شرطية، وسألتك فعل ماض وفاعل ومفعول به، وهو في محل جزم فعل الشرط، وعن شيء جار ومجرور متعلقان بسألتك، وبعدها ظرف متعلق بمحذوف صفة لشيء، والفاء

رابطة لجواب الشرط، ولا ناهية، وتصاحبني مجزوم بلا، والياء مفعول به ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ قد حرف تحقيق، وبلغت فعل وفاعل، ومن حرف جر ولدن ظرف مبني على السكون في محل جر، والجار والمجرور متعلقان ببلغت، أو بمحذوف حال، وعذراً مفعول به ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾ الفاء عاطفة، وانطلقا فعل وفاعل، وحتى حرف غاية وجر، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وأتيا فعل وفاعل، وأهل مفعول به، وقرية مضاف إليه، قيل: القرية هي أنطاكية، ومعنى استطعما أهلها: طلبا منهم الطعام على سبيل الضيافة، وجملة استطعما أهلها لا محل لها لأنها جواب إذا، واختار ابن هشام أن تكون صفة لقرية، وكرر الأهل للتأكيد من باب إقامة الظاهر مقام المضمر، وقد تقدمت شواهده، أو للتقصي ليشمل الاستطعام والامتناع من الإكرام جميع أهلها ﴿فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ الفاء عاطفة، وأبوا فعل وفاعل، وأن وما في حيزها مفعول أبوا ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ الفاء عاطفة، ووجدا فعل وفاعل، وفيها جار ومجرور متعلقان بوجدا، وجداراً مفعول به، وجملة يريد صفة لجداراً، وفي معنى إسناد الإرادة للجدار بحث ممتع يطالعه القارىء في باب البلاغة، وأن وما في حيزها مفعول يريد، فأقامه: الفاء عاطفة، وأقامه فعل وفاعل مستتر ومفعول به، أي: رفعه، ورممه، وأصلحه ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ لو حرف شرط غير جازم، وشئت فعل وفاعل، واللام واقعة في جواب لو، واتخذت فعل وفاعل، والجملة لا محل لها؛ لأنها جواب لو، وعليه متعلقان بمحذوف حال، وأجراً مفعول به ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ هذا مبتدأ، والإشارة إلى الفراق المترتب على تكرار السؤال، وفراق خبر، وبيني مضاف إليه، وساغت إضافة بين إلى غير متعدد لتكرير بين بالعطف بالواو، وبينك عطف على بيني ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ السين حرف استقبال، وأنبئك فعل وفاعل مستتر ومفعول به، وبتأويل الباء حرف جر دخل على مضمون المفعولين الثاني والثالث، وسيأتي تفصيل ذلك في باب: الفوائد، وما اسم موصول مضاف إلى تأويل، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وتستطع مضارع

مجزوم بلم، وصبراً مفعول به، وعليه متعلقان بصبراً، أي: سأنبئك سر ما فعلت في الأمور الثلاثة ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ ﴾ أما حرف شرط وتفصيل، والسفينة مبتدأ، الفاء رابطة، وكانت: كان واسمها المستتر، والتاء تاء التأنيث الساكنة، ولمساكين خبر كانت، والجملة خبر السفينة، وجملة يعملون في البحر صفة لمساكين، وفي البحر متعلقان بيعلمون ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ الفاء عاطفة، وأردت فعل وفاعل، وأن أعيبها المصدر المؤول مفعول أردت، والواو للحال، وكان فعل ماض ناقص، ووراءهم ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم، وهو بمعنى أمام، ويجوز أن يكون بمعنى خلف، وملك اسم كان المؤخر، وجملة يأخذ صفة، وكل سفينة مفعول به، وغصباً مفعول مطلق مبين لنوع الأخذ، ويجوز أن يكون المصدر في موضع نصب على الحال، وفي الكلام تقديم وتأخير، سيأتي سرّه العجيب في باب: البلاغة ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ الواو عاطفة، وأما حرف شرط وتفصيل، والغلام مبتدأ، فكان: الفاء رابطة، وكان واسمها وخبرها، فخشينا الفاء عاطفة، وخشينا فعل وفاعل، وأن وما في حيزها مفعول خشينا، وطغياناً مفعول به ثان، وكفراً عطف على طغياناً، وجملة الجواب خبر الغلام، وأسند الخشية إلى نفسه لأن الله أطلعه على مآل الغلام لو تناهت به المدة وانفسح الأجل، أو لأنه حكى قول الله ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ فأردنا عطف على خشينا، وأردنا فعل وفاعل، وأن يبدلهما أن وما في حيزها مفعول يبدلهما، وخيراً منه مفعول ثان، وزكاة تمييز، أي: صلاحاً وتقى، وأقرب رحماً عطف على خيراً منه زكاة، ورحماً تمييز أيضاً، أي: رحمة بوالديه.

قال أبو حيان: وانتصب رحماً على المفعول له، وأجاز الزمخشري أن ينصب على المصدر بأراد، قال: لأنه في معنى رحمهما، وأجاز أبو البقاء أن ينتصب على الحال، وكلاهما متكلف. فتأمل.

﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ الجملة معطوفة على

ما تقدم، والإعراب مماثل، وفي المدينة صفة ثانية، أو حال ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ الواو عاطفة، وكان فعل ماض ناقص، وتحته ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم، وكنز اسمها المؤخر، ولهما صفة، وكان أبوهما صالحاً: كان واسمها وخبرها ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ فأراد عطف على ما تقدم، وربك فاعل، وأن يبلغا مفعول أراد، وأشدهما مفعول به، وقد تقدم تفسير الأشد، ويستخرجا عطف على يبلغا، والألف فاعل، وكنزهما مفعول به، ورحمة من ربك مفعول لأجله، أي: لولا أني أقمته لانقض وهوى، وخرج الكنز من تحته قبل أن يصبحا قادرين على حفظ المال، وتنميته، واستثماره، ولضاع بدداً ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ الواو عاطفة، وما نافية، وفعلته فعل وفاعل ومفعول به، والضمير يعود على مجموع ما ذكر، وعن أمري جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: صادراً عن أمري، وإنما هو بأمر الله وإلهامه إياي، وذلك مبتدأ، وتأويل خبر، وما مضاف إليه، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وتسطع أي: تستطع، فحذفت منه تاء الافتعال مجزوم بلم، وعليه متعلقان بصبراً، وصبراً مفعول به.

□ البلاغة:

الفنون التي انطوت عليها الآيات الآنفة لا يتسع لها صدر هذا الكتاب، إذا نحن حاولنا استجلاء غوامضها، واكتناه خوافيها، فلنمض في استقصائها جانحين إلى لغة النظر، فأولها:

(١) نسيان نفسه عندما قال: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ وهو بين الراكبين، وهو جدير بأن ينهمك بأمر نفسه، وما هو مقدم عليه من سوء المصير، وإنما حمله على المبادرة بالإنكار: الالتهاب، والحمية للحق، فنسي نفسه، واشتغل بغيره في الحالة التي يقول فيها كل واحد: نفسي نفسي، ولا يلوي على مال ولا ولد، وتلك حالة الغرق تذهل فيها العقول، وتغرب الأحلام، ويضيع الرشد من الألباب.

(٢) التورية في قوله: ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ أخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان لإيهامه بأنه قد نسي؛ ليبسط عذره في الإنكار، وبعضهم يسمي هذا النوع من معاريض الكلام، والمعاريض: جمع معراض، وهو هنا: إيهام خلاف المراد لئلا يلزم الكذب، وهو فن طريف من فنونهم، ولعله أجمل أنواع التورية التي سبق ذكرها، وقد كان المتنبي يجنح إليه في قصائده، وخاصة الكافوريات، قال:

بِرغم شَبِيب فارقَ السيفُ كَفَّهُ   وكانا على العِلاَّتِ يَصْطَحِبانِ
كأنَّ رِقابَ النَّاسِ قالتْ لسيفِهِ   رَفِيقُكَ قَيْسِيٌّ وأنتَ يَمَانِ

فشبيب هذا خارجي خرج على كافور الإخشيدي، وقصد دمشق، وحاصرها، فيقال: إن امرأة ألقت عليه رحىً فصرعته، فانهزم الذين كانوا معه لما مات، ويقال: إنه أكثر من شرب الخمر فحدث به صرع، ففي ساعة القتال أتته نوبة الصرع، فتركه أصحابه، ومضوا، فأخذه أهل دمشق وقتلوه، وقد كان شبيب هذا من قيس، ولم تزل بين قيس واليمن عداوات وحروب، وأخبار ذلك مشهورة. والسيف يقال له «يماني» في نسبته إلى اليمن، ومراد المتنبي من هذا البيت: أن شبيباً لما قتل وفارق السيف كفه، فكأن الناس قالوا لسيفه: أنت يماني، وصاحبك قيسي، ولهذا جانبه السيف وفارقه، وهذه مغالطة حسنة.

ومن معاريض الكلام الحسنة قول أبي العلاء المعري في وصف الإبل:

صلب العَصا بضربٍ قد دمّاها   تودُّ أنَّ اللهَ قد أفناها
إذا أرادتْ رشداً أغواها   محاله من رقّه إياها

فالضرب لفظ مشترك يطلق على الضرب بالعصا، وعلى الضرب في الأرض، وهو المسير فيها، وكذلك دماها يطلق على شيئين: أحدهما: يقال: دمّاه إذا أسال دمه، ودماه إذا جعله كالدمية، وهي الصورة، وكذلك لفظ الفناء فإنه يطلق على عنب الثعلب، وعلى إذهاب الشيء إذا لم يبق منه بقية. يقال: أفناه: إذا أذهبه، وأفناه: إذا أطعمه حب الفناء، وهو عنب الثعلب،

والرشد والغوى: نبتان، يقال: أغواه: إذا أضله، وأغواه: إذا أطعمه النوى، ويقال: طلب رشداً: إذا طلب ذلك النبت، وطلب رشداً: إذا طلب الهداية.

ويروى في الأخبار الواردة في غزاة بدر أن النبي ﷺ كان سائراً بأصحابه يقصد بدراً، فلقيهم رجل من العرب فقال:
ممن القوم؟ فقال النبي: «من ماء» فأخذ ذلك الرجل يفكر، ويقول: من ماء من ماء، لينظر من أي بطون العرب يقال لها ماء، فسار النبي لوجهته، وكان قصده أن يكتم أمره، وهذا من المغالطة المثلية؛ لأنه يجوز أن يكون بعض بطون العرب يسمى ماء، ويجوز أن يكون المراد أن خلقتهم من ماء، وحاشى النبي أن يكذب.

(٣) توكيد الضميرين:

وذلك في قوله تعالى: ﴿۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ في قصة قتل الغلام، وهذا بخلاف قصة السفينة فإنه قال فيها: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ والفرق بين الصورتين أنه أكد الضمير في الثانية دون الأولى ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ﴾ وقال في الثانية ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ﴾ وإنما جيء بذلك للزيادة في مكافحة العتاب على رفض الوصية مرة بعد مرة، والوسم بعدم الصبر، وهذا كما لو أتى الإنسان ما نهيته عنه فلمته وعنفته، ثم أتى ذلك مرة ثانية، أليس أنك تزيد في لومه وتعنيفه؟ وكذلك فعل هاهنا، فإنه قيل في الملامة أولاً: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ﴾ ثم قيل ثانياً: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ﴾ وهذا موضع يدق عن العثور عليه بالنظرة العجيلة، ولا يمكن اكتناه حسنه إلا بعد التأمل العميق، وهذا فن جليل القدر، بعيد الغور، فللضمائر أسرار لا يدركها إلا الملهمون والمبدعون، وهي ليست مجرد ضمائر تذكر، كما ترد في كتب النحو، وستأتي في كتابنا هذا صور رائعة عنه تبين مدى قدر المبين، وتساميه عن الأنداد.

* التوكيد بالضمائر في الشعر:

وسنورد لك هنا الآن نماذج من التوكيد بالضمائر الوارد في الشعر، تذهل

العقول، فمن بديع ما استظرفناه قول أبي تمام:

لا أنتِ أنتِ ولا الدِّيارُ ديارُ خفَّ الهوى وتَوَلَّتِ الأوطارُ

فقوله: «لا أنت أنت ولا الديار ديار» من المليح النادر؛ لأنه هو هو، والديار ديار، وإنما مراده أن البواعث التي كانت تبعث على قبيل أنت منهم، وأنت أنت، ولو تأتّى له ذلك الرأب صدع البيت، ومع ولا الديار في عينه من الحسن تلك الديار. وقد حاول أبو الطيب أن ينسج على منوال أبي تمام فأسف، ولم يلحق به، إذ قال:

قَبيلٌ أنتَ أنتَ وأنتَ مِنْهُمْ وجَدُّكَ بِشْرٌ الملك الهُمَامُ

فقوله: «أنت أنت» من توكيد الضميرين المشار إليهما، وفائدته المبالغة في مدحه، ولكنه أفسد على نفسه ما أراده؛ لأن سبك البيت عارٍ من الحسن، وفيه تقديم وتأخير أفسداه أيضاً؛ لأنه كان من حقه أن يقول: قبيل أنت منهم وأنت أنت، ولو تأتّى له ذلك لرأب صدع البيت، ومع ذلك يبقى دون بيت أبي تمام العذب الرشيق، وهذا مرده إلى الذوق، وهو الحكم في هذا الباب.

وروى صاحب «الأغاني»: أن عمرو بن ربيعة قال لزياد بن الهبولة: يا خير الفتيان! اردد علي ما أخذته من إبلي، فردها عليه وفيها فحلها، فنازعه الفحل إلى الإبل فصرعه عمرو، فقال له زياد: لو صرعتم يا بني شيبان الرجال كما تصرعون الإبل لكنتم أنتم أنتم، فقال عمرو له: لقد أعطيت قليلاً، وسمت جليلاً، وجررت على نفسك ويلاً طويلاً. فقوله: لكنتم أنتم أنتم، أي: أنتم الأشداء، أو الشجعان، أو ذوو النجدة والبأس، إلا أن «أنتم» الثانية تخصيصاً لهم بهذه الصفة دون غيرهم، كأنه قال: لكنتم أنتم الشجعان دون غيرهم، ولو مدحهم بأي شيء مدحهم به من وصف البأس والشدة والشجاعة، لما بلغ هذه الكلمة، أعني: «أنتم» الثانية.

(٤) الاستعارة المكنية:

في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ فقد استعيرت الإرادة للمشارفة والمداناة، ويجوز أن يكون مجازاً عقلياً، وهذا الخلاف مطرد في كل

نسبة إلى ما لا يعقل، كقول عمرو بن أبي ربيعة:

أبت الرَّوادف والثديَّ لقمصها مسّ البطون وأن تمسّ ظهورا

وسنبسط لك القول في هذا البيت بسطاً شافياً لتتأكد من حقيقة هذا الكلام، فالإباء: المنع الاختياري، وقد شبه الروادف والثديّ لكبرها بمن يصح منه ذلك، والكلام يحتمل إرادة التشبيه، فهو مجاز علاقته المشابهة، فيكون استعارة مكنية تبعية، وقد لا يحتمل إرادة التشبيه، ويكون عبارة عن مجرد إسناد الإباء إليها للدلالة على كبرها، فيكون مجازاً عقلياً، وفي الكلام أيضاً لف ونشر مشوش؛ لأن مس البطون يرجع للثدي، ومس الظهور يرجع للروادف، ولا بد لإظهار معنى البيت تماماً من إيراد البيت الثاني، وهو:

وإِذا الرياحُ مع العشي تناوحتْ نبَّهـن حـاسـدةً وهجـن غَيُـورا

يقال: تناوح الجبلان، أي: تقابلا، فالمراد بالتناوح: التقابل، بحيث يجيء بعض الرياح من أمامها وبعضها من خلفها، فتظهر روادفها ونهودها، وتلتصق الثياب بخصرها، فيظهر ضموره، فتنبه الحاسدة لها، وتهيج الغيور لكراهية ذلك من الرياح. ومن هذا الضرب قول الحسن بن هانىء أبي نواس:

فاسْتَـنْطِقِ العُودَ قد طالَ السُّكوتُ به

لا ينطـقُ اللَّهْـوُ حتـى ينطـقَ العُـودُ

شبه العود بإنسان على طريق الاستعارة المكنية، ويصح أن يكون مجازاً عقلياً على نحو ما قدمنا لك.

وقول حسان بن ثابت:

إنَّ دهـراً يلـفُّ شملي بجُمْـلٍ لَـزمـانٌ يهـمُّ بـالإحسـانِ

وجمل اسم محبوبته، ويروى: بعدي، يقول: إن الدهر الذي يجمع شملي بمحبوبتي لدهر يهمّ بالإحسان، على طريق المكنية، ولفظ الهم تخييل، ويحتمل أن إسناد الهمِّ له مجاز عقلي، كإسناد اللف.

(٥) التقديم والتأخير:

ظاهر الكلام يقتضي تأخير قوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ عن قوله: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ لأن إرادة العيب مسببة عن خوف الغصب عليه فكان حقه أن يتأخر عن السبب، والجواب على ذلك أنه سبحانه قدم المسبب على السبب للعناية به، ولأن خوف الغصب ليس هو السبب وحده، ولكن مع كونها للمساكين.

وفي الآية والتي بعدها أيضاً أسرار عجيبة أخرى، وذلك بمخالفة الضمائر فيهما، فقد أسند في الأولى الفعل إلى ضميره خاصة بقوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ وأسنده في الثانية إلى ضمير الجماعة والمعظم نفسه في قوله﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ و﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا﴾ ولعل إسناد الأول إلى نفسه خاصة من باب الأدب مع الله تعالى؛ لأن المراد أن ثمة عيباً، فتأدب بأن نسب الإعابة إلى نفسه، وأما إسناد الثاني إلى الضمير المذكور، فالظاهر أنه من باب قول خواص الملك: أمرنا بكذا، أو دبرنا كذا، وإنما يعنون بأمر الملك أو دبر، ويؤيد ذلك قوله في الثالثة: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ فلم تأت الضمائر على نمط واحد، وهذا من أرقى الأساليب، وأحفلها بالمعاني الخصبة؛ التي لا يمجها السمع، وتحتويها الآذان.

* الفوائد:

(١) الأفعال التي تنصب مفاعيل ثلاثة هي: أعلم، وأرى، وأنبأ، ونبأ، وأخبر، وخبر، وحدث، والأصل في هذه الأفعال: أعمل وأرى اللذان كان أصلهما قبل دخول همزة النقل عليهما علم ورأى المتعديان لاثنين، وأما الخمسة الباقية فليس لها ثلاثي يستعمل في العلم إلا خبر، ولكنها ألحقت في بعض استعمالاتها بأعلم المتعدي إلى ثلاثة؛ لأن الإنباء والتنبيء والإخبار والتخبير والتحديث بمعنى الإعلام، هذا؛ وتستعمل الخمسة متعدية إلى واحد بأنفسها، وإلى مضمون الثاني، والثالث، أو مضمون الثالث وحده بالباء نحو: حدثتك بخروج زيد، وعليه يحمل قوله تعالى: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ

﴿مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ وسيأتي مزيد بحث عن هذه الأفعال في موضعه إن شاء الله.

(٢) وراء:

هو لفظ يطلق على الخلف وعلى الأمام، ومعناها: هنا أمامهم، وكون وراءهم بمعنى أمامهم قول قتادة وأبي عبيدة وابن السكيت والزجاج، ولا خلاف عند أهل اللغة أن وراء يجوز بمعنى قدام، وجاء في التنزيل والشعر، قال الله تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ وقال: ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ وقال: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ﴾ وقال لبيد:

أليسَ ورائي إنْ تراخَتْ مَنِيَّتي لُزُومُ العَصَا تُحْنَى عليها الأصابعُ

وقال سوار بن المضرب السعدي:

أيرجو بنو مروان سَمْعي وطَاعتي
وقومي تميمٌ والفلاةُ ورائيا

وقال آخر:

أليس ورائي أن أدبَّ على العصا
فتأمنَ أعداءٌ وتسأمني أهلي

وقال الفراء: لا يجوز أن يقال للرجل بين يديك: هو وراءك، وإنما يجوز ذلك في المواقيت من الليالي والأيام والدهر، تقول: وراءك برد شديد، وبين يديك برد شديد، جاز الوجهان؛ لأن البرد إذا لحقك صار من ورائك، وكأنك إذا بلغته صار بين يديك. قال: إنما جاز هذا في اللغة؛ لأن ما بين يديك وما قدامك إذا توارى عنك فقد صار وراءك. وأكثر أهل اللغة على أن وراء من الأضداد.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ

وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ : اضطربت الأقوال فيه كثيراً، فبينما يزعم مفسرو القرآن أنه غير الإسكندر المقدوني الكبير، يقولون: إنه هو الذي بنى الإسكندرية، مع أن الإسكندر الكبير هو بانيها؛ ومعنى ذي القرنين أنه لقبٌ لقب به؛ لأنه طاف قرني الدنيا، يعني: جانبيها شرقيها وغربيها، أو لأنه كان له قرنان، أي: ضفيرتان، والعرب تسمي الذؤابة قرناً، وجمعها قرون. قال مجنون ليلى لزوجه صبيحة عرسه:

بعيشك هل ضممتَ إليك ليلى قبيلَ الفجرِ أو قَبَّلْتَ فاها؟!
وهل رفَّت عليك قرونُ ليلى رفيفَ الأقحوانة في شذاها؟!

وقيل: كان على رأسه ما يشبه القرنين، ويجوز أن يلقب بذلك لشجاعته، كما يسمى الشجاع كبشاً؛ لأنه ينطح أقرانه. واختلف في زمنه ومكانه اختلافاً يمكن الرجوع إليه في المطولات؛ لأن هذا البحث غير داخل في نطاق كتابنا.

﴿حَمِئَةٍ﴾ : أي: كثيرة السواد من الحمأة، أي: الطين. وفي المصباح: والحمْأة بسكون الميم: طين أسود، وقد حمِئت البئر حمأً، من باب: تعب، صار فيها الحمأة، والعين الحمئة: ماء يجري على الطين الأسود، وقد قرىء عين حامية، أي: حارة. ويروى أن ابن عباس قرأ حمئة، وكان عند معاوية، فقرأ معاوية حامية، فقال ابن عباس: حمئة، فقال معاوية لعبد الله بن عمر: كيف تقرأ؟ قال: كما يقرأ أمير المؤمنين. ثم وجه إلى كعب الأحبار: كيف تجد الشمس تغرب؟ فقال: في ماء وطين، فوافق قول ابن عباس، وكان ثمة رجل، فأنشد قول تُبَّع:

قد كان ذو القرنين جدّي مسلماً
ملكاً تدينُ له الملوكُ وتسجد
بلغَ المغاربَ والمشارقَ يبتغي
أسبابَ أَمْرٍ من حكيمٍ مُرْشِدِ
فرأى مغارَ الشَّمسِ عندَ مآبها
في عَيْنِ ذي خُلُبٍ وثأْطٍ حَرْمِدِ

والخُلُب ـ بضمتين ـ: الحمأة، وهي الطين، والثأط: الحمأة المختلطة بالماء فتزيد رطوبة وتفسد، والحرمد: الطين الأسود. مدح تبع ذا القرنين، ثم قال: إنه بلغ مواضع غروب الشمس ومواضع شروقها، يبتغي من الله أسباباً توصله لمقصده، فرأى محل غبار الشمس عند مآبها، أي: رجوعها. وفي عين متعلق بمغار وحال منه، وقد أوّل أبو علي الجبائي ذلك تأويلاً طريفاً؛ بأن ذلك على سبيل التخييل، كما أن من ير الشاطىء الغربي من البحر المتسع ير الشمس تغرب فيه، وفي الحقيقة تغرب في ظلمة وراء الأرض لدورانها، كما يقرر ذلك بدائه العلم.

○ الإعراب:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ الواو استئنافية، ويسألونك فعل مضارع وفاعل ومفعول به، وعن ذي القرنين متعلقان بيسألونك ﴿قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ جملة سأتلو مقول القول، وعليكم متعلقان بأتلو، ومنه متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان صفة لذكر وتقدم عليه، وذكراً مفعول به. ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ إن واسمها، وجملة مكنا خبرها، وله متعلقان بمكنا، وفي الأرض متعلقان بمكنا أيضاً، وآتيناه عطف على مكنا وهو فعل وفاعل ومفعول به، ومن كل شيء كل متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان صفة لسبباً، وسبباً مفعول به ثان لآتيناه ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ الفاء عاطفة، وأتبع فعل ماض، وفاعله مستتر تقديره: هو، وسبباً مفعول به، وقيل: هو يتعدى لاثنين حذف أحدهما، وتقديره: فأتبع سبباً سبباً آخر، أو فأتبع أمره سبباً،

قال يونس وأبو زيد: أتبع ـ بالقطع ـ: عبارة عن المجد المسرع الحثيث الطلب، وبالوصل إنما يتضمن الاقتفاء دون هذه الصفات ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ حتى حرف غاية وجر، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن، وجملة بلغ مضافة إلى الظرف، ومغرب الشمس مفعول به، وجملة وجدها لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وفي عين متعلقان بتغرب، وحمئة صفة لعين ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ ووجد عطف على وجدها، وعندها ظرف متعلق بوجد، وقوماً مفعول به، وقلنا فعل وفاعل، وذا القرنين منادى مضاف، وإما حرف شرط وتفصيل، وأن تعذب مصدر مؤول في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو تعذيبك، أو الرفع على أنه مبتدأ، والخبر محذوف، أي: إما تعذيبك واقع، ومن شواهد الرفع.

قول الشاعر:

فسيروا فإمَّا حاجَةٌ تقضيانها منها
وإمــا مقيــلٌ صــالــحٌ وصــديــق

أو في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، أي: إما أن تفعل التعذيب، وإما أن تتخذ عطف على إما أن تعذب، وفيهم متعلقان بتتخذ، أو مفعول به ثان لتتخذ، وحسناً مفعول به أول، أي: أمراً ذا حسن ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ أما حرف شرط وتفصيل، ومن ظلم مبتدأ، وجملة ظلم صلة، فسوف: الفاء رابطة، وسوف حرف استقبال، ونعذبه فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول، والجملة خبر من ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ ثم حرف عطف وتراخ، ويرد فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر تقديره: هو، وإلى ربه متعلقان بيرد، فيعذبه: الفاء عاطفة، ويعذبه فعل وفاعل ومفعول به، وعذاباً مفعول مطلق، ونكراً صفة ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وأما عطف على أما السابقة، ومن مبتدأ، وآمن صلة، وعمل صالحاً فعل وفاعل مستتر ومفعول به، أو صالحاً صفة لمفعول مطلق

محذوف، أي: عملاً صالحاً، فله: الفاء رابطة، وله خبر مقدم، وجزاء تمييز، وأعربها أبو حيان مصدراً في موضع الحال، أي: مجازى كقولك: في الدار قائماً زيد، وقيل: انتصب على المصدر، أي: يجزى جزاء، والحسنى مبتدأ مؤخر، أي: فله الفعلة الحسنى جزاء. قال الفراء: ونصب جزاء على التفسير، أي: لجهة النسبة، أي: نسبة الخبر المقدم، وهو الجار والمجرور إلى المبتدأ المؤخر، وهو الحسنى، والتقدير: فالفعلة الحسنى كائنة له من جزاء الجزاء ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا﴾ وسنقول فعل مضارع مرفوع، وفاعله ضمير مستتر تقديره: نحن، وله متعلقان بنقول، ومن أمرنا متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان صفة ليسراً، وتقدم عليه، ويسراً مفعول به، أو مفعول مطلق، أي: لا نأمره بالصعب الشاق، ولكن بالسهل المتيسر.

* الفوائد:

* بحث طريف يتعلق بـ «في»:

ذهب ابن قتيبة إلى أن «في» بمعنى «عند» لأنها قد ترد بمعنى «في» وبمعنى «مع» قال الشاعر:

حتى إذا ألقتْ يداً في كافر

معناه: عند كافر، وقال الشاعر:

وفي الشرِّ نجاةٌ حين لا ينجيك إحسان

معناه: ومع الشر، وتكون في الآية بمعنى على كقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ أي: على جذوع النخل، وقال عنترة:

بطلٌ كأنّ ثيابَهُ في سرحةٍ ... ...

أي: على سرحة، وكما أن في تقع موقع على كذلك تعكس القضية، كقول الشاعر:

ولقد سَريت على الزَّمانِ بمعشر

أي: في الزمان.

هذا؛ ونقول: إن الخطاب على حكم الحس في رأي العين؛ لأن من وقف على شاطىء البحر المحيط، أو قريباً من جبل عال، رأى الشمس عند الغروب كأنها تدلت في نفس البحر أو خلف الجبل قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ أي: وراء الجبل، ولولا أن اللفظ جاء على حكم الحسّ في الظاهر لما قال الله تعالى: ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ ومن المعلوم عقلاً أن القوم لا يجلسون في قرن الشمس، ولا هم عندها، ولكن لما كان ذو القرنين قد توغل في جوب الأرض حتى انتهى إلى البحر المحيط من جهة الغرب، كان الناظر يخيل إليه أن الشمس تغرب هناك، وإذاً فالخطاب ورد على حكم الحسّ في الظاهر، وما أكثر ما تكذب الحواس! وله مباحث تؤخذ من مظانها، وليس من شرطنا البحث في هذه الموضوعات على جلالتها. ويروي التاريخ أن لابن الهيثم كتاباً جليل القدر يقع في سبعة مجلدات في هذا العلم، ولكنه فقد مع ما فقد من تراثنا العربي.

هذا. وقد تظرف الشعراء فأشاروا إلى خداع الحس، قال أبو العلاء المعري:

والنجمُ تستصغرُ الأبصارُ رؤيته
والذّنبُ للطرف لا للنجمِ في الصّغر

وقال الخفاجي:

ولا ينال كُسوف الشّمس طَلْعتها
وإنّما هو فيما يزعمُ البصر

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾

قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ : بين الجبلين، يروى أن ذا القرنين سدّ ما بينهما، وإطلاق السد على الجبل لأنه سد في الجملة. وفي القاموس: السدّ: الجبل والحاجز، أو لكونه ملاصقاً للسد، فهو مجاز بعلاقة المجاورة، والقول الثاني هو المناسب لما قبله، والتفاصيل في المطولات.

﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ : اسمان أعجميان بدليل منع الصرف فيهما للعلمية والعجمة، وقيل: بل هما عربيان، واختلف في اشتقاقهما، فقيل: من أجيج النار، وهو التهابها وشدة توقدها، وقيل: من الأوجة وهي الاختلاط أو شدة الحر، وقيل: من الأوج وهو سرعة العدو، وإنما منعا من الصرف للعلمية والتأنيث، وكلاهما من أج الظليم إذا أسرع، أو من أجت النار إذا التهبت، والأقوال في حقيقتهما كثيرة يمكن الرجوع إليها في المطولات.

﴿خَرْجًا﴾ : جعلاً من المال أو الخراج بتثليث الخاء، وقد قرىء بها، ومنه: «الخراج بالضمان» ثم سمي ما يأخذه السلطان خراجاً، ويقال للجزية: الخراج، فيقال: أدى خراج أرضه، ومن المجاز: خرج فلان في العلم والصناعة خروجاً: إذا نبغ، وخرّجه فلان فتخرج، وهو خريج المدرسة، قال زهير يصف الخيل:

وخَرَّجَها صَوارِخَ كُلَّ يومٍ فَقَدْ جَعَلَتْ عَرائِكُها تَلِينُ

أي: وأدبها كما يخرّج المتعلم.

﴿رَدْمًا﴾ : حاجزاً حصيناً موثقاً، والردم أكبر من السدّ، من قولهم ثوب مردم، ومنه قول عنترة:

هل غادَر الشُّعراءَ من مُتردّم؟ أمَ هل عرفتَ الدَّارَ بعد تَوَهُّمِ؟

المتردم: الموضع الذي يسترقع ويستصلح لما اعتراه من الوهن والوهي، والتردم أيضاً مثل الترنم، وهو ترجيح الصوت مع تحزين، ومعنى قول عنترة: لم يترك الأول للآخر شيئاً، أي: سبقني من الشعراء قوم لم يتركوا لي مسترقعاً أرقعه، ومستصلحاً أستصلحه.

﴿ زُبَرَ ٱلْحَدِيدِۖ ﴾ : جمع زبر، كغرفة، أي: قطعة.

﴿ ٱلصَّدَفَيْنِ ﴾ بفتحتين، وضمتين أيضاً، وضم الأول وسكون الثاني، وقد قرىء بالثلاث جميعاً مثنى صدف بفتحتين، وصدف بضمتين، وصُدَف بضم الأول وفتح الثاني، وبالعكس: منقطع الجبل، أو ناصيته، وقد سميا بذلك لأنهما يتقابلان.

﴿ قِطْرًا ﴾ بكسر فسكون: النحاس المذاب على الحديد المحمى.

﴿ يَظْهَرُوهُ ﴾ يعلوا ظهره لارتفاعه وانملاسه.

﴿ نَقْبًا ﴾ خرقاً لصلابته وثخانته.

﴿ دَكَّآءَۖ ﴾ بالمد أرض مستوية، من قولهم: ناقة دكاء، أي: لا سنام لها، ذللت بالدك، وقرىء دكاً مصدر دك.

○ الإعراب:

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ عطف على نظائرها، وقد تقدم إعرابها ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾ حتى حرف غاية وجر، وإذا ظرف مستقبل، وجملة بلغ مضافة إلى الظرف، ومطلِع ـ بكسر اللام ـ: مكان الطلوع، وسيأتي القول فيه في باب: الفوائد، وجملة وجدها لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وجملة تطلع مفعول ثان لوجدها، وعلى قوم متعلقان بتطلع، وجملة لم نجعل صفة لقوم، ولهم في موضع نصب مفعول ثان لنجعل، ومن دونها حال، وستراً مفعول نجعل الأول؛ لأن أرضهم لا أبنية فيها، بل فيها أسراب فإذا طلعت الشمس دخلوها، وإذا ارتفع النهار خرجوا

إلى معايشهم، وقيل: المراد بالستر اللباس، فهم عراة أبداً﴿ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾ كذلك خبر لمتبدأ محذوف، أي: الأمر كذلك، وقد الواو عاطفة، أو حالية، وقد حرف تحقيق، وأحطنا فعل وفاعل، وبما متعلقان بأحطنا، ولديه صلة الموصول، وخبراً تمييز، أو مفعول به، وقد تقدم﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ تقدم إعرابه ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾ بين السدين: انتصب بين على أنه مفعول به مبلوغ، كما انجر على الإضافة في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ وكما ارتفع في قوله: ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ لأنه من الظروف التي تستعمل أسماء وظروفاً، وسيأتي تفصيل ذلك في باب: الفوائد، وجملة وجد لا محل لها لأنها جواب إذا، ومن دونهما مفعول وجد الثاني، وقوماً مفعول وجد الأول، وجملة لا يكادون صفة لقوماً، والواو اسم يكاد، وجملة يفقهون خبرها، وقولاً مفعول به﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ يا أداة نداء، وذا القرنين منادى مضاف، وإن واسمها ومأجوج عطف على يأجوج، ومفسدون خبر إن، وفي الأرض متعلقان بمفسدون﴿ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ الفاء عاطفة، وهل حرف استفهام، ونجعل فعل مضارع وفاعل مستتر، ولك مفعول نجعل الثاني، وخرجاً مفعول نجعل الأول، وعلى ومدخولها متعلقان بمحذوف صفة لخرجاً، أي: قائماً على هذا الشرط، فعلى هنا على بابها، أي: للاستعلاء، وبيننا الظرف متعلق بمحذوف مفعول تجعل الثاني، وبينهم عطف على بيننا وسداً مفعول تجعل الأول﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾ ما اسم موصول في محل رفع مبتدأ، وجملة مكني صلة، وفيه متعلقان بمكني، وربي فاعل مكني، وخير خبر المبتدأ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ الفاء الفصيحة، وأعينوني فعل أمر وفاعل ومفعول به، وبقوة متعلقان بأعينوني، وأجعل فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب، وبينكم الظرف مفعول أجعل الثاني، وبينهم عطف عليه، وردماً مفعول أجعل الأول، ومعنى أعينوني بقوة، أي: بفعلة، وصنّاع يحسنون البناء، وبآلة، وسيأتي تفسيرها﴿ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ ﴾ آتوني فعل أمر وفاعل ومفعول به أول،

وزبر الحديد مفعول بـه ثان، وحتى حرف غـاية وجـر، وإذا ظرف مستقبل، وساوى فعل ماض، وفاعله مستتر تقديره: هو، ولا بد من تقدير محذوف للغاية، أي: فجاؤوه بما طلب فبنى، وجعل بين الصدفين الفحم والحطب حتى سد ما بين الجبلين إلى أعلاهما، والظرف متعلق بساوى ﴿قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرًا﴾ جملة انفخوا مقول القول، وجملة قال لا محل لها لأنها جواب إذا، وحتى غاية للنفخ، وجملة جعله ناراً مضافة إلى الظرف، وناراً مفعول جعل الثاني، وجملة آتوني مقول القول، وأفرغ مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب، وفاعله أنا، وعليه متعلقان بأفرغ، وقطراً مفعول به لأفرغ، والتقدير: وآتوني قطراً أفرغ عليه قطراً، فحذف الأول لدلالة الثاني عليه، والمسألة من باب: التنازع، فقد أعمل الثاني، ولو أعمل الأول لقالوا آتوني أفرغه عليه قطراً إذ التقدير آتوني قطراً أفرغه عليه، ومثله قوله تعالى: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾ أعمل الثاني، ولو أعلم الأول لقال: «هاؤم اقرؤوه كتابيه» وسيأتي القول فيه في حينه ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبًا﴾ الفاء عاطفة على محذوف، أي: فجاء قوم يأجوج بعد أن أنهى بناءه وتسويته يحاولون أن يعلون، أو يثقبوه فما اسطاعوا، واسطاعوا، فعل وفاعل وأن وما بعدها مصدر مؤول في محل نصب مفعول اسطاعوا وما استطاعوا عطف على فما اسطاعوا، وله متعلقان بنقباً، ونقباً مفعول به ﴿قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا﴾ جملة هذا مقول القول، وهذا مبتدأ، ورحمة خبر، والإشارة إلى السد لأنه مانع من خروجهم، ومن ربي صفة لرحمة، فإذا الفاء استئنافية، وإذا ظرف مستقبل، وجملة جاء وعد ربي مضافة للظرف، وجملة جعله لا محل لها، ودكاء مفعول به ثان لجعل، وكان الواو عاطفة، أو حالية، وكان وعد ربي: كان واسمها، وحقاً خبرها.

* الفوائـد:

(١) أسماء الزمان والمكان تفيد زمان الفعل ومكانه، وتصاغ من الثلاثي

المجرد على وزن مَفعَل بفتح العين، وعلى وزن مفعِل بكسرها، فوزن مفعل بفتح العين للثلاثي المجرد المأخوذ من يفعُل المضموم العين، أو يفعَل المفتوح العين في المضارع، أو من الفعل المعتل الآخر مطلقاً، فالأول مثل: مكتب ومحضر ومحل من حل بالمكان، والثاني مثل ملعب ومزرع، والثالث مثل ملهى ومثوى وموقى، وشذت ألفاظ جاءت بالكسر مع أنها مبنية من مضموم العين في المضارع، وهي أحد عشر، وهي: المطلع، والمنسك لمكان النسك، أي: العبادة، والمجزر لمكان جزر الإبل، وهو نحرها، يقال: جزرت الجزور أجزرها بالضم إذا نحرتها وجلدتها، والمنبت لموضع النبات، والمشرق، والمغرب لمكان الشروق والغروب، والمفرق لوسط الرأس؛ لأنه موضع فرق الشعر، وكذلك مفرق الطريق: للموضع الذي يتشعب منه طريق آخر، والمسكن موضع السكنى، والمسقط موضع السقوط، يقال: هذا مسقط رأسي، أي: حيث ولدت وسقط رأسي، والمرفق موضع الرفق، والمسجد وهو اسم للبيت وليس المراد موضع السجود، فقد كسروا هذه الألفاظ، والقياس فيها الفتح.

ووزن مفعل بكسر العين للثلاثي المجرد المأخوذ من يفعل الصحيح المكسور العين، أو من المثال الواوي، فالأول مثل مجلس، ومحبس، ومضرب، ومبيت، ومضيف، والثاني مثل: مورد، وموعد.

وقد تدخل تاء التأنيث على أسماء المكان كالمزلة بفتح الزاي وكسرها، فالمفتوح من باب: فرح، والمكسور من باب: ضرب، وهي اسم مكان من: زل: إذا سقط، والمظنة لموضع الظن ومألفه، وهو بفتح الظاء، لأنه من ظن يظن بالضم، والمقبرة لموضع القبر، والمعبرة لموضع الشط المهيأ للعبور، والمشرقة مثلثة الراء، والمدرجة الطريق من درج يدرج دروجاً إذا مشى، والموقعة بفتح القاف وكسرها الموضع الذي يقع عليه، والمشربة بفتح الراء وضمها، أي: موضع الشرب، وتطلق أيضاً على الغرفة لأنهم كانوا يشربون فيها، وهي أيضاً الأرض اللينة الدائمة النبات، وإذا كثر الشيء بالمكان قيل فيه

مفعلة بالفتح، فيبنى اسم المكان من الأسماء، مثل: أرض مسبعة، أي: كثيرة السباع، ومذأبة، أي: كثيرة الذئاب، ومأسدة، أي: كثيرة الأسود، ومبطخة، أي: كثيرة البطيخ، ومقثأة، أي: كثيرة القثاء، ومحياة، أي: كثيرة الحياة، ومفعاة، أي: كثيرة الأفاعي ومدرجة، أي: كثيرة الدُّرَّاج بضم الدال وتشديد الراء، وهو طائر جميل ملون الريش، ويطلق على الذكر والأنثى.

أما وزنهما مما فوق الثلاثي فيكون على وزن المضارع بضم الميم المبدلة من حرف المضارعة، وفتح ما قبل الآخر، نحو: مجتمع، ومنتدى، ومنتظر، ومستشفى، فهما يشبهان اسم المفعول والمصدر الميمي، والتفرقة بينها بالذوق والقرينة.

(٢) الظرف:

الظرف قسمان: متصرف وغير متصرف:

فالمتصرف ما يستعمل ظرفاً وغير ظرف، فهو يفارق الظرفية إلى حال لا تشبهها، كأن يستعمل مبتدأ، أو خبراً، أو فاعلاً، أو مفعولاً به، أو نحو ذلك، مثل: شهر، ويوم، وسنة، وليل. والظرف غير المتصرف ما يلازم النصب على الظرفية، فلا يستعمل إلا ظرفاً منصوباً مثل: قط، وعوض، وبينا، وبينما، وإذا، وأيان، وأنى، وذا صباح، وذات ليلة، ومنه: ما ركب من الظروف مثل صباح مساء، وليل ليل، ومنه ما يلزم النصب على الظرفية أو الجر بمن نحو: قبل، وبعد، والجهات الست، ولدى، ولدن، وعند، ومتى، وأين، وهنا، وثم، وحيث، والآن، وتفصيل ذلك في المطولات.

(٣) استطاع واسطاع:

قالوا: الأصل في اسطاع: استطاع، وأن التاء حذفت تخفيفاً، وفتحت همزة الوصل وقطعت، وهو قول الفراء. وفي استطاع لغات: اسطاع يسطيع بفتح الهمزة في الماضي وضم حرف المضارعة، فهو من أطاع يطيع، وأصله يطوع بقلب الفتحة من الواو إلى الطاء في أطوع إعلالاً له حملاً على الماضي،

فصار أطاع، ثم دخلت السين كالعوض من عين الفعل، هذا مذهب سيبويه.
واللغة الثانية: استطاع يستطيع بكسر الهمزة في الماضي، ووصلها، وفتح حرف المضارعة، وهو استفعل، نحو: استقام واستعان.

﴿ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿يَمُوجُ﴾: يختلط.

﴿الصُّورِ﴾: القرن ينفخ فيه، والبوق.

○ **الإعراب:**

﴿ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ وتركنا فعل وفاعل، وبعضهم مفعول به، ويومئذ ظرف مضاف إلى مثله متعلق بيموج، وجملة يموج في بعض مفعول به ثان، والتنوين في إذ عوض عن جملة كما تقدم، وقد جعل بعضهم ترك متعدياً إلى واحد، فتكون جملة يموج في محل نصب على الحال ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ ونفخ فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر، وفي الصور متعلقان بنفخ، فجمعناهم: الفاء عاطفة، وجمعناهم فعل وفاعل ومفعول به، وجمعاً مفعول مطلق ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾ وعرضنا عطف على ما تقدم، وجهنم مفعول به، ويومئذ ظرف مضاف إلى

مثله متعلق بعرضنا، وللكافرين متعلقان بعرضنا أيضاً، وعرضاً مفعول مطلق ﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ﴾ الذين صفة للكافرين، أو بدل منهم، وجملة كانت صلة، وأعينهم اسم كانت، وفي غطاء خبر كانت، وعن ذكري صفة لغطاء، وكانوا: كان واسمها، وجملة لا يستطيعون سمعاً خبرها ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، والذين فاعل، وجملة كفروا صلة، وإن وما في حيزها سدت مسد مفعولي حسب، ومن دوني مفعول ثان ليتخذوا، وأولياء مفعول به أول ﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا ﴾ إنا: إن واسمها، وجملة أعتدنا خبر، وجهنم مفعول به، وللكافرين حال لأنه كان صفة لنزلاً ، ونزلاً حال، أي: معدةً لهم كالنزل يعدّ للضيف ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴾ جملة هل ننبئكم مقول القول، وبالأخسرين دخلت الباء على مضمون المفعولين الثاني والثالث، وأعمالاً تمييز وجمع التمييز، وهو أصيل في الإفراد لمشاكلة المميز، وللإيذان بأن خسرانهم إنما كان من جهات شتى لا من جهة واحدة ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴾ الذين صفة للأخسرين، أو بدل، ويرجح أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف، كأنه جواب لسؤال سائل: ومن هم الأخسرون أعمالاً، وجملة ضل صلة، وسعيهم فاعل، وفي الحياة متعلقان بضل، والواو حالية، وهم مبتدأ، وجملة يحسبون خبر، وإن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يحسبون، وجملة يحسنون خبر أنهم، وصنعاً مفعول، ويجوز أن يعرب تمييزاً، وجملة وهم يحسبون حال من فاعل ضل ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ ﴾ أولئك اسم إشارة مبتدأ، والذين خبره، وجملة كفروا صلة، وبآيات ربهم جار ومجرور متعلقان بكفروا، ولقائه عطف على آيات، فحبطت عطف على كفروا، وأعمالهم فاعل حبطت ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴾ فلا نقيم عطف على ما تقدم، والفاعل مستتر تقديره: نحن، ولهم متعلقان بنقيم، ويوم القيامة متعلق بنقيم أيضاً ووزناً مفعول به، أي: فلا يكون لهم عندنا وزن أو مقدار ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾ ذلك مبتدأ، وجزاؤهم

خبر، وجهنم بدل أو عطف بيان، لقوله: جزاؤهم، ويجوز أن يعرب ذلك خبراً لمبتدأ محذوف، أي: الأمر ذلك، جزاؤهم جهنم مبتدأ وخبر، فتكون كل من الجملتين جملة برأسها، ويجوز أن يعرب ذلك مبتدأ، وجزاؤهم مبتدأ ثان، وجهنم خبر جزاؤهم، والجملة خبر المبتدأ الأول، وهو: ذلك، وهذه الأوجه متساوية الرجحان، وبما كفروا يجوز أن يتعلق بمحذوف خبر ذلك في أحد وجوهه، أو بمحذوف حال، أي: بسبب كفرهم، وما مصدرية، واتخذوا عطف على كفروا، وآياتي مفعول به أول، ورسلي عطف على آياتي وهزواً مفعول به ثان.

□ **البلاغة:**

(١) الاستعارة المكنية:

في قوله تعالى: ﴿ ۞وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ استعارة محسوس لمحسوس كما قسمنا أنواع الاستعارة، فإن أصل الموج تحريك المياه، فاستعير لحركة يأجوج ومأجوج لاشتراك المستعار والمستعار له في الحركة، وهي استعارة مكنية تبعية، أو هم الخلق يموجون.

(٢) جناس التصحيف:

وفي قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ جناس التصحيف، وهو أن يكون النقط فيه فارقاً بين الكلمتين، على حد قول البحتري:

ولم يكنِ المغترُّ باللهِ إذ سرى ليعجزَ والمعتزُّ باللهِ طالِبُه

* **الجناس وأقسامه:**

الجناس، ويقال له التجنيس والمجانسة والتجانس، وكلها ألفاظ مشتقة من الجنس، وحدّه في الاصطلاح: تشابه الكلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى، وفائدته أن يميل بالسامع إلى الإصغاء، فإن مناسبة الألفاظ تحدث ميلاً وإصغاء إليها، ولأن اللفظ المذكور إذا حمل على معنى، ثم جاء والمراد به معنى آخر، كان للنفس تشوق إليه.

وفيما يلي أقسام الجناس باختصار :

١ ـ الجناس المركب : وهو أن يتألف من ركنين ، وهو قسمان :

أ ـ أن يتشابه ركناه لفظاً لا خطاً ، كقول العماد الأصفهاني ، وكان يسير مع القاضي الفاضل في موكب السلطان ، وقد ثار الغبار :

أمـا الغبـارُ فـإنَّـه ممَّـا أثـارتـه السَّنـابـك
والجـوّ منـه مُظْلِـم لكـن أنـار بـه السَّنـابـك
يـا دهـرُ لي عبـد الـرحيـ ـم فلستُ أخشى مسَّ نابك

ويحكى أنه لما كان المعتمد بن عباد في سجن أغمات ، وطال عليه الحال ، قالت له جاريته : لقد هُنّا هُنا ، فأنشد على قولها :

قـالـتْ لقـد هُنَّـا هُنـا مـولاي أيـنَ جـاهُنـا؟ !
قلـتُ لهـا : إلهنـا صيَّـرنـا إلى هنـا

ب ـ أن يتشابه ركناه لفظاً وخطاً ، ومن أمثلته :

عضَّنـا الـدهـرُ بنـابِـه ليـتَ مـا حـلَّ بنـا بـه

ولأبي الفتح البستي :

إذا لم يكـن ملـكٌ ذا هبـه فـدعـه فـدولتُـه ذاهبـه

٢ ـ الجناس الملفق :

وحدّه أن يكون كل من الركنين مركباً من كلمتين ، كقول بعضهم :

رعى اللهُ دهراً بكمْ قد مضى بلغـتِ الأمـاني بـه في أمـان
وأيـام أنـسٍ تـولَّـتْ لنـا بـأحـلام عـان بـأحلى معـان

٣ ـ الجناس المعنوي :

وهو مجرد صناعة مضنية ، وقد يأتي حسناً ، وهو أن يضمر المتكلم ركني التجنيس ، ويذكر ألفاظاً مرادفة لأحدهما ، فيدل المظهر على المضمر ، وأحسن ما سمعناه منه قول أبي بكر بن عبدون ، وقد اصطبح بخمرة ، وترك بعضها إلى الليل ، فصارت خلاً :

أَلاَ في سبيلِ الله كأس مُدامة أتتنا بطعمٍ عهدُه غير ثابت
حكت بنت بسطام بن قيس صبيحةً
وأضحتْ كجسم الشّنفرى بعد ثابت

فصح معه جناسان مضمران في صدر البيت وعجزه؛ لأن بنت بسطام بن قيس كان اسمها الصهباء، والشنفري اسمه ثابت، وجعل جسمه خلاًّ في مرثية خاله تأبط شراً، حيث قال:

فاسقنيها يا سواد بن عمرو إنَّ جسمي بعد خالي لخلّ

والخل: المهزول، وأما الجناس المضمر فهو بنت بسطام التي هي الصهباء، وأما الذي في العجز فهو جسم ثابت الشنفرى الذي هو الخل، والمعنى: أن الخمر التي حكت سميتها بنت بسطام صباحاً، وحكت جسم الشنفرى مساء، أي: كانت صهباء فصارت خلاً، فظهر من كناية اللفظ جناسان مضمران الصهباء، وهي: الخمرة، والصهباء، وهي بنت بسطام، وخل، وهو المهزول، وخل وهو ما يؤتدم به.

٤ ـ الجناس المطرف:

وهو ما زاد أحد ركنيه على الآخر حرفاً في طرفه الأول، كقول عبد الله بن المعتز:

زارني والدُّجى أحمّ الحواشي والثُّريا في الغربِ كالعنقود
وكأن الهلالَ طوقُ عروس باتَ يجلى على غلائل سُود
ليلة الوصلِ ساعدينا بطولٍ طول اللهُ فيك غيظَ الحسود

فإن قوله الحسود زاد حرفاً على سود.

٥ ـ الجناس المحرف:

وهو ما اتفق ركناه في أعداد الحروف وترتيبها واختلفا في هيئة الحروف فقط، سمي بذلك لانحراف هيئة عن هيئة الآخر، قال أبو العلاء:

والحسنُ يظهرُ في شيئين رونقه بيتٍ من الشعر أو بيتٍ من الشعر

٦ ـ الجناس اللفظي:

وهو ما تماثل ركناه لفظاً، واختلف أحد ركنيه عن الآخر خطاً.

قال أبو تمام:

يمــدُّون مــن أيــدٍ عَــوَاصٍ عَــوَاصِــمٍ
تَصُــولُ بــأسيــافٍ قَــواضٍ قَــوَاضِــبِ

وقال البحتري:

من كلِّ ساجي الطرفِ أغيد أجيد
ومهفهـف الكشحَيْـن أحـوى أَحْـور

٧ ـ الجناس المطلق:

وهو ما اختلف ركناه في الحركات والحروف، فاشتبه بالمشتق الراجع معناه إلى أصل واحد، وليس كذلك، وهو جميل غير متكلف، ومنه قول أبي فراس:

سكـرت مـن لحظـهِ لا مـن مُـدامتـه
ومـال بـالنَّـومِ عـن عينـي تمـايلـه
فمـا السـلافُ دهتنـي بـلْ سـوالفـه
ولا الشّمـول ازدهتنـي بـل شمـايلـه
ألـوى بِعَـزْمـي أصـداغـاً لـويـنَ لـه
وغـالَ صبري بمـا تَحْـوي غـلايلـه

وقد ولع أبو فراس بهذا اللون من الجناس فقال:

عـذيـري مـن طـوالـع في عـذاري
ومـــن بـــردِ الشَّبـــاب المستعـــار
وثـــوب كنـــتُ ألبســـه أنيـــق
أجـــرِّرُ ذيلـــه بين الجـــواري

وما زادتْ على العشرين سنِّي
فما عذرُ المشيبِ إلى عذاري؟!

ومنه الحديث النبوي، وهو: «الظلم ظلمات يوم القيامة».

٨ ـ الجناس المذيل:

وهو ما زاد أحد ركنيه على الآخر بحرف أو أكثر في طرفه الأخير، فكان له بمثابة الذيل اللاحق بالثوب، ومنه قول أبي تمام:

يمدُّون من أيدٍ عَواصٍ عَواصِمٍ
تصولُ بأسيافٍ قواضٍ قَواضِبِ

ولحسان بن ثابت منه:

وكنا متى يغزُ النبيُّ قبيلةً
نصلْ جانبيها بالقنا والقنابل

٩ ـ الجناس اللاحق: وهو ما أبدل من أحد ركنيه حرف واحد بغيره من غير مخرجه، سواء كان الإبدال في الأول أو الوسط أو الآخر، قال البحتري:

عجبَ الناسُ لاغترابي وفي الأط
رافِ تلقى منازل الأشرافِ
وقُعودي عن التقلُّب والأر
ضُ لمثلي رحيبةُ الأكنافِ
ليس عن ثروةٍ بلغت مداها
غير أنِّي امرؤ كفاني كفافي

ولأبي فراس الحمداني:

تعس الحريصُ وقلَّ ما يأتي به
عوضاً عن الإلحاح والإلحافِ
إنَّ الغنيَّ هو الغنيُّ بنفسه
ولو أنه عاري المناكب حافي

مـا كـلُّ مـا فـوق البسيطـةِ كـافيـاً
فـإذا قنعـتَ فكـلُّ شيء كـافِ

١٠ ـ الجناس المصحف:

وقد تقدم عند الكلام على الآية، ولأبي فراس فيه روائع، استمع إلى هذه المقطوعة:

مـا كنـتُ مـذ كنـتُ إلا طـوع خـلاني
ليست مؤاخذةُ الإخوان من شاني
يجنـي الخليـلُ فـأستحلي جنـايتـه
حتـى أدلَّ على عفـوي وإحسـاني
إذا خليلـي لـم تكثـرْ إسـاءتـه
فـأيـن مـوقـعُ إحسـاني وغفـراني
يجنـي علـيّ وأحنـو صـافِحـاً أبـداً
لا شيءَ أحسـنُ مـن حـانٍ على جـاني

١١ ـ الجناس التام:

وهو أن يتفق اللفظان في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها، وهو قسمان:

آ ـ الجناس التام المتماثل: وهو أن يكون اللفظان من نوع واحد، كاسمين، أو فعلين، أو حرفين، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾.

وقول أبي تمام:

السيـفُ أصـدقُ أنبـاءً مـن الكتـبِ
في حـدِّه الحـدُّ بين الجـدِّ واللعـبِ

فجانس بين حد السيف والحد الفاصل بين الشيئين، وهما اسمان وقد تفنن الشعراء فيه ولا سيما في عصور الانحطاط كقول الملك الصالح داود:

عيـــونٌ مـــن السّحـــرِ المبين تبين
لهـا عنـد تحـريـك الجفـونِ سكـون
تصـولُ ببيـض وهـي سـود فـرنـدهـا
ذبـــول فتـــورٍ والجفـــونُ جفـــون
إذا أبصرتْ قلبـاً خليّـاً مـن الهـوى
تقـولُ لـه : كـنْ مغـرمـاً فيكـون

ب ـ وإن كانا من نوعين كاسم وفعل، أو اسم وحرف، أو فعل وحرف، سمي الجناس المستوفى، كقول أبي الفضل الميكالي :

يامن يضيعُ عُمرَه في اللهو أمسكْ
واعلمْ بأنَّك ذاهبٌ كذهاب أمسك

فجانس بين أمسك وهو فعل أمر، وأمسك وهو اليوم الذي قبل يومك.

* أبو تمام والتجنيس :

وقد بالغ أبو تمام في استعمال التجنيس، وفيما يلي طائفة منها :

قال :

فــأصبحـــت غـــررُ الأيــامِ مشرقــةً
بـالنَّصر تضحـكُ عـن أيـامِـك الغـرر

فالغرر الأولى استعارة من غرر الوجه، والغرر الثانية مأخوذة من غرة الشيء : أكرمه. وقال في قصيدته فتح عمورية :

عَـداكَ حـرُّ الثُّغـور المُسْتَضـامـةِ عـن
بَرْدِ الثُّغور وعن سَلْسالِها الخَصِبِ

فالثغور جمع ثغر، وهو واحد الأسنان، وهو أيضاً البلد الذي على تخوم العدو، ثم قال فيها :

كَمْ أَحْرَزَتْ قُضُبُ الهنديِّ مُصْلَتَةً
تهتـزُّ مـن قُضُـبٍ تهتـزُّ في كُثُـبِ

بِيضُ إذا انتُضيتْ من حُجْبِها رَجَعتْ
أحقَّ بالبِيضِ أبداناً من الحُجُبِ

فالقضب: السيوف، والقضب: القدود، على حكم الاستعارة، وكذلك البيض: السيوف، والبيض: النساء، وهذا من نادر أبي تمام الذي لا يتعلق به أحد.

وقد أكثر أبو تمام من التجنيس في شعره، فمنه ما أغرب فيه وأحسن، ومنه ما أتى مستثقلاً نابياً، كقوله:

قَرَّتْ بقرَّانَ عينُ الدِّين واشترتْ
بالأَشْتَرَيْنِ عُيونُ الشِّركِ فاصطُلِما

فجانس بين قرت من: قرت العين، أي: بردت سروراً، وقران: اسم مكان، واشترت: انشقت، والأشترين: اسم مكان أيضاً، واصطلم: قطع من أصله.

وأقبح من ذلك قوله:

فاسلمْ سلمتَ من الآفاتِ ما سلمت
سلام سلمى ومهما أورقَ السّلم

جناس البحتري:

أما البحتري فلم يسف إلى الحضيض الذي أسف إليه أبو تمام، ولم يأت بالتجنيس إلا جميلاً مطبوعاً غير متكلف، كقوله:

إذا العينُ راحتْ وهي عينٌ على الهوى
فليس بسرٍّ ما تسرُّ الأضالع

فالعين: الجاسوس، والعين معروفة.

وما أجمل قول أبي العلاء المعري:

لم يبقَ غيرك إنساناً يلاذُ به
فلا برحت لعينِ الدَّهرِ إنسانا

ولأبي تمام تجنيس متكرر في البيت الواحد، قال:

لَيَـــالِينـــا بـــالـــرَّقْمَتَيْـــنِ وأهلُنـــا
سقى العهدَ منكِ العهدُ والعهدُ والعهدُ

فالعهد الأول المسقى: هو الوقت، والعهد الثاني: هو الحفاظ، من قولهم: فلان ما له عهد، والعهد الثالث: الوصية، من قولهم: عهد فلان إلى فلان، وعهدت إليه، أي: وصاني وصيته، والعهد الرابع: المطر، وجمعه عهاد، قال ابن رشيق: استثقل قوم هذا التجنيس، وحقّ لهم.

* الفوائـد:

(١) أفعال التصيير: هي التي تدل على التحويل والانتقال من حالة إلى أخرى، وهي تنصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، هكذا قال النحاة، واعترض بعضهم ذلك بقوله: إن معمولي هذه الأفعال متغايران مفهوماً وخارجاً، فلا يصح أن يدعى كونهما مبتدأ وخبراً لوجود اتحادهما خارجاً، يبين لك ذلك أنك تقول: صيرت الفقير غنياً، والمعدوم موجوداً، ولا يخفى أن صدق أحدهما على الآخر ممتنع، ويجاب بأن نحو: الفقير غني صحيح، أي: الفقير فيما مضى تجدد له الغنى، وكذا: المعدوم موجود؛ إذ الوصف العنواني لا يشترط وجوده دائماً، بل يكفي وجوده في بعض الأوقات. وقال الشهابي القاسمي: ويمكن أن يجاب عن البحث بأن أريد أن أفعال التصيير لا يكون معمولاها متغايرين مفهوماً وخارجاً، فهو ممنوع، نحو قوله تعالى: ﴿ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ فإن ترك هنا من أفعال التصيير مع صدق أحد مفعوليها على الآخر، وإيجاده معه خرجاً، فإن المائج يصدق على بعضهم، ويتحد معه خارجاً، وإن أريد أنه قد يكون معمولاها كذلك فمسلم، ولا يضير؛ لأن أفعال الباب لا يجب أن تدخل على المبتدأ والخبر، بل قد تدخل على غيرهما.

(٢) اعلم أن المميز يكون واحداً، ويكون جمعاً، فإذا وقع بعد عدد نحو

عشرين وثلاثين ونحوهما، لم يكن المميز إلا واحداً، نحو قولك: عندي عشرون ثوباً، وثلاثون عمامة، لأن العدد قد دل على الكمية، ولم يبق بنا حاجة إلا إلى بيان نوع ذلك المبلغ، وكان ذلك مما يحصل بالواحد، وهو أخف، وأما إذا وقع مفسراً لغير عدد، نحو: هذا أفره منك عبداً، وخير منك عملاً، جاز الإفراد والجمع؛ لاحتمال أن يكون له عبد واحد وعبيد، فإذا قلت: هو أفره منك عبيداً، أو خير منك أعمالاً، دللت بلفظ الجمع على معنيين: النوع وأنهم جماعة. قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾، فهم من ذلك النوع وأنه كان من جهات شتى لا من جهة واحدة، وإذا أفردت فهم منه النوع لا غير.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨) قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠) ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ الْفِرْدَوْسِ ﴾: الجنة من الكرم خاصة، وقيل: بل ما كان غالبها كرماً. وقيل: كل ما حوط فهو فردوس، والجمع فراديس، وقال المبرد: والفردوس فيما سمعت من العرب: الشجر الملتف، والأغلب عليه من العنب، وحكى الزجاج أنها الأودية التي تنبت ضروباً من النبت، واختلف فيه، فقيل: هو عربي، وقيل: أعجمي، وقيل: هو رومي، وقيل: فارسي، وقيل: سرياني، وفي القاموس والتاج: الفِردوس: ـ بالكسر ـ: الأودية التي تنبت ضروباً من النبت، والبستان يجمع كل ما يكون في البساتين تكون فيه الكروم، وقد يؤنث، عربية أو رومية نقلت أو سريانية، وروضة دون اليمامة لبني يربوع، وماء لبني تميم قرب الكوفة، وقلعة فردوس بقزوين. إلى أن يقول:

والفردسة: السعة، وصدر مفردس: واسع، أو ومنه الفردوس. قال شارحه: قوله: أو ومنه الفردوس. أي: اشتقاقه، كما نقله ابن القطاع، وهذا يؤيد كونه عربياً، ويدل له أيضاً قول حسان:

وإنَّ ثـوابَ الله كُـلَّ مُـوحِّـدٍ   جِنَانٌ من الفِرْدَوْسِ فيها يُخَلَّدُ

﴿ حِوَلًا ﴾: الحول: التحول، ويقال: حال من مكانه حولاً، كقولك: عادني حبها عوداً، يعني: لا مزيد عليه، والحِوَل ـ بكسر الحاء وفتح الواو ـ: مصدر بمعنى التحول، يقال: حال عن مكانه حولاً، فهو مصدر كالعوج والصغر.

﴿ مِدَادًا ﴾: اسم ما تمد به الدواة من الحبر، وما يمد به السراج من السليط، ويقال: السماد مداد الأرض.

○ الإعراب:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ إن واسمها، وجملة آمنوا صلة، وجملة وعملوا الصالحات عطف على الصلة، وجملة كانت خبر إن، ولهم حال من نزلاً؛ لأنه كان صفة، وتقدم عليه، وجنات الفردوس اسم كانت، ونزلاً خبرها، ويجوز أن يكون لهم الخبر، ونزلاً حال ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ خالدين حال من الضمير في لهم، وفيها متعلقان بخالدين، وجملة لا يبغون حالية، وعنها متعلقان بحولاً، وحولاً مفعول يبغون ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ لو شرطية، وكان البحر كان واسمها، ومداداً خبرها، ولكلمات صفة لمداد، واللام واقعة في جواب لو، وجملة نفد البحر جواب شرط غير جازم لا محل لها، وقيل: ظرف متعلق بنفد، وأن تنفد المصدر مضاف لقبل، وكلمات ربي فاعل، والواو لعطف ما بعده على جملة مقدرة مدلول عليها بما قبلها، أي: لنفد البحر قبل أن تنفد كلماته لو لم يجىء بمثله مدداً، ولو شرطية، وجئنا فعل الشرط، وجواب لو محذوف تقديره: لنفد،

ولم تفرغ، وبمثله متعلقان بجئنا، ومدداً تميز كقولك: لي مثله رجلاً، وسيأتي مزيد بحث في الفوائد عن جواب لو ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ إنما كافة ومكفوفة، وأنا مبتدأ، وبشر خبر، ومثلكم صفة ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ جملة يوحى صفة لبشر، وإليّ متعلقان بيوحى، وإنما كافة ومكفوفة، ولكنها لم تخرج عن المصدرية، فهي وما بعدها في محل رفع نائب فاعل، وإلهكم مبتدأ، وإله خبر، وواحد صفة ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ الفاء استئنافية، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، وكان فعل ماض ناقص، واسمها يعود على من، وجملة يرجو خبرها، ولقاء ربه مفعول به، فليعمل: الفاء رابطة لجواب الشرط، واللام لام الأمر، ويعمل فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، وعملاً مفعول مطلق، أو مفعول به، وصالحاً صفة، ولا يشرك لا ناهية، ويشرك فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وبعبادة ربه متعلقان بيشرك، وأحداً مفعول يشرك.

* الفوائـد:

جواب لو:

سيأتي المزيد من أبحاث لو في هذا الكتاب، فهي من الأدوات التي يكثر فيها القول، ولذلك جعلناه موزعاً على الآيات، ونتكلم الآن عن جواب لو، فنقول: إن جوابها إما ماض معنى نحو: نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه. أو ماض وضعاً، وهذا إما مثبت فاقترانه باللام، نحو: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ أكثر من تركها، نحو: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ وهذه اللام تسمى لام التسويف؛ لأنها تدل على تأخير الجواب عن الشرط وتراخيه عنه، كما أن إسقاطها يدل على التعجيل، أي: أن الجواب يقع عقيب الشرط من غير مهلة، ولهذا دخلت في: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ وحذفت في نحو: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ أي: لوقته في المزن من غير تأخير، والفائدة في تأخير جعله حطاماً، وتقديم جعله أجاجاً تشديد العقوبة، أي: إذا استوى الزرع على سوقه، وقويت به الأطماع جعلناه حطاماً، أو لأن الزرع ونباته وجفافه

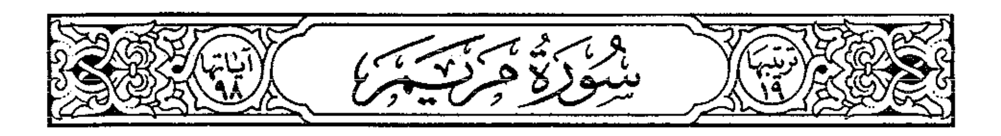
بعد النضارة حتى يعود حطاماً مما يحتمل أنه من فعل الزراع، ولهذا قال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ أو أنه من سقي الماء وجفافه من عدم السقي وحرارة الشمس، أو مرور الأعصار، فأخبر سبحانه أنه الفاعل لذلك على الحقيقة، وأنه قادر على جعله حطاماً في حال نموه لو شاء، وإنزال الماء من السماء، مما لا يتوهم أن لأحد قدرة عليه غير الله تعالى، وهذا من عيون النكت، فاعرفه، وتدبره.

وإما أن يكون جواب لو منفياً بما، فالأكثر تجرده من اللام، ويقل اقترانه بها، فالأول نحو: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ والثاني نحو قوله:

ولو نُعطى الخيارَ لما افترقنا ولكـن لا خيـارَ مـع الليـالي

فأدخل اللام على ما النافية، ولا تدخل اللام على ناف غيرها، وقيل: قد تجاب لو بجملة اسمية مقترنة باللام، نحو: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ فاللام في لمثوبة جواب لو، وأن بين الماضي والاسم تشابهاً من هذه الجهة، وقال الزمخشري: وإنما جعل جوابها جملة اسمية دلالة على استمرار مضمون الجزاء، ورد أبو حيان هذا في «البحر» فقال: اللام في «لمثوبة» لام الابتداء لا الواقعة في جواب لو، وهو أحد احتمالي الزمخشري، وقد تقدم ذلك في البقرة، أي: فتكون الجملة مستأنفة، أو جواب لقسم مقدم. وقال ابن هشام في «المغني»: والأولى أن تكون لام لمثوبة لام جواب قسم مقدر، بدليل كون الجملة اسمية، وأن القول بأنها لام جواب لو وأن الاسمية استعيرت مكان الفعلية تعسف. وأقول: التعسف في تقديرها للقسم أكثر من جعل الجواب جملة اسمية.

* * *



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ وَهَنَ ﴾ : في المصباح : وهن يهن، من باب : وعد : ضعف، فهو واهن في الأمر، والعمل، والبدن، ووهنته : أضعفته، يتعدى ولا يتعدّى في لغة : فهو موهون البدن والعظم، والأجود أن يتعدى بالهمزة، فيقال : أوهنته، والوَهَن ـ بفتحتين ـ لغة في المصدر، ووهن يهن ـ بكسرتين ـ لغة. قال أبو زيد : سمعت من الأعراب من يقرأ : فما وهنوا، بالكسر. وفي القاموس وغيره : وهنه يهنه وهناً، وأوهنه : أضعفه، ووهن وأوهن الرجل : دخل في

الوهن من الليل، ووهَن ووهِن يهن ووهُن يوهُن وهناً ووهناً ووهِن يوهَن وهناً: ضعف في الأمر، أو العمل، أو البدن. وتوهّن البعير: اضطجع، والطائر: أثقل من أكل الجيف فلم يقدر على النهوض، والوهْن مصدر، ومن الرجال أو الإبل: الغليظ القصير، والوهن من الليل: نحو منتصفه، أو بعد ساعة منه، والموهن من الليل كالوهن، والوهنانة من النساء: الكسلى عن العمل تنعماً.

﴿ٱلْمَوَٰلِيَ﴾: الذين يلونني في النسب كبني العم والموالي، جمع مولى، وهو: العاصب.

﴿عَاقِرًا﴾: لا تلد، قال في القاموس: عقرت تعقِر عَقْراً وعُقْراً وعُقاراً وعقُرت تعقُر عُقراً وعَقارة وعِقارة، وعُقِرت المراة أو الناقة: صارت عاقراً، أي: حبس رحمها فلم تلد، وعُقر عقْراً الأمر: لم ينتج عاقبة، وعقِر عَقَراً الرجل: دهش.

﴿وَلِيًّا﴾: ابناً، وهو أحد معانيه الكثيرة.

○ الإعراب:

﴿كٓهيعٓصٓ * ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ كهيعص تقدم القول في فواتح السور وإعرابها ومعانيها فارجع إليه، وذكر خبر لمبتدأ محذوف، أي: هذا المتلو عليك من القرآن، أو مبتدأ محذوف الخبر، أي: فيما يتلى عليك ذكر، ورحمة ربك مضافة لذكر من إضافة المصدر لمفعوله، والفاعل مستتر، أي: ذكر الله رحمة عبده زكريا، وعبده مفعول به لرحمة، وزكريا بدل من عبده، أو عطف بيان له ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ إذ ظرف لما مضى من الزمن، وهو متعلق برحمة ربك، أي: رحمة الله إياه وقت أن ناداه، وقيل: العامل فيه ذكر، وقيل: هو بدل اشتمال من زكريا، وجملة نادى مضاف إليها الظرف، والفاعل مستتر تقديره: هو، ونداء مفعول مطلق، وخفياً صفة ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ ربي منادى مضاف لياء

المتكلم المحذوفة، وإن واسمها، وجملة وهن العظم خبرها، ومني حال، واشتعل عطف على وهن، والرأس فاعل، وشيباً تمييز محول عن الفاعل، أي: انتشر الشيب في رأسي، وسيأتي سر هذه الاستعارة في باب البلاغة ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ الواو عاطفة، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وأكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلم، واسمها مستتر تقديره: أنا، وشقياً خبرها، وبدعائك متعلقان بشقياً، ورب منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة ﴿ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ وإني عطف على: إني وهن، والياء اسم إن، وجملة خفت خبرها، والموالي مفعول به، ومن ورائي متعلقان بمحذوف، أو بمعنى الولاية في الموالي، ولا يجوز أن يتعلق بخفت لفساد المعنى، ووجه فساده: أن الخوف واقع في الحال لا فيما يستقبل، فلو جعل من ورائي متعلقاً بخفت لزم أن يكون الخوف واقعاً في المستقبل، أي: بعد موته، وهو كما ترى ظاهر الفساد. وعبارة الزمخشري: من ورائي: بعد موتي، وقرأ ابن كثير من وراي بالقصر، وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى، ولكن بمحذوف، أو بمعنى الولاية في الموالي، أي: خفت فعل الموالي، وهو تبديلهم، وسوء خلافتهم من ورائي، أو خفت الذين يلون الأمر من ورائي، وقرأ عثمان ومحمد بن علي وعلي بن الحسين ـ رضي الله عنهم ـ خفت الموالي من ورائي، وهذا على معنيين:

أحدهما: أن يكون ورائي بمعنى خلفي وبعدي، فيتعلق الظرف بالموالي، أي: قلوا وعجزوا عن إقامة أمر الدين، فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه.

والثاني: أن يكون بمعنى قدّامي، فيتعلق بخفت، ويريد أنهم خفّوا قدامه ودرجوا، ولم يبق منهم من به تقوّ واعتضاد.

وقال ابن هشام في «المغني»: الثاني قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى﴾ فإن المتبادر تعلق من بخفت، وهو فاسد في المعنى، والصواب تعلقه بالموالي لما فيه من معنى الولاية، أي: وخفت ولا يتهم من بعدي وسوء

خلافتهم، أو بمحذوف هو حال من الموالي، أو مضاف إليهم، أي: كائنين من ورائي، أو فعل الموالي من ورائي، وأما من قرأ خفت بفتح الخاء وتشديد الفاء وكسر التاء فمن متعلقة بالفعل المذكور. وكانت امرأتي عاقراً: الواو عاطفة، وكان واسمها وخبرها ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ الفاء الفصيحة، أي: وإلا فهب لي، وهب فعل أمر، ولي متعلقان بهب، ومن لدنك حال، ووليا مفعول به لهب ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ جملة يرثني صفة لولياً، ولذلك رفعت، وقرىء بالجزم على أنه جواب الطلب، ويرث عطف على يرثني، ومن آل يعقوب متعلقان بيرث، ومفعول يرث محذوف تقديره: الشرع والحكمة والعلم؛ لأن الأنبياء لا تورث المال، وقيل: يرثني الحبورة، وكان حبراً، ويرث من آل يعقوب الملك، فعلى هذا تكون الياء في «يرثني» منصوبة بنزع الخافض، أي: يرث مني الحبورة، واجعله فعل دعاء وفاعل مستتر، ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة، ورضياً مفعول به ثان لاجعله.

وقد استشكل بعضهم جملة «يرثني» صفة بناء على أن نبي الله يحيى مات قبل والده بأن دعاء النبي قد يتخلف، وذلك لأنه بموته قبله لم يرثه، ومعلوم ما يورث من الأنبياء، ورأى هذا المستشكل أن الجملة مستأنفة لا صفة، وأجيب بأن دعاء الأنبياء قد يتخلف، وقد وقع لنبينا محمد ﷺ أنه سأل في ثلاثة أمور، فاستجيب له في اثنين، وتأخرت الإجابة في الثالث، وقد اعترض القول بالاستئناف بأن مفاد الجملة حينئذ الإخبار، وإخبار الأنبياء لا يتخلف قطعاً، وأجيب بأن هذا الإخبار باعتبار غلبة الظن؛ لأن نبي الله زكريا لما كان مسناً غلب على ظنه أنه متى وهب له ولد يرثه. هذا؛ وقد ذكر الجلال السيوطي الإشكال في كتاب: «شرح عقود الجمان» وذكر مثل الجواب الذي أوردناه آنفاً، ثم قال: وأجاب الشيخ بهاء الدين بأن المراد إرث النبوة والعلم، وقد حصل في حياته. قال النبي ﷺ: «إنا معاشر الأنبياء لا نورث» ورواه البزاز بلفظ: «نحن معاشر» الخ، وتمام الحديث: وجوباً تقديره: أخص.

وما تركناه: ما موصولة في محل رفع بالابتداء، وتركنا صلته، والعائد محذوف أي: تركناه، وصدقة خبر ما، والحكمة في أن الأنبياء لا يورثون أنه وقد وقع في قلب الإنسان شهوة موت مورثه ليأخذ ماله، فنزّه الله أنبياءه وأهاليهم عن ذلك، ولئلا يظن بهم مبطل أنهم يجمعون المال لورثتهم، ولأنهم كالآباء لأمتهم، فيكون مالهم لجميع الأمة، وهو معنى الصدقة العامة. وأما قوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ وقوله: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ﴾ فالمراد الوراثة في العلم والنبوة، وبهذا يندفع أن عدم الإرث مختص بنبينا ﷺ، فإن قيل: إن الله أخبر عن بعضهم بقوله: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾ إذ لا تخاف الموالي على النبوة، أجيب بأنه خاف من الموالي الاختلاف من بعده الرجوع عن الحق، فتمنى ولداً نبياً يقوم فيهم. بقي هنا شيء لابد من التنويه به، وهو: أن الأنبياء هل يرثون؟ قال صاحب «التتمة»: إن النبوة مانعة من الإرث، وذكر البزاز الواعظ: أنه روي: «نحن معاشر الأنبياء لا نرث ولا نورث» ويعارضه ما ذكر الماوردي في «الأحكام السلطانية» أنه ﷺ ورث من أبيه أم أيمن الحبشية، واسمها بركة، وخمسة جمال، وقطعة من غنم، ومولاه شقران، واسمه صالح ـ وقد شهد بدراً ـ وورث من أمه دارها، ومن خديجة دارها.

□ البلاغة:

في هذه الآيات فنون عديدة، نوجز القول فيها:

(١) الاحتراس في قوله: ﴿نِدَآءً خَفِيًّا﴾ وقد تقدم القول فيه، وأنه عبارة عن أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل، أو لبس، أو إيهام، فيفطن لذلك حال العمل، فيأتي في صلب الكلام بما يخلصه من ذلك كله، وقد تقدمت أمثلة عديدة منه، كما ستأتي له نظائر مشبهة، وهو هنا في كلمة «خفياً» فقد أتى بها مراعاة لسنة الله في إخفاء دعوته؛ لأن الجهر والإخفاء عند الله سيان، فكان الأولى به أن يحترس مما يوهم الرياء أمام الناس؛ الذين يحكمون على الظاهر، ويجهلون حقيقة الدخائل، أو لئلا يلام على طلب الولد في إبان

الكبرة والشيخوخة، ودفعاً للفضول الذي يطلق الألسنة بمختلف أنواع الملام. وقيل: احترس من مواليه الذين خافهم، وقيل: ليس في الأمر احتراس، وإنما الكلام جار على حقيقته؛ لأن خفوت صوته ناتج عن ضعفه وهرمه، حيث يخفت الصوت، ويكل اللسان، وتعشى العينان، وتثقل الآذان، على حدّ قول عوف بن محلم الخزاعي:

إنَّ الثَّمانينَ وبُلِّغتها قد أحوجتْ سَمعي إلى ترجمان

وقد قيل في صفات الشيخ: صوته خفات، وسمعه تارات.

(٢) الاستعارة المكنية:

في قوله تعالى: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ شبّه الشيب بشواظ النار في بياضه، وإثارته، وانتشاره في الشعر، وفشوه فيه، وأخذه منه كل مأخذ، ثم أخرجه مخرج الاستعارة المكنية، وأسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس، وأخرج الشيب مميزاً، ولم يضف الرأس، أي: لم يقل رأسي اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا، فمن ثم فصحت هذه الجملة، وشهد لها بالبلاغة، ونزيد على ذلك وجوه الشبه الأربعة الكامنة في هذا الخيال البعيد، وهي:

أ ـ السرعة: وذلك أن النار حين تشتعل، وتندلع ألسنتها، فإنها تسرع في التهام ما تمتد ليه، وهكذا الشيب لا يكاد يخط الرأس حتى يمتد بسرعة عجيبة.

ب ـ تعذر التلافي: وذلك أن النار إذا شبت، وتدافع شؤبوبها، وتطاير لهيبها، اجتاحت كل ما تصادفه، وذل لها الصخر والخشب، على حد قول أبي تمام:

لقد تركتَ أميرَ المؤمنين بها للنار يوماً ذليلَ الصَّخرِ والخَشَبِ

فيعنو لها الصخر، ويذل الخشب، ويستسلم لشؤبوبها كل ما يناله، دون أن تجدي في ذلك حيلة، وقد يتعذر على رجل الإطفاء إخماد لهيبها، وكثيراً

ما يصبح الماء بمثابة الحطب الذي يذكيها، وكذلك الشيب ينتشر بسرعة غريبة في أجزاء الرأس، ويتمادى في سرعته بحيث يتعذر بل يستحيل تلافيه، وكثيراً ما يجنح الذين أصيبوا بالشيب إلى تغطية شيبهم بالأصابيغ الكاذبة ليخفوا حقيقتهم، وليستهووا قلوب الغانيات، فلن يبدل ذلك شيئاً من الواقع الراهن.

جـ ـ الألم: وكما أن النار لذاعة، كواءة، تؤلم من تلامسه، فكذلك الشيب يؤلم الأشيب، وقد صدت عنه الغواني، واقتحمته العيون، على حد قول ابن الرومي:

وكنت جلاء للعيونِ من القَذَى
فقد أصبحت تقذي بشيبي وترمد
هي الأعينُ النّجلُ التي كنت تشتكي
مواقعها في القلبِ والرأس أسود

وقول أبي تمام:

يا نَسِيبَ الثَّغامِ ذنبُكَ أبقى
حسناتي عندَ الحِسانِ ذُنُوبا
لو رأى الله أنَّ في الشيب خيراً
جاورتهُ الأبرارُ في الخلدِ شيبا

وجميع ذلك منقول عن عمر بن أبي ربيعة:

رأين الغواني الشيبَ لاح بعوارضي
فَأَعْرَضْنَ عنِّي بالخُدودِ النَّواضر

ويرحم الله شوقياً عندما جلس على ضفاف البردوني في زحلة، واستمع إلى وشوشات الحلي، ووسوسات الأساور، وألفى نفسه يرتقي إلى السبعين فصرخ:

شيّعتُ أحلامي بقلب باكِ ولممتُ من طرق الملاح شباكي
ورجعتُ أدراج الشبابِ ووردهِ أمشي مكانَهما على الأشواك

وبجانبي واهٍ كأنَّ خفوقَه لمّا تلفت جهشةُ المتباكي

د ـ المصير: وكما أن مصير النار بعد أن تفعل أفاعيلها، وتبلغ غايتها الخمود والانطفاء فالرماد، كذلك مصير الإنسان، وناهيك بهذا المصير إيلاماً للنفس، وارتماضاً للقلب، فهذه أوصاف أربعة جامعة بين المشبه والمشبه به، فتأمل هذا الفصل، فله على سائر الفصول الفضل.

هذا؛ وقد أوجزنا القول في عدم إضافة الرأس بالاكتفاء بعلم المخاطب، ولا بد من إيضاحه الآن، فنقول: إن للاستعارة مطلوبات ثلاثة: المبالغة في التشبيه والظهور والإيجاز، وكل استعارة تتناول واحداً من هذه المطلوبات، أما هذه الاستعارة فقد تناولت المطلوبات الثلاثة بكاملها، فإن الكلام أن يقال: شيب الرأس، ولو جاء الكلام كذلك لأفاد الظهور فقط دون المبالغة، واللفظ الأول يغطي عموم الشيب جميع نواحي الرأس، كما أنك إذا قلت: اشتعلت نار البيت، صدق ذلك على اشتعال النار في بعض نواحيه دون بقيته، بخلاف ما إذا قلت: اشتعل البيت ناراً، فإن مفهوم ذلك اشتمال النار على كل البيت بجميع أجزائه، فتنبه لهذا الفصل وإن طال بعض الطول، فإنه كالحسن غير مملول.

هذا؛ وقد اقتبس ابن دريد اشتعال الرأس شيباً، فقال في مقصورته:

واشتعلَ المبيضُ في مسودّه
مثل اشتعالِ النَّار في جزل الغضى

هذا؛ ولما كان الشيب عندهم عيباً، قالوا: هو أشيب، أي: وصفاً على غير قياس؛ لأن الوصف على أفعل إنما يكون من فعل كفرح، وشرطه الدلالة على العيوب أو الألوان. وقال الشهاب الخفاجي: إنه على وزن الوصف من المصائب الخلقية، فعدوه من العيوب. ولأبي الحسن الزوزني:

كفى الشيبُ عيباً أن صاحبَه إذا
أردتَ به وَصْفاً له قلتَ: أشيب

وكان قياسُ الأصل لو قلت شائباً
ولكنَّــه في جُملــة العيــبِ يحســب
فشائب خطأ لم يستعمل.

هذا. وفي قوله: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ فن الإطناب، فقد انتقل أولاً من: شخت الدَّالّ على ضعف البدن، وشيب الرأس إجمالاً إلى هذا التفصيل لمزيد التقرير، وثانياً من هذه المرتبة إلى ثالثة أبلغ منها، وهي الكناية التي هي أبلغ من التصريح، وثالثاً من هذه المرتبة إلى رابعة أبلغ في التقرير، وهي: بناء الكناية على المبتدأ، أي: قولك: أنا وهنت عظام بدني، ورابعاً من هذه المرتبة إلى خامسة أبلغ، وهي إدخال إن على المبتدأ؛ أعني قولك: إني وهنت عظام بدني، وخامساً إلى مرتبة سادسة وهي سلوك طريق الإجمال، ثم التفصيل، أعني: إني وهنت العظام من بدني، وسادساً إلى مرتبة سابعة وهي ترك توسيط البدن لادعاء اختصاصها بالبدن، بحيث لا يحتاج إلى التصريح بالبدن، وسابعاً إلى مرتبة ثامنة وهي ترك جمع العظم إلى الإفراد لشمول الوهن العظام فرداً فرداً.

٣ ـ التجريـد:

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ﴾ وقد قدمنا القول فيه مختصراً، وسنورده الآن مستوفى: فنقول: إن التجريد هو أن ينتزع المتكلم من أمر ذي صفة أمراً آخر بمثاله له فيها، مبالغة لكمالها فيه، كأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة إلى حيث يصح أن ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة، وهو أقسام:

أ ـ أن يكون بمن التجريدية، كقولهم: لي من فلان صديق حميم، ومنه الآية الكريمة، ومثله للقاضي الفاضل في وصف السيوف:

تمدّا إلى الأعداء منها معاصِماً فترجع مِن ماءِ الكلي بأساور

ب ـ أن يكون بالباء التجريدية الداخلة على المنتزع منه، نحو قول ابن هانىء:

وضربتمُ هامَ الكُماةِ ورعتم بيضَ الخُدور بكل ليثٍ مخدر

وقال أبو تمام :

هتكَ الظَّلامَ أبو الوليد بغرَّة فتحتْ لنا بابَ الرَّجاء المقفل

بأتمّ من قمرِ السَّماء وإن بدا بدراً وأحسن في العيونِ وأجمل

وأجلّ من قسّ إذا استنطقته رأياً وألطف في الأمورِ وأجزل

والمراد بأتم من قمر السماء : نفس أبي الوليد .

جـ ـ أن يكون بدخول في على المنتزع منه ، أو مدخول ضميره كقوله تعالى : ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ أي : في جهنم ، وهي دار الخلد ، ولكنه انتزع منها داراً أخرى للمبالغة . وقال المتنبي :

تمضي المواكبُ والأبصارُ شاخصةٌ

منها إلى الملكِ الميمونِ طائرُهُ

قْدَ حِزْنَ في بَشَرٍ في تاجه قَمَرٌ في دِرْعِه أَسَدٌ تَدْمَى أظافِرُهُ

فإن الأسد هو نفس الممدوح ، ولكنه انتزع منه أسداً آخر تهويلاً لأمره ، ومبالغة في اتصافه بالشجاعة والصولة .

د ـ أن يكون بدخول بين ، كقول ابن النبيه :

يهتزُّ بين وشاحيها قضيبُ نقا حمائم الحلي في أفنانهِ صَدَحت

هـ ـ ومنها أن يكون بدون توسط شيء ، كقول قتادة بن سلمة الحنفي :

فلئن بقيت لأرحلن بعزَّة تحوي الغنائمَ أو يموت كريم

عنى بالكريم نفسه ، فكأنه انتزع من نفسه كريماً مبالغة في كرمه ، ولذا لم يقل : أو أموت ، ولأبي تمام :

ولو تراهُمْ وإيَّانا وموقِفَنا

في موقفِ البَيْنِ لاستهلالنا زَجَلُ

من حُرْقةٍ أَطْلَقَتْها فُرْقَةٌ أَسَرَتْ

قلباً ومن غَزَلٍ في نحره عَذَلُ

وقد طوى الشوقُ في أحشائنا بقراً
عِيناً طَوَتْهُنَّ في أحشائها الكِلَلُ

ومراده بالبقر العين الذين أخبر عنهم أولاً، بقوله: ولو تراهم، فكأنه انتزع منهم موصوفين بهذه الصفة مبالغة فيها.

ز ـ ومنها أن ينتزع الإنسان من نفسه شخصاً آخر مثله في الصفة التي سيق الكلام لها ثم يخاطبه، كقول أبي الطيب:

لا خَيْلَ عندَكَ تُهْديها ولا مالُ
فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إن لم تُسْعِدِ الحالُ

فكأنه انتزع من نفسه شخصاً آخر مثله في فقد الخيل والمال، ومنه قول الأعشى:

ودِّع هريرةَ إنَّ الركبَ مرتحلُ
وهل تطيقُ وداعاً أيها الرجلُ؟!

وقال أبو نواس، وأبدع متغزلاً:

يا كثيرَ النَّوْحِ في الدِّمَنِ لا عليها بلْ على السَّكَنِ
سُنَّةُ العشَّاقِ واحدةٌ فإذا أحببتَ فاسْتنِنِ

ومراده الخطاب مع نفسه، ولذلك قال بعده:

ظنّ بي من قد كُلِفْتُ به فهو يَجْفُوني على الظّنَنِ
باتَ لا يَعْنِيْه ما لقِيتْ عيْنُ ممنوع من الوَسَنِ
رَشَأٌ لولا ملاحتُه خَلتِ الدُّنْيا من الفِتَنِ

هذا؛ والتجريد كثير في الشعر، وستأتي أمثلة منه في مواضع أخرى من هذا الكتاب.

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ

ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿سَمِيًّا﴾: السمي: المسمّى، وهو فعيل بمعنى مفعول، وأصله: سميو، اجتمعت الياء والواو، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء، وأدغمت فيها الياء، أي: مسمى بيحيى. قال الزمخشري: وهذا شاهد على أن الأسامي السنع جديرة بالأثرة، وإياها كانت العرب تنتحي في التسمية لكونها أنبه وأنوه وأنزه عن النبز، حتى قال القائل في مدح قوم:

سُنْعُ الأسامي مُسْبِلي أُزُرٍ حُمْرٍ تَمَسُّ الأرضَ بالهُدْبِ

انتهى كلام الزمخشري. وسنع الأسامي، أي: أسماؤهم حسنة، يقال: سنع الرجل كظرف، فهو سنيع، أي: جميل، وأسنع، والمرأة سنعاء، وسنع جمع أسنع، كحمر في جمع أحمر، ومن السناعة وهي: الجمال، كما أفاده في الصحاح، أي: أسماؤهم حسنة، فهي أنبه وأنوه وأنزه عن النبز. والحمر صفة الأزر، وتمس صفة أخرى لها، وهدب الشيء: طرفه، والمناسب للمعنى أن المراد به الجمع، ويمكن أن تكون ضمته مفرداً كقفل، وجمعاً كفلك، ويجوز أنه اسم جمع؛ ولذلك جاء في واحده هدبه، ومس الأرض بالأطراف كناية عن طولها، بل عن غناهم، وقيل معنى السمي: المثل والشبيه والشكل والنظير، كما في القاموس وغيره، فكل واحد منهما سمي لصاحبه، ونحو يحيى في أسمائهم يعمر ويعيش إن كانت التسمية عربية، وقد سموا

بيموت أيضاً، وهو يموت بن المزرع، وقيل: هو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة.

﴿عِتِيًّا﴾: في المختار: عتا من باب: سما، وعتياً أيضاً بضم العين وكسرها، وهو عات، فالعاتي: المجاوز للحد في الاستكبار، وعتا الشيخ يعتو عتواً بضم العين وكسرها: كبر وولى. وقال الزمخشري: أي: بلغت عتياً، وهو: اليبس، والجساوة في المفاصل والعظام، كالعود القاحل. يقال: عتا العود وعسا من أجل الكبر، والطعن في السن العالية، أو بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتياً.

﴿ءَايَةً﴾: علامة على حمل امرأتي.

﴿ٱلْمِحْرَابِ﴾: في القاموس: المحراب: الغرفة، وصدر البيت، وأكرم مواضعه، ومقام الإمام من المسجد، والموضع ينفرد به الملك فيتباعد عن الناس. وأما المحراب: المعروف الآن، وهو طاق مجوف في حائط المسجد يصلي فيه الإمام، فهو محدث لا تعرفه العرب، فتسميته محراباً اصطلاح للفقهاء، هذا ما قاله الشهاب في حاشيته على البيضاوي، ولكن المعنى اللغوي الذي ذكره الفيروزبادي ينطبق عليه، وهو: مقام الإمام في المسجد.

﴿ٱلْحُكْمَ﴾: الحكمة، ومنه قول النابغة:

واحْكُمْ كَحُكْم فتاةِ الحيِّ إذ نَظَرتْ
إلى حَمَامٍ شِرَاعٍ وارِدِ الثَّمَدِ

قالتْ: ألَا ليتما هذا الحَمَامُ لنا
إلى حَمَامَتِنا أو نِصْفُه فَقَدِ

فَحَسَّبُوه فَأَلْفَوْهُ كما ذَكَرَتْ
ستاً وستين لم تَنْقُصْ ولم تَزِدِ

والفتاة التي حكمت هي زرقاء اليمامة؛ التي يضرب بها المثل في حدة البصر، نظرت إلى حمام مسرع إلى الماء فقالت:

ليت الحَمَامَ لِيَهْ إلى حمامَتِيَهْ

ونِصْفَــــه قَــــدِيَــــهْ تَــــمَّ الحمـــــامُ مِيَــــهْ

فوقع في شبكة صياد فحسبوه فوجدوه ستاً وستين حمامة ونصفه ثلاث وثلاثون، فإذا ضم الجميع إلى حمامتها صار مئة. وشراع بكسر الشين: ما يرفع، وبه سمي الشراع، وهو مثل الملاءة الواسعة يشرع وينصب على السفينة فتهب فيه الرياح فتمضي بالسفينة، ويروى سراع جمع سريع، ووصفه به لأنه جمع في المعنى، كما وصفه بوارد، وهو مفرد؛ لأنه مفرد في اللفظ. وروي الحمام أو نصفه بالرفع على إهمال ليتما، وبالنصب على إعمالها لأن ما الزائدة تكف إن وأخواتها، ما عدا ليت فيجوز إعمالها وإلغاؤها، وأو بمعنى الواو، وقد بمعنى حسب، فهي اسم أضيفت إلى ياء المتكلم بغير نون الوقاية، كما يقال: حسبي، والفاء زائدة لتحسين اللفظ كفاء فقط، وكلاهما بمعنى انته، وحسّبوه بتشديد السين ليسلم البيت من الخبن، وهو نوع من الزحاف معيب، وقيل: الحكم العقل، وقيل: النبوة؛ لأن الله أحكم عقله في صباه، وأوحى إليه.

﴿وَحَنَانًا﴾: أي: رحمة لأبويه وغيرهما، وتعطفاً، وشفقة، وأنشد:

وقالت حَنَانٌ: ما أتى بك ها هُنا؟
أذو نَسَبٍ أم أنتَ بالحيِّ عارِفُ؟

وهذا البيت لمنذر الكلبي، وقبله ليتسق معناه:

وأحدث عهدٍ من أمينة نظرة
على جانبِ العلياءِ إذا أنا واقفُ

يقول: وأقرب عهد، أي: لقاء ورؤية لأمينة محبوبتي تصغير آمنة، هو نظرة مني لها بجانب تلك البقعة إذ أنا واقف هناك، أي: حين وقوفي بها، وفيه إشعار بأنه كان واقفاً يترقب رؤيتها، فلما رأته قالت له: حنان، أي: أمري حنان ورحمة لك، وهو من المواضع التي يجب فيها حذف المبتدأ لأنه مصدر محول عن النصب، وقولها: ما أتى بك هاهنا؟ استفهام تعجبي، أذو نسب، أي: أأنت ذو نسب، أم أنت عارف بهذا الحي؟ ويجوز أن يكون أذو

نسب بدلاً من ما الاستفهامية، أي: ما الذي حملك على المجيء هنا، أو الذي دلّك عليه صاحب قرابة من الحي، أي: معرفتك به، ويجوز أن الاستفهام حقيقي حكته على لسان غيرها لتلقنه الجواب بقولها: أذو نسب، مع معرفتها سبب مجيئه، وهو حبها، فربما سأله أحد من أهلها فيجيبه بأحد هذين الجوابين. وقيل: حناناً من الله عليه، وحنّ بمعنى: ارتاح واشتاق، ثم استعمل في الرأفة والعطف، وقيل: لله حنان، كما قيل: رحيم على سبيل الاستعارة.

﴿عَصِيًّا﴾: صيغة مبالغة، وأصل عصياً عصيياً بوزن فعيل، أدغمت الياء فيه، وأتى بصيغة المبالغة لمراعاة الفواصل؛ لأن المنفي أصل العصيان لا المبالغة فيه.

○ الإعراب:

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ﴾ يا حرف نداء، وزكريا منادى مفرد علم مبني على الضم، وقرئ زكرياء بالهمز على الأصل، وإنا: إن واسمها، وجملة نبشرك خبرها، والكاف مفعول به، وبغلام جار ومجرور متعلقان بنبشرك، واسمه مبتدأ، ويحيى خبره، والجملة الاسمية صفة لغلام ﴿لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيًّا﴾ الجملة صفة ثانية لغلام، وله مفعول نجعل الثاني، ومن قبل حال، وسمياً مفعول نجعل الأول ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا﴾ رب منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، وأنى اسم استفهام في محل نصب على الظرفية المكانية، وهو متعلق بالاستقرار في خبر يكون، ولي جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر يكون المقدم، وغلام اسمها المؤخر، وكانت الواو للحال، وكانت امرأتي عاقراً: كان واسمها وخبرها، والجملة حالية، وقد بلغت من الكبر جملة حالية أيضاً، ومن الكبر متعلقان ببلغت، أو بمحذوف حال من عتياً لأنه كان صفة له، وتقدم عليه، وعتياً مفعول بلغت، ولا تلتفت إلى الأعاريب التي تكلفها المعربون كإعرابها حالاً، وتمييزاً، ومن زائدة، وهذا

لا يليق بكتاب الله ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴾ قال فعل ماض وفاعله مستتر، قيل: يعود على الله تعالى، وقيل: على جبريل، وكذلك خبر لمبتدأ محذوف، أي: الأمر كذلك، أو نصب بقال، أو بفعل محذوف تقديره: أفعل كذلك، والإشارة إلى مبهم يفسره: هو علي هين، وقال ربك فعل وفاعل، وهو مبتدأ، وعلي متعلقان بهين، وهين خبر هو، ولقد: الواو حالية، وقد حرف تحقيق، وخلقتك فعل وفاعل ومفعول به، ومن قبل متعلقان بخلقتك، والواو حالية، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وتك فعل مضارع ناقص مجزوم بلم، وعلامة جزمه السكون المقدر على النون المحذوفة للتخفيف، واسم تك مستتر، وشيئاً خبر تك، وجملة ولم تك شيئاً حال متداخلة، وسوف يأتي بحث الشيء بين أهل السنة والمعتزلة، وبراعة المتنبي في هذا الباب ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ﴾ رب منادى، وقد تقدم إعرابه، واجعل فعل أمر، ولي مفعول به ثان، وآية مفعول به أول ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ آيتك مبتدأ، وأن وما في حيزها خبر، والناس مفعول به، وثلاث ليال نصب على الظرف، والظرف متعلق بتكلم، وسوياً حال من فاعل تكلم، أي: حالة كونك بلا علة، وسليم الأعضاء، وقيل: سوياً نسب على الصفة لثلاث بمعنى أنها كاملات ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ الفاء استئنافية، وخرج فعل وفاعل مستتر، وعلى قومه متعلقان بمحذوف حال، ومن المحراب متعلقان بخرج، فأوحى عطف على خرج، وأن تفسيرية لأنها وقعت بعد جملة فيها معنى القول، وسبحوه فعل أمر وفاعل ومفعول به، وبكرة ظرف زمان متعلق بسبحوه، وعشياً عطف على بكرة، ويجوز أن تكون أن مصدرية مفعولة بالإيحاء ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ يا يحيى منادى مفرد علم، وخذ الكتاب فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به، وبقوة حال من فاعل خذ، والباء للملابسة، أي: حال كونك متلبساً بقوة واجتهاد، وآتيناه الواو استئنافية، وآتيناه فعل وفاعل ومفعول به أول، والحكم مفعول به ثان، وصبياً حال من الهاء ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ

تَقِيًّا﴾ وحناناً عطف على الحكم، أي: وآتيناه حناناً، أي: رحمة، ورقة في قلبه، وعطفاً على الآخرين، وقيل: مفعول مطلق لفعل محذوف وهو بعيد، ومن لدنا متعلقان بمحذوف صفة لحنان، وزكاة عطف على حناناً، وكان تقياً عطف على آتيناه، وكان واسمها المستتر، وتقياً خبرها ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ وبراً عطف على تقياً، وبوالديه متعلقان ببراً، ولم يكن عطف على: وكان تقياً، واسم يكن مستتر تقديره: هو، وجباراً خبرها، وعصياً نعت ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ الواو استئنافية، وسلام مبتدأ، وساغ الابتداء به مع أنه نكرة لتضمنه معنى الدعاء، وعليه خبر، ويوم ظرف متعلق بسلام، وجملة ولد مضافة للظرف، وما بعده عطف عليه وحياً حال.

□ البلاغة:

الإيجاز في قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ فظاهر الكلام يوهم أنه استبعد ما وعده الله عز وجل بوقوعه، ولا يجوز لأحد بله النبي النطق بما لا يسوغ، أو بما في ظاهره الإيهام، فجاء الكلام موجزاً، وتقديره: هل تعاد لنا قوتنا وشبابنا فنرزق بغلام؟ أو هل يكون الولد لغير الزوجة العاقر؟ وإذن فالمستبعد هو مجيء الولد منهما بحالهما، ولكن الجواب أزال الإشكال، إذ قيل له سيكون لكما الولد وأنتما بحالكما.

* الفوائد:

اختلف أهل السنة والمعتزلة في الشيء، فالمعتزلة يعتقدون أن الشيء يتناول الموجود والمعدوم الذي يصح وجوده، فلا يتناول المستحيل إذن، أما أهل السنة فلا يتناول الشيء عندهم إلا الموجود، والآية تشهد لأهل السنة؛ لأن قوله: ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ صريحة في ذلك، وقد رمق المتنبي من طرف خفي بعيد هذا الخلاف، فاستعمله في وصف الجبان، وذلك في قصيدة مستجادة له في مديح سعيد بن عبد الله بن سعيد الكلابي المنبجي، وهي مما قاله في صباه، قال:

وضاقتِ الأرضُ حتَّى كادَ هارِبُهُمْ
إذا رأى غيــرَ شيءٍ ظنَّــه رَجُــلا

وقد غفل شراحه عن حقيقة الخلاف المشتجر بين أهل السنة والاعتزال، فذهبوا في تفسير هذا البيت كل مذهب، قال ابن القطاع: قد أوخذ في هذا البيت، فقيل: كيف يرى غير شيء، وغير شيء معدوم، والمعدوم لا يرى؟ وفيه تناقض. وليس الأمر كما قالوا، بل أراد غير شيء يعبأ به. وقال أبو بكر الخوارزمي: رأى في هذا البيت ليست من رؤية العين، وإنما هو من رؤية القلب، يريد به التوهم، وغير الشيء يجوز أن يتوهم، ومثله كثير. وقال الواحدي: إذا رأى غير شيء يعبأ به أو يفكر في مثله ظنه إنساناً يطلبه، وكذلك عادة الخائف الهارب، كقول جرير:

مـا زال يحسُـب كـلَّ شيء بعـدهُـم
خيــلاً تكــرُّ عليهـــم ورجــالا

قال أبو عبيد: لما أنشد الأخطل قول جرير هذا قال: سرقه والله من كتابهم: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ ويجوز حذف الصفة وترك الموصوف دالاً عليها، كقوله عليه الصلاة السلام: «لا صلاةَ لجار المسجد إلا في المسجد» أجمعوا على أن المعنى: لا صلاة كاملة فاضلة. ويقولون: هذا ليس بشيء، يريدون شيئاً جيداً. وقال بعض المتكلمين: إن الله خلق الأشياء من لا شيء فقيل: هذا خطأ؛ لأن لا شيء لا يخلق منه شيء، ومن قال: إن الله يخلق من لا شيء جعل لا شيء يخلق منه، والصحيح أن يقال: يخلق لامن شيء؛ لأنه إذا قال لا من شيء نفى أن يكون قبل خلقه شيء يخلق منه الأشياء. والصحيح ما قاله: أي: إذا رأى غير شيء يخاف منه، ومن هذا الوادي ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ معناه: يريده، أو يطلبه، أو يغنيه عن الماء، أي: شيئاً نافعاً مغنياً.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ

مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ٱنتَبَذَتْ ﴾ : الانتباذ: الاعتزال والانفراد، فقد تخلت مريم للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس، أو من دارها، معتزلة عن الناس، وقيل: غير ذلك، والتفاصيل في المطولات. وفي المصباح: وانتبذت مكاناً: اتخذته بمعزل يكون بعيداً عن القوم.

﴿ بَغِيًّا ﴾ : البغي: الفاجرة التي تبغي الرجال، وهي فعول عند المبرد، أي: بغوي، فأدغمت الواو في الياء. وقال ابن جني في كتاب «التمام»: هي فعيل، ولو كانت فعولاً لقيل: بغوّ، كما قيل فلان: نهوّ عن المنكر. وبغت فلانة بغاء بكسر الباء، ومنه قيل للإماء: البغايا؛ لأنهن كنّ يباغِينَ في الجاهلية، يقال: قامت البغايا على رؤوسهم، قال الأعشى:

والبغايا يَرْكُضْنَ أكسيةَ الإضْـ ـريجِ والشَّرْعَبيَّ ذا الأَذْيالِ

وفي القاموس وشرحه: بغى يبغي، من باب: ضرب الشيء، بُغاء بضم الباء، وبَغياً بفتحها، وبُغيً وبُغية: طلبه، وبغى الرجل: عدل عن الحق وعصى، وبغى عليه: استطال عليه وظلمه، فهو باغ فلعل إطلاقهم كلمة البغاء على العهر والزنى مأخوذ من هذا المعنى؛ لأنه من دواعي ما يطلبه أهل الخنا والفجور.

○ **الإعراب:**

﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ واذكر: الواو

استئنافية، واذكر فعل أمر وفاعل مستتر تقديره: أنت، وفي الكتاب جار ومجرور متعلقان باذكر، ومريم مفعول به، وإذ: قال أبو البقاء ما نصّه: في إذ أربعة أوجه: أحدها: أنها ظرف، والعامل فيه محذوف تقديره: واذكر خبر مريم إذ انتبذت. والثاني: أن تكون حالاً من المضاف المحذوف. والثالث: أن يكون منصوباً بفعل محذوف، أي: وبيِّن إذ انتبذت، فهو على كلام آخر كما قال سيبويه في قوله تعالى: ﴿ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾ وهو في الظرف أقوى وإن كان مفعولاً به. والرابع: أن يكون بدلاً من مريم بدل اشتمال؛ لأن الأحيان تشتمل على الجثث، ذكره الزمخشري، وهو بعيد؛ لأن الزمان إذا لم يكن حالاً من الجثة، ولا خبراً عنها، ولا وصفاً لها لم يكن بدلاً منها. وقيل: إذ بمعنى أن المصدرية، كقولك: لا أكرمك إذ لم تكرمني، أي: لأنك لم تكرمني، فعلى هذا يصح بدل الاشتمال، أي: واذكر مريم انتباذها.

واضطرب قول ابن هشام فيها، فبينما يقول في صدد بحثه عن إذ: الوجه الثالث أن تكون بدلاً من المفعول نحو: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ﴾ فإذ بدل اشتمال من مريم على حد البدل في: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ﴾ يعود فيقول: وزعم الجمهور أن إذ لا تقع إلا ظرفاً أو مضافاً إليها، وأنها في نحو: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا﴾ ظرف لمفعول محذوف، أي: واذكروا نعمة الله إذ كنتم قليلاً، وفي نحو: ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتۡ﴾ ظرف لمضاف إلى مفعول محذوف، أي: واذكر قصة مريم.

وقال شهاب الدين الحلبي المعروف بالسمين: وفي إذ أوجه: أحدها: أنها منصوبة باذكر، على أنها خرجت عن الظرفية، إذ يستحيل أن تكون باقية على مضيها والعامل فيها ما هو نصّ في الاستقبال. والثاني: أنها منصوبة بمحذوف مضاف لمريم تقديره: واذكر خبر مريم أو نبأها إذ انتبذت، فإذ منصوبة بذلك الخبر أو النبأ. الثالث: أنها بدل من مريم بدل اشتمال. قال الزمخشري: لأن الأحيان مشتملة على ما فيها؛ لأن المقصود بذكر مريم وقتها لوقوع هذه القصة العجيبة فيه.

وجملة «انتبذت» مضافة إلى إذ، ومن أهلها حال، ومكاناً ظرف متعلق بانتبذت، أي: في مكان، وشرقياً نعت، ويجوز أن يعرب مكاناً مفعولاً به على أن معنى انتبذت: أتت، ونص المصباح يؤيد كونه مفعولاً به، فتأمله في باب: اللغة ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ الفاء عاطفة، واتخذت فعل ماض وفاعل مستتر، ومن دونهم مفعول به ثان، وحجاباً مفعول به أول، فأرسلنا عطف على فاتخذت، وإليها متعلقان بأرسلنا، وروحنا مفعول به، فتمثل عطف أيضاً، ولها متعلقان بتمثل، وبشراً حال، وسوياً نعت، وسوغ وقوع الحال جامدة وصفها، وسيأتي مزيد بحث عنها في باب: الفوائد ﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ إن واسمها، وجملة أعوذ خبرها، والجملة مقول القول، وبالرحمن متعلقان بأعوذ، ومنك متعلقان بأعوذ أيضاً، وإن حرف شرط جازم وكنت فعل ماض ناقص، والتاء اسمها، وتقياً خبرها، وجواب الشرط محذوف، والمعنى: إن كان يرجى منك أن تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فإني عائذة به منك ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ إنما كافة ومكفوفة، وأنا مبتدأ، ورسول ربك خبر، واللام للتعليل، وأهب فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، ولك متعلقان بأهب، وغلاماً مفعول به، وزكياً صفة ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ أنى اسم استفهام بمعنى كيف، وقد تقدم إعرابه في قصة زكريا، ولم يمسسني: الواو حالية، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويمسسني مضارع مجزوم بلم، والياء مفعول به، وبشر فاعل. ولم أك بغياً: لم حرف نفي وقلب وجزم، وأك مضارع مجزوم، وعلامة جزمه السكون على النون المحذوفة للتخفيف، واسم أك مستتر، وبغياً خبرها ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾ كذلك خبر لمبتدأ محذوف، وقد تقدم إعراب نظيرها ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ لنجعله تعليل معلله محذوف، أي: فعلنا ذلك، أو هو معطوف على مضمر، أي: لنبين به قدرتنا، ولنجعله آية، وآية مفعول به ثان لنجعله، وللناس صفة

لآية، ورحمة منا عطف على آية، وكان أمراً مقضياً كان، واسمها المستتر وخبرها، ومقضياً صفة.

* الفوائد:

☆ معنى «بشراً سوياً»:

تقدم بحث الحال الموطئة، وأنها أن تكون جامدة موصوفة، وهذا أحد شروطها التي تبرر كونها جامدة، وهو في الآية بشراً، فهو حال من فاعل تمثل وهو الملك، والاعتماد فيها على الصفة وهي سوياً، وهو اسم مشتق لأنه صفة مشبهة، وعبارة ابن هشام: الثاني: انقسامها بحسب قصدها لذاتها وللتوطئة بها إلى قسمين مقصودة، وهو الغالب، وموطئة وهي الجامدة الموصوفة نحو: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ واعترض بعضهم على هذا الإعراب فقال: إن دعوى الحال تقتضي أن المعنى متمثل لها في حال كونها بشراً، ولا يخفى أنه وقت التمثيل ملك لا بشر، فالأقرب أنه منصوب بنزع الخافض، أي: فتمثل لها ببشر، أي: تشبه به، وتصور بصورته.

واعلم أنه وقع هنا للبيضاوي ما لا يليق، حيث قال: أتاها جبريل عليه السلام بصورة شاب أمرد سوي الخلق لتستأنس بكلامه، ولعله ليهيج شهوتها، فتنحدر نطفتها إلى رحمها. فقوله: ليهيج الخ عبارة غير لائقة بمريم، مع التحقيق أن عيسى عليه السلام كان من عالم الأمر، أي: أمر التكوين الممثل بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ إذ ليس ثَم قول، ولا كان، ولا يكون، وهذا وجه المماثلة بين عيسى وآدم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ اي: في التكوين بالأمر من غير واسطة ولا نطفة، والنفخ المدلول عليه بقوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ من قبيل التمثيل، استعير لإفاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها. لا حقيقة النفخ التي هي إجراء الريح إلى جوف صالح لإمساكها والامتلاء بها.

ولا يصح الاعتذار للقاضي البيضاوي بأنه نظر إلى العادة الإلهية الجارية

بخلق المسببات عقب الأسباب؛ لأن السبب لا بد أن يكون تاماً، ونطفة المرأة وحدها ليست بسبب تام لحصول الولد، وإنما تمثل لها بصورة حسنة لتأنس به، ولا تنفر منه، وتصغي إليه، وترهف السمع لسماع البشرى، وكان بصورة أمرد لإلف النساء إلى الأطفال، ومن قرب منهن، وعدم الاحتشام منهن. أما رواية الزمخشري فهي: وقيل: قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض، محتجبة بحائط، أو بشيء يسترها، وكان موضعها المسجد، فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها، فإذا طهرت عادت إلى المسجد، فبينما هي في مغتسلها أتاها الملك في صورة آدمي شاب، وضيء الوجه، جعد الشعر، سوي الخلق، لم ينتقص من الصورة الآدمية شيئاً، أو حسن الصورة مستوي الخلق، وإنما مثل لها في صورة الإنسان لتستأنس بكلامه، ولا تنفر منه، ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت، ولم تقدر على استماع كلامه. واستأنف الزمخشري كلامه، فقال: ودل على عفافها وورعها أنها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة، الفائقة الحسن، وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها، وسبراً لعفتها، وقيل: كانت في منزل زوج أختها زكريا، ولها محراب على حدة تسكنه، وكان زكريا إذا خرج أغلق عليها الباب، فتمنت أن تجد خلوة في الجبل لتفلي رأسها، فانفجر السقف لها، فخرجت، فجلست في المشرفة وراء الجبل فأتاها الملك.

ونختم هذا الفصل الذي خالفنا فيه شرط كتابنا لأهميته بتذييل للشيخ عبد الرزاق الكاشي، وهذا هو نصه: إنما تمثل لها بشراً سوي الخلق، حسن الصورة، لتتأثر نفسها به فتتحرك على مقتضى الجبلة، أو يسري الأثر من الخيال في الطبيعة، فتتحرك شهوتها، فتنزل كما يقع في المنام من الاحتلام، وإنما أمكن تولد الولد من نطفة واحدة؛ لأنه ثبت في العلوم الطبيعية: أن مني الذكر في تولد الجنين بمنزلة الأنفحة من الجبن، ومني الأنثى بمنزل اللبن: أي: العقد من مني الذكر والانعقاد من مني الأنثى، لا على معنى أن مني الذكر ينفرد بالقوة العاقدة ومني الأنثى ينفرد بالقوة المنعقدة، بل على معنى أن

القوة العاقدة في مني الذكر أقوى، وإلا لم يمكن أن يتحدا شيئاً واحداً، ولم ينعقد مني الذكر حتى يصير جزءاً من الولد، فعلى هذا إذا كان مزاج الأنثى قوياً ذُكورياً، كما تكون أمزجة النساء الشريفة النفس القوية القوى، وكان مزاج كبدها حاراً كان المني الذي ينفصل عن كليتها اليمنى أحر كثيراً من المني الذي ينفصل عن كليتها اليسرى، فإذا اجتمعا في الرحم كان مزاج الرحم قوياً في الإمساك والجذب، قام المنفصل من الكلية اليمنى مقام مني الرجل في شدة قوة العقد، والمنفصل من الكلية اليسرى مقام مني الأنثى في قوة الانعقاد، فيخلق الولد. هذا؛ وخصوصاً إذا كانت النفس متأيدة بروح القدس، متقوية به، يسري أثر اتصالها به إلى الطبيعة والبدن، ويغير المزاج، ويمد جميع القوى في أفعالها بالمدد الروحاني، فتصير أقدر على أفعالها بما لا يضبط في القياس.

﴿ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ قَصِيًّا ﴾ : بعيداً من أهلها.

﴿فَأَجَآءَهَا﴾ : يقال: جاء وأجاء لغتان بمعنى واحد، والأصل في جاء أن يتعدى لواحد بنفسه، فإذا دخلت عليه الهمزة كان القياس يقتضي تعديته لاثنين، إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل، فصار بمعنى ألجأه إلى كذا، ألا تراك لا تقول: جئت المكان، وأجاءنيه زيد، كما تقول: بلغته وأبلغنيه، ونظيره آتى، حيث لم يستعمل إلا في الإعطاء، ولم تقل: أتيت المكان، وآتانيه فلان.

﴿ٱلْمَخَاضُ﴾ : وجع الولادة. وفي القاموس: مخض يمخض بتثليث الخاء في المضارع، مخضاً: اللبن: استخرج زبده، فهو لبن مخيض وممخوض، ومخض الشيء: حركه شديداً، ومخض الرأي: قلبه وتدبر عواقبه حتى ظهر له الصواب، ومخضت بكسر الخاء تمخض بفتحها الحامل مخاضاً بكسر الميم، ومخاضاً بفتحها، ومخضت بالبناء للمجهول، ومخضت بتشديد الخاء، وتمخضت الحامل: دنا ولادها، وأخذها الطلق، فهي ماخض، والجمع مُخّض بضم الميم وتشديد الخاء، ومواخض. وللميم والخاء مجتمعتين معنى يكاد يكون متقارباً، فهي تشير إلى الانزلاق، ومنه: مخر البحر والماء، أي: شقه مع صوت، ومخط وامتخط معروفة.

﴿مِتُّ﴾ : بكسر الميم وضمها، يقال: مات يمات، ومات يموت.

﴿نَسْيًا﴾ : النسي بفتح النون وكسرها بمعنى: المنسي، كالذبح بمعنى المذبوح، وكل ما من حقه أن يطرح ويرمى وينسى.

﴿سَرِيًّا﴾ : السري فيه قولان أحدهما: أنه الرجل المرتفع القدر من: سرو يسرو، كشرف يشرف، فهو سري، فأعل إعلال سيد فلامه واو، يقال: هو سري من السراة والسروات، قال بشامة بن حزن النهشلي:

وإن دعوتِ إلى جُلَّى ومَكْرُمةٍ يوماً سَرَاةَ كِرامِ النَّاسِ فادْعِينا

والثاني: أنه النهر الصغير، ويناسبه: فكلي واشربي، واشتقاقه من سرى يسري؛ لأن الماء يسري فيه، فلامه على هذا ياء، قال لبيد يصف حماراً وحشياً:

فَمَضَى وقَـدَّمها وكانتْ عادةً منـه إذا هـي عَـرَّدَتْ إقْـدامُهـا
فتوسَّطا عُرْضَ السَّرِيِّ فَصَدَّعا مَسْجُـورةً مُتَجـاوِراً قُـلاَّمُهـا

يقول: إنه مضى خلف أتانه نحو الماء وقدمها أمامه، وإقدامها: اسم كان، و ألحقها التاء لأنها بمعنى التقدمة، وعادة خبر كانت، والتعريد: التأخر والجبن، فتوسطا أي: الحمار والأتان عرض السري، أي: ناحية النهر الصغير، فصدعا: أي: شقا عيناً مسجورة، أي: مملوءة.

﴿رُطَبًا جَنِيًّا﴾ : الرُّطَب ـ بضم ففتح ـ: ما نضج من البسر قبل أن يصير تمراً، والجني فعيل بمعنى فاعل، أي: صار طرياً صالحاً للاجتناء.

﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ : أي: طيبي نفساً، ولا تغتمي، وارفضي ما أحزنك، يقال: قرت عينه تقر ـ بفتح العين وكسرها في المضارع ـ وفي وصف العين بذلك تأويلان: أولهما: أنه مأخوذ من القر، وهو البرد، وذلك أن العين إذا فرح صاحبها كان دمعها بارداً، وإذا حزن كان دمعها حاراً، ولذلك قالوا في الدعاء عليه: أسخن الله عينك. والثاني: أنه من الاستقرار، والمعنى أعطاه الله ما يسكن عينه، فلا تطمح إلى غيره. وفي المصباح: وقرت العين، من باب: ضرب، قُرة بالضم وقروراً: بردت سروراً، وفي لغة أخرى: من باب: تعب.

﴿صَوْمًا﴾ : صمتاً، وخيل صائمة وصيام، قال:
خَيْلٌ صِيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمةٍ تحتَ العَجَاجِ وأخرى تَعْلُكُ اللُّجُما
وقيل: المراد بصائمة وغير صائمة: واقفة وغير واقفة.

وصامت الريح: ركدت، وصام النهار وصامت الشمس: كبّدت، وجئته والشمس في مصامها، وشاخ فصامت عنه النساء.

﴿فَرِيًّا﴾ : الفري: البديع، من فرى الجلد، والفري: العظيم من الأمر، يقال في الخير والشر، وقيل: الفري: العجيب، وقيل: المفتعل، ومن الأول الحديث في وصف عمر بن الخطاب: فلم أرى عبقرياً يفري فريه. والفرى:

قطع الجلد للخرز والإصلاح. وفي المختار: فرى الشيء: قطعه لإصلاحه، وبابه: رمى، وفرى كذباً: خلقه، وافتراه، واختلقه، والاسم: الفرية، وقوله تعالى: ﴿شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ أي: مصنوعاً مختلقاً، وقيل عظيماً، وأفرى الأوداج: قطعها، وأفرى الشيء: شقه فانفرى، وتفرى، أي: انشق، وقال الكسائي: أفرى الأديم: قطعه على جهة الإفساد، وفراه: قطعه على جهة الإصلاح.

○ الإعـراب:

﴿۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ الفاء عاطفة على محذوف، تقديره: فنفخ جبريل في جيب درعها فحملته، وسيأتي سر هذا التعقيب في باب الفوائد فانتبذت عطف على فحملته وبه جار ومجرور في موضع نصب على الحال وقد رمق سماءه أبو الطيب المتنبي في قصيدة يمدح بها علي بن مكرم بن سيار التميمي، ويصف الخيل:

كـأَنَّ خُيـولَنـا كـانـت قَـديمـاً تُسَقَّـى في قُحُـوفِهِـم الحليبـا
فَمَــرَّتْ غيرَ نــافِــرةٍ عليهــمْ تَدُوسُ بنا الجَمَاجَمَ والتَّرِيبا

يريد أن خيولهم لم تنفر منهم، كأنها كانت في صغرها تسقى في قحوف رؤوسهم اللبن، يعني: قحوف رؤوس الأعداء، والعرب كان من عادتها أن تسقي كرام خيولها اللبن، وقحف الرأس: ما انضم على أم الدماغ، والجمجمة: العظم الذي فيه الدماغ، فوطئت رؤوسهم وصدورهم، ولم تنفر عنهم، فكأنها ألفتهم. والتريب والتريبة: واحدة الترائب، وهو: موضع القلادة. ومن طريف الأخطاء أن بعضهم تصدى لشرح هذا البيت، ولما لم يعرف معنى التريب قال بالحرف: والتريب والتراب لغة في التراب. زاده الله فهماً!! ومكاناً مفعول فيه، أو مفعول به، وقد تقدم، وقصياً صفة. ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ الفاء عاطفة للتعقيب، وأجاءها فعل ماض، ومفعول به مقدم، والمخاض فاعل مؤخر، وإلى جذع النخلة متعلقان بمحذوف حال، وسيأتي السر في تعريف النخلة في باب البلاغة ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى

مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ يا حرف نداء والمنادى محذوف، أو يا لمجرد التنبيه، وليت اسمها، وجملة مت خبرها، وهي فعل وفاعل، والظرف منصوب؛ لأنه أضيف، وهو متعلق بمت وهذا مضاف إليه، وكنت: الواو عاطفة، وكان واسمها، ونسياً خبرها، ومنسياً تأكيد لنسياً لأنه بمعناه، ولك أن تعربه نعتاً ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ الفاء عاطفة، وناداها فعل ومفعول به وفاعل مستتر يعود على الملك أو عيسى، ومن تحتها متعلقان بناداها، أي: في مكان أسفل من مكانها، أو بمحذوف حال من فاعل، أي: ناداها وهو تحتها، وأن مفسرة؛ لأن النداء فيه معنى القول دون حروفه، ولا ناهية، وتحزني مجزوم بلا، ويجوز أن تكون مصدرية، ولا نافية، وتحزني منصوب بها، وأن وما بعدها نصب بنزع الخافض المتعلق بالنداء، والأول أسهل، وقد حرف تحقيق، وجعل ربك فعل وفاعل، وتحتك ظرف متعلق بمحذوف هو المفعول الثاني لجعل، وسرياً هو المفعول الأول، وسيأتي السرّ في علة انتزاع الحزن عنها بسبب وجود الطعام والشراب ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ الواو عاطفة، وهزي فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، والياء هي الفاعل، وإليك متعلقان بهزي، وبجذع النخلة أورده ابن هشام في «مغني اللبيب» شاهداً على زيادة الباء في المفعول به، وأكثر المعربين على ذلك، ولكن الزمخشري قال بعد ذكر وجه الزيادة ما معناه: يحتمل أنه نزل هزي منزلة اللازم وإن كان متعدياً، ثم عداه بالباء كما يعدى اللازم، والمعنى: افعلي به الهز، وتساقط مجزوم لأنه جواب الطلب، وعليك متعلقان بتساقط، ورطباً مفعول به، وجنياً صفة، وتساقط يتعدى بنفسه، ومن أمثلته لا من شواهده؛ لأن البحتري غير محتج بكلامه:

فَمِنْ لُؤْلُؤٍ تَجْلُوه عند ابْتِسامِها
ومِنْ لُؤْلُؤٍ عند الحديثِ تُسَاقِطُهْ

وعن المبرد أن رطباً مفعول هزي، وباء بجذع النخلة للاستعانة،

ولا يخفى ما فيه من التكلف بتأخير ما في حيز الأمر عن جوابه، وستأتي أوجه زيادة الباء في باب: الفوائد﴿ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًاۖ ﴾ الفاء الفصيحة، أي: إذا تم لك هذا كله فكلي، وكلي فعل أمر، والياء فاعل، وما بعده عطف عليه، وعيناً تمييز من الفاعل؛ لأنه منقول عنه، إذ الأصل: لتقر عينك﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ الفاء عاطفة، وإنْ شرطية أدغمت نونها بما الزائدة، وترين فعل الشرط، وأصله: ترأيين بهمزة هي عين الفعل، وياء مكسورة هي لامه، وأخرى ساكنة هي ياء الضمير، والنون علامة الرفع، وقد حذفت لام الفعل لتحركها وانفتاح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فالتقت ساكنة مع ياء الضمير، فحذفت لالتقاء الساكنين، ومن البشر حال لأنه كان في الأصل صفة لأحداً، وأحداً مفعول به﴿ فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، وقولي فعل أمر مبني على حذف النون، والياء فاعل، وإن واسمها، وجملة نذرت خبرها، والجملة مقول القول، وسيرد إشكال أجبنا عنه في باب: الفوائد، وللرحمن متعلقان بنذرت، وصوماً مفعول به، فلن: الفاء استئنافية، ولن حرف نفي ونصب واستقبال، وأكلم منصوب بلن، واليوم ظرف متعلق بأكلم، وإنسياً مفعول به﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ الفاء استئنافية، وأتت فعل وفاعل مستتر، والتاء للتأنيث، وبه علقه أبو البقاء بمحذوف حال، أي: مصحوبة به، وهو جميل، ولا نرى مانعاً بتعلقه بأتت، وقومها مفعول به، وجملة تحمله حال ثانية، إما من ضمير مريم، وإما من ضمير عيسى في: به، قالوا فعل وفاعل، ويا حرف نداء ومريم منادى، واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وجئت فعل وفاعل، وشيئاً مفعول به، أي: فعلت شيئاً، وفرياً نعت، ويجوز إعراب شيئاً على المصدرية، أي: نوعاً من المجيء غريباً ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ يا حرف نداء، وأخت هارون منادى مضاف، أي: يا شبيهته، وهارون رجل صالح شبهوها به في عفتها وصلاحها، وليس المراد منه أخوة النسب، وقيل: إنما عنوا هارون أخا موسى؛ لأنها كانت من نسله، والعرب تقول للتميمي: يا أخا

تميم، وقيل غير ذلك مما تراه في المطولات، وما نافية، وكان أبوك امرأ سوء: كان واسمها وخبرها، وما كانت أمك بغياً عطف على الجملة التي سبقتها، أي: ما دمت بهذه المثابة من مظنة العفة والصلاح، فمن أين لك هذا الولد؟ ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ الفاء عاطفة، وأشارت فعل وفاعل مستتر، وإليه متعلقان بأشارت، قالوا فعل وفاعل، وكيف اسم استفهام في محل نصب حال، ونكلم فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره: نحن، ومن اسم موصول مفعول به، وجملة كان صلة، واسم كان مستتر تقديره: هو، وفي المهد جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وصبياً خبر كان، وقد اعتبرنا كان على بابها من النقصان، ودلالتها على اقتران مضمون الجملة في الزمن الماضي من غير تعرض للانقطاع، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ . وقد نشب بين علماء العربية خلاف حول «كان» هنا نذكره مبسوطاً في باب الفوائد لما تضمنه من فوائد ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ جملة إني عبد الله مقول القول، ولذلك كسرت همزة إن لوقوعها بعد القول، وإن واسمها، وعبد الله خبرها، وقد وصف نفسه بثماني صفات أولها: العبودية، وجملة آتاني الكتاب حالية، وهذه هي الصفة الثانية، والكتاب مفعول به ثان، وجعلني نبياً فعل ماض وفاعل مستتر ومفعولاه، وهذه هي الصفة الثالثة ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾ وجعلني مباركاً عطف على وجعلني نبياً، وهذه هي الصفة الرابعة، وأينما اسم شرط جازم في محل نصب على الظرفية المكانية، والجواب محذوف مدلول عليه بما تقدم، أي: أينما كنت جعلني مباركاً وهو متعلق بالجواب المحذوف، وكان تامة، والتاء فاعلها، ويجوز أن تكون الناقصة، وأينما متعلق بمحذوف خبرها المقدم ﴿ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ ما دمت: ما مصدرية ظرفية، ودمت فعل ماض ناقص، والتاء اسمها، وحياً خبرها. والمصدر المؤول نصب على الظرفية، والظرف متعلق بأوصاني، وهذه هي الصفة الخامسة ﴿ وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ وبراً بفتح الباء معطوف نسقاً على مباركاً، أي: وجعلني براً جعل ذاته براً لفرط بره، ولك أن تنصبه بفعل مقدر

بمعنى أوصاني تفادياً للفصل الطويل، وهذه هي الصفة السادسة، وبوالدتي متعلقان ببراً، ولم يجعلني عطف على وجعلني، وجباراً مفعول به ثان، وشقياً صفة، وهذه هي الصفة السابعة ﴿ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ السلام مبتدأ، وعلي خبره، واختلف في معنى (أل) الداخلة على السلام، فقيل: هي للعهد لأنه تقدم ذكر السلام الموجه إلى يحيى، فهو موجه إليه أيضاً، وقال الزمخشري: والصحيح أن يكون هذا التعريف تعريضاً باللفتة على متهمي مريم عليها السلام وأعدائها من اليهود، وتحقيقه أن اللام للجنس وإذا قال وجنس السلام عليَّ خاصة، فقد عرض بأن ضده عليكم، ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ يعني: أن العذاب على من كذب وتولى، وكان المقام مقام مناكرة وعناد، فهو مئنة لنحو هذا من التعريض. ويوم متعلق بمعنى الاستقرار المتعلق به عليَّ، ولا يجوز نصبه للسلام للفصل بين المصدر ومعموله، وجملة ولدت مضافاً إليها الظرف، ويوم أبعث عطف على يوم ولدت، وكذلك يوم أبعث، وحياً حال، وهذه هي الصفة الثامنة والأخيرة.

□ البلاغة:

☆ التعريف:

وذلك في تعريف النخلة التي جاءها المخاض عندها، وهذا التعريف لا يخلو إما أن يكون من تعريف الأسماء الغالبة كتعريف النجم والصعق، كأن تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم عند الناس، فإذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخيل، وإما أن يكون من تعريف الجنس، أي: جذع هذه الشجرة خاصة، كأن الله تعالى إنما أرشدها إلى النخلة ليطعمها منها الرطب؛ الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها، ولأن النخلة أقل شيء صبراً على البرد، وثمارها إنما هي من جمارها، فلموافقتها لها مع جميع الآيات فيها اختارها لها، وألجأها إليها.

* الفوائـد:

(١) خلاصة قصة ميلاد عيسى في القرآن الكريم:

هذا؛ ولم يعن كتاب من الكتب الدينية بميلاد المسيح، والدفاع عن طهارة والدته العذراء، والإشادة بفضلها وتفضيلها على سائر النساء، كما عني القرآن الكريم، فقد وردت فيه عن ميلاد المسيح عليه السلام، وحياته وجهاده في سبيل الدعوة إلى الله، وإصلاح البشر، عدة آيات في عدد من السور، وقد أتى في براءة العذراء وقنوتها بما لم تأت به كتب أخرى، بل كانت السورة الثانية الكبرى من القرآن الكريم وهي سورة آل عمران، وعمران هو والد العذراء، وكان عالماً من علماء الدين، ولم تأت سورة من السور باسم سيدة من سيدات التاريخ غير اسم مريم، وهي تحتوي على عدة آيات في ميلاد المسيح، كما وردت آيات أخرى في هذا الحادث الجليل.

ولقد اصطفى الله آل عمران كما اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم على العالمين، وكان عمران أبو مريم رجلاً، تقياً، ورعاً، كما كانت زوجته صالحة تقية، فلما حملت نذرت إلى الله أن يكون حملها خادماً للهيكل، فلما وضعت، وتبين لها أنها أنثى، وليس الذكر كالأنثى، سمتها أمها مريم، ولكن الله تقبلها في الهيكل بقبول حسن، وأنبتها نباتاً حسناً.

ولم يعش عمران حتى تشب مريم وتكبر، فتوفي وهي صغيرة، فكفلها زوج خالتها النبي زكريا، وكانت مريم صادقة مباركة يفيض الله عليها من رزقه من حيث تعلم ولا تعلم، فكان زكريا كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً كثيراً، فيسألها قائلاً: يا مريم أنّى لك هذا؟! فتجيب: هو من عند الله.

وكانت مريم تتعبد في الهيكل بعيداً عن أهلها وعن الناس، قد انتبذت مكاناً شرقياً في الناصرة من مدينة الجليل، وكانت مخطوبة لرجل من أبناء عمومتها اسمه يوسف النجار، ولكن لم يتم زواجهما؛ لأنها وهبت نفسها إلى

الله، ولكن الله تعالى شاء أن يهب إلى البشر من هذه الفتاة الطاهرة الكريمة التقية نبياً كريماً، ورسولاً عظيماً، ويجعل منها ومن ابنها آية للناس، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ لم يتم زواج يوسف بمريم، وبعث الله جبريل فبشرها بحملها بالسيد المسيح، وهي في عزلتها تعبد الله، وتخلص له العبادة والتقوى، فعجبت لذلك، وأجفلت، وقالت: كيف يكون لي ولد ولم يمسسني بشر، فكان الجواب عليها كما جاء في القرآن، كما صور القرآن فزع مريم في سورة «مريم» حين جاءها الملك بهذه البشارة متمثلاً لها في صورة إنسان ظهر لها في عزلتها، على حين غرة من أمرها، فاستعاذت بالله منه، فهدأ من روعها، وأنبأها أنه مرسل من السماء؛ ليهب لها غلاماً زكياً، فجاء في هذه السورة: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ . . الخ الآيات. وقد اتفق إنجيل لوقا وإنجيل برنابا والقرآن الكريم في حادث ولادة المسيح على أنه آية للناس، ولم يكن نتيجة اتصال مريم بخطيبها يوسف النجار، كما جاء في بعض الأناجيل الأخرى كإنجيل متى الذي نصَّ على أن: يسوع بن يوسف النجار ابن يعقوب بن متان بن اليعاذر، ابن اليهود بن أخيم . . . إلى آخر هذا النسب الذي يصل إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

فالقرآن الكريم نزل بأن مريم عذراء، وأنه بعد بشارة الملك لها بهذا الغلام الزكي حملت به، وانتبذت مكاناً بعيداً عن الناس، وعانت وحدها آلام وضعه حتى تمنت الموت قبل هذا، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ﴾ الخ الآيات. خاطبها هذا الوليد الكريم في مهده، وهدأ من روعها، وطلب إليها أن تستعين على ضعفها بالرطب الجني، والماء الهني، أو خاطبها الملك.

وكان أن وقع ما خشيته مريم من اتهامها بالسوء، فلما جاءت به إلى قومها أنكروا عليها، واتهموها بما هي براء منه، فصامت عن الكلام، وتولى الطفل الصغير في مهده الدفاع عن أمه الطاهرة النقية، كما جاء في القرآن الكريم.

(٢) أسرار الفاءات:

وعدناك أن نتحدث عن أسرار الفاءات في قوله تعالى: ﴿ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ۞ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ﴾ في هذه الفاءات دليل على أن حملها به ووضعها إياه؛ لأنه عطف الحمل والانتباذ إلى المكان الذي مضت إليه، والمخاض الذي هو الطلق بالفاء، وهي للفور، ولو كانت كغيرها من النساء لعطف بثم التي هي للتراخي والمهلة، ألا ترى أنه قد جاء في الأخرى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ فلما كان بين تقديره في البطن وإخراجه مدة متراخية عطف ذلك بثم، وهذا بخلاف قصة مريم عليها السلام، فإنها عطفت بالفاء. وقد اختلف الناس في مدة حملها فقيل: إنه كحمل غيرها من النساء، وقيل: لا، بل مدة ثلاثة أيام، وقيل: أقل، وقيل: أكثر. وهذه الآيةُ مزيلة للخلاف؛ لأنها دلّت صريحاً على أنّ الحمل والوضع كانا متقاربين على الفور من غير مهلة، وربما كان ذلك في يوم واحد، أو أقل، أخذاً بما دلّت عليه الآية. هذا ما ورد في «المثل السائر» لابن الأثير، وقد ردّ ابنُ أبي الحديد في «الفلك الدائر» على ذلك بما أوردناه في سورة النحل من أن التعقيب على حسب ما يصح إما عقلاً وإما عادة، إلى أن يقول: وليست الفاء للفور الحقيقي؛ الذي معناه حصول هذا بعد هذا بغير فصل ولا زمان، كما توهمه هذا الرجل. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾ فإن العذاب متراخ عن الافتراء، فلا يدلّ قوله تعالى في قصة مريم على أن الحمل والمخاض كانا في يوم واحد.

قلت: بحثُ ابن أبي الحديد متجه، والذي قاله ابن الأثير لا يخلو من ضعف، وقد اختلف المفسرون في مدة حملها، فقال ابن عباس: تسعة أشهر كما في سائر النساء، وقال عطاء وأبو العالية والضحاك: سبعة أشهر، وقال ابن عباس أيضاً: في ساعة واحدة، وقال آخر: لثمانية أشهر، وقال آخرون: ستة أشهر، وقال آخرون: ثلاث ساعات. ورجَّح الإمام الرازي أنه في ساعة، وقال: (ويمكن الاستدلال له بوجهين) وذكر في الوجه الأول ما قاله

ابن الأثير، وذكر في الوجه الثاني: إن الله تعالى قال في وصفه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ فثبت أن عيسى ـ عليه السلام ـ لما قال الله له كن فكان، وهذا مما لا يتصور فيه مدة الحمل، إنما تعقل تلك المدة في حقّ مَن يتولد من النطفة.

ومذهب الشافعية أن أكثر مدة الحمل أربع سنين، وأقلّه ستة أشهر. وقد ولد الضحاك بن مزاحم لستة عشر شهراً، وشعبة ولد لسنتين، وهرم بن سنان ولد لأربع سنين، ولذلك سمي هرماً. ومالك بن أنس حمل به أكثر من ثلاث سنين، والحجاج بن يوسف ولد لثلاثين شهراً، ويقال: إنه كان يقول: اذكروا ليلة ميلادي. ويقال: إن عبد الملك بن مروان حمل به ستة أشهر، والشافعي حمل به أربع سنين أو أقل، والحنفية يقولون للشافعية: ما جسر إمامكم أن يظهر إلى الوجود حتى توفي إمامنا، ويجيبهم الشافعية بقولهم: بل إمامكم ما ثبت لظهور إمامنا.

القول الفصل في الفاء العاطفة:

والفاء في أصل وضعها للترتيب المتصل، والترتيب على ضربين:

١ ـ الترتيب في المعنى: هو أن يكون المعطوف بها لاحقاً متصلاً بلا مهلة، كقوله تعالى: ﴿خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ والأكثر كون المعطوف بها متسبباً عما قبله، كقولك: أملته فمال، وأقمته فقام.

٢ ـ الترتيب في الذكر: وهو نوعان: أحدهما عطف مفصل على مجمل هو هو في المعنى، كقولك: توضأ فغسل وجهه ويديه ومسح رأسه ورجليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى...﴾ الآية.

وتكون عطفاً لمجرد المشاركة في الحكم بحيث يحسن بالواو، كقول امرىء القيس:

... ... بين الدّخول فحومل

وتختصّ الفاء بعطف مالا يصلح كونه صلة على ما هو صلة، كقولك:

الذي يطير فيغضب زيد الذباب، فلو جعلت موضع الفاء واواً أو غيرها، فقلت: الذي يطير ويغضب زيد، أو: ثم يغضب زيد الذباب، لم تجز المسألة؛ لأن يغضب زيد جملة لا عائد فيها على الذي، فلا يصلح أن يعطف على الصلة؛ لأن شرط ما يعطف على الصلة أن يصلح وقوعه صلة، فإن كان العطف بالفاء لم يشترط ذلك؛ لأنها تجعل ما بعدها مع ما قبلها في حكم جملة واحدة لإشعارها بالسببية، كأنك قلت: الذي إن يطر يغضب زيد الذباب، وقد يعطف بالفاء متراخياً كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ إما لتقدير متصل قبله، وإما لحمل الفاء على ثم.

الفاء الفصيحة:

وقد تُحذف الفاءُ مع المعطوف بها إذا أمن اللبس، وكذلك الواو، فمن حذف الفاء قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ التقدير: فامتثلتم فتاب عليكم. وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ معناه: فأفطر فعليه عدة. وهذه العاطفة على الجواب المحذوف يسميها أرباب المعاني: «الفاء الفصيحة». قال صاحب «الكشاف» في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ تقديره: فعملا به وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة، وقالا: الحمد لله.

وقال صاحب «المفتاح»: هو إخبار عما صنع بهما وعما قالاه، كأنه قيل: نحن فعلنا الإيتاء، وهما فعلا الحمد، وهذا الباب كثير في القرآن، وهو من جملة فصاحته، ولهذا أسماها أرباب المعاني: الفاء الفصيحة.

أما ابن الحاجب فقد قال: إن المعتبر ما يعدّ في العادة مرتباً من غير مهلة، فقد يطول الزمان والعادة تقضي في مثله بانتفاء المهلة وقد تقصر والعادة تقضي بالعكس، فإن الزمن الطويل قد يستغرب بالنسبة إلى عظم الأمر فتستعمل الفاء، وقد يستبعد الزمن القريب بالنسبة إلى طول أمر يقضي العرف بحصوله في زمان أقلّ منه، والذي يظهرُ من كلام الجماعة أن استعمالَ الفاء فيما تراخى

زمانه ووقوعه من الأول سواء قصر في أولا، وإنما هو بطريق المجاز.

وقال الجرمي: لا تفيد الترتيب في البقاع ولا في الأمصار، بدليل: «بين الدخول فحومل» مطرنا مكان كذا فمكان كذا إذا كان وقوع المطر فيهما في وقت واحد، واعترض على معنى التعقيب بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ۝ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ﴾ فإنّ إخراجَ المرعى لايعقبه جعله غثاء أحوى، أي: يابساً أسود، والجواب من وجهين:

أ ـ إن جملة ﴿ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ﴾ معطوفة على جملة محذوفة، وإن التقدير: فمضت مدة فجعله غثاء.

ب ـ إن الفاء نابت عن ثم، والمعنى: جعله غثاء، وسيأتي تفصيل ذلك في حينه.

٣ ـ لماذا انقشع الحزن عنها بسبب وجود الطعام والشراب؟

ولا بُدَّ هنا من الإجابة على سؤال قد يرد، فإن ظاهر الكلام يدلّ على أنّ حزنها سينقشع بسبب وجود الطعام والشراب، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَكُلِى وَٱشۡرَبِى وَقَرِّى عَيۡنًا ﴾ ومعلومٌ بأن حزنها لم يكن بسبب ذلك، ولا هو ناجم عن فقدان الطعام والشراب، ولكن السرّ في ذلك أن التسلية ونسيان الحزن لم يقعا بها من حيث أنهما طعام وشراب، ولكن من حيث أنهما معجزة باهرة ترهص لها، وتدحض باطل القوم، وتثبت كذبهم وإرجافهم، كما تثبت أنها من أهل العصمة والبعد من الريبة، وأنها بمعزل عما قرفوها به، ثم إنّ الأمور الخارجة عن العادات لا يمكن إلا أنْ تكون إلهية ولحكمة نجهلها، ومن ذلك ولادتها عيسى من غير فحل، وهذا من عجائب الأساليب.

لماذا منعت من الكلام؟

وهناك سؤال آخر قد يثب إلى الذهن بعد هذا كله، وهو: أن الله أمرها بأن تمتنع من الكلام لأمرين:

أ ـ أن يكون عيسى ـ عليه السلام ـ هو المتكلم عنها ليكون أقوى لحجّتها،

وأرهص للمعجزة، وبالتالي لإزالة عوامل الريبة المؤدية إلى اتهامها بما يشين.

ب ـ تشريع الكراهية لأية مجادلة مع السفهاء، وقد رمق الشاعر سماء هذا المعنى فقال:

يُخاطبني السَّفيهُ بكلِّ قُبْحٍ وأكرهُ أن أكونَ له مُجيبا

٤ ـ مواضع زيادة الباء:

أ ـ في الفاعل وزيادتها تكون واجبة في فعل التعجب الوارد على صيغة الأمر، نحو: أحسن بزيد، وعلة الزيادة إصلاح اللفظ، وإعرابه: أحسن: فعل ماض مبني على فتح مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بالسكون العارض لأجل الصيغة، وبزيد: الباء حرف جر زائد، وزيد فاعل مرفوع بضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وتكون غالبة، وذلك في فاعل كفى التي بمعنى حسب، والتي هي فعل لازم، نحو: كفى بالله شهيداً، ولا تزاد الباء في فاعل كفى التي بمعنى أجزأ، أو: أغنى، ولا التي بمعنى وقى، والأولى متعدية لواحد نحو:

قليلٌ منكَ يكفيني ولكنْ قليلُكَ لا يقالُ له قليلُ

والثانية متعدية لاثنين، كقوله تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾.

قال ابنُ هشام: ووقع في شعر المتنبي زيادة الباء في فاعل كفى المتعدية لواحد، قال:

كفى ثُعَلاً فخراً بأنَّكَ منهمُ
ودهرٌ لأن أمسيتَ من أهلِه أهلُ

ولم أر من انتقد عليه. وقد استعجل ابن هشام بهذا الحكم، فقد انتقد عليه ذلك أبو البقاء في شرحه الممتع للديوان، وأفاض في إعراب البيت، كما انتقده المعري أيضاً، ولسنا بصدد التحقيق في ذلك، فلعلك ترجع إلى شرح أبي البقاء، وإلى «مغني اللبيب».

ب ـ في المفعول به، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ وقول أبي الطيب:

كفـى بجسمـي نُحـولاً أنَّـي رَجُـلٌ
لـولا مُخـاطبتـي إيَّـاكَ لـمّ تَـرَنـي

جـ ـ في المبتدأ، نحو: بحسبك درهم، وخرجت فإذا بزيد، وكيف بك، فكيف: اسم استفهام خبر مقدم، وبك: الباء حرف جر زائد، والكاف في محل جر بالباء، وفي محل رفع بالابتداء، وقد نابت الكاف عن أنت لدخول حرف الجر، والمعنى: كيف أنت إذا كان الأمر حاصلاً؟

د ـ في الخبر، وهو ينقاس في غير الموجب، نحو: ليس زيد بقائم، وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون، وفي غير الموجب متوقف على السّماع.

هـ ـ في الحال المنفي عاملها، كقوله:

فمـا رجعـتْ بخـائبـةٍ ركـابٌ حكيـمُ بـن المُسيَّـبِ مُنتهـاهـا

و ـ في التوكيد بالنفس والعين، نحو: جاء زيد بنفسه وبعينه.

٥ ـ مبحث هام حول كان:

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ جرينا في إعرابها على أنها ناقصة، واسمها مستتر، تقديره: هو، وصبياً: خبرها، وممن أعربها كذلك الزمخشري، ووعدنا أن ننقل الخلاف الذي ثار حولها لطرافته، ولما فيه من رياضة ذهنية:

أما أبو البقاء فقد أعربها زائدة، أي: من هو في المهد، وصبياً حال من الضمير في الجار والضمير المنفصل المقدر كان متصلاً بكان، وقيل: كان الزائدة لا يستتر فيها ضمير، فعلى هذا لا تحتاج إلى تقدير هو، بل يكون الظرف صلة من، وقيل: ليست زائدة، بل هي كقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ وقيل: هي بمعنى صار، وقيل هي التامة، ومن بمعنى الذي، وقيل: شرطية، وجوابها كيف.

وقال الشهاب الحلبي المعروف بالسّمين: في كان هذه أقوال:

أ ـ إنها زائدة، وهو قول أبي عبيد، أي: كيف نكلم من في المهد، وصبياً على هذا نصب على الحال من الضمير المستتر في الجار والمجرور، والواقع صلة.

ب ـ إنها تامة بمعنى حدث ووجد، والتقدير: كيف نكلم من وجد صبياً، وصبياً حال من الضمير في كان.

جـ ـ إنها بمعنى صار، أي: كيف نكلم من صار في المهد صبياً، وصبياً على هذا خبرها.

د ـ إنها الناقصة على بابها من دلالتها على اقتران مضمون الجملة بالزمان الماضي من غير تعرض للانقطاع، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ولذلك يعبّر عنها بأنها ترادف لم يزل.

وقال ابنُ الأنباري في «أسرار العربية» كان هنا تامة، وصبياً منصوب على الحال، ولا يجوز أن تكون ناقصة؛ لأنه لا اختصاص لعيسى ـ عليه السلام ـ في ذلك؛ لأن كلاً كان في المهد صبياً، ولا عجب في تكليم من كان فيما مضى في حال الصّبا.

وبعد كتابة ما تقدّم وقعت على ما قاله أبو طاهر حمزة في رسالة له سمّاها: «المنيرة المعربة عن شرف الإعراب» وأنقل لك خلاصته، ففيه وجاهة وطرافة، وهي تؤيد ما ذهبنا إليه من بقاء كان على وجهها قال: لكن الوجه إن كان من قصد الخبر الآن عن حالهم. لأنهم أكبروا ذلك في وقت كونه في المهد، فكأنه قال: أكبروا تكليم صبي كائن في المهد طفلاً، فيكون الكون من لفظ المخبر لا من لفظهم، كقول الحطيئة يصف الرياض:

يظلُّ بها الشيخُ الذي كان فانياً
يدبُّ على عوجٍ له نخرات

فلم يك فانياً قبل دبيبه بل وقت دبيبه، فذكر الكون من لفظ المخبر.

قلت:

وهذا كله دندنةٌ في غير طائل، والأجود ما اخترناه، واختاره الزمخشري، ويأتي في المرتبة بعده أن تكون زائدة، أما تقديرها تامة فبعيد جداً؛ لأن عيسى لم يخلق ابتداء في المهد.

٦ ـ بغياً: أصله بغوياً، اجتمعت فيه الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء، ثم أدغم الياء في الياء، وإلا لو كان فعيلاً بمعنى فاعل لحقته التاء. وقال البيضاوي: وهو فعول، من: البغي، قلبت واوه وأدغمت، ثم كسرت العين إتباعاً، ولذلك لم تلحقه التاء، أو: فعيل بمعنى فاعل لم تلحقه التاء. لأنه للمبالغة، أو: للنسب كطالق. وقال بعضهم: البغي خاص بالمؤنث، فلا يقال: رجل بغي، إنما يقال: امرأة بغي، لكن نقل بعضهم عن «المصباح» أنه يقال: رجل بغي، كما يقال: امرأة بغي.

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ ذلك اسم إشارة، مبتدأ، وعيسى خبره، وابن مريم بدل، وقول الحق مفعول مطلق لفعل محذوف، أي: قلت، أو: مصدر مؤكد لمضمون الجملة، كقولك: هو عبد الله حقاً، واختار الزمخشري أن يكون منصوباً على المدح بفعل محذوف، تقديره: امدح. هذا وقد فرق أبو حيان بين الإعرابين فقال: وانتصاب قول على أنه

مصدر مؤكد لمضمون الجملة، أي: هذه الأخبار عن عيسى ابن مريم ثابت صدق، ليس منسوباً لغيرها، أي: إنها ولدته من غير مسّ بشر، كما تقول: هذا عبد الله الحق لا الباطل، أي: أقول الحق، وأقول قول الحق، فيكون الحق هو الصدق، وهو من إضافة الموصوف إلى الصفة. والذي نعت للقول إن أريد به عيسى، وسمّي قولاً، كما سمّي كلمة؛ لأنه عنها نشأ، أو: صفة للحق نفسه، وفيه متعلقان بيمترون، وجملة يمترون صلة الموصول. ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾ ما نافية، وكان فعل ماض ناقص، ولله خبرها المقدم، وأن يتخذ مصدر مؤول اسم كان، ومن زائدة، وولد مجرور بمن لفظاً مفعول به منصوب محلاً، وسبحانه مفعول مطلق لفعل محذوف. ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ تقدم إعراب أمثالها كثيراً، ونعيد إعراب فيكون: الفاء: استئنافية، ويكون مرفوع، أي: فهو يكون، وكان ـ هنا ـ تامة، وقرىء بنصب فيكون بأن مضمرة بعد فاء السببية الواقعة بعد الطلب. ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، ولذلك كسرت همزة إن، وقرىء بفتحها بحذف حرف الجر، وإن واسمها، وربي خبرها، وربكم عطف على ربي، فاعبدوه: الفاء الفصيحة، وقد تقدم بحثها، واعبدوه: فعل أمر، وفاعل، ومفعول به، وهذا مبتدأ، وصراط خبر، ومستقيم صفة لصراط، والجملة حالية، وسمّي القول صراطاً مستقيماً تشبيهاً له بالطريق الآيل للنجاة. ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ الفاء استئنافية، واختلف الأحزاب فعل وفاعل، ومن بينهم حال من الأحزاب، والمعنى: حال كون الأحزاب بعضهم. وتفصيل اختلافهم، وأنواع فرقهم يرجع إليها في «الملل والنحل» للشهرستاني، وفي «الفصل بين الملل والنحل» لابن حزم الأندلسي، وفي المطولات. ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ الفاء عاطفة، وويل مبتدأ، وساغ الابتداء بالنكرة لتضمنها معنى الدعاء، وللذين خبر ويل، وجملة كفروا صلة، ومن مشهد متعلقان بويل، ومشهد مصدر ميمي، أي: من شهودهم بمعنى حضورهم، ويجوز أن يكون اسم زمان أو مكان. ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أسمع فعل

ماض أتى على صيغة الأمر، أو: مبني على الفتح المقدر على الآخر الساكن، والباء حرف جر زيدت في الفاعل الذي أتى ضمير نصب، أو: جر لمناسبة الباء، وقد تقدم بحث التعجب مفصلاً، والتعجب هنا مصروف إلى المخاطبين، لكن مخففة مهملة، والظالمون مبتدأ، وفي ضلال خبر، ومبين صفة، وأوقع الظاهر موقع المضمر إشعاراً بأن ظلمهم بلغ الغاية، وأربى على النهاية، ويوم يأتوننا متعلق بأسمع وأبصر. ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أنذرهم فعل أمر، وفاعل مستتر، ومفعول، ويوم الحسرة ظرف متعلق بأنذرهم، والأحسن أن يكون مفعولاً به، أي: خوّفهم نفس اليوم، وإذ متعلق بالحسرة، والمصدر المعرف بأل يعمل في المفعول الصريح فكيف بالظرف، ويجوز أن يكون بدلاً من يوم الحسرة، فيكون معمولاً لأنذر، وبذلك يتأكد أن يوم الحسرة مفعول به لا ظرف، وهم الواو حالية، وهم مبتدأ، وفي غفلة خبر، وهم لا يؤمنون جملة حالية منتظمة مع سابقتها، والحالان إما من الضمير المستتر في قوله: ﴿فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: استقروا في ضلال مبين على هاتين الحالين السيئتين، فتكون جملة وأنذرهم اعتراضاً، وأما من المفعول في أنذرهم على هاتين الحالين السّيئتين، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ إن واسمها ونحن تأكيد لاسم إنَّ الذي هو بمعنى نحن؛ لأنه بمعناه؛ وجملة نرث الأرض خبر إنا، ومن عطف على الأرض، وعليها متعلقان بمحذوف صلة من، وإلينا متعلقان بيرجعون، ويرجعون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، ولك في الواو بقوله وإلينا أن تجعلها حالية، أو: عاطفة.

□ البلاغة:

المجاز المرسل في قوله: ﴿لَـٰكِنِ ٱلظَّـٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ والعلاقة الحالية، والمراد جهنم، فأطلق الحال وأريد المحل؛ لأن الضلال لا يحل فيه، وإنما يحل في مكانه، وكذلك قوله: وهم في غفلة، والغفلة لا يحلّ فيها أيضاً، وإنما يحل بالمتالف التي توقع الغفلة أصحابها فيها.

﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

(الصِّدّيق): من أبنية المبالغة، ونظيره: الضحّيك، والنِّطّيق، والمراد: أنه بليغ الصدق في أقواله وأفعاله، وفي تصديق غيوب الله تعالى، وآياته، وكتبه، ورسله.

﴿ مَلِيًّا ﴾: دهراً طويلاً.

﴿ حَفِيًّا ﴾: في المختار: وحفِي به ـ بالكسر ـ حَفاوة ـ بفتح الحاء ـ فهو حفي، أي: بالغ في إكرامه، وإلطافه، والعناية بأمره، والحفي أيضاً: المستقصي في السؤال. ومن الأول قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ ومن الثاني قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ﴾ ».

○ **الإعراب:**

﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ الواو استئنافية، واذكر فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره أنت، وفي الكتاب متعلقان باذكر، وإبراهيم

مفعول به، وإن واسمها وجملة كان خبرها، واسم كان مستتر تقديره: هو، وصديقاً خبر كان الأول، ونبياً خبرها الثاني. ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ إذ اختلف المعربون فيها، فعلقها الزمخشري وأبو البقاء وغيرهما بكان أو بصديقاً نبياً، أي: كان جامعاً لخصائص النبيين والصديقين حين خاطب أباه تلك المخاطبات، وهذا مبني على عمل كان الناقصة وأخواتها في الظرف غير خبرها واسمها، وفيه خلاف، وأعربها الزمخشري وأبو البقاء وغيرهما أيضاً بدلاً من إبراهيم بناء على حذف مضاف، أي: نبأ إبراهيم، فتكون جملة إنه كان صديقاً نبياً معترضة، وفيه أيضاً أنه مبني على تصرف إذ، وقد تقدم بحثها، والقول بأنها لا تتصرف، وجملة قال مضافة إليها الظرف، ولأبيه متعلقان بقال، ويا حرف نداء، وأبت منادى مضاف لياء المتكلم المعوض عنها بالتاء، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك، ولا يجوز الجمع بين المعوض والمعوض عنه، فلا يقال: يا أبتي، ويقال: يا أبتا؛ لكون الألف بدلاً من الياء، وشبه ذلك سيبويه بأينق وتعويض الياء فيه عن الواو الساقطة، وسيرد المزيد من هذا البحث في باب الفوائد مع ترجمة مستفيضة لسيبويه.

وَلِمَ: أصلها اللام الجارة وما الاستفهامية، وقد تقدم أن ألفها تحذف إذا سبقها حرف جر، وتنزل اللام معها منزلة الكلمة الواحدة، فتكتب الألف ياء، فتقول: إلام، وعلام، وحتام، وهي متعلقة مع مجرورها بتعبد، وفاعل تعبد ضمير مستتر تقديره أنت، وما اسم موصول مفعول به، وجملة لا يسمع صلة وما بعدها معطوفة عليها، وشيئاً مفعول به، أو مفعول مطلق، وقد تقدم تقريره.

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ يا أبت تقدم إعرابها، وإن واسمها وجملة قد جاءني خبرها، ومن العلم متعلقان بجاءني، ومن للتبعيض، وما اسم موصول فاعل، وجملة لم يأتك صلة، فاتبعني الفاء الفصيحة، أي: إن شئت الهداية والنجاة، واتبعني فعل أمر

وفاعل مستتر ومفعول به، وأهدك جواب الطلب، ولذلك جزم، والكاف مفعول به، وصراطاً مفعول به ثان، أو منصوب بنزع الخافض، وسوياً صفة لصراطاً. ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴾ لا ناهية، وتعبد فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، والفاعل مستتر تقديره أنت، والشيطان مفعول به، وإن واسمها، وجملة كان خبرها، واسم كان مستتر، وللرحمن متعلقان بعصياً، وعصياً خبر كان. ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾ إن واسمها، وجملة أخاف خبرها، وأن يمسك ظرف مؤول مفعول به لأخاف، وعذاب فاعل يمسك، ومن الرحمن صفة لعذاب، فتكون عطف على أن يمسك، واسم تكون مستتر تقديره أنت، وللشيطان متعلقان بولياً، وولياً خبر تكون، ومعنى الولي هنا القرين. ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، وراغب مبتدأ، وسوغ الابتداء اعتماده على أداة الاستفهام، وأنت فاعل سد مسدّ الخبر، وأعربه الزمخشري خبراً مقدماً، وأنت مبتدأ مؤخراً، ولا موجب لذلك بعد وجود القاعدة، وسيأتي تقريرها في باب الفوائد، وما تخللها من أبحاث تذهل الألباب، ويا حرف نداء، وإبراهيم منادى مفرد علم مبني على الضم ﴿ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴾ اللام موطئة للقسم، وإن شرطية، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وتنته فعل مضارع مجزوم بلم، ولأرجمنك اللام واقعة في جواب القسم كما هي القاعدة في اجتماع القسم والشرط، وأرجمنك فعل مضارع مبني على الفتح، والفاعل مستتر تقديره أنا، والكاف مفعول به، واهجرني: الواو عاطفة، واهجرني معطوف على محذوف عند من يمنع عطف الإنشائية على الخبرية، والتقدير: فاحذرني واهجرني، على أن سيبويه يجيز عطف الجملة الخبرية على الجملة الإنشائية، فليس هذا التقدير بلازم، ومليّاً ظرف زمان متعلق باهجرني، وقيل: هو حال من فاعل اهجرني، ومعناه سالماً سوياً لا يصيبك من معرة ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴾ سلام مبتدأ، وسوغ الابتداء به ما فيه من معنى الدعاء، والمراد بالدعاء هنا: التوديع والإزماع على الفراق، وعليك خبر، وسأستغفر السين للاستقبال،

وأستغفر فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره أنا، وإنما جاز له الاستغفار للكافر الرجاء بأن يوفق إلى الإيمان الموجب لغفران الذنوب، ولك متعلقان بأستغفر، وربي مفعول به، وجملة إنه تعليلية لا محل لها، وإن واسمها، وجملة كان خبرها، واسم كان مستتر تقديره: هو، وحفياً خبرها، وبي متعلقان بحفياً ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الواو عاطفة، وأعتزلكم، أي: أترككم مرتحلاً من بلادكم، والفاعل مستتر، والكاف مفعول به، وما الواو حرف عطف، وما يجوز أن تكون موصولة أو مصدرية، وعلى كل حال موضعها نصب عطف على الكاف، أو مفعول معه، وجملة تدعون صلة، ومن دون الله حال. ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ وأدعو عطف على أعتزلكم، وفاعله مستتر تقديره أنا، وربي مفعول به، وعسى فعل ماض من أفعال الرجاء، واسمها مستتر، وأن وما في حيزها هي الخبر، واسم أكون مستتر تقديره أنا، وبدعاء متعلقان بشقياً، وربي مضاف لدعاء، وشقياً خبر أكون ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ لما ظرفية حينية أو رابطة، واعتزلهم فعل ماض، وفاعل مستتر، ومفعول به، وما يعبدون من دون الله تقدم إعرابها، أي: تركهم فعلاً من بابل إلى الأرض المقدسة، وجملة وهبنا لا محل لها لأنها جواب لما، وله متعلقان بوهبنا، وإسحق: مفعول وهبنا، ويعقوب عطف على إسحق، وكلاً مفعول به أول لجعلنا، ونبياً هو المفعول الثاني ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ ووهبنا عطف على وهبنا الأولى، ولهم متعلقان بوهبنا، أي: لإبراهيم وولديه، ومن رحمتنا متعلقان بوهبنا أيضاً، وجعلنا عطف على وهبنا، ولهم في موضع المفعول الثاني لجعلنا، ولسان صدق هو المفعول الأول، وعلياً صفة للسان، وهو الثناء الحسن كما سيأتي في باب البلاغة.

□ البلاغة:

١ ـ فن الاستدراج:

بلغت هذه الآيت ذروة البلاغة، وانطوت على معاجز تذهل العقول،

فأول ما يطالعنا منها فن يعرف بالاستدراج، وهو يقوم على مخادعة المخاطب، تقوم فيه الأقوال مقام الأفعال، فلا يزال يترفق بالمخاطب، ويداوره، ويلاينه حتى يسقط في يده، ويستلين، ويعلن استسلامه، وهو يشبه أصحاب الجدل في الكلام والمنطق والفلسفة، ولكن أولئك يتصرفون في المغالطات القياسية، أما الشاعر أو الكاتب فهو في استدراجه يتصرّف في المغالطات الخطابية. وقد أحسن الإمام الزمخشري في تحليل هذا الفن وإن لم يسمّه، فحلّل هذا الفصل تحليلاً عجيباً، وقد شاء ضياء الدين بن الأثير ـ الذي استخرج هذا الفن ـ أن يغير على فصل الزمخشري فنسفه برمته، ونسبه إليه، وسننصف الزمخشري من سالبيه، فننقل فصله برمته وعلى طوله، فهو كالحسن غير مملول:

انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم، والارتكاب الشنيع، الذي عصى فيه أمر العقلاء، وانسلخ عن قضية التمييز، ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق، وساقه أرشق مساق، مع استعمال المجاملة، واللطف، والرفق، واللين، والأدب الجميل، والخلق الحسن، منتصحاً في ذلك بنصيحة ربه عز وعلا . . . وذلك أنه طلب منه أولاً العلة في خطئه طلب منبه على تماديه، موقظ لإفراطه وتناهيه؛ لأن المعبود لو كان حياً مميزاً سميعاً بصيراً مقتدراً على الثواب والعقاب، نافعاً ضاراً، ولو أنه يمتلك بعض الحسِّ لاستخفّ عقل من أهّله للعبادة، ووصفه بالربوبية، ولسجّل عليه بالغي المبين، والظلم العظيم، وإن كان أشرف الخلق، وأعلاهم منزلة . . . فما ظنك بمن وجّه عبادته إلى جماد ليس به حس ولا شعور، فلا يسمع ـ يا عابده ـ ذكرك له، وثناءك عليه، ولا يرى هيئات خضوعك وخشوعك له، فضلاً أن يغني عنك بأن تستدفعه بلاء فيدفعه، أو تسنح لك حاجة فيكفيكها، ثم ثنّى بدعوته إلى الحق مترفقاً به متلطفاً، فلم يَسِمْ أباه بالجهل المفرط، ولا نفسه بالعلم الفائق، ولكنه قال: إن معي طائفة من العلم وشيئاً منه ليس معك، وذلك علم الدلالة

على الطريق السوي، فلا تستنكف، وهب أني وإياك في مسير، وعندي معرفة بالهداية دونك، فاتبعني أنجك من أن تضلّ وتتيه.

ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بأن الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن؛ الذي جميع ما عندك من النعم من عنده، وهو عدوك الذي لا يريد بك إلا كل هلاك، وخزي، ونكال، وعدو أبيك آدم وأبناء جنسك كلهم هو الذي ورطك في هذه الضلالة، وأمرك بها، وزيّنها لك، فأنت إن حققت النظر عابد الشيطان. إلا أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ لإمعانه في الإخلاص، ولارتقاء همته في الربانية لم يذكر من جنايتي الشيطان إلا التي تختصّ منهما برب العزة من عصيانه واستكباره، ولم يلتفت إلى ذكر معاداته لآدم وذريته، كأن النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره، وأطبق على ذهنه.

ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة، وبما يجره ما هو فيه من التبعية والوبال، ولم يخل ذلك من حسن الأدب، حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق له، وأن العذاب لاصق به، ولكنه قال: ﴿أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾ فذكر الخوف والمس، ونكّر العذاب، وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب، وذلك أن رضوان الله أكبر من الثواب نفسه، وسماه الله تعالى المشهود له بالفوز العظيم... فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله أكبر من العذاب نفسه وأعظم، وصدر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ توسلاً إليه، واستعطافاً... أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر، وغلظ العناد، فناداه باسمه، ولم يقابل قوله يا أبت بقوله يا بني، وقدم الخبر على المبتدأ في قوله: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ﴾ لأنه كان أهم عنده، وفيه ضرب من التعجب والإنكار لرغبة إبراهيم عن آلهته».

٢ ـ المجاز المرسل:

وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ مجاز مرسل من إطلاق اسم الآلة، وهي اللسان؛ لأنها آلة الكلام، وإرادة ما ينشأ عنها، فعبر

باللسان عما يوجد باللسان، كما عبر باليد عما يطلق باليد، وهو العطاء، فهو مجاز علاقته السببية.

* الفوائـد:

١ ـ المبتدأ الصفة:

قد يرفع الوصف بالابتداء إن لم يطابق موصوفه تثنية أو جمعاً، فلا يحتاج إلى خبر، بل يكتفي بالفاعل أو نائبه، فيكون مرفوعاً به سادّاً مسدّ الخبر، بشرط أن يتقدم الوصف نفي أو استفهام، وتكون الصفة حينئذ بمنزلة الفعل، فلا تثنى، ولا تُجمع، ولا تُوصف، ولا تصغر، ولا تعرّف.

ويتناول الوصف: اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، واسم التفضيل، والمنسوب، ولا فرق بين أن يكون الوصف مشتقاً نحو: ما ناجح الكسولان، وهل محبوب المجتهدون، أو اسماً جامداً فيه معنى الصفة، نحو: هل صخر هذان المعاندان، فصخر مبتدأ، وهو اسم جامد بمعنى الوصف؛ لأنه بمعنى صلب قاس، وهذان فاعل لصخر أغنى عن الخبر، وما وحشي أخلاقك، فوحشي مبتدأ، وهو اسم جامد، فيه معنى الصفة؛ لأنه اسم منسوب فهو بمعنى اسم المفعول، وأخلاقك نائب فاعل له أغنى عن الخبر، ولا فرق بين أن يكون النفي والاستفهام بالحرف أو بغيره، نحو: ليس كسول ولداك، وغير كسول أبناؤك، وكيف سائر أخواك، غير أنه مع ليس يكون الوصف اسماً لها، والمرفوع بعده مرفوعاً به ساداً مسد الخبر، ومع غير ينتقل الابتداء إليها، ويجر الوصف بالإضافة إليها، ويكون ما بعد الوصف مرفوعاً به ساداً مسد الخبر، وبذلك ينحلّ الإشكال الوارد في بيت أبي نواس:

غيرُ مأسوفٍ على زمنٍ ينقضي بالهمِّ والحَزَنِ

فغير مبتدأ لا خبر له، بل لما أضيف إليه مرفوعاً يغني عن الخبر، وذلك لأنه في معنى النفي والوصف بعده مجرور لفظاً، وهو في قوة المرفوع بالابتداء، أي: فحركة الرفع التي على غير هي التي يستحقها هذا الاسم بالأصالة، لكنه لما كان مشغولاً بحركة الجر لأجل الإضافة جعلت حركته التي كانت له بطريق

الأصالة، من حيث هو مبتدأ على غير بطريق العارية، وعلى زمن في محل رفع نائب فاعل لمأسوف سد مسد الخبر، وجملة «ينقضي بالهم والحزن» صفة لزمن. وقد أورد ابنُ هشام هذا البيت في مغني اللبيب، وأورد وجهين آخرين تراهما بعيدين كل البعد، وخاصة الثالث الذي اعترف ابن هشام بتعسفه، فليرجع إليهما.

فإن لم يقع الوصف بعد نفي أو استفهام، فلا يجوز هذا الاستعمال فلا يقال: مجتهد غلاماك، بل تجب المطابقة، نحو: مجتهدان غلاماك، وحينئذ يكون خبراً مقدماً، وما بعده مبتدأ مؤخراً، وأجازه الكوفيون لأنهم لم يشترطوا اعتماد الصفة على النفي والاستفهام، واستشهدوا بقوله:

خبير بنو لهب فلا تكُ ملغياً ... مقالـةَ لهبـي إذا الطيـرُ مـرّت

فأعربوا قوله بنو لهب فاعلاً لخبير، دون أن يعتمد على نفي أو استفهام، واعتذر البصريون عن البيت بأن خبيراً على وزن فعيل، وفعيل على وزن المصدر كصهيل وزئير، والمصدر يخبر به عن المفرد أو المثنى والجمع، فأعطي حكم ما هو على زنته، فهو على حد قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ وقد شايع أبو الطيب الكوفيين لأنه من الكوفة، ولأن له كلفاً بمراغمة النحاة، كما أشرنا إلى ذلك غير مرة، فقال بيته الممتع:

دعِ النفسَ تأخذْ وسعَها قبلَ بينها

فمفترق جـــاران دارهمـــا العمـــر

فمفترق مبتدأ، وجاران فاعل سد مسد الخبر، ولا يجوز أن تقول إن مفترقاً خبر مقدم؛ لأنه كان يجب أن يطابق قوله جاران، والحاصل:

أنه إذا رفع الوصف ما بعده، فله ثلاثة أحوال:

١ ـ وجوب الابتداء إذا لم يطابق ما بعده في التثنية والجمع، نحو: أقائم أخواك؟

٢ ـ وجوب الخبرية إذا طابق ما بعده في التثنية والجمع، نحو: أقائمان أخواك؟

٣ ـ جواز الوجهين إذا طابق ما بعده في التذكير والتأنيث، نحو: أقائم أخوك؟ و: أقائمة أختك؟

ومحل جواز الوجهين ما لم يوجد مانع، وجعل بعض العلماء من الموانع في قوله تعالى: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي﴾ فتتعين الابتدائية للزوم الفصل إذا جعلته خبراً بينه وبين معموله، وهو الجار والمجرور، وردّ ذلك آخرون مدافعين عن الزمخشري بأن قوله ﴿عَنْ ءَالِهَتِي﴾ متعلق آخر. أما الزمخشري وابن الحاجب فقد اشترطا في الأصل أن يكون المرفوع اسماً ظاهراً، ولكن الزمخشري نفسه أجاز إعراب أنت فاعلاً لراغب.

٢ ـ عود إلى ﴿يَـٰٓأَبَتِ﴾ :

تحدثنا عن اللغات في المنادى المضاف إلى ياء المتكلم، فأما التاء في يا أبت، ويا أمت: فتاء التأنيث بمنزلة التـاء في قائمة، وامرأة. قال سيبويه: سألت الخليل عن التاء في يا أبت لا تفعل، ويا أمت، فقال: هذه التاء بمنزلة الهاء في خالة وعمة، يعني: أنها للتأنيث، والذي يدل على أنها للتأنيث أنك تقول في الوقف: يا أبه، ويا أمه، فتبدلها هاء في الوقف كقاعد وقاعدة، على حد: خال وخالة، وعم وعمة، ودخلت هذه التاء كالعوض من ياء الإضافة، والأصل: يا أبي، ويا أمي، فحذفت الياء اجتزاء بالكسرة قبلها، ثم دخلت التاء عوضاً عنها؛ ولذلك لا تجتمعان، فلا تقول: يا أبتي، ولا يا أمتي لئلا يجمع بين المعوض والمعوض عنه، ولا تدخل هذه التاء فيما له مؤنث من لفظه، فلو قلت في: يا خالي ويا عمي: يا خالت، ويا عمت؛ لم يجز؛ لأنه كان يلتبس بالمؤنث، فأما دخول التاء على الأم فلا إشكال فيها؛ لأنها مؤنثة، وأما دخولها على الأب فلمعنى المبالغة، كما في: رواية، وعلامة.

٣ ـ من هو سيبويه:

وقد تردّد اسمُ سيبويه كثيراً، ولا بُدَّ لنا من إلقاء نظرة عاجلة على قصة حياته؛ لأن فيها فائدة، ولأنه ترك لنا في نحو البصريين الكتاب الذي خلد إلى يومنا هذا، وكان كتاب النحو الجامع حتى قيل فيه: قرآن النحو.

فهو أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، وهي نسبة إلى الحارث بن كعب، قبيلة يمنية، وهذه النسبة بالولاء، فقد كان سيبويه فارسياً، فأما لقبه فسيبويه، وقد غلب عليه، وهو فارسي مركب مزجي من سيب، أي: التفاح، وبوي، أي: الرائحة، فمعناه: رائحة التفاح على قاعدة الأوصاف باللغة الفارسية، سمي بذلك لطيب رائحته، أو لجماله، وحسن خلقه. وقيل: مركّب من سيب وويه: اسم صوت، ويذكر بعض العارفين باللسان الفارسي أن: ويه في هذا اللسان معناها مثل، وشبه، فمعنى التركيب: مثل التفاح، وهكذا نفطويه: مثل النفط، وعمرويه: مثل عمرو.

☆ حكم سيبويه:

والجاري على الألسنة سِيْبَوَيهِ بفتح الباء والواو والهاء مكسورة، وهذا حكم شائع في الأعلام المختومة بويه، جاء في الكتاب قول سيبويه:

وعمرويه عندهم بمنزلة حضرموت في أنه ضم الآخر إلى الأول، وعمرويه في المعرفة مكسور في حال الجر والرفع والنصب غير منون، وفي النكرة تقول: هذا عمرويهٍ آخر، ورأيت عمرويهٍ آخر.

وتراه في الكتاب اقتصر على المشهور عند الناس، وقد ينطق سيبُويَهْ بضم الباء وفتح الياء وسكون الهاء، ويُعزى هذا إلى العجم، تجنبوا الصورة الأولى؛ لأن ويه صوت ندبة.

☆ مولده ونشأته:

ولد سيبويه في البيضاء من كورة إصطخر بفارس من أبوين فارسيين، ولا يعرف على وجه اليقين تاريخ ولادته، وقد انتقل إلى البصرة فتلقى العلم

فيها، وكانت هي والكوفة المصرَيْن المبرزين في علوم العربية والدين، ولا يُعرف شيئاً عن أسرته إلا ما ذكر أنه مات بين يدي أخيه، ولا ندري هل انتقلت معه إلى البصرة أسرته، ونحن لا نرى لأبيه ذكراً، ونرى بشاراً يهجوه حين اشتهر أمره فيقول:

ظللتَ تُغني سادراً في مساءتي　　وأمّك بالمصرَيْن تعطي وتأخذ

ويظهر من هذا أن أمه كانت معه في العراق، ولا ندري هل تزوج؟ وفي حديث للفراء أن سيبويه كانت له جارية تخدمه. وفي «طبقات النحاة» أن جاريته مزّقت جزازات كتابه، فطلّقها، فهل يريد بجاريته زوجته، أو يريد بتطليقها إخراجها من بيته؟ والظاهر أنه لم يكن له زوج ولا ولد، وآية ذلك أنه بعد أن أخفق في بغداد في قصّته مع الكسائي ـ على ما يأتي ـ لم يعد إلى منزله بالبصرة.

☆ كيف طلب النحو؟

اختلف سيبويه إلى حماد بن سلمة شيخ الحديث والرواية في البصرة في عصره، فألقى عليه حماد الحديث: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحدٍ من أصحابي إلا أخذت عليه ليس أبا الدرداء» فقال سيبويه، وكان قد شدا شيئاً من النحو: ليس أبو الدرداء، فقال حماد: لحنت يا سيبويه، فقال سيبويه: لا جرم لأطلبن علماً لا تلحنني فيه أبداً، واتجه لدرس النحو، فلزم الخليل، وقد ظن سيبويه أن الواجب رفع ما بعد ليس ليكون اسماً لها، ولم يكن عرف أسلوب ليس في الاستثناء، وقد عرض سيبويه لذلك في الكتاب، وأشبعه بياناً وتعليلاً.

☆ بوادر نبوغه، وحرية فكره:

وكان أكثر تلقّيه عن الخليل، حتى إنه إذا قال: قال أوسألته، فإنه يعني: الخليل، وكان الخليل قد عرف له قدره، وثقابة ذهنه، وقوة فطنته، فأبثه علمه، ونصح له في التعليم. وأخذ عن غير الخليل: أخذ عن عيسى بن عمر، ويونس بن حبيب، والأخفش الكبير أبي الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد،

ويذكر أبو زيد الأنصاري أنه إذا قال سيبويه: أخبرني الثقة فإنما يعنيه، وأول ما ظهر من بوادر نبوغه ما حدث به الأخفش، قال: كنت عند يونس فقيل له: قد جاء سيبويه، فقال: أعوذ بالله منه، فجاء فسأله، فقال: كيف تقول: مررت به المسكين؟ فقال: جائز أن أجره على البدل من الهاء، فقال له: فمررت به المسكينُ بالرفع على معنى: المسكين مررت به، فقال: هذا خطأ؛ لأن المضمر قبل الظاهر، فقال له: إن الخليل أجاز ذلك، وأنشد فيه أبياتاً، فقال: هو خطأ، قال: فمررت به المسكينَ بالنصب؟ فقال: جائز، فقال: على أي شيء؟ فقال: على الحال، فقال: أليس أنت أخبرتني أن الحال لا تكون بالألف واللام، فقال: صدقت، ثم قال لسيبويه: فما قال صاحبك فيه؟ يعني: الخليل، فقال سيبويه: قال: إنه ينصب على الترحم، فقال: ما أحسن هذا! ورأيته مغموماً بقوله: نصبته على الحال.

وكان سيبويه مع إجلاله للخليل يزيف قوله، ففي الكتاب: وزعم الخليل أنه يجوز أن يقول الرجل: هذا رجل أخو زيد، إذا أردت أن تشبهه بأخي زيد، وهذا قبيح لا يجوز إلا في موضع الاضطرار، ولو جاز هذا لقلت: هذا قصير الطويل، تريد مثل الطويل، فلم يجز هذا، كما قبح أن تكون المعرفة حالاً كالنكرة إلا في الشعر.

☆ بين سيبويه والكسائي:

وأتى الحظ والسعادة الكسائي وأصحابه، فحلّوا في بغداد محلاً رفيعاً، وكان منهم مؤدبو أولاد الخلفاء، وكانوا عند البصريين في النحو والأدب أقل منهم معرفة وأضعف أسباباً، وقد رأى سيبويه ـ وهو إمام البصريين ـ أن يزاحمهم في مركزهم، فقصد بغداد، وعرض على البرامكة أن يجمعوا بينه وبين الكسائي ويناظره، وكان واثقاً أنه سيكون له الفلح والظفر، وبلغ الكسائي مقدم سيبويه، وخشي مغبة المناظرة أن يزول سلطانه في بغداد، فأتى جعفر بن يحيى بن برمك والفضل أخاه وقال: أنا وليكما وصاحبكما، وهذا الرجل إنما قدم ليذهب محلّي، قالا: فاحتل لنفسك، فإنا سنجمع بينكما. ويبدو أن

فارسية سيبويه يقابلها فارسية الكسائي، فهو أيضاً فارسي من ولد بهمن بن فيروز، وكان أسدياً بالولاء، فلم يكن لسيبويه ما يجعله أقرب إلى قلوب البرامكة من الكسائي، فدبر هو وأصحابه خطة كان لها ما توقّعوه، وهي: أن يتقدمه في مجلس المناظرة أصحابه، فيسألوا سيبويه أسئلة، ويتألبوا فيها عليه حتى إذا فترت همته، وبان كلاله جاء الكسائي، فوجد قرناً ذهب حده، وعزب نشاطه، فكان له ما أراد من صرعه، وقد تقدمت قصة المسألة الزنبورية في موضع آخر من هذا الكتاب.

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ اذكر فعل أمر، وفي الكتاب جار ومجرور متعلقان باذكر، وموسى مفعول به، وإن واسمها، وجملة كان خبرها، ومخلصاً خبر كان، وكان رسولاً نبياً عطف على كان الأولى. ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ وناديناه عطف على ما سبق، وهو فعل وفاعل ومفعول به، ومن جانب متعلقان بناديناه، والطور مضاف إليه، والأيمن صفة لجانب قالوا لأنه كان يلي يمين موسى حين أقبل من مدين، وقربناه عطف على ناديناه، ونجياً حال من أحد الضميرين في ناديناه أو قربناه، وهو فعيل بمعنى فاعل، أي: مناجياً. ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ

أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ ووهبنا عطف أيضاً، وله متعلقان بوهبنا، ومن رحمتنا متعلقان بوهبنا أيضاً، ومعنى من هنا التبعيض، أي: بعض رحمتنا، أو: للتعليل، أي: من أجل رحمتنا، وأخاه مفعول به لوهبنا، وهارون بدل، ونبياً حال. ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ إعرابها ظاهر، وقد تقدم، وجملة إنه كان تعليلية. ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ جملة يأمر خبر كان، وأهله مفعول به، وبالصلاة متعلقان بيأمر، وكان فعل ماض ناقص، واسمها مستتر تقديره هو، وعند ربه متعلقان بمرضياً، ومرضياً خبر كان اجتمعت الياء، والواو فقلبت الواو ياء وأدغمت في الأخرى. ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ تقدم إعراب مثيلاتها، ولا بأس بذكر ما قاله الزمخشري بصدد إدريس، وهذا نصه:

قيل: سمي إدريس لكثرة دراسته كتاب الله عز وجل، وكان اسمه أخنوخ، وهو غير صحيح؛ لأنه لو كان إفعيلاً من الدرس، لم يكن فيه إلا سبب واحد، وهو العلمية، فكان منصرفاً، فامتناعه من الصرف دليل العجمة، وكذلك إبليس أعجمي، وليس من الإبلاس كما يزعمون، ولا يعقوب من العقب، ولا إسرائيل بإسرال، كما زعم ابن السكيت، ومن لم يحقق، ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه أمثال هذه الهنات، ويجوز أن يكون معنى إدريس في تلك اللغة قريباً من ذلك، فحسبه الراوي مشتقاً من الدرس. وما أجمل حرية الرأي!

﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ رفعناه فعل وفاعل ومفعول به، ومكاناً ظرف متعلق برفعناه، وعلياً صفة. وقد رويت أساطير كثيرة حول هذا الرفع، ومرجعها المطولات. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ أولئك مبتدأ، أي: الأنبياء العشرة المذكورون في السورة، والذين خبر، أو بدل من اسم الإشارة، وجملة أنعم الله عليهم صلة، ومن النبيين حال، ومن ذرية آدم بدل بإعادة الجار. ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ﴾ عطف على ما تقدم. ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾ جملة إذا

تتلى عليهم، وجوابها استئنافية لا محل لهاإذا أعربنا الذين خبراً، وإذا أعربنا الذين بدلاً فتكون هي الخبر، وجملة خرّوا لا محل لها؛ لأنها جواب إذا، والواو في خروا فاعل، وسجداً حال من الفاعل، وبكياً عطف على سجداً، جمع ساجد وباك، والثاني شاذ؛ لأن قياس فاعل من المنقوص أن يجمع على فعله كقاض وجمعه قضاة، وباك وجمعه بكاة.

﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿خَلْفٌ﴾ : أي: عقب، وبعض اللغويين يستعملون الخلف بسكون اللام كما هنا في الشر، فيقال: خلف سوء، وبفتحها في الخير، فيقال: خلف صالح، قال في «الكشاف»: خلفه: إذا عقبه، ثم قيل في عقب الخير: خلَف بالفتح، وفي عقب السوء خلْف بالسكون، كما قالوا: وعد في ضمان الخير، ووعيد في ضمان الشر. وقال اللحياني: الخَلَف ـ بفتحتين ـ: الولد الصالح، والخَلْف ـ بفتح فسكون ـ: الرديء.

﴿غَيًّا﴾ : كل شر عند العرب غي، وكل خير رشاد، قال المرقش الأصغر:

أمِن حلمٍ أصبحت تنكت واجما
وقد تعتري الأحلامُ من كان نائما
فمن يلقَ خيراً يحمدِ الناسُ أمره
ومن يغو لا يعدْم على الغيّ لائما

يقال: غوي يغوى، من باب: ضرب، انهمك في الجهل.

○ الإعـراب:

﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ الفاء عاطفة وخلف فعل ماض، ومن بعدهم حال، وخلف فاعل، وجملة أضاعوا الصلاة صفة لخلف، واتبعوا الشهوات عطف على أضاعوا الصلاة، والفاء الفصيحة، أي: إن شئت أن تعلم عاقبتهم، وسوف حرف استقبال، ويلقون فعل مضارع وفاعل، وغياً مفعول به. ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ إلا: أداة استثناء، و«من» إن جعلنا الاستثناء منقطعاً كانت إلا بمعنى لكن، ومن مستثنى واجب النصب، ووجه الانقطاع: أن المستثنى منه كفار، والمستثنى مؤمنون، وهذا اختيارُ الزجاج، واختار أبو حيان الاتصال، وربما كان أظهر؛ لأنه خطاب صالح لكل أمة، فيها من آمن ومن كفر، وعلى كل حال هو واجب النصب؛ لأن الكلام تام موجب، وجملة تاب صلة، وآمن عطف على تاب، وعمل عطف أيضاً، وصالحاً يجوز أن يكون مفعولاً به، وأن يكون مفعولاً مطلقاً، أي: عملاً صالحاً، فأولئك الفاء الفصيحة، وأولئك مبتدأ، وجملة يدخلون خبر، والجنة مفعول به على السعة، ولا يظلمون عطف على يدخلون، وشيئاً مفعول مطلق، ولك أن تجعله مفعولاً ثانياً بتضمين يظلمون معنى ينقصون. ﴿ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ ﴾ جنات بدل من الجنة، وعدن مضاف إليه، من عدن بالمكان، أي: أقام، وقد جرى مجرى العلم؛ ولذلك ساغ وصفها بالتي، والتي صفة لجنات عدن، وجملة وعد صلة، والرحمن فاعل وعد، وعباده مفعول، وبالغيب حال من عباده، أي: من المفعول، والمعنى: غائبة عنهم لا يشاهدونها، ويحتمل أن يكون حالاً من ضمير الجنة، وهو الضمير العائد على الموصول، أي: وعدها، وهم غائبون عنها لا يرونها. ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴾ إن واسمها والضمير يعود على الله تعالى، أي: الرحمن، والمعنى: أن الرحمن كان وعده مأتياً، أو أنه ضمير الشأن؛ لأنه

مقام تعظيم وتفخيم، والجملة تعليلية مستأنفة، وجملة كان خبر إن، واسم كان يعود على الله تعالى أيضاً، ووعده بدلاً من ذلك الضمير بدل اشتمال، ومأتياً خبرها، ويجوز ألاّ يكون فيها ضمير، ووعده اسمها، ومأتياً خبرها، واختار الجلال وشرّاحه أن يكون مأتياً مفعول بمعنى فاعل، أي: آتياً، ولم يرتضه الزمخشري، فإنه قال:

قيل في مأتياً مفعول بمعنى فاعل، والوجه: أن الوعد هو الجنة، وهم يأتونها.

والحقّ مع الزمخشري لأن ما تأتيه فهو يأتيك، فلا موجب للتأويل.

﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ الجملة حال من جنات عدن، ولا نافية، ويسمعون فعل مضارع، والواو فاعل، وفيها متعلقان بمحذوف حال، أي: حالة كونهم في الجنة، ولغواً مفعول به، أي: مالا طائل تحته من الكلام، وهو ما يشقشق به أكثر الناس في مجالسهم من ثلب للآخرين، وتدخّل في شؤون الناس، أو من حديث تافه أشبه بالفضول، وإلا أداة حصر، وسلاماً بدل من لغواً، أو يحمل على الاستثناء المنقطع، وسيأتي تفصيل ذلك في باب البلاغة، ولهم خبر مقدم، ورزقهم مبتدأ مؤخر، وفيها حال، وبكرة ظرف متعلق بمعنى الاستقرار المستكن في الخبر المقدم، وعشياً عطف على بكرة. ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ اسم الإشارة مبتدأ، والجنة خبر، والتي صفة للجنة، وجملة نورث صلة، ومن اسم موصول مفعول نورث، وجملة كان صلة، واسم كان مستتر تقديره: هو، وجملة تقياً خبر كان.

□ **البلاغة:**

١ ـ توكيد المديح بما يشبه الذم وعكسه:

في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ﴾ فن رفيع من فنون البلاغة،

وهو توكيد المدح بما يشبه الذم، وقد سبقت الإشارة إليه في المائدة، ولم نقسمه آنذاك، فنقول: إنه ينقسم إلى نوعين:

أ ـ أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح لذلك الشيء بتقدير دخولها في صفة الذم المنفية، ومنه قول النابغة الذبياني:

ولا عيبَ فيهم غير أنَّ سيوفَهم بهنَّ فلولٌ من قراعِ الكتائبِ

فقد جعل الفلول عيباً على سبيل التجوز بتاً لنفي العيب بالكلية، كأنه يقول: إن كان فلول السيف من القراع عيباً، فإنهم ذوو عيب، معناه: إن لم يكن عيباً فليس فيهم عيب البتة؛ لأنه لا شيء سوى هذا، فهو بعد هذا التجوز والفرض استثناء متصل.

ب ـ إن تثبت لشيء صفة مدح، وتعقب ذلك بأداة استثناء يليها صفة مدح أخرى لذلك الشيء، نحو: أنا أفصح العرب بيد أني من قريش، وقال النابغة أيضاً:

فتى كملتْ أوصافُه غير أنَّه جوادٌ فما يُبقي على المالِ باقيا

وأصل الاستثناء في هذا الضرب أن يكون منقطعاً، لكنه لم يقدّر متصلاً، بل بقي على حاله من الانقطاع؛ لأنه ليس في هذا الضرب صفة ذم منفية عامة يمكن تقدير دخول صفة المدح فيها، فيحنئذ لا يستفاد التوكيد فيه إلا من الوجه الثاني من الوجهين المذكورين في الضرب الأول؛ ولهذا كان الضرب الأول أبلغ لإفادته التأكيد من الوجهين.

إذا عرفت هذا، فاعلم أن في الآية الكريمة: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا﴾ ثلاثة أوجه:

أ ـ أن يكون معناه: إن كان تسليم بعضهم على بعض، أو تسليم الملائكة لغواً، فلا يسمعون لغواً إلا ذلك، وهو بهذا من وادي قول النابغة:

ولا عيبَ فيهم غير أنَّ سيوفَهم بهنَّ فلولٌ من قراعِ الكتائبِ

ب ـ أنهم لا يسمعون فيها إلا قولاً يسلمون فيه من العيب والنقيصة، وهذا يتعين فيه الاستثناء المنقطع.

جـ ـ أن معنى السلام هو الدعاء بالسلامة، وهي دار السلامة، وأهلها أغنياء عن الدعاء بالسلامة، فكان ظاهره من باب اللغو، وفضول الحديث، لولا ما فيه من فائدة الإكرام، ففي الوجه الأول والثالث يتعين الاتصال في الاستثناء، أما الأول فلجعل ذلك لغواً على سبيل التجوز والفرض، وأما الثاني فواضح؛ لأنه فيه إطلاق اللغو على السلام، وأما الثالث فلحمل الكلام على ظاهره من دون تجوز، أو فرض.

٢ ـ التشبيه التمثيلي البليغ:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ فقد شبه عطاء الجنة لهم بالعطاء الذي لا يرد، وهو الميراث الذي يرثه الوارث، فلا يرجع فيه المورث، أي: نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه، والوراثة أقوى لفظ يستعمل في التمليك والاستحقاق من حيث إنها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع، ولا تبطل بردّ ولا إسقاط، والإرث في اللغة: البقاء، قال عليه الصلاة والسلام: «إنكم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم» أي: على بقية من بقايا شريعته. والوارث: الباقي، من أسماء الله تعالى، أي: الباقي بعد فناء خلقه، وهو في الشرع: انتقال مال الغير إلى الغير على سبيل الخلافة.

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ الجملة مستأنفة مسوقة لحكاية قول جبريل

حيث استبطأه الرسول ﷺ لما سُئِل عن قصة أهل الكهف، وذي القرنين، والروح، ولم يدرِ ما يجيب، كما تقدم، فأبطأ عليه خمسة عشر يوماً، وقيل: أربعين، حتى قال المشركون: ودعه ربه، وقلاه، فالواو استئنافية، وما نافية، ونتنزل فعل مضارع مرفوع، وفاعله مستتر تقديره: نحن، وإلا بأمر ربك استثناء من أعم الأحوال، فإلا أداة حصر، وبأمر متعلقان بمحذوف حال، فالتنزل نزول فيه إبطاء، أو: بمعنى النزول على الإطلاق، قال الشاعر:

فلستَ لإنسيٍّ ولكن لِمَلأْكٍ تَنَزَّلَ من جَوِّ السَّماءِ يَصُوبُ

وهذا البيت لرجل من عبد القيس يمدح الملك النعمان بن المنذر، وقيل لأبي وجرة يمدح عبد الله بن الزبير، وقبله:

تعاليتَ أن تُعْزَى إلى الإنس جلةً
وللإنس من يعزوك فهو كذوبُ

أي: لست منسوباً لإنسي، ولكن لملك، وبالغ في ذلك حتى جعله نازلاً من جهة السماء يصوب، أي: يقصد إلى جهة معينة، والملأك: معفل بتقديم العين، من الألوكة بالفتح، وهي: الرسالة. وقال أبو عبيدة: هو مفعل على اسم المكان من لأك إذا أرسل، ولعله جاء على مفعل لتصوير أن الرسول مكان الرسالة. وقال ابن كيسان: هو فعأل، من الملك، فالهمزة زائدة، وعلى كل يخفّف بالنقل، فيقال: ملك.

﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ له خبر مقدم، وما موصول مبتدأ مؤخر، والجملة حال من ربك، والظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول، وأيدينا مضافة للظرف، وما خلفنا عطف على ما بين أيدينا، وما بين ذلك عطف أيضاً. ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ الواو حرف عطف، وما نافية، وكان واسمها وخبرها. ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ رب السموات والأرض خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو رب السموات والأرض ويجوز أن يعرب بدلاً من ربك. ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ الفاء

هي الفصيحة، ولا حاجة لتأويل الكلام بجعلها عاطفة من باب عطف الإنشاء على الخبر، أي: إذا عرفت ربوبيته الكاملة فاعبده، واصطبر عطف على اعبده، ولعبادته متعلقان باصطبر. وقد أحسن الزمخشري في الفهم حيث جعل العبادة بمنزلة القرن، تقول للمحارب: اصطبر لقرنك، أي: اثبت له فيما يورد عليك من شداته وصولاته، والمراد: لا تضق ذرعاً، ولا تهن قوة إذا تأخر عنك الوحي، ولا تبتئس لشماتة الكافرين، فما هي إلا غمرة ثم تنجلي، وظلمة ثم تنحسر، وهل حرف استفهام معناه النفي، وتعلم فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: أنت، وسمياً مفعول به، والسمي هو الشريك في الاسم.

* **الفوائد:**

عطف الإنشاء على الخبر وبالعكس:

منعه البيانيون وبعض النحاة، وأجازه بعض النحاة، قال أبو حيان: وأجاز سيبويه ذلك، واستدل بقول امرىء القيس:

وإنَّ شِفائي عَبْرةٌ مُهْراقةٌ		وهل عند رَسْمٍ دارسٍ مِن مُعَوَّلِ

فجملة «إن شفائي... الخ» خبرية، وجملة «وهل عند رسم... الخ» جملة إنشائية عطفاً على الخبرية.

وقول الآخر:

تُناغي غَزالاً عند بابِ ابنِ عامر
وكحِّلْ مآقيكَ الحِسانَ بإِثْمِدِ

وقول الآخر:

وقائلةٍ خوْلانُ فانْكِحْ فتاتَهُمْ		وأكرومةُ الحيين خلوٌ كما هيا

وردّ ابنُ هشام هذه الأقوال، فقال رداً على أبي حيان: وأما ما نقله أبو حيان عن سيبويه فغلط عليه، وأما بيت امرىء القيس فالاستفهام خرج معناه إلى النفي كما ذكرنا، وأما قوله: فانكح فتاتهم فهو معطوف على

فعل أمر محذوف مفهوم من المبتدأ، أي: تنبه لخولان، وأما: وكحل مآقيك... الخ فيتوقف على النظر فيما قبله من الأبيات، وقد يكون معطوفاً على أمر مقدر يدل على المعنى، أي: فافعل كذا، وكحل، كما قيل في ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي﴾: أن التقدير فاحذرني، واهجرني ملياً؛ لدلالة: لأرجمنك.

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿جِثِيًّا﴾: بضم الجيم وكسرها، وبهما قرىء، جمع جاث، من جثا يجثو أجثي ويجثي لغتان: أي: جلس على ركبتيه، أو قام على أطراف أصابعه، فهو جاث.

﴿صِلِيًّا﴾: بكسر الصاد وضمها، وبهما قرىء، مصدر صلي ـ بكسر اللام وفتحها ـ النار، أي: دخلها.

○ **الإعراب:**

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ الواو استئنافية، ويقول الإنسان فعل مضارع وفاعل، وأل فيه للجنس، والهمزة للاستفهام بمعنى النفي، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن متعلق بفعل محذوف دلّ عليه قوله: لسوف أخرج؛ لأن اللام تمنع من تعليقه بأخرج المذكورة؛ لأن ما بعدها لا يعمل فيما قبلها، وما زائدة، وجملة مت صلة، واللام لام الابتداء، وسوف حرف استقبال، وأخرج فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل

مستتر تقديره: أنا، وحياً حال، وساغ اجتماع اللام، وهي تمحض الفعل للحال، وسوف وهي تمحضه للاستقبال أن اللام هنا لمجرد التوكيد، وإنما جردت اللام من معناها لتلائم سوف دون أن تجرد سوف من معناها لتلائم اللام؛ لأنه لو عكس هذا للغت سوف؛ إذ لا معنى لها سوى الاستقبال، وأما اللام فإنها إذا جردت من الحال بقي لها التوكيد فلم تلغ ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾ أولا: الهمزة للاستفهام الإنكاري، والواو عاطفة، ولا نافية، ويذكر فعل مضارع معطوف على يقول، ووسطت همزة الإنكار بين المعطوف عليه وحرف العطف، والإنسان فاعل، وأنّا: إن واسمها، وجملة خلقناه خبر أنا، وأن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول يذكر، ومن قبل الجار والمجرور متعلقان بيذكر، ولم: الواو حالية، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويك فعل مضارع مجزوم بلم، وعلامة جزمه السكون المقدر على النون المحذوفة للتخفيف، واسمها ضمير مستتر تقديره: هو، وشيئاً خبر يكن، والمضاف إلى قبل محذوف تقديره: قبل الحالة التي هو فيها، وهي حالة بقائه، وقدّره بعضهم: قبل بعثه ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ﴾ الفاء عاطفة، والواو للقسم، وربك مجرور بواو القسم، وهما متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم، وفائدة هذا القسم سترد في باب البلاغة واللام واقعة في جواب القسم، ونحشرنهم فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والفاعل ضمير مستتر تقديره: نحن، والهاء مفعول به، والشياطين عطف على الهاء، أو الواو بمعنى مع، والشياطين مفعول معه ﴿ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ ثم حرف عطف للتراخي، ولنحضرنهم عطف على لنحشرنهم، وحول ظرف مكان متعلق بنحضرنهم، وجهنم مضاف إليه، وجثياً حال ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴾ ثم لننزعن عطف على لنحضرنهم، ومن كل شيعة متعلقان بننزعن، وأيهم اسم موصول بمعنى الذي، وحركتها عند سيبويه حركة بناء لخروجها عن النظائر، أي: لأنها أضيفت، وحذف صدر صلتها، وهي في محل نصب مفعول به لنزعن، وأشد خبر لمبتدأ محذوف، والجملة صلة أي: وعتياً تمييز، وعلى

الرحمن متعلقان بأشد، أو بمحذوف حال، وسيأتي مزيد بحث في هذه الآية في باب الفوائد ﴿ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ ثم حرف عطف للترتيب والتراخي، واللام للابتداء، ونحن مبتدأ، وأعلم خبر، وبالذين متعلقان بأعلم، وهم مبتدأ، وأولى خبر، والجملة صلة، وبها متعلقان بأولى، وصلياً تمييز، وقيل: صلياً جمع صال فانتصب على الحال، وفي التمييز فائدة وهي التخصيص بشدة العذاب، لا التخصيص بأصل العذاب لاشتراكهم فيه ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ الواو عاطفة، وإن نافية، ومنكم صفة لمبتدأ محذوف تقديره: أحد، أي: ما منكم أحد، وإلا أداة حصر، وواردها خبر، وكان فعل ماض ناقص، واسمها ضمير مستتر تقديره: هو، أي: الورود، وحتماً خبرها، ومقضياً صفة لحتماً. ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ ثم ننجي عطف على ما تقدم، وفاعل ننجي مستتر تقديره نحن، والذين موصول مفعول، واتقوا صلة، ونذر عطف على ننجي، والفاعل مستتر تقديره نحن، والظالمين مفعول به، وفيها متعلقان بنذر أو بجثياً، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من جثياً؛ لأنه في الأصل صفة لنكرة قدم عليها فنصب على الحال، وجثياً حال، أو تجعلها مفعولاً ثانياً لنذر، أي: نتركهم فيها جثياً.

□ البلاغة:

١ ـ فن القسم:

في قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ فن القسم، وهو أن يريد المتكلم الحلف على شيء، فيحلف بما يكون فيه فخر له، وتعظيم لشأنه، أو تنويه لقدره، أو ما يكون ذماً لغيره، أو جارياً مجرى الغزل والترقق، أو خارجاً مخرج الموعظة والزهد، فقد أفاد القسم هنا أمران:

أحدهما: أن العادة جرت بتأكيد الخبر باليمين.

والثاني: أن في إقسام الله تعالى باسمه مضافاً إلى رسوله ﷺ رفعاً منه

لقدره، وتنويهاً بشأنه، كما رفع من شأن السماء والأرض في قوله: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ وسيأتي تحقيق ذلك في مواضعه.

وقد توسّع الشعراء في القسم لأن فيه حلاوة، ورفعاً لشأن المتغزل به، وما ألطف قول عبد المحسن الصوري، وهو من أبرع ما سمعنا:

يا غزالاً قد رمى باللحظ — قلبي فأصابا
بالذي ألهم تعذيبي — ثناياك العِذابا
والذي ألبس خدّيك — من الورد نِقابا
والذي أودع فيـ — ـك من الشّهد شَرابا
والذي صيَّر حظّي — منك هَجْراً واجتنابا
ما الذي قالته عينا — ك لقلبي فأجابا؟!

ولابن خفاجة الأندلسي:

لا وسحر بين أجفانكم — فتن الحبُّ به مَن فتنا
وحديث من مواعيدِكم — تحسدُ العينُ عليه الأذنا
ما رحلت العيسُ عن أرضكم — فرأت عيناي شيئاً حسنا

وبلغ العباس بن الأحنف الغاية بقوله:

وإنيّ ليرضيني قليلُ نوالكم — وإن كان لا أرضى لكم بقليل
بحرمةِ ما قد كان بيني وبينكم — من الودِّ إلا عُدتم بجميل

وأبدع أبو الطيب بقوله:

أحيا وأيسر ما قاسيتُ ما قتلا — والبينُ جارٍ على ضعفي وما عَدَلا
والوجدُ يقوى كما تقوى النّوى أبداً — والصبرُ ينحلُ في جسمي كما نحلا
لولا مفارقةُ الأحباب ما وجدت — لها المنايا إلى أرواحنا سُبُلا

بمـا بجفنيـك مـن سحـرٍ صِلـي دنفـاً
يهـوى الحيـاةَ وأمـا إن صـددت فـلا

٢ ـ الافتنـان:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ والافتنان هو أن يفتن المتكلم، فيأتي في كلامه بفنين إما متضادين، أو مختلفين، أو متفقين. والآية التي نحن بصددها جمعت بين المتضادين: جمعت بين الوعد والوعيد، بين التبشير والتحذير وما يلزم من هذين الفنين من المدح للمختصين بالبشارة والذم لأهل النذارة، وستأتي منه أمثلة عديدة في القرآن الكريم.

ومن الجمع بين المتضادين في الشعر قول عبد الله بن طاهر بن الحسين، ونسبهما في الكامل لأبي دلف:

أحبُّـك يـا ظلـوم وأنـت منـي مكان الرُّوحِ من جسدِ الجبان
ولو أنّي أقولُ مكان روحي خشيـتُ عليـك بـادرة الطّعـان

فانظر كيف جمع في هذا الشعر بين الغزل والحماسة، والغزل لين والحماسة شدة. وقال عنترة وأبدع:

إن تغدفي دوني القناعَ فإنّني طبٌّ بأخذِ الفارسِ المستلئمِ

وهذا من أحسن ما قيل في هذا الباب فإنه جمع فيه بين الغزل والحماسة، والجد والهزل، فأتى فيه بنادرة طريفة، وطرفة غريبة، حيث قال بعد وصفها بستر وجهها دونه بالقناع، حتى صار ما بين بصره وبين وجهها كالليل المغدف؛ الذي يحول بين الأبصار والمبصرات: إنني طب بأخذ الفارس المستلئم، يقول: إن تتبرقعي دوني فإنني خبير لدربتي بالحرب بأخذ الفارس الذي سترته لأمته، وحالت دوني ودون مقاتلته، فأبرز الجد في صورة الهزل، فجاء في بيته مع الافتنان التندير الطريف، وعبرّ عن معناه اللطيف بهذا اللفظ الشريف.

وجمع الحطيئة بين المدح والهجاء في بيت واحد من قصيدة يمدح بها بغيضاً، ويهجو الزبرقان، وقد شكاه الزبرقان بسببها إلى عمر بن الخطاب:

قد ناضلونا وسلّوا من كِنانتهم
مجداً تليداً ونبلاً غير أنكاسِ

ومعنى هذا البيت لا يعرفه إلا مَن عرف أن عادة العرب إذا منّوا على أسير أعطوه نبلاً من نبلهم عليها إشارة تدلّ على أنها لأولئك القوم لا تزال في كنانته، فقال الحطيئة لهذا الممدوح الذي عناه بهذا المدح: إن عداك لما فاخروك سلّوا من كنانتهم تلك التي أعطيتها لهم، حين مننت عليهم تشهد لك بأنهم عتقاؤك، فكان هذا مجداً تليداً لك، لا يقدرون على جحده، تثبته لك هذه النبل التي ليست بأنكاس، يعني: الصائبات التي لا تنكب إذا ناضلت بها عن الغرض، وهذا غاية المدح للمدوح، ونهاية الهجاء لعداه؛ إذ أخبر بأنهم مع معرفتهم بفضله عليهم، يفاخرونه بما إذا أظهروه أثبت له الفضل عليهم، وهذا غاية الجهل منهم والغباوة.

ومن الجمع بين الهجاء والمدح أو الفخر قول أبي العلاء المعري:

بأيّ لسانٍ ذامني متجاهل ... عليَّ وخفق الريح فيَّ ثناء
تكلم بالقولِ المضلّل حاسدٌ ... وكلُّ كلامِ الحاسدين هراء
أتمشي القوافي تحت غير لوائنا ... ونحن على قوالها أمراء؟
ولا سار في عرض السّماوة بارقٌ ... وليس له من قومِنا خفراء

فهو إذ يفخر بنفسه يهجو أبناء جنسه الذين يتطاولون وهم قصار، ويدَّعون المعرفة والجهل يكتنفهم، أو لم يقل لهم مخاطباً:

غدوت مريضَ العقلِ والدِّينِ فالقني ... لتخبرَ أبناء العقولِ الصَّحائح

والروح العلائية معروفة، فلا لزوم للشرح والتبسط.

أما الجمع بين التهنئة والتعزية فهو غريب حقاً، وهو يحتاج إلى الكثير من شفوف الطبع، ورهافة الحس للإجادة فيه. ومن أجمل ما سمعنا منه مثل قول

المعزّي ليزيد بن معاوية عندما جلس في دست الخلافة، وأتت الوفود مهنئة معزية بأبيه، فلما اجتمعوا لم يفتح على أحد بما فتح به لهم باب القول، حتى تقدم هذا المتقدم ذكره، فاستأذن في الكلام، فلما أذن له قال: آجرك الله يا أمير المؤمنين على الرزية، وباركَ الله لك في العطية، فلقد رزئت عظيماً وأعطيت جسيماً، رزئت خليفة الله، وأعطيت خلافة الله، فاصبر على ما رزئت، واشكر على ما أعطيت، وأنشد:

اصبرْ يزيد فقد فارقتَ ذا ثقةٍ
واشكر حباءَ الذي بالملك أصفاكا
لا رزء أصبحَ في الأقوام تعلمه
كما رزئتَ ولا عقبى كعقباكا
أصبحتَ راعي أمورِ النَّاسِ كلِّهم
فأنت ترعاهم واللهُ يرعاكا
وفي معاوية الباقي لنا خلفٌ
إذا نعيت ولا نسمع بمنعاكا

ففتح للناس باب القول فقالوا، وكان له فضل السبق.

وقال أبو نواس للعباس بن الفضل يعزّيه بالرشيد، ويهنّئه بخلافة الأمين:

تعزَّ أبا العباس عن خيرِ هالك
بأكرم حيّ كان أو هو كائن
حوادث أيام تدورُ صروفُها
لهنَّ مساوٍ مرةً ومحاسن
وفي الحيِّ بالميت الذي غيّب الثّرى
فلا أنت مغبونٌ ولا الموتُ غابن

٣ ـ فن الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ . . .﴾ الخ، التفات على أحد

القولين، وهو مفرع على إرادة العموم من الأول، فيكون المخاطبون أولاً هم المخاطبين ثانياً، إلا أن الخطاب الأول بلفظ الغيبة، والثاني بلفظ الحضور، وأما إذا بنينا على أن الأول إنما أريد منه خصوص على التقديرين جميعاً فالثاني ليس التفاتاً، وإنما هو عدول عن خطاب خاص لقوم معينين إلى خطاب العامة، والقول في الورود على جهنم طويل يرجع فيه إلى المطولات.

* الفوائـد:

نقاش طويل حول أيهم:

وعدناك بمزيد من البحث حول أيّهم في قوله تعالى: ﴿لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ قال أبو حيان في «شرح التسهيل»: وسأل الكسائي في حلقة يونس: لم لا يجوز أعجبني أيهم قام؟ فقال: أي: كذا خلقت. أي: كذا وضعت. وقال ابن السراج موجهاً قول الكسائي بالمنع ما معناه: إن أياً وضعت على العموم والإبهام، فإذا قلت: يعجبني أيهم يقوم، فكأنك قلت يعجبني الشخص الذي يقع منه القيام كائناً من كان، ولو قلت: أعجبني أيهم قام؟ لم يقع إلا على الشخص الذي قام، فأخرجها ذلك عما وضعت له من العموم؛ ولذلك يشترط في عاملها أن يكون مستقبلاً متقدماً عليها، نحو: ﴿لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾ وذلك لأجل الفرق بين الشرطية والاستفهامية وبين الموصولة؛ لأن الشرطية والاستفهامية لا يعمل فيهما إلا متأخر، والمشهور عند الجمهور إفرادها وتذكيرها، وقد تؤنث وتثنى وتجمع عند بعضهم، فتقول: أية، وأيان، وأيتان، وأيون، وأيات، وهي معربة فقيل: مطلقاً، وهو قول الخليل، ويونس، والأخفش، والزجاج، والكوفيين. وقال سيبويه: تبنى على الضم إذا أضيفت لفظاً، وكان صدر صلتها ضميراً محذوفاً. وقال الزجاج مستنكراً: ما تبين لي أن سيبويه غلط إلا في موضعين هذا أحدهما، فإنه يسلّم أنها تعرب إذا أفردت، فكيف يقول ببنائها إذا أضيفت؟

وزعم المانعون أن أياً في الآية استفهامية، وأنها مبتدأ، وأشد خبره، ثم

اختلفوا في مفعول ننزع، فقال الخليل: محذوف، والتقدير: لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد، وقال يونس: المفعول الجملة، وعلقت ننزع عن العمل فيها. وقال الكسائي والأخفش: المفعول كل شيعة، ومن زائدة. وقد رد ابن هشام هذه الأقوال كلها، حيث قال: ويرد أقوالهم أن التعليق مختص بأفعال القلوب، وأنه لا يجوز أن يقال: لأضربن الفاسق بالرفع بتقدير الذي يقال فيه: هو الفاسق، وأنه لم يثبت زيادة من في الإيجاب.

ونورد هنا ما قاله أبو البقاء لوجازته وشموله، قال:

قوله: أيهم أشد يقرأ بالنصب شاذاً، والعامل فيه لننزعن، وهي بمعنى الذي، ويقرأ بالضم، وفيه قولان:

أحدهما: أنها ضمة بناء، وهو مذهب سيبويه، وهي بمعنى الذي، وإنما بنيت ـ ها هنا ـ لأن أصلها البناء؛ لأنها بمعنى الذي، ومن الموصولات؛ إلا أنها أعربت حملاً على كل أو بعض، فإذا وصلت بجملة تامة بقيت على الإعراب، وإذا حذف العائد عليها بنيت لمخالفتها بقية الموصولات، فرجعت إلى حقها من البناء بخروجها عن نظائرها، وموضعها نصب بنزع الخافض.

والقول الثاني: هي ضمة الإعراب، وفيه خمسة أقوال:

أحدها: أنها مبتدأ، وأشد خبره، وهو على الحكاية، والتقدير: لننزعن من كل شيعة الفريق الذي يقال أيهم، فهو على هذا استفهام، وهو قول الخليل.

والثاني: كذلك في كونه مبتدأ وخبراً واستفهاماً، إلا أن موضع الجملة نصب بننزعن، وهو فعل معلق عن العمل، ومعناه التمييز، وهو قريب من معنى العلم الذي يجوز تعليقه، كقولك: علمت أيهم في الدار، وهو قول يونس.

والثالث: أن الجملة مستأنفة، وأي استفهام، ومن زائدة، أي: لننزعن كل شيعة، وهو قول الأخفش والكسائي، وهما يجيزان زيادة من في الواجب.

والرابع : أن أيهم مرفوع بشيعة ؛ لأن معناه تشيع ، والتقدير : لننزعن من كل فريق يشيع أيهم ، وهو على هذا بمعنى الذي ، وهو قول المبرد .

والخامس : أن ننزع علقت عن العمل ؛ لأن معنى الكلام معنى الشرط ، والشرط لا يعمل فيما قبله ، والتقدير : لننزعنهم تشيعوا أم لم يتشيعوا ، أو إن تشيعوا ، ومثله لأضربن أيهم غضب ، أي : إن غضبوا أو لم يغضبوا ، وهو قول يحيى عن الفراء ، وهو أبعدها عن الصواب .

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿مَقاماً﴾ بفتح الميم ـ اسم مكان ، من قام : أو : مصدر ميمي ، وقرىء مُقاماً بالضم ، فيكون أيضاً اسم مكان ، أو مصدراً ميمياً ، من أقام الرباعي المزيد ، والمراد ـ هنا ـ موضع القوم .

﴿ نَدِيًّا ﴾ : الندي : المجلس ، ومجتمع القوم ، وحيث ينتدون . ويقال : النادي .

﴿ أَثَٰثًا ﴾ : الأثاث : متاع البيت والمال ، ويقال : أثّ ، يئث ، ويأث ، ويؤث ، أثاثاً ، وأثوثاً ، وأثاثة النبات أو الشعر : التفَّ وكثر ، فهو أثٌّ ، وأثيث .

﴿ وَرِءْيًا ﴾ : فعل بمعنى مفعول ، ومعناه : المنظر ، فهو كالطحن والذبح بمعنى المطحون والمذبوح ، من : رأيت على القلب ، كقولهم راء في رأى ، أو

من الري الذي هو النعمة والترف، من قولهم: ريان النعيم.

○ الإعـراب:

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ الواو استئنافية، وإذا شرط مستقبل، وجملة تتلى مضافة للظرف، وعليهم متعلقان بتتلى، وآياتنا نائب فاعل، وبينات حال من آياتنا، أي: واضحات مبينات المقاصد والمعاني، وجملة قال الذين كفروا لا محل لها لأنها جواب. ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ للذين آمنوا متعلقان بقال، وجملة آمنوا صلة، وأي استفهامية مبتدأ، وخير خبر، ومقاماً تمييز، وأحسن عطف على خير، ونديا تمييز. ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴾ كم خبرية في محل نصب مفعول أهلكنا، وأهلكنا فعل وفاعل، ومن قرن تمييز غير صريح لكم؛ لأن تمييز كم الخبرية كثيراً ما يكون مجروراً بمن، وسيأتي تفصيل لذلك. وهم مبتدأ، وأحسن خبر، والجملة في محل نصب صفة لكم الخبرية، ألا ترى أنك لو تركت هم لم يكن لك بدّ من نصب أحسن على الوصفية، هذا ما ذكره الزمخشري، وتابعه أبو البقاء على أنّ هم أحسن صفة لكم، ونصّ أصحابنا على أن كم الاستفهامية والخبرية لا توصف ولا يُوصف بها، وأثاثاً تمييز، ورئياً عطف عليه، ويجوز أن يكون صفة لقرن. ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾ من اسم شرط جازم مبتدأ، وكان فعل الشرط، وهو فعل ماض ناقص، واسمها مستتر يعود على من، وفي الضلالة خبر كان، والفاء رابطة للجواب، واللام لام الأمر، ويمدد فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، وله متعلقان بيمدد، والرحمن فاعل، ومداً مفعول مطلق ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ ﴾ حتى حرف غاية وجر متعلق بالجواب، وهو: فسيعلمون، وقيل: مستأنفة، أي: تبدأ بعدها الجمل. قال الشهاب في «حاشية البيضاوي»: وحتى ـ هنا ـ حرف ابتداء، أي تبدأ بعدها الجمل، أي: تستأنف، فليست جارة ولا عاطفة، وهكذا حيث دخلت على إذ الشرطية، وجملة رأوا مضافة للظرف، وما مفعول به، وجملة يوعدون صلة،

وإما حرف شرط وتفصيل، والعذاب والساعة بدل من ما، والمعنى: يستمرون في الطغيان إلى أن يعلموا إذا رأوا العذاب أو الساعة من هو شر مكاناً، وأضعف جنداً ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾ الفاء واقعة في جواب إذا، وهذا ما يرجح جعل إذا للغاية، وسيعلمون فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، ومن موصولة مفعول به، وهو مبتدأ، وشر خبر، والجملة صلة، ويجوز أن تكون من استفهامية في محل رفع بالابتداء، وهو مبتدأ ثان، وشر خبر المبتدأ الثاني، وهو وخبره خبر من، وعندئذ تكون الجملة معلقة لفعل الرؤية فالجملة في محل نصب مفعول يعلمون ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾ لك أن تجعل الواو استئنافية، فتكون الجملة مستأنفة، ولك أن تجعلها عاطفة، فتعطف الجملة على جملة الشرط المحكية بالقول، أي: وقل يزيد الله، ويزيد الله الذين اهتدوا فعل مضارع وفاعل ومفعول به، وجملة اهتدوا صلة، وهدى تمييز أو مفعول به ثان ليزيد. ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾ والباقيات مبتدأ، والصالحات صفة، وخير خبر الباقيات، وعند ربك الظرف متعلق بخير، وثواباً تمييز، وخير مرداً عطف على خير ثواباً، أي: مرجعاً، وعاقبة، ومغبة.

* الفوائـد:

(١) من الداخلـة على التمييز:

اختلف في معنى من التي يصرح بها مع التمييز، فقيل: للتبعيض، ولذلك لم تدخل في نحو: طاب نفساً؛ لأن نفساً ليست أعمّ من المبهم الذي انطوت عليه الجملة. وقال الشلوبين: زائدة عند سيبويه لمعنى التبعيض، ويدل على صحته أنه عطف على موضعها نصباً، قال الحطيئة:

طـافتْ أُمامـةُ بالركبانِ آونـةً   يا حسنـه من قـوام ما ومنتقبـا

وأمامة ـ بضم الهمزة ـ اسم امرأة، وآونة بالمد نصب على الظرفية، والشاهد في قوله من قوام، فإنه تمييز جر بمن الزائدة في الكلام الموجب،

ولهذا عطف منتقباً على محلها بالنصب، وما زائدة لتوكيد الكلام. وقال ابن هشام: إنها لبيان الجنس، وقد سبقه الزمخشري إلى ذلك؛ لأن المشهور من مذاهب النحويين ما عدا الأخفش أن من لا تزاد إلا في غير الإيجاب.

(٢) معنى التفضيل:

قيل: ما معنى التفضيل في قوله: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾؟ وهل ثمة من شك؟ وهل للمفاخر شرك في الثواب والمرد؟ وأجيب بجوابين:

أولهما: أنه من وجيز كلامهم، يقولون: الصيف أحر من الشتاء في برده.

وثانيهما: أن اسم التفضيل ذكر على سبيل المشاكلة لكلامهم السابق. وقال الشهاب في حاشيته على البيضاوي: وهذا جواب عما تخيل كيف فضلوا عليهم في خيرية الثواب والعاقبة، والتفضيل يقتضي المشاركة، وهم لا ثواب لهم، وعاقبتهم لا خير فيها.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿أَطَّلَعَ﴾: أصله: أاطلع، حذفت همزة الوصل، وبقيت همزة الاستفهام المفتوحة، واطلع يتعدى بنفسه وبحرف الجر، يقال: اطلع الأمر، وعليه: علمه، ويقال أيضاً: إطّلع طِلْع العدو ـ بكسر الطاء وسكون اللام ـ: عرف

باطن أمرهم. وقد توهم بعضهم أنه لا يتعدى إلا بعلى، فأعرب الغيب بنزع الخافض، وإنما هو من قولهم: اطلع الجبل؛ إذا ارتقى إلى أعلاه، وطلع الثنية، قال جرير:

إنـي إذا مُضَـرٌ علـيَّ تحـدَّثَـتْ   لاقَيْـتُ مُطَّلـع الجبـالِ وعُـورا

فمطلع اسم مكان من اطّلع المشدّد، أصله: اطتلع على بناء الافتعال، فقلبت التاء طاء، وأدغمت فيما قبلها، وهو في البيت نصب على الظرفية. والوعور: جمع وعر، أي: صعب، مفعول لاقيت، أو مطلع هو المفعول به، ووعوراً حال. يقول: إذا تقولت عليَّ مضر مالا أرتضيه، أو حدثتها نفسها بقتلي تمرّست بالصعاب ولا أبالي بها. وسيأتي مزيد بحث عن استعمالها في الآية في باب البلاغة.

﴿ وَنَمُدُّ ﴾: مضارع مدَّ الشيء يمدُّه، من باب نصر، أطاله، وبسطه، وجذبه، ومدّ الحبل فامتدّ، وهذا ممدّ الحبل، قال ابن مقبل:

وللشمس أسبابٌ كأنَّ شعاعَها   مَمَـدّ حبـالٍ في خبـاء مطنّـب

وتمدّد الأديم، وطراف ممدّد، وأمد الجيش، وضم إليه ألف رجل مدداً، وللميم مع الدال خاصة التمدد، كأن أصل المادة يشمل غيرها من الفروع، وهذه من ميزات لغتنا العربية الخالدة، ويقال: مدحه، وامتدحه: أطال الثناء عليه، ومدخ فلاناً ـ بالخاء المعجمة ـ: أمده بالعون خيراً كان أم شراً عمله، وتمدخ: تكبر، وتطاول. ولا يخفى ما في الكبرياء والتطاول من تمدّد، وانتفاخ، ومدر المكان: طاله، وامتد إليه، ومدر الحوض: شد خصاص حجارته بالمدر، وهو الطين العلك الذي لا يخالطه رمل، وهو سريع الامتداد إذا طيِّنت به الحائط، أو سيعته، ومدس الجلد ونحوه دلكه ليمتد، ومدشت عينه: امتد عليها الظلام، وارتخى عصبها، ومدشت يده: نحلت، وضؤلت، فظهرت للرائي ممتدة لقلة اللحم عليها. والمَدَش ـ بفتحتين ـ: ظلمة تمتد على العين من جوع ورخاوة عصب اليد، وتمدل بالمنديل: شده على رأسه، أو اعتم به وهو قريب من معنى الامتداد، ومدّن المدائن: بناها،

ومصّرها، وجدّد بناءها، فامتدت عرضاً وطولاً. والمدينة: مجتمع بيوت زادت وامتدت، فسميت مدينة، ومنها سميت مدينة يثرب، ومدينة السلام، أي: بغداد، والمدائن: مدينة قرب بغداد، كان فيها إيوان كسرى، وسميت بالجمع لكبرها وامتدادها، وفيها يقول البحتري سينيته، ويشير إليها بقوله:

حضرتْ رحلي الهمومُ فوجَّهـ ـتُ إلى أبيضَ المدائنِ عنسي
أتسلَّى عن الهمومِ وآسى لمحلٍّ من آلِ ساسانَ دَرْسِ

ومدهه، أي: مدحه، وقد تقدم. والمدى: الغاية الطويلة الممتدة، وأمدى فلاناً، وماداه: أمهله، وأمدى الرجل: تقدمت به السن وامتدت، وتمادى في غيه: دام على فعله، وامتد في فجوره. والمدية ـ بضم الميم ـ: الشفرة الكبيرة الممتدة، وهذا من غريب أمر لغتنا الشريفة.

﴿وَنَرِثُهُۥ﴾: أي: نسلبه منه، ونأخذه بأن نخرجه من الدنيا خالياً من ذلك، والمراد: نزوي عنه ما يقوله من أنه سيناله في الآخرة.

﴿تَؤُزُّهُمْ﴾: الأز: الاستفزاز، والتهيج، وشدة الازعاج، وهذه من أغراب مواد اللغة العربية، كلها تدل على هذا المعنى. والأز أيضاً: شدة الصوت، ومنه أز المرجل أزاً وأزيزاً، أي: غلا، واشتد غليانه حتى سمع له صوت. وفي الحديث: «فكان له أزيز». وفي القاموس: وأزّت القدر تؤز ـ بالضم ـ وتئز ـ بالكسر ـ أزاً وأزيزاً وأزازاً ـ بالفتح ـ: اشتد غليانها. وأز النار: أوقدها، وأز الشيء: حركه شديداً. وفي اللسان والأساس وغيرهما: هالني أزيز الرعد، وصدّعني أزيز الرحى، وهزيزها، وأزه على كذا: أغراه به، وحمله عليه بإزعاج، وهو يأتز من كذا: يمتعض منه، وينزعج. وتأزر المجلس: هاج بمن فيه، جميع ذلك يدلّ على الحركة والانزعاج، وأزب الماء يأزب ـ بالضم والكسر ـ: جرى مسرعاً. والمئزاب: مجرى الماء، والجمع مآزيب، وأزج البيت: بناه طولاً وعرضاً، وأزحت قدمه: زلت، وأزر يأزر ـ بالكسر ـ بالشيء أحاط به، والنبات: التف، وآزره مؤازرة: عاونه، وبادر إلى إغاثته. والأزر: القوة والظهر، يقال: شد به أزره، أي: ظهره، والمئزر

معروف، ويقال: شد للأمر مئزره؛ إذا تشمر له، وسارع إليه. وأزف يأزف ـ بالفتح ـ أزفاً وأزوفاً: اقترب، وأزف الرجل: عجل، وآزفه إنزافاً: أعجله، وأزفت الآزفة: اقتربت القيامة، وفلان يمشي الأَزَفَى ـ بثلاث حركات ـ أي: يمشي سريعاً، والمأزق: المضيق، وموضع الحرب، وأزل يأزل: وقع في ضيق وشدة، وأزمه أزماً وأزوماً: عضه، والحبل: أحكم فتله، وتأزم القوم: أصابتهم أزمة، والأزمة ـ بفتح الهمزة وسكون الزاي ـ والآزمة: الشدة والضيقة، وأزى الرجل: حاذاه، وداناه، وجلس إزاءه، أي: أمامه. وفي كل ذلك ما يدل على الحركة، وحرف الزاي إجمالاً يدل على ذلك، وما هو قريب منه، وسيأتيك ما هو معجب من غريب أمره.

﴿وَوَلَدًا﴾: الولد: اسم مفرد قائم مقام الجمع، والولد بضم الواو وسكون، وقد قرىء بها بمعنى الولد، فهما لغتان، وقيل: بل هي جمع الولد، نحو: أُسْد وأَسد، وعُرْب وعَرب.

○ الإعراب:

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ الهمزة للاستفهام التعجبي، والفاء على حالها من التعقيب، كأنه قال: أخبرك أيضاً بقصة هذا الكافر عقب حديث أولئك، ورأيت هنا بمعنى أخبرني، وقد تقدم بحثها مفصّلاً، والذي هو مفعولها الأول، وجملة كفر بآياتنا صلة، وقال عطف على كفر، لأوتين اللام جواب لقسم مقدر، ونائب الفاعل مضمر تقديره: أنا، ومالاً مفعول به ثان لأوتين، وولداً عطف على مالاً. ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا﴾ الهمزة للاستفهام، واطلع فعل ماض، وفاعله هو يعود على الكافر، قيل: هو العاصي بن وائل، وستأتي قصته في باب الفوائد، وأم حرف عطف معادل للهمزة، واتخذ فعل ماض، وفاعله مستتر يعود عليه، وعند الرحمن مفعول به ثان لاتخذ، وعهداً مفعول به أول. ﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ كلا حرف ردع وزجر، وفيها أقوال كثيرة سنوردها في باب الفوائد، وسنكتب فعل مضارع مرفوع، وفاعله مستتر

تقديره: نحن، وصدره بالسين من باب ما يقوله المتوعد لخصمه: سوف أنتقم منك، يعني: لا تغتر بطول الزمان فإن الانتقام آتيك، أو سنظهر له، ونعلمه أنا كتبنا، وما مفعول به، وجملة يقول صلة، ونمد عطف على نكتب، وله متعلقان بنمدّ، ومن العذاب حال؛ لأنه كان صفة لمداً، ومداً مفعول مطلق، أو مفعول به إن كان بمعنى المدد. ﴿ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ ونرثه عطف على نمد، والفاعل نحن، والهاء منصوب بنزع الخافض، وما مفعول به، والتقدير: ونرث منه ما يقوله، ويجوز أن تكون الهاء هي المفعول به، وما بدل اشتمال من الهاء، والمعنى: نرث ما عنده من المال، والأهل، والولد، وجملة يقول صلة، ويأتينا عطف على ما تقدم، والفاعل مستتر تقديره: هو، ونا ضمير فصل فاعل، وفرداً حال﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا﴾ واتخذوا فعل وفاعل، وحذف المفعول الأول، وهي الأوثان المفهومة من سياق الحديث، ومن دون الله حال، وآلهة هي المفعول الثاني؛ ليكونوا اللام لام التعليل، ويكونوا فعل مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والواو اسمها، ولهم حال، وعزاً خبر يكونوا. ﴿ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ كلا تقدّم أنها حرف ردع وزجر لتعززهم بها، سيكفرون فعل مضارع مرفوع، وبعبادتهم متعلقان بيكفرون، أي: سيجحدون عبادتها، وينكرونها، فالمصدر أضيف إلى مفعوله، ويكونون عطف على يكفرون، والواو اسمها، وعليهم حال، وضداً خبر يكونون، ووحّده، وهم جمع لمحاً لأصله؛ لأنه في الأصل مصدر، والمصادر لا تثنى ولا تجمع، أو لأنه مفرد في معنى الجمع. وللزمخشري في توحيد الضد كلام حسن سننقله في باب البلاغة. ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ ألم الهمزة للاستفهام التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وتر فعل مضارع مجزوم بلم، وفاعله أنت، وأن وما في حيزها سدّت مسد مفعولي تر، وأن واسمها، وجملة أرسلنا خبرها، والشياطين مفعول به، وجملة تؤزهم حالية، وأزاً مفعول مطلق. ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ الفاء الفصيحة، أي: إن عرفت هذا كله

فلا تعجل، وعليهم متعلقان بتعجل، وإنما كافة ومكفوفة، وجملة نعدّ لهم حالية، وعداً مفعول مطلق.

□ **البلاغـة:**

(١) الاستعارة المكنية:

١ ـ الاستعارة المكنية في قوله: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ فقد شبه الغيب المجهول الملثم بالأسرار بجبل شامخ الذرا، لا يرقى الطير إلى مداه، فهو مجهول تتحطم عليه آمال الذين يريدون استشفاف آفاقه، وإدراك تهاويله. ثم حذف الجبل، أي: المشبه به، وأخذ شيئاً من خصائصه ولوازمه، وهو الإطلاع، والارتقاء، واستشراف مغيباته، والغرض من هذه الاستعارة: السخرية البالغة كأنه يقول: أو بلغ هذا مع حقارته، وتفاهة أمره، وصغار شأنه أن ارتقى إلى الغيب المحجب بالأسرار المطلسم بالخفاء.

(٢) توحيد الضد:

قال الزمخشري: فإن قلت: لم وحّد؟ قلت: وحّد توحيد قوله ﷺ: «وهم يدٌ على من سواهم» لاتفاق كلمتهم، وأنهم كشيء واحد لفرط تضامنهم، وتوافقهم.

والواو في يكفرون يجوز أن تعود على الآلهة، أي: يجحدون عبادتهم لها أو للمشركين، أي: ينكرونها لسوء المغبة، والمصير.

* **الفوائـد:**

أوجه كلا:

للنحاة في هذه اللفظة مذاهب ستة:

أ ـ مذهب جمهور البصريين كالخليل، وسيبويه، أبي الحسن الأخفش، وأبي العباس المبرد أنها حرف ردع وزجر، وهذا معنى لائق بها حيث وقعت في

القرآن الكريم. وقد زجر بها العشاق لائميهم، فقال أحدهم وهو عروة بن أذينة على الأرجح:

يقلنْ لقد بكيت فقلتُ: كلاّ وهل يبكي من الطّربِ الجليد؟!
ولكـن أصـابَ سـوادَ عينـي عويدُ قذى له طرفٌ حديد
فقلـنْ: فمـا لـدمعهمـا سـواء أكلتـا مقلتيـكَ أصـاب عـود؟

٢ ـ مذهب النضر بن شميل أنها حرف تصديق بمعنى نعم، فتكون جواباً، ولابد حينئذ من شيء يتقدمها لفظاً، أو: تقديراً.

٣ ـ مذهب الكسائي، وأبي بكر بن الأنباري، ونصر بن يوسف، وابن واصل: أنها بمعنى حقاً.

٤ ـ مذهب أبي عبد الله الباهلي: أنها رد لما قبلها، وهذا قريب من الأول.

٥ ـ أنها صلة في الكلام بمعنى إي، كذا قيل، وفيه نظر؛ فإن إي حرف جواب مختص بالقسم.

٦ ـ أنها حرف استفتاح، وهو قول أبي حاتم.

هذا وقد ذكرت كلاًّ في خمس عشرة سورة مكية، وجملة ماذكرت ثلاث وثلاثون مرة.

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ

﴿ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿وَفْدًا﴾: الوفد مصدر وفد، يَفِد، وفْداً، ووفوداً، ووفادة، وإفادة؛ إلى أو على الأمير: قدم، وورد رسولاً، فهو وافد، وجمع وافد، وهم القوم يجتمعون، فيردون البلاد، ويفدون على الأمير ونحوه.

﴿وِرْدًا﴾: القوم الواردون إلى الماء عِطاشاً قد تقطّعت أعناقهم من العطش.

﴿إِدًّا﴾: ـ بالكسر والفتح ـ: العجب. وقيل: العظيم المنكر، والإدة: الشدة. وآداني الأمر: أثقلني، وعظم علي إداً. وفي القاموس: الإد والإدة بكسرهما: العجب، والأمر الفظيع، والداهية، والمنكر كالأد ضح
بالفتح، وأدته الداهية تؤده بالضم، وتئده بالكسر، وتأده بالفتح: دهته.

﴿وُدًّا﴾: مودة ومحبة. وفي المصباح: وودته أوده، من باب تعب ودّاً بفتح الواو، وضمها: أحببته، والاسم: المودة، وودت لو كان كذا أيضاً، وداً، وودادة: تمنيته. وفي المختار: الود بضم الواو وفتحها وكسرها: المحبة، فهي مثلثة الواو، والأرجح الضم، وبها قرأ السبعة، وقرىء في غير السبعة بفتحها وكسرها، ويحتمل أن يكون المفتوح مصدراً، والمضموم والمكسور اسمين.

﴿لُّدًّا﴾: جمع ألد، أي: شديد الخصومة، وجميل قول الزمخشري: اللد: الشداد، والخصومة بالباطل، الآخذون في كل لديد، أي: في كل شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم. وفي الأساس: رجل ألد، وألندد، ويَلَنْدد، وفيه لدد، وقوم لُدّ، ولادّه، وملادة، ولداداً، وهو شديد اللداد، وتركت فلاناً يتردد، ويتلدد: يتلفت. وضربه على لديدي عنقه، وهما صفحتاها، وضربه على متلدّده على عنقه. قال:

ولو شئت نجتني من القوم جسرةٌ
بَعِيـــدة بيـــن العَجْـــبِ والمتلـــدَّد

﴿ رِكۡزَۢا ﴾ : الركز: الصوت الخفي، ومنه ركز الرمح: إذا غيب طرفه في الأرض، والركاز: المال المدفون.

﴿ تُحِسُّ ﴾ : ـ بضم التاء ـ مضارع أحسّ، وفي المصباح: الحس والحسيس: الصوت الخفي، وحسه حساً فهو حسيس، مثل قتله قتلاً، فهو قتيل. وأحس الرجل الشيء إحساساً: علم به، يتعدّى بنفسه مع الألف. قال تعالى: ﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ ﴾ ، وربما زيدت فيه الباء فقيل: أحس به، على معنى: شعر به، وحسست به من باب قتل، لغة فيه، والمصدر: الحِسّ بالكسر، تعدى بالباء على معنى: شعرت أيضاً.

○ الإعـراب:

﴿ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ﴾ الظرف منتصب بفعل محذوف، قدّره بعضهم باذكر، وقدّره الزمخشري بقوله: نصب يوم بمضمر، أي: يوم نحشر، ونسوق، نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف. وقال غيره: العامل فيه قوله فيما بعد «لا يملكون» وجملة نحشر مضافة إلى الظرف، وفاعل نحشر ضمير مستتر تقديره: نحن، والمتقين مفعول به، وإلى الرحمن متعلقان بنحشر، ووفداً حال، وقد تكرر ذكر الرحمن في هذه السورة ست عشرة مرة. ﴿ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ﴾ عطف على الجملة السابقة، ووِرداً حال أيضاً، أي: واردين، كما يرد العطاش إليهم مشاة عطاشاً يكاد يقتلهم الظمأ. ﴿ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴾ الجملة مستأنفة مسوقة لتقرير حال الناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم، ولا علاقة لها بالفريقين المتقدمين، فلا نافية، ويملكون فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل تعود على الناس كلهم، والشفاعة مفعول به، وإلا أداة حصر، ومن اسم موصول محله الرفع على البدل من الواو أو النصب على الاستثناء المتصل، وجملة اتخذ صلة، وعند الرحمن ظرف متعلق بمحذوف هو المفعول الثاني لاتخذ، وعهداً هو

المفعول الأول، واختار أبو البقاء، والزمخشري أن يكون الاستثناء منقطعاً، هذا وقد اضطربت الأقوال في هذه الآية، ولهذا سنفرد بها بحثاً خاصاً في باب الفوائد. ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴾ جملة اتخذ الرحمن ولداً مقول القول، واتخذ الرحمن ولداً فعل وفاعل ومفعول به. ﴿ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴾ اللام موطئة للقسم، وقد حرف تحقيق، وجئتم فعل وفاعل، وشيئاً مفعول به، وإداً صفة ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴾ تكاد من أفعال المقاربة العاملة عمل كان، والسموات اسمها، وجملة يتفطرن خبرها، والنون فاعل، ومنه جار ومجرور متعلقان بيتفطرن، وتنشق الأرض فعل مضارع وفاعل، وتخر الجبال فعل مضارع وفاعل، وهداً مصدر في موضع الحال، أي: مهدودة، أو مفعول مطلق؛ لأنه مصدر على غير لفظ الفعل، وإنما هو مرادفه؛ لأن الخرور هو السقوط والهدم، واختار الزمخشري أيضاً أن يكون مفعولاً لأجله، أي: لأن تهد، وهدّ يستعمل متعدياً ولازماً، فعلى الوجه الأول هو متعد؛ لأنه صيغ منه معنى اسم المفعول، وعلى الثاني هو لازم؛ لأن خر لازم، ومرادفه يجب أن يكون مثله، فتأمّل هذا فإنه دقيق ﴿ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴾ أن وما في حيزها مصدر فيه ثلاثة أوجه البدلية من الهاء في منه، فهو كقوله:

على حالةٍ لو أنَّ في القوم حاتماً على جودِه لضنَّ بالماء حاتمِ

فقد روي حاتم مجروراً لأنه بدل من ضمير جوده ـ وسنتحدث في باب الفوائد عن هذا البيت ـ والنصب بنزع الخافض، والجار والمجرور في محل نصب مفعول لأجله علل الهدّ بدعاء الولد للرحمن، والرفع بأنه فاعل هداً، أي: هدها دعاء الولد للرحمن. ودعوا فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، وللرحمن متعلقان بدعوا، وولداً مفعول دعوا الثاني، والأول محذوف تقديره: معبودهم؛ لأن معنى دعوا سموا، وهي تتعدى لاثنين، ويجوز دخول الباء على الثاني، تقول: دعوت ولدي بزيد، ودعوت ولدي زيداً، وقال الشاعر:

دعتني أخاها أم عمرو ولم أكنْ أخاها ولم أرضعْ لها بلبان

وقال آخر:

ألا ربّ من يُدعى نصيحاً وإن يغبْ

تجدْه بغيبٍ منك غير نصيح

وقال الزمخشري: اقتصر على أحدهما الذي هو الثاني طلباً للعموم والإحاطة بكل ما دعا له ولداً، أو من دعا بمعنى الذي مطاوعه ما في قوله عليه الصلاة والسلام: «من ادعى إلى غير مواليه» وقول الشاعر:

إنَّا بني نَهْشَلٍ لا ندَّعي لأبٍ عنه ولا هو لا بالأبناءِ يشرينا

أي: لا ننتسب إليه.

﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ الواو حالية أو عاطفة، وما نافية، وينبغي فعل مضارع، وللرحمن متعلقان به، وأن يتخذ مصدر مؤول في محل رفع فاعل، وولداً مفعول به. ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ إن نافية، وكل مبتدأ، ومن مضاف إليه، وفي السموات والأرض متعلقان بمحذوف صلة من، ويجوز أن تكون من نكرة موصوفة بالجار والمجرور؛ لأنها وقعت بعد كل نكرة، ولعله أولى، وإلا أداة حصر، وآتي الرحمن خبر، وعبداً حال من الضمير المستتر في آتي. ﴿ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾ اللام موطئة للقسم، وقد حرف تحقيق، وأحصاهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به، وعدهم عطف على أحصاهم، وعداً مفعول مطلق. ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾ الواو عاطفة، وكلهم مبتدأ، وآتيه خبر، وكل إذا أضيف إلى معرفة ملفوظ بها نحو كلهم وكل الناس فالمنقول أنه يجوز أن يعود الضمير مفرداً على لفظ كل، فتقول: كلكم ذاهب، ويجوز أن يعود جمعاً مراعاة للمعنى، فتقول: كلكم ذاهبون، أما إن حذف المضاف المعرفة، فالمسموع من العرب الوجهان؛ لأن الأول أنكره بعضهم، ويوم القيامة ظرف متعلق بآتيه، وفرداً حال. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ إن واسمها، وجملة آمنوا صلة، وجملة عملوا الصالحات عطف

على آمنوا، وجملة سيجعل خبر إن، ولهم مفعول يجعل الثاني، والرحمن فاعل، ووداً مفعول يجعل الأول، وهذا الجعل بالنسبة للدنيا طبعاً، أي: يزرع في قلوبهم مودة من غير تودّد منهم. ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ الفاء الفصيحة لأنها عطفت على مقدر، كأنه قيل: بلغ هذا المنزل عليك، وبشّر به، وأنذر، فإنما يسرناه، وإنما كافة ومكفوفة، وقد أفادت التعليل لهذا المقدر، ويسرناه فعل ماض وفاعل ومفعول به، وبلسانك متعلقان بمحذوف حال، أي: جارياً، لتبشر اللام للتعليل، وتبشر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وبه متعلقان بتبشر، والمتقين مفعول به، وتنذر معطوف، وبه متعلقان بتنذر، وقوماً مفعول به، ولداً صفة ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ كم خبرية مفعول مقدم لأهلكنا، وقبلهم ظرف متعلق بأهلكنا، ومن قرن تمييز، وقد تقدم تقريره، والمراد: أمة. ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ هل حرف للاستفهام الإنكاري، وتحس فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: أنت، ومنهم حال لأنه كان صفة لأحد، ومن حرف جر زائد، وأحد مجرور بمن لفظاً مفعول به منصوب محلاً، أو حرف عطف، وتسمع عطف على تحس، ولهم حال، وركزاً مفعول به.

□ **البلاغة:**

انطوت خواتيمُ سورة مريم على فنون عديدة:

أولها: التكرار، فقد تكرر ذكر الرحمن، كما قلنا ست عشرة مرة في السورة، معظمها في خواتيمها، والفائدة فيه أنه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره، وخلق لهم جميع متطلباتهم التي بها قوام معايشهم، فهل اعتبر الإنسان؟ أم لا يزال الغطاء مسدولاً على عينيه، والوقر يغشى أذنيه؟ فمن أضاف إليه ولداً جعله كالأناسي المخلوقة، وأخرجه بذلك عن استحقاق هذا الاسم الجدير به وحده.

وثانيها: الالتفات في قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ﴾ التفت من الغيبة إلى الخطاب

لمشافهتهم بالأمر المنكر الذي اجترحوه، والبدع العجيب الذي ارتكبوه.

* الفوائـد:

١ ـ قلنا: إن أقوال المعربين اضطربت في قوله تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ إلى آخر الآية، وقد اخترنا ما رأيناه ـ في نظرنا ـ أمثل الأوجه، وننقل فيما يلي لمعاً من أقوالهم مع التعليق عليها بما يناسب المقام، فقد تورّط الزمخشري ـ وجلّ المعصوم ـ بقوله: ويجوز أن تكون ـ أي الواو في يملكون ـ علامة للجمع كالتي في أكلوني البراغيث؛ من جهتين:

الأولى: إنه نسب إلى القرآن ـ وهو أبلغ الكلام ـ أردأ اللغات، وأشدها نكراً، حتى لقد ضرب المثل بقبحها.

والثانية: إنه إذا جعله علامة لمن فقد كشف معناه، وأفصح بأنها متناولة جمعاً، ثم أعاد على لفظها بالإفراد ضمير اتخذ، ففيه الإعادة على لفظها بعد الإعادة على معناها بما يخالف ذلك، وهو مستنكر عندهم؛ لأنه إجمال بعد إيضاح، وذلك تعكيس على طريق البلاغة، وإنما محجتها الواضحة الإيضاح بعد الإجمال.

وقال البيضاوي: «إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً» إلا من تحلّى بما يستعد به، ويستأهل أن يشفع للعصاة من الإيمان، والعمل الصالح على ما وعد الله تعالى، أو إلا من اتخذ من الله إذناً فيها، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ من قولهم: عهد الأمير إلى فلان بكذا: إذا أمره به، ومحل الرفع على البدل من الضمير، أو النصب على تقدير مضاف، أي: إلا شفاعة من أخذ. وهو شبيه بالرأي الذي جنحنا إليه، إلا أنه جنح إلى القول بأن الاستثناء منقطع.

وعبارة أبي حيان: والضمير في «لا يملكون» عائد على الخلق الدال عليهم ذكر المتقين والمجرمين إذ هم قسماه، والاستثناء متصل، ومن بدل من ذلك

الضمير، أو نصب على الاستثناء، ولا يملكون استئناف إخبار. ثم أورد أقوالاً عديدة نضرب عنها صفحاً.

وقال أبو البقاء: لا يملكون حال إلا من اتخذ في موضع نصب على الاستثناء المنقطع، وقيل: هو متصل على أن يكون الضمير في يملكون للمتقين والمجرمين، وقيل: هو في موضع رفع بدلاً من الضمير في يملكون.

وفي الكرخي شارح الجلالين: قوله ـ أي: الناس ـ قدره تمهيداً لجعل الاستثناء في قوله «إلا من اتخذ» متصلاً لدلالة ذكر الفريقين المتقين والمجرمين إذ هما قسماه، وقيل: ضمير يملكون عائد على المجرمين المراد بهم الكفار، قال بعضهم: لا يمكلون أن يشفعوا لغيرهم كما يملك المؤمنون. وحسبنا ما تقدم، فقد طال مجالُ القول.

٢ ـ عودة إلى بيت الفرزدق:

ونعودُ إلى بيت الفرزدق، وهو من أبيات له يعتذر عما وقع منه في السفر مع دليله عاصم العنبري، حين ضلّ عن الطريق، والأبيات هي:

فلما تَصافنَّا الإداوةَ أَجْهَشَتْ ... إليَّ غُضُونُ العَنْبَرِيِّ الجُواضِمِ
فجاء بجلمودٍ له مثل رأسِه ... ليشرب ماء القوم بين الصّرائمِ
على حالةٍ لو أنَّ في القوم حاتماً ... على جودِه لضنَّ بالماء حاتمِ

والتصافن: اقتسام الماء القليل بالصفن، وهو وعاء صغير لنحو الوضوء، والإداوة: ظرف الماء، وجمعها أداوي، وإيقاع التصافن عليها مجاز؛ لأنها محل الماء، والمراد: تقاسمنا الماء، فهو مجاز مرسل علاقته المحلية. والجهش والإجهاش: تضرّع الإنسان إلى غيره، وتهيئته للبكاء إليه كالصبي إلى أمه وغضون الجلد: مكاسره، وإسناد الإجهاش إليها مجاز عقلي، أو مجاز مرسل علاقته المحلية أيضاً؛ لأنها محل ظهور أثره، والجراضم: واسع البطن، كثير الأكل، والمراد بالجلمود: إناء صلب كبير مثل رأسه، أي: رأس العنبري، وفيه إشارة بارعة إلى حمقه؛ لأن إفراط الرأس في العظم أمارة البلادة، وفي الصلابة أيضاً إشارة إلى ذلك، وقوله بين الصرائم جمع صريمة، وهي: منقطع

الرمل إشارة إلى أنهم كانوا في مفازة عمياء، لا ماء بها على حالة ضنكة، بحيث لو ثبت في تلك الحالة أن حاتماً في القوم مع جوده المشهور لبخل بالماء، وعلى بمعنى في، ورواية المبرد في «كامله»: على ساعة.

* * *



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿الْعُلَى﴾ : ويجوز كتابتها بالياء والألف؛ لأن الفعل علا يعلو، وعلي يعلى، وهي المرتبة والرفعة. وقال السيوطي وأبو البقاء: هي جمع عليا ككبرى، وكبر، فكتبت بالياء.

﴿اسْتَوَىٰ﴾ : لها في اللغة معان كثيرة، قال في القاموس: استوى الشيء: اعتدل واستقام، يقال: سويت الشيء فاستوى، واستوى الرجل: استقام أمره، وانتهى شبابه، وبلغ أشده، واستوى عليه: ظهر واستولى، واستوى

على ظهر الدابة: استقر، يقال: استوى على سرير الملك كناية عن التملك، واستوى إلى الشيء: قصده: واستوت به الأرض: هلك ودفن فيها، و استوى الطعام: نضج. وأصل الفعل الثلاثي سوِي يَسْوَى سوىً الرجل: استقام أمره.

وقال في الأساس: استوى الشيئان، وتساويا، وساوى أحدهما صاحبه وفلان يساويك في العلم، وساوى بين الشيئين، وسوّى بينهما، وساويت هذا بهذا، وسويته. قال الراعي:

بجُـردٍ عليهـنّ الأجلّـة سُـوِّيـت
بضيـفِ الشتـاء والبنين الأصـاغِـر

أي: يصونها صيانة الضيوف والأطفال. وسويت المعوج فاستوى، ورزقك الله تعالى ولداً سوياً: لا داء به ولا عيب، وهما على سوية من الأمر وسواء، وفيه النصفة والسوية، وهما سَواء، وهم سواسية في الشر، وأنتما سيان، وما هو بسيّ لك، وفعل القوم كذا، ولا سيما زيد، ومكان سِوىً: وسط بين الحدّين، وجاؤوا سوى فلان وسَواءَه ﴿فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ في وسطها، وضرب سواءَه: وسطه، وضربه على مستوى مَفْرِقه، قال بعض بني أزنم:

نحـنُ مـن خير مَعَـدٍّ نسبـاً ولنا قِدْماً على الناس المَهَلْ
إذ ضـربْنـا الصِّمَّـةَ الخيـرَ على مُستوى مَفْـرِقـه حتى انْجَدَلْ

ورجل سَواء القَدَم: مستويها ليس لها أَخْمص. ومن المجاز: إذا صليتُ الفجر استويتُ إليك: قصدتك قصداً لا ألوي على شيء ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ واستوى على الدابة، والفراش، والسرير، وانتهى شبابه، واستوى، واستوى على البلد. وسيأتي المراد به في الآية في باب البلاغة.

﴿ٱلثَّرَىٰ﴾: في المصباح: الثرى وِزان الحصى: ندى الأرض، وأثرت الأرض بالألف: كثر ثراها، والثرى أيضاً: التراب الندي، فإن لم يكن ندياً فهو تراب، ولا يقال له حينئذ ثرى. وفيه أيضاً: نديت الأرض ندى، من

باب تعب، فهي ندية مثل تعبة، ويعدّى بالهمز والتضعيف، وأصابها نداوة ونُدوة بالضم والتثقيل. وفي الأساس واللسان وغيرهما: شهر ثَرَى، وشهر تَرَى، وشهر مَرْعى، أي: تكون الأرض ندية أولاً، ثم تُرى الخضرة، ثم يطول النبات حتى يصلح للراعية، وثَرَى المطر التراب يثريه وهو مَثْري، وثرِي التراب فهو ثَرٍّ، وثرَّيت التراب نديته، وثرّيت السويق.

﴿وَأَخْفَى﴾ سيأتي الكلام فيها في باب الإعراب.

○ الإعـراب:

﴿طه﴾ تقدم القول في فواتح السور وإعرابها. ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ ما نافية، وأنزلنا فعل وفاعل، وعليك متعلقان بأنزلنا، والقرآن مفعول به، ولتشقى اللام للتعليل، وتشقى فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، وسيأتي المراد بالشقاء في باب الفوائد. ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ إلا أداة حصر، وتذكرة مفعول لأجله، والاستثناء منقطع، قال أبو البقاء: ولا يجوز أن يكون مفعولاً من أجله لأنزلنا المذكورة؛ لأنها قد تعدّت إلى مفعول له وهو لتشقى، فلا تتعدى إلى آخر من جنسه، ولا يصح أن يعمل فيها لتشقى لفساد المعنى، وقيل: تذكرة مصدر في موضع الحال، واختار الزمخشري أن تكون تذكرة مفعولاً لأجله، قال:

وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل، إلا أن الأول وجب مجيئه مع اللام؛ لأنه ليس لفاعل الفعل المعلل، ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية، والثاني جاز قطع اللام عنه، ونصبه لاستجماع الشرائط.

وعلى هذا جرى معظم المعربين والمفسرين، قال الكرخي في تعليقه على عبارة الجلال السيوطي: «أشار إلى أن الاستثناء منقطع، وأن تذكرة مفعول من أجله، والعامل أنزلناه المقدر لا المذكور وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة لقوله ما أنزلنا وتعدى في لتشقى باللام لاختلاف العامل؛ لأن ضمير أنزلنا لله، وضمير لتشقى للنبي، فلم يتحد الفاعل، واتحد في تذكرة؛ لأن المذكر هو الله تعالى، وهو المنزل فنصب بغير لام.

وأنكر أبو علي الفارسي أن يكون مفعولاً لأجله، أو بدلاً من لتشقى قال: وإنما هو منصوب على المصدرية، أي: أنزلناه لتذكر به تذكرة، وإنما أوردنا هذه الأقوال على تباينها وتدافعها؛ لأننا لم نستطع الترجيح بينها.

﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف، وتقديره: نزلناه تنزيلاً، فحذف وجوباً على حدّ قول ابن مالك:

والحـذفُ حَتْـمٌ مَـعَ آتٍ بَـدَلا مِنْ فِعْلِه كَـنَدْلاً الـلَّذْ كانْـدُلا

وأجاز الزمخشري فيه وجوهاً كلها واردة فقال: في نصب تنزيلاً وجوه: أن يكون بدلاً من تذكرة إذا جعل حالاً، لا إذا كان مفعولاً له؛ لأن الشيء لا يعلل بنفسه، وأن ينصب بنزل مضمراً، وأن ينصب بأنزلنا؛ لأن معنى ما أنزلناه إلا تذكرة أنزلناه تذكرة، وأن ينصب على المدح والاختصاص، وأن ينصب بيخشى مفعولاً به، أي: أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله، وهو معنى حسن وإعراب بين» وممن متعلقان بتنزيلاً، وجملة خلق الأرض، والسموات صلة، والعلى صفة. ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ الرحمن خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو، أو مبتدأ، وعلى العرش متعلقان باستوى، وجملة استوى خبر ثان لـ «هو» المقدرة، أو خبر الرحمن، وسيأتي معنى الاستواء على العرش في باب الفوائد. ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾ له خبر مقدم، وما مبتدأ مؤخر، وفي السموات صلة، وما في الأرض عطف على ما في السموات وما بينهما كذلك، وما عطف على ما، وتحت الثرى ظرف متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ الواو استئنافية مسوقة لبيان شرع الله تعالى في دعائه، وإن شرطية، وتجهر فعل الشرط، وفاعله مستتر تقديره: أنت، وبالقول جار ومجرور متعلقان بتجهر، فإنه: الفاء رابطة لأن الجواب جملة اسمية، وإن واسمها، وجملة يعلم السر خبرها، وأخفى عطف على السر، أي: أخفى منه، فهو اسم تفضيل من خفي بمعنى استتر وغاب، وأجاز بعضهم أن يكون فعلاً ماضياً، أي: وأخفى الله من عباده غيبه، وعندنا أن ذلك غير جائز؛ لأنه

من جهة اللفظ يلزم منه عطف الفعلية على الاسمية إن كان المعطوف عليه، هو الجملة الكبرى، أو عطف الماضي على المضارع إن كان المعطوف عليه الجملة الصغرى، وكلاهما دون الأحسن، ومن جهة المعنى واضح أن المقصود الحضّ على ترك الجهر بإسقاط فائدته من حيث إن الله يعلم السر، وما هو أخفى منه، فكيف يبقى للجهر فائدة، وكلاهما على هذا التأويل مناسب لترك الجهر، وأما إذا جعل فعلاً، فيخرج عن مقصود السياق، واعلم أنهم قد يحذفون من من افعل؛ إذا أريد به التفضيل، ومعنى الفعل وهم يريدونها، فتكون كالمنطوق بها، نحو: زيد أكرم وأفضل، فلم تأت بألف ولام، كما لم تأت بها مع من؛ لأن الموجود حكماً كالموجود لفظاً، أي: يعلم السرّ وأخفى منه، والذي يدل على إرادة من أن أخفى لا ينصرف، كما لا ينصرف آخر، من قولك: مررت برجل آخر؛ إذا أردت من معه وإن لم تذكره، وإنما نكّره للمبالغة في الخفاء. ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الله مبتدأ، وجملة لا إله إلا هو الاسمية خبر، وقد تقدم إعراب لا إله إلا هو مفصلاً، وله خبر مقدم، والأسماء مبتدأ مؤخر، والحسنى صفة للأسماء، والجملة خبر ثان. ومعلوم أن جمع التكسير في غير العقلاء يُعامل معاملة المؤنثة الواحدة.

* الفوائـد:

١ ـ روى التاريخ: أن أبا جهل والنضر بن الحارث قالا له: إنك شقي؛ لأنك تركت دين آبائك، فأريد ردّ ذلك بأن دين الإسلام، وهذا القرآن هو المعلّم إلى نيل كل فوز، والسبب في إدراك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها. وروي أنه عليه الصلاة والسلام صلّى بالليل حتى اسمغدَّت قدماه، أي: تورمت كما في الصحاح، فقال له جبريل عليه السلام: أبقِ على نفسك فإن لها عليك حقاً، ويحتمل أن يراد: لا تتعب نفسك بفرط أسفك على كفر قريش؛ إذ ما عليك إلا البلاغ، ولم يكتب عليك أن يؤمنوا بعد أن لم تفرط في أداء الرسالة، وإسداء الموعظة الحسنة. والشقاء يجيء في

معنى التعب. قال ابن كيسان: وأصل الشقاء في اللغة: العناء والتعب، ومنه قول المتنبي:

ذو العقـلِ يشقـى في النعيـمِ بعقلـه
وأخـو الجهـالـةِ في الشَّقـاوة ينعـمُ

٢ ـ الاستثناء المنقطع:

استثناء الشيء من غير جنسه لا معنى له، ولا مورد من ذلك، فليس فيه «إلا» للاستثناء على سبيل الأصل، وإنما هي بمعنى «لكن»، وهو ما يسمونه «الاستثناء المنقطع» ومع ذلك فلا بُدَّ من الارتباط بين المستثنى منه والمستثنى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۞ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ أي: لكن أنزلناه تذكرة، فتذكرة مستثنى من المصدر المؤول من تشقى بأن المضمرة بعد لام التعليل؛ لأن المعنى: ما أنزلنا القرآن لشقائك.

﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ءَانَسْتُ ﴾: أبصرت، والإيناس: الإبصار البين الذي لا شبهة فيه، ومنه إنسان العين؛ لأنه يبصر به الأشياء، وقال جرير:

إنَّ العيـونَ التـي في طَـرْفِهـا حَـوَرٌ
قَتَلْنَنـا ثـمَّ لمْ يُحْيِيْـنَ قَتْـلانـا

يَصْـرَعْنَ ذا اللُّـبِّ حتى لا حراكَ بـه
وهـنَّ أضعـفُ خَـلْـقِ اللَّـهِ إنسـانـا

وفي قوله «إنسانا» تورية بديعة.

﴿ بِقَبَسٍ﴾ : القبس: الجذوة من النار.

﴿طُوًى﴾ : اسم علم للوادي، ويقرأ بغير تنوين على أنه معرفة مؤنث علم للبقعة، وقيل: هو معدول وإن لم يعرف لفظ المعدول عنه، فكأن أصله طاوي، فهو في ذلك كجمع وكتع. وقال في القاموس: وطوى ـ بالضم والكسر، وينون ـ وادٍ بالشام. وقال علماء النحو: وأما طوى فمن منع صرفه فالمعتبر فيه التأنيث باعتبار البقعة لا العدل عن طاو، ولأنه ـ أي: العدل ـ قد أمكن غيره، وهو التأنيث، فلا وجه لتكلّف العدل.

﴿ أُخْفِيهَا﴾ : سيأتي الكلام عنها في الإعراب.

﴿ فَتَرْدَىٰ ﴾ : في «المختار»: ردي من باب صدي، أي: هلك، وأرداه غيره، وردي في البئر، تردى، يردي: إذا سقط فيها، أو: تهوّر من جبل.

○ الإعراب:

﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ الواو للاستئناف، والجملة استئنافية مسوقة لسرد قصة موسى؛ ليتأسى به النبي ﷺ في تحمّل أعباء النبوة، وتكاليف الرسالة، والصبر على مقاساة الشدائد، ومعاناة الأهوال، وأتاك فعل ومفعول به، وحديث موسى فاعل، والاستفهام للتقرير، ومعناه: أليس قد أتاك حديث موسى؟ وقيل معناه: قد أتاك حديث موسى. ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ الظرف متعلق بالحديث؛ لأنه حدث أو بمضمر تقديره: اذكر، وجملة رأى مضاف إليها الظرف، وناراً مفعول به، فقال عطف على رأى، ولأهله متعلقان بقال، وجملة امكثوا مقول القول، وجملة إني تعليل للأمر بالمكوث، وإن واسمها، وجملة آنست خبرها، وناراً مفعول به. ﴿ لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ لعل واسمها، وجملة آتيكم

خبرها، ومنها متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة للقبس، أو حرف عطف، وأجد معطوف على آتيكم، وفاعل أجد مستتر تقديره: أنا، وعلى النار جار ومجرور متعلقان بأجد، وهي على مكانها للاستعلاء، على حدّ قول الأعشى:

لعمري لقد لاحتْ عيونٌ كثيرةٌ إلى ضوءِ نارٍ في يفاعٍ تحرقُ
تُشَبُّ لمقرورَيْن يَصْطَلِيانها وبات على النار النَّدَى والمُحَلَّقُ

أي أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها، كما قال سيبويه في: مررت بزيد أنه لصوق بمكان يقرب من زيد. وهدى مفعول به، أي: يهديني الطريق، ويدلني عليها. قال الفراء: أراد هادياً، فذكره بلفظ المصدر، أو عبر بالمصدر لقصد المبالغة على حذف المضاف، أي: ذا هدى. ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ الفاء عاطفة على محذوف، والتقدير: فيمم شطر النار، ولما ظرفية حينية، أو رابطة، وأتاها فعل، وفاعل مستتر، ومفعول به، وجملة نودي لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، ويا موسى حرف نداء ومنادى. ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ إن واسمها، وأنا تأكيد للضمير، أو مبتدأ، وربك خبر إني، أو خبر أنا، والجملة خبر إن، والأول أولى، فاخلع الفاء الفصيحة، واخلع فعل أمر، وفاعل مستتر، ونعليك مفعول به، وجملة إنك تعليل للخلع، وإن واسمها، وبالوادي خبرها، والمقدس صفة، وطوى بدل أو عطف بيان، وقد تقدم القول في منعه من الصرف، أو عدم منعه في باب اللغة. ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ الواو عاطفة، وأنا مبتدأ، وجملة اخترتك من الفعل والفاعل والمفعول به خبر، فاستمع: الفاء عاطفة، واستمع فعل أمر، والفاعل مستتر تقديره: أنت، ولما متعلقان باستمع، وجملة يوحى صلة، ويُوحى بالبناء للمجهول. ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ الجملة بدل من «ما» في «لما يوحى»، وإن واسمها، وأنا تأكيد للضمير، أو مبتدأ، والله خبر إنني، أو خبر أنا، والجملة خبر إن، وجملة لا إله إلا أنا خبر ثان، فاعبدني: الفاء الفصيحة،

واعبدني فعل أمر، وفاعل مستتر، والنون للوقاية، والياء مفعول، وأقم الصلاة عطف على اعبدني، ولذكري متعلقان بأقم، وهو مصدر مضاف لمفعول، أي: لتذكرني فيها، وقيل: المصدر مضاف للفاعل، أي: لذكري إياك. ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ إن واسمها وخبرها، وأكاد فعل مضارع ناقص من أفعال المقاربة، واسمها مستتر تقديره: أنا، وجملة أخفيها خبر أي، أريد إخفاء وقتها، أو أقرب أن أخفيها، فلا أقول إنها آتية، ويجوز أن يراد أكاد أظهرها، وفعل أخفي من الأضداد، وسيرد له مزيد بحث في باب البلاغة، ولتجزى: اللام للتعليل، وتجزى فعل مضارع منصوب بأن مضمرة، وهو متعلق بأخفيها أو بآتية، وجملة أكاد أخفيها اعتراضية بينهما، وكل نفس نائب فاعل، وبما متعلقان بتجزى، وجملة تسعى صلة، ويجوز أن تكون ما مصدرية، أي: بجزاء سعيها على حذف مضاف. ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ الفاء الفصيحة، ولا ناهية، ويصدنك فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد، وهو في محل جزم بلا الناهية، والكاف مفعول به، وعنها متعلقان بيصدنك، ومن فاعل وجملة لا يؤمن صلة وبها متعلقان بيؤمن، واتبع هواه فعل وفاعل مستتر ومفعول به، فتردى: الفاء فاء السببية، وتردى فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء بفتحة مقدرة على الألف.

□ **البلاغة:**

فن الإبهام:

في قوله تعالى: ﴿ لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾ وهو فن رفيع ينطوي على الكثير من جلائل المعاني ودقائقها، وهو ضد الإيجاز، وضد الإطناب، وحدّه أن يأتي المتكلم إلى المعنى الواحد الذي يمكنه الدلالة عليه باللفظ القليل، فيدلّ عليه باللفظ الكثير، لا لقصد إفهام البليد، وسماع البعيد، ولا للتقرير والتوكيد، بل للإتيان بمعنى يتشعب إلى عدة أمور، كل واحد منها مستقل المفهومية، فقد قال: لعليّ آتيكم منها بقبس، ولم يبتّ في

الأمر؛ لئلا يعد ما ليس بمستيقن من الوفاء به. وما أجملها حكمة تكون درساً للذين يكيلون الوعود جزافاً، ولا يفكرون في الوفاء بها! ثم قال: لعلّي أجد على النار هدى، وهذا يحتوي على معنى آخر، ثم يتشعب، فالهداية هي المعنى الرئيسي، ثم إن الهداية قد تكون بالنار نفسها بخاصة الإضاءة الكامنة فيها، وإما بواسطة القوم؛ الذين يقومون بإيقادها، ويفهم من هذا ضمناً أنه ضلّ مع أهله الذين يرافقونه، وهم امرأته بنت شعيب، وقد ولدت في الطريق ابناً في ليلة شاتية مظلمة باردة، وقيل: مثلجة، فلما أسقط في يده آنس النار، فقال ما قال، ثم قد يقصد بالهداية معناها المجازي الآخر، أي: لعلي أهتدي بنور العلم؛ لأن أفكار الأبرار مغمورة بالهمم، فتبارك قائل هذا الكلام.

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ إبهام، وهو فن عجيب يقول فيه المتكلم كلاماً يحتمل معنيين متغايرين، لا يتميز أحدهما عن الآخر، فكلمة أخفيها أولاً تعني أمور منها:

أ ـ أي: أكاد أخفيها، فلا أقول هي آتية لفرط إرادتي إخفاءها، ولولا ما في الإخبار بإتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما أخبرت به.

ب ـ أكاد أخفيها عن نفسي.

ثم إنه جاء في بعض اللغات أخفاه بمعنى خفاه، فهي من الأضداد، أي: أكاد أظهرها لقرب وقتها، وبه فسّر قول امرىء القيس:

فإنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لا نَخْفِه وإن تَبْعثوا الحربَ لا نَقْعُدِ

أي: إن تكتموا الضغائن التي بيننا نكتمها نحن أيضاً، ولا نظهرها.

على أن أحسن محامل الآية الكريمة هو أن يكون المراد: أكاد أزيل خفاءها، أي: أظهرها؛ إذ الخفاء الغطاء، وهو أيضاً ما تجعله المرأة فوق ثيابها يسترها، ثم تقول العرب: أخفيته؛ إذا أزلت خفاءه، كما تقول: أشكيته، وأعتبته؛ إذا أزلت شكايته، وعتبه.

قال أبو علي القالي: وقال اللحياني: خَفَيتُ الشيء أخفيه خَفْياً وخُفياً: إذا

استخرجته وأظهرته، وأنشد لامرىء القيس:

خَـفَـاهُـنَّ مِنْ أَنْـفـاقِـهِنَّ كأنَّما　　خَفَاهُنَّ وَدْقٌ مِن سحابٍ مُركَّبِ

قال أبو علي: وغيره يروي: مِن عَشِّي مُجَلَّبِ، أي: مصوت. ويقال: اختفيت الشيء، أي: أظهرته، وأهل الحجاز يسمون النباش: المختفي لأنه يستخرج أكفان الموتى، وأخفيت الشيء أخفيه إخفاء؛ إذا سترته، قال الله عز وجل: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ وهي قراءة العامة، أي: أظهرها. وقال أبو عبيدة: أخفيت الشيء: كتمته وأظهرته، ويقال: دعوت الله خُفية وخِفية، أي: في خفض.

مجموعة من الأضداد في اللغة:

هذا، ومن الأضداد: الجلل للعظيم ولِلْهَيِّن، فمن الأول قول الشاعر:

ولئـن عَفَـوْتُ لأَعْفُـوَنْ جَلَـلاً　　ولئِنْ سَطَوْتُ لأُوهِنَنْ عَظْمي

ومن الثاني قول امرىء القيس لما قتل أبوه:

بِقَتْـلِ بنـي أَسَـدٍ رَبَّهُـم　　أَلاَ كُـلُّ شيءٍ سِـواهُ جَلَـل

ومنها: غابر: للذاهب والآتي، والجون: للأبيض والأسود، والبين: للبعد والقرب، والصريم: الليل والنهار، والناصع: الأبيض والأسود، والأمم: للعظيم واليسير، والناهل: للريان والظمآن، ووراء: بمعنى قدام وخلف، وبعت الشيء: إذا بعته من غيرك، وبعته: اشتريته، وشعبت الشيء: أصلحته وشققته، والصارخ: للمستغيث والمغيث، والهاجد: للمصلي بالليل والنائم، والوهدة: الارتفاع والانحدار، والتعزير: للإكرام والإهانة، والتقريظ: للمدح والذم، وترب: للغني والفقير، والإهماد: للسرعة في السير والإقامة، وعسعس: إذا أقبل وإذا أدبر، والقرء: للحيض والطهر.

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ

بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿وَأَهُشُّ﴾: في المصباح: هشّ الرجل هشّاً من باب رد: صال بعصاه، وفي التنزيل: ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ وهش الشجرة هشاً: ضربها ليتساقط ورقها، وهش الشيء يهش من باب تعب هشاشة: لان واسترخى، فهو هش. وهش العود يهشّ أيضاً هشوشاً: صار هشاً؛ سريع الكسر، وهش الرجل هشاشة: إذا ابتسم، من بابي: تعب، وضرب.

﴿جَنَاحِكَ﴾: سيأتي تفسيرها في باب البلاغة.

○ الإعـراب:

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ الواو عاطفة، وما اسم استفهام للتقرير مبتدأ، وتلك خبره، وبيمينك متعلق بمحذوف حال، وهي تشبه قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ والعامل في الحال المقدرة اسم الإشارة، ويا موسى نداء، فما اسم نكرة في موضع رفع بالابتداء، والتقدير: أي: شيء تلك بيمينك، وهي مبنية لتضمّنها همزة الاستفهام، وإنما جيء بها لضرب من الاختصار، وذلك أنك إذا قلت: ما بيدك؟ فكأنك قلت: أعصا بيدك أم سيف أم خنجر؟ ونحو ذلك مما يكون بيده، وليس عليه إجابتك عما بيده إذا لم تأت على المقصود، فجاؤوا بما، وهو اسم واقع على جميع مالا يعقل مبهم فيه، وضمّنوه همزة الاستفهام، فاقتضى الجواب من أول وهلة، فكان فيه من الإيجاز ما ترى. ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ هي مبتدأ، وعصاي خبره، وجملة أتوكأ عليها حالية، وقيل: مستأنفة، وأهش بها على غنمي عطف على أتوكأ عليها، وبها متعلقان بأهش، وكذلك على غنمي، وتعدية أهش بعلى يفيد معنى التهويل والتخويف للغنم. ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ

أُخْرَىٰ﴾ هذا هو الجواب الرابع الذي أجاب به موسى عن سؤال واحد، وسيأتي سرُّ ذلك في باب البلاغة، ولي خبر مقدم، وفيها حال، ومآرب جمع مأربة بتثليث الراء مبتدأ مؤخر، وأخرى صفة لمآرب، وهذه المآرب الأخرى سيرد قسم كبير منها في باب البلاغة، كما يرد تلخيص مفيد لكتاب العصا للجاحظ. ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ﴾ جملة ألقها مقول القول، ويا موسى نداء. ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ ألقاها فعل وفاعل ومفعول به، والفاء عاطفة، وإذا للمفاجأة، وهل هي ظرف أم حرف؟ تقدّم بحث ذلك مفصّلاً، وهي مبتدأ، وحية خبر، وجملة تسعى حال، أو خبر ثان، وقد تقدّم ذِكْرُ المسألة الزنبورية بين سيبويه والكسائي. ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ جملة خذها مقول القول والواو حرف عطف، ولا ناهية، وتخف فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، والسين حرف استقبال، ونعيدها فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: نحن، وسيرتها منصوب بنزع الخافض، أي: إلى سيرتها، وهذا أسهل الأعاريب، وقيل: هي ظرف، قالوا: السيرة من السير كالركبة من الركوب، يقال: سار فلان سيرة حسنة، ثم اتسع فيها فنقلت إلى معنى المذهب والطريقة، وقيل: سير الأولين فنصبت على الظرف، أي: سنعيدها في طريقتها الأولى. وأجاز آخرون كأبي البقاء، وبه بدأ أن تكون بدل اشتمال من ضمير المفعول؛ لأن معنى سيرتها: صفتها وطريقتها، وأتى الزمخشري بإعراب آخر مهّد له وحسنه قال: ووجه ثالث حسن، وهو أن يكون سنعيدها مستقلاً بنفسه غير متعلق بسيرتها، بمعنى أنها أنشئت أول ما أنشئت عصا، ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية، فسنعيدها بعد ذهابها كما أنشأناها أولاً، ونصب سيرتها بفعل مضمر، أي: تسير سيرتها الأولى. والأولى صفة لسيرتها على كل حال. ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ واضمم عطف على ألقها، ويدك مفعول به، والفاعل مستتر تقديره: أنت، وإلى جناحك جار ومجرور متعلقان باضمم، وتخرج جزم لأنه جواب الطلب، وبيضاء حال، ومن غير سوء متعلقان ببيضاء لما فيها من معنى الفعل، نحو: ابيضت من غير سوء، وليكون الاحتراس كاملاً كما

سيأتي في باب البلاغة، أو متعلقان بتخرج، وآية حال ثانية من فاعل تخرج أيضاً، وأخرى صفة لآية، واختار الزمخشري وجهاً آخر لنصب آية وهو: بإضمار، نحو: خذ أو دونك، وما أشبه ذلك ولا نرى داعياً لذلك. ﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴾ اللام للتعليل، ونريك فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، وهو تعليل لمحذوف متعلق به، أي: أمرناك بما ذكرنا لنريك بها، أي: بيدك، ومن آياتنا متعلقان بمحذوف على أنه حال من الكبرى، وتكون الكبرى على هذا مفعولاً ثانياً لنريك، أو صفة للمفعول الثاني على الأصح، والتقدير: لنريك الآية الكبرى من آياتنا، أي: حال كونها من آياتنا، وقيل غير ذلك، وما ذكرناه أولى، فلا داعي لذكره.

□ **البلاغة:**

قد تستوعب هذه الآية أجلاداً ضخمة؛ لما انطوت عليه من ضروب البلاغة، وذلك ما لانهدف إليه من كتابنا، ولكننا سنجتزىء بقدر الإمكان فنقول:

١ ـ فن التلفيف:

في قوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ إلى آخر ما أجاب به موسى صلوات الله عليه من الأجوبة الأربعة فن طريف، لم يرد ذكره حتى الآن، وهو فن التلفيف، وحدّه: إخراج الكلم مخرج التعليم بحكم أو أدب لم يرد المتكلم ذكره، وإنما قصد ذكر حكم خاص داخل في عموم الحكم المذكور الذي صرّح بتعليمه. وهذا التعريف المطول نعتقد أنه يحتاج إلى بيان، وهو أن يسأل السائل عن حكم هو نوع من أنواع جنس تدعو الحاجة إلى بيانها كلها، أو أكثرها، فيعدل المسؤول عن الجواب الخاص عما سُئِل عنه من تبيين ذلك النوع، ويجيب بجواب عام يتضمن الإبانة على الحكم المسؤول عنه وعن غيره بدعاء الحاجة إلى بيانه، فقول موسى جواباً عن سؤال الله تعالى له: ﴿ هِيَ عَصَايَ ﴾ هو الجواب الحقيقي للسؤال، ثم قال: ﴿ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴾ فأجاب عن سؤال مقدر، كأنه توهم أن يقال له: وما تفعل

بها؟ فقال معدّداً منافعها، ولم يقع ذلك من موسى عليه السلام إلا لأمور ثلاثة:

أ ـ بغية الشكر لله تعالى؛ الذي رزقه تلك العصا التي وجد فيها من المآرب مالا يُوجد في مثلها.

ب ـ أن المقام مقام خطاب الحبيب، وهو يقتضي البسط والإسهاب.

جـ ـ تعظيم مساءلة ربه له عن منافعها، فابتدأه بالجواب عن السؤال المقدر قبل وقوعه أدباً مع ربه.

والواقع أن السؤال إذا كان وارداً على شيء ظاهر، فذلك السؤال إنما يتوجّه إلى أمر يتعلق به بحسب مقتضى الحال، وإلا كان عبثاً لظهوره، كما إذا سألت شخصاً عن لبس ثياب السفر بقولك: ما هذا الثوب؟ فإنك لا تسأل عن نفس الثوب وما هيته، بل إنما سألت عن سبب لبسه، فكأنك قلت: ما سبب عزيمتك؟ فجواب اللابس حينئذ أن يقول: أريد سفر كذا، ولو أجاب بأنه كتان مثلاً عدّ لاغياً، فكذلك ها هنا لما كان السؤال عن أمر ظاهر، فيكون متوجهاً إلى ما يتعلق بالعصا من منافعها، فكأنه قال: ما تفعل بما في يمينك يا موسى؟ فلذلك قال: ﴿هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا. . .﴾ الآية، فإن قلت: لو كان قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾ سؤالاً عما يتعلق بالعصا، فكان حقّ الجواب أن يقول: أريد أن أتوكأ عليها، وأهش بها على غنمي، ولكان قوله: ﴿هِىَ عَصَاىَ﴾ ضائعاً غير مطابق للسؤال، كما في السؤال عن لبس السفر.

قلت: هذا السؤال وإن كان عما يتعلق بالعصا، لكنه تعالى لما علم أنه سيرّد عليها الصورة الثعبانية عند سحر السحرة، وكان ذلك مقام أن يخاف موسى بمشاهدة الصورة المنكرة؛ التي ليس يعهدها، فأراد تثبيت ماهيتها وعوارضها في نفسه لئلا يدهش عند ورودها عليه، فلذلك قال: ما تلك ليجيب عن ماهيتها أيضاً: كما يجيب عن منافعها لزيادة التثبيت، فحاصل معنى الجواب حينئذ: هي عصاي أعرفها بالذات، والعوارض وإن صورتها

مقرّرة في نفسي لا تنفع إلا منافع أمثالها، فإني قديماً أتوكأ عليها، وأهش بها على غنمي، ولي فيها مآرب أخرى.

واختار «تلك» مع قرب المشار إليه إما لتحقيره بالنسبة إلى جناب كبريائه، أو للتعظيم لاشتمالها على الأمور العجيبة، والمنافع الكثيرة.

٢ ـ التقرير:

وفيها أيضاً التقرير، وهو بالاستفهام، فإنه سبحانه عالم بما بيمينه، وإنما أراد أن يقر موسى، ويعترف بكونها عصا، ويزداد علمه بما يمنحه الله في عصاه، فلا يعتريه شك إذا قلبها الله ثعباناً، بل يعرف أن ذلك كائن بقدرة الله، وأنه هين عليه يسير.

عصا موسى وما فيها من أقوال:

هذا؛ وقد صنّف الجاحظ كتاباً سماه كتاب العصا، وهو جزيل الفائدة، ونورد فيما يلي أضاميم منه، فقد جمع الله لموسى بن عمران في عصاه من البرهانات العظام، والعلامات الجسام ما عسى أن يفي ذلك بعلامات عدّة من المرسلين، قال الله تبارك وتعالى فيما يذكر في عصاه: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ فلذلك قال الحسن بن هانيء ـ أبو نواس ـ في شأن خصيب وأهل مصر حين اضطربوا عليه:

منحتكم يا أهلَ مصر نصيحتي
أَلَا فخذُوا من ناصحٍ بنصيب
ولا تثبوا وثبَ السّفاه فتركبوا
على حدّ حامي الظّهر غير ركوب
فإن يكُ باقٍ إفك فرعون فيكم
فإنَّ عصا موسى بكفّ خصيب
رماكم أميرُ المؤمنين بحيّةٍ
أكول لحيّات البلادِ شروب

ألم تر أن السحرة لم يتكلفوا تغليط الناس والتمويه عليهم إلا بالعصا، ولا عارضهم موسى إلا بعصاه؟! ألا ترى أنهم لما سحروا أعين الناس، واسترهبوهم بالعصي والحبال، لم يجعل الله للحبال من الفضيلة في إعطاء البرهان ما جعل للعصا؟! وقدرة الله على تصريف الحبال في الوجوه كقدرته على تصريف العصا.

ثم تحدّث الجاحظ بأسلوبه العذب السمح عن الشجر ومنافعها مما تأتي الإشارة إليه في حينه، وأورد قصصاً مأثورة عن الانتفاع بالعصا، وما كان لها عند العرب من شأن، فأورد قصة عامر بن الظرب العدواني ـ حَكَم العرب في الجاهلية ـ لما أسنّ، واعتراه النسيان أمر بنته «عمرة» أن تقرع بالعصا إذا هو فهّ عن الحكم، وجار عن القصد، وكانت من حكيمات بنات العرب، حتى جاوزت في ذلك مقدار صُحْر بنت لقمان، وهند بنت الخس، وخمعة بنت حابس، وكان يقال لعامر: ذو الحلم، ولذلك قال الحارث بن وَعْلة:

وزَعَمْتُــمُ أنْ لا حُلُــومَ لنــا إنَّ العصا قُرِعَتْ لِذِي الحِلْمِ

وقال الفرزدق:

فـإن كنـتُ أنسـاني حلـومُ مجـاشـع
فإنَّ العصا كانت لذي الحِلْمِ تُقرع

قلت:

قلت: هذا ما رواه الجاحظ بصدد قرع العصا، وليس هذا القول حاسماً، ففي أول من قرعت له العصا خلاف طويل، فقيل: هو عامر ابن الظرب كما ذكر الجاحظ، وقيل: هو قيس بن خالد ذو الجدين، وقيل: هو عمرو بن حممة الدوسي، ولكن الأشهر ما رواه الجاحظ.

وذِكْر العصا عندهم يجري في معان كثيرة، تقول العرب: «العصا من العصية، والأفعى بنت حية» تريد: أن الأمر الكبير يحدث عن الأمر الصغير، ويقال: طارت عصا فلان شققاً، ويقال: فلان شق عصا المسلمين،

ولا يقال: شق ثوباً ولا غير ذلك مما يقع عليه اسم الشق، وقال المضرّس الأسدي:

وألقتْ عصاها واستقرَّ بها النّوى
كما قَرَّ عَيْناً بالإيابِ المسافِرُ

ويقال لبني أسد «عبيد العصا» يعني: أنهم ينقادون لكلٍّ من حالفوا من الرؤساء، وتسمي العرب كل صغير الرأس «العصا»، وكان عمرو بن هبيرة صغير الرأس، قال سويد بن كراع العكلي:

فمن مبلغٌ رأس العصا أن بيننا
ضغائن لا تُنسى وإن قدُمَ الدَّهر

وكان والبة بن الحباب الأسدي أحد من أخذ عنهم أبو نواس، وكان شاعراً ماجناً صغير الرأس، فقال أبو العتاهية في رأس والبة ورؤوس قومه:

رؤوس عصيّ كنّ من عودِ أثلة
لها قادحٌ يفري وآخر مخرب

قلت:

قلت: هذا، وكان والبة قد هاجى بشاراً وأبا العتاهية فغلباه، وفرّ إلى الكوفة منهما، وممّا قاله في أبي العتاهية:

كان فينا يُكنى أبا إسحاق ... وبها الركبُ سار في الآفاق
فتكنى معتهاً بعتاه ... يا لها كنية أتتْ باتفاق
خلق اللهُ لحيةً لك لا تنـ ... ـفكُّ معقودةً بداءِ الحلاق

ودخل عمرو بن سعد بن أبي وقاص على عمر بن الخطاب حين رجع إليه من عمل حمص وليس معه إلا جراب، وإداوة، وقصعة، وعصا، فقال له عمر: ما الذي أرى بك من سوء الحال، أم ما تصنع؟ فقال: وما الذي تراني؟ ألستَ تراني صحيح البدن، معي الدنيا بحذافيرها؟ قال: وما معك من الدنيا؟ قال: معي جرابي أحمل فيه زادي، ومعي قصعتي أغسل فيها ثوبي، ومعي إداوتي أحمل فيها مائي لشرابي، ومعي عصاي إن لقيت عدواً قاتلته،

وإن لقيتُ حية قتلتها، وما بقي من الدنيا تبع لما معي.

ومن جميل القول في العصا وما يجوز فيها من المنافع والمرافق تفسير شعر غنية الأعرابية في شأن ابنها، وذلك أنها كان لها ابنٌ شديد العرامة، كثير التلفت إلى الناس مع ضعف أسر، ودقة عظم، فواثب مرة فتى من الأعراب فقطع الفتى أنفه، وأخذت غنية دية أنفه، فحسنت حالها بعد فقر مدقع، ثم واثب آخر، فقطع أذنه فأخذت الدية، فزادت دية أذنه في المال، وحسن الحال، ثم واثب بعد ذلك آخر فقطع شفته، فلما رأت ما قد صار عندها من الإبل والغنم والمتاع والكسب بجوارح ابنها حسن رأيها فيه، فذكرته في أرجوزة لها تقول فيها:

أحلفُ بالمروة حقاً والصّفا أنك خيرٌ من تفاريق العصا

فقيل لابن الأعرابي: ما تفاريق العصا؟ قال: العصا تُقطع ساجوراً، وتقطع عصا الساجور فتصير أوتاداً، ويفرق الوتد فتصير كل قطعة شِظاظاً، فإن كان رأس الشظاظ كالعلكة صار للنجتي مهاراً، وهو العود الذي يدخل في أنف النجتي (والنجتي: الجمل الخراساني) وإذا فرق المهار جاءت منه تواد، والسواجير تكون للكلاب والأسرى من الناس.

وسُئل عن قوله: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ قال: لستُ أحيط بجميع مآرب موسى ـ عليه السلام ـ ولكني سأنبئكم جُملاً تدخل في باب الحاجة إلى العصا من ذلك: إنها تُحمل للحية، والعقرب، والذئب، والفحل الهائج، ولعير العانة في زمن هيج الفحول، وكذلك فحول الجحور في المروج، ويتوكأ عليها الكبير الدانف، والسقيم المدنف، والأقطع الرجل، والأعرج، فإنها تقوم مقام رجل أخرى، وقال أعرابي مقطوع الرجل:

اللـه يعلمُ أني مِن رجالهم وإن تخدّد عن متنيَّ أطماري

وإن رزئت يداً كانت تجمّلني وإن مشيتُ على زجّ ومسمار

والعصا تنوب للأعمى عن قائده، وهي للقصار، والفاشكار، والدباغ، ومنها المفأد للمَلّة (أي: الخشبة يحرك بها الرماد الحار) والمحراك للتنور، وهي

لدق الجص، والجبسين، والسمسم، ولخبط الشجر، وللفيج (ساعي البريد والدولة) وللمكاري، فإنهما يتخذان المخاصر، فإذا طال الشوط، وبعدت الغاية استعانا في حضرهما وهرولتهما في أضعاف ذلك بالاعتماد على وجه الأرض، وهي تعدل من ميل المفلوج، وتقيم من ارتعاش المبرسم (المصاب بمرض البرسام) ويتخذها الراعي لغنمه، وكل راكب لمركبه، ويدخل عصاه في عروة المزود، ويمسك بيده الطرف الآخر، وربما كان أحد طرفيها بيد رجل، والطرف الآخر بيد صاحبه، وعليها حمل ثقيل، وتكون ـ إن شئت ـ وتداً في حائط، وإن شئت ركزتها في الفضاء، وجعلتها قبلة، وإن شئت جعلتها مظلة، وإن جعلت فيها زُجّاً كانت عنزة، وإن زدت فيها شيئاً كانت عكازاً، وإن زدت فيها شيئاً كانت مِطرداً، وإن زدت فيها شيئاً كانت رمحاً، والعصا تكون سوطاً وسلاحاً.

ونجتزىء بما تقدم من كتاب الجاحظ، ونعود إلى مآرب موسى فقد ذكر في الكشاف: وقيل في المآرب: كانت ذا شعبتين ومحجن، فإذا طال الغصن حناه بالمحجن، وإذا طلب كسره لواه بالشعبتين، وإذا سار ألقاها على عاتقه، فعلق بها إدواته من: القوس، والكنانة، والحلاب، وغيرها، وإذا كان في البرية ركزها، وعرض الزندين على شعبتيها، وألقى عليها الكساء، واستظل، وإذا قصر رشاؤه وصله بها، وكان يقاتل بها السباع عن غنمه.

٣ ـ الاستعارة المكنية:

في قوله: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ الجناح معروف، وقيل لكل ناحيتين: جناحان كجناحي العسكر، وجناحا الإنسان: جنباه، والأصل المستعار منه: جناحا الطائر، سمّيا جناحين لأنه يجنحهما عند الطيران، أي: يميلهما، والمراد: إلى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله: ﴿تَخْرُجْ﴾ .

٤ ـ الاحتراس والكناية:

وفي قوله: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ فن الاحتراس، وقد تقدم ذكره. والسوء: الرداءة والقبح في كل شيء، فكني به عن البرص، كما كني عن

العورة بالسوءة، وكان جذيمة بن الوضاح أبرص، فكنوا عنه بالأبرش؛ لأن البرص أبغض شيء إلى العرب، وبهم عنه نفرة عظيمة، فكان جديراً أن يكنى عنه، ولا أحسن ولا ألطف من كنايات القرآن كما يأتي، ولو أنه لم يذكر من غير سوء لتوهم أن البياض قد ازداد حتى صار برصاً، فأتى بقوله: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ دفعاً لذلك التوهم.

﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿وَزِيرًا﴾: مشتق من الوزر؛ لأنه يتحمل عن الملك أوزاره، أي: أثقاله، فهو معين على أمر الملك، وقائم بأمره، وقيل: بل هو مشتق من الوَزَر ـ بفتحتين ـ وهو الملجأ، ومنه قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾. وقيل: بل هو مشتق من المؤازرة، وهي المعاونة. وفي القاموس: الأزر: الإحاطة، والقوة، والضعف، فهو من الأضداد، والتقوية، والظهر.

○ **الإعراب:**

﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ اذهب فعل أمر، والفاعل مستتر تقديره: أنت، وإلى فرعون متعلقان باذهب، وإن واسمها، وجملة طغى خبرها، وجملة إنه طغى تعليلية لا محل لها ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ قال فعل ماض، وفاعله مستتر تقديره: هو، ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة، واشرح فعل دعاء، ولي متعلقان باشرح، وصدري مفعول به، وذكر كلمة لي لفائدة سترد في باب البلاغة ﴿وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾ عطف على اشرح لي صدري ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى﴾ عطف على اشرح، وعقدة مفعول به، ومن لساني

متعلقان بمحذوف صفة لعقدة، كأنه قيل: عقدة من عقد لساني، وسيأتي ما قيل في العقدة في باب البلاغة ﴿يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى﴾ يفقهوا فعل مضارع مجزوم؛ لأنه جواب الطلب والواو فاعل، وقولي مفعول به ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى﴾ الواو عاطفة، واجعل فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، ولي في محل نصب مفعول ثان، ووزيراً مفعول به أول، ومن أهلي صفة لوزيراً، وهارون بدل من وزيراً، وأخي بدل من هارون، ويجوز أن يكون وزيراً مفعولاً ثانياً، وهارون مفعولاً أول، وقدم الثاني عليه اعتناء بأمر الوزارة، ولي متعلقان بمحذوف حال، أو بنفس الجعل، ومن أهلي صفة، ويجوز أن يكون وزيراً هو المفعول الأول، ومن أهلي هو الثاني، وجميع هذه الأوجه متساوية الرجحان ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى﴾ اشدد فعل دعاء، وفاعله ضمير مستتر تقديره: أنت، وبه متعلقان باشدد، وأزري مفعول به، وأشركه عطف على اشدد، والهاء مفعول به، وفي أمري متعلقان باشركه، وقرىء اشدد، وأشركه مضارعين مجزومين بالطلب ﴿كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ كي حرف مصدرية ونصب واستقبال، وسيأتي بحثها في باب الفوائد، ونسبحك فعل مضارع منصوب بكي، وفاعل نسبحك ضمير مستتر تقديره: نحن، وكثيراً صفة لمصدر محذوف، أو صفة لظرف محذوف فهي مفعول مطلق، أو مفعول فيه، ونذكرك كثيراً عطف على نسبحك كثيراً ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ إن واسمها، وجملة كنت خبر، والتاء اسم كنت، وبنا متعلقان ببصيراً، وبصيراً خبر كنت.

□ **البلاغة:**

١ ـ الزيادة:

زيادة «لي» في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾ والكلام تام بدونها، وقد ذكر الزمخشري سرّاً، ونذكر الثاني فيما بعد، قال: فإن قلت «لي» من قوله: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾ ما جدواه والكلام مستتب بدونه؟ قلت: قد أبهم الكلام أولاً، فقيل: اشرح لي، ويسر لي فعلم أن ثم

مشروحاً وميسراً، ثم بين، ورفع الإبهام بذكرهما، فكان آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وأمره. أما السر الثاني فهو أن تكون فائدتها: الاعتراف بأن منفعة شرح الصدر وتيسير الأمر راجعة إليه، وعائدة عليه، فإن الله ـ عز وجل ـ لا ينتفع بإرساله، ولا يستعين بشرح صدره، تعالى، وتقدّس.

٢ ـ التنكير:

وفي تنكير العقدة من قوله تعالى: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي﴾ دلالة على أنه لم يسأله حلّ جميع عقد لسانه، بل حلّ بعضها الذي يمنع الإفهام، بدليل قوله: ﴿يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾ كأنه قال: واحلل عقدة من عقد لساني، وهذه العقدة ناشئة كما يُروى عن جمرةٍ وضعها في فمه وهو صغير، وقصّتها في المطولات.

* الفوائـد:

بحث كي:

﴿كي﴾ أحد أحرف النصب، وهي قسمان:

١ ـ المصدرية، وهي الداخل عليها اللام لفظاً نحو: ﴿لكي لا تأسوا﴾ أو تقديراً: نحو جئتك كي تكرمني إذا قدرت الأصل لكي، وأنك حذفت اللام استغناء عنها بنيتها، فإن لم تقدر اللام فهي:

٢ ـ التعليلية.

فأما المصدرية فناصبة بنفسها، وأما التعليلية فجارة، والناصب بعدها أن مضمرة لزوماً في النثر، وقد تظهر في الشعر:

فقالتْ: أكل الناسِ أصبحتَ مانحاً
لسـانَـكَ كيمـا أَنْ تُغَـرَّ وتُخْـدَعـا؟

وهذا مذهب سيبويه، والخليل، وجمهور البصريين، أماالكوفيون فيرون أن كي ناصبة دائماً تقدّمتها اللام، أو لم تتقدمها.

قال أبو حيان: وأجمعوا على أنها يجوز الفصل بينها وبين معمولها بلا

النافية وما الزائدة، وأما الفصل بغير ما ذكر فلا يجوز عند البصريين.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

☆ **اللغة:**

(السؤل): الطلبة، وهو فُعل بمعنى مفعول، كالخبز بمعنى المخبوز، والأكل بمعنى المأكول.

﴿ٱلتَّابُوتِ﴾: الصندوق من خشب.

﴿ٱلْيَمِّ﴾: البحر، وأراد به: نهر النيل.

○ **الإعراب:**

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ جملة قد أوتيت مقول القول، وأوتيت فعل ماض مبني للمجهول، و التاء نائب فاعل، وسؤلك مفعول به ثان لأوتيت. ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾ الواو استئنافية، واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، ومننا فعل وفاعل، وعليك متعلقان بمننا، ومرة ظرف أو مفعول مطلق، وأخرى صفة لمرة. ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ﴾ إذ ظرف يفيد هنا التعليل، وهو متعلق بمننا، وجملة أوحينا مضافة إليها الظرف، وإلى أمك متعلقان بأوحينا، وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر هو مفعول مطلق، أو موصولة فهي نائب فاعل، وجملة يوحى صلة، وهي تفيد الإبهام، وسترد في باب البلاغة. ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ أن مفسرة لأن

الوحي بمعنى القول، واقذفيه فعل أمر وفاعل ومفعول به، وفي التابوت متعلقان باقذفيه، فاقذفيه في اليم عطف على ﴿ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ﴾ ولم تختلف الضمائر لأن المقذوف هو موسى ـ عليه السلام ـ. ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ الفاء عاطفة، واللام لام الأمر، ويلقه فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، وعلامه جزمه حذف حرف العلة، والهاء مفعول به، واليم فاعل، وهذا أمر معناه الخبر، ولكونه أمراً لفظاً جزم جوابه في قوله﴿يَأْخُذْهُ﴾ وسيأتي مزيد بيان له في باب البلاغة، وبالساحل متعلقان بيلقه، أو بمحذوف حال، أي: متلبساً به، ويأخذه جواب الطلب، والهاء مفعول، وعدو فاعل، ولي صفة، وعدو له عطف على «عدو لي». ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ الواو حرف عطف، وألقيت فعل وفاعل، وعليك متعلقان بألقيت، ومحبة مفعول به، ومني صفة لمحبة، أي: محبة عظيمة كائنة مني، فلا جرم أحبك كل من رآك، ويجوز تعليق مني بألقيت، ولتصنع: عطف على علة مضمرة مفهومة من سياق الكلام، أي: لتحب من الناس، ولتصنع: اللام للتعليل، وتصنع فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بأن مضمرة بعد اللام، وعلى عيني حال، أي: لتربى، ويحسن إليك، وأنا مراعيك ومراقبك، وكالئك، وسيأتي بحث المجاز المرسل هنا في باب البلاغة. ﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ إذ ظرف للتعليل متعلق بألقيت، أو بتصنع، أو بمحذوف تقديره: اذكر، وجملة تمشي مضاف إليها الظرف، وأختك فاعل، فتقول: عطف على تمشي، وهل حرف استفهام، وأدلكم فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: أنا، والكاف مفعول به، وعلى من متعلقان بأدلكم، وجملة يكفله صلة. ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ الفاء عاطفة على محذوف للإيجاز تقديره: فأجيبت إلى طلبها، فجاءت أمه فقبل موسى ثديها، ورجعناك فعل وفاعل ومفعول به، وإلى أمك متعلقان برجعناك، وكي حرف ناصب، وتقر منصوب بكي، وعينها فاعل، ولا تحزن عطف على كي تقر. ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ وقتلت فعل وفاعل، ونفساً مفعول قتل، وقد قتل موسى القبطي بمصر، واسمه قاب

قان، وكان طباخاً لفرعون، وكانت سن موسى إذ ذاك ثلاثين سنة، فنجيناك: الفاء عاطفة، ونجيناك فعل وفاعل ومفعول به، ومن الغم متعلقان بنجيناك، وفتناك فعل وفاعل ومفعول به، وفتوناً مفعول مطلق إذا كان مصدراً، وهو الأرجح كالقعود، والجلوس، والشكور، والثبور، واللزوم، أو منصوب بنزع الخافض إذا كان جمع فتنة، أي: بضروب من الفتن، والمعنى: ابتليناك، وامتحناك بأنواع من الشدائد. ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ﴾ الفاء عاطفة، ولبثت فعل وفاعل، وسنين ظرف زمان متعلق بلبثت، وقيل: مكث عند النبي شعيب في مدين عشر سنوات، وتزوج خلالها ابنته، وقيل ثمانياً وعشرين سنة، منها مهر ابنته، وهو عشر حجج حيث قضى أوفى الأجلين، وفي أهل مدين متعلقان بلبثت، ومدين مضاف لأهل، ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث، ثم حرف عطف، وجئت فعل وفاعل، وعلى قدر حال، أي: موافقاً لما قدر لك، أو مستقراً على قدر معين، ويا موسى نداء، وقد اقتبس هذا التركيب جرير بقوله مادحاً عمر بن عبد العزيز:

أتى الخلافَة أو كانتْ له قدراً كما أتى ربَّه موسى على قَدَرِ

□ البلاغـة:

فنون هذه الآيات البيانية كثيرة جداً، نورد أهمها فيما يلي:

١ ـ التفسير بعد الإبهام:

فأولها التفسير بعد الإبهام، وهذا النوع يؤتى به لتفخيم أمر المبهم وإعظامه؛ لأنه يطرق السمع بعد أن كان متعلقاً بشيء مبهم فتترنح الجوارح، ويذهب بلبّ السامع كل مذهب، وعلى هذا النحو جاء قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾ فأبهم الكلام، وأتى به مجملاً ليتعلق الذهن، ويتطلع ما عسى أن يكون السؤال؟ وما هي المنة الأخرى؟ وما عسى أن يردفها من منن وآلاء؟ إنه يتشوف للمعرفة، ويحاول اكتناه الحقيقة، فيأتي قوله بعد ذلك مفسراً ما أبهم، فيقول: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا

يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ فإن قلت ما هي المنة الأولى؟ وما هي المنة الثانية؟ وهل بعد ذلك من منن؟ قلت: إن مجموع المنن التي امتن الله بها على نبيه موسى ثماني منن:

أ ـ قوله ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ﴾ .

ب ـ قوله: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى ﴾ . . الخ

جـ ـ قوله: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ إلى قوله: ﴿ مَن يَكْفُلُهُۥ ﴾

د ـ قوله: ﴿ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَا تَحْزَنَ ﴾

هـ ـ قوله: ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ ﴾ .

و ـ قوله: ﴿ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ﴾ .

ز ـ قوله: ﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾ إلى قوله: ﴿ يَٰمُوسَىٰ ﴾

ح ـ قوله: ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾ .

٢ ـ الإبهام:

أما الإبهام المجرد فقوله: ﴿ مَا يُوحَىٰٓ ﴾ وهو كثير شائع في القرآن الكريم، ومثله في الشعر قول دريد بن الصمة في رثاء أخيه:

صَبا ما صَبا حتى علا الشَّيب رأسه
فلما علاه قال للباطلِ: ابعدِ

وسيرد منه المزيد المطرب.

٣ ـ المجاز العقلي:

المجاز العقلي: في قوله تعالى: ﴿ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ﴾ أسند الإلقاء إلى اليم وهو لا يعقل، ولكنه يمثل مشيئة الله وإرادته التي لا تخطىء، ولا يعزب عنها شيء، أسند إليه الإفضاء المقرر في عالم الغيب ودنيا المشيئة، كأنه ذو تمييز يطيع الأمر، ويمتثل رسمه.

٤ ـ التنكير:

نكر المحبة، وأسندها إليه سبحانه، لأمرين هامين:

١ ـ ما في التنكير من الفخامة الذاتية، كأنها محبة تعلو على الحب المتعارف المتبادل بين المخلوقات.

٢ ـ ما في إسنادها إليه من الفخامة الإضافية، أي: محبة عظيمة مني، قد زرعتها في القلوب، وركزتها في السرائر ومنطويات الضمائر، فسبحان المتكلم بهذا الكلام.

٥ ـ المجاز المرسل:

في قوله: ﴿عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ مجاز مرسل، فقد أراد بالعين المحبة، أي: على المحبة مني؛ لأن العين رائدها وسببها، فالعلاقة السببية. قال أبو عبيدة وابن الأنباري: إن المعنى: لتغذى على محبتي وإرادتي، تقول: أتخذ الأشياء على عيني، أي: على محبتي، قال ابن الأنباري: العين في هذه الآية يقصد بها قصد الإرادة والاختيار، من قول العرب: فلان على عيني، أي: على المحبة مني، قيل: واللام متعلقة بمحذوف، أي: فعلت ذلك لتصنع، وقيل: متعلقة بألقيت.

﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ﴾: اخترتك لي من بين الناس جميعاً، وسيأتي المزيد من بحث المجاز في هذا التعبير الرشيق.

﴿ تَنِيَا ﴾ : تفترا، والونى: الفتور والتقصير، يقال: ونى يني ونياً كوعد يعد وعداً؛ إذا فتر، والاسم: الونى وهو الفتور، وونى فعل لازم لا يتعدى، وزعم بعض النحاة أنه يكون من أخوات زال وانفك، فيعمل عملهما بشرط النفي. يقال: ما وني زيد قائماً، أي: ما زال زيد قائماً. وفي المصباح: وني في الأمر ونياً، من باب: تعب ووعد: ضعف وفتر، فهو وانٍ، وفي التنزيل: ﴿ وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾ وتوانى في الأمر توانياً: لم يبادر إلى ضبطه، ولم يهتم به، فهو متوانٍ، أي: غير مهتم ولا محتفل. وهو في الآية من باب وعد لأجل كسر النون، إذ لو كان من باب تعب لكان بفتحها، وقد أشار في الأساس إلى إمكان عمل هذا الفعل عمل لا يزال، قال: ولا يني يفعل: لا يزال يفعل، وامرأة وَنَاة: فيها فتور. وفي القاموس: الونى: كفتى: التعب والفترة، ضد، ويمد وَنَى يني، ونْياً، ووُنياً، ووِناء، ووِنية، وِنيَة، ووَنىً، وأوناه، وتوانى هو، وناقة وانية: فاترة طليح، وامرأة وَناةٌ، وأناةٌ، وأنية: حليمة، بطيئة القيام والقعود والمشي، والمينا: مرفأ السفينة، ويمد، وجوهر الزجاج، والونية كاللؤلؤة كالوَناة، أو العقد من الدر.

﴿ يَفْرُطَ ﴾ : يقال: فرط يفرط، من باب: قعد، علينا فلان؛ إذا عجل بمكروه.

○ الإعراب:

﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾ فعل ماض وفاعل ومفعول به، ولنفسي متعلقان به. ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴾ اذهب فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، وأنت ضمير منفصل تأكيد للضمير المستتر، والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير المراد بالاصطناع، وأخوك عطف على الضمير المرفوع، وعلامة رفعه الواو، والكاف مضاف إليه، وبآياتي حال لأن الباء للمصاحبة، أي: مصحوبين بآياتي، ومعتصمين بها، وليست للتعدية؛ لأن المراد إظهار الآيات للناس لا مجرد الذهاب إلى فرعون، والواو حرف عطف، ولا ناهية، وتنيا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، والألف فاعل، وفي ذكري متعلقان بتنيا،

قيل: «في» هنا بمعنى عن، أي: عن عبادتي، ولم أره لأحد، فالأولى أن تبقى على حقيقتها من الظرفية، كأنه اشتمل على التقصير، لكن قال في المغني: والظاهر أن معنى ونى عن كذا: جاوزه، ولم يدخل فيه، وونى فيه: دخل فيه، وفتر. وهذا يرجح أنها للظرفية لا للمجاوزة. ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ اذهبا فعل وفاعل، وإلى فرعون متعلقان باذهبا، وإن واسمها، وجملة طغى خبرها. ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ الفاء عاطفة، وقولا فعل أمر وفاعل، وله متعلقان بقولا، وقولاً مفعول مطلق، وليناً صفة، ولعل واسمها، وجملة يتذكر خبرها، أو حرف عطف، ويخشى عطف على يتذكر، وسيأتي معنى الترجي هنا وبصورة عامة في باب الفوائد. ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ قالا فعل ماض وفاعل، وربنا منادى مضاف، وإن واسمها، وجملة نخاف خبرها، وأن وما في حيزها مفعول نخاف، وعلينا متعلقان بيفرط، أو حرف عطف أن يطغى عطف على أن يفرط. ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ لا ناهية، وتخافا فعل مضارع مجزوم بلا، والألف فاعل، وجملة لا تخافا مقول القول، وجملة إنني معكما تعليلية لعدم الخوف، وإن واسمها، والظرف متعلق بمحذوف خبرها، وجملة أسمع خبر ثان، أو حالية، وأرى عطف على أسمع. ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ فأتياه: الفاء هي الفصيحة، وأتياه فعل أمر وفاعل ومفعول به، فقولا عطف على فائتياه، وإن واسمها، ورسولا خبرها، وربك مضاف إليه. ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ الفاء هي الفصيحة أيضاً، وأرسل فعل أمر، والفاعل مستتر تقديره: أنت، ومعنا ظرف مكان متعلق بأرسل، وبني إسرائيل مفعول به، ولا تعذبهم: لا ناهية، وتعذبهم مجزوم بلا، والهاء مفعول به. ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ جملة قد جئناك حالية جرت من جملة إنا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير؛ لأن دعوى الرسالة لا تثبت إلا مدعومة بالآيات والدلائل الظاهرة الدالة عليها، وقد حرف تحقيق، وجئناك فعل ماض وفاعل ومفعول به، وبآية متعلقان بجئناك، ومن ربك صفة لآية، والواو استئنافية، والسلام مبتدأ، وعلى من اتبع الهدى خبر.

* الفوائـد :

اهتم العلماء اللغويون والنحاة بمعنى الرجاء في قوله تعالى : ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ وسنلخص الأوجه التي ذكرها هؤلاء؛ لأن إيرادها بنصوصها لا يتسع له المجال، فالرجاء يحتمل الأمور التالية :

١ ـ أن يكون الترجي هنا على بابه، وذلك بالنسبة إلى المرسل وهو موسى وهارون، أي : اذهبا على رجائكما في إيمانه، وباشرا الأمر مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله، فهو يفرغ جهده، ويبذل ما في وسعه، ويستحيل أن يرد ذلك في حق الله تعالى؛ إذ هو عالم بالعواقب والمغاب، وعن سيبويه : كل ما ورد في القرآن من لعل وعسى فهو من الله واجب. وهذا صريحٌ في أن الترجي يستحيل بقاؤه على معناه في حق الله تعالى .

٢ ـ إن لعل تفيد التعليل، فهي بمثابة كي، وهذا قول الفراء، قال : كما تقول : اعمل لعلك تأخذ أجرك، أي : كي تأخذ أجرك .

٣ ـ إنها استفهامية، أي : هل يتذكر ويخشى، وهذا قول مردود؛ لأنه يستحيل الاستفهام في حق الله تعالى .

ما يقوله النحاة :

ويقول النحاة : إن لعل للتوقع، وعبرّ عنه قوم بالترجي في الشيء المحبوب، نحو : لعل الحبيب قادم، ومنه قوله تعالى : ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ والإشفاق في الشيء المكروه نحو : ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ أي : قاتل نفسك، والمعنى : أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من إسلام قومك، وقد تقدم بحثه . والإشفاق لغة : الخوف، يقال : أشفقت عليه بمعنى خفت عليه، وأشفقت منه بمعنى خفت منه، وحذرته .

وقال الأخفش والكسائي : وتأتي لعل للتعليل، نحو : ما يقول الرجل لصاحبه : افرغ من عملك لعلنا نتغدى، واعمل عملك لعلك تأخذ أجرك، أي : لنتغدى، ولتأخذ، ومنه : ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ أي : ليتذكر، وقال في

«المغني»: ومن لم يثبت ذلك يحمله على الرجاء، ويصرفه للمخاطبين، أي: اذهبا على رجائكما.

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾

○ الإعراب:

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ إن واسمها، وجملة قد أوحي خبر، وإلينا متعلقان بأوحي، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر نائب فاعل لأوحي، وأن واسمها، وعلى من خبرها، وجملة كذب صلة، وتولى عطف على كذب. ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ﴾ أي: فأتياه وقالا جميع ما ذكر، فالفاء عاطفة على مقدر، ومن اسم استفهام مبتدأ، وربكما خبر، والجملة مقول القول، ولم يذكر هارون لأنه تبع، وردء، ووزير له، وقيل غير ذلك مما لا طائل تحته. ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ ربنا مبتدأ، والذي خبره، وجملة أعطى صلة، وكل شيء مفعول به أول، وخلقه مفعول به ثان، وقيل: خلقه أول مفعولي أعطى، وكل شيء ثانيهما، وقدم للاهتمام، أي: أعطى خليقته ـ وهي جمع الخلائق ـ كل شيء يحتاجون إليه، وقرىء خلقه على أنه فعل، والمفعول الثاني محذوف للعلم. ثم هدى عطف على أعطى، أي: أعطى كل شيء صورته، وأفرغه في مسلاخه الخليق بما نيط به من خصائص، ومنافع، وهدى كل مخلوق إلى ما خلق له، وفي هذا الإيجاز كلام طويل، يطالعه القارىء في باب البلاغة. ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ الفاء عاطفة،

وما استفهام مبتدأ، وبال خبر، والقرون مضاف إليه، والأولى صفة. ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ علمها مبتدأ، وعند ربي الظرف متعلق بمحذوف خبر، وفي كتاب حال، أو في كتاب هو الخبر، وعند ربي حال، أو هما خبران، أو هما خبر واحد على حدِّ قولك: الرمان حلو حامض، أي: مز، وجملة لا يضل مستأنفة، وقيل: صفة لكتاب، والعائد محذوف تقديره: في كتاب لا يضله ربي، أو: لا يضل حفظه ربي، وربي فاعل يضل ولا ينسى، عطف على لا يضل، وسيأتي في باب الفوائد ما قاله العلماء في معنى هذه الآية. ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ الذي خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو، وجملة جعل صلة، ولكم حال لأنه كان صفة لمهاداً، والأرض مفعول به أول، ومهاداً مفعول به ثان، وسلك فعل ماض، والفاعل مستتر تقديره: هو، ولكم متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان صفة لسبلاً، وفيها متعلقان بسلك، وسبلاً مفعول به. ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ وأنزل عطف على ما تقدم، ومن السماء متعلقان بأنزل، وماء مفعول به، فأخرجنا: الفاء عاطفة، وأخرجنا فعل وفاعل، وبه متعلقان بأخرجنا، وأزواجاً مفعول به، ومن نبات صفة لأزواجاً، وشتى صفة لأزواجاً، أو حال منه؛ لأنه وصف، وأجاز الزمخشري أن يكون صفة للنبات ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ﴾ كلوا فعل أمر وفاعل، والجملة معمولة لحال محذوفة، أي: قائلين، أو آذنين في الانتفاع بها، مبيحين أن تأكلوا بعضها، وتعلفوا بعضها، وارعوا عطف على كلوا، وأنعامكم مفعول به لارعوا، وإن حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك خبر إن المقدم، ولآيات اللام المزحلقة، وآيات اسم إن المؤخر، ولأولي النهي صفة لآيات، والنهى مضاف لأولي، وهي جمع نهية، وقيل: اسم مفرد ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ منها متعلقان بخلقناكم، وفيها متعلقان بنعيدكم، ومنها متعلقان بنخرجكم، وتارة ظرف متعلق بنخرجكم، وأخرى صفة لتارة.

□ **البلاغـة:**

١ ـ الإيجـاز:

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ إيجاز بليغ؛ لأنه حذف جملاً لا يقع عليها الحصر لأنه ليس بالمتاح إحصاء المخلوقات الحية وغير الحية، العاقلة وغير العاقلة التي خلقها الله، ولكل منها عمله الميسر له على حدّ قوله ﷺ: «كل ميسر لما خلق له» فمن العسير، بل من المستحيل أن يتحدّث أحد عن المرتفقات العامة، وإعطاء كل مرتفق إلى صاحبه المخلوق له الذي عرف كيف يرتفق بما أعطي، وكيف يتوصل إليه، ولهذا أحسن الزمخشري بقوله: ولله درّ هذا الجواب ما أخصره، وما أجمعه، وما أبينه لمن ألقى الذهن، ونظر بعين الإنصاف، وكان طالباً للحق.

ثم إن للإيجاز فائدة أخرى، وهي: أن فرعون أراد أن يصرف موسى ـ عليه السلام ـ بعد أن أوشك أن يفضحه، ويبطل خرافاته، إلى ما لا يعنيه من الأمور التي لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات والأساطير، فأجابه موسى بأن ذلك ليس من خصائص الرسالة، وإنما علمه عند ربي، فلما سأله عن ربه أوجز الكلام على هذا الشكل البديع.

٢ ـ الالتفات:

من الغيبة إلى لفظ التكلم على الحكاية لكلام الله ـ عز وجل ـ والفائدة منه: التنبيه على ظهور ما في الأرض من الدلالة على كمال القدرة الإلهية، والحكمة التي لا تطيش، وانقياد المخلوقات جميعاً لمشيئته، وقيل: لا التفات في الكلام؛ لأنه يشترط في الالتفات أن يكون في كلام المتكلم الواحد يصرف كلامه على وجوه شتى، وما نحن فيه ليس من ذلك؛ فإن الله تعالى حكى عن موسى ـ عليه السلام ـ قوله لفرعون: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ في قوله: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ إلى قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ فإما أن يجعل من قول موسى، فيكون من باب قول

خواص الملك: أمرنا، وعمرنا، وإنما يريدون الملك، وليس هذا بالتفات، وإما أن يكون كلام موسى قد انتهى عند قوله: ولا ينسى، ثم ابتدأ الله تعالى وصف ذاته بصفات إنعامه على خلقه، فليس التفاتاً أيضاً، وإنما هو انتقال من حكاية إلى إنشاء خطاب.

وقد يبدو هذا الرد وجيهاً لأول وهلة، ولكن نذكر أن موسى وصف الله تعالى بهذه الصفات على لفظ الغيبة، فقال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ فلما حكاه الله تعالى عنه أسند الضمير إلى ذاته؛ لأن الحاكي هو المحكي في كلام موسى، فمرجع الضميرين واحد، وهذا الوجه دقيق، وهو أقربُ الوجوه إلى الالتفات.

* الفوائـــد:

حول ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾:

أقرب ما يقال في نفي الضلال والنسيان عن الله تعالى ـ وهو غني عن النفي؛ لأنه علام الغيوب ـ أن يقال: هو من باب التعريض، والمعنى: إن كل كائن محيط به علمه، وهو مثبت عنده في كتاب، ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان، كما يجوز عليك أيها العبد الذليل، والبشر الضئيل، أي: لا يضل كما تضل أنت يا مدّعي الربوبية بالجهل، والصلف، والوقاحة.

وقال القفال: هناك فرق بين يضل وينسى، أي: لا يضل عن الأشياء ومعرفتها، وما علمه من ذلك لم ينسه، فاللفظ الأول إشارة إلى كونه عالماً بكل المعلومات، واللفظ الثاني دليل على بقاء ذلك العلم أبد الآباد، وهو إشارة إلى نفي التغير.

هذا، واختلف في معنى ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ على أقوال:

الأول: أنه ابتداء كلام تنزيه لله تعالى عن هاتين الصفتين، وقد تم الكلام عند قوله: ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾.

الثاني: أن معنى لا يضل: لا يخطىء.

الثالث: أن معناه: لا يغيب.

الرابع: أن معناه: لا يحتاج إلى كتاب، ولا يضل عنه علم شيء من الأشياء، ولا ينسى ما علمه منها.

الخامس: أن هاتين الجملتين صفة لكتاب، والمعنى: أن الكتاب غير ذاهب عن الله، ولا هو ناسٍ له.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿ضُحًى﴾: الضحى: شروق الشمس بعد طلوعها، وقد سمّت العرب ساعات النهار بأسماء، فالأولى الذرور، ثم البزوغ، ثم الضحى، ثم الغزالة، ثم الهاجرة، ثم الزوال، ثم الدلوك، ثم العصر، ثم الأصيل، ثم الصبوب، ثم الحدور، ثم الغروب.

ويقال فيها: البكور، ثم الشروق، ثم الإشراق، ثم الرأد، ثم الضحى، ثم المتوع، ثم الزوال، ثم الهاجرة، ثم الأصيل، ثم العصر، ثم الطفل، ثم الغروب.

﴿ فَيُسْحِتَكُم ﴾ : يهلككم، من أسحت الرباعي، وهي لغة نجد وتميم، أي: أهلك، ويقال: سحت وهي لغة الحجاز، وأصل هذه المادة تدل على الاستقصاء والنفاد، ومنه: سحت الحالق الشعر، أي: استقصاه فلم يترك منه شيئاً، ويستعمل في الإهلاك والإذهاب. وفي القاموس: سحت يسحت من باب فتح، وسحّت بالتشديد: اكتسب السحت، أي: المال الحرام، وسحته: أهلكه، واستأصله، وذبحه، وسحت الشحم عن اللحم: قشره، وسحت وجه الأرض: محاه، وأسحته: أفسده، وأهلكه، واستأصله.

○ الإعـراب:

﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾ اللام جواب لقسم محذوف، وقد حرف تحقيق، وأريناه فعل ماض من رأى البصرية، ولكنها تعدت إلى اثنين لدخول همزة النقل عليها، ونا ضمير متصل في محل رفع فاعل، والهاء مفعول به أول، وآياتنا مفعول به ثان، وكلها تأكيد لآياتنا، فكذب وأبى عطف على أريناه، وقد مرّت آيات موسى التسع، ثم الآيتان الأخيرتان، وهما: العصا، ونزع اليد. ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ قال فعل ماض، وفاعله مستتر تقديره: هو، أي: فرعون، وجملة أجئتنا مقول القول، والهمزة للاستفهام الإنكاري، وجئتنا فعل وفاعل ومفعول به، ولتخرجنا اللام للتعليل، وتخرج فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، ونا مفعول به، ومن أرضنا متعلقان بتخرجنا، وبسحرك متعلقان بتخرجنا ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴾ الفاء الفصيحة، واللام جواب قسم محذوف تقديره: والله لنأتينك، وبسحر متعلقان بنأتينك، ومثله صفة لسحر، ويجوز أن يتعلق بسحر بمحذوف حال، أي: متلبسين بسحر مثله في الغرابة يعارضه، ويدحضه، فاجعل: الفاء عاطفة، واجعل فعل أمر، وفاعله أنت، وبيننا ظرف متعلق بمحذوف مفعول به ثان، وبينك عطف، وموعداً مصدر ميمي مفعول به أول، وجملة لا نخلفه صفة لموعداً، ونحن تأكيد للضمير في نخلفه، والواو

عاطفة، ولا نافية، وأنت عطف على الضمير في نخلفه، ومكاناً بدل من موعداً بتقدير مضاف، أي: مكان موعد، أو تعرب مكاناً منصوباً بنزع الخافض، أي: في مكان، أو تنصبه بالمصدر، وهو موعد. وسوى صفة، أي: وسطاً، وهو بضم الواو وكسرها، وهذا وجهٌ من أعاريب أخرى ستأتي في باب الفوائد. ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾ موعدكم مبتدأ، ويوم الزينة خبر، وأن وما بعدها عطف على يوم الزينة، إما على اليوم فيكون محل المصدر الرفع، وإما على الزينة، فيكون محله الجر، والناس نائب فاعل، وضحى ظرف متعلق بيحشر، وسيأتي بحث يوم الزينة، والعلة في اختياره. ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾ الفاء عاطفة، وتولى فعل ماض، وفرعون فاعل، فجمع عطف على فتولى، وكيده مفعول به على حذف مضاف، أي: ذوي كيده، وهم السحرة، ثم حرف عطف، وأتى عطف على جمع، وعبر بثم للدلالة على أنه استغرق وقتاً في جمع السحرة، ورسم الخطط ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ قال فعل ماض، ولهم متعلقان به، وموسى فاعل، وويلكم مصدر للدعاء أمات العرب فعله، فهو منصوب بفعل محذوف، ولا ناهية، وتفتروا فعل مضارع مجزوم بلا، وعلى الله متعلقان بتفتروا، وكذباً مفعول به. ﴿ فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾ الفاء: فاء السببية، ويسحتكم مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية المسبوقة بالنهي، وبعذاب متعلقان بيسحتكم، وقد الواو حالية، وقد حرف تحقيق، وخاب فعل ماض، ومن فاعل، وجملة افترى صلة. ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴾ الفاء عاطفة، وتنازعوا فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، والواو فاعل، وأمرهم مفعول به، أو منصوب بنزع الخافض، وبينهم ظرف متعلق بمحذوف حال، وأسروا عطف على تنازعوا، والنجوى مفعول به، أي: أخفوها، أي: إنهم تشاوروا في السر ﴿ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴾ إن مخففة من الثقيلة ومهملة، وهذان اسم إشارة للمثنى في محل رفع مبتدأ، واللام الفارقة، وساحران خبر هذان، وجملة يريدان صفة لساحران، وأن

وما في حيزها مفعول يريدان، ومن أرضكم متعلقان بيخرجاكم، بسحرهما حال، أي: متلبسين بسحرهما، ويذهبا عطف على يخرجاكم، وبطريقتكم متعلقان بيذهبا، والمثلى صفة لطريقتكم.

□ **البلاغة:**

في قوله: ﴿لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ فن رد العجز على الصدر، وسمّاه المتأخرون: التصدير، وهو أخف على السمع، وأليق بالمقام، وقد تقدم البحث فيه، ونضيف هنا أنّ ابن المعتز قسمه ثلاثة أقسام:

الأول: ما وافق آخر كلمة في المصراع الأول آخر كلمة في المصراع الثاني، أو كانت مجانسة لها، كقول بعضهم:

يلقى إذا ما كان يوم عرمرم في جيش رأي لا يفلّ عرمرم

والقسم الثاني: ما وافق آخر كلمة في البيت أول كلمة منه، كقول الآخر:

سريعٌ إلى ابن العم يلطمُ وجهه وليس إلى داعي النّدى بسريعِ

القسم الثالث: ما وفق آخر كلمة في البيت بعض كلمة في الصدر منه، كقوله:

سقى الرّمل صوب مستهل غمامه

وما ذاك إلا حبّ من حبل بالرمل

وقال الشيخ زكي الدين بن أبي الإصبع: والذي يحسن أن يسمى القسم الأول: تصدير التقفية، والثاني: تصدير الطرفين، والثالث: تصدير الحشو. والأمثلة على ذلك كثيرة.

* **الفوائـد:**

كثر اختلاف المعربين في قوله تعالى: ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى﴾ والحق أنه من معضلات التراكيب، وقد اخترنا في

الإعراب أمثل الوجوه، وأقربها إلى المنطق، وأدناها إلى السهولة، بقيت هناك أمور لابد من إيضاحها:

موعداً: اختلف فيه على الأوجه التالية:

أ ـ اسم زمان، ويرجحه قوله: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ والمعنى: عيِّنْ لنا وقت اجتماع؛ ولذلك أجابهم بقوله: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾.

ب ـ اسم مكان، ويرجحه قوله: ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ والمعنى بيِّنْ لنا مكاناً معلوماً نعرفه نحن وأنت، فنأتيه.

جـ ـ مصدر ميمي بمعنى الوعد، ويقدر مضاف محذوف، أي: مكان وعد، ويؤيد هذا قوله: ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ﴾ لأن المواعدة توصف بالخلف وعدمه، وهذا ما اخترناه.

فإن جعلته زماناً لزمك شيئان: أن تجعل الزمان مخلفاً، وأن يفضل عليك ناصب مكاناً، وإن جعلته مكاناً لزمك أيضاً أن توقع الإخلاف على المكان، وألا يطابق قوله: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ فبقي أن يجعل مصدراً بمعنى الوعد، ويقدر مضاف محذوف، أي: مكان موعد، ويجعل الضمير في نخلفه للموعد، ومكاناً بدل من المكان المحذوف.

وجوّز أبو علي الفارسي وأبو البقاء أن ينتصب مكاناً على المفعول الثاني لاجعل قالا: وموعداً على هذا مكان أيضاً، ولا ينتصب بموعداً لأنه مصدر قد وصف، يعني: أنه يصح مفعولاً ثانياً، ولكن بشرط أن يكون الموعد بمعنى المكان ليطابق الخبر.

وجعل الحوفي انتصاب مكاناً على الظرف، وانتصابه باجعل، فتحصل في نصب مكاناً خمسة أوجه:

١ ـ أنه بدل من مكاناً المحذوف.

٢ ـ أنه مفعول ثان لاجعل.

٣ ـ أنه نصب بإضمار فعل.

٤ ـ أنه منصوب بنفس المصدر .

٥ ـ أنه منصوب على الظرف بنفس اجعل .

وإنما أوردنا هذه الأقوال لأنها قريبة ، ولأنّ استيعابها مفيد للغاية ، فتدبّر .

﴿ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ فَأَجْمِعُوا۟ ﴾ : أي : أزمعوا كيدكم ، واجعلوه مجمعاً عليه حتى لا تختلفوا كالمسألة المجمع عليها ، ويقال : اجمعوا الأمر ، واجمعوا عليه ، وفلانة بجمع ، أي : عذراء ، وضربه بجمع كفه ، واستجمع لفلان أمره ، واستجمع السيل ، واستجمع الفرس جرياً ، وقال يصف السراب :

ومُسْتَجْمِعٍ جَرْياً وليس ببارِحٍ تُبارِيهِ في ضاحِي المِتانِ سَواعدُه

أي : مجاريه ، واستجمع الوادي : إذا لم يبق منه موضع إلا سال . وعن بعض العرب : الرُّمة وفلجٌ لا يستجمعان ، إنما يسيلان في نواحيهما وأضواجهما ، واستجمع القوم : ذهبوا كلهم ، وجمعوا لبني فلان : إذا حشدوا لقتالهم ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾ وأجمعت القدر غلياً ، قال امرؤ القيس :

ونَـحُـشُّ تحت القِـدْرِ نُـوقِدُها بِغَضَا الغَريف فَأَجْمَعَتْ تَغْلِيْ

ومن الكناية: فلانة قد جمعت الثياب، أي: كبرت؛ لأنها تلبس الدرع، والخمار، والملحفة.

﴿ فَأَوْجَسَ ﴾: الإيجاس: الإضمار، وإيجاس الخوف: إضمار شيء منه، وكذلك توجس الصوت: تسمع نبأة يسيرة منه، وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية.

﴿ تَلْقَفْ ﴾: تبتلع، وأصله: التناول بسرعة. قال في القاموس: لقِف يلقف، من باب: تعب لقفاً، وتلقف الشيء: تناوله بسرعة.

○ الإعـراب:

﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴾ الفاء الفصيحة، أي: إذا كان الأمر كما ذكر من كونهما ساحرين. . . الخ، فأجمعوا كيدكم، واجعلوه مجمعاً بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم، وأجمعوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، وكيدكم مفعول به إذا اعتبرت أجمعوا متعدية، وبعضهم لم يعتبرها متعدية، فيكون كيدكم منصوباً بنزع الخافض، ثم ائتوا عطف على أجمعوا، وصفاً حال، وإنما أمرهم بذلك لإدخال الرهبة في صدور الرائين، وقال أبو عبيدة: الصف: موضع المجمع، ويسمّى المصلى الصف. قال الزجاج: وعلى هذا معناه: ثم ائتوا الموضع الذي تجتمعون فيه لعيدكم وصلاتكم، يقال: أتيت الصف بمعنى أتيت المصلى، فعلى هذا يكون انتصابه على المفعولية. وقد: الواو اعتراضية، وقد حرف تحقيق، وأفلح فعل ماض، واليوم ظرف متعلق بأفلح، ومن فاعل أفلح، وجملة استعلى صلة. ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴾ إما حرف شرط وتفصيل، ومعناها ـ هنا ـ التخيير، ولا يكون إلا بعد الطلب، وأن وما بعدها في تأويل مصدر منصوب بفعل محذوف، تقديره: اختر أحد الأمرين، أو مرفوع بأنه خبر مبتدأ محذوف تقديره: الأمر إلقاؤك، أو مبتدأ والخبر محذوف، والتقدير: إلقاؤك أول، وإما أن تكون عطف على ما تقدم، واسم نكون مضمر تقديره: نحن،

وأول خبرها، ومن مضاف إليه، وجملة ألقى صلة. ويجوز أن تكون أن وما في حيزها في محل نصب بفعل مضمر، أي: اختر إلقاءك أولاً، أو إلقاءنا ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ بل حرف إضراب وعطف، وألقوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، فإذا الفاء عاطفة على محذوف تقديره: فألقوا، فإذا، وإذا هذه للمفاجأة، وقد تقدم أنها حرف، أو ظرف، ثم اختلف أهو ظرف مكان أو زمان، وسننقل قول الزمخشري فهو غاية الغايات، قال:

والتحقيق فيها أنها إذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصباً لها، وجملة تضاف إليها خصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلاً مخصوصاً، وهو فعل المفاجأة، والجملة ابتدائية لا غير، فتقدير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾ ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم، وهذا تمثيل، والمعنى: على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة إليه السعي.

وحبالهم مبتدأ، وعصيهم عطف عليه، وجملة يخيل إليه خبر حبالهم، وإذا جعلت إذا خبراً، فتكون جملة يخيل إليه حال، ومن سحرهم متعلقان بيخيل، وأنها: وأن واسمها، وجملة تسعى خبر أن، وأن وما بعدها في تأويل مصدر نائب فاعل ليخيل، أي: يخيل إليه سعيها، وجعل الزمخشري المصدر بدل اشتمال من الضمير في حبالهم، وعصّيهم ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ الفاء عاطفة، وأوجس فعل ماض، وفي نفسه متعلقان بأوجس، وخيفة مفعول به، وموسى فاعل ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ قلنا: فعل وفاعل، وجملة لا تخف مقول القول، ولا ناهية، وتخف فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، والفاعل مستتر تقديره: أنت، وجملة إنك مستأنفة كتعليل للنهي عن الخوف الذي ساوره لطبع البشرية من ضعف القلب، وإن كان متيقناً من أن الله ناصره، وأنهم لن يصلوا إليه بسوء، وإن واسمها، وأنت تأكيد، أو ضمير فصل، أو مبتدأ، والأعلى خبر إن، أو خبر أنت، والجملة خبر إن، وسيأتي الكلام على المبالغة في هذا التعبير في باب البلاغة. ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا

صَنَعُوٓاْۖ﴾ وألق: الواو عاطفة، وألق فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، والفاعل مستتر تقديره: أنت، وما مفعول به، وفي يمينك متعلقان بمحذوف صلة ما، وسيأتي سرّ هذا الإبهام في باب البلاغة، وتلقف جواب الطلب مجزوم وعلامة جزمه السكون، وفاعل تلقف ضمير مستتر تقديره: هي، وما مفعول به، وجملة صنعوا صلة، أي: ما زوّروه، وكذبوا فيه. ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ﴾ تعليل لقوله تلقف، وإن واسمها، وجملة صنعوا صلة، وكيد ساحر خبر إنَّ، وقد درج المصحف على كتابة ما متصلة بأن، ويجوز أن تكون ما مصدرية، والإعراب واحد، ولا الواو حالية، أو: عاطفة، ولا نافية، ويفلح الساحر فعل مضارع وفاعل، وحيث ظرف مكان مبني على الضم متعلق بيفلح، وجملة أتى مضافة إلى الظرف. ﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ الفاء عاطفة على جملة محذوفة تقديرها: فألقى موسى عصاه فتلقفت كل ما صنعوه، فألقي السحرة فعل ماض مبني للمجهول، والسحرة نائب فاعل، وسجداً حال من السحرة، قالوا فعل وفاعل، وجملة آمنا مقول القول، وهو فعل وفاعل، وبرب هارون وموسى متعلقان بآمنا.

□ البلاغة:

في هذه الآيات فنون من البيان تذهل العقول، فأولها:

١ ـ فن الاستدراج، وقد تقدم القول فيه، وهو بالإضافة إلى ما فيه من البلاغة ينطوي على نكت دقيقة في استدراج الخصم، واضطراره إلى الإذعان والتسليم، فقد شاء السحرة في باديء الأمر استدراج موسى ثقة منهم بأنهم فائزون عليه، وكأنما ألهمهم الله حسن الأدب مع موسى في تخييره، وإعطائه النصفة من أنفسهم عندما قالوا: ﴿فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى﴾ ففوّضوا ضرب الموعد إليه، ولكن موسى استدرجهم بإلهام من الله عز وجل أن يجعل موعدهم يوم زينتهم وعيدهم؛ ليكون الحق أبلج على رؤوس الأشهاد، فيكون أفضح لكيدهم، وأهتك لسترهم، ولما

استدرجوه إلى التخيير في الإلقاء أيكون هو البادىء، أم يكونون هم البادئين، استدرجهم هو إلى أن يجعلهم مبتدئين بما معهم ليكون إلقاؤه العصا بعدُ قذفاً بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، فما أروع هذا الكلام!

٢ ـ فن توكيد الضميرين، وقد تتساءل: وما علاقة البحث النحوي بالبلاغة؟ والضمائر، وتوكيد بعضها لبعض مذكورة في كتب النحو، ونقول: إن المسألة أجلّ، وأسمى من النحو، والنحاة بمعزل عن هذا الفن الرفيع، ونعني بتوكيد الضميرين أن يؤكد المتصل بالمنفصل، كقولك: إنك أنت، أو يؤكد المنفصل بمنفصل مثله، كقولك أنت أنت، أو يؤكد المتصل بمتصل مثله، كقولك: إنك إنك لعالم، وإنما يؤتى بمثل ذلك في معرض المبالغة، وهو من أسرار علم البيان، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ فإن إرادة السحرة الإلقاء قبل موسى لم تكن معلومة عنده؛ لأنهم لم يصرحوا بما في أنفسهم من ذلك، لكنهم لما عدلوا عن مقابلة خطابهم موسى بمثله إلى توكيد ما هو لهم بالضميرين اللذين هما نكون، ونحن دلّ ذلك على أنهم يريدون التقدم عليه، والإلقاء قبله؛ لأن من شأن مقابلة خطابهم موسى بمثله إن كان قالوا: إما أن تلقي، وإما أن نلقي؛ لتكون الجملتان متقابلتين، فحيث قالوا عن أنفسهم: ﴿ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ استدل بهذا القول على رغبتهم في الإلقاء قبله، ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۞ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ فتوكيد الضميرين ـ ها هنا ـ في قوله: ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أنفى للخوف من قلب موسى، وأثبت للغلبة والقهر، ولو قال: لا تخف إنك الأعلى أنت الأعلى لم يكن له من التقرير والإثبات لنفي الخوف ما لقوله: ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ .

وفي هذه الكلمات الثلاث ست فوائد:

١ ـ «إن» المشددة التي من شأنها الإثبات لما يأتي بعدها وتأكيده، وقد نصّ علماء المعاني على أن الخبر يكون مع إن طلبياً أو إنكارياً لا ابتدائياً، كقولك:

زيد قائم، ثم تقول: إن زيداً قائم، ففي قولك: إن زيداً قائم من الإثبات لقيام زيد ما ليس في قولك: زيد قائم.

٢ ـ تكرير الضمير في قوله: «إنك أنت» ولو اقتصر على أحد الضميرين لما كان بهذه المثابة في التقرير لغلبة موسى، والإثبات لقهره.

٣ ـ لام التعريف في قوله: ﴿ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ ولم يقل أعلى أو عال؛ لأنه لو قال ذلك لكان قد نكره، وكان صالحاً لكل واحد من جنسه، كقولك: رجل، فإنه يصلح أن يقع على كل واحد من الرجال، وإذا قلت: الرجل، فقد خصصته من بين الرجال بالتعريف، وجعلته علماً فيهم، وكذلك جاء قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ أي: دون غيرك.

٤ ـ لفظ أفعل الذي من شأنه التفضيل، ولم يقل العالي، فهو أعلى من كل عال.

٥ ـ لفظ العلو الدال على أن الغلبة ثابتة له من جهة العلو، ومعلوم أن الغرض من قوله: ﴿ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ الغلبة، إلى أن في الأعلى زيادة، وهي كونها صادرة عن مكان عال.

٦ ـ الاستئناف، وهو قوله تعالى: ﴿لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ ولم يقل: لأنك أنت الأعلى، فكان ذلك أبلغ في إيقان موسى ـ عليه السلام ـ بالغلبة والاستعلاء، وأثبت ذلك في قرارة نفسه بما لا يدع أي مجال للشك.

هذا، وقد تقدّم نوع من هذا الفن، وسيرد غيره في حينه ومواضعه إن شاء الله، بقي أن نتحدّث عن اختيار موسى يوم الزينة، فما هو هذا اليوم؟

يـوم الزينـــة:

قيل فيه: يوم عاشوراء، ويوم النيروز، ويوم عيد كان لهم في كل عام، وكانوا يتخذون فيه سوقاً، ويتزينون، ويظهرون فيه كل بهارجهم؛ إذ يحشر فيه الناس منذ ضحوة النهار حتى المساء.

٣ ـ فن الإبهـام:

وذلك في قوله: ﴿مَا فِي يَمِينِكَ﴾ فقد أبهمها لأمرين متضادين:

أولهما: استصغار أمرها، أي: لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم، وألق العويد الفرد الصغير الجرم الذي بيدك، فإنه بقدرة الله تعالى يتلقفها على وحدته وكثرتها، وصغره وعظمها.

وثانيهما: تعظيم أمرها، أي: لا تعبأ بهذه الأجرام الكبيرة الكثيرة، فإن في يمينك شيئاً هو أعظم منها كلها، فألقها تمحقها، وتطح بها بإذن الله، وقد يقول قائل: كيف يحتقر العصا؟

والجواب: إن المقصود بتحقيرها في جنب القدرة الإلهية تحقير كيد السحرة بطريق الأولى؛ لأنها إذا كانت، وهي الحقيرة الضئيلة التي لا يؤبه بها بالنسبة للقدرة الإلهية، قد طاحت بما أتوا به من أضاليل مموّهة وأكاذيب مخترعة، فما ظنك بكيدهم، وأقل شيء يذهب به، وهذا معنى دقيق، قلّ من يتفطن له، وقد رمق سماءه شاعر الخلود أبو الطيب المتنبي، فقال من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار، ويذكر الأسد، وقد أعجله فضربه بسوطه:

أمعفّر الليث الهزبر بسوطِه　　لمن ادَّخرتَ الصَّارمَ المصقُولا؟

والمعنى: إذا كنت تلقى هذا الأسد ـ وهو أقوى الحيوانات، وأشجعها ـ بسوطك، فلمن خبأت صارمك المصقول؟

ولأصحاب البلاغة أيضاً طريق في علوّ المدح بتعظيم جيش عدو الممدوح، ليلزم من ذلك تعظيم جيش الممدوح، وقد قهره، واستولى عليه.

وقد رمق سماءه أبو الطيب إذ وصف جيش الروم؛ الذي لاقاه سيف الدولة، فبالغ في تعظيم أمره، وتصوير عدده البالغة، والغاية هي أن يتناهى في تعظيم أمر سيف الدولة وجيشه، فقال في وصف جيش الروم:

أتـوك يجـرُّون الحـديـدَ كـأنَّهـم　　سَـرَوْا بجيـادٍ مـا لهـنَّ قـوائـمُ
إذا برقُوا لم تعرف البيضُ منهم　　ثيـابهـم مـن مِثْلِهـا والعمـائـمُ

جعل الروم يبرقون لكثرة ما عليهم من الحديد، ولم يفرق بين سيوفهم وبينهم؛ لأن على رؤوسهم البيض، والمغافر، وثيابهم الدروع، فهم كالسيوف، وأشار بهذا الوصف إلى كثرة سلاح هذا الجيش تمهيداً للإشارة إلى قوته:

خميسٌ بشرقِ الأرضِ والغرب زحفه
وفي أذنِ الجــوزاءِ منــه زَمــازمُ
تجمــعَ فيــه كــلُّ لســنٍ وأمَّــةٍ
فمـا تُفْهِـمُ الحُـدَّاثَ إلا التراجـمُ
فللــه وقــتٌ ذوَّبَ الغــشّ نــاره
فلــم يبــقَ إلا صــارمٌ أو ضبــارمُ

وستأتي تتمةُ هذا الوصف البديع في موطن آخر من مواطن البلاغة؛ التي رمق أبو الطيب سماء القرآن فيها.

☆ نكتة أخرى في الإبهام:

وهناك نكتة أخرى سوى قصد التعظيم والتحقير، وهي أن موسى ـ عليه السلام ـ أوّل ما علم أن العصا آية من الله تعالى عندما سأله: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾ ثم أظهر له تعالى آيتها، فلما دخل وقت الحاجة إلى ظهور الآية منها، قال تعالى: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ﴾ ليتيقظ بهذه الصيغة للوقت الذي قال الله تعالى له: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ ﴾ وقد أظهر له آيتها، فيكون ذلك تنبيهاً له، وتأنيساً حيث خوطب بما عهد أن يخاطب به وقت ظهور آيتها، وذلك مقام يناسب التأنيس والتثبيت في موقف يزايل الوقار أشد النفوس قوة ورباطة.

٤ ـ فن التكرير:

وقد تقدّم كثيراً بحثه والإشارة إليه، وذكر نماذج رائعة منه، وسيأتي المزيد والأكثر، وهنا في هذه الآيات تكرر لفظ الإلقاء، ولكنه تكررٌ لم يطرد

على وتيرة واحدة، وإنما هو لفظ واحد في معنيين متضادين متناقضين نقل بهما سبحانه عباده من غاية الكفر والعناد، إلى نهاية الإيمان والسداد، فما أعظم الفرق بين الإلقاءين! لقد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود، ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود.

﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ ﴾ جملة آمنتم مقول القول، والقائل هو فرعون، وآمنتم: الهمزة للاستفهام والتقريع والتوبيخ، حذفت الهمزة الأولى، وسهلت الثانية، وهو فعل ماض وفاعل، وله متعلقان بآمنتم، وقبل ظرف متعلق بآمنتم أيضاً، وأن آذن لكم المصدر المؤول مضاف لقبل. ﴿ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ ﴾ إن واسمها، واللام المزحلقة، وكبيركم خبرها، والذي صفة، وجملة علمكم السحر صلة، والسحر مفعول به ثان لعلمكم، أي: إن موسى لكبيركم، أي: معلمكم، وأستاذكم، وأعلاكم درجة في صناعة السحر، قال الكسائي: الصبي بالحجاز إذا جاء من عند معلمه قال: جئت من عند كبيري. وقال الواحدي: والكبير في اللغة: الرئيس، ولهذا يقال للمعلم: الكبير، وأراد فرعون من ذلك إلقاء الشبهة على الناس، وإدخالها في صدورهم ليستريبوا ولا يؤمنوا، وإلا فقد علم أنهم لم يتعلموا من

موسى، ولا كان رئيساً لهم، ولا صلة بينه وبينهم ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ الفاء الفصيحة، واللام موطئة للقسم، وأقطعن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والفاعل مستتر تقديره: أنا، وأيديكم مفعول به، وأرجلكم عطف على أيديكم، ومن خلاف حال بمعنى مختلفة، ومن ابتدائية؛ كأن القطع ابتدىء من مخالفة العضو للعضو. ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ الواو: حرف عطف، ولأصلبنكم عطف على لأقطعن، وفي الظرفية، شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف في الظرف، وهو متعلق بأصلبنكم، وسيأتي مزيد بحث عنه في باب البلاغة. ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ ولتعلمن عطف على لأصلبنكم، وأينا استفهامية مبتدأ، وأشد خبر، الجملة في محل نصب سادة مسدّ مفعولي تعلمن؛ لأن الفعل علق بأي الاستفهامية، ويجوز أن تكون أي موصوليه، وبنيت لأنها أضيفت، وحذف صدر صلتها، وقد تقدمت نظائرها كثيراً، وعندئذ تكون هي المفعول به لتعلمن، وأشد خبراً لمبتدأ محذوف تقديره: هو، وجملة أشد صلة الموصول، وأبقى عطف على أشد. ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ لن حرف نفي ونصب واستقبال، ونؤثرك مضارع منصوب بلن، والكاف مفعول به، والفاعل مستتر تقديره: نحن، والجملة مقول قولهم، وعلى ما متعلقان بنؤثرك، وجملة جاءنا صلة، ومن البينات متعلقان بمحذوف حال، والذي عطف على ما، وأخروا ذكر الباري من باب: تقديم الأدنى على الأعلى، وسيرد بحث التقديم والتأخير في باب البلاغة، وقيل: الواو للقسم، والذي مجرور بواو القسم، أي: مقسم به، وهو الله تعالى، وفطرنا صلة، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره: أقسم، وجواب القسم محذوف تقديره: لا نؤثرك على الذي جاءنا من الحق. ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ الفاء الفصيحة، واقض فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، وفاعله ضمير مستتر تقديره: أنت، وما مفعول به، وأنت مبتدأ، وقاض خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، وجملة أنت قاض صلة،

والعائد محذوف، أي: قاضيه، وإنما كافة ومكفوفة على الأرجح، وتقضي فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: أنت، ومفعول تقضي محذوف تقديره: لبانتك، أو مأربك، وهذه ظرف، والحياة بدل، والدنيا صفة، والظرف متعلق بتقضي، ويجوز أن تكون ما موصولة أو مصدرية، وهي اسم إن، والخبر هو الظرف، ويجوز إعراب هذه الحياة الدنيا مفعولاً به على السعة.
﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ إن واسمها، وجملة آمنا خبرها، وبربنا متعلقان بآمنا، واللام للتعليل، ويغفر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، ولنا متعلقان بيغفر، وما عطف على خطايانا، أي: ليغفر لنا خطايانا، ويغفر لنا أيضاً الذي أكرهتنا عليه، ولك أن تجعل الواو ابتدائية، وما مبتدأ، وجملة أكرهتنا صلة، والخبر محذوف، أي: مرفوع عنا، وملقى عن كواهلنا، وعليه متعلقان بأكرهتنا، ومن السحر حال، والله مبتدأ، وخير خبر، وأبقى عطف على خير ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ إن واسمها، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، ويأت فعل الشرط وعلامة جزمه حذف حرف العلة، وفاعل يأت مستتر تقديره: هو، وربه مفعول به، والهاء مضاف إليه، ومجرماً حال من فاعل يأت؛ فإن الفاء رابطة لجواب الشرط، وإن حرف مشبه بالفعل، وله خبرها المقدم، وجهنم اسمها المتأخر، وجملة لا يموت فيها حالية من الهاء في له، أو من جهنم، وفيها متعلقان بيموت، ولا يحيا عطف على يموت. ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴾ ومن يأته مؤمناً تقدم إعراب نظيرها، وجملة قد عمل الصالحات صفة لمؤمناً، فأولئك الفاء رابطة، وأولئك اسم إشارة مبتدأ، ولهم خبر مقدم، والدرجات مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية خبر أولئك، وجملة فأولئك في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر من، والعلى صفة للدرجات. ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ جنات عدن بدل من الدرجات العلى، أو خبر لمبتدأ محذوف، وجملة تجري من تحتها الأنهار صفة لجنات، وخالدين فيها حال من «من»، وفيها متعلقان بخالدين، وذلك

مبتدأ، وجزاء خبر، ومن مضاف إليه، وجملة تزكّى صلة.

□ البلاغة:

معنى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾:

قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ في الكلام استعارة مكنية تبعية، وتقريرها: أنه شبّه استعلاء المصلوب على الجذع بظرفية المقبور في قبره، ثم استعمل في المشبه «في» الموضوعة للمشبه به، أعني: الظرفية، فجرت الاستعارة في الاستعلاء والظرفية، وبتبعيتها في على وفي، وإذاً: ففي على بابها من الظرفية، وهذا أصحّ الأقوال فيها، وقيل: إن في بمعنى على، فلا يكون في الكلام استعارة.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾

☆ اللغة:

﴿يَبَسًا﴾: ـ بفتحتين ـ قال في القاموس: يبس الشيء ييبس، من بابي: علم، وحسب، يبْساً ويُبساً، واتّبس: كان رطباً فجف، فهو يبْس، ويَبَس، ويابس، ويبوس، ويبيس وأيبس. وسمع بعض العرب: جمّرت الخبز كي يابَس ظهره: جعلت عليه الجمر، وقد يَبست: إذا ذهب نداها، وعود يابس، وعيدان يُبْس، والسفينة لا تجري على يبس ﴿طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ وهي ترعى اليبس، واليبيس: ما يبس من النبات، فاستعمال العامة للنبات اليبيس

ليطبخ في غير أوانه لا غبار عليه. ومن المجاز: قد يبس ما بينهما: إذا تقاطعا، ولا توبس الثرى بيني وبينك. قال جرير:

أتغلب أولي حلفة ما ذكرتكم   بسوءٍ ولكني عتبتُ على بكرِ
فلا توبسوا بيني وبينكم الثّرى   فإِنَّ الذي بيني وبينكم مُثْرِي

﴿ دَرَكًا ﴾ : ـ بفتحتين ـ أي: أن يدركك فرعون وجنوده، والدَّرَك والدَّرْك ـ بفتحتين، وبفتح الدال وسكون الراء ـ: اللحاق، وإدراك الحاجة، وأقصى قعر الشيء. يقال: بلغ الغواص درك البحر، ويقال: فرس درك الطريدة، أي: يدركها. ومنه قولهم: ما لحقك من درك فعليّ خلاصه، فاستعمال رجال الدرك صحيح لا غبار عليه.

○ الإعـراب:

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى ﴾ الواو عاطفة، أو استئنافية، واللام جواب للقسم المحذوف، وأوحينا فعل وفاعل، وإلى موسى متعلقان بأوحينا، وأن مفسرة، وأسر بقطع الهمزة من أسرى؛ فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، وبعبادي متعلقان بأسر، أي: سِرْ بهم ليلاً. ﴿ فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ فاضربْ عطف على أسر، أي: اجعل، من قولهم: ضرب له في ماله سهماً، وضرب اللبن عمله، فقول العامة: ضرب لبناً لا غبار عليه. ولهم متعلقان باضرب، أي: قائم مقام المفعول الثاني، وطريقاً مفعول به أول، وفي البحر صفة، ويبساً صفة ثانية، وهو وصف لما يؤول إليه، كما سيأتي في باب البلاغة، أو مصدر وصف به مبالغة، كرجل عدل وصدق، وجملة لا تخاف حالية من فاعل اضرب، أي: اضرب غير خائف، أو صفة لطريقاً، والعائد محذوف، أي: لا تخاف فيه، أو هي جملة مستأنفة، والأول أظهر، ولا نافية، وتخاف فعل مضارع مرفوع، وفاعله أنت، ودركاً مفعول به، وجملة ولا تخشى عطف على لا تخاف. ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ الفاء عاطفة، واتبعهم فعل ماض متعد لاثنين حذف ثانيهما، والتقدير: فأتبعهم فرعون عقابه، والهاء

هو المفعول الأول، وقيل: الباء زائدة في المفعول الثاني، والتقدير: فأتبعهم فرعون جنوده، فهو كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ واتبع قد جاء متعدياً إلى اثنين مصرح بهما، قال: ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾ وقيل: هو بمعنى تبع، يتعدى لواحد، فتكون بجنوده في محل نصب على الحال، فغشيهم: الفاء عاطفة، وغشيهم فعل ماض، والهاء مفعول، أي: غمرهم، وما فاعل، وجملة غشيهم صلة، وهو من الإبهام، وسيأتي الكلام عنه مرة ثانية في باب البلاغة. ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾ الواو: عاطفة مع تقديم وتأخير في الكلام؛ لأن إضلاله قومه كان قبل الفرق طبعاً، وأضل فعل ماض، وفرعون فاعل، وقومه مفعول به، وجملة وما هدى عطف على أضل، وسيأتي الكلام عن هذا العطف في باب البلاغة. والتهكم فيه. ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾ يا: حرف نداء، وبني إسرائيل منادى مضاف، وقد حرف تحقيق، وأنجيناكم فعل ماض، وفاعل ومفعول به، ومن عدوكم متعلقان بـأنجيناكـم. ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ وواعدناكم عطف على أنجيناكم، وواعدناكم فعل وفاعل ومفعول به أول، وجانب الطور مفعول به ثان على حذف مضاف، أي: إتيان جانب، ولا يكون ظرفاً لأنه محدود، والأيمن صفة لجانب، ونزلنا عطف على ما قبله لتتمة تعداد النعم الدنيوية والدينية المترادفة عليهم، وعليكم متعلقان بنزلنا، والمن مفعول به، والسلوى عطف على المن، وقد تقدم ذكرهما، والنداء إما أن يكون لبني إسرائيل بعد إنجائهم من البحر وإهلاك فرعون وجنوده، وإما أن يكون موجهاً إلى اليهود في زمن النبي ﷺ، خوطبوا بما أنعم الله به على أجدادهم، ومع ذلك كفروا بالنعمة، وغمطوها، وجحدوها، فهم علّة العلل في مختلف ظروف الزمان والمكان، وهم أداة تعطيل السلام في كل آن. ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ كلوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، ومن طيبات متعلقان بكلوا، وما مفعول به، وجملة رزقناكم صلة، ولا تطغوا: الواو عاطفة، ولا ناهية، وتطغوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، والواو فاعل، وفيه متعلقان بتطغوا، فيحل: الفاء

السببية، ويحل فعل مضارع منصوب بأن مضمرة لأنه وقع في جواب النهي، وعليكم متعلقان بيحل، وغضبي فاعل، وقيل: هو معطوف، فيكون نهياً أيضاً. ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ والواو: عاطفة، ومن شرطية مبتدأ، ويحلل فعل الشرط، وعليه متعلقان بيحلل، وغضبي فاعل يحلل، والفاء: رابطة لجواب الشرط، وقد حرف تحقيق، وهوى فعل ماض، أي: هلك، والجملة في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر من على التحقيق. ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ الواو: عاطفة، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وغفار خبر إن، ولمن متعلقان بغفار، وجملة تاب صلة وآمن، وعمل عطف، وصالحاً مفعول به، أو صفة لمصدر محذوف، أي: عمل عملاً صالحاً، ثم اهتدى عطف متأخر باعتبار الانتهاء لبعده عن أول الاهتداء، أو للتفاوت بين المرتبتين؛ فإن الاستمرار في التوبة والإيمان والعمل الصالح هو الشرط الأساسي لقبول الأعمال.

□ البلاغة:

في هذه الآيات أفانين متنوعة من الفنون ندرجها فيما يلي:

١ ـ المجاز المرسل:

وذلك في قوله ﴿يَبَسًا﴾ لأنه لم يكن حين خاطبه الله تعالى يبساً، ولكن باعتبار ما يؤول إليه، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ وقد تقدم القول فيه مفصلاً.

٢ ـ الإبهام:

وذلك في قوله: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ أي: علاهم وغمرهم من الأمر الهائل؛ الذي ليس في طوقهم احتماله، ما لا يمكن إدراك كنهه، ولا سبر غوره، وهو من جوامع الكلم التي يقل لفظها، ويتشعب القول في معناها.

٣ ـ التهكم:

تقدم القول فيه مراراً، وهو هنا في قوله: ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ والمعروف أن التهكم هو أن يأتي المتكلم بعبارة، والمقصود عكس معناها، كقوله: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ وغرضهم وصفه بضد هذين الوصفين، وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ فمضمونه هو الواقع، فهو حينئذ مجرد إخبار عن عدم هدايته لقومه، فأين التهكم؟ ولكن العرف في مثل: ما هدى زيد عمراً، بثبوت الهداية لزيد في نفسه، ولكنه يؤخذ عليه أنه لم يهد عمراً، ولكن فرعون ضالٌّ في نفسه، بل إن الضلال مركوز في سليقته، كامن فيه كمون الطبائع الأصيلة، فكيف يتوهم أنه يهدي غيره، وإذاً فهو جمع بين المثلبتين، واكتنفه الشر من ناحيتين، فحق لمثله، وقد صار مهزأة: أن يتهكم به، ويكون أداة للتهكم.

٤ ـ المجاز العقلي:

وفي قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ﴾ فإن لقائل أن يقول: إن المواعدة كانت لموسى ـ عليه السلام ـ فكيف أضيفت إليهم، وإيضاح الجواب الدقيق الذي لم أر من وفّاه حقه أنه مجاز عقلي، أسند المواعدة إليهم من قبل الله كما تسند الأمور المدركة إلى من ليس له إدراك على حدّ المجاز العقلي، وهذا من أسمى ما يصل إليه الأسلوب اللبق، تقول لابن صديقك المتعسف، المرتطم في حمأة الهوان: لقد عرفتكم أهل حجا وتصون، تريد أن تنسب إليه ما هو بعيد عنه بعد الأمور المدركة عن غير العقلاء حين تنسب إليهم على طريق المجاز العقلي.

﴿ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ

عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿ عَلَىٰٓ أَثَرِى ﴾ : الأثر: بقية الشيء ـ والجمع: آثار، وأثور ـ والخبر. وخرج في أَثَره، وإِثْره: بعده، وائتثره، وتأثّره: تبع أثره، والأثْر: فرند السيف، ويكسر كالأثير، والجمع: أثور.

﴿ ٱلسَّامِرِىُّ ﴾ : في القاموس: الذي عبد العجل، وكان علجاً من كرمان، أو عظيماً من بني إسرائيل، ينسب إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها السامرة، نسبة إلى مقاطعة في فلسطين. قال في المنجد: وهم قوم يخالفون اليهود في نقاط دينية جوهرية، منها أنهم لا يقرون من كتب الوحي إلا أسفار موسى الخمسة المعروفة بالتوراة، وأنهم يقولون بواجب العبادة لا في أورشليم، ولكن على جبل جريزيم جنوبي شكيم. وقال في الخازن: واسمه: موسى بن ظفر.

○ **الإعراب:**

﴿ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾ الواو عطف على محذوف يفهم من السياق، والتقدير: فسار موسى لحضور الميقات مع قوم مخصوصين، وهم السبعون الذين اختارهم موسى من بين قومه ليذهبوا معه إلى جبل الطور ليأخذوا التوراة، عجل من بينهم شوقاً إلى كلام ربه، وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده، وخلفهم وراءه، فقال له تعالى: ﴿ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ ﴾ ؟ وسيأتي المزيد عن هذا السؤال في باب البلاغة.

وما اسم استفهام مبتدأ، وأعجل فعل ماض، وفاعل مستتر تقديره: هو، يعود على ما، والكاف مفعول به، والجملة خبر ما، وعن قومك متعلقان بأعجلك. ﴿ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ هم مبتدأ، وأولاء خبر، وعلى أثري خبر ثان، أو حال، وعجلت فعل وفاعل، والواو حالية

بتقدير: قد، أو عاطفة، وإليك متعلقان بعجلت، ورب منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، وحرف النداء محذوف، ولترضى اللام للتعليل، وترضى فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بعجلت أيضاً، كأنه تعليل لعجلته. ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ قال فعل ماض، وفاعله مستتر يعود على الله، والفاء الفصيحة، أي: إن شئت أن تعلم مصير قومك، وإن واسمها، وجملة قد فتنا خبرها، وهي فعل وفاعل، وقومك مفعول به، وأضلهم السامري فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر. ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ﴾ تقدم القول في فاء التعقيب أنها قد تتخلف في وقتها دون أن يحدث فاصل، فلم يرجع موسى إلا بعد أن استوفى الأربعين يوماً، وأخذ التوراة، ورجع فعل ماض، وموسى فاعل، وإلى قومه متعلقان برجع، وغضبان أسفاً حالان.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ﴾ يا حرف نداء، وقوم منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، ألم الهمزة للاستفهام الإنكاري، ويعدكم فعل مضارع مجزوم بلم، والكاف مفعول به، وربكم فاعل، ووعداً مفعول مطلق، وحسناً صفة. ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ الهمزة للاستفهام، والفاء حرف عطف على محذوف، وطال فعل ماض، وعليكم متعلقان بطال، والعهد فاعل، وأم حرف عطف معادل للهمزة، وأردتم فعل وفاعل، وأن وما في حيزها مفعول أردتم، وعليكم متعلقان بيحل، وغضب فاعل يحل، ومن ربكم صفة لغضب، فأخلفتم الفاء حرف عطف، وأخلفتم عطف على أردتم، وموعدي مفعول أخلفتم.

□ **البلاغة:**

الاستفهام من الله تعالى لا يقع لاستدعاء المعرفة، ولكنه يخرج عن معناه الأصلي لأغراض أخر تدرك من سياق الكلام، وقد أفاد السؤال هنا أغراضاً، نوجزها فيما يلي:

أ ـ لتعريف المسؤول بما يجهله من أمور، وقد أراد سبحانه تعريفه بفتنة قومه، فقد قيل: إنهم كانوا نحو ستمئة ألف نفس، ما نجا منهم من عبادة العجل إلا اثنا عشر ألفاً.

ب ـ تبكيت المسؤول، وتفهيمه، وتنبيهه إلى خطر ما جاء به من ترك القوم، وإفساح المجال للسامري كي يضلهم؛ لأنه مغرق في الضلالة، وماهر في الإضلال.

جـ ـ تعليم المسؤول آداب السفر، وهي: أنه ينبغي على رئيس القوم أن يتأخر عنهم في المسير ليكون نظره محيطاً بهم، ونافذاً فيهم، ومهيمناً عليهم، وقاطعاً الطريق على كل فتنة قد تتسرب إلى صفوفهم.

على أن موسى ـ عليه السلام ـ أغفل هذه الأمور، ولعله ملمٌّ بها، ومطّلع عليها، ولكن الشوق إلى لقاء الله، والمسارعة إلى ميعاده ألهب قلبه، فلم يملك عنان صبره الجامح، وذلك شأن الموعود بما طال حنينه إليه يودّ لو امتطى أجنحة الطير، واستبق الساعات، وهل ثمة ما يلهب الشوق مثل مواعدة الله؟

﴿ قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ

بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ بِمَلْكِنَا ﴾ : بقدرتنا، مصدر ملك، وهو مثلث الميم، وفي القاموس وشرحه التاج: ملك يملك، من باب تعب، مَلكاً، ومُلكاً، ومِلكاً بفتح الميم وضمها وكسرها، وملكة ومملَكة بفتح اللام، ومملِكة بكسرها، ومملُكة بضمها: الشيء احتواه قادراً على التصرف، والاستبداد به، وملك على القوم: استولى عليهم، وملك على فلان أمره: استولى عليه، وملك نفسه قدر على حبسها، وملك المرأة تزوجها.

﴿ أَوْزَارًا ﴾ : أثقالاً، وأرادوا بها حلي القبط التي استعاروها منهم، وأرادوا بالأوزار أنها آثام، وتبعات؛ لأنهم استعاروها منهم، وليس لهم فيها حقّ.

﴿ خُوَارٌ ﴾ : بضم الخاء: صوت البقر والعجاجيل، وعبر بالجسد مع أنه لا يقال للعاقل، ولأن الجسد لا يقال إلا للإنسان تغليباً وتشبيهاً له بالعاقل، كأنه غاير البقر، ولا يقال جسد لغير الإنسان إلا للزعفران، ويقال: جَساد بفتح الجيم أيضاً، وللدم إذا يبس، ويقال له جاسد أيضاً.

﴿ يَبْنَؤُمَّ ﴾ : سيأتي في باب الفوائد.

﴿ فَقَبَضْتُ ﴾ : قبض يقبض، من باب: جلس بيده الشيء، وعلى الشيء: أمسكه بيده، وضم عليه أصابعه، وقبض يده عن الشيء: امتنع عن إمساكه، وقبضه عن الأمر: أنحاه، وقبضه الله: أماته، وقبض الشيء: خلاف بسطه ووسعه، وقبض الطائر جناحه: جمعه، وقبض الدار ونحوها: تسلمها،

وقبض منه المال: أخذه لنفسه، وقبض قبضة: أخذها، ويقال: قبص بالصاد المهملة؛ لأنهما تتعاقبان في كثير من الكلمات، نورد أهمها فيما يلي:

قال يعقوب بن السكيت: وقبضت قبضة، وقبصت قبصة، ويقال: إن القبصة أقل من القبضة. وقال غيره: القبص: بأطراف الأصابع، والقبض بالكف كلها، ويقال: عاد إلى ضئضئه وصئصئه، أي: إلى أصله، والهمز الأصل، وأنشد:

أنــا مــنْ ضِئْضِــيء صِــدْقٍ   بَــخْ ومــن أَكْــرَمِ جِــذْلِ
مَــن عَــزاني قــال: بَــهْ بَــهْ   سِنْــخُ ذا أَكْــرمُ أَصْـــلِ

الجذل: الحِجر، وقال اللحياني: بخ بخ، وبه به تقال للإنسان إذا عُظِّم. وقال أبو عمرو: ما يَنُوصُ بحاجة، وما يقدر على أن يَنُوص، أي: يتحرك، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ ومناص ومناض واحد، ويقال: أنقاص وأنقاض بمعنى واحد، وقال الأصمعي: المُنْقاض: المنقعر من أصله، والمنقاص: المنشقّ طولاً، وقال أيضاً: مضمض لسانه، ومصمص لسانه: إذا حركه. وقال اللحياني: يقال: إنه لَصِلّ أصلال، وصِلّ أضلال، والصل، الحية التي تقتل إذا نهشت من ساعتها، ويقال: مصمص إناءه ومضمضه؛ إذا غسله، فقول العامة: مصمص العظم صحيح لا غبار عليه.

﴿بَصُرْتُ﴾: بَصُر بالشيء ـ بضم الصاد ـ وأبصره بمعنى: علمه، وهو من باب ظرف، ويقال: بَصِر ـ بالكسر ـ من باب: علم.

﴿مِسَاسَ﴾: ـ بكسر الميم ـ مصدر ماس، وستأتي حقيقة هذا التركيب في باب: الإعراب.

○ الإعراب:

﴿قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ قالوا فعل وفاعل، وما نافية، وأخلفنا فعل وفاعل، وموعدك مفعول به، وبملكنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: حال كوننا مالكين أمرنا، ولكننا غلبنا على أمرنا من جهة

السامري، وكيده. ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ الواو عاطفة، ولكن واسمها، وحملنا فعل ماضي بالبناء للمجهول، ونا نائب فاعل، وأوزاراً مفعول به ثان، ومن زينة القوم صفة. ﴿فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ الفاء عاطفة، وقذفناها فعل وفاعل ومفعول به، وهو معطوف على محذوف، أي: فقال لنا السامري: اقذفوها في النار؛ لأن موسى تأخر عنكم بسببها: فقذفناها: الفاء حرف عطف، وكذلك نعت لمصدر محذوف، وقد تقدم كثيراً، وألقى السّامري فعل وفاعل. ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ الفاء عاطفة، وأخرج فعل ماض، وفاعله مستتر تقديره: هو يعود على السامري، والعطف على فأضلهم السامري؛ لئلا يتوهم أنه من كلامهم، ولهم متعلقان بأخرج، وعجلاً مفعول به، وجسداً حال من عجلاً، ولكن يشكل على هذا الإعراب الذي اختاره عدد من المفسرين أن صاحب الحال لا يكون إلا معرفة، ولعل هذا العجل الذي أخرجه السامري من الحفرة التي فيها تراب إثر حافر الرسول إلى موسى، كما سيأتي، صار بحكم المعرفة، نقول: ولا مانع من إعرابه بدلاً من عجلاً، وجملة له خوار من الخبر المقدم، والمبتدأ المؤخر صفة. ﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾ الفاء حرف عطف، وقالوا فعل وفاعل، وهذا مبتدأ، وإلهكم خبر، وإله موسى عطف على إلهكم، فنسي الفاء حرف عطف، ونسي فعل ماض، وفاعله مستتر تقديره: هو، يعود على موسى، أي: نسي ربه، فذهب يطلبه، وقيل: الضمير يعود على السامري، أي: ترك ما كان عليه من الإيمان الظاهر. ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ الهمزة للاستفهام، والفاء حرف عطف، ولا نافية، ويرون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل، وأن مخففة من الثقيلة، ولا نافية، ويرجع فعل مضارع، واسم أن المخففة ضمير الشأن أي: أنه، وفاعل يرجع مضمر تقديره: هو، يعود على العجل، وإليهم متعلقان بيرجع، وقولاً مفعول به. ولهذا ارتفع الفعل بعدها. ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾ الواو حرف عطف، واللام موطئة للقسم، وقد حرف تحقيق، وقال لهم هارون فعل ماض وفاعل، ومن قبل متعلقان بمحذوف

حال، أي: قبل رجوع موسى. ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي﴾ يا حرف نداء، وقوم منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، وإنما كافة ومكفوفة، وفتنتم فعل ماض مبني للمجهول، والتاء نائب فاعل، والميم علامة جمع الذكور، وبه متعلقان بفتنتم، وإن ربكم الرحمن إن واسمها وخبرها، والفاء الفصيحة، واتبعوني فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والنون للوقاية، والياء مفعول به، وأطيعوا أمري عطف على اتبعوني. ﴿قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ﴾ لن حرف نفي ونصب واستقبال، ونبرح فعل مضارع ناقص منصوب بلن، واسمها ضمير مستتر تقديره: نحن، وعليه متعلقان بعاكفين، وعاكفين خبر نبرح، حتى حرف غاية وجر، ويرجع فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، وإلينا متعلقان بيرجع، وموسى فاعل، وهذا التعليق الذي جعلوه غاية لعكوفهم لم يكن منهم إلا تسويفاً وتعللاً، ليس من قبيل الوعد بترك عبادته بعد رجوع موسى. ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ﴾ ما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، وجملة منعك خبر، وإذ ظرف متعلق بمنعك، وجملة رأيتهم مضافة للظرف، ورأيتهم فعل وفاعل ومفعول به، وجملة ضلوا حالية، أو مفعول به ثان لرأيتهم إذا اعتبرتها قلبية. ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي﴾ أن حرف مصدري ونصب، ولا مزيدة أي: أي شيء منعك من اتباعي في الغضب لله، وهلا قاتلت من كفر بمن آمن، والهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة على مقدر، وعصيت فعل ماض وفاعل، وأمري مفعول به. ﴿قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ﴾ يا بن أم يا حرف نداء، وابن أم اسمان مبنيان على الفتح لتركبهما تركب الأعداد مثل خمسة عشر أو الظروف مثل صباح مساء، فعلى هذا ليس ابن مضافاً إلى أم، بل هو مركب معها فحركتهما حركة بناء، وقد تقدم تفصيل هذا التركيب في «الأعراف»، وعلى كل فهما في محل نصب منادى، وإنما اقتصر في خطابه على الأم مع أنه شقيقه؛ لأن ذكر الأم أعطف لقلبه، ولا ناهية، وتأخذ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، والفاعل مستتر تقديره: أنت، وبلحيتي متعلقان بتأخذ، ولا برأسي عطف على بلحيتي.

قيل: كان موسى مجبولاً على الحدة والغضب لله ولدينه، فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون غير الله أن أخذ برأس أخيه، وبشعر وجهه يجرّه إليه. ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ إن واسمها، وجملة خشيت خبر إن، وأن وما في حيزها مفعول خشيت، وجملة فرقت مقول القول، وبين ظرف مكان متعلق بفرقت، وبني إسرائيل مضاف إليه، ولم ترقب قولي عطف على فرقت، أي: وخشيت أن تقول: لم ترقب قولي، وعلى هذا يكون الضمير في قولي واقعاً على موسى، ويجوز عطفها على خشيت، فيكون الضمير في قولي واقعاً على هارون. ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ قال فعل ماض، وفاعله مستتر تقديره: هو، يعود على موسى، والفاء عاطفة، أو استئنافية، وما استفهامية مبتدأ، وخطبك خبر، ويا حرف نداء، وسامري منادى مفرد علم. ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ جملة بصرت مقول القول، وفاعل قال هو، أي: السامري، وبما متعلقان ببصرت، وجملة لم يبصروا به صلة، فقبضت عطف على بصرت، وقبضة مفعول به، وهي مصدر مرة من قبض، وإطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر، ومن أثر صفة لقبضة، وأثر مضاف، والرسول مضاف إليه على تقدير محذوفين، أي: من أثر حافر فرس الرسول، والمعنى: من تربة موطئه، وتفصيل القصة في المطولات، وسنلخص لك ما قالوه في باب البلاغة ﴿فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ فنبذتها عطف على قبضت، أي: ألقيتها، وكذلك نعت لمصدر محذوف، وقد تقدم، وسولت لي نفسي فعل وفاعل، أي: زينت لي نفسي. ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ قال فعل ماض، وفاعله يعود على موسى، فاذهب الفاء عاطفة، واذهب فعل أمر فاعله أنت، فإن: الفاء عاطفة، وإن حرف مشبه بالفعل، ولك خبرها المقدم، وفي الحياة متعلقان بمحذوف حال، وأن وما بعدها اسم إن، ولا نافية للجنس، ومساس اسم لا، والخبر محذوف، فهو مبني مع لا الجنسية، والمراد به: النهي: أي: لا تمسني ولا أمسّك، ومساس مصدر ماس كقتال مصدر قاتل، قال الزمخشري: عوقب في الدنيا

بعقوبة لا شيء أطم منها وأوحش، وذلك أنه منع من مخالطة الناس منعاً كلياً، وحرم عليهم ملاقاته، ومكالمته، ومبايعته، ومواجهته، وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضاً، وإذا اتفق أن يماس أحداً رجلاً أو امرأة، حمّ الماس والممسوس، فتحامى الناس وتحاموه. ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ وإن حرف مشبه بالفعل، ولك خبرها المقدم، وموعداً اسمها المؤخر، ولن حرف نفي ونصب واستقبال، وتخلفه منصوب بلن، ونائب الفاعل مستتر تقديره: أنت، والهاء مفعول به ثان. ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ وانظر الواو عاطفة، وانظر فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، وإلى إلهك متعلقان بانظر، والذي صفة، وجملة ظلت صلة، وظلت فعل ماض ناقص، وأصله ظللت بلامين، وأولاهما مكسورة حذفت تخفيفاً، وعليه متعلقان بعاكفاً، وعاكفاً خبر ظلت، ولنحرقنه اللام موطئة للقسم، ونحرقنه فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد، والفاعل مستتر تقديره: نحن، والهاء مفعول به، ثم حرف عطف لننسفنه مثل نحرقنه، وفي اليم متعلقان بننسفنه، ونسفاً مفعول مطلق. ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ إنما كافة ومكفوفة، وإلهكم مبتدأ، والله خبره، والجملة مستأنفة، والذي نعت، وجملة لا إله إلا هو صلة، وقد تقدم إعرابها كثيراً، ووسع فعل ماض، وفاعله مستتر تقديره: هو، وكل شيء مضاف إليه وعلماً تمييز من فاعل وسع.

□ البلاغة:

الإيجاز في هذه الآيات واضح جداً، وهو في كل واحدة؛ لأن تسلسل الحوادث يقتضي تقدير جمل لا بد منها، وقد أشرنا إليها إشارات واضحة تجزىء عن إعادتها، ولكننا نورد هنا إيجازاً بالحذف ورد في قوله تعالى: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ فقد حذف المضاف مكرراً هنا، والتقدير: من أثر حافر فرس الرسول، وهذا الحذف شائع كثيراً في القرآن، كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ

وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ فحذف المضاف إلى يأجوج ومأجوج، وهو سدهما، كما حذف المضاف إلى القرية في قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ أي: أهل القرية، وقد ورد في الشعر أيضاً، ومما جاء منه قول الخزيمي يرثي أبا الهندام، وهو من شعراء الحماسة:

إذا لاقيتِ قومي فاسأليهم   كفى قوماً بصاحبِهم خَبيرا

هل أعفو عن أصولِ الحقِّ فيهم   إذا عَسُر وأقتطعُ الصّدورا؟

أراد: أنه يقتطع ما في الصدور من الضغائن، أي: يزيل ذلك بإحسانه من عفو وغيره، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه، وحذف المضاف أكثر من حذف المضاف إليه. ومما جاء من حذف المضاف إليه في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾ أي: من قبل الغلب ومن بعده.

خلاصة قصة السامري:

هذا، وسنخرج عن النطاق الذي ترسّمناه في هذا الكتاب، وهو نطاق الإعراب، واللغة، والبيان، فنورد لمحة خاطفة عن قصة السامري لعلاقتها بما نحن بصدده، تاركين للقارىء مجال الرجوع إلى المطولات.

ففي الوقت الذي حلّ ميعاد الذهاب إلى الطور أرسل الله إلى موسى جبريل راكباً حيزوم ـ فرس الحياة ـ ليذهب به، فأبصره السامري فقال: إن لهذا شأناً فقبض قبضة من أثر تربة موطئه، فلما سأله موسى عن قصته قال: قبضت من أثر فرس المرسل إليك يوم حلول الميعاد، ولعله لم يعرف أنه جبريل، وقيل: إنه كلما وضعت الفرس حافرها على شيء اخضرّ، فعرف أن للتراب الذي تضع الفرس حافرها عليه شأناً، وقيل غير ذلك ممّا لا تطمئن إليه النفس، ويحتاج إلى كثير من التمحيص.

*** الفوائـــد:**

صاحب الحال:

الأصل في صاحب الحال التعريف؛ لأنه محكوم عليه بالحال، وحق

المحكوم عليه أن يكون معرفة؛ لأن الحكم على المجهول لا يفيد غالباً، ويقع صاحب الحال نكرة بمسوغ يقربه من المعرفة، وذلك في المواضع التالية:

١ ـ إذا تقدمت عليه الحال، نحو: في الدار جالساً رجل، وقول كثير عزة:

لميَّـة مـوحِشـاً طَلَـلُ يلـوحُ كـأنَّـه خِلَـلُ

وفي المغني: إن تقديم حال النكرة عليها ليس لأجل تسويغ الحال فيها بل، لئلا يلتبس الحال بالصفة.

٢ ـ أن يكون صاحبها مخصوصاً بوصف، كقول الشاعر:

نجيتَ يا ربّ نوحاً واستجبتَ له في فلكٍ ماخر في اليمّ مَشْحُونا

فمشحوناً حال من فلك لوصفه بماخر.

٣ ـ أن يكون صاحبها مخصوصاً بإضافة، كقوله تعالى: ﴿فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ فسواء حال من أربعة لاختصاصها بالإضافة إلى أيام.

٤ ـ أن يكون صاحبها مخصوصاً بمعمول، نحو: عجبت من ضرب أخوك شديداً، فشديداً حال من ضرب لاختصاصه بالعمل في الفاعل، وهو أخوك.

٥ ـ أن يكون صاحبها مخصوصاً بعطف، نحو: هؤلاء أناس وعبد الله منطلقين، فمنطلقين حال من أناس لاختصاصه بالعطف عليه، وهو عبد الله.

٦ ـ أن يكون صاحبها مسبوقاً بنفي، كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ﴾ فجملة ولها كتاب معلوم حال من قرية لكونها مسبوقة بالنفي، وقد مرّ أن الزمخشري يرد هذا القول، ويجعل الجملة صفة لقرية، وإنما توسطت الواو بينهما لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف.

٧ ـ أن يكون صاحبها مسبوقاً بنهي، كقول الطرماح:

لا يـركَنَـنْ أحـدٌ إلى الإحجـامِ يـوم الـوَغَـى متخـوِّفـاً لِحِمَـامِ

فمتخوفاً حال من أحد؛ لأنه مسبوق بالنهي.

٨ ـ أن يكون صاحبها مسبوقاً باستفهام، كقول أحد الطائيين:

يا صاحِ هل حُـمَّ عَـيْشٌ باقياً فَـتَرى
لنفسِـكَ العُـذْرَ في إبعـادِهـا الأَمَـلا

فباقياً حال من عيش لكونه مسبوقاً بالاستفهام بهل، وصاح منادى مرخّم صاحب على غير قياس، وحم ـ بالحاء المهملة ـ بمعنى قدر، والإبعاد مصدر أبعد، والأمل مفعوله.

هذا؛ وقد يقع صاحب الحال نكرة بلا مسوغ، كقولهم عليه مئة بيضاً، فبيضاً بلفظ الجمع حال من مئة، وليس تمييزاً خلافاً للمبرد؛ لأن تمييز المئة لا يكون جمعاً منصوباً ولا مجروراً، وهو من أمثلة سيبويه، وفي الحديث: صلى رسول الله ﷺ قاعداً ووراءه رجال قياماً، فقياماً حال من رجال، وهو نكرة بلا مسوّغ.

﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ وِزْرًا ﴾ : حملاً ثقيلاً، والمراد بها ـ هنا ـ: العقوبة الثقيلة المرهقة الباهظة، سمّاها وزراً تشبيهاً لها في ثقلها على من يحلّ به العقاب بالحمل الثقيل، ينوء به الكاهل، ويرزح الحامل تحت عبئه الفادح.

﴿ زُرْقًا ﴾ : جمع أزرق، وسبب اختياره لعيونهم يوم القيامة لوجهين:

١ ـ أن الزرقة أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب؛ لأن الروم كانوا أعداءهم، وهم زرق العيون. ومن أقوالهم في صفة العدو: أسود الكبد،

أصهب السبال، أزرق العين. فأصهب من الصهبة ـ بالصاد المهملة ـ وهي حمرة أو شقرة في الشعر، والسبال: ما على الشارب من الشعر، ومقدم اللحية، والاثنان مرادان بها هنا. وقال بشار في وصف البخيل:

وللبخيـلِ على أمـوالـه عِلَـل زرق العيون عليها أوجهٌ سود

وهو من أبيات ممتعة نوردها بكاملها:

ظلّ اليسارُ على العباس ممدودُ وقلبـه أبـداً بـالبخـلِ مَعْقُـود
إنَّ الكريمَ ليخفي عنك عسرته حتى تراه غنياً وهو مَجْهُود
وللبخيـل على أمـوالـه عِلَـل زرق العيون عليها أوجهٌ سود
إذا تكرهت أن تعطي القليلَ ولم تقدرْ على سعة لم يظهرِ الجود
أورق بخير ترجّي للنوالِ فما ترجى الثّمار إذا لم يورقِ العود
بُـثَّ النَّـوالَ ولا تمنعـك قلّتـه فكلّ ما سدَّ فقراً فهو محمود

٢ ـ أن المـراد العمـى؛ لأن حـدقـة مـن يـذهـب نـور بصره تـزرق. ﴿ يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ ﴾ أي: يخفضون أصواتهم، ويخفونها لما لحقهم من الرعب والهول. وفي المختار: خفت الصوت: سكن، وبابه: جلس، والمخافتة والتخافت والخفت بوزن السبت: إسرار المنطق.

﴿ أَمۡثَلُهُمۡ ﴾: أفضلهم وأعدلهم رأياً، أو عملاً في الحياة الدنيا، وجمعه: أماثل، ومُثُل، ومؤنثه مثلى، وأماثل القوم: خيارهم، والطريقة المثلى: الشبهى بالحق، ويقال: المريض اليوم أمثل، أي: أحسن حالة، وقال امرؤ القيس يصف الليل من معلقته:

وليلٍ كموج البحرِ أَرْخَى سُدُولَه علـيَّ بـأنـواع الهُمُـومِ ليبتلي
فقلـتُ لـه لمّـا تمطّـى بِصُلْبـه وأردفَ أعجـازاً ونـاء بِكَلْكَـلِ
أَلاَ أيُّها الليلُ الطَّويلُ أَلاَ انْجَلِ بِصُبْحٍ وما الإصباحُ منكَ بِأَمْثَلِ

○ الإعـراب:

﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ﴾ كذلك:

نعت لمصدر محذوف، أي: كما قصصنا يا محمد هذه القصة، ونقص فعل مضارع فاعله مستتر تقديره: نحن، وعليك متعلقان بنقص، ومن أنباء صفة لموصوف محذوف هو مفعول به لنقصّ، أي: نقصّ نبأ من أنباء، وما مضاف إليه، وجملة قد سبق صلة، وقد الواو عاطفة، وقد حرف تحقيق، وآتيناك فعل ماض وفاعل ومفعول به، ومن لدنا حال لأنه كان صفة لذكراً، وذكراً مفعول به ثان، أي: قرآناً. ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا﴾ من شرطية في محل رفع مبتدأ، وأعرض فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، وفاعله ضمير مستتر تقديره: هو، وعنه متعلقان بأعرض، والفاء رابطة، وإنْ واسمها، وجملة يحمل خبرها، والفاعل مستتر تقديره: هو، ويوم القيامة ظرف متعلق بيحمل، ووزراً مفعول، وجملة من أعرض في محل نصب نعت لذكراً، أي: قرآناً منطوياً مشتملاً على هذه القصص يحمل المعرض عنها وزراً كاملاً يوم القيامة. ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا﴾ خالدين حال، وفيه متعلقان بخالدين، والضمير يعود للوزر، أي: في العقاب المتسبّب عنه، ففي الكلام مجاز كما سيأتي، وساء: الواو حالية، أو عاطفة، وساء فعل ماض من أفعال الذم، وقد تقدّم كثيراً، وفاعله مستتر مميز بنكرة، وهو حملاً، والمخصوص بالذم محذوف تقديره: وزرهم، ولهم متعلقان بقول مقدر، أي: يقال لهم هذا الكلام، وقيل: هي كاللام في هيت لك، أي: لمجرد البيان، فراجع سورة يوسف. ويوم القيامة ظرف متعلق بساء، وحملاً تمييز.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ الظرف بدل من يوم القيامة، وجملة ينفخ مضافة إلى الظرف، وينفخ فعل مضارع بالبناء للمجهول، وفي الصور متعلقان بينفخ، ونحشر: الواو عاطفة، ونحشر فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: نحن، والمجرمين مفعول به، ويوم ظرف أضيف إلى ظرف مثله متعلق بنحشر، والتنوين في إذ عوض عن جملة، وزرقاً حال من المجرمين. ﴿يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ الجملة حال من المجرمين، أو مستأنفة مسوقة لبيان حالهم في ذلك اليوم، ويتخافتون فعل

مضارع مرفوع بثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعل، وبينهم ظرف متعلق بيتخافتون، وإن لبثتم جملة منصوبة بقول دلّ عليه يتخافتون، والقول نصب على الحال، أي: قائلين في السر، وإن نافية، ولبثتم فعل وفاعل، وإلا أداة حصر، وعشراً ظرف زمان ذهاباً إلى الليالي؛ لأن الشهور غررها الليالي، فتكون الأيام داخلة تبعاً، وتخافتهم ناجم عن الرعب الذي داخلهم، فكأن أيام الدنيا لم تكن شيئاً مذكوراً، فهم يتذكرون أيام السرور التي سنحت لهم في الدنيا كيف مرّت عليهم كظل الطائرة.

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ نحن مبتدأ، وأعلم خبر، وبما متعلقان بأعلم، وجملة يقولون صلة، وإذ ظرف متعلق بأعلم، وجملة يقول مضافة إلى الظرف، وأمثلهم فاعل، وطريقة تمييز، وإن نافية، ولبثتم فعل وفاعل، وإلا أداة حصر، ويوماً ظرف متعلق بلبثتم.

□ البلاغة:

المجاز المرسل في قوله: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهِ﴾ أي: في الوزر، والوزر لا يقام فيه، ولكن أراد العقاب المتسبّب عن الوزر، فالعلاقة فيه السببية.

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ

ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿ قَاعًا﴾ : القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام، والجمع : أقْواع، وأقْوُع، وقيع، وقيعان، وقيعة، وقيل: هو المنكشف من الأرض، وقيل : المستوي الصلب منها، وقيل : مالا نبات فيه ولا بناء .

﴿ صَفْصَفًا﴾ : الصفصف : الأرض المستوية الملساء، كأن أجزاءها صف واحد من كل جهة. وفي القاموس : المستوي من الأرض، وقاع صفصف : مستو مطمئن، فهو بمثابة التأكيد للقاع؛ لأنه بمعناه.

﴿ أَمْتًا﴾ : الأمت هو : النتوّ اليسير، يقال: مدّ حبله حتى ما فيه أمت، وقيل: الأمت هو التل، وهو قريب من الأول، وقيل: الشقوق في الأرض، وقيل: الآكام. وفي القاموس: أمَتَه يأمته قدره وحزره كأمّته وقصده، وأجل مأموت: مؤقت، والأمت: المكان المرتفع، والتلال الصغار، والانخفاض، والارتفاع، والاختلاف في الشيء. والجمع: أماتٌ، وأموتٌ، والضعف، والوهن، والطريقة الحسنة، والعوج، والعيب في الفم وفي الثوب والحجر، وأن يغلُظ مكان ويرقّ مكان. والمؤمَّت: المملوء، والمتهم بالشر، ونحوه، والخمر حرمت لا أمت فيها، أي: لا شك في حرمتها.

﴿ هَمْسًا﴾ : الهمس: الصوت الخفي، وهو مصدر همست الكلام، من باب: ضرب إذا أخفيته، ومنه الحروف المهموسة، وقيل: هو من همس الإبل، وهو: صوت أخفافها إذا مشت.

﴿ ۞ وَعَنَتِ﴾ : في المختار: عنا يعنو، من باب: سما يسمو سموّاً، فالألف محذوفة قبل تاء التأنيث لالتقاء الساكنين إذا ذل وخضع، ومنه العناة، جمع عان، وهو: الأسير.

﴿ هَضْمًا﴾ : الهضم: النقص، تقول العرب: هضمت لزيد من حقه،

أي: نقصت منه، ومنه هضيم الكشحين، أي: ضامرهما، قال امرؤ القيس:

إذا قلتُ هاتي نوليني تمايلتْ عليَّ هضيمَ الكشحِ ريّا المُخَلْخَلِ

ورجل هضيم ومهتضم، أي: مظلوم، وهضمته، واهتضمته، وتهضمته كله بمعنى.

○ الإعراب:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ الواو للاستئناف، والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير تعنتهم وإصرارهم على الجدل، والمكابرة، والاستهزاء، ويسألونك فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل، والكاف مفعول به، فقل الفاء عاطفة، وقل فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، وجملة ينسفها مقول القول، والهاء مفعول به مقدم، وربي فاعل مؤخر، ونسفاً مفعول مطلق. ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ الفاء عاطفة، ويذرها فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: هو، أي: الله تعالى، والهاء مفعول به، وقاعاً لك أن تعربها حالاً من الضمير المنصوب، أو مفعولاً به ثانياً؛ لتضمين يذر معنى التصيير، وصفصفاً حال ثانية، أو بدل من المفعول الثاني، وأعربها بعضهم صفة له. ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ الجملة حال ثالثة، أو حال أولى، ولا نافية، وترى فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: أنت، وفيها متعلقان بترى، وعوجاً مفعول به، ولا أمتاً عطف. وسيأتي مزيد من التقرير حول هذه الآية في باب البلاغة. ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ الظرف متعلق بيتبعون، أو بدل من يوم القيامة المتقدّم، وقد تقدم تقرير إضافة يوم إلى الظرف، ويتبعون الداعي فعل مضارع وفاعل ومفعول به، ولا نافية للجنس، وعوج اسمها مبني على الفتح، وله خبرها، وجملة لا عوج له حال من الداعي، أو صفة لمصدر محذوف، أي: يتبعونه اتباعاً لا عوج له، ويجوز أن تكون مستأنفة، والأول أظهر؛ لأن الضمير في له يعود عليه، أي: لا عوج لدعائه، بل يسمع جميعهم، فلا يميل إلى أناس دون أناس. ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ الواو عاطفة، وخشعت الأصوات فعل

وفاعل، وللرحمن متعلقان بخشعت، والفاء عاطفة، ولا نافية، وتسمع فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: هو، وإلا أداة حصر، وهمساً مفعول به؛ لأن الاستثناء مفرغ. ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ الظرف متعلق بتنفع، وإذ مضاف، ولا نافية، وتنفع الشفاعة فعل مضارع وفاعل، وإلا أداة حصر، ومن يجوز فيه أن يكون مفعولاً لتنفع، وعندئذ تكون من واقعة على المشفوع، ويجوز أن يكون بدلاً من الشفاعة على قاعدة المستثنى المنفي، أو النصب على الاستثناء المتصل من الشفاعة، ولا بد في هذين الوجهين من تقدير مضاف تقديره: إلا شفاعة من أذن له، وإذا اعتبر مستثنى منقطعاً وجب نصبه، فتلخّص فيه أربعة أوجه متقاربة الرجحان، ورجّح الزمخشري الرفع على البدلية، وتبعه القاضي البيضاوي.

وجملة أذن له الرحمن صلة، ورضي له قولاً عطف على أذن له، ورجح أبو البقاء النصب على المفعولية. ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ الجملة استئنافية مسوقة لتقرير علمه تعالى ما تقدمهم من الأحوال، وما يستقبلهم، ويعلم فعل مضارع مرفوع، وفاعله مستتر تقديره: هو، وما مفعول به، وبين ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول، وأيديهم مضافة لبين، وما خلفهم عطف على ما بين أيديهم، ولا يحيطون لك أن تجعل الواو عاطفة، ولك أن تجعلها حالية، ويحيطون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، وبه متعلقان بيحيطون، وعلماً مفعول به. ﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ وعنت الوجوه فعل وفاعل، وللحي متعلقان بعنت، والقيوم صفة، وسيأتي المراد بالوجوه في باب البلاغة، والواو حالية، وجملة وقد خاب حالية، ومن فاعل خاب، وجملة حمل ظلماً صلة. ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ الواو عاطفة على وقد خاب، ومن شرطية مبتدأ، ويعمل فعل الشرط، ومن الصالحات صفة لمفعول به محذوف، أي: ومن يعمل أعمالاً من الصالحات، والواو حالية، وهو مبتدأ، ومؤمن خبر، والفاء رابطة لجواب الشرط، ولا نافية، ويخاف فعل مضارع،

وفاعله مستتر تقديره: هو، وظلماً مفعول به، ولا هضماً عطف على ظلماً، وجملة لا يخاف خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: فهو لا يخاف، وجملة فهو لا يخاف في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر من ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ الكاف صفة لمصدر محذوف، أي: مثل ذلك الإنزال أنزلناه، وقرآناً حال، وعربياً صفة ﴿ وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ وصرفنا فعل وفاعل، وفيه متعلقان بصرفنا، ومن الوعيد صفة لمفعول محذوف، أي: صرفنا وعيداً من الوعيد، ولعل واسمها، وجملة يتقون خبرها، وأو حرف عطف، ويحدث عطف على يتقون، ولهم متعلقان بيحدث، وذكراً مفعول به، وفاعل يحدث هو، أي: القرآن ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ الفاء استئنافية، وتعالى الله فعل ماض وفاعل، والملك الحق صفتان لله، ولا تعجل: الواو عاطفة، ولا ناهية، وتعجل فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وبالقرآن متعلقان بتعجل، ومن قبل متعلقان بتعجل، وأن يقضي المصدر المؤول مضاف لقبل، وإليك متعلقان بيقضى، ويقضى فعل مضارع مبني للمجهول، ووحيه نائب فاعل، وقل عطف على لا تعجل، ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة، وزدني فعل أمر، والنون للوقاية، والياء مفعول به أول، وعلماً مفعول به ثان، أو تمييز.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ فن طريف يذهل العقول، ويسكر العواطف، ولا يكاد يدركه إلا من أودع الله فيهم سرّ البيان، وارتاضوا بالمعاناة والدربة على إدراك النكت التي تعزّ على من رامها وتطول، وهذا الفن سموه فنّ «التنكيت» وحدّه: أن يخص المتكلم شيئاً بالذكر دون غيره مما يسدّ مسدّه، وما يقتضيه ظاهر الكلام لأجل نكتة في المذكور ترجّح مجيئه على سواه، وهو كثير في القرآن الكريم، وسيرد في مواطنه، أما في هذه الآية فقد تقدّم في الكهف أن أهل اللغة فرقوا بين العِوج والعَوج، فقالوا:

العِوج بالكسر في المعاني والعَوج بالفتح في الأعيان، ولذلك قال في الكهف: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ أما في هذه الآية فالأرض عين، فكيف صحّ فيها المكسور العين؟ أوليس مقتضى اللغة يوجب أن يستعمل العوج بالفتح؟

وهنا يأتي هذا الفن ليسبر غور هذه النكتة؛ التي تدق على النظرة السطحية الأولى، ولا تقف عند التقارير اللغوية، فنقول:

إنّ اختيار العوج بالكسر في الآية له موضع حسن بديع في استواء الأرض، ووصفها بالملاسة، وانتفاء الاعوجاج عنها على أبلغ وجه، وذلك أنك لو عمدت إلى قطعة من الأرض فسوّيتها، وبالغت في تسويتها على عينك، وعلى عيونُ البصراء بالأراضي، واتفقتم بالإجماع على أنه لم يبق فيها اعوجاج قط، ثم عمدت إلى المهندس تستطلع رأيه لا بحسب الحدس، والتخمين، والنظر المجرد، بل بحسب المقاييس الهندسية المبنية على العلم الدقيق لعثر فيها على عوج في غير موضع، لا يدرك ذلك بحاسة البصر، ولكن بالقياس الهندسي الذي لا يضلّ، ولا يعزب عنه القليل النادر. فنفى الله سبحانه ذلك العوج؛ الذي دقّ ولطف عن الإدراك والفهم، اللهم إلا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة، وذلك الاعوجاج لما لم يدرك إلا بالقياس دون الاحساس، ولحق بالمعاني، وسما عن الأعيان، فقيل فيه: عِوج بالكسر.

وقد مرّ معنا، وسيمّر في هذا الكتاب نماذج رائعة لهذا التنكيت؛ الذي ظهر لك في هذه الآية الكريمة؛ ممّا لا يدركه إلا الحذاق الملهمون، فلنرجىء القولَ فيها، وسنعرض الآن على ناظريك نماذج من الشعر الجميل؛ التي اشتملت على نكتة بارعة؛ لتكون لك معالم صبح تحتذيها، فمن ذلك قول الخنساء ترثي أخاها صخراً:

يُـذكِّرني طلوعُ الشَّمسِ صَخْراً ... وأذكـره لكـلِّ غـروبِ شَمْـسِ

وقد سئل الأصمعي عن قولها هذا: لم اختصت فيه طلوع الشمس وغروبها دون أثناء النهار؟ فقال: لأن طلوع الشمس وقت الركوب إلى

الغارات، وغروب الشمس وقت قِرى الضيفان.

ومنه قول الحسن بن هانىء، أبي نواس:

أَلاَ فاسْقِني خمراً وقلْ لي هي الخمرُ
ولا تسقنـي سِـرّاً إذا أمكـنَ الجَهْـرُ

فقال: «وقل لي هي الخمر» وذلك لأن الحواس الأربع قد التذّت حين شربها، وبقيت حاسة واحدة لم تستكمل لذاتها، وهي حاسة السمع، فقال: «وقل لي هي الخمر» ليسمع ذلك فتكمل له اللذة بجميع حواسه.

ونكتفي الآن بما تقدَّم، ولنا عودة إلى هذا الفن الجميل.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿تَضْحَىٰ﴾: ينتابك حر الشمس في الضحى. وفي القاموس: وضحا يضحو كغزا يغزو ضحواً: برز للشمس، وكسعى، ورضي ضحواً وضحياً: أصابته الشمس.

﴿فَوَسْوَسَ﴾: وسوسة الشيطان، كولولة الثكلى، ووعوعة الذئب في أنها حكايات للأصوات، وسنتحدث عن أسماء الأصوات، وحكاياتها في

باب الفوائد. وجاء في القاموس: وسوس وِسواساً ووسوسة الشيطان له وإليه: حدّثه بشر، أو بما لا نفع فيه ولا خير، ووسوس الرجل: أصيب في عقله، وتكلم بغير نظام، وأصابته الوساوس فهو موسوس، وتكلم بكلام خفي، والوسواس: صوت الحلي، ووسوس الرجل: كلّمه كلاماً خفياً، ووُسوس به بالبناء للمجهول: اختلط كلامه، ودهش، والوسواس: الاسم من وسوس، والوسواس: الشيطان، والوسواس: مرض يحدث من غلبة السوداء، ويختلط معه الذهن، ويقال لما يخطر بالقلب من شر، أو لما لا خير فيه وسواس، وجمعه: وساوس.

﴿سَوْءَاتُهُمَا﴾: عوراتهما، وقد تقدمت.

﴿يَخْصِفَانِ﴾: أي: يلزقان، من خصف النعل، وهو: أن يخرز عليها الخصاف، أي: يلزقان ورق الشجر بعضه ببعض حتى يصير عريضاً، صالحاً للاستتار.

﴿اجْتَبَاهُ﴾: اصطفاه، وقرّبه، من جبى إلي كذا فاجتبيته، فالمجتبى كأنه في الأصل: من جمعت فيه المحاسن حتى اختاره غيره.

○ الإعراب:

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لتقرير مساوىء النسيان الذي هو صنو الجهل وقرينه؛ ولذلك يجب التحوط منه، والدعاء دائماً بقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾. واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وعهدنا فعل وفاعل، وإلى آدم جار ومجرور متعلقان بعهدنا، ومن قبل متعلقان بمحذوف حال، فنسي عطف على عهد، أي: نسي ما أمرناه به، أي: أن النسيان أمر مركوز في طباع بني آدم، ولم نجد: الواو عاطفة، ولم حرف نفي وقلب وجزم، والفاعل مستتر تقديره: نحن، وعزماً مفعول به. ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ الظرف متعلق باذكر مقدراً، أي: واذكر وقت ما جرى على آدم من معاداة إبليس، ووسوسته له، وتزيينه له الأكل من

الشجرة، ومبادرة آدم بالطاعة له بعد ما سلف من النصيحة البالغة، والتحذير من الشيطان، ومكره، وأحابيله. وقد تقدم إعراب الآية كثيراً فلا حاجة إلى الإعادة، ولا تنس اختلاف العلماء في اتصال الاستثناء، وانقطاعه. وجملة أبى حالية. ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾ الفاء عاطفة، وقلنا فعل وفاعل، ويا آدم نداء، وجملة إن مقول القول، وهذا اسم إن، وعدو خبرها، ولك صفة لعدو ولزوجك عطف على لك. ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ الفاء عاطفة، ولا ناهية، ويخرجنكما فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا، والكاف مفعول به، والفاعل مستتر، وهو إبليس، والميم والألف للتثنية، فتشقى: الفاء فاء السببية، وتشقى فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية، والفاعل مستتر تقديره: أنت، وأسند فعل الشقاء إلى آدم وحده؛ لأن شقاء زوجه منوط بشقائه، كما أن سعادتها منوطة بسعادته، فاختصر الكلام مع المحافظة على الفاصلة. ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴾ إن حرف مشبه بالفعل، ولك خبر مقدم، وأن وما في حيزها اسمها المؤخر، وفيها متعلقان بتجوع ولا تعرى عطف على لا تجوع. ﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ عطف على سابقتها، وسيأتي كلام بديع حول فصل الجوع عن الظمأ، والعري عن الضحو، والسر البياني الذي تتقطع دونه الأعناق في باب البلاغة.

بقيت هناك مشكلة وهي عطف «أنك» على «أن لا تجوع» فكأنها اسم لإن بالكسر، وهذا ممتنع، فلا يقال: إن أن زيداً منطلق، ولكن لما فصل ـ هنا ـ بينهما جاز، فتقول: إن عندي أن زيداً قائم، فعندي هو الخبر، قدّم على الاسم، وهو أن وما في حيزها لكونه ظرفاً. والآية من هذا القبيل، ورأى الزمخشري رأياً آخر، فقال: فإن قلت: إن لا تدخل على أن، فلا يقال: إن أن زيداً منطلق، والواو نائبة عن أن، وقائمة مقامها، فلم أدخلت عليها؟ قلت: الواو لم توضع لتكون أبداً نائبة عن إن، إنما هي نائبة عن كل عامل، فلما لم تكن حرفاً موضوعاً للتحقيق خاصة، كأن لم يمتنع اجتماعهما، كما امتنع اجتماع إن وأن.

قال ابن هشام في صدد الحديث عن المواضع التي يجوز فيها كسر همزة إن وفتحها: السادس أن تقع بعد واو مسبوقة بمفرد صالح للعطف عليه، نحو: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ قرأ نافع وأبو بكر بالكسر في: «وأنك لا تظمأ» إما على الاستئناف، فتكون جملة منقطعة عما قبلها، أو بالعطف على جملة إن الأولى، وهي إن لك أن لا تجوع، وعليهما فلا محل لها من الإعراب، وقرأ الباقون من السبعة بالعطف على أن لا تجوع من عطف المفرد على مثله، والتقدير: أن لك عدم الجوع وعدم الظمأ.

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ فوسوس: الفاء: عاطفة، ووسوس فعل ماض، وإليه متعلقان بوسوس، والشيطان فاعل، قال يا آدم فعل ماض ونداء، وهل حرف استفهام، وأدلك فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: أنا، والكاف مفعول به، وعلى شجرة الخلد متعلقان بأدلك، وملك عطف على شجرة، وجملة لا يبلى صفة لملك. ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ فأكلا فعل ماض، والألف فاعل، ومنها متعلقان بأكلا، فبدت عطف على أكلا، ولهما متعلقان ببدت، وسوءاتهما فاعل، وطفقا فعل ماض من أفعال الشروع العاملة عمل كاد في وقوع الخبر فعلاً مضارعاً، والألف اسمها، وجملة يخصفان خبر طفقا، وعليهما متعلقان بيخصفان، ومن ورق الجنة صفة لموصوف محذوف هو المفعول به، أي: ورقاً من ورق الجنة، قيل: هو التين، والأولى أن يكون عاماً ليشمل جميع أوراق الأشجار، وعصى آدم ربه فعل وفاعل ومفعول به، فغوى عطف على عصى. ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ ثم حرف عطف، واجتباه فعل ومفعول به، وربه فاعل، فتاب عليه عطف على اجتباه، وهدى عطف على تاب. ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ اهبطا فعل أمر مبني على حذف النون، والألف فاعل، ومنها متعلقان باهبطا، وجميعاً حال، وبعضكم مبتدأ،

ولبعض حال؛ لأنه كان صفة لعدو، وعدو خبر، وجملة بعضكم لبعض عدو في محل نصب على الحال. ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ الفاء عاطفة، وإن شرطية، وما زائدة، ويأتينكم فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والكاف مفعول به، ومني متعلقان بيأتينكم، وهدى فاعل يأتينكم، فمن اتبع: الفاء رابطة، ومن شرطية مبتدأ، واتبع فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، وهداي مفعول به، والفاء رابطة للجواب، وجملة لا يضل في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر من، وجملة من اتبع في محل جزم جواب إن.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ فن بديع يسمى: قطع النظير عن النظير، وذلك أنه قطع الظمأ عن الجوع والضحو عن الكسوة مع ما بينهما من التناسب، والغرض من ذلك: تحقيق تعداد هذه النعم وتصنيفها، ولو قرن كلاً بشكله لتوهّم المعدودات نعمة واحدة. ويسميه بعض علماء البيان: «فن التوهيم» وقد سبقت الإشارة إليه، وهو: أن يأتي المتكلم بكلمة يوهم ما بعدها من الكلام: أن المتكلم أراد تصحيفها، وهو يريد غير ذلك، ومنها: أن يأتي في ظاهر الكلام ما يوهم أن فيه لحناً خارجاً عن اللسان، ومنها: ما يأتي ظاهره يوهم أن الكلام قد قلب عن وجهه لغير فائدة، ومنها: ما يأتي دالاً على أن ظاهر الكلام فاسد المعنى، وهو صحيح.

وهذه الآية من القسم الذي يوهم ظاهره أن نظم الكلام جاء على غير طريق البلاغة؛ لكون لفظه غير مؤتلف بمعناه؛ لما ترى في الألفاظ من عدم ملاءمة، وإذا تأمله المتأمل حقّ التأمل وجده جارياً على منهج البلاغة، بحيث لو جاء على ما توهّمه المعترض لكان النظم معيباً. وفي الآية يقول المتوهم: لو قيل: لا تجوع، ولا تظمأ، ولا تضحى، ولا تعرى؛ لكان ذلك جارياً على ما توجبه البلاغة من الملاءمة، والجواب: إن مجيئها على ما توهّمه المتوهم يفسد

معنى النظم؛ لأنه لو قيل: إن لك أن لا تجوع فيها ولا تظمأ، لوجب أن يقول: وإنك لا تعرى فيها ولا تضحى، والتضحي: البروز لشمس بغير سترة. قال الهذلي، وقيل للمجنون كما في «أمالي القالي»:

سلبت عظامي لحمها فتركتها مجرّدة تضحى لديك وتخصر

أي: تلقى الشمس الضاحية مجردة، فينالك منها حرها، وتلقى برد الليل مجردة، فينال منها برده، فهي معذبة ليلها ونهارها.

وإذا كان التضحي: البروز للشمس بغير سترة، كان معناه: التعري، فيصير معنى الكلام: وأنك لا تعرى فيها ولا تعرى، وهذا فساد ظاهر، ولما كان هذا الفساد لازماً للنظم على الوجه الذي توهمه المتوهّم، ويجب العدول عنه إلى لفظ القرآن، وهو أن يضم سبحانه لنفي الجوع نفي العري لتطمئن النفس بسد الجوع، وستر العورة؛ اللذين تدعو إليهما ضرورة الحياة، وتطلبهما طبيعة الإنسان بالجبلّة، ولما كان الجوع مقدّماً على العطش كتقديم الأكل على الشراب، أوجبت البلاغة تأخر ذكر الظمأ عن الجوع، وتقديمه على التضحي؛ لأنه مهم يجب أن يتقدم الوعد بنفيه، كما تقدم الوعد بنفي الجوع، ويتأخر ذكر التضحي، كما تأخر ذكر العري عن الجوع؛ لأن التضحي من جنس العري، والظمأ من جنس الجوع، فإن قيل: لم ذكر التضحي وهو عري في المعنى، وقد أغنى ذكر العري؟ قلت: في ذكر التضحي فائدة كبيرة، وهي وصف الجنة بأنها لا شمس فيها، كما قال سبحانه: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ فإن التضحي عري مخصوص، مشروط بالبروز إلى الشمس وقت الضحى؛ لذلك سمي تضحياً، والانتقال من الأعم إلى الأخص بلاغة؛ لاختصاص الأخص بما لا يوجد في الأعم.

وقال العز بن عبد السلام في «الأمالي»: كان المناسب من طريق المجاز أن لا تجوع ولا تظمأ ولا تعرى ولا تضحى؛ للجمع بين المتماثلين، فلمَ عدل عن هذا؟ والجواب: إن في الآية جناساً خيراً من هذا، وذلك أن الجوع تجرّد الباطن من الغذاء، والعري تجرد الظاهر من الغشاء، فجانس في الآية بين

التجردين، وكذلك الظمأ: حرّ الباطن، والضحى ـ وهو الظهور للشمس ـ: حرّ الظاهر، فجانس بالجمع بين الحرّين.

وقد رمق أهلُ البلاغة سماء هذا المعنى قديماً وحديثاً، فقال أبو الطيب المتنبي:

وقفتَ وما في الموتِ شكٌّ لواقفٍ
كأنكَ في جَفْنِ الرَّدى وهو نائمُ
تمرُّ بك الأبطالُ كَلْمى هزيمةً
ووجهُكَ وضّاحٌ وثغرُكَ باسِمُ

يُحكى أنه لما استنشده سيف الدولة يوماً قصيدته التي أولها:

على قدْرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ
وتأتي على قَدْرِ الكرامِ المكارمُ

فلما بلغ إلى هذين البيتين قال سيف الدولة: قد انتقدتهما عليك كما انتقد على امرىء القيس قوله:

كأنّي لم أركبْ جواداً للذّة ولم أتبطَّن كاعباً ذات خلخالِ
ولم أسبأ الزقَّ الرّوي ولم أقلْ لخيلي كرّي كرّةً بعد إجفالِ

فبيتاك لم يلتئم شطراهما، كما لم يلتئم شطرا بيتي امرىء القيس، وكان ينبغي لك أن تقول:

وقفتَ وما في الموتِ شكٌّ لواقفٍ
ووجهُك وضّاحٌ وثغرك باسم
تمرُّ بك الأبطال كَلْمى هزيمةً
كأنك في جَفْنِ الرَّدى وهو نائمُ

فقال المتنبي: إن صحّ أن الذي استدرك على امرىء القيس هذا هو أعلم بالشعر منه، فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا، ومولاي يعلم أن الثوب لا يعلمه البزاز كما يعلمه الحائك؛ لأن البزاز يعرف جملته، والحائك يعرف تفاصيله، وإنما قرن امرؤ القيس النساء بلذة الركوب للصيد، وقرن السماحة

بسباء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء، وكذلك لما ذكرت الموت في صدر البيت الأول أتبعته بذكر الرّدى في آخره؛ ليكون أحسن تلاؤماً، ولما كان وجه المنهزم الجريح عبوساً، وعينه باكية، قلت: «ووجهك وضاح وثغرك باسم» لأجمع بين الأضداد.

على أن في هذه الآية سراً لذلك زائداً على ما ذكر، وهو أنه قصد تناسب الفواصل، ولو قرن الظمأ بالجوع لانتثر سلك رؤوس الآي، وأحسن به منتظماً.

* الفوائـد:

أسماء الأصوات:

وعدناك ببحث أسماء الأصوات، ونرى أن نتوسع فيها قليلاً لأن كتب النحو قلّما تهتم لها، فهي تجري مجرى أسماء الأفعال لأنها متواخية معها، وهي مبنية، وتنقسم إلى قسمين:

أ ـ ما خوطب به مالا يعقل مما يشبه اسم الفعل في الاكتفاء به، ولكن اسم الفعل مركب، واسم الصوت مفرد؛ لعدم تحمله الضمير، كقولهم في دعاء الإبل لتشرب: جِيء جِيء بكسر الجيم فيهما مكررين مهموزين، وفي المحكم أنهما أمر للإبل بورود الماء، يقال: جأجأت الإبل إذا دعوتها لتشرب، فقلت: جيء جيء، نقله الجوهري عن الأموي، وكقولهم في دعاء الضأن: حا حا، وفي دعاء المعز: عا عا غير مهموزين، والفعل منهما: حاحيت، وعاعيت، قال سيبويه: وأبدلوا الألف من الياء لشبهها بها؛ لأن قولك حاحيت إنما هو صوت بنيت منه فعلاً، وليست فاعلت وكقولهم في زجر البغل:

عَدَسْ ما لِعَبَّادٍ عليكِ إمارةٌ أَمَنْتِ وهـذا تَحْمِليـنَ طَليـقُ

فعدس صوت يزجر به البغل، وقد يسمى البغل به، والتقدير على التسمية به: يا عدس، فحذف حرف النداء. وإمارة ـ بكسر الهمزة ـ أي: حكم.

ب ـ ما حكي به صوت مسموع، والمحكي صوته قسمان: حيوان

وغيره، فالأول كغاق بالغين المعجمة والقاف لصوت الغراب، والثاني نحو: طاق حكاية لصوت الضرب، وطق بفتح الطاء حكاية لصوت وقع الحجارة بعضها على بعض.

هذا؛ وسيرد المزيد من بحث أسماء الأصوات في هذا الكتاب.

نبذة من أسماء الأصوات:

وفيما يلي طائفة مختارة من أسماء الأصوات:

الصّرير: صوت القلم، والسرير، والباب، والطست، والنعل. والنشيش: صوت غليان القدر والشراب. الرنين: صوت الثكلى، والقوس. القصيف: صوت الرعد، والبحر، وهدير الفحل. النقيق صوت الدجاج، والضفدع. القعقعة: صوت السلاح، والجلد اليابس، والقرطاس. الغرغرة: صوت غليان القدر، وتردد النفس في صدر المحتضر. العجيج: صوت الرعد، والنساء، والشاء. الزفير: صوت النار، والحمار، والمكروب إذا امتلأ صدره غماً فزفر به. الخشخشة والشخشخة: صوت حركة القرطاس، والثوب الجديد، والدرع. الجلجلة: صوت السبع، والرعد، وحركة الجلاجل. الحفيف: صوت حركة الأغصان، وجناح الطائر، وحركة الحية. الصليل والصلصلة: صوت الحديد، واللجام، والسيف، والدراهم، والمسامير. الطنين: صوت البعوض، والذباب، والطنبور. الأطيط: صوت الناقة، والمحمل، والرجل إذا أثقله ما عليه. الصرصرة: صوت البازي، والبط. الدوي: صوت النحل، والأذن، والمطر، والرعد. الانقاض: صوت الدجاجة، والفروج. التغريد: صوت المغني، والحادي، والطائر، وكل صائت طرب الصوت فهو غرد. الزمزمة والزهزمة: صوت الرعد، ولهب النار، وحكاية صوت المجوسي إذا تكلف الكلام وهو مطبق فمه.

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ

أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَاۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًاۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

☆ **اللغة:**

﴿ضَنكًا﴾ : ـ بالتنوين ـ مصدر بمعنى ضيقة، ولهذا لم يؤنث بأن يقال ضنكة على حدّ القاعدة التي ذكرها صاحب الخلاصة:

ونعتوا بمصدرٍ كثيرا فالتزموا الإفرادَ والتّذكيرا

وفي القاموس: الضنك: الضيق في كل شيء للذكر والأنثى. يقال: ضنك ككرم، ضنكاً، وضناكة، وضنوكة: ضاق. وقرىء: ضنكى على فعلى.

﴿يَهْدِ لَهُمْ﴾ : أي: يهتدي لهم، فهو لازم، ومعناه: يتبين.

﴿ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ﴾ : جمع إنى ـ بكسر الهمزة والقصر ـ كمِعى ـ بكسر الميم ـ. وفي المختار: آناء الليل: ساعاته، قال الأخفش: واحدها إنى، مثل معى، وقيل: واحدها أني وأنو، يقال: مضى من الليل أنوان، وأنيان.

﴿ مُّتَرَبِّصٌ﴾ : منتظر ما يؤول إليه الأمر.

○ الإعـراب:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ الواو عاطفة على جواب الشرط المتقدم، وهو ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ ﴾ ومن اسم شرط جازم مبتدأ، وأعرض فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، وفاعله ضمير مستتر تقديره: هو، وعن ذكري متعلقان بأعرض، فإن الفاء رابطة للجواب؛ لأنه جملة اسمية، وإن حرف مشبه بالفعل، وله خبرها المقدم، ومعيشة اسمها المؤخر، وضنكاً صفة، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر من ﴿ وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ ونحشره: الواو استئنافية، ونحشر فعل مضارع مرفوع، والفاعل مستتر تقديره: نحن، والهاء مفعول به، ويوم القيامة ظرف متعلق بنحشره، وأعمى حال من الهاء في نحشره، وقد قرىء بالجزم عطفاً على محل: ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ . ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ رب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة، ولم اللام حرف جر، وما الاستفهامية في محل جر باللام، وقد حذفت ألف ما الاستفهامية كما هي القاعدة، والجار والمجرور متعلقان بحشرتني، وحشرتني فعل وفاعل ومفعول به، وأعمى حال، والواو للحال، وقد حرف تحقيق، وكنت: كان واسمها، وبصيراً خبر كنت. ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ كذلك نعت لمصدر محذوف، أي: حشراً مثل ذلك، أو: خبر لمبتدأ محذوف، أي: الأمر كذلك، وأتتك آياتي فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر، فنسيتها: الفاء عاطفة، ونسيتها فعل وفاعل ومفعول به، وكذلك نعت لمصدر محذوف، واليوم ظرف متعلقان بتنسى. ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ وكذلك نعت لمصدر محذوف، ونجزي فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: نحن، ومن موصول مفعول به، وجملة أسرف صلة، ولم يؤمن عطف على أسرف، فهو داخل في حيز الصلة، وبآيات متعلقان بيؤمن، وربه مضاف إليه، ولعذاب: الواو

حالية، أو عاطفة، واللام للابتداء، وعذاب مبتدأ، والآخرة مضاف إليه، وأشد خبر وأبقى عطف على أشد. ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ﴾ الهمزة للاستفهام، وهي داخلة، على محذوف عطف عليه بالفاء، وقد تقدم تقريره كثيراً، وأعدناه الآن للتذكير، والتقدير: أغفلوا فلم يتبين لهم، وفاعل يهد المصدر المفهوم من أهلكنا، أي: أفلم يتبين لهم إهلاكنا، ويحتمل أن يكون فاعل يهد ضميراً عائداً على الله تعالى، أي: يبين الله، والأول أولى؛ لأن يهدي معناه: يتبين، فهو لازم، فالفاعل هو الجملة المنسبكة مصدراً لأهلكنا. وقد أنكر البصريون وقوع الجملة فاعلاً، وجوّزه غيرهم. قال القفال: جعل كثرة ما أهلك من القرون مبيناً لهم، قال النحاس: وهذا خطأ لأن كم استفهام، فلا يعمل فيها ما قبلها. وقال الزجاج: المعنى أولم يهد لهم الأمر بإهلاكنا من أهلكناه، وحقيقته تدل على الهدى، فالفاعل هو الهدى. ولهم متعلقان بيهد، وكم خبرية مفعول مقدم لأهلكنا، ومن القرون نعت لتمييزكم الخبرية، أي: كم قرن من القرون، والمراد: الأمة، وجملة يمشون في مساكنهم حال من مفعول أهلكنا، أو من الضمير في لهم، وفي مساكنهم متعلقان بيمشون، والضمير يعود على المهلكين بفتح اللام، يريد: أن قريشاً يتقلبون في بلاد عاد وثمود، ويعاينون آثار هلاكهم وفيها ما يدعو إلى العبرة، والاتعاظ. وقد رمق أبو الطيب سماء هذا المعنى كما سيأتي في باب البلاغة. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ إن وخبرها المقدم، واللام المزحلقة، وآيات اسمها المؤخر، ولأولي صفة لأيات، والنهى مضاف إليه، وهي جمع نهية بمعنى العقل. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ الواو استئنافية، ولولا حرف امتناع لوجود، وكلمة مبتدأ محذوف الخبر، وجملة سبقت من ربك صفة لكلمة، ومن ربك متعلقان بسبقت؛ لكان اللام واقعة في جواب لولا، وكان فعل ماض ناقص، واسمها ضمير مستتر تقديره: هو، يعود على الإهلاك، ولزاماً خبرها، وأجل مسمى عطف على كلمة أي، ولولا أجل مسمى لكان الإهلاك لازماً لهم، ويجوز

ـ كما يرى الزمخشري وأبو البقاء ـ أن يكون معطوفاً على الضمير المستتر في «كان»، أي: لكان الإهلاك العاجل وأجل مسمى لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود، ومن العجيب أن معظم المفسرين كالجلال والبيضاوي وغيرهما جروا على هذا الوجه؛ رغم ما فيه من تكلف، وقالوا: إن الفصل بالخبر قام مقام التأكيد؛ لأنه كان من حق العطف أن يؤكد الضمير المستتر في كان بالضمير المنفصل، فكان يقال: هو لزاماً وأجل مسمى، ولا داعي لكل هذا التكلف، وعطفه على كلمة أسهل وأسرع في تأدية المعنى المراد. ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ الفاء الفصيحة، أي: إذا كان الأمر على ما ذكر من أن تأخير عذابهم ليس بإهمال، بل إمهال، وهو واقع بهم، وآت عليهم فاصبر. واصبر فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، وعلى ما: متعلقان باصبر، وجملة يقولون صلة، وسبح عطف على اصبر، وبحمد ربك في موضع نصب على الحال، أي: وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح، وأعانك عليه، وسيأتي المراد بالصبر في باب الفوائد.

وقبل متعلق بسبح، وطلوع الشمس مضاف، وقبل غروبها عطف على قبل طلوع الشمس ﴿ وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بسبح، والفاء هي الفصيحة أيضاً، وسبح فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، وأطراف النهار نصب عطفاً على محل ﴿ وَمِنْ ءَانَآيِ ﴾ المنصوب، ويجوز عطفه على قبل طلوع الشمس، ولعل حرف ترج ونصب، والكاف اسمها، وجملة ترضى خبرها، ومتعلق ترضى محذوف مفهوم من السياق، أي: بما تعطاه من الثواب، وجملة لعلك ترضى حالية من فاعل سبح، أي: صل حال كونك راجياً في أن الله تعالى يرضيك بما يعطيكه من الثواب. ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتمدن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد، وهو في محل جزم بلا، وفاعله ضمير مستتر تقديره: أنت، وعينيك مفعول به، وإلى ما: متعلقان بتمدن، وجملة متعنا صلة، وبه متعلقان

بمتعنا، والهاء هي العائد، وأزواجاً مفعول متعنا، أي: أصنافاً منهم، ومنهم صفة، ويجوز أن يعرب نصباً على الحال من هاء الضمير، فيكون منهم متعلقاً بمتعنا، وزهرة الحياة الدنيا توسّع المعربون في إعرابها، فأوصلوا أوجه نصبها إلى تسعة، وقد محصناها فرأيناها كلها سائغة، ولهذا نعرضها كما ذكروها لنتوصل إلى الترجيح:

١ ـ أن تكون مفعولاً ثانياً إذا أعربنا أزواجاً هو المفعول الأول؛ لأن معنى متعنا: أعطينا.

٢ ـ أن تكون منصوبة على الحال من ما الموصولة.

٣ ـ أن تكون منصوبة على البدلية من أزواجاً على المبالغة، كأنهم نفس الزهرة.

٤ ـ أن تكون منصوبة بفعل مضمر دلّ عليه متّعنا، تقديره: جعلنا لهم زهرة.

٥ ـ أن تكون منصوبة على الذم، أي: أذم زهرة الحياة الدنيا.

٦ ـ أن تكون منصوبة على الاختصاص.

٧ ـ أن تكون منصوبة على البدلية من محل «به».

٨ ـ أن تكون منصوبة على الحال من الضمير في «به».

٩ ـ أن تكون منصوبة على التمييز لـ«ما» أو للهاء في «به».

ومن تمحيص هذه الوجوه، ومراعاة جانب السهولة يتبين أن نصب زهرة يترجح في نصبها على الذم، أو المفعولية على تضمين متعنا معنى أعطينا، وبهما بدأ الزمخشري، وغيره.

ولنفتنهم: اللام للتعليل، ونفتنهم مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بمتعناهم، والهاء مفعول به، وفيه متعلقان بنفتنهم. ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ الواو للحال، ورزق ربك مبتدأ، وخير خبر، وأبقى عطف على خير﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ﴾ وأمر: الواو استئنافية، أو عاطفة، وأمر فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، وأهلك مفعول به، وبالصلاة متلعقان بفعل الأمر، واصطبر

فعل أمر، وفاعله مستتر، وتقديره: أنت، وعليها متعلقان باصطبر، وجملة لا نسألك استئنافية، ونسألك فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به، ورزقاً مفعول به ثان. ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ نحن مبتدأ وجملة نرزقك خبر، والعاقبة مبتدأ، وللتقوى خبر، وهاتان الجملتان مستأنفتان أيضاً. ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ لولا حرف تحضيض، أي: هلا، ويأتينا فعل وفاعل مستتر ومفعول به، وبآية متعلقان بيأتينا، ومن ربه متعلقان بمحذوف صفة لآية، اقترحوا جرياً على ديدنهم المعروف، وعادتهم في التعنت واللجاج، أولم الهمزة للاستفهام الإنكاري، والواو عاطفة على مقدر يقتضيه السياق، والتقدير: ألم تأتهم البينات تترى، ولم تأتهم بصورة خاصة بينة ما في الصحف الأولى، وبينة فاعل لتأتهم، وما موصول مضاف لبينة، وفي الصحف متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والأولى صفة للصحف، وفيها ما يكفي المنصف، أما المكابر المتعنت، فهيهات أن يقنعه شيء! ﴿وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا﴾ تقدم إعراب مثل هذا التركيب، أي: لو ثبت إهلاكنا، فأنا وما بعدها فاعل لفعل محذوف، والجملة مستأنفة، سيقت لتدعيم ما تقرر من تعنتهم، وصلفهم، ومجادلتهم، وبعذاب متعلقان بأهلكناهم، ومن قبله صفة لعذاب. لقالوا: جواب لو، والجملة لا محل لها، وربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء، ولولا حرف تحضيض، وأرسلت فعل وفاعل، وإلينا متعلقان بأرسلت، ورسولاً مفعول به، والجملة مقول القول. ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ﴾ فنتبع: الفاء هي السببية، ونتبع منصوب بأن مضمرة في جواب التحضيض، والفاعل مستتر تقديره: نحن، وآياتك مفعول به منصوب بالكسرة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، ومن قبل متعلقان بنتبع، وأن وما بعدها في تأويل مصدر مضاف لقبل، ونخزى عطف على نذل ﴿قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ كل مبتدأ، ساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم، ومتربص خبر، والجملة مقول القول، والفاء الفصيحة، وتربصوا فعل أمر، فستعلمون: الفاء استئنافية،

والسين حرف استقبال، وتعلمون فعل مضارع مرفوع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل، ومن اسم استفهام مبتدأ، وأصحاب الصراط السوي خبر، ومن اهتدى عطف على من أصحاب، والجملة من أصحاب مفعول تعلمون المعلقة عن العمل، ويجوز أن تكون من موصولة مفعول تعلمون، وأصحاب الصراط خبر لمبتدأ محذوف، أي: هم أصحاب.

□ البلاغة:

١ ـ المجاز المرسل، فقد ذكر القرون، وأراد الأمم التي تعيش عبرها، والاعتبار بآثار الأمم البائدة، والقرون الخالية، كان مثاراً لأخيلة الشعراء، وخاصة في مقام الرثاء، وأبرع من سما بخياله إلى هذا المعنى أبو الطيب المتنبي والبحتري، فنكتفي بهما، وسنورد أبياتاً مختارة من قصيدتين لهما.

يقول عبد الله بن المعتز الشاعر العباسي الخليفة: لو لم يكن للبحتري إلا قصيدته في إيوان كسرى، وقصيدته في وصف بركة المتوكل لكان أشعر الناس. فقد زار البحتري بعد أن سئم الحياة في بغداد بعد مقتل المتوكل على الله المدائن، وهي مدينة يقع فيها إيوان كسرى، وقد أبدع في وصف الإيوان إبداعاً فريداً زاده روعة أنه من شعراء العرب أول من وصف الآثار القديمة الخالدة واستوحاها، وصبّ عليها من روحه، وهذه مختارات منها:

صنتُ نَفْسي عما يُدنِّسُ نفسي
وترفَّعتُ عن جدا كلِّ جبسِ

وتماسكتُ حيث زعزعني الدَّهـ
ـرُ التماساً منه لتعسي ونكسي

حضرت رَحْلي الهموم فوجَّهـ
ـتُ إلى أبيض المدائن عنسي

ذكَّرتنيهم الخطوبُ التوالي
ولقد تذكر الخطوبُ وتنسي

حلل لم تكنْ كأطلالِ سعدى
في قفارٍ من البسابسِ ملس

فكأنَّ الجرمازَ من عَدَم الأنـ
ـسِ وإخلاله بنية رمس

لو تراه علمتَ أنَّ الليالي
جعلتْ فيه مأتماً بعد عرس

فإذا ما رأيتَ صُورةَ أنطا
كية ارتعتَ بين رومٍ وفُرْس

والمنايا مواثلٌ وأنوشر
وان يُزْجي الصُّفوفَ تحت الدِّرَفْس

في اخضرارٍ من اللباس على أصـ
ـفر يختالُ في صبيغة ورس

عمرتْ للسُّرور دهراً فصارتْ
للتعزّي رِباعهم والتَّأسِّي

فلها أن أعينها بدموع
موقفات على الصّبابةِ حبس

ولا يتسع المجال لإيراد القصيدة بكاملها، فهي نموذج حيّ معبر من أدبنا العربي، كما لا يتسع المجال لدراستها، فنكتفي بإيراد بعض الملاحظات السريعة عليها:

١ ـ تشعر حين تقرأ السينية بروعة موسيقاها الناتجة عن خفة البحر وجماله (الخفيف) وتلاؤمه مع العواطف، والمعاني، والألفاظ، والروي المهموس، وهو السين، وترداد الحروف المهموسة كالسين، والصاد، والتاء.

٢ ـ تشعر بتأثر الشاعر بالعظمة حين قدم لوصف الإيوان، ثم ما تعتم أن تأسى وتحزن حين تقرأ أن الليالي جعلت فيه مأتماً بعد عرس، وهذا التجاوب النفسي بين ما يصفه الشاعر وبين ما يصف ميزة فنية بحتة.

٣ ـ تشعر أن الشاعر يعجب بكلّ ما هو عظيم في الدنيا، ولو كان من غير قومه فنراه هنا معجباً بالفرس، فبكاهم أصدق بكاء، ورثاهم أحرّ رثاء، وهكذا الفن يسمو ليستحيل إنسانية صرفاً.

٤ ـ وأخيراً تعجب من أن الشاعر يطرق في الأدب العربي فناً جديداً لم يطرقه أحد من قبله، وهو رثاء الممالك الزائلة والآثار الباقية، ولم يشْر إليه قبل القرآن أحد، فيقول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾

وننتقل إلى عينية أبي الطيب المتنبي، وهي القصيدة التي رثى بها أبا شجاع فاتكاً، وفيها تحدث عن شعور الإنسان حيال الآثار المتخلفة عن أصحابها، فقال منها:

إنِّي لأَجْبُنُ من فراقِ أحبَّتي ... وتُحِسُّ نفسي بالحِمام فَأَشْجُعُ

ويزيدُني غَضَبُ الأعادي قَسْوَةً ... ويُلِمُّ بي عَتْبُ الصَّديقِ فَأَجْزَعُ

تَصْفُو الحياةُ لجاهلٍ أو غافلٍ ... عمّا مَضَى فيها وما يُتَوَقَّعُ

ولمنْ يُغالِطُ في الحقائقِ نَفْسَهُ ... ويَسُومُها طَلَبَ المحالِ فَتَطْمَعُ

أينَ الذي الهَرَمَانِ من بُنيانِه ... ما قومُه؟ ما يومُه؟ ما المصرعُ؟

تَتَخَلَّفُ الآثارُ عن أصحابِها ... حيناً ويُدْرِكُها الفناءُ فَتَتْبَعُ

ويظهر أن أبا الطيب كان يحب القائد فاتكاً أبا شجاع حباً خالصاً، قائماً على الإعجاب، فهو يرثيه بقصيدتين، يجعل منهما وسيلة إلى الإبانة عما في نفسه من هموم ومحن، وترى من خلالهما بعض النظرات الفلسفية، فهو كما ترى يرى الحياة لا تصفو إلا للجاهل أو الغافل، أما الشجاع الأبي فقلّما تخطئه سهامها، ونراه ـ هنا ـ معاني مظلمة قاتمة في نفسه، حتى ليكاد يلقي سلاحه أما عوادي الزمان لولا بقية من قوة يستمسك بها:

المجدُ أَخْسَرُ والمكارمُ صَفْقَةً

مِن أنْ يعيشَ لها الهُمامُ الأَرْوَعُ

والنـاسُ أَنْـزَلُ فـي مكـانِـك منـزلاً
مِـن أن تُعـايِشهـم وقَـدْرُكَ أَرْفَـعُ

٢ ـ وفي قوله: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ...﴾ الآية فن المناسبة، وهي على ضربين: معنوية ولفظية، والمعنوية هي أن يبتدىء المتكلم بمعنى، ثم يتمم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ، فالآية موعظتها سمعية، فختمها بأشد مناسبة معنوية بقوله: ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾[1] وقال في الآية التي موعظتها مرئية، وهي آية السجدة: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ فقد ختمها بقوله: ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ لأن ذلك مما يتبين بالرؤية، وما فوق هذه المناسبة مناسبة. ومن بديع ما ورد فيها شعراً قول القاضي الفاضل:

وبـدر بـأفـلاكِ الخـواطـرِ طـالـعٌ
وغصـن بـريحـانِ الغـدارِ وريـق
لئن بتّ في بحرٍ من الفكر سابحاً
فـإنسـانُ عينـي في الـدُّمـوعِ غـريـق

فالمناسبة في الشطر الأول في البدر والأفلاك والطلوع، وفي الشطر الثاني بين الغصن والريحان ووريق، وفي الثالث بين البحر وسابحاً، وفي الرابع بين إنسان العين والدموع وغريق، ففي كل شطر من البيتين مناسبات عديدة، وأما المناسبة اللفظية فهي دون رتبة المعنوية، وهي الإتيان بكلمات متزنات، وهي أيضاً على ضربين: تامة وغير تامة، فالتامة تكون الكلمات مع الاتزان مقفاة، والناقصة موزونة غير مقفاة، فمن شواهد التامة من القرآن العظيم قوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ ومن الشعر قول ابن هانىء الأندلسي:

---

(١) كذا في الأصل، والآية المشار إليها خُتِمت بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ١٢٨].

وعـوابس وقـوابس وفـوارس وكـوانـس وأوانـس وعقـائـل

ومن غير التامة قول ابن خلوف المغربي:

كالوردِ خــداً والغـزالة بهـجـة والغصـن قـدّاً والغـزال مقلـدا

وقد اجتمعت التامة والناقصة في قول أبي تمام:

مَهَـا الـوحـشِ إلاَّ أنَّ هَـاتـا أَوَانِـسٌ

قَنَــا الخـــطِ إلاَّ أنَّ تلـــك ذَوَابِـــلُ

فبين قنا ومها مناسبة لفظية تامة، وبين الوحش والخط وأوانس وذوابل مناسبة غير تامة.

* الفوائـــد:

☆ النسخ في القرآن:

في قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ مبحث هام جدير بالتأمل، وهو أن معظم المفسرين درجوا على القول: إن هذه الآية منسوخة بآية القتال، والصواب أنها ليست منسوخة، بل هي أمر بالصبر المحمود على كل حال، وهو عدم الاضطراب، ومساورة الجزع لما يقولون، ولما يصدر عنهم من الأذية، وليس فيها آية إشارة، أو تلميح إلى عدم القتال حتى يكون الأمر بالقتال ناسخاً لها.

وموضوع النسخ في القرآن الكريم من الموضوعات الشائكة الصعبة، والاختلاف حوله كثير، وما علم في هذا الباب من استقراء كلام الصحابة والتابعين أنهم كانوا يستعملون النسخ بإزالة المعنى اللغوي الذي هو إزالة شيء بشيء لا بإزاء مصطلح الأصوليين، فمعنى النسخ عندهم إزالة بعض الأوصاف من الآية بآية أخرى إما بانتهاء مدة العمل، أو بصرف الكلام عن المعنى المتبادر إلى غير المتبادر، أو بيان كون قيد من القيود اتفاقياً، أو تخصيص عام، أو بيان الفارق بين المنصوص، وما قيس ظاهراً عليه، أو إزالة عادة الجاهلية، أو الشريعة السابقة، فاتسع باب النسخ عندهم، وكثر جولان

العقل هنالك، واتسعت دائرة الاختلاف.

أما المنسوخ باصطلاح المتأخرين فهو قليل جداً، وقد ذكر الشيخ جلال الدين السيوطي في «الإتقان» بتقرير مبسوط، كما ينبغي، بعض ما ذكره العلماء، ثم حرر المنسوخ الذي فيه رأي المتأخرين على وفق الإمام الحافظ القاضي أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الأندلسي، فعنده قريباً من عشرين آية، وأتى في العصر الحديث الشيخ الإمام محمد عبده فأنكر النسخ في القرآن، وقال: إن كل ما زعموا أنه منسوخ يمكن تأويله كما رأيت في قوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ وهو ظاهر في هذه الآية يطيح بالقول القديم أن الآيات المنسوخة تبلغ حوالي خمسمئة آية، وهو قول ظاهر البطلان بالبداهة.

* * *

فهرس الآيات

سورة يوسف

سورة الرعد

سورة النحل

سورة الإسراء

سورة الكهف

سورة مريم

سورة طـه